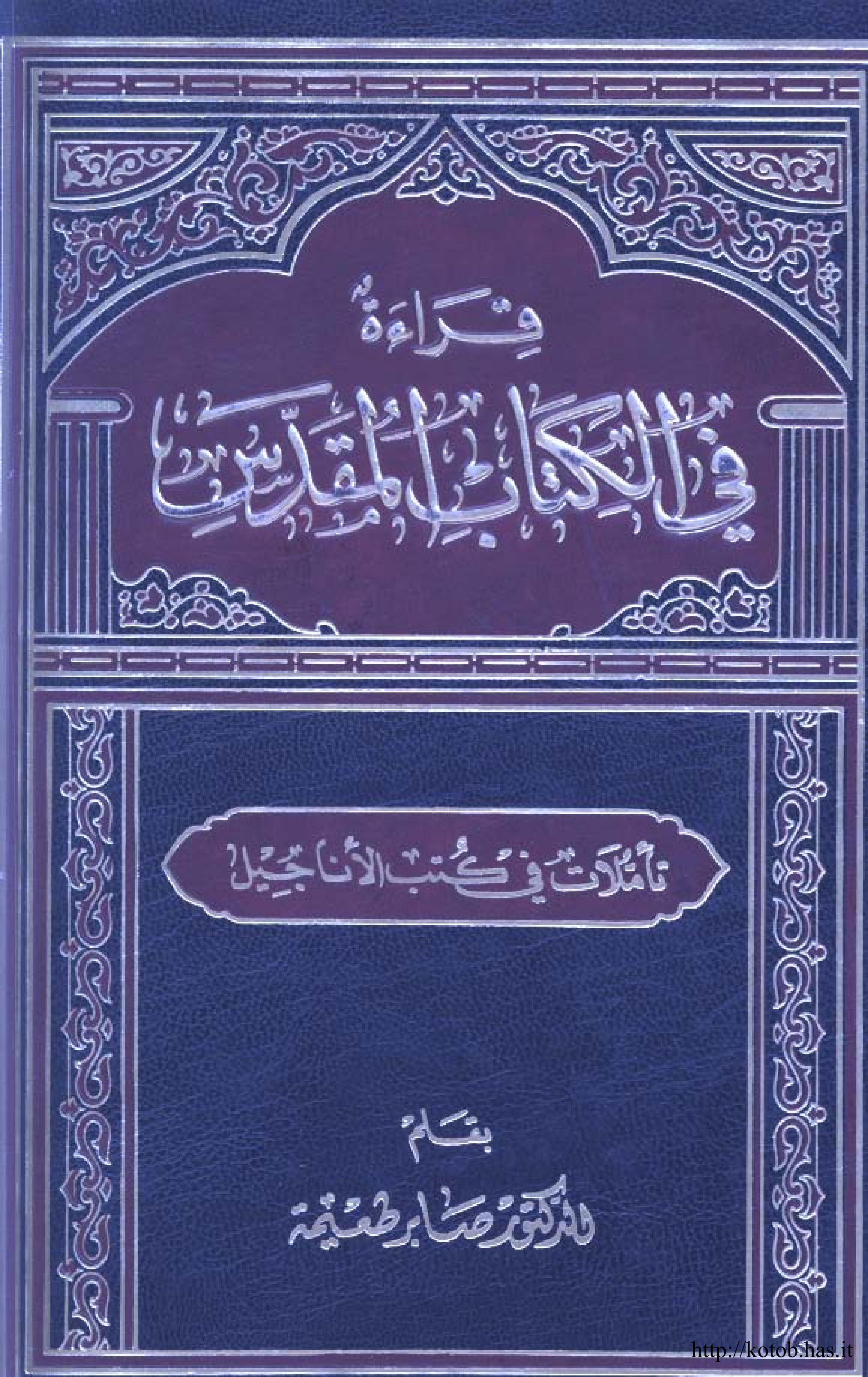


قراءة
في الكتاب المقدس
تأملات في كتب الأناجيل
بقلم
الدكتور صابر طعيمة

ⓒ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

طعيمة ، صابر

قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل / صابر طعيمة

المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ

٨٩٦ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٦ ـ ٥ ـ ٩٦٢١ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الإنجيل أ ـ العنوان

ديوي ٢٧٢،٥ ١٨٦٧ / ١٤٢٦

رقم الإيداع: ١٨٦٧ / ١٤٢٦

ردمك: ٦ ـ ٥ ـ ٩٦٢١ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٦ م

يطلب من المؤلف

المملكة العربية السعودية

المدينة المنورة

هاتف: ٠٥٠٤٣٥١٦٦٧

تلفاكس: ٨٢٧٧٧٦٨

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إهــــداء

إلى السيدة الوقورة المبشرة المنصرة العالمية،

الحسناء بنت الستين ربيعاً جويس ماير Joyce Mayer التي تفتن الملايين بقامتها المديدة، وآدائها المتميز، واستشهاداتها الجميلة،

وكلماتها العذبة على المسرح وهي تنحني بجلال، وترفع رأسها تقرأ من العهد القديم والجديد، وتردد كلمات الأنبياء في جمال، إليها والألوف في القاعات الفسيحة، وعبر قنوات البث الفضائي تستمع إليها في نشوة وهيام..

أهدي هذه التأملات لعلها وغيرها يدرك في النهاية أن كل الوسائل لا تُغني عن الحق شيئاً.

من مسلم
يحب السيد المسيح (عيسى بن مريم)
ويؤمن به نبياً ورسولاً

Dedication

To Joyce Meyer, the renowned international televangelist, the woman who captivated millions of people with her gracefulness, sweet words and splendid performance on stage.

To her audience who crowd in the large auditoriums to see and hear her as she elegantly bows and raises her head while reciting from the scriptures, and to the millions of viewers who follow attentively viea satellite channels.

To them all, I dedicate these reflections in the hope that they too will reflect deeper, and come to see the One and Only Truth.

Saber Abdulrahman Ta'ima

A Muslim who loves Jesus Christ,

The prophet, the son of Mary.

Al Madinah Al Munawarah,

May, 2006.

المؤلف في سطور

* من مواليد محافظة المنوفية، جمهورية مصر العربية عام١٩٣٧م.

* حصل على درجة الدكتوراه في الأديان المقارنة عن موضوعه، التراث الإسرائيلي في العهد القديم بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٩٧٨م.

* تنقل في عدد من الوظائف العلمية والسياسية في جمهورية مصر العربية.

* عضو هيئة التدريس، بجامعة الأزهر بالقاهرة، وجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود بالرياض، وجامعة الملك عبد العزيز فرع المدينة المنورة.

* يعمل حالياً أستاذ بجامعة (طيبة) بالمدينة المنورة في كلية التربية والمعهد العالي للأئمة والخطباء (دراسات عليا).

* شارك في العديد من المؤتمرات العلمية، داخل العالم الإسلامي وخارجه حيث زار عدداً من جامعات العالم.

* له من المؤلفات أكثر من ٥٠ كتاباً مطبوعاً منها:

- الصهيونية في التاريخ.
- اليهود في موكب التاريخ.
- التاريخ اليهودي العام، (جزءان).

ـ إسرائيل بين المسير والمصير.

ـ التراث الاسرائيلي في العهد القديم.

ـ الأسفار المقدسة قبل الإسلام.

ـ اليهود والفاتيكان.

الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين.

ـ التصوف والتفلسف ـ الوسائل والغايات.

ـ الاسلام والآخر.

ـ الدولة والسلطة في الاسلام.

ـ الغلو والفرق الغالية بين الإسلاميين.

توطئة وتمهيد:

القلب والعقل في قراءة الكتاب المقدس
العهد الجديد من الكتاب المقدس

الكتب الأربعة:

- ◄ **إنجيل مرقص**
- ◄ **إنجيل متى**
- ◄ **إنجيل لوقا**
- ◄ **إنجيل يوحنا**

كلمة لا بد منها

القلب والعقل في قراءة الكتاب المقدس

قد يقرأ المثقف كما العامي الكتاب المقدس سواء في العهد القديم أو الجديد بروح قلبه، لا بمنطق عقله، فيقف على بعض الأخبار والمرويات، بل وعلى بعض الأمور الاعتقادية، فيجد نفسه حيراناً، أو شاكاً رافضاً، لكن مشاعر القلب المستسلم أو المحب، وخلجات النفس المؤمنة، تدفع إلى استبقاء كل ما يعلق في النفس، أو يشتت الإدراك مما في نصوص التراث ومصادر الاعتقاد، حتى ولو كان هذا الموروث مما يجافي العقل، ويرفضه المنطق، فيأتيك من يقول لك استشعر بقلبك وتلمس بمشاعرك، أي لا تفكر لأن هذا من الموروث المقدس، لكن الإشكالية التي قد تواجه الباحثين والدارسين، وأصحاب النهى، هي افتقاد الوحدة الموضوعية أو انسجام المعطيات في عقائد الإيمان بما تقوله أو تمليه نصوص مقدسة يريد الباحثون أن يجدوا لها سنداً من العقل، وراحة حقيقية في النفس، وقد أراد الله تعالى لنا، أن تكون دراستنا الأكاديمية حول مصادر ومعطيات العقائد التي سبقت الإسلام، وهو الدين الذي نؤمن به، ونلقى الله تعالى على ما جاء به القرآن الكريم وسنة النبي محمدﷺ. لكنا وبعد مُضيٍّ ما يقرب من نصف قرن من العمر في عمل أكاديمي، وجدنا أنفسنا راغبين في أن نقرأ من جديد: «**العهد الجديد والأناجيل**» من الكتاب المقدس قراءة هادئة، نطرح من خلالها ما استوقفتنا النصوص، والأصل

فيها أنها مقدسة، أي لا تحمل اضطراباً أو تناقضاً من ناحية «المتن» ولا انقطاعاً من ناحية المرجع أو السند ـ من أسئلة وعلامات استفهام لا تجد جواباً حتى من أولئك العلماء المتخصصين في دراسة اللاهوت . الكتاب المقدس . واللافت للنظر، بل ربما يكون الداعي والباعث لإعادة قراءة الكتاب المقدس قراءة هادئة هو تلك المساحة الخصبة من الحوار، والعرض، والإعلام التي قام بها بعض علماء اللاهوت رجالاً ونساءً لشرح وتفسير الكتاب المقدس، على ضوء ما فهموا من فقه وعلم بعض ما اطلعوا عليه عند علماء القرآن الكريم على دعوى أنه العلم الذي يفسر ما في الكتاب المقدس، ويستبقي قدسيته، وقد دفعنا ذلك المنهج الذي يبث أفكاره وفهمه عبر قنوات البث الفضائي تلفزيونياً وإذاعياً ووسائل أخرى وبشكل هادئ جذاب بزعم الوصول إلى الحقيقة والحوار مع الآخر، أن نحاول في هذه القراءة التعريف بما اطلعنا عليه من معارف علماء اللاهوت وغيرهم حول الجزء المهم من الكتاب المقدس، وأعني به العهد الجديد باعتباره المتمم والمكمل للعهد القديم، الذي تأتي مطالعاتنا وتعليقنا عليه في مرحلة تالية.وقد أرجأنا دراستنا للعهد القديم ولم نبدأ به في ظل هذه المعالجة التي تعاملنا بها مع العهد الجديد، لأن هذه المساحة المتقدمة من الكتاب المقدس، سبق وأن تناولناها بالعرض والتحليل، في أطروحة أكاديمية طبعت وتعرضت للنقد والتقويم منذ ما يقرب من أربعين عاما، لكنا كما وعدنا سنعود لقراءة العهد القديم بعد أن يكون العهد الجديد في أيدي العلماء والدراسين والباحثين.

العهد الجديد من الكتاب المقدس

من المتفق عليه بين المشتغلين بعلوم مقارنة الأديان إجمالاً وعلماء اللاهوت الإنجيلي خاصة أن العهد الجديد كتب باللغة اليونانية، ولكن وجدت فيه كلمات آرامية مكتوبة بحروف يونانية، كما ظهر أن بعض الإنجيل كتب بالآرامية، ثم نقل من الآرامية إلى اليونانية. هذا ما كان من شأن الأناجيل الأربعة: متى، ومرقس، ويوحنا، ولوقا.

أما رسائل بولس فقد كتبت باليونانية.

وقد ترجمت أسفار العهد الجديد إلى السريانية، فأخذ هذه الترجمة نصارى فلسطين، وسوريا، واستعملوها في كنائسهم.

وإنجيل متى، ومرقس، ولوقا. يمكن الإحاطة بها بنظرة واحدة. لأن محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها في أعمدة متوازنة، والنظر إليها مجتمعة، ولهذا يطلق عليها عبارة Synoptic Gospels وقد كتبت باللغة اليونانية الدارجة Greek Koind، ولم تكتب بنماذج مصقولة في النحو أو البلاغة.

ومن هذه المصادر كانت الترجمة الإنكليزية المشهورة والمعروفة بنسخة الملك جيمس King James, Version والتي أصبحت النسخة المعتمدة للعالم الإنكليزي، ونالت هذا الامتياز بنسبتها للملك جيمس، وهي ترجمة بعيدة كل البعد عن الدقة.

وترجع أقدم النسخ التي لدى الكنيسة من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث الميلادي. أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠، ١٢٠م

ثم تعرضت بعد كتابتها لتحريف مقصود، يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ، أو المطابقة لأغراضها في المسائل اللاهوتية لأهداف خاصة،كما تعرضت على مدى قرنين من الزمان لأخطاء النقل.

والنساخ المسيحيون الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول لا ينقلون شيئاً قط عن العهد الجديد، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم، ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠م.

الكتب الأربعة

(أ) إنجيل مرقص:

يتفق الثقاة من العلماء النقاد على أن إنجيل مرقص أسبق الأناجيل الأربعة في الزمن، ويؤرخونه ما بين عامي ٦٥، ٧٠ م ويقال إن مرقص هو الذي ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس.

(ب) إنجيل متى:

تقول الرواية المأخوذ بها في التقليد الأرثوذكسي Orthodox tradition إن إنجيل متى أقدم الأناجيل كلها، ويعتقد إيرونيوس Irenaes أنه كتب باللغة العبرية أي الآرامية، ويبدو أن هذا الإنجيل هو مجموعة آرامية من أقوال المسيح، والمرجح أن بولس كانت لديه وثيقة من هذا النوع، وذلك لأنه لم يتلق الإنجيل عن المسيح شأن الحواريين، فاستعان بهذه الوثيقة لينقل أحياناً كلمات يسوع بنصها[1]، ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية ويميل العلماء النقاد إلى القول بأن هذا الإنجيل من تأليف أتباع متى، وليس من أقوال العشار نفسه، واكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٨٥، ٩٠م.

---

(١) كشف جرنفل Grenfell، وهنت Hunt في خرائب إحدى المدن القديمة في مصرruins of oxyrhyrchus في عامي١٨٩٧، ١٩٠٣ اثنتى عشرة بردية fragment of logia بها فقرات تتفق - إلى حد ما - مع فقرات مماثلة لها في الأناجيل، ولا ترجع هذه البرديات إلى ما قبل القرن الثالث الميلادي، وقد تكون نسخاً من مخطوطات أقدم منها ما زالت موجودة.

وإذا كان الغرض الذي يبتغيه متى هو هداية اليهود، فإنه يعتمد أكثر من غيره من الحواريين على المعجزات التي تعزى إلى المسيح، ويحرص حرصاً شديداً ـ يدعو إلى الريبة/ على أن يثبت أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت في شخص المسيح.

(ج) إنجيل لوقا:

والإنجيل حسب نص القديس لوقا ـ وهو النص الذي يعزي عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول ـ يعلن لوقا فيه أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح والتوفيق بينها، وأنه يهدف إلى هداية الأمم لا اليهود.

وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان أمياً، وأنه كان صديقاً لبولس، وأيضاً هو مؤلف لسفر الأعمال.

وقد اقتبس كثيراً من كتابات مرقص، واقتبس منها كذلك القديس متى فإن الإنسان يستطيع أن يجد في إنجيل متى ستمائة سند من الستمائة وواحد وستين سنداً التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل مرقص، ويجد أيضاً ثلاثمائة وخمسين في إنجيل لوقا، تكاد تكون هي بنصها في إنجيل مرقس.

بل أكثر من هذا نجد في إنجيل متى كثيراً من الفقرات التي توجد في إنجيل لوقا، ولا توجد في إنجيل مرقص، وهذه أيضاً تكاد تكون بنصها.

ويبدو أن لوقا قد أخذ هذه النصوص عن القديس متى، أو أن لوقا ومتى قد أخذاها عن أصل مشترك لم يعثر عليه بعد.

ويصقل لوقا هذه النقول «الاقتباسات» الصريحة بمهارة أدبية، تحمل رينان Renan على الظن بأن هذا الإنجيل أجمل ما ألف من كتب.

(د) إنجيل يوحنا:

والإنجيل الرابع لا يدعي أنه ترجمة لحياة يسوع، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله، وخالق العالم، ومنقذ

البشرية، وهو يناقض الأناجيل الأخرى Synoptic Gospels في مئات من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها عن المسيح، وإن ما يصطبغ به الإنجيل - من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بل بالمعرفة، وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية metaphysical ideas قد جعل الكثيرين من الباحثين في الدين المسيحي في شك من أن واضع الإنجيل هو يوحنا، ويرجح أن كاتبه هو كاتب رسائل يوحنا التي تعرض الأفكار نفسها بالأسلوب نفسه.

وفي ضوء ما قاله المحققون من علماء اللاهوت يمكن القول أن ثمة تناقضاً كبيراً بين بعض الأناجيل وبعضها الآخر، أن فيها نقطاً تاريخية مشكوك في صحتها، وفيها من القصص - الباعثة على الشبهة والريبة ما يماثل مماثلة واضحة ما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثير من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقرير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة، أو طقس متأخر من طقوسها.

ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو «تصحيح وتنقيح للكتابات».

وإن الحواريين - على ما يتصفون به من تحيز ومن الأخذ بأفكار دينية سابقة - ليسجلون كثيراً من الأحداث، كتنافس الرسل على المنازل العليا في ملكوت الله - وفرارهم هرباً بعد القبض على يسوع، وإنكار بطرس، وعجز المسيح - على ما تقول الكتب - عن إتيان المعجزات في الجليل، وإشارة بعض من سمعوا المسيح إلى ما عسى أن يكون دليلاً على إصابته بالجنون، وتشككه الأول في رسالته، واعترافه بأنه يجهل أمر المستقبل، وما كان يمر به من لحظات يمتلئ قلبه فيها حقداً على أعدائه، وصيحة اليأس التي رفع بها عقيرته وهو على الصليب بقوله

«إلهي إلهي لماذا تركتني»[١].

ومن يطلع على هذه الأحداث لا يشك قط في أن وراءها شخصية تاريخية حقة، هي شخصية المسيح عيسى بن مريم، الذي تنبأ بكل هذا، بقوله في إنجيل برنابا: «لأن الله سيصعدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي، ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث أنا في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم، ولكن متى جاء محمد رسول الله تزال عني هذه الوصمة»[٢].

ويتنبأ بقوله في إنجيل يوحنا: ومتى جاء المعزى ـ الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق ـ فهو يشهد لي وتشهدون أنتم ـ أيضاً ـ لأنكم معي من الابتداء

وعن تلاميذه يتنبأ في إنجيل يوحنا: هو ذا تأتي ساعة ـ وقد أتت الآن ـ تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركوني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي.

إذن الأناجيل الأربعة هي قصة حياة المسيح، وتعاليمه، كتبها تلاميذه وتابعوهم ثم سفر الأعمال الذي ألفه لوقا: الكلام الأول: أنشأته ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به؛ وهو تاريخ الكنيسة ونشأتها بزعامة بطرس وبولس والتلاميذ، ثم الرسائل ومعظمها لبولس وهي خطاباته للكنائس التي كان يبشر بها في أوروبا وآسيا.

ثم سفر الرؤيا، وهو سفر نبوي كتبه يوحنا بن زبدي يتنبأ فيه عن مجيء المسيح وامتلاكه للأرض مع تلاميذه الاثني عشر.

(١) متى ٢٧: ٤٦.

(٢) برنابا ١١٢: ٨ ـ ١١٨.

الفصل الأول

- ◄ مقدمة بين يدي الأناجيل
- ◄ مفارقات علمية تاريخية في الأناجيل
- ◄ افتقاد الوحدة العقدية في الأناجيل
- ◄ قدسية الأناجيل الأربعة
- ◄ تاريخ النصوص

مقدمة بين يدي الأناجيل

نود في هذا المقام الإشارة ـ وهي من نافلة القول ـ إلى أن العهد الجديد الذي بأيدي المؤمنين اليوم ليس كتاباً واحداً، أي ليس إنجيلاً واحداً، بل الذي في أيديهم أربعة أناجيل، جمع كل إنجيل منها في قطر من أقطار الأرض، بقلم غير قلم الآخر، وتضمن كل كتاب من الأقاصيص والحكايات والمأثورات ما غفله الكاتب الآخر، مع تسمية الجميع إنجيلاً وهذه الحقيقة التي تتصل بالمرجعية، والسند، والإسناد قد تكون لها مبرراتها، أو دواعيها عند القول بها من المؤمنين بها، لكنها في مجال البحث العلمي تحتاج إلى نظر وتدبر وتدقيق، فالأمر يتعلق بقدسية كتاب وعصمة وحي، لا إلى منهج ومعلومات مؤلفين.

وقد ذكر العلماء المشتغلون باللاهوت بل معظم القديسين عندهم، أن اثنين من هؤلاء الكتاب الأربعة وهما: مرقص، ولوقا لم يكونا من الاثني عشر الحواري أصحاب السيد المسيح، وإنما أخذا عن من أخذ من السيد المسيح، وإذا كان الأمر كذلك فهذان الإنجيلان ليسا بالقطع من لفظ المسيح، ولا من تعاليمه، والأصل في القدسية أن الحجة هنا تقوم بكلام المسيح ذاته، سواء أكان رسولاً من الله كما كان بالفعل، أم كان هو ـ الله متجسداً ـ على ما يقولون به [تعالى الله].

المهم أننا هنا نقرر كما سبقنا إلى ذلك كثير من العلماء من المسلمين وغيرهم، أن نصف الأناجيل الأربعة بأقوال أئمة النصرانية ومراجعها

المتقدمين لم تؤخذ عن المسيح، ومن ثم فيكون سند النص المقدس المدعى منقطعاً، ولا علاقة له بالوحي الإلهي.

قد صرح لوقا في صدر إنجيله بذلك فقال: «إن ناساً راموا ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خداماً للكلمة، فرأيت أنا إذ كنت تابعاً أن أكتب لك أيها العزيز (ثاوفيلس) لتعرف حقائق الأمر الذي وعظت به»[١].

ومن البداهة التأكيد على ما يقول به علماء اللاهوت من القديسين أو الرسل الأربعة إنهم على ما يقولون به قد أخذوا علمهم وما في كتبهم عن مصدر واحد هو «المسيح» سواء أكان المسيح ذاته إلهاً، أو ابن إله، على ما يقولون به ويؤكدون، أو كان الأربعة رسلاً عن نبي رسول على ما يقول به كثير من المؤمنين، فيكون الأربعة الأصل فيهم أنهم مبلغون عنه، وفي ضوء ذلك الأساس العلمي لماذا جاء ذلك الاضطراب الذي انتبه إليه كل علماء الإسلام، فضلاً عن عدد وافر من علماء التاريخ، والحضارة، والأدب واللاهوت، الغربيين والمتمثل في ما ورد مثلاً في إنجيل متّى من اضطراب في نسب السيد المسيح حيث يقول متّى في إنجيله: من يوسف خطيب مريم ـ وهو الذي يسمى يوسف النجار ـ إلى إبراهيم الخليل اثنتان وأربعون ولادة في الوقت الذي يخالفه لوقا ويقول: ولكن بينهما أربعة وخمسون ولادة، وهذا انقطاع وتكاذب قبيح، ولعل الاعتماد هنا على لوقا أولى، لأن متّى صحابي على ما يقولون، ولوقا ليس بصحابي، إلا أنه لا فرق بينهما عند النصارى وذلك في المنهج العلمي يقضي بانعدام الثقة بهما جميعاً.

يقول أحد العلماء: «صواب النسب الذي عددته في إنجيل متى تسعة وثلاثون رجلاً، وفي إنجيل لوقا خمسة وخمسون رجلاً، وذلك من يوسف

(١) لوقا ١ / ١ ـ ٥.

خطيب مريم إلى إبراهيم الخليل، بشرط دخول الجدين يوسف وإبراهيم في العدد وقد اختلفا في الأسماء وترتيبها وذلك زلل ظاهر واضطراب واضح»[١].

(١) إن قضية التناقض الواضح البين في نسب المسيح بين إنجيلي متى ١/١ ـ ٨ وإنجيل لوقا ٣/ ٢٣ ـ ٣٨ مما اتفق على ذكره العلماء الثقات من الذين عنوا بنقل عقائد الأمم والشعوب انظر في ذلك مثلاً «الفِصلَ في الملل والأهواء والنحل لابن حزم» ج٢ ـ ص٢٧ ـ ٣٤ والإعلام للإمام القرطبي ص٢٠٧، و«مقامع هامات الصلبان» للإمام الخزرجي ص١٤٧، و«هداية الحيارى» لابن القيم ص٢١٥، و«النصيحة الإيمانية» لنصر بن يحيى ص١٩١، و«تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب» لعبد الله الترجمان ص١٨٥، و«إظهار الحق» لرحمت الله بن خليل الهندي ص١١٤ ـ ١٥٢، وغيرهم كثير. هذا وقد وردت أنساب آباء المسيح في أسفار العهد القديم وخاصة سفري «التكوين» وأخبار الأيام الأول بشكل يخالف ما ذهب إليه كتاب الأناجيل ولمعرفة حقيقة التناقض فإننا سنعقد مقارنة بين ما ورد في سفر أخبار الأيام الأول «الإصحاح الثالث» وبين إنجيل متى وإنجيل لوقا في الجدول الآتي في الصفحة القادمة.

مفارقات علمية تاريخية في الأناجيل

المتأمل في سلسلة نسب السيد المسيح في الأناجيل يطالعه ذلك الجدول الذي لم نعثر له على جواب يبرره أو يفسر اضطرابه:

م	إنجيل متى	أخبار الأيام الأول	إنجيل لوقا	م	إنجيل متى	أخبار الأيام الأول	إنجيل لوقا
١	داود	داود	داود	٢٢	زربابل	زربابل	شلتائيل
٢	سليمان	سليمان ناثان	ناثان	٢٣	أبهود	حنقيا	زربابل
٣	رحبعام	رحبعام	متاثا	٢٤	الباقيم	-------	ريا
٤	أيا	أبيا	مينان	٢٥	عازور	-------	يوحنا
٥	آسا	آسا	مليا	٢٦	صادوق	-------	يهوذا
٦	يهوشافاط	يهرشافا	الباقيم	٢٧	أخيم	-------	يوسف
٧	يورام	يورام	يونان	٢٨	البود	-------	شمعي
٨	عزيا	اخزيا	يوسف	٢٩	اليعازر	-------	متاثيا

م	إنجيل متى	أخبار الأيام الأول	إنجيل لوقا	م	إنجيل متى	أخبار الأيام الأول	إنجيل لوقا
٩	----	يوآش	يهوذا	٣٠	متان	--------	مآث
١٠	----	أمصيا	شمعون	٣١	يعقوب	--------	نجاي
١١	----	عزريا	لاوي	٣٢	يوسف	--------	حلي
١٢	بوثام	يوثام	متثاث	٣٣	-----	--------	ناحوم
١٣	آحاز	آحاز	بوريم	٣٤	-----	--------	عاموص
١٤	حزقيا	حزقيا	اليعازر	٣٥	-----	--------	متاثيا
١٥	منسي	منسي	برسي	٣٦	-----	--------	يوسف
١٦	آمون	آمون	عير	٣٧	-----	--------	ينا
١٧	يوشيا	يوشيا	المردام	٣٨	-----	--------	ملكي
١٨	----	يهوباقيم	قصم	٣٩	-----	--------	لاوي
١٩	يكنيا	بكنيا	أدى	٤٠	-----	--------	متثات
٢٠	شلتائيل	شلتائيل	ملكى	٤١	-----	--------	هالي
٢١	----	فدايا	نيري	٤٢	-----	--------	يوسف

وخلاصة تلك المقارنات ما يلي:

١ ـ يُعلَم من متى أن يوسف بن يعقوب، ومن لوقا أنه ابن هالي.

٢ ـ اختلف متى مع لوقا اختلافاً جوهرياً، حين جعل يوسف ـ زوج مريم حسب زعمهم ـ ينحدر من نسل سليمان بن داود، بينما جعله لوقا من نسل ناثان بن داود.

٣ ـ يُعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاد بابل سلاطين مشهورون، ومن لوقا أنهم ليسوا سلاطين، ولا مشهورين، غير داود وناثان.

٤ ـ يعلم من متى أن اسم ابن زربابل (ابيهود) ومن لوقا أن اسمه (ريسا) والعجب أن كلاً من الاسمين غير موجود في نسب سفر أخبار الأيام الأول.

كما يجابه المطلع على سفر أو إنجيل لوقا نوعٌ آخر من الخلل والاضطراب، والتناقض الحاد مثال ذلك ما جاء عند لوقا:

(قال جبريل الملك لمريم بالناصرة إنك ستلدين ولداً اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسي أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب)[١].

وكذبه يوحنا وغيره فقال: (حمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد بيلاطس وقد ألبسوه شهرة الثياب، وتَوَّجوه بتاج من الشوك وصفعوه، وسخروا منه، ففاوضه بيلاطس طويلاً فلم يتكلم، فقال له: أما تعلم أن لي عليك سلطاناً، إن شئت صلبتك، وإن شئت أطلقتك، فأجابه يسوع: لولا أنك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك علي سلطان ومن أجل ذلك خطيئة الذي أسلمني إليك عظيمة)[٢].

وأمام هذه التناقضات الواضحة فقد اعترف جماعة من محققي

(١) لوقا١/ ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) يوحنا ١/١٩ ـ ١١ وقد ورد نحوه في إنجيل لوقا إصحاح ٢٣ وإنجيل مرقس إصحاح ١٥ وإنجيل متى إصحاح ٢٧.

أحبارهم مثل: (إكهارن، وكيسر، وهيس، وديوت، وجون فنتون في كتابه تفسير إنجيل متى ص٣٩ ـ ٤٠،ودكتور جورج برد فورد كيرد في كتابه تفسير إنجيل لوقا ص١٩) الأمر الذي دفع بـ (آدم كلارك) أن ينقل اعتذار مستر (هارمرسي) ونصه: (ويعلم كل ذي علم أن متى ولوقا اختلفا في بيان نسب الرب اختلافاً تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين، وكما اعترض على المؤلفين لهذه الأسفار، ثم أزال العلماء الاعتراضات، فكذلك ربما يأتي من العلماء من يزيل هذه الاعتراضات في المستقبل. والزمان سيحقق هذا.ا.هـ) ولكن البحث العلمي يقول: هيهات أن يجود الزمان بمن يزيل هذه التناقضات، فإنه لا يمكن الأخذ برواية أي من متى أو لوقا عن نسب المسيح إلا إذا اعتبرنا أحدهما صحيحاً والآخر مخطئاً، أو محرفاً، وعند عدم التمييز بينهما بسبب هذا التباين فإن الخطأ والبطلان وعدم سلامة المتن ينسحب عليهما جميعاً، والدليل على ذلك أن أحدهما يقول: «إن يسوع يُمَلَّك على بني إسرائيل» والآخر يصفه بأنه: ضعيف ذليل[1] وفي موضع أخر نرى لوقا يقول:

---

(١) إن واقع حياة المسيح كما يزعمها النصارى في الأناجيل تفيد أن المسيح عليه السلام لم يكن ملكاً ولا متسلطاً على بني إسرائيل يوماً واحداً، فقد (قال له واحد من الجمع: يا معلم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له: يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً؟) لوقا ١٢/ ١٣،١٤ وحين علم المسيح (بأنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده) يوحنا٦/ ١٥ كما نجد الأناجيل تصف المسيح بخلاف صفة الملوك التي يدعونها له حيث أن الأناجيل التي بين أيدينا اليوم تزعم بأن المسيح قد قبض عليه وضرب وأهين وشتم ثم قتل مصلوباً إذن فحقيقة الأمر وواقع الحال في الأناجيل المعتمدة عند النصارى تكذب وتخالف ما ادعاه لوقا على لسان جبريل عليه السلام. يضاف إلى ما سبق أن المسيح من أولاد (يهوياقيم) حسب النسب الذي ذكره متى في إنجيله ١/ ١٠،١١، وأن أي واحد من أولاد يهوياقيم وسلالته لا يجوز له الجلوس على كرسي داود كما ورد النص بذلك في سفر أرميا ٣٦/ ٣٠، (لذلك هكذا قال الرب: عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود....).

(لما نزل بيسوع الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقوّيه وكان يصلي متوارياً وصار عرقه كعبيط الدم) [١].

ولم يذكر ذلك متَّى، ولا مرقص، ولا يوحنا، وإذ تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه، فتضيع السنن، وتذهب الفرائض، وترفع الأحكام.

فإن كان ذلك صحيحاً فكيف تركه الجماعة؟ وإن لم يصح ذلك عندهم لم يؤمن أن يُدخِلَ لوقا في الإنجيل أشياء أُخَر أفظع من هذا.

ولعل لوقا قد صدق في نقله، فإن ظهور الملك علامة دالة وأمارة واضحة على رفع المسيح إلى السماء، وصونه عن كيد الأعداء.

ويذهب الإمام القاضي: صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي المتوفى ٦٦٨هـ إلى مناقشة هذا التباين في كتابه «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» وإلى طرح إشكالية عقدية على أمل أن يجيب عنها الفكر الديني المسيحي حول المعتقد الذي يقول: إن المسيح عند النصارى على ضوء ما تقول الأناجيل يمثل معتقداً، يقول: إن المسيح عند النصارى عبارة عن لاهوت اتحد بناسوت، فصارا بالاتحاد شيئاً واحداً، وإذا كان ذلك كذلك فظهور الملك ليقوّي من منهما؟

فإن قالوا ليقوي اللاهوت، كان ذلك باطلاً، إذ لا حاجة بالإله إلى مساعدة عبده وتقويته. وإن قالوا: ليقوي الناسوت، أبطلوا الاتحاد إذ لم يبق ناسوت متميز عن لاهوت حتى يفتقر إلى التقوية والنصرة، ثم ذلك يشعر بضعف اللاهوت عن تقوية الناسوت المتحد به حتى احتاج إلى التقوية،وكيف يحتاج الإله إلى عبد من عبيده ليقويه وكل عباد الله إنما قوتهم بالله عز وجل؟!

هذا وقد ذكر يوحنا ـ الذي هو أصغر الأربعة سناً ـ (أن أول آية

---

(١) لوقا ٢٢/ ٤٣، ٤٤.

أظهرها المسيح تحويل الماء خمراً) ولم يذكر أصحابه الثلاثة ذلك، وإذا أغفلوا مثل هذه الآية مع شهرتها دل ذلك على غفلة عظيمة، وقلة اعتناء بأمر الدين، وإذا كانت لم تصح عندهم فتحرّجوا من تسطيرها، فكيف ثبتت من الإنجيل بقول واحد وشرط ثبوت كلام الله التواتر ـ وهو النقل من قوم لا تجمعهم رابطة التواطؤ على الكذب. كذلك يطالع الباحث من المفارقات ما يحار معه إذ لا يدري يكذب مَن ويصدق مَن؟. فمثلاً:

ذكر يوحنا هذا (أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان في وسطه وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع وترك التكبر)[١] ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، فإن لم تصح عندهم فهو طعن على يوحنا، وإن كان ذلك صحيحاً فهو طعن عليهم.

إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة ولكن غيري يشهد لي فأنا أشهد

وكيف يعد ذلك من الإنجيل والأكابر من التلاميذ لم يعرفوه، ولم يدونوه في أناجيلهم؟

هذا وقد حكوا أن يوحنا هذا قال في الفصل الخامس من إنجيله (إن يسوع قال:

(إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة ولكن غيري يشهد لي[٢] فأنا أشهد لنفسي وأبي أيضاً يشهد لي أنه أرسلني، وقد قالت توراتهم: إن شهادة رجلين صحيحة)[٣]

---

(١) يوحنا ١٣/ ٤ـ ٨ في سياق طويل وهذه الحادثة أيضاً من الأمور التي تتوافر الدواعي على نقلها بمحضر الجمع العظيم، ثم لا يرويها إلا واحد.

(٢) يوحنا ٥/ ٣١، ٣٢ ثم نقض قوله في الإنجيل نفسه / ١٤ فقال: (أجاب يسوع وقال لهم: وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق)، قال العلامة ابن حزم: فاعجبوا لهذا الاختلاط (ر: الفصل ٢/ ١٨٠ـ ١٨٩).

(٣) يوحنا ٨/ ١٨، ونص التوراة ورد في سفر التثنية ١٩ / ١٥.

فانظر ـ رحمك الله ـ ما أفسد هذا الكلام وأبعده عن كلام العقلاء!

وذلك أنهم جعلوا الله رجلاً وجعلوا شهادته لنفسه تقوم مقام شهادة شاهد بعد قوله (لو كنت أنا أشهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة) والتوراة تقول: إن شهادة شاهدين صحيحة، ولم تقل: إن شهادة الإنسان لنفسه صحيحة.

وإذا كان المسيح وتلاميذه منزهين عن هذا الكلام الفاسد فليرم به جانباً، وليعلم أنه ليس من الإنجيل الحق.

وقد نقل يوحنا (أن المسيح مضى إلى المعمداني ليتعمد منه فقال له المعمداني حين رآه:

هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم، وهو الذي قلت لكم إنه يأتي بعدي، وإنه أقوى مني، وإن بيده الرفش ينقى بيدره فيجمع الحنطة إلى أهرائه[١] ويحرق الأتبان[٢] بالنار التي لا تطفئ[٣]).

وخالفه في ذلك متى ولوقا، أما متى فقال: (إن المعمداني حين رأى المسيح قال له: إني لمحتاج أن أنصبغ على يدك، فكيف جئتني تنصبغ على يدي؟)[٤]. (وأنه أرسل بعد ذلك إلى المسيح يقول له: أأنت الآتي أو ننتظر غيرك)[٥]

فأما مرقص: فلم يذكر شيئاً من ذلك البتة[٦]، وهذا تكاذب قبيح

(١) الهري: بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان، وجمعه: أهراء. (ر:القاموس ص١٧٣٤).

(٢) التبان: من يبيع التبن. (م. س ص ١٥٢٧) والمراد بالأتبان الفجار والمشركين. (ر: النصيحة الإيمانية ـ لنصر المتطبب، ص ١٩٠).

(٣) يوحنا ١ / ٢٩، ٣٠ بلفظ مختلف.

(٤) متى ٣ / ١١ ـ ١٣.

(٥) متى ١١ / ٢ ـ ٤.

(٦) أشار مرقص إلى الحادثة ١/ ٩ بقوله: (جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن).

لأن يوحنا جزم أنه هو ولم يحتج إلى سؤاله. ومَتّى: ما علم حتى أرسل يسأل المسيح، والآخر أغفل القصة بالجملة[١] وهذا القدر منفر موجب لسوء الظن.

ويتوسع الإمام الشيخ صالح حسين الجعفري الهاشمي ويورد من الاضطرابات والتجاوزات التي اطلع عليها فيسأل عما ذكره متى من أن (يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن ماتان) [٢]، بينما ذكر لوقا غير ذلك فقال: (أقام يسوع ثلاثين سنة وهو يظن أنه ابن يوسف بن هالي ابن مطب)[٣] وهذا تناقض عجيب[٤]. وفي مسلسل اضطرابه وتناقضه

(١) ذكر الشيخ رحمت الله بن خليل الهندي في إظهار الحق ص ١٢٣ هذا التناقض في حادثة تعميد المسيح بقوله:
١ ـ يعلم من إنجيل متى (الإصحاح الثالث) بأن يوحنا المعمداني (يحيى) كان يعرف المسيح قبل نزول الروح عليه.
٢ ـ ولكن ذكر إنجيل يوحنا (الإصحاح الأول) بأن يوحنا ما عرف المسيح إلا بعد نزول الروح عليه في مثل حمامة. تم ناقض إنجيل متى (الإصحاح الحادي عشر) مع نفسه فذكر بأن يوحنا لم يعرف المسيح بعد نزول الروح أيضاً، وإنما أرسل له يوحنا تلميذين من تلاميذه يسألانه عن حاله. وهذا كله متناقض ظاهر الاختلاف والفساد. أ. هـ. ثم إننا نجد بمقارنة النصوص التي أوردها المؤلف وبين النسخة الحالية للأناجيل ما يأتي:
١ ـ انفرد إنجيل يوحنا عن سائر الأناجيل بذكره عبارة (هوذا حمل الله: الذي يرفع خطيئة العالم)
٢ ـ إن النص الذي نسبه المؤلف إلى إنجيل يوحنا قوله (وأن بيده الرفش ينقي بيدره... الخ) لا نجده في النسخة الحالية لإنجيل يوحنا، وإنما نجده في إنجيلي متى ولوقا..

(٢) متى ١ / ١٥ ونصه (وماتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف).

(٣) لوقا ٣ / ٢٣.

(٤) ثم إن قول لوقا: (إن المسيح كان يظن أنه ابن يوسف) شك منه وقبيح بمثله أن ينسب المسيح إلى ما يظن به الجهال أنه مولود من أب ولا يرفع قدره عن ذلك. (ر: النصيحة الإيمانية ـ لنصر المتطبب ص ١٩٢) وقد سبقت الإشارة إلى التناقضات الظاهرة في سلسلة نسب المسيح الواردة في إنجيلي متى ولوقا.

يطالعنا متى بروايته التي تقول: إن المسيح صلب وصلب معه لصان أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وأنهما جميعاً كانا يهزءان بالمسيح مع اليهود ويعيرانه)[١].

وذكر لوقا خلاف ذلك فذكر (أن أحدهما كان يهزأ بالمسيح والآخر يقول له: أما تتقي الله؟ أما نحن فبعدل جوزينا وأما هذا اللص فلم يعمل قبيحاً، ثم قال للمسيح: يا سيد اذكرني في ملكوتك. فقال: حقاً إنك تكون معي اليوم في الفردوس)[٢]

وهذا تكذيب لقول متى أنهما جميعاً كانا يعيران المسيح ويهزءان به وأغفل هذه القصة مرقص ويوحنا، ومن المحال أن يحدث مثل هذا في ذلك الوقت ولا يكون شائعاً ذائعاً، فإن كان صحيحاً فلم تركاه؟ وإن أهملاه سهواً لم يؤمن أن يهملا شيئاً كثيراً من الإنجيل، ولعلهما لم يصح عندهما، والدليل على عدم صحته تناقض متى ولوقا فيه، فإن اللصين عند متى كافران بالمسيح، وعند لوقا أحدهما كافر، والآخر مؤمن، وذلك قبيح جداً.

وأيضاً من المفارقات التي تطالع القارئ ما جاء عند «متى» من (أن مريم خادمة المسيح جاءت لزيارة قبره عشية السبت، ومعها امرأة أخرى، وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا فليس يسوع هاهنا قد قام من بين الأموات، وهو يسبقكم إلى الجليل، فمضيتا مسرعتين فإذا المسيح قد لقيهما وقال: لا بأس عليكما، قولا لإخوتي ينطلقون إلى الجليل)[٣].

---

(١) متى ٢٧ / ٣٨، ٤٤ في سياق طويل.

(٢) لوقا ٢٣ / ٣٢ ـ ٤ في سياق طويل، وقد ذكر هذا التناقض عبد الله الترجمان في كتابه تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب، ص ٢١٠، وابن حزم في الفصل ٢ / ١٢٥.

(٣) متى ٢٨ / ١ ـ ١١.

وخالفه يوحنا فقال: (جاءت مريم وحدها يوم الأحد بغلس فرأت الصخرة وقد رفعت عن القبر، فأسرعت إلى شمعون الصفا وإلى تلميذ آخر فقالت لهما: إن المسيح قد أخذ من تلك المقبرة ولا أدري أين دفن. فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر فرجعا وجلست مريم تبكي عند القبر فبينما هي كذلك اطلعت في القبر فرأت ملكين جالسين ـ حيث كان يسوع ـ عليهما ثياب بيض فقالا ما يبكيك؟ فقالت: أخذوا سيدي، ولا أدري أين وضعوه. فبينما هي كذلك التفتت فرأت المسيح قائماً، فلم تعرفه وحسبته حارس البستان، قالت له: بالله إن كنت أخذته فقل لي أين وضعته حتى أذهب إليه. فناداها المسيح: فعرفته وقالت بالعبرانية: ربوني تفسيره يا معلم. فقال لها يا مريم لا تدن مني فإني لم أصعد بعد، اذهبي إلى إخوتي فقولي إني منطلق إلى أبي وإلهي وإلهكم. فذهبت وبشرت التلاميذ)[1].

وهذا نقل يكذب بعضه بعضاً، وذلك أن أحدهما يذكر أن الملك هو الذي أرسل مريم إلى التلاميذ، والآخر يذكر أن الذي أرسلها هو المسيح نفسه.

وأحدهما يقول: إن ذلك كان عشية السبت، والآخر يقول: لا بل يوم الأحد بغلس.وأحدهما يحكي عن مريم وحدها، والآخر يحكي عن أخرى معها. ويعلق الإمام صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي فيقول: (والعجب من قبول النصارى قول امرأة واحدة في مثل هذا الأمر العظيم. وقد جاء على هذا الوجه من الاضطراب !! وهذا الفصل حريّ بأن يسطر في حكايات المغفلين، فما سمعنا برب يصفع، ويضرب ويقتل ويصلب ويبكى عليه ويندب، ويتردد بين خلقه في زي إنسان، ويشتبه على من رآه بناطور بستان، فلو أن اليهود نصبوا جماعة من المجّان على السخرية بدين النصارى والغض منه، ما بلغوا منهم ما بلغوا من أنفسهم وذلك من خلال

(١) يوحنا ٢٠ / ١ ـ ١٨.

الروايات المزعومة في الأناجيل والمنسوبة للسيد المسيح.

وفي هذا المقام من الجدير ذكره أن هناك اختلافاً بين ما ترويه الأناجيل عن زيارة النساء للقبر وملابساتها، يتلخص هذا الاختلاف في أمور منها: أن متى يذكر في الإصحاح ٢٨ فقرات ١ ـ ٨ أن الزائرات للقبر كنّ اثنتين من النسوة، بينما يذكر مرقس في الإصحاح ١٦ /١ ـ ٨ أن الزائرات للقبر كنّ ثلاثاً من النسوة، في الوقت الذي يقول لوقا في الإصحاح ٢٧ ومن الفقرات ١ ـ ١٠ أن الزائرات للقبر كن جمعاً من النسوة. أما الدليل الصارخ على الاختلاف والاضطراب بين رواية الأناجيل الأربعة في حادثة واحدة، هي أهم الحوادث في تاريخ الأناجيل الأربعة فهي رواية يوحنّا في الإصحاح العشرين في فقرات ١ ـ ٣ فقد جعل مريم المجدلية الزائرة الوحيدة للقبر، ثم ذهبت فأحضرت معها التلميذين بطرس ويوحنّا.

والاتفاق الوحيد بين الأناجيل في ذلك هو وجود مريم المجدلية في موضع الصدارة بين الزائرات، وقد صارت بذلك المصدر الرئيس لكل ما قيل عن قيامة المسيح من الأموات، ومع ذلك فإن صور الاضطراب في رواية الأناجيل عن قيامة المسيح من الأموات لا تزال تطالعنا فحسب رواية مرقص أن النساء رأين عند القبر شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء بينما هو في متّى (ملاك الرب... وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج) أما ما جاء عند لوقا في هذه الواقعة فهما (رجلان بثياب برّاقة) لكن يوحنّا يقول (ملاكين بثياب بيض جالسين) وحسب رواية مرقص فإن النساء قد حملن رسالة لإبلاغها للتلاميذ، وقد فشلن في توصيلها، لأنهن كنّ خائفات بينما يخبرنا لوقا أنهنّ قدمن تقريراً كاملاً عن ما رأينه، وسمعنه إلى التلاميذ.

وفي مسلسل الاضطراب والتناقض يأتي السؤال الذي لابد منه، من الذي دحرج الحجر عن القبر؟ يقول متّى: بأن الملاك الذي نزل من السماء

هو الذي دحرج الحجر الكبير عن باب القبر وجلس عليه.

أما الباقون من كتّاب الأناجيل مرقص ولوقا ويوحنّا فذكروا بأن الحجر قد دُحرِجَ، ولم يذكروا من الذي دحرجه، وهل كانت هناك ضرورة في ظل هذه المعجزة التي يتحدثون عنها وهي قيامة المسيح من القبر من بين الأموات إلى من يدحرج الحجر؟

وأما ما يتعلق بالجوانب المتممة والمكملة لموضوع الصلب، فهو في ضوء رواية الأناجيل: موضوع صعود المسيح إلى السماء بعد أيام، وعلى الرغم من أهمية هذا الجانب في الاعتقاد المسيحي، فإن متى ويوحنّا أهملاه ولم يذكراه، وهما من الاثني عشر، وقد ذكره لوقا ومرقص، وهما ليسا من الاثني عشر، بل من السبعين، على أنهما قد اختلفا في ذلك فقال مرقص: إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليماً، ثم صعد من يومه، وهذه الرواية التي جاءت عند مرقص في الإصحاح ١٦ فقرات ٩ ـ ١٩ في سياق طويل، بينما جاءت عند لوقا مخالفة لرواية مرقص فقال كما هو في سفر أعمال الرسل إصحاح ١ فقرة ٣: (إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوماً) وهذا اضطراب واضح واختلاف فاحش.

وأيضاً مما يفقد الثقة بنقل كتّاب الأناجيل قول متّى في الإصحاح ٢٨/١٦: (قال يسوع: حقاً أقول لكم إن قوماً من القيّام هاهنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته)

واللافت للنظر أن مسألة وقت صعود المسيح إلى السماء حسب روايات الأناجيل مما وقع الخلاف فيه بين النصارى، ويحدثنا عن ذلك د.أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين في كتابه (تاريخ العقيدة) في صفحات ٢٠١ ـ ٢٠٤ فيقول: (إن الاعتقاد في أن يسوع صعد إلى السماء بعد أربعين يوماً من القيامة قد أخذ يشقّ طريقه تدريجيًّا ضد المعتقدات، القديمة التي كانت تقول بأن القيامة والصعود حدثا في نفس الوقت، وكذلك ضد أفكار أخرى كانت تؤمن بوجود فاصل زمني أكبر بين

الحادثين، على أن بولس لا يعلم شيئاً عن الصعود، كذلك لم يذكره كل من كليمنت، وأجناتيوس، وهيرمس، وبوليكارب، غالباً ما اتحدت صيغة الكلام عن القيامة والجلوس عن يمين الله كما في أفسس ١/ ٢٠ وأعمال الرسل ٢/ ٣٢ وحسبما جاء في إنجيل لوقا ٢٤/ ٥١ ورسالة برنابا ١/ ٩ فإن الصعود إلى السماء قد حدث في نفس يوم القيامة، ومن المحتمل أن يكون ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا٢٠/ ١٧ من القول بأن الصعود حدث بعد أربعين يوماً من القيامة قد ذكر لأول مرة في سفر أعمال الرسل) ثم يقول: (وقد قالت بعض الطوائف والمصادر المسيحية: إن الصعود إلى السماء حدث بعد ثمانية عشر شهراً من القيام، وقالت مصادر أخرى: حدث بعد أحد عشر عاماً).

وهذا مما يدل دلالة قاطعة على حجم الاضطراب والتباين والمفارقات في مصادر تروي واقعةً واحدة.

افتقاد الوحدة العقدية في الأناجيل

توزعت عناصر الموضوع الواحد في الأناجيل ـ على ما قررناه وما دللنا عليه، من التفاوت الزمني في كتابتها، وانعدام السند الذي يمكن أن يتكئ عليه الرواة ـ في نقل الخبر الواحد، والمعتقد الواحد، إلى درجة مذهلة من التناقض والاضطراب، ومن هنا وفي ظل ذلك المنهج العلمي العقدي، الذي لا يختلف ـ حوله من بين أصحاب ـ النهى أحد، فإن من يطالع عقائد أهل الأناجيل يصدمه حجم المفتريات التي توجه، أو تنسب للسيد المسيح، ما يرويه إنجيل متى في الإصحاح ٤ ومن الفقرات ١ ـ ٩ من أن إبليس احتمل المسيح، ورفعه على جبل عالٍ وأراه الدنيا بأسرها وقال: هذا كله لي وأنا أعطيك، إن خررت لي ساجداً، وهذا الزعم ينقض قولهم في أكثر من موضع: إن المسيح رب إبليس ورب كل شيء، وإذا كان إبليس عبداً للمسيح، فكيف يسوم السجود له؟! كذلك يطالع الباحث رواية النصارى، التي لا تستقيم لا في عقل ولا في قلب، والتي يرويها لوقا مما جاء عنده في إنجيله من الإصحاح ١/ ٣٠ ـ ٣٣: من أن جبريل قال لمريم: إنك ستلدين ولداً تسميه يسوع المسيح، يكون عظيماً، يجلسه الرب على كرسي أبيه داود ويُمَلَّك على بيت يعقوب، ولم يتحقق للمسيح شيء من هذا الزعم، كما رووا ذلك وتوسعوا فيه، كذلك لا يستقيم في العقل الاعتقاد بأن الله الخالق عبارة عن ثلاثة وهي قديمة أزلية من بينهم رجل من بني آدم وهي العقيدة التي عبروا عنها بالآب والابن والروح القدس، وعيسى بن مريم على ما تشهد به صلواتهم الثمانية هو من بين الثلاثة، وذلك

الاعتقاد يعتبر خروجاً على عقيدة الإله الواحد الذي ورد في سياق كثير من نصوص العهد القديم والجديد، وكل ذلك مما يدل على انعدام الوحدة العقدية في رواية الأناجيل، كذلك مما يجب أن يوضع أمامه علامات استفهام عديدة تطالع كل من يتأمل نصوص العهد القديم: الزعم بأن المسيح خلق آدم وذريته وسائر الخلق أجمعين. فإذا قيل لعلماء اللاهوت فمن خلق مريم؟ باعتبارها الإنساني امرأة عذراء حبلت بأمر الله وولدت؟ فإن قالوا: ليست من خلقه نقضوا مقالهم، وإن زعموا أنه خلقها فيقال لهم: كيف تلد المسيح وهو خالقها؟!! أم كيف ترضعه وهو رازقها؟! ولم يقل أحد من العقلاء أن هناك امرأة ولدت خالقها وأرضعت ثديها رازقها! فإذا ما أضيف إلى مثل هذه الأخبار الغريبة المبثوثة في ثنايا العهد القديم، زعم النصارى أن ربهم وإلههم أكل، وشرب، ومشى، وركب، وهُزِم، وغُلِب، وصُفِع، وصُلِب، فإن المرء تملؤه الحيرة عندما يطالع رواية أخرى عن معتقد آخر يجيء في الإنجيل يقول: (إن الله لا يأكل، ولا يشرب ولا يراه أحد، ولا رآه أحد قط، إلا مات).

كذلك يعتقد أصحاب الأناجيل اعتقادا يقول: إن معبودهم «المسيح» حين ولدته أمه في السفر لفته في الخرق، وتركته في مِزْوَد من مَزاود البقر، إذ لم تجد موضعاً تجعله فيه، في ضوء ما يزعمه لوقا في إنجيلَه الإصحاح ٧/٢. واللافت للنظر هنا أنه قد غابت الفطرة السوية عن كتاب الأناجيل، التي تقول أن الله تعالى، رب الأرباب، لا تحويه معالف الدواب، بل لا تحويه الأقطار، ولا يحده المقدار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأراضون ولا السموات. كذلك يطالع المرء إذا ماتصفح في التراث اللاهوتي الذي تمتلئ به كتب العهد القديم أدبا أو معتقداً، ممالا يمكن تَقَبُّلُه بالفطرة السوية أو تَعقُّله بالمعارف الإنسانية، وهو أنهم إذا كانوا في صلواتهم في الكنيس الذي خصصوه لعبادتهم وصلواتهم حين ينتهون من الصلوات يقومون بالأكل والشرب، وإذا أكلوا

الخبز، وشربوا الخمر قالوا: قد أكلنا جسد الرب وشربنا دمه، وقد رووا عن المسيح في ذلك روايات لأنهم نسبوا إليه ـ حاشاه ـ أنه أعطاهم خبزاً وقال: هذا دمي فاشربوه. والسؤال هنا أي عقيدة تلك التي تفوقت عدواناً على عقيدة اليهود التي يقولون فيها بصلب المسيح وقتله، حتى يجيء النصارى هنا، ويدعون على المسيح أنه أذن لهم بتمزيق لحمه وشرب دمه، في شكل كسرة خبز وكأس خمر؟ وهذا لم يسمع به إلا بين أرباب الضغائن والأحقاد، وقد استدل النصارى على ذلك بما ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح «٦»، وفي رسالة بولس الأولى إلى كورنثوث ١١/٢٣ ـ ٣٠ كذلك استدل النصارى بمثل هذه الكلمات على آداء ما يسمى بـ (سر الشكر أو الأفخار ستيا) وهو أحد الأسرار السبعة المختصة بالكنيسة ولا يجوز أداؤها إلا في الكنيسة وهي (١ ـ سر المعمودية، ٢ ـ سر الميرون، ٣ ـ سر الشكر، ٤ ـ سر التوبة، ٥ ـ سر مسحة المرضى، ٦ ـ سر الزواج، ٧ ـ سر الكهنوت).

وتعريف سر الشكر عندهم: أنه سر مقدس يأكل به المؤمن (النصراني) دون غيره من البشر جسد المسيح الأقدس، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر.

وله عدة أسماء منها: العشاء الرباني، القربان المقدس، العشاء السري، المائدة المقدسة أو السرية، خبز الرب، الخبز السماوي وغير ذلك.

وصفة إيمان الكنيسة الأرثوذكسية بهذا السر كالآتي: إننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر، واستدعاء حلول الروح القدس على القرابين، يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين، حتى إن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزا وخمرا بسيطين، بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت شكلي الخبز والخمر، ونؤمن أن ربنا

يسوع المسيح حاضر في هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الإشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز، ولا بأنه مستتر في الخبز بل هو حاضر حضوراً فعليا، وهذا الإيمان هو إيمان الكنيسة شرقها وغربها منذ ابتدائها واليوم.

ولا يختلف اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية عن ذلك إلا أنها تجيز أداء هذا السر بالفطير بدلاً عن الخبز الخمير الذي توجب الكنيسة الأرثوذكسية أداء السر به. أ.هـ.

ويزعمون أن من يتناول هذا السر فإنه يستحق أثماراً خلاصية من أهمها: ١ ـ الثبات والاتحاد مع المسيح. ٢ ـ النمو في النعمة والكمال الروحي والحياة في الرب يسوع ٣ ـ ينال عربون الحياة والقيامة المجيدة.

ومع أهمية هذا السر عندهم، فإنه ليس بمجمع عليه من النصارى جميعا، فقد أنكره الكثيرون منهم، ولم يعتبروا الخبز والخمر رمزاً لجسد المسيح ودمه، ومن أبرز هؤلاء المنكرين يوحنا أريجانا الايرلندي في القرن التاسع الميلادي، وبرنغاريوس رئيس مدرسة تورس بفرنسا في القرن الحادي عشر وطائفة البطروبروسيون «تلاميذ بطرس ديبريز بفرنسا» في القرن الثاني عشر وطائفة البيجنسيين في القرن الثالث عشر، ثم يوحنا ويكِلف الإنجليزي، وزوينكل وكلفن ولوثر في العصر الحديث من زعماء طائفة البروتستانت.

وكان إنكار هذا السر قديماً أيضاً في زمن أغناطيوس وإيريناوس وكيرلس الأورشليمي ويوحنا ذهبي الفم ـ آباء الكنيسة القدماء ـ الذين أنكروا على من أسموهم بالهراطقة الذين لا يؤمنون بهذا السر، وفي ضوء ما أوردناه عن عقائد الإنجيليين هو مما جاء عند حبيب جرجس في كتابه: أسرار الكنيسة السبعة ص٦٢ ـ ١٠٢ وإيزيس حبيب في كتابه قصة الكنيسة القبطية ص٥٠٢ فإن هذه العقائد التعبدية التي ذكرنا بعضها هي السر الذي يؤمن به النصارى تعبيراً عن عقيدة التثليث، مستحيلة عقلاً وشرعاً، فالعقل

السليم يرفض الإيمان بأن الخبز والخمر يتحولان حقيقة ـ بعد تقديسهما ـ إلى جسد المسيح ودمه...والاعتراضات العقلية والنقلية التي يمكن أن يوردها الدارسون والباحثون كثيرة جداً في إبطال هذه العقيدة المستحيلة المنافية للفطرة، فضلاً عن مجافاتها لقدسية المسيح «الإله الذي يقولون به»[١].

(١) لمن أراد التوسع فليراجع: متى ٢٦/٢٦ ـ ٢٨، لوقا ٢٢/١٩ ـ ٢٠، كذلك انظر رحمت الله بن خليل الهندي في كتابه إظهار الحق ص٣٢٦ ـ ٣٢٨

قدسية الأناجيل الأربعة

في سياق ما أورده الدكتور موريس بوكاي في كتابه «التوراة والأناجيل والقرآن» يطالعنا عبر المنهج التوثيقي التحليلي جازماً بأنه لم يأت ذِكْر للأناجيل Gosples في الكتابات والنصوص التي تنحدر إلينا من المراحل الأولى للمسيحية، حتى مرَّ وقت طويل على النصوص التي كان قد كتبها بولس Pual ولقد بدأ ظهور مجموعات من الكتابات الإنجيلية Evangelic Writings في منتصف القرن الثاني الميلادي وبالتحديد عام ١٤٠م. وبالرغم من ذلك نجد أنه «اعتباراً من بداية القرن الثاني الميلادي يصرون بوضوح على أنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس» إن مثل هذه الملاحظات شائعة الوجود، وتعرضها لنا بوضوح «مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد Ecumenical Translation of the Bible, New Testament التي صدرت في عام ١٩٧٢م. إن هذا الاعتبار جدير بالذكر هاهنا، ومن الجدير بالذكر أيضاً أن نشير إلى أن هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد هي نتيجة عمل جماعي تضافرت عليه جهود أكثر من مائة متخصص من علماء اللاهوت الكاثوليك والبروتستانت. والأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد تعترف بها الكنيسة ولا تعترف بما سواها لم تُعْرَف إلا في عصر متأخر على الرغم من أنها كتبت في بداية القرن الثاني الميلادي. ووفقاً لما أوردته مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل فقد بدأ ذكر الروايات المتعلقة بهذه الأناجيل في منتصف القرن الثاني. ولكننا نطالع في مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل أنه «يكاد يكون عسيراً التأكد مما إذا كانت نصوص هذه الأناجيل The texts قد تقررت بناء على نصوص مكتوبة

Writ-ten texts مأثورة عن أصحاب ومؤلفي هذه الأناجيل المنسوب إلى كل منهم تأليفها، أم أنها تعتمد على تراث شفهي اعتماداً على الذاكرة والروايات الشفهية المتداولة».

ويستطرد د. بوكاي ويقول: إننا نقرأ أيضاً في مقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل: «قبل عام ١٤٠ بعد الميلاد أنه لم يكن هنالك بأي حال ما يدل على وجود كتابات للأناجيل تحريرية»[1] وهذه الإفادة الموجودة بمقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل تتناقض تماماً مع ما يقرره أ.تريكو A.Tricot عندما كتب في مقدمة ترجمته للعهد الجديد ما نصه كما يلي: «ومنذ وقت مبكر من القرن الثاني الميلادي أصبح من المعتاد أن تقال كلمة «الإنجيل» Gospel «للإشارة إلى الكتب التي كان يسميها القديس جوستين «مذكرات الرسل» في عام ١٥٠م». ومما يؤسف له أن مثل الزعم الذي يزعمه «أ.تريكو» يتكرر كثيراً، وتتم إشاعته بين جمهور المسيحيين، بحيث يصبح عامة الجمهور لا يعرفون إلا المعلومات الخاطئة عن تاريخ كتابة الأناجيل. وهذا التناقض واضح غاية الوضوح. يزعمون أن الأناجيل قد تم تحريرها بدقة تامة. وعندما يواجهون بالأخطاء والتناقضات الصارخة يقولون: وماذا نفعل؟ لم تكن الكتابة معروفة على نطاق واسع بين الناس في عصر المسيح. ولم تكن علامات الترقيم معروفة، ولم يكن الصفر الحسابي موجوداً. وكان الاعتماد على التواتر الشفهي، لماذا يزعمون الدقة إذن؟!

ثم يستأنف د. بوكاي في بحثه الذي انتهى إليه ويقرر تلك النتيجة التي انتهى إليها وهي: أن حقيقة الأمر عنده هي أن الأناجيل لم تتشكل بصورتها ونصوصها الراهنة في زمن مبكر بدرجة كافية «very early on» إنها لم تكتمل إلا بعد أكثر من قرن من تاريخ انتهاء شأن المسيح مع قومه:

(١) انظر: Saint Mark Penguin Books, England, 1963 P. 11.

The Gospels did not fom a complete whole «very early on», it did not happen until more than a century after the end of Jesus's mission.

إن مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد تحدد تاريخ ظهور الأناجيل الأربعة واكتسابها مكانتها باعتبارها أناجيل معتمدة بتاريخ محدد هو العام ١٧٠ بعد الميلاد.

ودعوى القديس جوستين بأن مؤلفي الأناجيل إنما هم «رُسُلٌ Apostles» يستحيل القبول بها أيضاً كما سيتضح فيما بعد خلال دراستنا هذه.

وفيما يتعلق بشأن تحرير كل إنجيل على حدة نجد أن «أ.تريكو» يعطينا تحديدات غير دقيقة بالمرة. إنه يؤكد دون دليل على أن أناجيل مَتَّى ومرقص ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠م. وليس محررو الأناجيل هم رسل Apostles أو رفاق للمسيح، وهو لهذا السبب يتهافت على أن يقدم تاريخ تحرير الأناجيل ليجعلها تقترب من الفترة التي كان يعيش فيها المسيح. أما فيما يتعلق بشأن يوحنا John فهو يحاول أن يجعله يعيش حتى عام ١٠٠م. لقد اعتاد المسيحيون بالفعل على تصوره بصورة شديدة القرب والملاصقة للمسيح، ولكن من العسير حقاً التأكد من أنه هو كاتب الإنجيل الذي يحمل اسمه. وبالرغم من ذلك يعتبره «أ.تريكو» شاهداً كفأً معترفاً به وبصحة كل الأمور والكتابات المنسوبة إليه وعلى حين لا يتمسك غالبية علماء اللاهوت المسيحي بصحة الرأي القائل بأن يوحنا بن زبدي هو الذي كتب الإنجيل الرابع، يصر «أ.تريكو» على أن يوحنا بن زبدي هو كاتب الإنجيل الرابع الذي ينسبه العامة إليه.

وإذا كان من العسير اعتبار هذه الأناجيل الأربعة كمذكرات لرسل أو رفاق المسيح، فما هو أصلها إذن؟

يقول: «أ.كولمان O.Culmann» في كتابه المعنون بعنوان «العهد الجديد The New Testa-ment» الصادر عن دار نشر Presses Universitaire

de France في باريس عام ١٩٦٧م (إن المبشرين أصحاب الأناجيل لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعات المسيحية الأولى، وصلت إلينا أقوالهم من خلال التراث الشفهي oral tradition ولقد ظل الإنجيل طيلة ثلاث وأربعين سنة في صورته الشفهية فقط على وجه التقريب. ولكن هذا التراث الشفهي قد تضمن في غضونه أيضاً أقوالاً مختلفة، وروايات متعارضة منعزلة. ولقد نسج المبشرون أصحاب الأناجيل ـ كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة ـ الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد. إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات في صياغات غامضة تستخدم عبارات مثل «وبعد هذا...»، «ويُظَنُ...»، «بالاختصار...» ووضعت هذه الروايات في إطار أطلقوا عليه الأناجيل المتوافقة Evangiles Synoptiques ويدل كل شيء في هذه الطريقة على أنها أدبية الطابع وليست تاريخية الطابع).

ويستطرد «أ.كولمان» ليقول: (ومن الضروري أن نلاحظ أن متطلبات التبشير والتعليم والنشاط الديني هي التي دعت الجماعة الأولى من المسيحيين إلى محاولة تثبيت هذا التراث عن المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حقائق المسيح. إن المبشرين أصحاب الأناجيل كانوا يطنبون في شرح حقائق الإيمان الذي يروق لهم ويؤيدون شروحهم بذكر أحداث وأقوال عن المسيح. إن مواعظهم ومعتقداتهم هي التي خلقت هذه الروايات، ولقد اعتمدت الكنيسة بشكل خاص على تلك الأقوال المأثورة عن المسيح، كما تواترت على هذا النحو).

وهذا بالضبط هو الوصف الذي يصف به محررو مقدمة الطبعة المسكونية من الأناجيل حيث يقررون فيها أن «التراث الشفهي قد تشكل بتأثير تبشير تلاميذ المسيح وحوارييه، بالإضافة إلى جهود غيرهم في هذا الصدد. وظلت مادة هذا التبشير متداولة في التراث الشفهي، حتى استقرت في الأناجيل، لتتجسد في شكل مكتوب لبعض عناصر الغيمان ولبعض

أقوال المسيح، ولبعض الحكايات عن آلام المسيح، واستعان أصحاب الأناجيل بهذه المادة المكتوبة كما استعانوا أيضاً بالتراث الشفهي حتى يكتبوا نصوصاً تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتشكل الكتاب المقدس، ليصحح الأخطاء ويرد على حجج الخصوم. وهكذا جمع أصحاب الأناجيل مادة أناجيلهم وكتبوها، كل بحسب وجهة نظره وبحسب ما توافر لكل منهم من الأقوال المأثورة عن المسيح في التراث الشفهي»[(١)].

إن هذا الرأي الذي يحظى بإجماع أكثر من مائة من مفسري العهد الجديد من الكاثوليك والبروتستانت يختلف بشكل واضح عن الرأي الذي اتخذه المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان في دستوره العقائدي عن الكتاب المقدس، وهو الرأي الذي تمت صياغته فيما بين سنة ١٩٦٢م وسنة ١٩٦٥م.

يقول د.موريس بوكاي: (لقد استطاع المجمع الفاتيكاني أن يعلن أن أسفار العهد القديم «تحتوي على شوائب». Contain material which is "imperfect and obsolete» ولكنه فيما يتعلق بشأن أناجيل العهد الجديد لم يتخذ المجمع الفاتيكاني مثل هذا الموقف، ولم يبد مثل هذه الملاحظة، وعلى العكس من ذلك نقرأ في تقرير المجمع الفاتيكاني ما يلي:

«ولا يخفى على أي إنسان حقيقة أنه من بين كل النصوص المقدسة بما في ذلك نصوص العهد الجديد، تحظى الأناجيل الأربعة بمرتبة رفيعة من السمو والتميز، وذلك بفضل أنها تتضمن شهادة حقيقية عن حياة وتعاليم الكلمة التي تجسدت The Incarnate Word مخلصنا. وفي كل زمان، وفي كل مكان حافظت الكنيسة ولا تزال تحافظ على الأصول الرسولية The AP-ostolic origin للأناجيل الأربعة. إن ما بَشَّر به الرسل

(١) موريس بوكاي. «الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» مصدر سابق صفحة ٧٧، ٧٨.

بالفعل بأوامر من المسيح On Christ's or- ders أو ذلك الذي بَشَّر به أتباعهم الآخرون بتوجيه من الوحي الإلهي للروح القدس في الكتابات تعتبر أساس الإيمان، ونعنى بذلك الأناجيل الأربعة وِفْقاً لرواية متى، ووفقا لرواية مرقص، ووفقا لرواية لوقا، ووفقا لرواية يوحنا.

إن كنيستنا، أمُّنا المقدسة قد أعلنت وهي لا تزال تعلن بكل حزم وثبات دائم لا يفتر، أن هذه الأناجيل الأربعة هي الأناجيل التي تأكد صدقها على مدار التاريخ وهي تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لتحقيق خلاصهم الأبدي إلى أن رُفِعَ إلى السماء. إن أصحاب الأناجيل الأربعة القديسين قد ألَّفوا الأناجيل الأربعة بطريقة تسمح دائما أن تعطينا معلومات صادقة وصريحة True and frank عن حياة المسيح»[١].

هذا تأكيد واضح لأمانة نَقْل الأناجيل الأربعة لصورة صحيحة صادقة من أعمال وأقوال المسيح.

ولا يوجد أي اتفاق أو وفاق على الإطلاق بين رأي المجمع الفاتيكاني المشار إليه، وبين آراء كثير من الباحثين الذين سبق لنا أن عرضنا آراءهم في هذا الصدد، ومنها تلك الآراء التي تقول على ضوء ما أورده د. بوكاي:

«إن الأناجيل لا يجب أن نأخذ بحرفية نصوصها»، «إنها كتابات تمت في ظروف خاصة»، «إنها كتابات أفرزتها جماعات دينية متعارضة المعتقدات»، «إن مؤلفي الأناجيل قد كتبوا، كلٌ على طريقته، التراث الشفهي عن المسيح من وجهة نظره»[٢].

تتعارض هذه الآراء كما وردت بالترجمة المسكونية للعهد الجديد مع تقرير المؤتمر الثاني للفاتيكان. يقول د.موريس بوكاي:

---

(١) *F Owen cole, Six Religions in the Twenteith Century, Hulton, 1984

(٢) *A. Deedat Is the Bible Good's word??, Durban, South Africa, 1982

«ومن الواضح جداً أن هذه الآراء مع رأي المؤتمر الثاني للفاتيكان تضعنا وجهاً لوجه أمام دعاوى متعارضة ومتناقضة، لا يمكن أبدا التوفيق بين آراء مؤتمر الفاتيكان الثاني الذي يذهب إلى أنه يوجد بالأناجيل نقل أمين صادق لأفعال وأقوال المسيح، وبين وجود تناقضات فعلية في هذه الأقوال حسب النصوص الموجودة في الأناجيل، مع وجود أمور غير معقولة ولا مقبولة تبلغ حد الاستحالة، ووجود دعاوى وافتراضات متناقضة لحقائق العلم الحديث، فرغ الناس من التحقق من صحة وجهة نظر العلم الحديث بشأنها»(١).

وإذا كان الرأي الذي تضمنه تقرير المؤتمر الثاني للفاتيكان لا اتساق فيه، ولا اتساق له مع حقائق العلم الحديث، نجد أن الآراء المعارضة له تحظى بالاتساق، وهي أولى وأحق بالقبول، وهي الآراء التي تعتبر نصوص الأناجيل مجرد تعبير عن وجهات نظر شخصية كتبها كتابها نقلاً عن التراث الشفهي لدى مختلف الجماعات، ولو نظرنا إليها باعتبار أنها كتابات نتجت تحت ظروف معينة في خصومات عقائدية بين جماعات متخاصمة متعادية، فعندئذٍ لا ينبغي أن يدهش أحد عندما يجد في الأناجيل كل هذه التناقضات والعيوب التي هي علامة واضحة على تدخل الإنسان في صياغة الكلام الموجود في الأناجيل. ربما كان كُتَّاب وجامعو هذه النصوص في أي واحد من الأناجيل مخلصين تماماً، ويسردون أراءً، وأحداثاً، وأقوالاً لا يشكون هم أنفسهم في صحتها، عندما يقدمون لنا وصفاً لهذه الأمور والأحداث، والأقوال، مناقضة لوصف رواة وكتاب أناجيل أخرى، لا يشك أصحابها هم أيضاً في صدقها عن حياة المسيح، وأفعاله، وأقواله.

(١) *R. F. Collins, Introduction to the New Testament, SMC press, London, 1983.

تاريخ النصوص
History of the texts.

يخطئ من يعتقد أن الأناجيل بمجرد تحريرها كانت تُشَكِّل الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية الوليدة، أو أن المسيحيين الأوائل قد اعتمدوا على الأناجيل باعتبارها كتباً مقدسة مثلما كانوا يعتمدون على العهد القديم أو التوراة. وكانت نزعة التجديد في اليهودية تعتمد في ذلك الوقت على نصوص التوراة، بالإضافة إلى التراث الشفهي الذي كان يتضمن أقوال المسيح وتعاليم حوارييه من بعده. وأول من ساهم في هذا الصدد هو كتابات بولس قبل ظهور الأناجيل بحيث أن المرء يتساءل: ألم تكن هنالك أي أناجيل مكتوبة قبل كتابات بولس بعشرات السنين؟

ويعقب الدكتور. بوكاي على هذه المقدمة ويقول: لقد لاحظنا أنه قبل سنة ١٤٠ بعد الميلاد لم يكن هنالك ما يدل على وجود الكتابات الإنجيلية المعروفة على العكس مما يكتبه بعض الباحثين حتى اليوم. لقد كان من الضروري أن ينتظر المسيحيون حتى عام ١٧٠ بعد الميلاد حتى تكتسب الأناجيل صفة النصوص المقدسة المعترف بها لدى الكنائس.

كان هنالك تداول لكثير من الكتابات عن المسيح في العصور الأولى للمسيحية، غير أنه لم يتم الاعتراف الرسمي من جانب الكنيسة بكل تلك الكتابات باعتبارها كتابات صحيحة موثوقاً بصحتها، ولقد أوصت الكنيسة بإخفاء كثير من هذه الكتابات ومن هنا جاءت تسمية الأناجيل المزورة

Apocrypha وإن بقي من هذه الأناجيل التي دمغتها الكنيسة باعتبار أنها أناجيل مزورة.

بعض الأناجيل ظلت متداولة لأنها كانت تتمتع (بالتقدير العام generally valued لدى طوائف شعبية من المسيحيين الأوائل على حد قول الترجمة المسكونية للعهد الجديد، ومن ذلك إنجيل برنابا Barnabas ولكن هنالك أناجيل أخرى تم استبعادها بشكل حاسم وعنيف، ولم يتبق منها إلا شذرات، واجتهدت الكنيسة في ملاحقتها للقضاء عليها لأنها من وجهة نظر الكنيسة كانت تتضمن كثيراً من الأخطاء العامة المؤثرة على الناس. وعلى الرغم من كل جهود الكنيسة في هذا الصدد ظلت أناجيل معينة تحظى بقسط كبير من الانتشار والذيوع بين المسيحيين الأوائل مثل: إنجيل الناصرة، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل المصريين، وهي أناجيل ظلت مشهورة للإشارات المتعددة إليها من جانب آباء الكنيسة، ولوجود أناس كثيرين يعتدّون بها، ويؤمن بمصداقيتها الغالبية العظمى من هذا الشعب أو ذاك، وهو الشأن الذي ينطبق أيضاً على إنجيل توما، وإنجيل برنابا. ونحن هنا نضيف إلى ما ذكره الدكتور موريس بوكاي أن هذه الأناجيل المهملة أو المهدرة، قد قيض الله لها واحداً من علماء المسلمين المبرزين في دراسة اللاهوت والتعليق عليه وهو الدكتور أحمد حجازي السقا الذي قام بإخراج وتحقيق ونشر كثير من هذه الأناجيل، خاصة إنجيل توما وبرنابا، والناصرة، وغيرها، ورأى الباحثون والدارسون من خلال الدراسة المقارنة التي ذكرها واستنتجها الدكتور أحمد حجازي السقا الكثير من أوجه الاضطراب والتناقض والتحريف بين هذه الأناجيل بعضها والبعض الآخر، وبينها وبين الأناجيل المعتبرة، وقد كانت هذه الأناجيل المهدرة أو المستبعدة تنسب ذات يوم قبل استبعادها للكنيسة، وتقرير فسادها والتعبد بها، ولذا نرى دكتور موريس بوكاي يقول معلقاً عليها:

إن بعض هذه الكتابات والنصوص التي اعتبرها آباء الكنيسة نصوصا

مزورة تحتوي بالفعل على تفاصيل خرافية أفرزها الخيال الشعبي، ولذلك نجد أن بعض علماء الكتاب المقدس يعرضون وهم في غاية الاغتباط مقاطع ونماذج عديدة من هذه النصوص التي تدعو تفاصيلها حقاً إلى السخرية.

ومن المدهش أننا نجد فقرات من هذا النوع الخرافي لا تزال موجودة في الأناجيل المعترف بها من جانب الكنيسة. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ذلك الوصف الخرافي للأحداث التي يدعي متى في إنجيله أنها قد حدثت عند موت المسيح، فيما زعم متى وبناءً على ذلك ـ الكلام للدكتور موريس بوكاي ـ فإننا نجد فقرات لا تزال موجودة بالعهد الجديد تفتقر إلى الواقعية، والمعقولية، والجدية في كل كتابات العصر المسيحي الأول، ومن الضروري أن يتحلى علماء الكتاب المقدس بالشجاعة الكافية لكي يحوزوا شرف الاعتراف بهذه الحقيقة.

ولقد أفضت كثرة الروايات المتناقضة عن المسيح إلى أن تستبعد الكنيسة منذ قيام كيانها كثيراً من النصوص المتعلقة بالمسيح. وربما يصل عدد الأناجيل التي تم استبعادها مئة إنجيل! وتم الاعتراف بأربعة أناجيل فقط لتكون ضمن العهد الجديد، وهي التي تشكل ما يسمى بالكتب المعترف بها من جانب الكنيسة Canon.

وفي منتصف القرن الثاني بعد ميلاد المسيح، دفع مارسيونMarcion السلطات الكنسية بحزم وصرامة نحو رفض نصوص التوراة ونحو عدم التقيد بها فيما يتعلق بعقائد الإيمان المسيحي، إذ كان مارسيون خصماً وعدواً لدوداً لليهود، وللممارسات اليهودية التي تهتم بقشور ومظاهر التدين، كما أن مارسيون لم يعترف إلا بإنجيل لوقا لأن لوقا، في رأي مارسيون كان هو المتحدث باسم بولس والأمين على كتابات وتعاليم بولس.

ولم ترض سلطات الكنيسة إبان نشاط مارسيون في ترويج اتجاهه مسلكه هذا. اعترفت سلطات الكنيسة آنذاك بكل كتابات بولس، ولكنها

اعترفت أيضاً بالأناجيل الأخرى، إنجيل متَّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل يوحنا وإنجيل لوقا، كما ألحقت بالعهد الجديد أيضاً بعض الكتابات الأخرى مثل «أعمال الرسل». وكانت القائمة الرسمية للكتابات المعتمدة لدى الكنيسة تتغير، وتتبدل، وتتسع أحياناً، وتضيق في أحيان أخرى في القرون الأولى من العصر المسيحي. وهنالك أناجيل كانت تعتبر ضئيلة القيمة أو مزورة، وكانت تمثل مكاناً مؤقتاً في قائمة الأناجيل المعتمدة، حتى يتم التنبيه في مؤتمر على أنها مزورة، وبعض الأناجيل التي لا تزال موجودة في العهد الجديد كانت مستبعدة في بعض الأوقات ثم أعيدت، يقول الدكتور موريس بوكاي: ولقد استمر هذا التذبذب بين اعتماد بعض الأناجيل أو استبعادها حتى انعقد مجمع هيبون المسكوني في عام ٣٩٣م ثم مجمع قرطاجنة المسكوني في عام ٣٩٧م. وظلت الأناجيل الأربعة المعروفة بالعهد الجديد.

ويعلق الدكتور موريس بوكاي على ذلك فيقول: ولا نملك في الوقت الحالي إزاء الأناجيل التي لم يتم الاعتراف بها إلى ضياع معظمها سوى الأسف مع الأب بومار. كانت أناجيل كثيرة وكانت لها قيمتها التاريخية، ولقد أعطاها الأب بومار مكاناً لائقاً من الدراسة في كتابه عن «الأناجيل الأربعة». ويلاحظ أن هذه الأناجيل كانت موجودة بمكتبات بعض الكنائس حتى نهاية القرن الرابع الميلادي.

والجدير ذكره أن هذا القرن الرابع الميلادي قد شهد شيئاً من التنظيم الجاد فيما يتعلق بنصوص الأناجيل والكتابات التي ينبغي أن يتضمنها العهد الجديد، والأناجيل والكتابات التي ينبغي استبعادها وإخفاؤها والقضاء عليها. وترجع أقدم المخطوطات التي بحوزتنا في هذا الصدد إلى القرن الرابع الميلادي. ومن الوثائق السابقة على هذا القرن برديات يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي، وتوجد بردية يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي ولكنها لا يوجد بها إلا أجزاء غير مكتملة من بعض الأناجيل،

أما أقدم مخطوطتين من الرق «الجلد» فهما مخطوطتان يونانيتان مكتوبتان باللغة اليونانية يرجع تاريخ كل منهما إلى القرن الرابع الميلادي، وهما الوثيقتان المعروفتان باسم «الكودكس فاتيكانوس» Codex Vaticanus والكودكس سينايتيكوس Codex Sinaiticus وأولاهما محفوظة بمكتبة الفاتيكان، ومكان اكتشاف الأولى مجهول، أما الثانية فقد تم اكتشافها في سيناء، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني وتتضمن الوثيقة الثانية نص إنجيلين من الأناجيل غير المعترف بصحتها.

وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد: إنه يوجد مائتان وخمسون مخطوطة أخرى معروفة يرجع آخرها إلى القرن الحادي عشر، وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد بهذا الصدد أيضاً: وكل نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست متطابقة، بل على العكس من ذلك يمكن أن نميز فيها فروقاً تختلف من حيث درجة الأهمية، وعددها على أي حال كبير. وبعض هذه الاختلافات تتعلق بالنحو، والصرف، وتقديم أو تأخير الكلمات والعبارات في الجمل والتراكيب اللغوية، وفي بعضها الآخر اختلافات وتناقضات هامة تختلف في المعنى في فقرات بأكملها)[١] وإذا أردنا أن ندرك هذه الاختلافات فيكفي الرجوع إلى العهد الجديد اليوناني Novum Testamentum Graece الذي أشرف على تحريره نستله وآلاند Nesle - Aland.

وقامت بطبعه ونشره جمعية الكتاب المقدس في لندن عام ١٩٧١م وهو كتاب يحتوي على نص يوناني يقال إنه «متوسط» وتشتمل هوامشه وحواشيه على كثير من أوْجه الخلاف بين مختلف النصوص المتعلقة بالأناجيل.

إن مصداقية نص من النصوص بالغاً ما بلغ احترام الناس لهذا النص قابلة دائما للنقاش للتأكد من مدى تحقيق المصداقية في النص. ومن هنا

---

(١) المصدر السابق.

يجوز لنا مناقشة مدى مصداقية الوثيقة المعروفة كودكس فاتيكانوس كمجرد مثال. إن صيغتها عند إعادة الفاتيكان لطباعتها عام ١٩٦٥م يتصدرها تحذير للقارئ يفيد أنه «بعد مرور قرون عدة مضت من تحرير النسخة الأصلية يُعْتَقد أنها ترجع إلى القرن الحادي عشر قام أحد النساخ بكتابة محتوى الوثيقة بالحبر فيما عدا حروف الكلمات التالفة أو الكلمات والعبارات التي رأى أنها خاطئة». وبفحص الوثيقة بدقة أكبر نلاحظ أن بعض الألفاظ والعبارات في النص الأصلي التي تم تغييرها أو حذفها عند تحرير النسخة الجديدة لا يزال موجوداً وحروفه بُنِّيَّة اللون، ويمكن رؤيتها بشكل واضح في إصرار على البقاء مع مناقضتها لمجمل النص الذي أُعيدت كتابته بالحبر البُنّي الغامق، ومن ذلك يتضح أنه لا شيء يبث في النفس الثقة بأن ترميم النص قد تم إجراؤه بأمانة.

وبالرغم من ذلك نجد أن كل المراجع الدينية المسيحية تقدم للناس هذه النسخة، وتوهمهم أنها مخطوطة من القرن الرابع، ولا بد من الذهاب إلى مصادر الفاتيكان حتى ندرك أن بعض الأشخاص قد حرفوا في هذا النص بعد ذلك بقرون كثيرة .

وربما يحاول بعض الناس تدارك هذا القصور عندما يزعم بعض الناس أنه توجد «نصوص أخرى» تفيد وتحسم المقارنة عند الارتياب في صحة ومصداقية نص من النصوص. ولكن هذا التبرير إنما هو جزء من صميم المشكلة إذ كيف يمكن للمرء أن يختار بين نصوص مختلفة متضاربة المعنى لتدارك التحريف الموجود في أحد النصوص عندما تكون هذه «النصوص الأخرى» ذاتها متضاربة متناقضة.

ونستطيع أن نتأمل في هذا الصدد ما كتبه «أ. كولمان» في كتابه المعنون بعنوان «العهد الجديد» إذ يقول:

(ربما تحدث أخطاء غير متعمدة في حالات كثيرة كما هو الحال عندما يسقط الناسخ كلمة أو عندما يكرر الناسخ كلمة فيكتبها مرتين

متتاليتين، أو عندما يسقط الناسخ سهواً عبارة أو جزءً من الجملة التي يحررها....)[١].

إن القائمين بنسخ النصوص المقدسة قد سمحوا لأنفسهم بحرية واسعة النطاق عند قيامهم بنسخ وتحرير النصوص المقدسة وهذا هو ما فعله واحد من أشهر النساخ لأشهر النصوص بالعهد الجديد وأكثرها أهمية وإجلالاً. والنص المشار إليه هنا هو النص المعروف باعتبار أنه كودكس بيزاي كانتابريجيانسيس Codex Bezae Cantabrigiensis الذي يرجع إلى القرن السادس الميلادي.

لقد لاحظ الشخص الذي قام بكتابة هذا النص دون ريب الفرق الكبير بين سلسلة نسب المسيح في إنجيل لوقا وإنجيل متى، ولما كانت سلسلة نسب المسيح في إنجيل متى تحتوي عدداً أقل من الأسماء في سلسلة نسب المسيح فلقد قام الناسخ بتضخيمها في إنجيل متى بإضافة بعض الأسماء إليها دون أن يهتم بأي تناقضات تنشأ عن الإضافة التي أضافها.

ويوجد سؤال مهم: هل الترجمات اللاتينية مثل ترجمة الفولجاتا Volgate التي قام بها القديس إيرنيموس Jerome's التي ترجع إلى القرن السادس الميلادي وكذا الترجمة الإيطالية القديمة Vetus Itala وكذا الترجمات إلى اللغة السريانية، وإلى اللغة القبطية أكثر دقة من الأصول اليونانية؟ ربما كانت هذه الترجمات قد كتبت بالاعتماد على مخطوطات أكثر قدماً مما نعرف وهي غير موجودة لدينا في عصرنا هذا. ولا أحد يعرف الحقيقة في هذا الصدد.

لقد نجح علماء الكتاب المقدس في عمل تصنيفات لمجموع هذه النصوص، وكل مجموعة ذات تصنيف معين تمتاز ببعض الصفات

(١) صفحة ١٧٣ من الترجمة العربية

المشتركة، ومن هذا القبيل التصنيف الذي وضعه «أ. كولمان»، وهو كما يلي:

- نص أسماه النص السوري Syrian text كان من الممكن أن يفضي إلى أقدم المخطوطات اليونانية. ولقد انتشر هذا النص السوري انتشاراً واسع النطاق في أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي بفضل ظهور واستخدام آلات الطباعة، وهو أسوأ النصوص في رأي المتخصصين.
- نص أسماه النص الغربي Western text باللغة اللاتينية القديمة يطلق عليه Codex Bezae Cantabrigiensis وهو مكتوب باللغة اليونانية القديمة وأيضاً باللغة اللاتينية القديمة. وتصف الترجمة المسكونية هذا النص بأنه يستطرد كثيراً في محاولات التعليل والتوفيق مع عدم الالتزام بتوخي الدقة مع كثير من الاستطراد.
- نص أسماه النص المحايد Neutral text كما يتمثل في الكوديكس فاتيكانوس وأيضاً الكودكس سينايتيكوس ويعتبر أكثر نقاء، وهو النص الذي تعتمد عليه اليوم طبعات العهد الجديد على الرغم من أنه هو أيضاً تشوبه بعض العيوب (من وجهة نظر الترجمة المسكونية للعهد الجديد).

إن كل ما تستطيع أبحاث نقد النصوص أن تقدمه لنا هو محاولة إعادة بناء نصوص العهد الجديد للوصول إلى نص يتمتع بأكبر الفرص الممكنة للاقتراب من النص الأصلي. «وعلى كل حال فلا مجال مطلقاً للأمل في الوصول إلى النص الأصلي نفسه !» على حد تعبير الترجمة المسكونية للعهد الجديد. انتهى.

الفصل الثاني

- نسب المسيح عند متى ولوقا
- نماذج من التحريف والتبديل
- تناقض المنهج العقدي في الأناجيل

نسب المسيح عند متى ولوقا

يبرز الاضطراب والتناقض عند كل من متى ولوقا في نسب السيد المسيح بدرجة عالية لا يمكن تبريرها، وبشكل يؤكد عدم مرجعية واحد لكل منهما، ومما يؤكد عدم صلتهما بالوحي الإلهي، حيث يتحدث إنجيل متى عن نسب المسيح فيقول:

(كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم، إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذات ولد فارص وزارح من ثامار. وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد أرام، وأرام ولد عمينا داب، وعمينا داب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بو عز من راحاب، وبو عز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسي، ويسي ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا، وسليمان ولد رحبعام ولد أبيا، وأبيا ولد آسا، وآسا ولد يهوشا فاط، ويهوشا فاط ولد يورام، ويورام ولد عزيا، وعزيا ولد يوثام، ويوثام ولد أحاز، وأحاز ولد حزقيا، وحزقيا ولد منسي، ومنسي ولد آمون، وآمون ولد يوشيا، ويوشيا ولد يكنيا واخوته عند سبي بابل، وبعد سبي بابل يكنيا ولد شالتئيل، وشالتئيل ولد زربابل، وزربابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد الباقيم ولد عازور، وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أخيم، وأخيم ولد اليود، واليود ولد أليعازر، وأليعازر ولد متان، ومتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي

بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً)[١].

أما لوقا فيتحدث عن نسب المسيح بخلاف ظاهر فيقول:

(ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف بن متاثيا ابن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن مآث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف ابن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شالتيئيل بن نيري بن ملكي بن أدي ابن قسم بن المودام بن عير بن يسى بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم بن مليا بن مينان ابن متاثا بن ناثان بن داود بن يسي بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا بن داب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج ابن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله)[٢].

ويحاول مفسر إنجيل لوقا جاهداً التعليل لهذا الاختلاف بين الإنجيلين، ومحاولاً كذلك التعليل للغموض الموجود في هذا النص السابق من إنجيل لوقا... كقوله في بداية النص: (على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متثات)، ثم في نهاية النص يذكر أن آدم ابن الله.. ترى ألا يكفي ما ادعوه على عيسى بأنه ابن الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ .

يقول المفسر هنري هنا سلسلة الرب له المجد، ونلاحظ اختلافاً بينها وبين السلسلة الموجودة في مطلع إنجيل متى، وذلك لأن متى كتب عن نسب المسيح من يوسف كابن داود بن إبراهيم كالوارث الحقيقي لعرش

(١) متى: ١/ ١٧.

(٢) إنجيل لوقا إصحاح ٣ فقرة ٢٣ ـ ٣٨.

داود. كما أن متى لكونه يهودياً يكتب لليهود، أما لوقا لكونه أميناً يكتب للبشر جميعاً، فيذكر أن المسيح ابن الله ابن آدم ابن الله، والنسبة هنا «لمريم» التي كانت ابنة «هالي»، وأما معنى قوله (وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي) فهو أن الرب يسوع كان ابن يوسف حسبما كان الناس يظنون لأنه تربى عند يوسف، وهو بالحقيقة ابن هالي الذي هو أبو مريم)[١].

وفي الحقيقة وبالرغم من هذا التعليل، فإن الاختلاف بين الإنجيلين ما زال قائماً، إذ أن الكتابة لليهود أو لغيرهم من الشعوب يجب ألا تغير من الحقيقة شيئاً، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالنسب، ونسب من يعتقدون أنه الإله أو ابن الإله وكذلك فالغموض في النص لا زال موجوداً وذلك لأن النص لم يبين النسب من جهة مريم ـ عليها السلام ـ بل هي لم تذكر في النص البتة، وإنما هو تعليل لافتراض لم يقم الدليل عليه، حيث أن المعروف أن مريم ابنة عمران ـ كما يذكر القرآن الكريم[٢] ـ وليس هناك نص يذكر أنها ابنة هالي، حتى أني قد اطلعت على قاموس الكتاب المقدس فلم يذكر ذلك وإنما قال:

(ما سجله الوحي عنها فإننا نعلم أنها جاءت هي ويوسف من سبط يهوذا من نسل داود)[٣].

ومن مظاهر التحريف والتبديل في هذين النصين ما عجب له الأستاذ المستشار (محمد عزت الطهطاوي) من وجود فارص بن يهوذا بوصفه جداً من جدود المسيح، مع أنه قد ورد عنه في سفر التكوين[٤] من العهد القديم

---

(١) تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم هلال أمين موسى ط عام ١٩٧٠م، ص ٦٢.

(٢) سورة التحريم: الآية ١٢، مع ملاحظة أن عمران هنا شخص آخر غير عمران والد موسى عليه السلام ومريم أخت موسى غير مريم والدة عيسى ـ عليه السلام ـ.

(٣) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين ص٨٥٦ ط٢.

(٤) إصحاح ٣٨ بكامله.

والذي تقدسه النصارى ما وجد أنه توأم لشقيقه زراح وقد ولدتهما أمهما عن طريق الزنا، ثم يرفعونه بعد ذلك إلى مقام الألوهية[١]!!

ويقول الدكتور موريس بوكاي معلقاً على شجرتي نسب المسيح هاتين فيقول:

تطرح الشجرتان اللتان يحتوي عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق باللامعقولية وبالاتفاق مع المعطيات العملية، ومن هنا فهي مشاكل تتعلق بالصحة، وهي مشاكل تحرج المعلقين المسيحيين جداً، فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنساني. ويضيف: ولقد ألهم الخيال الإنساني كتاب سفر التكوين الكهنوتيين، وفي القرن السادس قبل الميلاد في موضوع أنسال البشر، وهو أيضاً الذي ألهم متى ولوقا بالنسبة إلى ما لم يستلهمه هذان الكاتبان من العهد القديم.

وبادئ ذي بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح، ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسباً وهو وحيد مريم (أمه) وليس له أب بيولوجي، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة أمه مريم فقط[٢].

(١) انظر: النصرانية والإسلام، دار الأنصار ص٢٣٢.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٠٥ ط٤.

نماذج من التحريف والتبديل

ومن مظاهر التحريف بالتبديل أيضاً ما هو موجود بين إنجيلي لوقا ويوحنا من اختلاف ظاهر في قصة معجزة صيد السمك، وقد بدل أهم عنصر فيها وهو زمن حدوثها، فلوقا يعتبرها حدثت مبكراً أثناء دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ وتعليمه عند بحيرة «جنيسارت» كما هو وارد في النص، أما يوحنا فيعتبرها حدثت بعد قيامة عيسى من الموت، أي ـ بعد صلبه ودفنه كما يعتقدون ـ هذا مع الاختلاف الواضح في تفاصيل القصة، والذي يظهر جلياً لأول وهلة عند المقارنة في هذين الإنجيلين.

يقول المهندس الدكتور أحمد عبد الوهاب في هذا الصدد:

(وقد ظهر شيء من التآليف بين إنجيلي لوقا ويوحنا مما ساعد على ظهور نظرية تقول بأن يوحنا استخدم إنجيل لوقا كأحد مصادره إلا أن النظرية تجد معارضة بسبب الاختلاف الواضح بين الإنجيلين في المواضع المشتركة بينهما)[1].

ونحن نقول: بأنه يمكن أن يكون يوحنا قد استعان لكتابة إنجيله ببعض ما ورد في إنجيل لوقا من قصص باعتبار إنجيل لوقا قد سبقه في زمن الكتابة ـ كما هو معلوم ـ أما وجود تآلف فهذا ليس بصحيح بدليل وجود المعارضة بسبب الاختلاف الواضح بينهما، إذاً فلا يعتبر رأي من يقول بوجود تآلف (نظرية) لأن النظرية هي الحقيقة التي ثبت صحتها بالفعل

---

(١) المسيح في مصادر العقيدة المسيحية، ص٧٣ ط١.

ـ كما هو معلوم ـ أما عندما ثبت خطؤها ومعارضتها فتعتبر مجرد رأي ليس إلا... وهناك من يرى: أن النتيجة التي لا مفر من التسليم بها هو أن لوقا ويوحنا كانا يعتمدان على مجريين متقاربين من التقاليد المنقولة شفاهاً[١].

وها هي القصة المشار إليها وكما وردت في إنجيل لوقا:

(وإذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله كان واقفاً عند بحيرة جينسارت فرأى سفينتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منهما، وغسلوا الشباك، فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان وسأله أن يبعد قليلاً عن البر، ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة، ولما فرغ من الكلام قال لسمعان: ابعَدِ إلى العمق وألقوا شباككم للصيد، فأجاب سمعان وقال له: يا معلم قد تعبَنا الليل كله، ولم نأخذ شيئاً «أي لم نصد شيئاً من السمك» ولكن على كَلمتك ألقي الشبكة، ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً فصارت شبكتهم تتخرق، فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا، ويساعدوهم، فأتوا وملأووا السفينتين، حتى أخذتا في الغرق فلما رأى سمعان بَطرس ذلك خر عند ركبتي يسوع قائلاً: اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ، إذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي أخذوه وكذلك أيضاً يعقوب ويوحنا ابن زبدي اللذان كانا شريكي سمعَان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف، من الآن تكون نصطار الناس، ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه)[٢].

والقصة كما رواها إنجيل يوحنا كما يلي:

(بعد هذا أظهر يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية، هكذا كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم قال لهم سمعان بطرس: أنا

(١) د. جورج كيرد (تفسير إنجيل لوقا) ص ٢٠ نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب «المسيح في المصادر المسيحية» ص ٧٣ ط ١.

(٢) لوقا، ٥: ١ ـ ١٢.

أذهب لأتصيد، قالوا له: نذهب نحن أيضاً معك، فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت، وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً، ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ، ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع، فقال لهم يسوع: يا غلمان ألعل عندكم أدماً، أجابوا: لا، فقال لهم: ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا، فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك، فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب، فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عرياناً، وألقى نفسه في البحر، وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مئتي ذراع وهم يجرون شبكة السمك فلما خرجوا إلى الأرض نظروا جمراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً، قال لهم يسوع: قدموا من السمك الذي أمسكتم به الآن، فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين، ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة، قال لهم يسوع: هلموا تقووا، ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون أنه الرب، ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك)[١].

* المقارنة بين النصين:

١ - في النص الأول أن القصة حدثت قبل صلبه ودفنه وقيامته - كما يعتقدون - بينما الثاني كانت بعد قيامته من الموت.

٢ - في النص الأول أن يسوع دخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان وطلب منه أن يبعد عن البر، ثم أخذ يعلم الناس من السفينة، ثم أمر سمعان بإلقاء الشبكة ومع أنهم تعبوا طوال الليل ولم يصطادوا شيئاً، إلا أنه لأمر يسوع امتلأت الشبكة فصارت تتخرق من كثرة السمك فيها.

---

(١) يوحنا ٢١: ١ - ١٤.

٣ ـ في نص يوحنا أن يسوع جاءهم في الصبح، فسألهم هل لديهم أدماً، فأجابوا بالنفي، فأمرهم بإلقاء الشبكة في الجانب الأيمن من السفينة فامتلأت ولم يستطيعوا جذبها من كثرة السمك.

٤ ـ في نص لوقا أن يسوع كان بين التلاميذ وهم يعرفونه أما في نص يوحنا فهم لم يعرفوه حتى عرفهم به التلميذ الذي كان يحله يسوع، ولم يذكر النص اسمه!

٥ ـ في نص لوقا أن الشبكة تخرقت، وفي نص يوحنا أنها لم تخترق.

٦ ـ في نص لوقا لم يكن هناك جمراً ولا خبزاً بخلاف نص يوحنا!!

وقد يتبادر إلى الذهن أن هاتين القصتين ليستا مرتبطتين بعضهما ببعض، بمعنى أنهما ليستا مكررتين في هذين الإنجيلين، وإنما كل واحدة حدثت في زمن مغاير لزمن الأخرى، ولكن النصين لم يبينا للأسف تلك المغايرة في الزمن، وبالذات النص اللاحق وهو نص إنجيل يوحنا، لذلك فقد رجعت إلى الشروح والتفاسير للنصين فلم أجد ما يشير إلى ذلك في تفسير إنجيل لوقا للنص المقصود، وإنما كان سرداً وتعليقاً ليس إلا[1]، أما تفسير إنجيل يوحنا فقد أتى أثناء تعليقه على النص بجملة يبدو منها أن تلك القصتين مرتبطتين ببعضهما كقوله: وقبل ظهور الرب نرى بطرس بنشاطه المعهود يقترح أن يذهبوا ليصطادوا ويتبعه ستة من التلاميذ، ولكن النتيجة كانت الفشل كما في لوقا قبل دعوتهم[2].

فقوله: (كما في لوقا) بين أن هناك ارتباط بين النصين وإلا لكان المفروض ذكر الفارق الزمني بينهما.

ثم ذهب المفسر ـ بعد حوالي ثلاث صفحات من التعليق ـ يناقض نفسه بذكر الفرق بين النصين وعند المقارنة يقول:

---

(١) انظر: تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم هلال موسى ص ٨١ ـ ٨٤ ط ٧٠م.

(٢) تفسير إنجيل يوحنا، جمع وتقديم هلال موسى ص ٣٠٣.

(وهناك فرق بين الملك وعهد النعمة الحاضر، هذا الفرق نراه واضحاً عندما نقارن بين ما جاء في لوقا أو متى، وما جاء هنا «أي في نص يوحنا»، إذ هناك الشبكة تتخرق وكاد القارب يغرق، ولا يظهر شيء من ذلك هنا، وفي تخرق الشبكة وكون القارب كاد أن يغرق نرى ظروف الحياة كلها وضعف الإنسان، وهذه كلها تتضاءل أمام قوة الرب الظاهرة في الملك التي تقود كل شيء، كما لا نرى هنا سمكاً رديئاً، كل السمك كبير وجيد)[1].

وفي الحقيقة أني بحثت في متى في مكان إشارة المفسر فلم أجد أثراً لتلك القصة والتي نحن بصدد الحديث عنها، وفي هذه الفقرة كان المفسر يريد التفرقة بما ورد في لوقا، وما ورد في يوحنا، ولكن الغموض يكتنف أقواله ويظهر ذلك في قوله: (وفي تخرق الشبكة وكون القارب كاد أن يغرق «يقصد نص لوقا» ترى ظروف الحياة كلها وضعف الإنسان وهذه كلها تتضاءل أمام قوة الرب الظاهرة)، أتراه نسي أن يسوع كان موجوداً في نص لوقا وكان صيد السمك الكثير حتى تخرقت الشبكة من كثرته بعد فشل دام طوال الليل كان ذلك معجزة ليسوع....أم ماذا؟!

ولكننا نرجح أن النصين مرتبطين بعضهما ببعض بعض الشيء، أما الاختلاف الظاهر فيهما فهو إن دل على شيء، فإنما يدل على وجود التحريف والتبديل بالذات في هذين النصين.

ومن مظاهر التحريف كذلك: الاختلاف والتبديل في قصة المرأة التي غسلت قدمي المسيح بالطيب النادر، والغالي، الثمن ومسحتهما بشعر رأسها:

والنص كما في إنجيل لوقا:

(وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ

---

(١) تفسير إنجيل يوحنا، جمع وتقديم هلال موسى ص ٣٠٦.

وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبل قدميه بالدموع، وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه، وتدهنها بالطيب، فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلاً: لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه، وما هي؟ أنها خاطئة...) إلخ[1].

أما نص إنجيل يوحنا فهو كما يلي:

(ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات، فصنعوا له هناك عشاء، وكانت مرثا تخدم وأماً لعازر فكان أحد المتكئين معه، فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت قدمي يسوع بشعرها، فامتلأ البيت من رائحة الطيب...)[2].

قد تكون هذه القصة مكررة في كلا الإنجيلين المذكورين ـ لوقا ويوحنا ـ كما هو حاصل في كثير من القصص الأخرى، والتي تكرر في أكثر من موضع، وليس هذا هو موضع الاعتراض، وإنما الاختلاف والتبديل الظاهر في النصين هو موضع الاعتراض والذي ـ بلا شك ـ يقدح في قدسية هذه الأناجيل ومن ثم في قدسية الكتاب المقدس ككل ـ وكما ذكرنا فيما سبق ـ أن مدار البحث هو إثبات تحريف الكل عن طريق إثبات تحريف الجزء وما جاز لأحد المثلين جاز للآخر.

أما أوجه الاختلاف بين النصين فهي كما يلي:

١ ـ في نص لوقا يذكر أن المرأة غريبة لا يعرفها المسيح وهي امرأة خاطئة، أما في نص يوحنا فهي امرأة يعرفها يسوع وتدعى مريم.

٢ ـ في نص لوقا ان المرأة تبكي بحرارة وتبلل قدمي المسيح بالدموع،

---

(١) ٧: ٣٦ ـ ٤٠.

(٢) ١٢: ١ ـ ٤.

وتدهنهما بالطيب، أما في نص يوحنا أن المرأة لم تبك وإنما اكتفت بدهن قدميه ومسحهما بشعر رأسها.

٣ ـ في نص لوقا أن يسوع كان مدعواً من قبل أحد الفريسيين، أما في نص يوحنا فكان مدعواً من قبل عائلة «لعازر» الشخص الذي أقامه المسيح من الأموات.

يتبين مما سبق أن التبديل قد حدث في صميم عناصر القصة المقدسة وحتى الشروح والتفاسير للإنجيلين المذكورين لم تشر إلى سبب تلك الاختلافات وإنما الذي حدث أنهما قد تجاهلاها!!

ومن مظاهر التحريف بالتبديل أيضاً: أنه حتى الرسل الاثني عشر لم تسلم أسماؤهم من الاختلاف والتبديل. مثال ذلك: ما حدث من تبديل في اسم أحد الرسل الاثني عشر، فعند سرد أسماء الرسل الاثني عشر نجد لوقا يضع «يهوذا أخا يعقوب» وهذا الاسم لا وجود له في متى ولا في مرقس بين أسماء الرسل الاثني عشر وكان لديهم بدلاً منه «لباوس الملقب تداوس» والله أعلم بالصواب.

وها هي أسماء الرسل الاثني عشر كما في إنجيل متى:

(وأما أسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه، الأول سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه، يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه، فيلبس وبرثولماوس، توما ومتى العشار، يعقوب بن حلفي ولباوس الملقب تداوس، سمعان القانوي، ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه)[١].

ويوافقه في هذه الأسماء مرقس في إنجيله[٢].

أما النص وكما ورد في إنجيل لوقا فهو كما يلي:

(١) ١٠: ٢ ـ ٤.

(٢) ٣: ١٤ ـ ٢٠.

(وفي تلك الأيام خرج إلى الجليل ليصلي «أي المسيح» وقضى الليل كله في الصلاة، ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم الاثنى عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً، سمعان الذي سماه أيضاً بطرس وأندراوس أخاه يعقوب ويوحنا، فيلبس وبرثولماوس، ومتى وتوما، يعقوب بن حلفي وسمعان الذي يدعى الغيور، يهوذا أخا يعقوب، ويهوذا الإسخريوطي الذي صار مسلماً أيضاً)[١].

أما قصة شجرة التين ولعن المسيح لها ـ كما يدعون ـ فيظهر الاختلاف والتبديل واضحاً وجلياً، وفي صميم فقراتها، وذلك في نصين من إنجيلي متى ومرقس.

وها هو النص حسب رواية متى:

(ودخل يسوع إلى هيكل الله، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة، وكراسي باعة الحمام، وقال لهم مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص، وتقدم إليه عُميٌ وعُرجٌ في الهيكل فشفاهم، فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التي صنع، والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون: أوصنا يا ابن داود غضبوا، وقالوا له: أتسمع ما يقول هؤلاء، فقال لهم يسوع:

نعم، أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك.

وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقال لها: لا يمكن منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال، فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين: كيف يبست التينة في الحال؟!)[٢].

---

(١) ٦: ١٢ ـ ١٦.

(٢) متى ٢١: ١٢ ـ ٢٠.

أما النص كما في مرقص فهو كما يلي:

(وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع، فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً، إلا ورقاً، لأنه لم يكن وقت تين، فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد، وكان تلاميذه يسمعون.

وجاءوا إلى أورشليم، ولما دخل يسوع الهيكل، ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة، وكراسي باعة الحمام، ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع، وكان يعلم قائلاً لهم: أليس مكتوباً بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص، وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه، ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة.

وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول، فتذكر بطرس وقال له: يا سيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست).

أوجه الخلاف بين النصين السابقين:

١ ـ دخول يسوع الهيكل وإخراجه الباعة وقلبه موائد الصيارفة، كان ذلك قبل مروره بشجرة التين كما في متى، بعكس ما ورد في مرقص.

٢ ـ في رواية متى جاء ذكر العمى والعرج الذين شفاهم المسيح ـ عليه السلام ـ وذكر ما حصل للباعة والصيارفة وقصة التينة، وكذلك ذكر الأولاد الذين كانوا يصرخون في الهيكل وطلبهم الوصية منه، وهذا كله لم يرد في نص مرقص المذكور.

٣ ـ في نص متى نجد التينة يبست في حال دعوته عليها، بخلاف النص في مرقص، وهو أنهم عند مرورهم بها في الصباح وجدوها قد يبست.

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن هذه القصة مختلقة، وليس لها أساس من الصحة، إذ كيف يصدر من نبي كريم أن يلعن شجرة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ـ فهي لم تثمر لأنه لم يكن آنذاك وقت تين وكما ورد في مرقص ـ فهذا سخف لا يليق برجل عادي قد يوصف بالتقى والصلاح، فكيف نجوز ذلك على نبي كريم؟! فالدعاء على تلك الشجرة بأن لا يأكل منها أحد بعد، كان لسبب تافه، وهو الجوع، ومنه الرغبة في الأكل فقط، وهذا بلا شك يتنافى مع كريم خلق الأنبياء وصبرهم على الشدائد.

وكأن المفسرين لهذين النصين فطنوا لما قد يقال عن هذه القصة، والتي لا تليق بمن يعتقدون فيه الألوهية فحاولوا جاهدين التعليل لتلك القصة، فمثلاً: في تفسير إنجيل متى لذلك النص: (أن ما وجده هو صورة خداعة ظاهرياً تبين حقيقة روحية، صورة واقعية لحالة الشعب اليهودي روحياً، فجعل منها نبوة واضحة لحالة ذلك الشعب)[١].

(كانت توجد أوراق كثيرة ـ كلمات وأعمال ربانية، كما لو كان إسرائيل شعب الله حقيقة ناضجاً مثل غيره من الأمم لكنه بلا ثمر)[٢].

وفي تفسير إنجيل مرقص يقول: (ولكننا نعتقد أن يسوع فعل ذلك لسبب أعمق من عدم وجود تين في الشجرة، إنه فعل ذلك كعمل رمزي. مثل عملي كما فعل الأنبياء قديماً إنها دنيوية الجزاء من يعد ولا ينفذ فالشجرة تعد بالثمر ولكنها لم تثمر، وفي هذا تشبه أمة إسرائيل)[٣].

وفي الحقيقة أنه ما دام النصان لم يذكرا هذا التعليل، ولا حتى أحدهما، بل ولم يرمزا إلى ذلك ولا بإشارة خفية، فإن ذلك يعتبر مجرد

(١) لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس ص٢٠١.

(٢) المرجع السابق، الصحيفة نفسها.

(٣) تفسير إنجيل مرقص: د.وليم باركلي، ط دار الجيل، ترجمة القس د.فهيم عزيز، ص٣١٩.

رأي لأولئك المفسرين ليس إلا، حيث أنهم لم يعتمدوا على نصوص أو روايات تؤيد ما يقولون.

ومن مظاهر التحريف بالتبديل أيضاً ما ورد في مرقص ما نصه: (وظهر لهم إيليا مع موسى، وكانا يتكلمان مع يسوع، فجعل بطرس يقول ليسوع: يا سيدي جيد أن تكون هاهنا)[١]. ما نلاحظه في هذا النص أن بطرس عندما أراد مخاطبة يسوع يبدأ خطابه الشفهي له بلفظ يا سيدي،ثم نجد هذا اللفظ (ياسيدي) يبدل في نص آخر.

ففي متى: (وإذا موسى وإيليا قد ظهرا يتكلمان معه، فجعل بطرس يقول ليسوع: يا رب جيد أن تكون هاهنا)[٢].

وقد اطلعت على التفاسير الخاصة بهذين النصين[٣] فلم أجد سبباً للتبديل في هذا اللفظ ـ وإنما كان كل مفسر لهذين النصين يحاول التعليق على النص ليس إلا ـ وبالطبع فإنه لا يخفى أن لفظ الرب إذا لم يُضَفْ فإنه يقصد به الخالق جل وعلا، وإذا أضيف فإنه قد يقصد به معنى صاحب الشيء، أو المالك له، كرب الدار، ورب الدابة.. ومنها قوله تعالى على لسان يوسف ـ عليه السلام ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٤] أي عند سيدك[٥].

وفي هذا النص من متى ورد لفظ الرب مطلقاً فيراد به الخالق، أو

(١) مرقص ٩: ٤ ـ ٥.
(٢) متى: ١٧: ٣ ـ ٤.
(٣) انظر: تفسير العهد الجديد لوليم باركلي (إنجيل مرقص) ترجمة د. فهيم عزيز (ط دار الجيل) ص٢٥٤ ـ ٢٥٦. وكذلك تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس ص١٥٧.
(٤) سورة يوسف، آية: ٤٢.
(٥) أي الحاكم أو الملك، انظر مثلاً: الفخر الرازي، التفسير الكبير ٨/ ١٤٤، ط٢.

الإله، فكانت بدلاً من السيد فتغير المعنى بتغير اللفظ فأصبح هذا مظهراً من مظاهر التحريف بالتبديل ـ والله أعلم ـ.

تحريف على تحريف:

وفي الحقيقة إن التحريف لم يقتصر على ذلك التحريف السابق والذي وقع في عصور الاضطهاد والضياع. فقد حدث تحريف آخر في هذا العصر أيضاً وتنسب البطولة في هذا العمل إلى اليهود، فقد قاموا بتحريف العهد الجديد، ومن بينها الأناجيل الأربعة، وذلك بهدف تبرئة أنفسهم من التهم الموجهة إليهم من قبل المسيحيين ـ وكما سنوضح ـ فكان ذلك رداً مفحماً وواقعياً على من يقول باستحالة تحريف الكتاب المقدس، فقد كان هذا عنوان لكتاب ألَّفه شخص مسيحي يدعى وهيب خليل يقول:

(وكما لا يعقل أن يحرف اليهود العهد الجديد، لأنهم إذا حاولوا ذلك لكان الأجدر بهم أن يحذفوا منه شهادته بأنهم صالبي المسيح، وقد صبت عليهم اللعنات، مثل قول السيد المسيح: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً»[١]، لذلك فالقول بأن اليهود قد حرفوا الكتاب المقدس هو قول غير مقبول لا يرتضيه العقل، وكيف يمكن لليهود أن يحرفوا العهد الجديد وهو موجود بين أيدي المسيحيين الذين يعادونهم)[٢].

ويرد عليه بتنبيهه بأن تحريفاً آخر قد وقع في زماننا هذا، كما وقع ذلك في العهد السابق، فأصبح القول الآن بالتحريف قولاً مقبولاً، ويشهد له الواقع على عكس ما يراه المهندس وهيب خليل، فها هم الآن ـ أي اليهود ـ يحرفون العهد الجديد، ومن بينها الأناجيل الأربعة بالطبع، وينكرون التهمة الموجهة إليهم من قبل المسيحيين بأنهم صالبي المسيح ـ عليه السلام ـ وذلك في الطبعة الإسرائيلية للعهد الجديد والتي ظهرت حديثاً في عام ١٩٧٠م[٣] وقد انعقد

(١) متى ٢٣ ـ ٢٨.

(٢) استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص٣٦، ط٢.

(٣) المهندس أحمد عبد الوهاب (إسرائيل حرفت الأناجيل) ص٣٧، ط١.

المجمع المقدس في روما سنة ١٩٦٥م وتمخض الاجتماع عن مشروع تبرئة اليهود من دم المسيح[١].

فهو بحق تحريف على تحريف وذلك لأنه من عند غير الله، وهذا بخلاف ما عليه القرآن الكريم والذي هو محفوظ بحفظه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[٢].

وبما أننا لا زلنا في حديثنا عن إثبات التحريف اللفظي بالتبديل، فلا بد أن نوضح ما ذكرناه سابقاً من وقوع التحريف للنسخة المعتمدة من العهد الجديد لدى النصارى من ذلك مثلاً ما ذكرته النسخة المعتمدة:

(وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع ليقتلوه)[٣].

أما النسخة المحرفة من قبل اليهود فتقول:

(كان الكهنة والمشرعون والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يدينوه)[٤]، فقد خفف حكم القتل هنا إلى الإدانة، ولا يخفى أن كلمة الإدانة أعم من كلمة القتل، فالإدانة تشمل السجن أو الضرب والنفي والقتل، فكان هذا تحريف ظاهر لما ورد في النسخة المعتمدة لدى النصارى الآن فأصبح هذا تحريفاً على تحريف.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٣، ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) متى ٢٦:٥٩.

(٤) نقلاً عن (إسرائيل حرفت الأناجيل) أحمد عبد الوهاب ص٥١، ط١.

تناقض المنهج العقدي في الأناجيل

من نافلة القول التذكير بأن لكل عقيدة دينية سماتها الخاصة بها والمميزة لها، بحيث يستطيع المتأمل أن يلمح هذه السمات في سياق العقيدة العام. وقد تتعدد الأبعاد وتختلف الصورة، وتتنوع الأحكام، لكن تبقى السمات والخصائص العامة تطالع الباحث في أي دين أو مذهب، لكن الأمر في الأناجيل، وفي معظم المواضيع التي تتناولها يشذ عن هذه القواعد ويختلف فيما بينه في الموضوع الواحد غاية الاختلاف. فمثلاً في منطق علاقة الإنجيلي بغيره تجيء هذه المفارقات العجيبة، التي نراها في رواية لوقا في إنجيله في الإصحاح ٢٢/٣٦ حين ينسب إلى المسيح أنه قال: (من ليس له سيف فليبع ثيابه وليشتر له سيفاً)، وهذا الأمر الحازم بالاستعداد للقتال، والتجهز بالقوة المسلحة يقابله نقيض عقدي نسبه إلى المسيح كل من متى ولوقا ومعهما يوحنا حين قالوا: (قال يسوع: لا تقابلوا الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر، ومن أراد أخذ ثوبك فزده رداءك، ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين)[١] وفي السياق السلمي يروي متى ولوقا ويوحنا إضافة في هذا الاتجاه حين رووا أنه: (لما كان ليلة الفزع جرد شمعون الصفا من أصحابه سيفه فانتهره وقال: اردده إلى غمده)[٢].

فإذا كان أحد النقلين صحيحاً فالآخر كاذباً قطعاً، ولما كان نسخ

---

(١) متى ٥/٣٩ ـ ٤١، لوقا ٦/٢٨ ـ ٣٠.

(٢) متى ٢٦/٥٢،٥١، لوقا ٢٢/٥١،٥٠، يوحنا ١٨/١١،١٠.

الإنجيل بعضه ببعض عندهم لا يجوز. حيث لا يقولون بالنسخ، وفي سياق رفض العنف وعدم الرغبة في استعمال القوة يقول متى:

(لما ذهبوا بيسوع جَرَّد واحد من أصحابه سيفاً وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، فقال له يسوع: اردد سيفك إلى غمده فإن كل من أخذ بالسيف، بالسيف يهلك)[١].

فإن هذا التناقض المنهجي مما يحير الباحث ويزعجه لا يجد له تفسيراً أو تأويلاً، فهذا التهافت والتساقط في الموضوع الواحد، لا يجد له المرء تحليلاً وتفسيراً، فالنصوص التي استوقفتنا نرى فيها: لوقا يقول: إن المسيح يحث على شراء السيوف لهذا المهم قبل أن يسلم، والآخر يقول: بل نهى صاحب السيف وعنّفه، والثالث يقول: بل إنه لصق أذن المضروب وبالسلامة شنَّفه.

وفي السياق نفسه، والتدليل على اضطراب المنهج يطالعنا هذا التناقض:

قول يسوع: (لا تحقروا أحداً من هؤلاء الصغار المؤمنين فإن ملائكتهم في كل حين ينظرون وجه الله الذي في السماوات)[٢]. ثم كذب ذلك فقال: (الله لم يره أحد قط)[٣] وقال أيضاً: (الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد قط إلا مات).

ومن اللافت للنظر ما تفرد به لوقا حين قال: (لما قطعت أذن العبد لمسها يسوع فأبرأها وأنكر على صاحبه فعله)[٤]، ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، ولم يسم صاحب السيف أحدٌ من الجماعة سوى يوحنا فقال: (هو شمعون الصفا)[٥].

---

(١) متى ٢٦/ ٥١، ٥١.

(٢) متى ١٨/ ١٠.

(٣) يوحنا ١/ ١٨.

(٤) لوقا ٢٢/ ٥١، ٥٠.

(٥) يوحنا ١٨/ ١٠.

ومما تفرد به مرقص قوله: (لما أخذوا يسوع وذهبوا به تبعه شاب واحد على عُرْيه إزار فتعلقوا به، فترك إزاره لهم وذهب عرياناً)[١]. ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة.

كذلك مما تفرد به لوقا قوله: (لما رأى مع يسوع ما كان قالوا: يا رب نضرب بالسيف؟)[٢] ولم ينقل هذا الاستئذان سواه، وأغفله الباقون.

كذلك مما انفرد به يوحنا ذكر اسم العبد ملخس، يقول يوحنا: (كان اسم العبد مَلخس)[٣] ولم يذكر ذلك سواه.

كذلك مما يدل على اضطراب المنهج وتهافته في الموضوع الواحد سواء كان عقدياً، أو تاريخياً، مثل قولهم: إن متى سها في قوله: (إن يوسف صار بالمسيح إلى قرية يقال لها الناصرة، ليتم قول النبي القائل إن المسيح يدعى ناصرياً)[٤] وليس لذلك ذكر في النبوات البتة، وفي ذلك يقول قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٧: ويغلب الظن أن هذا اللقب الذي لقب به المسيح في إنجيل متى ٢/ ٢٣يشير إلى النبوة التي يسمى فيها المسيح (قضيب) بالعبري (ينصر) في سفر أشعيا ١١/ ١ ونصه: (ويخرج قضيب من جذع يسي...).

ويرد على هذا بأن هذه محاولة يائسة من مؤلفي قاموس الكتاب

---

(١) مرقص ١٤/ ٥١، ٥٢، ويعلق نينهام على هاتين الفقرتين في كتابه تفسير إنجيل مرقص ص٣٩٦، بقوله: إن هاتين الفقرتين تدعوان للحيرة، فقد وضعا بطريقة مربكة بعد الفقرة (٥٠)، ولهذا فإن بعض النساخ قد نقحوا الأصل الإغريقي لكي ينصقل الترابط مع ما قبلهما، كما أن كلا من متى ولوقا قد حذفهما من إنجيله.أ.هـ، نقلاً من (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) ص١٤٥ لأحمد عبد الوهاب.

(٢) لوقا ٢٢/ ٤٩.

(٣) يوحنا ١٨/ ١٠، ومعنى (ملخس) ملك، وهو خادم رئيس الكهنة. (ر: قاموس ٩١٥).

(٤) متى ٢/ ٢٣.

لإيجاد نبوءة من النبوات المتقدمة لأنبيائهم في إثبات صحة ما ورد في إنجيل متى، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، والصحيح ما ذكره المؤلف بأن كلام متى ليس له ذكر في أقوال الأنبياء المتقدمين وأسفارهم بالعهد القديم، ويؤيد قول المؤلف ما صرح به الأستاذ جون فنتون في كتابه (تفسير إنجيل متى) ص ٥١ إذ يقول معلقاً على نص إنجيل متى السابق: إن مصدر هذه النبوءة غير معلوم.أهـ. إذن فأسفار الأنبياء لم تقل شيئاً مما ادعاه متى في إنجيله. والعلماء متفقون على ذلك، ولا عبرة بمن خالف بظنه في ذلك، فشهادة متى لا يعرف لها أصل. ومن أراد التوسع فليراجع: (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) لأحمد عبد الوهاب ص ١١٨.

ويتجلى ذلك التناقض في صور كثيرة يفتقد فيها المتن ووحدة المنهج واستقامة معطيات النصوص، فيما يرويه متى مثلاً: في الفصل الأول من: (إن يوسف ومريم هربا بالمسيح إلى مصر خوفاً من هيرودس ليتم ما قيل في نبوة النبي القائل من مصر دعوت ابني)(١). قالوا: ليس لهاتين النبوتين صحة، فما هما إلا عنقاء مغرب(٢).

ويزعم قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦١ أ، ما ورد في إنجيل متى ٢/ ١٤ السابق إتمام لنبوءة وردت في سفر هوشع ١١/ ١ ونصها: (لما كان إسرائيل غلاماً أحببته، ومن مصر دعوت ابني) أ.هـ. قلت: للرد على هذه المغالطة أنقل كلام جون فنتون في كتابه السابق ص٤٨ حيث يقول: إن هذه الشهادة التي ساقها متى من سفر هوشع إنما تشير إلى دعوة الرب للشعب الإسرائيلي باعتباره ابنا له للخروج من مصر (على عهد موسى) أ.هـ. ويؤيد ذلك أن إطلاق لفظ (الابن) على إسرائيل وبنيه قد ورد في التوراة

(١) متى ٢/ ١٤، ١٥، ١٧.

(٢) عنقاء مغرب ومغربة: من الأمثال، يقال: حلقت به العنقاء مغرب، يضرب لمن يئس منه، انظر: حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٨٦، ٩٠، والقاموس المحيط ص ١١٧٨.

سفر الخروج ٤/ ٢١ ـ ٢٣ في بدء رسالة موسى عليه السلام وفيه (عندما تذهب لترجع إلى مصر... فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، قلت لك: أطلق ابني يعبدني)، ولهذا فإن ما ورد في سفر هوشع، إنما هو تذكير ببعض نعم الله على بني إسرائيل حينما دعاهم للخروج من مصر، وتخليصهم من ذل فرعون، وليس هناك ما يجعلها نبوءة تشير إلى عودة للصبي يسوع ؛ لأن ما ذكرته أسفار العهد القديم عن دعوة الابن من مصر لا يخرج عن كونه مجرد سرد لحادث مضى في زمن موسى عليه السلام.

كذلك من صور الاضطراب والتناقض في عرض المنهج الإنجيلي، الحكايات والروايات التي لا تتعلق باعتقاد، أو عبادة، أو نسك، بل بأشياء سقيمة مثل حكاية الجحش والأتان وما اشتملت عليه من السخف والهذيان، والزيادة والنقصان، وفي ذلك يقول متى: (لما قرب يسوع من أورشليم أرسل اثنين من تلاميذه وقال: اذهبا إلى القرية التي أمامكما فإنكما تجدان أتانا وجحشا لم يركب، مربوطين فحلاهما، واتياني بهما، فإن قيل لكما شيئاً فقولا: الرب يحتاج إليهما، وهو يرسلهما للوقت. فذهب التلميذان وفعلا ذلك، ووضعا الثياب عليهما، وركب يسوع وفرشت له الثياب في الطريق، وفرش آخرون أغصان الشجر، فلما دخل يسوع أورشليم ارتجت له المدينة فقال الناس: هذا يسوع النبي الذي من الناصرة الجليل)[1].

وقال مرقص: (لما قرب يسوع من أورشليم أرسل من تلاميذه رجلين وقال: امضيا فإنكما تجدان جحشاً مربوطاً)[2]، وكذلك قال لوقا، فأما يوحنا فقال: (إن يسوع وجد حماراً فركبه)[3] ولم يذكر سوى ذلك.

---

(١) متى ٢١/ ١٨.
(٢) مرقص ١١/ ١ ـ ٨.
(٣) يوحنا ١٢/ ١٤.

فمتى يقول: أتاناً وجحشاً، وذكر خطبة طويلة، ومرقص ولوقا لم يذكرا سوى الجحش لا غير، ويوحنا لم يذكرهما البتة بل قال: إنه وجد حماراً فركبه.

ولقد حاول القس منسي يوحنا في كتابه (حل مشاكل الكتاب المقدس) ص ١٢٥ إيجاد جواب مقنع لهذا التناقض فقال: (فنجيب: أن متى ذكر ما حدث بالتفصيل، أما البشيرون الآخرون فذكروا فقط الجحش الذي ركبه المخلص). ومن البداهة أن هذا جواب غير مقنع، فإن متى ذكر أن المسيح: (قال للتلميذين: اذهبا إلى القرية التي أمامكما.. تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معهما فحلاهما) وأما مرقص فقد ذكر أن المسيح (قال للتلميذين: اذهبا إلى القرية التي أمامكما.. تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه) وذكره لوقا كذلك. ويتضح من ذلك أن أقوال المسيح متناقضة في ذلك، ولا مجال لما زعمه القس منسي بأن متى ذكر ما حدث بالتفصيل، فإن الأناجيل روت الحادثة الواحدة بأمر المسيح وقوله، ثم بفعل تلميذيه.

فمتى يقول: أتاناً وجحشاً، وذكر خطبة طويلة، ومرقص ولوقا لم يذكرا سوى الجحش لا غير، ويوحنا لم يذكرهما البتة بل قال: إنه وجد حماراً فركبه.

ولم يذكر الثلاثة إرساله إلى أصحاب المركوب واستئذانهم وفرش الثياب وأغصان الشجر، ودخول المدينة وارتجاجها لدخوله، وشهادة الناس له بأنه النبي الذي جاء من الناصرة، وما أحسن رباً يفتقر إلى ركوب الحمير وإلهاً يغتذي بالخمر والخمير. ما أخلق هذه المواضع من الإنجيل أن يكون اليهود قد أدرجوها في أول نسخ الإنجيل ليضحكوا الناس من دين النصرانية، ثم تناقلها النصارى بالغفلة وحسن الظن المانعين عن النظر في مقابح الكلام.

وتنكر مواضع الإنجيل التي تطرح الشئ ونقيضه في آن واحد فمثلاً

قال متى في إنجيله فيما نسبه إلى المسيح: (قال يسوع: ما جئت إلا لأخلص من كان ضالا)[١]. ثم أكذب ذلك فقال: (ما جئت لألقي على الأرض سلاماً لكن سيفاً وأضرم بها نارا)[٢].

وأيضا من الحكايات والروايات التي تدل على اضطراب النهج الإنجيلي وعدم اتساقه حكاية المرأة الزانية التي روى قصتها يوحنا في إنجيله حين قال: (أن الكتبة والفريسيين قدموا إلى يسوع امرأة وجدت في زنا، فأقاموها في الجمع وقالوا له: يا معلم إن هذه المرأة وجدناها تزني وفي ناموس موسى يجب عليها الرجم فما تقول أنت؟ وإنما قالوا ذلك ليجدوا عليه حجة فأطرق يسوع ينكت الأرض بإصبعه ثم رفع رأسه وقال: من منكم بغير خطيئة فليرجمها أولاً بحجر؟ ثم أطرق ينكت الأرض فلما سمعوا مقالته خرجوا بأسرهم، وبقي يسوع وحده والمرأة قائمة، فرفع يسوع رأسه إليها وقال: يا امرأة أين الذين أدانوك؟ قالت: ما أرى منهم أحداً. فقال يسوع: ولا أنا أيضاً أدينك اذهبي الآن ولا تعودي إلى الخطيئة)[٣].

والجدير ذكره هنا أن التناقض المنهجي في الأناجيل يتمثل في عدم الإيمان والقناعة عند أتباع الأناجيل، ولقد استمرت تلك القناعة عند الإنجيليين فترات طويلة من التاريخ حتى ذهبت مجموعة من أتباع العهد القديم «اليهود» إلى رسول الله محمد ﷺ بيهوديين قد زنيا وطيف بهما فاستدعاهمﷺ واستدعى التوراة وأمر بعض أحبارهم بقراءتها فوضع يده على الجريدة التي فيها آية الرجم، وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ابن سلام: ارفع يدك يا عدو الله، فرفع يده عنها فإذا آية الرجم تلوح فقرأها عبد الله على رسول اللهﷺ، فقال عليه السلام: متسائلاً مستنكراً بما

(١) متى ١٨/ ١١، يوحنا ٣/ ١٧، ١٢/ ٤٧ بنفس المعنى.
(٢) متى ١٠/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٣) يوحنا ١٨/ ١١.

معناه في ضوء ما تلهم مصادر السنة ما حملكم على ذلك؟ قالوا: ثقلت علينا فصرنا إذا زنى الشريف منا حميناه وآويناه.. وإذا زنى الضعيف والخامل أقمنا عليه الحد، فقال عليه السلام: أشهد أني عبد الله ورسوله، ثم أمر بهما فرجما[١].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما حكم الزنا على المرأة في العهد القديم، الذي يقولون إن المسيح يؤمن به، ويتممه، ويكمله، وإنه يوجب الحد على الزاني والزانية والجواب الذي قد يكون مقبولاً من المسلم المتأمل وغيره: أن القوم الذين جاءوا بالمرأة وشهدوا عليها بالزنى كانوا كفاراً فلم يقبل شهادتهم المسيح، والدليل قوله (إنهم جاءوا متعبين له شاكين في نبوته مع ظهور أعلامها) وإنما أتوا بالمرأة ليجدوا عليه حجة، أي أنهم أتوا إليه طالبين خداعه، ملتمسين عثرته، وهو نبي الله الكريم عليه السلام، فكيف يقبل شهادتهم، وأما المرأة فلم تقر عنده بالزنى، ولم تعترف به، والحد لا يثبت إلا بحجة معتبرة، وهي إما شهادة جازمة، أو إقرار صحيح، والكافر مردود القول. هذا إذا سلمنا بصحة هذه الواقعة التي رواها يوحنا، وانفرد بها من بين الأناجيل، وفي النهاية فإن هذه الرواية التي انفرد بها يوحنا تدل على اضطراب المنهج.

ويعاني نص إنجيل لوقا من التغيرات التي تعاني منها الكتب الأخرى للعهد الجديد، إلا أن النص الغربي للإنجيل، وسفر أعمال الرسل يعاني من اختلافات كثيرة، بالإضافة، أو الحذف عما في النصوص الأخرى لذات الإنجيل، مثل النص السكندري والنص البيزنطي.

ثم هناك المشكلة الحادة التي نتجت عن اختلاف نسب المسيح كما ذكره لوقا عما جاء في نظيره في إنجيل متى وفي أسفار العهد القديم، وهذه واحدة من مشاكل الأناجيل الحادة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب ٣٧، ومسلم عن عبد الله بن عمر والبراء ابن عازب رضي الله عنه من كتاب التوحيد.

فإذا نظرنا إلى إنجيل لوقا نجد أنه يبدأ أصلاً بإرسالية يوحنا المعمدان كما هو الحال في إنجيل مرقص ويوحنا، وكما هو الحال في إنجيل متَّى ولكنه طرأ عليه ما طرأ على إنجيل متى بشأن قصة الميلاد التي أقحمت عليه دون أن تكون أصيلة فيه، وذلك في ضوء اعتبارين أو سببين.

الأول: ذكره علماء المسيحية وهو وجود تمايز واضح في الأصل اليوناني لإنجيل لوقا، بين أسلوب الإصحاحين الأولين منه، المشتملين على قصة الميلاد، وبين أسلوب سائر الإنجيل، حيث يرون أسلوب الكاتب في سائر الإنجيل يكشف عن رسوخ في العلم باليونانية، والكتابة بها، مع الطلاقة وجمال الآداء، حتى ليعتبرونه لذلك أجمل الأناجيل إنشاء ودقة، ومن الآونة نفسها يتم أسلوب قصة الميلاد في الإصحاحين الأولين عن قلم يهودي يعوزه الارتفاع إلى مستوى الطلاقة اليونانية في ذلك الإنجيل.

ولأنهم أحسنوا الظن بهذا الإنجيل، ولم تبلغهم من القدماء شكوك بشأنه لذلك لم يهتموا بالتعرف على المغزى الحقيقي وراء هذا التمايز السافر، وراحوا يعللونه بأنه قد يرجع إلى طبيعة المصادر العبرانية التي استقى منها تلك الأخبار، واضطر أن يخضع قلمه لمؤثراتها.

وقد كان بوسعهم أن يتساءلوا عن تلك المصادر العبرانية التي نقل عنها، وكانت مستحوذة على تلك المعلومات الوثيقة، أكانت عند المتهودين والأبيونيين، أم عند اليهود المتكلمين باليونانية، واعتنقوا النصرانية واستهواهم القول بتأليه المسيح، ورأوا في ولادته من عذراء ما يشبع أهواءهم ويؤثر على السذج، وضعاف العقول، لجذبهم إلى ملتهم؟.

وبعيد أن تكون عند المتهودين والأبيونبين، لأن هؤلاء قد أنكروا ذلك من أول الأمر.

والأولى بذلك إذن هم يهود الشتات، المتكلمون باليونانية، لأنهم مخالطون للوثنيين، ويستمعون منهم إلى أساطير مشابهة عن آلهتم، فيحركهم

ذلك إلى تدوين القصة بالإنجيل، وهم على ذلك أقدر من غيرهم بما يجمعون به بين الثقافتين اليهودية واليونانية، ويستطيعون أن يكونوا على عين ذلك المستوى الذي جاءت عليه قصة الميلاد بالإصحاحين المذكورين.

أما لوقا المنسوب إليه الإنجيل فلم يكن يهودياً. ولا يمتلك العلماء دليلاً واحداً يقطع بمعرفته باللغة العبرية، ولكنه كان أممياً دخيلاً يتكلم اليونانية، لا يعرفون موطنه، وربما زعم بعضهم أنه كان من أنطاكية.

ولكن الأرجح من ذلك أنه مات باليونان عن أربع وثمانين سنة، وكان طبيباً صيدلياً، ومن ثم كان بحكم النشأة والتربية والثقافة والاختصاص يتنفس هواء يونانياً خالصاً، فلا عجب أن يأتي انجيله، وملحقه عن «أعمال الرسل» نماذج جيدة في الكتابة باليونانية، ومن كان كذلك فلا يعيبه أن يرتقي بمستوى تلك القصة لو كتبها بقلمه إلى ذلك المستوى المتميز الذي نراه في كتابيه المذكورين، وحيث لم يكن ذلك فلا يمكن أن يكون هو كاتبها.

أما الاعتبار، أو السبب الثاني، فهو كما ذكر المفكر الإسلامي[1] حسني يوسف الأطير، في واحد من أهم المصادر العلمية التي تناولت هذا الموضوع.

إن لوقا لم يقر قط بأنه كتب في انجيله قصة الميلاد ويرتكز الأطير في دعواه هذه على أدلة وأسس قوية منها:

أن إقرارهم بأن كاتب «أعمال الرسل» هو نفسه مؤلف الإنجيل المسمى «إنجيل لوقا» وإنه لم تقم لديهم شبهة ذات قيمة للتشكيك في ذلك.

الثاني: إقرارهم بأن تأليف «أعمال الرسل» كان بعد تأليف ذلك الإنجيل واستشهادهم على ذلك بافتتاحية أعمال الرسل حيث يقول:

---

(١) حسني يوسف الأطير، «عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية»، دار الأنصار، طبعة أولى عام ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥.

«الكلام الأول أنشأته ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع»[١].

فالكلام الأول يقصد به الإنجيل الذي ألفه، منسوباً إليه، والشخص المدعو «ثاوفيلس» الذي يتجه إليه بسفر «الأعمال» هو نفس الشخص الذي اتجه إليه من قبل في مقدمة الإنجيل، حيث قال: «رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول ـ بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز «ثاوفيلس» لتعرف صحة الكلام الذي علمت به»[٢].

الثالث: إقرارهم بأن كاتب الاثنين كان واسع الثقافة، «مدققاً» في كتابته حسب ما يستدلون بقوله ـ على رأيهم ـ: «قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق»[٣] وواعياً بتحديد براعته وغاياته فيما كتب.

وإذا صح إقرارهم بذلك، وجب إقرارهم بالتالي بما يقتضيه قوله في مفتتح الأعمال:

«الكلام الأول أنشأته ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع «بفعله» و«يعلم» به إلى اليوم الذي ارتفع فيه، بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم»[٤].

ويستفاد من تحليل هذا النص بيان خطته التي اتبعها في تأليف الإنجيل، والتي حصرها في جانبين اثنين فقط:

الأول. («جميع ما ابتدأ يسوع يفعله») أي معجزاته وعجائبه.

الثاني: («ما ابتدأ يسوع «يعلم» به، إلى اليوم الذي ارتفع فيه») أي محاولة استقصاء وصايا يسوع، وإصلاحاته العقائدية.

وليس هناك من إشارة قط إلى قصة الميلاد وملابساتها.

---

(١) ص ١: ١.
(٢) إنجيل لوقا: ١: ٣ ـ ٤.
(٣) إنجيل لوقا: ص ١: ٣.
(٤) ١: ٢.

ولا يعقل أن كاتباً في ثقافة مؤلف هذين السفرين الرائعين، وفي وعيه وفطنته يكتب تلك القصة بقلمه في الإنجيل ثم يستخف بها، أو يسهو عن ذكرها، والإلماح إليها.

ولكن حيث حصر اهتمامه في «فعل» يسوع، وفي «تعليمه» فقط، فقد كشف بذلك صريحاً عن إسقاطه أي اهتمام بما عداهما، بما في ذلك قصة الميلاد التي نحن بصددها.

ذلك أن قصة الميلاد ليست من «فعل» يسوع المقصود بهذا السياق، لأن هذا الإنجيل لم يوضع على نحو من البحث اللاهوتي، بل على النسق التاريخي المعتاد، وشتان بينهما.

كذلك في «تعليم» يسوع ووصاياه لم يأتنا على لسانه بشيء قط عن مولده، أو سر ميلاده، فلا تدخل قصة ولادته أيضاً في «تعليمه».

ومما يستلفت نظرنا، ـ ولا أدري كيف فاتهم ذلك ـ أن الأناجيل الأربعة قد خلت من إشارة واحدة إلى «عذراوية» مريم، فيما عدا قصتي الميلاد المنحولتين على متى ولوقا، وهنا من حقنا أن نسأل: لو كانت هاتان القصتان أصيلتين حقاً في الإنجيلين المذكورين، وبقلم مؤلفهما، أفما كانت تند منهما الإشارة، ولو مرة واحدة على الأقل، في صلب الإنجيل إلى عذراوية مريم، رغم قيام المناسبة، وتكرار الغمز واللمز بشأنها من خصوم ابنها؟! فما هي العلة الصحيحة في الاقتصار بذكر عذراويتها في القصة وحدها، وتجريد سائر الإنجيل تماماً من ذلك، لو كان كاتب هذا هو عينه كاتب ذلك؟!.

بل نقرن هذه الملاحظة بأخرى مثلها، أو أقوى منها، ذلك. أنهم هم أنفسهم يشهدون بأن أناجيل كل من متى، ومرقص، ولوقا قد وضعت في حدود سنة ٧٠م، وأن بطرس وبولس قد استشهدا حوالي ذلك التاريخ أو في سنة ٦٨م بالتحديد كما يدعي بعضهم، وهذا يعني التعاصر بين تدوين

تلك الأناجيل وكتابة رسائل بطرس وبولس حسب ما أكده ايريناوس Irenaaus حيث قال:

(وقد وضع «متى» إنجيلا للعبرانيين كتبه بلغتهم، في الوقت الذي كان فيه كل من بطرس وبولس يبشران بالإنجيل في روما ويؤسسان الكنيسة بها.

ثم إن مرقص - تلميذ بطرس ومترجمه - قد سلم إلينا تدوينا بعد رحيلهما بخلاصة بشارة بطرس. كما دون لوقا - رفيق بولس - الإنجيل الذي بشر به ذلك الرسول في كتاب..)[1].

ويستوقفنا هنا قوله: (كما دون لوقا - رفيق بولس - الإنجيل الذي بشر به ذلك الرسول في كتاب):

فهل نفهم من ذلك أن إنجيل لوقا مقتبس من بولس؟

أم الأولى أنه يقصد بذلك سفر «أعمال الرسل» حيث يشغل بولس منه الحيز الأكبر ببشارته وأعماله؟.

أم يقصد الإنجيل والأعمال معاً كما يتوهم البعض ذلك؟

على أية حال، فمغزى ذلك واضح. وهو أن أثر بولس ملموس في كتابة لوقا سواء في الإنجيل أو الأعمال.

وهنا إذن نسأل: ماذا كان موقف بولس من (عذراوية) مريم؟

موقف بولس تعرفه حين نتفحص رسائله الموجودة في العهد الجديد، فإذا بنا نكتشف - وللمفاجأة - أنها قد خلت جميعاً من أية إشارة، أو تلميح إلى «عذراوية» مريم. ولما عرضت المناسبة في كلامه لمثل تلك الإشارة، لو كان يعلم ذلك، أو بالأحرى لو كان يؤمن به، لم يغتنمها بل وصف مريم - بصريح العبارة - بأنها «امرأة»!! وذلك حيث يقول:

---

(١) Ireneus Adversus, Haereaes III. 1,1 quoled by J.D. Deugias, The New Bible Dio. Pk 488..

«ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من «امرأة»، مولوداً تحت الناموس»[١].

فها هي ذي مريم «امرأة» وكم كان السياق يحلو لو قال «عذراء» لو علم أنها كذلك، أو أراد القول به.

ولم يكتف بتقرير أنها (امرأة)، بل واصل قائلاً عن ولدها: (مولوداً تحت الناموس)، أي طبقاً للشريعة، فما معنى ذلك إذن إن لم يكن يقصد أنه مولود عن علاقة زوجية شرعية صحيحة؟!.

وهذا إذن نضيفه نحن لتعزيز ما قرره العالمان الإنجليزيان السالف ذكرهما.

وحيث قيل إن إنجيل لوقا متأثر بتعليمه، فقد بان إذن لم خلا سائر الإنجيل، بعد قصة الميلاد المنحولة عليه، من أية إشارة إلى (عذراوية) مريم.

ولو تركنا بولس، على افتراض سوء رأينا فيه ونظرنا في جميع الرسائل الأخرى المنسوبة إلى (يعقوب)، و (بطرس)، و (يوحنا)، وخطابات بطرس في (الأعمال)، لوجدناها جميعاً خالية تماما من أي ذكر أو إشارة إلى عذراوية مريم.

فما دلالة ذلك كله إذن إذا لم يكن يدل على انتحال قصتي الميلاد في متى ولوقا وما قد ينسحب من كلامهما من زيف الزائفين الرافضين من اليهود قديماً وحديثاً، لعقيدة عذرية «مريم» المطهرة (أم النور) المقدسة.

ثم نضيف قرينة أخيرة فنقول: أليست الولادة من عذراء تمثل حدثاً خطيراً حيث تخرق نواميس الكون المعهودة، وتنم عن تطور بالغ الأهمية في مسار العقيدة الدينية وما يصحبها من تغيير في نظرة الإنسان إلى الكون والحياة؟

---

(١) غلاطية: ص٤٠٤

أليس مثل هذا الحدث بغموضه الرهيب يستأهل ممن يكتب عنه أن يستجمع كل طاقاته من المهارة والحذق حتى يؤرخ لهذا الزلزال العقائدي الهائل بأدق صوره، وأكمل أداة يمكن لإنسان أن يبلغ إليهما، ويكتمل مقوماتهما[١]؟!

أليسوا هم أنفسهم يقطعون بأنه تلميذ بولس من نادى بتأليه المسيح، وأنه هو أيضاً ـ أعني لوقا ـ يؤمن بتأليه المسيح، وتجسده وظهوره للناس في صورة واحد منهم، لنهي عهد الخطيئة والناموس، ويأتي بعهد المحبة والفداء، وبشارة الفرحة والرجاء، لكل بني آدم وحواء.

فلو كان ذلك صحيحاً على ما يقولون، وأنه هو نفسه كاتب قصة الميلاد التي تتصدر إنجيله، فكيف فاته كل تحقيق وتدقيق في كتابة تلك القصة، فأتى بإشارات تاريخية سطحية تنم عن السذاجة البالغة بمعرفة التواريخ، حيث كان كل اسم ذكره من أسماء الولاة أو الأباطرة لا يصحبه تعيين أو تحديد أو تعريف يميزه عن آخرين بنفس الاسم، وتولوا نفس المنصب؟!

ثم إذا بكل ذلك يختلف تماماً في الإصحاح الثالث الذي يؤرخ لإرسالية يوحنا المعمدان، فنجد أنفسنا أمام كاتب يعلم خطورة الحدث الذي يؤرخ له ويستجمع له كافة التواريخ التي تكفي للمعرفة المحققة به، فيذكر ستة تواريخ لتوثيق الخبر، قائلاً:

(في السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر:

(إذا كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية،

(وهيرودوس رئيس ربع على الجليل،

(وفيلبس أخوه رئيس ربع على أيطورية، وكورة تراخونيتس،

---

(١) *Martin Hengel, Judaism and Hellenism, SCM press, London 1981.

(وليسانيوس رئيس ربع على الأيلية،

(في أيام رئيس الكهنة حنان، وقيافا:

(كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية[١].

هذا التحقيق والتوثيق الذي يتحراه كاتب الإنجيل بشأن إرسالية المعمدان يلفت النظر بقوة:

فليس هناك منهم من يمكنه أن يدعي أن إرسالية المعمدان، والذي سبقه عشرات أو مئات من أنبياء إسرائيل منذ جاء موسى، ولم يكن بالحدث الأول من نوعه لبني إسرائيل، يمكن أن يداني، فضلاً عن أن يفوق، حدث الولادة من عذراء، والسر الفائق الذي يتصورونه لذلك، وتجسد الإله كما يزعمون، وظهوره في صورة بشر.

فهذا الأمر عند من يؤمن به لابد أن يكون أجلَّ وأخطرَ بما لا يقاس من إرسالية نبي هو في موقع خادمه أو عبده، فيكون الاهتمام أكبر، والتحقق أكثر، والتحقيق والاستقصاء بشأنه أدق وأبعد مدى، فهل تحقق ذلك في قصة الميلاد المنسوبة إلى لوقا؟ للأسف لم يتحقق وهذا إذن دليل حاسم على أن كاتب الإنجيل ليس بحال كاتب قصة الميلاد التي ينقص كاتبها التحقيق التاريخي، والوعي بخطورة الحدث الذي يكتب قصته.

وحيث كان ذلك كله، مضافاً إلى سائر الأدلة والقرائن التي جئنا بها في هذا السياق:

فالنتيجة الواجبة إذن هي أن قصة الميلاد منحولة على لوقا، كما هي منحولة على متى، وأن عذراوية مريم لا بينة عليها بحال من سائر أسفار العهد الجديد بأناجيله ورسائله، بعد تنحية هاتين الروايتين المضافتين للإنجيلين المسنوبين إلى متى ولوقا، في وقت متأخر كثيراً عن القرن الأول.

---

(١) لوقا ص ٣: ١ ـ ٢.

وإذن فالبدء الصحيح للأناجيل الأربعة جميعاً هو من إرسالية المعمدان.

وليس ببعيد أنهم كانوا يتبعون في ذلك تقليداً عندهم بأن يجعلوا من إرسالية يوحنا مدخلاً إلى الكلام عن إرسالية المسيح.

والأرجح في تقديرنا أن يكون وضع هاتين القصتين في القرنين الثاني والثالث حيث يؤكدون هم أن كتب الأبوكريفا ApocryPha أي الخفية أو المستورة، وهي التي منعوها، وحرموا تداولها. والاطلاع عليها. كانت قد انتشرت في هذين القرنين انتشاراً واسعاً لما كانت تتضمنه من حكايات وأخبار عن حياة مريم وطفولة المسيح وولادته وغير ذلك من الأمور التي يتطلع الناس للتعرف عليها، مما لم يرد في الأناجيل الأربعة التي اعتمدوها.

ويبدو لنا من مقارنة روايتي قصة الميلاد المذكورتين أنهما تمثلان تصنيفاً لجملة الأخبار والحكايات التي راجت حول ذلك في تيارين رئيسيين:

أحدهما يحسن الظن بيوسف النجار، ويحاول إثبات براءته من أي تقصير في حماية مريم والتستر عليها، وهذا تمثله الرواية الملحقة بإنجيل متى.

والثاني يذهب إلى أنه كان قد تخلى عنها. وتردد حتى انكشفت وافتضح أمرها ولم يحقق ظهوره المتأخر أية فائدة تذكر، وعلى هذا يوجب إدانته وهذا ما ألمح إليه صاحب رواية لوقا من طرف خفي، كما أفصحنا نحن عن ذلك بجلاء.

ونختم هذه المناقشة بشاهد من التقليد Tradition المتناقل بينهم من أقدم عصورهم يؤكد كل ما قررناه.

وقد بلغنا هذا التقليد عن طريق رجل قالوا عنه: إنه كان لاهوتياً

ضليعاً وضع كتاباً بعنوان: «الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة» أوضح فيه طقوس الكنيسة وتعاليمها، في سطوع وإخلاص حتى لقد وصفه المستشرق الألماني (جراف) بأنه من كبار العلماء، وبأن كتابه من المؤلفات المسيحية ذات العبارة الفصيحة، ودقة البحث)[١].

كما أن رؤساء الكنيسة المعاصرة. ومؤلفيها من يرجعون إلى كتابه الذي نأتي منه بالتقليد المومأ إليه وينقلون عنه بالموافقة والتوثيق[٢]، وهي شهادة منهم تدعم ضمنا روايته التي نحن بصددها، إذا لم تواتهم الشجاعة للجهر بإقرارها.

هذا الرجل يدعي حسب عبارتهم، القبطي الأرثوذكسي العلامة يوحنا ابن زكريا المعروف بابن سباع، ويذكرون أنه (من علماء القرن الثالث عشر الميلادي) حسب الوارد على لسانه في الباب الثالث والثلاثين من كتابه، وكذلك في ختامه.

قال هذا الرجل في الباب الثاني والثلاثين من كتابه (الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة) ما هذا نصه عن السبب في صوم الميلاد:

(وصوم الميلاد المجيد الذي ترتب في أيام البابا الأنبا خريستو

---

(١) ايزيس المصري: قصة الكنيسة القبطية ج ـ ٣ ص ١٤٦ ط٢
وانظر أيضاً

E. W. Heaton The Hebrew, 1968; C. Sauer Brei, op. cit, p. 214 - 217; A. C. Waleh, Kings and Prophets, Israel, 1953.

(٢) على سبيل المثال: البابا شنودة الثالث: مرقص الرسول ـ الفصل التاسع في عدة مواضع، والقمص زكريا بطرس: الأرثوذكسية والحقائق الخلاصية ص ٣١ ـ ٣٣، والقمص منقريوس عوض الله: منارة الأقداس: ج ـ ٢: ص٦٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٤ إلخ.
وانظر أيضاً: الأب الدكتور جورج شحاته قنواتي: المسيحية والحضارة العربية ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، حيث يضع تقريراً عن الكتاب وطبعاته المختلفة.

ذولوس السادس والستين من باباوات الإسكندرية (سنة ٧٦٢ للشهداء) سببه هو أن السيدة الطاهرة، أم النور مريم البتول، كانت في الشهر السابع والنصف من حملها الطاهر بالبشارة المملوءة خلاصاً للعالم، قد كثرت «تعبيراتها» من يوسف النجار وغيره بسكونها كانت تدعي «البكورية» وقد وجدت حبلى، فكانت تتفكر دائماً في «التعبير» ولذا صامت شهراً ونصفاً باكية حزينة على ما تسمعه من التعبير، ولأنها أيضاً «لم تعلم ما ستلده»[١].

وفيما يقوله بعض الباحثين الناقدين والزاعمين فهذا هو يوسف النجار «يعايرها»[٢]، ويتعمد إيلامها بذكر (العار) الذي لحق بها وهو اتهام صريح لها بارتكاب الفاحشة، وهذا إذن ضربة لصميم الرواية في «متى»!

وها هي ذي مريم لم تكن تعلم «ما ستلده» وهذه إذن ضربة أخرى لصميم الرواية في (لوقا) التي ادعت أن البشارة كانت إليها، وحوار الملاك كان معها، وضربة قاصمة لما التقت عليه الروايتان من كون الملاك أخبرهما ـ يوسف ومريم ـ بشأن المولود، والعلة في الحمل به، والغاية من وجوده

وهكذا نرى (عذراوية) مريم وهي ما يسميها ذلك التقليد (البكروية) مرفوضة تماماً، وصارت تمتضغها الألسنة حتى من أقرب الناس إليها، مع ما عانته في ذلك من خزي وعار.

ولعلنا نرى من هذا التقليد ما يثبت أمانة المؤلفين الإسلاميين فيما

(١) الجوهرة النفيسة: ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) R.F. Collins, Introduction to the New Testament, SCM Press, London, 1983.

وأيضاً

W.F. Albright, The Biblical Period from Abraham to EZRA, N.Y., 1963, p. 15-16.

ذكروه من اتهامات اليهود لمريم، وأن يوسف النجار تنكر لها، وشهرها بالحمل من غيره، ورفض ابنها.

كما ينبهنا أيضاً إلى حكمة الصمت في القرآن عن أي ذكر أو تلميح إلى صاحب مريم هذا، رغم ما أنبأنا به من قصتها في سورة منه عرفت باسمها، هي السورة التاسعة عشر من ترتيب القرآن الكريم، وما تعمده فيها من الإبانة والتفصيل، وما أعلنه من افتضاح أمرها بين قومها، حتى بلغ بهم الإنكار عليها أن تجاوزوا اتهامها بالزنا إلى رميها بالبغاء الذي هو احتراف الاقتراف لتلك الفاحشة البشعة، كما نرى في ذلك التعريض الظاهر الصريح في قولهم ـ حسب إخبار القرآن بذلك ـ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[1].

ولم تشذ جوامع الحديث الصحيح عن القرآن. فرأيناها هي أيضاً لا تروي عن نبي الإسلام شيئاً عن شخص يدعى بهذا الاسم كان صاحب مريم أو خطيبها.

ولا يرجع الصمت في القرآن والحديث إلى الجهل بما ورد في أسفار الإنجيل عن خطيب مريم هذا. ولا إلى التجاهل بلا مبرر، وإنما مرجعه أنه لم يكن له دور حقيقي مؤثر في سير الأحداث، كما أنه ظهر في دوره المنسوب إليه ـ في إنجيل لوقا الذي يتسم بالواقعية أكثر من إنجيل متى ـ متأخراً بعد أن وقع المحظور ـ وشاع عن مريم ما كانت تخشاه سواء كان ذلك بسببه أو بسبب غيره

ثم نعود ونقول مرة أخرى: إننا لا نورد ما أوردناه عليهم على سبيل الاعتقاد، فنحن نؤمن بقداسة مريم وطهرها وعذراويتها أشد من إيمان الواحد منهم بوجودها ذاته، ولكنا أردنا أن نكشف وجوها من تناقضهم في هذا الأمر الذي جعلوه محور عقيدتهم في تأليه المسيح، حتى يتبين للقارئ

(١) مريم: آية ٢٨

أن هؤلاء الذي حملوا اسم المسيح، وادعوا محبة العذراء هم أحوج الناس إلى يقين، رغم ما يتبجحون به من دعوى الإلهام الصائب والكتاب المصون.

ولعله قد اتضح إذن صواب موقف الأبيونيين والمتهودين وكيرنثوس، وبولس السمبساطي في رفض إنجيل متى المعدل، وانكشف استحقاقهم للعذر فيما أنكروه بشأن الولادة من عذراء

الفصل الثالث

- الفلاسفة وتطوير العقيدة
- السيد المسيح في مرآة الفكر الغربي
- أقدم نسخ كتب الأناجيل

الفلاسفة وتطوير العقيدة

من رموز هؤلاء الفلاسفة الذين أسهموا في بناء وتطوير العقيدة المسيحية

١ ـ كليمنت الإسكندري (١٥٠ ـ ٣١٥م) وأوريجانوس (١٨٥ ـ ٢٥٤م):

وقد تزعم هذان الرجلان فلسفة مسيحية منظمة، مقرها الإسكندرية، واعتمدا في طريقتهما على أسس مستقاة من الفلسفة الأفلاطونية.

وقد قال فرفريوس (٢٣٢ ـ ٣٠٤م) عن أوريجانوس: إنه مسيحي في أسلوب حياته، ولكنه يوناني في تفكيره ومنطقه.

وقد عاش أوريجانوس في الإسكندرية إبان نهضتها العلمية، حيث كانت تتلاقي فيها الفلسفة اليونانية، والمانوية، والفيثاغورية، والمسيحية، فضلاً عن عقائد قدماء المصريين، والمذاهب الشرقية المستوردة من الهند وفارس والصين.

وعلى الرغم من الاعتراف بأوريجانوس أباً من الآباء ـ إلا أن تشبعه بالفلسفة اليونانية أدى إلى اتهامه بالهرطقة التي أدانه بها مجمع القسطنطينية في القرن السادس.

على أن تيار الأفلاطونية استمر في تدفقه وتأثيره في الفكر المسيحي في القرن الرابع، ولم يلبث أن انتقل إلى الغرب عن طريق جريجورى أسقف نيسا سنة ٤٠٠م تقريباً، فالقديس أمبروز أسقف ميلان سنة ٣٩٧م تقريباً.

٢ ـ ديونسيوس الأريوباغي:

ظهر في القرن الخامس الميلادي، وكان قاضياً بمحكمة أثينا العليا، وله التأثير الفعال في تدعيم الفكر المسيحي بالآراء الأفلاطونية.

ومن آثاره: «اللاهوت الصوفي» أي العلم بالله وبكل الأمور الإلهية علما ذوقيا تجريبيا.

٣ ـ القديس أوغسطينوس (٣٥٤ ـ ٤٣٠م):

ومن آثاره أنه وضح مذهب القضاء والقدر، ومذهب حريق الإنسان.

٤ ـ بوتيوس (٤٥٣ ـ ٥٢٤م):

وهو من أسرة رومانية شريفة، تدرج في منصب الوزارة لثيودريك ملك القوط الشرقيين في إيطاليا.

ومن آثاره الرسائل التي كتبها في اللاهوت، ولخص فيها مبادئ الثالوث، وتجسد الأقنوم الثاني، وتتفق مبادئه مع الخطوط العريضة لعلم الأخلاق الأفلاطوني.

السيد المسيح في مرآة الفكر الغربي

اللافت للنظر أن المسيح في مرآة الفكر الغربي، شخصية مختلفة عنها في عقائد وأفكار رجال اللاهوت من الغربيين وغيرهم.

فالسيد المسيح في الفكر الغربي شخصية تاريخية أسهمت بشكل فاعل في تأسيس قيمٍ ومثلٍ عقيدةٍ دينيةٍ نقلت الفكر الديني اليهودي من جموده وعنصريته، وعدوانية تعاليمه، إلى سماحة العقيدة المسيحية التي جاء بها المسيح، والتي كانت في عهد السيد المسيح، بينما السيد المسيح عند رجال اللاهوت شخصية متعددة الذات، متنوعة التكوين، بين ما هو بشري وما هو إلهي في آن واحد، ومع هذه الشخصية وحولها نسجت الروايات وأحيكت المؤامرات، ونسبت الكرامات والمعجزات، ومن هنا فإن الفكر الغربي الذي يرصد التاريخ الإنساني ويترجم لكبار شخصياته، ويحلل ويقيم الظواهر، ويفترض فرضيات تساعد عليها الأدلة والبراهين، ويرفض مقالات يأباها العقل والعصر الذي قيلت فيه، ذهب يقيم شخصية السيد المسيح بميزان البحث العلمي المحض، الذي لا يتكئ على مرجعية من نبأ الوحي، أو خبر السماء، ذهب كما فعل: ول ديورانت في موسوعة «قصة الحضارة» التي أتى فيها على الحضارة الرومانية في الجزء الثالث من المجلد الثالث، وعرج على: قيصر والمسيح، ليأتي بتفصيل دقيق غير متقيد بأية ضغوطات مؤسسية أو عقدية على حياة وتاريخ وعقيدة السيد المسيح: إنه يبدأ الفترة من عام ٤ ق.م ـ ٣٠م، وفي الفصل الأول بذلك المدخل المهيب عندما ذهب يسأل قائلاً: هل وجد المسيح حقا؟ أو أن قصة حياة مؤسس

المسيحية وثمرة أحزان البشرية، وخيالها، وآمالها ـ أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشناه وأوزريس، وأتيس، وأنديس، وديونيشس، ومثراس؟ لقد كان بولنجبرك والملتفون حوله، وهم جماعة ارتاع لأفكارهم فلتير نفسه، يقولون في مجالسهم الخاصة: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق، وجهر فلني Volney بهذا الشك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره في عام ١٧٩١، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ بفيلاند Wieland العالم الألماني لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح؟.

ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الإنساني في العصر الحديث وأبعدها أثراً ميدان «النقد الأعلى» للكتاب المقدس ـ التهجم الشديد على صحته وصدق روايته، تقابله جهود قوية لإثبات صحة الأسس التاريخية للدين المسيحي، وربما أدت هذه البحوث على مر الأيام إلى ثورة في التفكير لا تقل شأناً عن الثورة التي أحدثتها المسيحية نفسها، وقد دارت رحى أولى المعارك في هذه الحرب التي دامت مائتي عام كاملة في صمت وسكون، وكان الذي أدارها هو هرمان ريمارس Hermann Reimarus أستاذ اللغات الشرقية في جامعة همبرج، فقد ترك بعد وفاته في عام ١٧٦٨ مخطوطاً عن حياة المسيح يشتمل على ١٤٠٠ صفحة حرص على ألا ينشره في أثناء حياته. وبعد ست سنين من ذلك الوقت نشر جتهولد لسنج Gotthold Lessing أجزاء من هذا المخطوط، رغم معارضة أصدقائه في هذا النشر، وسماه هتامات ولفنبتل Wolfenbuttel Fragments. ويقول ريمارس إن يسوع لا يمكن أن يعد مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم، بل يجب أن يفهم على أنه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوفة اليهود القائلين بالبعث والحساب، ومعنى هذا عند: ول ديورانت أن المسيح لم يفكر في إيجاد دين جديد، بل كان يفكر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب، وليوم الحشر الذي يحاسب فيه الله الأرواح على ما قدمت من خير أو شر. وفي عام ١٧٩٦ أشار هردر إلى ما بين

مسيح متى، ومرقص، ولوقا ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها، وفي عام ١٨٢٨ لخص هنريخ بولس Heinrich Paulus حياة المسيح في ١١٩٢ صفحة، وعرض تفسيراً عقلياً للمعجزات: أي أنه آمن بوقوعها، ولكنه عزاها إلى علل وقوى طبيعية. ثم جاء دافد استروس Davis Strauss (1835-1836) في كتابه عن حياة المسيح - وهو كتاب عظيم الأثر في التاريخ - فرفض ما حاوله بولس من توفيق بين المعجزات والعلل الطبيعية، وقال إن ما في الأناجيل من خوارق الطبيعة يجب أن يعد من الأساطير الخرافية، وإن حياة المسيح الحقيقية يجب أن تعاد كتابتها بعد أن تحذف منها هذه العناصر أيا كانت صورها. وقد أثارت مجلدات استروس الضخمة عاصفة قوية في التفكير الألماني دامت جيلاً من الزمان. وفي نفس العام الذي ظهر فيه كتاب استروس هاجم فردنان كرستيان بور Ferdinand Christian Bour رسائل بولس وقال إنها كلها مدسوسة عليه عدا رسائله إلى أهل غلاطية، وكورنثوس، (كورنثة) وروميه (رومة). وفي عام ١٨٤٠ بدأ برونو بور Bruno Bauer سلسلة من الكتب الجدلية الحماسية يبغي بها أن يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير، أو تجسيداً لطقس من الطقوس، نشأ في القرن الثاني من مزيج من الأديان اليهودية، واليونانية، والرومانية. وفي عام ١٨٦٣ أخرج إيرنست رينان Ernest Renan حياة يسوع الذي روع ملايين الناس باعتماده، فيه على العقل وسحر لب الملايين بنثره الجزل. وقد جمع رينان في هذا الكتاب نتائج النقد الألماني، وعرض مشكلة الأناجيل على العالم المثقف كله. وبلغت المدرسة الفلسفية صاحبة البحوث الدينية ذروتها في أواخر القرن التاسع عشر على يد الأب لوازي Loisy الذي حلل نصوص العهد الجديد تحليلاً بلغ من الصرامة حداً اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكية إلى إصدار قرار بحرمانه هو وغيره من «المحدثين». وفي هذه الأثناء وصت المدرسة الهولندية مدرسة بيرسن Pierson ونابر Naber ومتثاس Matthas بالحركة إلى أبعد حدودها إذ أنكرت بعد بحوث مضنية حقيقة المسيح التاريخية. وفي ألمانيا عرض آرثر

دروز Arthur Drews هذه النتيجة السالبة عرضاً واضحاً محدداً (١٩٠٦)، وفي إنجلترا أدلى و.ب. أسمث W.B. Smith و ج.م. ربرتسن J.M. Robertsom. بحجج من هذا النوع أنكرا فيها وجود المسيح. وهكذا بدا أن الجدل الذي دام مائتي عام سينتهي إلى إفناء شخصية المسيح إفناء تاماً .

وبعد هذه المقدمة التاريخية التي قدم بها ديورانت لدراسته عن المسيح عاد يسأل من جديد ويقول: فما هي الأدلة التي تثبت وجود المسيح؟ إن أقدم إشارة غير مسيحية إليه هي التي وردت في كتاب «قدم اليهود» ليوسفوس (٩٣ م):

«وفي ذلك الوقت كان يعيش يسوع، وهو رجل من رجال الدين، إذا جاز أن نسميه رجلاً، لأنه كان يأتي بأعمال عجيبة، ويعلم الناس، ويتلقى الحقيقة وهو مغتبط. وقد اتبعه كثيرون من اليهود وكثيرون من اليونان. لقد كان هو المسيح»؟

قد تنطوي هذه السطور العجيبة على أصل صادق صحيح، ولكن هذا الثناء العظيم الذي يثنى به على المسيح يهودي يريد به الزلفى للرومان أو اليهود ـ وكان كلاهما يناصبا المسيحية العداء في ذلك الوقت ـ ، نقول إن هذا الثناء لما يبعث الريبة في هذه الفقرة، ولذلك يرفضها علماء المسيحية، ولا يكادون يشكون في أنها مدسوسة على يوسفوس. وفي التلمود إشارات إلى يسوع الناصري. ولكنها من عهد متأخر جداً يجعلها مجرد ترديد لأصداء الأفكار المسيحية. وأقدم ما لدينا [عند ول ديورانت] من إشارات إلى المسيح في أدب الوثنيين ما ورد في خطاب كتبه بلني الأصغر (حوالي ١١٠)، يستشير فيه تراجان عما يعامل به المسيحيين وبعد خمس سنين من ذلك الوقت وصف تاستس اضطهاد نيرون للكرستياني Christiani في رومة ويقول إنهم في ذلك الوقت كان لهم أتباع في جميع أنحاء أوربا وهذه الفقرة شبيهة بكتابات تاستس في أسلوبه، وقوته، وتحيزه شبهاً لم يرتب معه أحد من الباحثين إلا دوره وحده في صدروها من هذا الكتاب. ويذكر سوتونيوس (حوالي ١٢٥) خبر هذا الاضطهاد نفسه، كما يذكر في

كلوديوس (حوالي ٥٢) «اليهود الذين أثاروا اضطرابات عامة بتحريض المسيح (Chresto impulsore)». وتتفق هذه الفقرة أشد الاتفاق مع ما ورد في أصحاح أعمال الرسل من أن كلوديوس أصدر مرسوماً أوجب فيه على «اليهود أن يخرجوا من رومة». وهذه الإشارات كلها تثبت وجود المسيحيين لا المسيح نفسه، ولكننا إذا لم نسلم بوجود المسيح فلا مناص لنا من أن نأخذ بالفرض الضعيف جداً وهو أن شخصية يسوع قد اخترعت اختراعاً في جيل واحد، ولا بد لنا [لول ديورانت] من أن نفترض فوق ذلك أن الجالية المسيحية وجدت في رومة قبل عام ٥٢ ببضع سنين، وإلا لما كانت خليقة أن يصدر بشأنها مرسوم إمبراطوري. ويقول ثالس Thallus وهو كاتب وثني عاش في منتصف ذلك القرن الأول في هتامه من كتاب احتفظ لنا به يوليوس افركانس إن الظلمة العجيبة التي يقال إنها حدث وقت موت المسيح، كانت ظاهرة طبيعية محضة، ولم تكن أكثر من مصادفة عادية. أما وجود المسيح فهو عند هذا الكاتب قضية مسلم بها مفروغ من صحتها.

وقصارى القول أن نكران ذلك الوجود لم يخطر على ما يظهر لأشد المخالفين لليهودية أو لليهود المعارضين للمسيحية الناشئة في ذلك الوقت.

أما الأدلة المسيحية على وجود المسيح فتبدأ بالرسائل المعزوة إلى القديس بولس. وبعض هذه الرسائل لا يعرف كاتبها معرفة أكيدة، ومنها عدة رسائل - تؤرخ بعام ٦٤م ولكنها كتبت في الحقيقة بعد ذلك التاريخ - لا يكاد يختلف الباحثون في أنها في جوهرها من كتابات بولس. ولم يشك أحد قط في وجود بولس نفسه أو في لقائه الكثير لبطرس، ويعقوب، ويوحنا، ويعترف بولس بأن هؤلاء الرجال قد عرفوا المسيح في أثناء حياته ويحسدهم على هذه المعرفة. وكثيراً ما تشير الرسائل المعترف بنسبتها إليه إلى العشاء الأخير وإلى حادث الصلب.

هذا ما كان من أمر المسيح نفسه، أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة. ذلك أن الأربعة أناجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول

والثاني. واللفظ الدال على الأنجيل «gospel» (وهو في اللغة الانجليزية القديمة godspel أي أخبارٌ طيبة) ترجمة للفظ اليوناني euangelion والذي يبدأ به إنجيل مرقص ومعناه «أخبار سارة» ـ هي أن المسيح قد جاء، وأن ملكوت الله قريبة المنال، وأناجيل متى، ومرقص، ولوقا، يمكن الإحاطة بها بنظرة واحدة: ذلك بأن محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها في أعمدة متوازية «والنظر إليها كلها مجتمعة»؛ وقد كتبت كلها باللغة اليونانية الدارجة، ولم تكن نماذج طيبة في النحو أو في الصقل الأدبي. بيد أن ما في أسلوبها السهل من قوة وإيصال المعاني عن أقرب طريق، وما في تشبيهاتها والصور التي ترسمها من وضوح، وما في الإحساسات التي تصورها من عمق، وما في القصص التي ترويها من روعة، كل هذا يكسبها حتى في صورتها الأصلية الفجة جمالاً فذاً، زاده قوة عند العالم الإنجليزي الترجمة العظيمة البعيدة كل البعد عن الدقة، والتي وضعت للملك جيمس.

أقدم نسخ كتب الأناجيل

وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث. أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠، ١٢٠م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها. والكتّاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون قط شيئاً عن العهد الجديد، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم، ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ إلا في كتابات ببياس Papias الذي كتب في عام ١٣٥ إذ يقول إن «يوحنا الأكبر» وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها ـ قال إن مرقص ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس.

ويضيف ببياس إلى هذا قوله: «وأعاد متى كتابة الكلمات بالعبرية» ـ ويبدو أن هذا الإنجيل مجموعة آرامية من أقوال المسيح. والراجح أن بولس كانت لديه وثيقة من هذا النوع، وذلك لأنه ينقل أحياناً كلمات يسوع بنصها وإن كان لا يذكر الأناجيل قط. ويتفق الناقدون الثقاة بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقص في الزمن على سائر الأناجيل، وفي تحديد تاريخه بين عامي ٦٥ و ٧٠م. وإذ كان هذا الإنجيل يكرر المسألة الواحدة أحياناً في عدة صور فإن الكثيرين من الباحثين يعتقدون أنه يعتمد على الكلمات السالفة الذكر وعلى قصة أخرى قديمة العهد قد تكون هي الصورة الأولى لإنجيل مرقص نفسه. ويبدو أن إنجيل مرقص كان منتشراً أثناء حياة بعض الرسل أو

حياة الرعيل الأول من أتباعهم ومريديهم. ولهذا فإنه يبدو من غير المحتمل أنه كان يختلف اختلافاً جوهرياً عما كان لديهم من أقوال وعن تفسير المسيح لهذه الأقوال. ومن حقنا إذن أن نحكم كما حكم شوتزر Schwetyer ذلك العالم النابه الحكيم بأن إنجيل مرقص في جوهره «تاريخ صحيح».

وتقول الرواية المأخوذ بها إن إنجيل متى أقدم الأناجيل كلها، ويعتقد إيرنيوس Irenaeus أنه كتب في الأصل باللغة «العبرية» ـ أي الآرامية، ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية. وإذ كان يبدو لنا إنه في هذه الصورة الأخيرة يردد أقوال إنجيل مرقص، وإنه ينقل في أكبر الظن من أقوال يسوع نفسها، فإن النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى، وليس من أقوال «العشار» نفسه. وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٧٥ ـ ٩٠م. وإذ كان الغرض الذي يبتغيه متى هو هداية اليهود فإنه يعتمد أكثر من غيره من المبشرين على المعجزات التي تعزى إلى المسيح، ويحرص حرصاً يدعو إلى الريبة على أن يثبت أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يدي المسيح. بيد أنه رغم هذا أشد الأناجيل الأربعة تأثيراً في النفس وإثارة للعاطفة. ولا يسعنا إلا أن نعده بين روائع الآداب العالمية، وإن لم يدرك ذلك كاتبه القديم.

والإنجيل حسب نص القديس لوقا، وهو النص الذي يعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول، يعلن أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح، والتوفيق بينها، وأنه يهدف إلى هداية الكفرة لا اليهود، وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان من غير اليهود، وأنه كان صديق بولس، ومؤلف سفر أعمال الرسل. وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقص كما يقتبس منها متى. فإنك لتجد في إنجيل متى ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل مرقص، وتجد منها ثلاثمائة وخمسين في إنجيل لوقا تكاد تكون هي بنصها. وفي إنجيل متى كثير من الفقرات التي توجد في لوقا ولا توجد في إنجيل مرقص، وهنا أيضاً تكاد

تكون هي بنصها ويبدو أن لوقا أخذ هذه عن متى، أو أن لوقا ومتى أخذاها عن أصل مشترك، لم نعثر عليه بعد. ويصقل لوقا هذه المقتبسات الصريحة بمهارة أدبية تحمل لينان على الظن بأن هذا الإنجيل أجمل ما ألف من الكتب.

ولا يدعي الإنجيل الرابع أنه ترجمة ليسوع، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله، وخالق العالم، ومنقذ البشرية. وهو يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها المسيح. وإن ما يصطبغ به الكتاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة، وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية، قد جعلا الكثيرين من الباحثين في الدين المسيحي يشكون في صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنا. بيد أن التجارب توحي إلينا بألا نعجل في تكذيب الروايات القديمة، ذلك بأن أسلافنا لم يكونوا كلهم بلهاء. وتنزع الدراسات الحديثة إلى تحديد تاريخ الإنجيل الرابع بأواخر القرن الأول. والراجح أن الروايات المأثورة كانت صادقة إذ تعزو إلى المؤلف «رسائل يوحنا»، ذلك بأنها تعرض الأفكار نفسها بالأسلوب نفسه.

وملاك القول: إن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطاً تاريخية مشكوك في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشك بما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة، أو طقس متأخر من طقوسها. لقد كان المبشرون بالإنجيل يرون كما يرى شيشرون وسالست، وتاستس أن التاريخ وسيلة لنشر المبادئ الخلقية السامية، ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو «تصحيح».

فإذا سلمنا بهذا كله [الكلام لول ديورانت] بقي الشيء الكثير. إن ما في

الأناجيل من تناقض لا يتعدى التفاصيل الجزئية إلى الحقائق العامة، ثم يقول ول ديورانت(١): وإن الأناجيل الثلاثة الأولى لتتفق اتفاقاً عجيباً، وتعرض في مجموعها صورة منسقة للمسيح. ولقد دفعت حماسة الكشف كبار الناقدين إلى أن يقيسوا صحة أقوال العهد الجديد بمقاييس لو طبقت على مئات من العظماء الأقدمين أمثال حمورابي، وداود، وسقراط ـ لزالوا كلهم من عالم الحقائق وهووا إلى عالم الخرافات. وإن المبشرين بالإنجيل، رغم ما يتصفون به من تحيز وميل مع الهوى ومن الأخذ بأفكار دينية سابقة، ليسجلوا كثيراً من الحادثات التي يعمد المخترعون الملفقون إلى إخفائها ـ كتنافس الرسل على المنازل العليا في ملكوت الله، وفرارهم بعد القبض على يسوع، وإنكار بطرس، وعجز المسيح عن إتيان المعجزات في الجليل، وإشارة بعض من سمعوه إلى ما عسى أن يكون مصاباً به من الجنون، وتشككه الأول في رسالته، واعترافه بأنه يجهل أمر المستقبل، وما كان يمر به من لحظات يمتلئ قلبه فيها حقداً على أعدائه، وصيحة اليأس التي رفع بها عقيرته وهو على الصليب، إن من يطلع على هذه المناظر لا يشك قط في أن وراءها شخصية تاريخية حقة. ولو أن عدداً قليلاً من الرجال السذج قد اخترعوا في مدى جيل واحد هذه الشخصية الجذابة، وهذه المبادئ الأخلاقية السامية، وهذه النظرية الأخوية الملهمة، لكان عملهم هذا معجزة أبعد عن المعقول من أية معجزة تسجلها الأناجيل. وإن الخطوط الرئيسية في سيرة المسيح، وأخلاقه، وتعاليمه لتبقى بعد قرنين من النقد الشديد واضحة معقولة، لتكون أروع ظاهرة في تاريخ الغربيين وأعظمها فتنة للألباب.

---

(١) للتوسع:

Sigmund Mowinekel, Le Decalogue, Paris, 19 A. Lods, op. cit, p. 427.

BIBLE, Revised Version of the King James T BIEBER, M., History of the Greek and Roma

BARNES, H. E., History of Westsrn Civilization

BARON, s, Social and Religions History of th

الفصل الرابع

- الإيمان والصليب والمصلوب في العهد الجديد
- نشأة عيسى ومولده ومعموديته
- عقيدة المعمودية
- اليهود والمسيح وحادثة الصلب
- إجراءات المحاكمة المتعلقة بالصلب
- عقيدة الصلب والقول فيها
- التحضير لعشاء المسيح الأخير
- الموت والتجلي للمسيح
- لماذا صُلب المسيح؟
- قصة الصليب وفلسفته

الإيمان والصليب والمصلوب في العهد الجديد

جوهر الإيمان المسيحي على ما تقول به الأناجيل هو الاعتقاد بأن المسيح علّق على الصليب، وقتل عليه، ثم أنزل من على الصليب ميتاً ليدفن في مغارة، ويوضع أمامها الحجر، حتى يستوفي المهلة التي قطعها على نفسه ليخرج عليهم، كي يثبت لجميع أعدائه ما نطق به من أن ابن الرب سيمكث في القبر بعض الوقت، ثم يخرج ليصعد إلى السماء. لكنّ اللافت للنظر هو ما أحاط بهذه القضية من ملابسات واضطراب وتناقضات، وكان من المفروض وهذه القضية أو فلنقل هذا المعتقد، أن لا تكون حوله أدنى شبهة أو شائبة من اضطراب في متن هذه الرواية أو الروايات التي قصّت هذا النبأ، لأن صُلبَ الإيمان بالمسيح وجوهره على ما تقول به الكتب يقوم على هذا المعتقد، ولأن الحادث كما يقول مفسرو الكتاب المقدس وقع أمام عدد من شهود عيان ما بين أعداء ساخطين ناقمين، وجند منفذين مأمورين، وأحباء وأتباع باكين آسفين، لكن قراءة العهد الجديد برؤية تحليلية تأملية توقفنا كما أوقفت غيرنا ممن سبقونا من علماء العقائد وفلسفة الأديان في الغرب أو الشرق، تعطي صورة مضطربة ومشاهد متباينة وإثبات ونفي في رواية الحدث الواحد، في الزمن الواحد، مع نفس مصادر هذا الحدث. وهذا مما يعجز معه المرء عن تفسيره، وبحكم أن معظم أقطار الوطن العربي تغلب على شعوبه روح المحبة الإنسانية، أو ما يسمى في لغة السياسة بالوحدة الوطنية، والمعايشة السلمية بل والمجاورة الأخلاقية التي تعبر بالفعل، والواقع عن حرية المعتقد

وسلامة النيّات، فإنا لم نرَ حرجاً على وفرة المصادر الأمهات في العقائد عامة ومصادر الكتاب المقدس على وجه الخصوص أن نسأل بعض رجال اللاهوت عن مثل هذه الاشكاليات التي تطالعنا، وتستوقف عقلنا وتدبرنا، وكانت أرقّ الإجابات وخاصة في العالم العربي، أن هذه مسائل إيمانية تؤخذ كما انتهت إلينا بغير تعقل أو تدبر، وإنما يتقبلها القلب فيما قالوا بغير تدبر أو تعقل، ولكن الباحث المسلم الذي يؤمن على ضوء ما في دينه من نبأ القرآن الكريم، بأن الإنجيل الذي جاء به عيسى ابن مريم عليه السلام والذي ذكره القرآن الكريم وأشار إليه وأثبته وأثنى عليه باعتباره كتاباً سماوياً ليس فيه ما يمكن أن يرفضه العقل أو ينفر منه القلب.

ومن هنا فإنه إن ذهب عالم أو باحث يطالع من الكتاب المقدس بعض قضايا العهد الجديد التي تشكل عقيدة غالبية النصارى في العالم فضلاً عن إيمانهم بكل ما جاء في العهد القديم، لا ينطلق من نكران أو جحود لإنجيل عيسى ابن مريم، أو رفض له، أو عدم إيمانٍ به، لكنه يتعامل مع عدد من الأناجيل تنسب إلى أصحابها، ومهما قيل في شأنها ومرجعيتها فإن كثرتها وعدد رواتها، وتباين ما في رواياتها يدعو إلى النظر والتدبر في ما ترويه، لأن معظم الروايات مما قد يقبله القلب، لكن العقل والفطرة تقضيان برفض التناقضات والاضطرابات حول أنباء الحدث الواحد في الزمن الواحد من المصدر الواحد، وقد سبقنا إلى مثل ذلك المنهج علماء من الملّة الإسلامية وغيرها، ومن بين هؤلاء الذين سبقونا إلى مثل ذلك المنهج التأمليّ التحليلي: ابن الحسين الجعفري الهاشمي المتوفى ٦٦٨هـ فقد ذهب ـ رحمه الله ـ يطالع ما تقول به الأناجيل في هذا الباب باب، الإيمان، والصليب، والمصلوب، مع قولهم بربوبيته، أي المسيح، واعتقادهم أنه خالق السماء والأرض، وجامع الناس ليوم العرض. ويقول: قال النصارى: بينما يسوع جالس مع تلاميذه ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان (أبريل) إذ جاء يهوذا الإسخريوطي أحد الإثني

عشر ومعه جماعة معهم السيوف والعصي من عند رؤساء الكهنة، ومشائخ الشعب وقد قال لهم يهوذا: الرجل الذي أقبل هو هو فأمسكوه، ثم جاء يهوذا وقال: السلام عليك يا معلم، ثم قبّله فقال يسوع: ألهذا جئت يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه فتركه التلاميذ كلهم وهربوا فقال يسوع: مثل ما يفعل باللصوص خرجتم إليّ بالسيوف والعصي، وأنا عندكم في الهيكل كل يوم أعلم فلم تعرضوا لي، لكن هذه ساعة سلطان الظلمة كما عبّر لوقا في الإصحاح ٢٢/ ٥٣، ٥٤ فذهبوا إلى رئيس الكهنة كما روى متّى في الإصحاح٢٦/ ٥٧ ومرقص في الإصحاح ١٤/ ٥٣ وكلها روايات تفيد أن الجند ذهبوا بالمسيح إلى رئيس الكهنة مباشرة ما عدا رواية يوحنّا الإصحاح ١٨/ ١٢ ـ ١٤ فإنها تذكر أن الجند ذهبوا بالمسيح إلى يوحنّا أولاً وهو ويوحنّا ذهبا إلى (قيافا) رئيس الكهنة بدلاً من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة كما ذكر الثلاثة الآخرون، كما تفيد روايات متّى ٢٦/ ٥٧ ـ ٦٠ ومرقص ١٤/ ٥٣ ـ ٥٥ ويوحنّا ١٨/ ١٥ ـ ٢٠ أن محاكمة المسيح أمام مجمع اليهود كانت في الليل عقب القبض عليه مباشرة. أما رواية لوقا الإصحاح٢٢/ ٥٤ ـ ٧١ فإنها تفيد أن المحكمة كانت في صباح اليوم التالي لعملية القبض، فذهبوا به إلى رئيس الكهنة حيث يجتمع الشيوخ وتبعه بطرس من بعيد، ودخل معه الدار ليلاً، وجلس ناحية منها ليرى ما يؤول أمره إليه، فالتمس المشائخ على يسوع شهادة ليقتلوه بها، فجاء جماعة من شهود الزور، ثم تقدّم منهم اثنان فشهدا أن يسوع قال: أنا أقدر أن أنقض هيكل الله وأبنيه في ثلاثة أيام، فقال له الرئيس: أما تجيب عن نفسك بشيء؟ فسكت يسوع فأقسم عليه رئيس الكهنة بالله الحي: أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذلك، وأنا أقول لكم إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى ترونه جالساً عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء. فلما سمع رئيس الكهنة ذلك شقّ ثيابه وقال: ما حاجتنا إلى شهادة هو ذا قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون في أمره؟ فقالوا: هذا مستوجب الموت. فحينئذٍ بصقوا في وجهه، ولطموه، وضربوه، وهزءوا به جداً، وجعلوا

يلطمونه ويقولون له: بين لنا أيها المسيح من لطمك؟[١]، ولما كان من الغد أسلموه لبيلاطس فتصايح الشعب بأسره وقال: يصلب يصلب.

فتحرج بيلاطس من قتله وقال: أي شيء فعل هذا؟ فقال الشيوخ: دمه عليهم وعلى أولادهم[٢]، فحينئذٍ ساقه جند القائد إلى الأبروطورون[٣] واجتمع عليه الشعب ونزعوا ثيابه وألبسوه لباساً أحمر، فضفَّروا إكليلاً من الشوك وتركوه على رأسه، وجعلوا في يده قصبة، ثم جثوا على ركبهم يهزؤون به ويقولون: السلام عليك يا ملك اليهود، وشرعوا يبصقون عليه ويضربونه في رأسه[٤]، ثم ذهبوا به وهو يحمل صليبه[٥] إلى موضع يعرف بالجمجمة[٦] فصلبوه[٧] وسمَّروا يديه وسألهم شربة ماء فأعطوه خلاً مذاباً

---

(١) متّى ٢٦/ ٥٩ ـ ٦٨، ومرقص ١٤/ ٥٥ ـ ٦٥.أما رواية لوقا في ٢٢/ ٦٣ ـ ٧١. ويوحنا في الإصحاح ١٨/ ١٩ ـ ٢٣ فلم تذكر قصة شهود الزور على المسيح.

(٢) متى ٢٧/ ١ ـ ٢، ١١ ـ ٢٦. مرقص ١٥/ ١ ـ ١٤، ويوحنا ١٨/ ٢٨ ـ ٤٠ أما رواية لوقا ٢٣/ ١ ـ ٥٢ فقد انفردت بأن محاكمة المسيح أمام بيلاطس حدثت على مرحلتين الأولى: عندما قام جمهور اليهودية وجاءوا بالمسيح إلى بيلاطس، والثانية: بعد محاكمة أخرى كانت أمام هيرودس حاكم الجليل والتي قد انفرد بذكرها لوقا دون سائر الأناجيل.

(٣) وهي دار الولاية، انظر قاموس الكتاب المقدس ١٠٤٠.

(٤) رواية متى ٢٧/ ٢٧ومرقص١٥/ ١٦ ـ ١٩ يوحنا ١٩/ ١ ـ ٥ تفيد أن الجنود الذين سخروا من المسيح واضطهدوه هم جنود الوالي بيلاطس لكن رواية لوقا٢٣/ ١١ تفيد بأنهم جنود هيرودس وليس جنود بيلاطس.

(٥) عند متى ٢٧/ ٣٢ ومرقس ١٥/ ١١ ولوقا ٢٣/ ٢٦ أن شخصاً مجهولاً سبقت الإشارة إلى اسمه هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلاً من المسيح، لكن يوحنا ١٩/ ١٦ ـ ١٧ لم يذكر ذلك.

(٦) الجمجمة هي موضع الجلجثة حيث يزعم النصارى أن المسيح صلب هناك ويعتقد أن هذا الموقع يقع داخل كنيسة القبر المقدس ولا يمكن إرجاعها لأبعد من القرن الرابع.

(٧) هناك اختلاف واضح في تحديد وقت الصلب حيث عند مرقص في الإصحاح١٥/ ٢٥: وكانت الساعة الثالثة فصلبوه لكن يوحنا في الإصحاح١٩/ ١٤ ـ ١٦ يقول: إن الصلب حدث بعد الساعة السادسة ويتعذر التوفيق بينهما بل يستحيل.

بمرّ فذاقه ولم يسغه. وجلس الشرط فاقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة، وجعلوا عند رأسه لوحاً مكتوباً هذا يسوع ملك اليهود استهزاءً به، ثم جاءوا بلصّين فجعلوهما عن يمينه وشماله تحقيراً له[١] وكان اليهود يقولون له: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلِّص نفسك إن كنت ابن الله كما تقول انزل عن الصليب.

وقال اليهود: هذا يزعم أنه خلَّص غيره فكيف لم يقدر على خلاص نفسه؟! إن كان متوكّلاً على الله فهو ينجيه مما هو فيه[٢] ولما كان ست ساعات من نهار الجمعة حسب رواية مرقص ١٥/ ٣٤ صرخ يسوع وهو على الصليب بصوت عظيم فقال: [ألوي ألوي لما شبقتني] وتفسيرها كما ذهب مرقص في الإصحاح ١٥/ ٣٤ فهي (إلهي إلهي لم تركتني) بينما لم يذكر لوقا ويوحنا هذه العبارة في إنجيليهما، ثم أخذ اليهود إسفنجة فيها خلّ ورفعها أحدهم إلى قصبته وسقاه وقال آخر منهم: دعوه حتى نرى من يخلصه وحسب رواية متى ٢٧/ ٤٧ ـ ٥٠ ومرقص١٥/ ٣٥ ـ ٣٧ ولوقا ٢٣/ ٤٦ ويوحنا١٩/ ٢٨ ـ ٣٠ صرخ يسوع وأمال رأسه وأسلم الروح فانشق جدار الهيكل وتزلزلت الأرض وانشقت الصخور وتفتحت القبور وقام كثير من القديسين من قبورهم فدخلوا المدينة المقدسة وظهروا للناس[٣]، ولما كان المساء جاء رجل من الرامة يسمى يوسف فسأل القائد جسد يسوع فأمر

---

(١) يتفق متى ٢٧/ ٣٨،٤٤ مع مرقس ١٥/ ٢٧ ـ ٣٢ في أن اللصين اللذين صلبا مع المسيح كانا يعيرانه لكن لوقا ٢٣/ ٣٩ ـ ٤٣ يذكر أن أحد اللصين كان يعير المسيح أما اللص الآخر فكان ينهر اللص الأول ويطلب الدعاء من المسيح بأن يكون معه في ملكوته، أما يوحنا١٩/ ١٨فلم يذكر شيئا عن موقف اللصين من المسيح.

(٢) متى ٢٧/ ٣٩ ـ ٤٣، مرقس ١٥/ ٢٩ ـ ٣٢، لوقا ٢٣/ ٣٥ ـ ٣٦، أما يوحنا فلو يذكر شيئا من ذلك.

(٣) الأحداث التي اقترنت بواقعة الصلب التي ترويها الأناجيل يظهر فيها الخيال الفاضح أكثر من الحقيقة، انظر متى إصحاح ٢٧/ ٥٧ ـ ٦٠ ومرقس ١٥، ٤٢ ـ ٤٧ ولوقا ٢٣/ ٥٠ ـ ٥٤ويوحنا ١٩/ ٣٨ ـ ٤٢.

له به فلفه يوسف بلفائف نقية وتركه في قبر كان قد نحته في صخرة ثم جعل على باب القبر حجراً عظيماً[١]، وجاء مشائخ اليهود من الغد الذي بعد الجمعة إلى بيلاطس القائد فقالوا: يا سيد تذكرنا أن ذاك الضال كان قد قال لتلاميذه: أنا أقوم بعد ثلاثة أيام، فلو أمرت من يغلق القبر ويحرسه حتى تمضي المدة كي لا يأتي تلاميذه ويسرقونه ثم يشيعون في الشعب أنه قد قام فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى، فقال لهم القائد: اذهبوا وسدوا عليه وحَرِّسوا كما تريدون، فمضوا وفعلوا ما أرادوا[٢]، وفي عشية يوم السبت جاءت مريم المجدلانية ومريم رفيقتها لينظرا إلى القبر وقد ذكر ذلك متى في إنجيله ١٨/١ وفي إنجيل مرقص على ما ذكره في ١٦/١ إنما جاءت مريم يوم الأحد بغلس ويذكر أيضاً أن الزائرات للقبر كنّ ثلاث نسوة وإذا ملك قد نزل من السماء برجة عظيمة فألقى الحجر عن القبر، وجلس عنده وعليه ثياب بيض كالبرق، فكاد الحراس يموتون من هيبته، ثم قال للنسوة: لا تخافا قد علمت أنكما جئتما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو هاهنا إنه قد قام، تعالين فانظرن إلى المكان الذي كان فيه الرب واذهبا وقولا لتلاميذه فمضتا وأخبرتا التلاميذ[٣] ودخل الحراس وأخبروا رؤساء الكهنة الخبر فقالوا: لا تنطقوا بهذا، وأرشوهم بفضة على كتمان القضية فقبلوها منهم وأشاعوا أن تلاميذه جاءوا وسرقوه ومهدت المشائخ عذرهم عند القائد على ضوء ما انفرد به متى ٢٨/ ١١ ـ ١٥ بذكر ذلك عن سائر

---

(١) متى ٢٧/ ٥٧ ـ ٦٠،مرقص ١٥/ ٤٢ ـ ٤٧، لوقا ٣٢/ ٥٠ ـ ٥٤، يوحنا ١٩/ ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) انفرد متى ٢٧/ ٦٢عن سائر الأناجيل الأخرى بما ذكره عن طلب اليهود من بيلاطس أن يرسل حراسا لضبط القبر واستجابته لهم.

(٣) ذكر ذلك متى في إنجيله ١٨/ ١ أما رواية مرقس ١٦/ ٥ ـ ٨ فتذكر أن النساء رأين شاباً جالساً عن اليمين في القبر لابساً حلة بيضاء....وأما رواية لوقا ٢٤/ ٤ ـ ٩ فتذكر بأن النساء رأين رجلين بثياب براقة، وفي يوحنا ٢٠/ ١١ ـ ١٣ نجد أنهما ملكين بثياب بيض جالسين في القبر واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين.

الأناجيل وقد مضى الأحد عشر تلميذاً إلى الجليل كما يقول بذلك كل من متى ١٦/٢٨ ـ ١٧ ومرقص١٦/ ٧ ـ ١٤ وإن اختلفا بذلك مع لوقا ٢٤/ ٣٣ ـ ٣٦ ويوحنا ١٩/٢٠ ـ ٢٢ اللذين جعلا مكان اللقاء في أورشليم، وقد شك بعضهم وجاءهم يسوع وكلمهم، وقال لهم: اذهبوا فعمدوا كل الأمم وعلموهم ما أوصيكم به وهو ذا أنا معكم إلى انقضاء الدهر على ضوء ما ورد في إنجيل متى ١٧/١٨ ـ ٢٠ وأشار إليه مرقص١٦/ ١٤ ـ ١٥ ولوقا ٢٧/٣٦ ـ ٤٧.

والسؤال الذي لا بد من أن يجيب عنه كل عالم باللاهوت معتقد بعصمة الأناجيل، وعدم اضطرابها هو: هل عقيدة صلب المسيح جاءت تواتراً أم آحاداً خاصة وأنها جوهر الإيمان في النصرانية؟ فإن زعموا أنهم ينقلونها نقل الآحاد لم تقم بذلك حجة، ولم يثبت العلم الضروري الذي به تتحقق سلامة المتن والسند في العلوم والعقائد، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد في أمور العقائد يعرض لهم من السهو أو الغفلة أو الكذب ما يعرض للأفراد فلا يحتج بهم في القطعيات العقدية خاصة ما يتعلق بعصمة وقدسية النصوص المعزوّة إلى الوحي الإلهي، أو نبأ السماء ـ وإن عزوا ذلك إلى التواتر قلنا لهم: شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة، وهو أن ينقل الجمّ الغفير عن الجمّ الغفير نبأً أو معتقداً عرفه الجمّ الغفير، عن الجم الغفير والتزموا به وتعبّدوا به بحيث يستحيل عقلاً ونقلاً تواطؤهم على الكذب، وفي ضوء تلك القاعدة العلمية التي تتعلق بعصمة الموروث الديني فإن الخبر الوارد في الأناجيل بمختلف صوره ورواياته مما يتعلق بصلب المسيح خاصة، لا يثبت له أو به العلم الضروري بل إن كلّ الروايات تجزم على ضوء اضطرابها بعدم وقوع صلب السيد المسيح وعدم موته على الصليب.

هذا ويعلّق الإمام القرافي على قصة الصلب التي وردت في الأناجيل بقوله: فإنه لو وقع الصلب ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالصلب، لأن المتواترات إذا نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في إفادة

العلم لجواز كذب الناقل فلا يكون عدد التواتر حاصلاً في نفس الأمر. أ.هـ (ر: الأجوبة الفاخرة، ص٥٣). ويقول الإمام ابن القيم في كتابه مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة في ص٥٧١: (خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه، فتارة يجزم بكذبه لقيام دليل كذبه، وتارة يظن كذباً إذا كان دليل كذبه ظنياً، وتارة يتوقف فيه فلا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه ولا يجزم به، وتارة يصدق صدقاً يجزم به لا يبقى معه شك فليس خبر كل واحد يفيد العلم ولا الظن، ولا يجوز أن ينفى عن خبر الواحد مطلقاً أنه يحصل العلم فلا وجه لإقامة الدليل على أن خبر الواحد لا يفيد العلم وإلا اجتمع النقيضان).أ.هـ

وعلى هذا فإن الخبر الوارد في الأناجيل، والمتعلق بصلب المسيح عبر روايات متباينة، لا يثبت له العلم الضروري بل يجزم بكذبه لقيام الأدلة القطعية الثبوت، القطعية الدلالة على ذلك ومنها:

أ ـ إنه بالنسبة لنا ـ نحن المسلمين ـ فقد ورد النص الصريح من القرآن الكريم بتكذيب اليهود والنصارى معاً فيما زعموه من صلب المسيح وموته على الصليب قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾. الآية.

ب ـ إنه لا يمكن الوثوق من الناحية التاريخية البحتة بالمصادر النصرانية سواءً أكانت تلك المصادر (نصوصاً) أو شروحاً عليها، لجهالة مؤلفي الأناجيل ومترجميها، ثم عدم السند المتصل لصحة نسبتها إلى أصحابها.

ج ـ تناقض الأناجيل بعضها مع بعض واختلافها لفظاً ومعنى، خاصة فيما يتعلّق بأحداث الصلب وملابساته.

د ـ إنه لا يلزم تصديق النصارى في ذلك لأن مرجعهم إلى خبر اليهود الذين دخلوا على المسيح في البيت وادعوا القبض عليه وصلبه، وهم عدد قليل لا يبعد تواطؤهم على الكذب، كما أنهم لم يكونوا على

علم بمن قتلوه، حتى إنهم قبل القتل الذي ادعوه اكتروا رجلاً يدلهم عليه على الرغم من اشتهار أمر المسيح ووضوح دعوته عند الناس جميعاً.

والجدير ذكره أنه لم يحضر أحد من كاتبي الأناجيل حادثة الصلب والقتل كما هو ظاهر في الأناجيل، فخبرهم إذاً لم يكن عن أمر محسوس ومشاهدة وحتى لو اجتمع الأربعة على مشاهدة واقعة الصلب فإنه يمكن التدليس عليهم، وذلك باختيار الأسلوب الذي يدعو إلى اللبس، خاصة وأن الحاكم الذي كان بيده قرار الصلب لم يكن متحمساً للصلب فما بالنا وهو أنه بالقطع لم يحضر واحد منهم حادثة الصلب.

ثم إن المسيح ـ عليه السلام ـ كان يجري عليه من الآيات وخوارق العادات التي هي من معجزاته عليه السلام ما لا يستبعد معه قلب الحقائق فيما يبدو للناظر وإن كان محسوساً.

هـ ـ أن قصة صلب المسيح كحادثة وقعت، أو كعقيدة تكفير عن الخطيئة المتوهمة ليست أمراً مجمعاً عليه عند جمع النصارى، فقد ورد في تاريخ موسهيم المؤرخ البروتستانتي الذي كان يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية أن كثيراً من فرق النصارى كانت ترفض اعتقاد حصول الصلب رفضاً كلياً، لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح، ونقصاً يلحق به، والبعض الآخر كان يرفض عقيدة الصلب استناداً على الأدلة التاريخية، وهؤلاء الجاحدون لعقيدة الصلب طوائف كثيرة منها:

١ ـ الساطرينوسيون. ٢ ـ والكاربوكراتيون. ٣ ـ والمركيرنيون.
٤ ـ والبارديسانيون. ٥ ـ والتاتبانيسيون. ٦ ـ والمايتسيون.
٧ ـ والبارسكاليونيون. ٨ ـ واليولبيسيون. ٩ ـ والدوسيتية.
١٠ ـ المرسيونية. ١١ ـ الفلتطانيائية. أ.هـ

وكذلك طائفة الباسيليديون كانت ممن ينكر الصلب وذلك على ضوء ما ورد في (كتاب عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية، ص٤٩، لـ

إدوارسيوس الفرنسي، على ضوء ما في كتاب الفارق بين المخلوق والخالق،ص٢٨١، للشيخ عبد الرحمن البغدادي «باجه ذي زاده»).

و ـ وجود أناجيل أخرى قد أنكرت واقعة صلب المسيح ـ عليه السلام ـ، ومنها إنجيل «برنابا» وفيه نجاة المسيح من كيد اليهود، ورفعه إلى السماء حياً، وأن الصلب والقتل إنما وقع على يهوذا الإسخريوطي الذي أخذ الرشوة من اليهود ليدلهم على مكان المسيح ـ عليه السلام ـ (إنجيل برنابا الإصحاح ١٤ وما بعده إلى نهاية الإنجيل).

وقد وردت تنبوءات كثيرة في سفر المزامير من كتب العهد القديم بنجاة المسيح ـ عليه السلام ـ من الصلب والقتل، منها: مزمور ٢٠/ ٦،١ (ليستجيب لك الرب في يوم الضيق ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه.. الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه) مزمور ٤/ ٢٢،١ (في يوم الشر ينجيه الرب، الرب يحفظه ويحييه ويغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه...)

فآحاد هذه الأدلة يمكن أن يكون كافياً في إبطال دعوى النصارى بصلب المسيح وقتله، فكيف بمجموعها؟!

ولم يبق أمام أصحاب العقول والأفهام من اليهود والنصارى إلا الإيمان بما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة بأن المسيح عليه السلام لم يصلب، ولم يقتل، بل رفعه الله إلى السماء الدنيا حياً بجسده وروحه عليه السلام إلى أن يحين نزوله إلى الأرض، ويكون ذلك من علامات الساعة الكبرى فيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب. ويقتل الخنزير، ويضع الحرب ويحكم بشريعة نبينا محمد ـ ﷺ ـ كما جاء في: (صحيح البخاري بشرح فتح الباري، ج٢/ ٢٥٦ وصحيح مسلم،ج١/ ١٣٥ وكتاب التصريح بما تواتر من نزول المسيح للشيخ محمد أنور شاه الكشيمري، وكذلك: كتاب عيسى ابن مريم آخر الزمان للإمام السيوطي، وإجماع علماء أمة الإسلام على مدى تواتر التاريخ).

نشأة عيسى ومولده ومعموديته

يحدد متى ولوقا ميلاد المسيح في «الأيام التي كان فيها هيرودس ملكا على بلاد اليهود» أي قبل العام الثالث ق.م. على أن لوقا يقول عن يسوع إنه كان «حوالي الثلاثين من العمر حين عمده يوحنا في السنة الخامسة عشرة من حكم تيبيربوس»، أي في عام ٢٨ ـ ٢٩م وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ١ ـ ٢ ق.م. ويضيف لوقا إلى هذه قوله: «وفي تلك الأيام صدر مرسوم من قيصر أغسطس يقضي بأن تفرض ضريبة على العالم كله... حين كان كويرنيوس Quirinius والياً على سوريا». والمعروف أن كويرنيوس كان حاكماً لسوريا بين عامي ٦ ـ ١٢م؛ ويذكر يوسفوس أنه أجرى إحصاء في بلاد اليهود، ولكنه يقول: إن هذا الإحصاء كان في عام ٦ ـ ٧م، ولسنا نجد ذكراً لهذا الإحصاء إلا هذه الإشارة. ويذكر ترتليان إحصاءً لبلاد اليهود قام به سترنينس حاكم سوريا في عام ٨ ـ ٧ ق.م، فإذا كان هذا هو الإحصاء الذي يشير إليه لوقا فإن ميلاد المسيح يجب أن يؤرخ قبل عام ٦ ق.م. ولسنا نعرف اليوم الذي ولد فيه بالتحديد، وينقل لنا كلمنت الإسكندري (حوالي عام ١٠٠م) آراء مختلفة في هذا الموضوع كانت منتشرة في أيامه، فيقول إن بعض المؤرخين يحدده باليوم التاسع عشر من إبريل وبعضهم بالعاشر من مايو، وإنه هو يحدده بالسابع عشر من نوفمبر من العام الثالث قبل الميلاد، ـ وكان المسيحيون الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح في اليوم السادس من شهر يناير منذ القرن الثاني بعد الميلاد. وفي عام ٣٥٤ احتفلت بعض الكنائس الغربية ومنها كنيسة رومة بذكرى مولد المسيح في اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر، وكان هذا التاريخ قد

عد خطأ يوم الانقلاب الشتائي الذي تبدأ الأيام بعده تطول، وكان قبل هذا يحتفل بعيد مثراس، أي مولد الشمس التي لا تقهر. واستمسكت الكنائس الشرقية وقتاً باليوم السادس من يناير، واتهمت أخواتها الغربية بالوثنية وبعبادة الشمس، ولكن لم يكد يختم القرن الرابع حتى اتخذ اليوم الخامس والعشرون من ديسمبر عيداً للميلاد في الشرق أيضاً.

لكن اللافت للنظر، أن الكنائس الشرقية لا تزال تحتفل بعيد الميلاد في اليوم السادس من يناير.

ويقول متى ولوقا إن مولد المسيح كان في بيت لحم، القائم على بعد خمسة أميال جنوبي أورشليم، ثم يقولان إن أسرته انتقلت منه إلى الناصرة في الجليل، أما مرقص فلا يذكر بيت لحم. ولا يذكر المسيح إلا باسم «يسوع الناصري» وقد سمى بالاسم العادي المألوف «يسوع» Yeshu,a ومعناه معين يهوه، وحرفه اليونان إلى Iesous، والرومان إلى Iesus.

ويبدو أنه كان ينتسب إلى أسرة كبيرة، وشاهد ذلك أن جيرانه أدهشتهم تعاليمه القوية، فأخذوا يتساءلون قائلين: «ترى أني له هذه الحكمة، والقدرة على القيام بهذه العجائب؟ أليس هو ابن النجار؟ أليست أمه تسمى مارية Maru، أليس أخوته هم يعقوب، ويوسف، وشمعون ويهوذا؟ ألا تقوم أخواته هنا بيننا؟»[1]. ويحدثنا لوقا عن البشرى بأسلوب أدبي بليغ وينطق مريم ـ مارية ـ بتلك العبارات البليغة، وهي من أروع القصائد التي يشتمل عليها العهد الجديد.

وتأتي شخصية مريم في القصة بعد شخصية ولدها في الروعة والتأثير: فهي تربيه وتتحمل في تربيته مسرات الأمومة المؤلمة، وتفخر

(١) Sir Alan H. Gardiner, Pap. Petersburg, 116A JEA, I, 1914, p. 26; J.A. Wilson, The Instruction For King Meri - Ka Re in Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testment, Princeton, 1966, p. 417.

بعلمه في أيام شبابه، وتدهش فيما بعد من تعاليمه ومطالبه، وترغب في أن تبعده عن جموع أتباعه المثيرين، وأن تعيده إلى بيته الهادئ الشافي (لقد بحثت أنا وأبوك عنك محزونين)

ولا يذكر أصحاب الأناجيل إلا القليل الذي لا يغني عن شباب المسيح. فهم يقولون إنه اختتن حين بلغ الثامنة من عمره. ولقد كان يوسف نجاراً، وإن ما كان في ذلك العصر من توارث المهن ليوحي بأن يسوع قد احترف هذه الحرفة اللطيفة وقتاً ما، وكان يعرف من ينتمي إلى حرفته من الصناع، كما كان يعرف الملاك، ورؤساء الخدم، والمستأجرين، والأرقاء وكل ما كان يحيط به في الريف، ويتردد ذكر هؤلاء جميعاً في أحاديثه. وكان يحس بما في الريف من جمال طبيعي، وما للزهر من لون جميل، وما يحيط بالأشجار المثمرة من هدوء وسكون. وليست قصة أسئلته للتلاميذ في الهيكل مما لا يقبله العقل. وكان ذا عقل يقظ طُلَعة، والشاب متى بلغ الثانية عشرة من عمره في بلاد الشرق أوشك أن يبلغ سن النضوج. لكنه لم يتعلم تعليما منظما، وشاهد ذلك أن جيرته كانوا يتساءلون: «كيف يستطيع هذا الرجل أن يقرأ وهو لم يذهب قط إلى المدرسة؟. وكان يتردد على المجمع الديني، ويستمع إلى تلاوة الكتاب المقدس، ويبدو عليه السرور حين يسمعه. وقد انطبعت في ذاكرته الأقوال الواردة في أسفار الأنبياء والمزامير بنوع خاص. وكان لها أثر كبير في تشكيله. ولعله قرأ أيضاً سفري دانيال وأخنوخ، لأنا نجد في تعاليمه المتأخرة أثراً كبيراً في رؤى المسيح الموعود، ويوم الحشر، ومملكة السماء.

وكان الهواء الذي يتنفسه مشحوناً بالحماسة الدينية، وكان آلاف من اليهود ينتظرون على أحر من الجمر مجيء منقذ إسرائيل. وكان السحر والشياطين، والملائكة، وحلول الشياطين في أجسام الآدميين، وإخراجها، والمعجزات، والنبوءات، والاطلاع على الغيب، والتنجيم، كانت كل هذه عقائد مسلماً بها في كل مكان. ولعل قصة المجوسي كانت تسليماً لابد منه

لعقائد المنجمين في ذلك العصر، وكان السحرة يطوفون بالمدن، وما من شك في أن عيسى قد عرف شيئاً عن الأسينيين وعن حياة الزهد الشبيهة كل الشبه بحياة البوذيين، وذلك في خلال أسفار جميع الصالحين من يهود فلسطين إلى بيت المقدس في أثناء عيد الفصح، ولعله قد سمع أيضاً عن شيعة تدعى «الناصرة Mazaranes» كان المنتمون إليها يعيشون في برية في الناحية الأخرى من نهر الأردن، وكانوا يرفضون التعبد في الهيكل، ويأبون التقيد بالناموس. ولكن الذي أثار حماسته الدينية هو عظات يوحنا ابن اليصابات قريب مريم.

ويروي يوسفوس قصة يوحنا بشيء من التفصيل. فإذا قرأناها بدا لنا المعمدان شيخاً طاعناً في السن، اما الحقيقة فهي عكس هذا، فهو في الوقت الذي نتحدث عنه في سن عيسى أو قريب منه، ويصفه مرقس ومتى بأنه كان يرتدي ثوباً من الشعر، ويعيش على الجراد الجاف وعسل النحل، ويقف بجوار نهر الأردن، ويدعو الناس إلى التوبة. وكان يماثل الإسينيين في الزهد، ولكنه يخالفهم في اعتقاده أن التعميد يكفي أن يكون مرة واحدة، وقد يكون اسمه «المعمدان» مرادفاً للفظ اليوناني «إسين» أي الاستحمام، وقد أضاف يوحنا إلى عقيدة التطهير الرمزي تنديده الشديد بالنفاق، وعدم التمسك بالأخلاق القويمة، وطلبه إلى المذنبين أن يستعدوا إلى الدار الآخرة، وإعلانه قرب حلول مملكة السماء، وقوله إنه إذا تابت بلاد اليهود كلها وتطهرت من الخطيئة جاء المسيح وحلت مملكة السماء على الفور.

ويقول لوقا إنه في «السنة الخامسة عشرة من حكم تيبيريوس» أو بعدها بقليل جاء يسوع إلى نهر الأردن لِيُعَمَّد على يديه. وهذا القرار الذي اتخذه رجل «يقرب من سن الثلاثين» شاهد على أن المسيح قد آمن بتعاليم يوحنا، وأن تعاليمه هو لن تفترق في جوهرها عن تلك التعاليم. أما أساليبه، وأخلاقه فكانت تختلف عن أمثالها عند يوحنا: فهو لم يعمد

أحداً، ولم يعش في البيداء، بل عاش العالم. ولم ينقض على هذا اللقاء بين عيسى ويوحنا إلا قليل من الوقت حتى أمر هيرودس أنتياس «صاحب المدن الأربع» في الجليل بسجن يوحنا. وتقول الأناجيل إن سبب القبض على يوحنا هو انتقاد هيرودس لأنه طلق زوجته، وتزوج هيروديا وهي لا تزال زوجة لفليب أخيه غير الشقيق. أما يوسفوس فيقول إن سبب القبض عليه هو خوف هيرودس أن يكون يوحنا يستتر بستار الإصلاح الديني ليثير القلاقل السياسية في البلاد. ويروي مرقص ومتى في هذا المجال قصة سالوم ابنة هورديا، التي فتنت هيرودس برقصها أمامه حتى عرض عليها أن يقدم لها أية مكافأة تطلبها. ويقولون إنها طلبت إليه رأس يوحنا، بتحريض من أمها، وإن الحاكم أجابها وهو كاره إلى طلبها. وليس في الأناجيل شيء عن حب سالوم ليوحنا، وليس في يوسفوس ما يشير إلى أنها كانت لها يد في موته.

عقيدة المعمودية

أطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بالمعمودية، وصفتها عندهم:

أن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو التائب منهم، تتقدم «القسس» منه، فيمنعونه من اللحم، والخمر أياماً، ثم يعلمونه اعتقادهم وإيمانهم، فإذا تعلم ذلك اجتمع له القسيسون، فتكلم بعقيدة إيمانهم، أمامهم، ثم يغطسونه في ماء، يغمره. وقد اختلفوا. هل يغطسونه مرة واحدة، أو مرتين، أو ثلاثاً؟ فإذا هو خرج من ذلك الماء، دعى له الأسقف بالبركة، ووضع يده على رأسه.

هكذا كانت صفة معموديتهم قديماً في «الأندلس». وأما اليوم فلعلهم قد غيروا بعض أحكامها وممارستها. وربما اختلفوا في بعض تلك الأحوال. وأيا كانت أشكال التعميد فهو عندهم عبادة مؤكدة، وقاعدة ممهدة. ومن لم يقبلها عندهم فهو كافر، وليس له من ذنوبه غافر.

وفي ذلك يقول الإمام القرطبي وهو من أبرز علماء الإسلام الذين ردوا على مفتريات علماء اللاهوت الذين كتبوا ضد عقيدة الإسلام مثل ذلك الذي ألف كتابه «تثليث الوحدانية» وبعث به إلى الإمام القرطبي من طليطلة إلى قرطبة عام ٦٨٤هـ «وقد كتب الأسقف (ليون) إلى أساقفة (صقلية) رسالة ذكر لهم فيها أمر المعمودية»، وفضيلتها. فقال: «المعمودية: هي إماتة الذنوب وقتلها. وتأويل الغطسات الثلاث: بالفترة التي مكثها

المسيح في قبره ثلاثة أيام، والخروج عن الماء هو الخروج عن القبر» ا.هـ[١].

ومنهم من تأول في هذه الغطسات الثلاث: أنه التثليث الذي يعتقدون.

وهذا التعميد لم يجر له في العهد القديم ذكر، ولم يشرعه الله قط لموسى، لكن كتب النصارى في الإنجيل تقول: إن يحيى عمد عيسى بوادي الأردن، فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء. وزعمت النصارى أيضاً: أن عيسى قال للحواريين: «إذا مررتم بالأجناس، فعمدوهم على اسم الآب والابن والروح القدس» وزعموا أن «بيطر» عمد ثلاثة آلاف رجل في يوم «نيقشتان».

وهذه المسألة عندهم ظاهرة المستند، قوية المعتمد. فإنهم قد أسندوا نقلها إلى الأنبياء والحواريين. ولكنا مع ذلك نطالبهم في مطالبات تؤذن بأنهم يرجعون إلى الترهات. فنقول: سلمنا لكم جدلاً ما ذكرتم من استناد المعمودية إلى ما ذكرتم. لكن لم قلتم كما فعلها يحيى والحواريون نفعلها نحن؟ ولعل الله تعالى خص يحيى والحواريين بعمل المعمودية، ولم يشرعها لغيرهم. فإن ادعوا أن الله شرعها لهم كما شرعها للحواريين طالبناهم بالنص من كتبهم الذي به يجب على من دون الحواريين التعميد، ولا يجدون شيئا من ذلك أبداً.

ثم نقول: لعل الحواريين، ويحيى، إنما عمدوا الناس لأن ماءهم كان مقدساً، ودعاءهم متقبلاً، لكون يحيى نبياً، والحواريون كذلك عندكم. وأما أنتم فلستم أنبياء. وليس ماؤكم مقدساً فلستم مثلهم، فكان ينبغي لكم ألا تعمدوا أحداً. لكنكم وضعتم لأنفسكم شرعاً بالتوهم، وزدتم فيه أموراً بالتحكم. ثم نقول: سلمنا جدلاً: إن المعمودية شرع لكم. فمن أين زدتم فيها العدد، ووضع اليد على الرأس، والنفخ في الوجه كما فعله بعض من

(١) القرطبي: الإعلام بما بين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا صفحة ٤٠٣.

مضى منكم، ولم تكفرون من لا يستعملها؟ ولم ينزل بشيء من ذلك سلطان، ولا حكم بذلك إنجيل ولا فرقان. لولا محض التلاعب بالأديان، والتحكم في دين الله والخذلان.

ثم نقول: هذا الماء الذي تعمدون فيه. أهو مقدس، أم غير مقدس؟ فإن كان مقدساً فمن قدسه؟ فإن قلتم: إن الله قدسه. فمن أين علمتم ذلك؟ ثم إن قلتم ذلك عورضتم بنقيضه. وقيل لكم: بل نجسه الله. وإن قلتم: نحن قدسناه. قلنا: فمن أنتم حتى تقدسوا شيئاً؟ وهل يصلح أن يقدس من ليس بمقدس، أو يطهر من ليس بمطهر؟ بل أنتم مذنبون، تتزايد ذنوبكم في كل وقت وحين. فكيف تقدسون غيركم، وأنتم لا تقدسون أنفسكم؟.

فحصل من هذا: أن ماءكم الذي تعمدون فيه غير مقدس. وإذا كان كذلك فلأي شرط تشترطون في المعمودية أن تكون بالماء؟ وهلا عمدتم في البول فإنه ليس بنجاسة عندكم، ولا فرق بينه وبين الماء إذ كل واحد منهما ليس بمقدس؟

ثم نقول: زعم النصارى أجمعهم، وكتبوا في كتبهم: أن يحيى عمد عيسى المسيح بوادي الأردن.

فنقول لهم: هل كان عيسى عليه السلام قبل أن يعمده يحيى مقدسا أم لم يكن؟ فإن قلتم: إنه كان مقدسا فلا فائدة لفعل يحيى. ولأي شيء لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد؟ وأنتم تقولون: أنه لما عمده نزل عليه الروح القدس مثل حمامة بيضاء. وإن كان غير مقدس فكيف يكون من ليس بمقدس إلها، أو ابن اله؟ وأنتم تزعمون على اختلاف أقوالكم، إنه اتحد بناسوته اللاهوت، وهو في بطن أمه. وكيف يتحد اللاهوت بمن ليس بمقدس؟ وهل هذا كله منكم إلا هذيان، وضرب من الخذلان. تمجه القلوب والآذان.

وعلى درب العقائد والنسك التي يفيض بها التراث اللاهوتي المسيحي تطالعنا مسألة غفران الأساقفة أو القسس ذنوب المذنبين، في

ضوء ما اخترعوه من إمكان كفارة خطايا وذنوب العاصين، وهذه العقائد وضعها القوم لأنفسهم قوانين، توافقوا عليها، وارتبطوا لها، من غير أن يشهد بصحة تلك القوانين شاهد من توراة، ولا من إنجيل. فمن خالفها عندهم. سموه خارجياً، تارة، وكافراً أخرى. والخروج عن تلك القوانين هو الذنب عندهم. ثم تلك الذنوب منقسمة إلى ما لا يغفرونه، وإلى ما يغفرونه. فإذا أذنب واحد منهم، أدخلوه الكنيسة، وقبلوا قربانه، وإذا لم يغفروا له، أبعدوه عن كنائسهم وطردوه، وهولوا عليه، ولم يقبلوا برهانه. ولابد للذنب المغفور من كفارة. وتلك الكفارة، بحسب ما يظهر من العاصي ويرونه موافقاً لغرضهم. فتارة يوجبون عليه خدمة الكنيسة، وتارة لا يدخلها بل يقف عندها متذللاً. وربما يبقى على ذلك أعواماً عديدة. وتارة يوجبون عليه مالاً. إما لملكهم، وإما لهم ولكنائسهم.

يقول الإمام القرطبي: ولابد من بيان ذلك بالأمثلة على ما وجدنا في كتبهم. ولنذكر من كل مسألة مثالاً لئلا يطول الكتاب. وإنما أنقل ألفاظهم من كتبهم لئلا يتقول متقول علينا بالباطل، أو يظن بنا الجهل بمذهبهم، أو ينسبونا إلى الكذب في شيء، مما حكيناه عنهم، فمثلاً عندهم أن العابثين بالصبيان لا يغفرون لهم بوجه، ولا يعطونهم قرباناً أبداً. ولا عند وفاتهم. على هذا أجمع أساقفة «طليطلة» في ولاية «إيفة الملك» وقالوا: دعتنا هذه الفاحشة المنتنة أن يحكم بأجمعنا: أن كل من أتى هذه الفاحشة أن يفعل به عقاب. فإن كان راكب هذه الفاحشة «أسقفا» فليعزل، ويبعد إبعاداً شديداً دائماً. وإن كان من غيرهم فلينكل به نكالاً شديداً، ويضرب الفاعل والمفعول: مائة سوط، وينفيان النفي الدائم، ولا يعطيهم أحد من «القسس» توبة. ومن أعطاها لهم، وتقبل قربانهم عزل وأبعد، ولم يعط هو أيضاً توبة، وأغرموه مبلغاً من المال.

وكان هذا قانونهم الأول القديم، ولعلهم أحدثوا على مر التاريخ أحداثاً بدلوا فيها وعدلوا. إذ الإحداث عنهم في كل زمان. ومن البدع والإحداث في دين النصارى نكاح ذوي القرابة وذلك أن نكاحهم حرام

بنص العهد القديم. كما زعموا: «فإن نكح رجل قريبته إلى سبع بطون. فإن أصر على ذلك، فلا يغفر له. ولا يعطى قرباناً، وإن مات. وإن أقلع عنها حرم القربان خمسة عشر سنة» وكلفوا أعداداً من الصلوات، ومن العبادات، وربما زادوا عليه خمساً، فكملوا له عشرين سنة. وربما بلغه بعضهم خمساً وعشرين. وذلك بحسب سنه عندهم. فإذا كان بعد ذلك قبلوا توبته وأعطوه القربان. وأما المرأة فقد أبوا أن يعطوها القربان إلا عند وفاتها. كذلك فإن من تشريعاتهم أن الذي يأتي البهيمة فإن كان له زوجة لم يعط القربان إلا بعد ثلاثين سنة، وإن لم تكن له زوجة فبعد خمس وعشرين سنة قد يعطى القربان.

ومثال ما يغرمون فيه الأموال:

من تزوج من غير بركة «القسيس» فإنه يغرم للملك أو الكنيسة مبلغا من المال، وكان في العهد القديم يضرب الزوجان مائة سوط.

وقد حكموا على قاتل عبده: بحرمان القربان سنتين، وعلى قاتل العمد غير عبد، بحرمان القربان، وبخضوعه عند الكنيسة إلى آخر وفاته.

وأما قاتل الخطأ فقانونهم الأول: يقضي بأن يحرم القربان سبع سنين، والقانون الثاني: يقضي بأن يحرم خمس سنين.

وعلى الجملة: فإن من اطلع على كتب فقههم، رأى فيها غرائب وعجائب. ومقصودنا التمثيل بضرب أمثلة ونماذج للتدليل لا للحصر.

ومن وقف على هذه المواضع وأمثالها لم يشك في أن القوم يصنعون أحكاما، ويخترعونها، ويلتزمونها. ولسنا ننكر أن الشرائع لو جاءت بمثل هذه الكفارات والتحكمات لقبلناها والتزمناها.

وإنما ننكر عليهم: أن يجعلوا أنفسهم شارعين، وينزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين. فإنه إنما ينبغي الحكم والتحكم له. إذ له أن يفعل ما يريد، ويحكم ما يشاء في العبيد. وأما الأنبياء فلا يحكمون من عند أنفسهم. وإنما

يبلغون أحكام الله. ثم أعجب من ذلك جرأتهم على الله، واستهزاؤهم بكتاب الله. فإن هذه الذنوب التي قدمت ذكرها، قد شرع الله أحكامها في التوراة نصوصا، وبين حدودها، فجعل في أكثر تلك المواضع: القتل، ولم يحكم فيها بشيء مما اخترعوه، وليس في إنجيلهم أيضاً من هذه الأحكام شيء. وعند هذا تبين أنهم خالفوا كتب الله، وتركوا سنة رسل الله، وتحكموا في ذلك بأهوائهم، وتركوا سنن أنبيائهم فحقت عليهم لعنة الله أبد الآبدين، وغضبه إلى يوم الدين.

فإن قالوا: تلك الأحكام التي في التوراة منسوخة بكتابنا، وعلى لسان مسيحنا. قلنا لهم: ﴿. . . قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] بل نقول: إن عيسى عليه السلام جاء متمماً لأحكام التوراة، ولم يجيء مغيراً لأحكامها، ولا ناقضاً لها، وكذلك نقلتم في إنجيلكم أن عيسى قال: «انما جئت متمماً، ولم آت لأنقض شريعة من قبلي»[2].

وهذا خلاف ما تدعونه من النسخ، بل يقتضي هذا بحكم ظاهره: أنه لا ينسخ شريعة من قبله، وإنما يوضحها، ويحيى ما أميت منها. ثم لا يستبعد أن يكون قد تم نسخ بعض أحكام كتب العهد القديم، وغاية ما يوجد له من النسخ قوله: «وقيل[3]: من فارق امرأته فليكتب له كتاب طلاق. وأنا أقول: من فارق امرأته منكم، فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنا. ومن تزوج مطلقة فهو فاسق».

ثم قال: «بلغكم أنه قيل: العين بالعين، والسن بالسن. وأنا أقول لكم: لا تكافئوا أحداً بسيئة. ولكن من لطم خدك الأيمن، فأعطه الآخر.

(١) البقرة: ١١١.
(٢) إنجيل متى: ١٧:٥.
(٣) وقيل: أي للقدماء.. وكلمة «فاسق» في النص بدلها «زان» والنص في إنجيل متى: ٥: ٣١ - ٣٢.

ومن أراد نزع قميصك فزده رداءك»[١].

فمثل هذا يمكن أن يقال فيه: إنه نسخ[٢]. وإذا بحث عن كتابكم كما يجب لم يوجد فيه نص من هذا على النسخ، فمن ادعى منكم أن شيئاً مما ذكر في التوراة تحريمه منسوخ، فليأت بناسخ يشبه هذا القول. فإن لم تأتوا بشيء من ذلك، دل على أنكم متحكمون هنالك. وهذا السؤال يطرح نفسه أمام علماء اللاهوت وهو أنه يمكن أن يقال لهم: لأي معنى حرمتم من نكح قريبته خمساً وعشرين سنة من القربان وحرمتموه من نكح بهيمة ثلاثين سنة؟ ولو عكستم ذلك كان أشبه، فإن نكاح الآدمية القريبة أشفع من حيث أنها محرمة، من نكاح بهيمة لا احترام لها. وكذلك تعكس عليهم كل ما ذكروه حتى يتبين فساد قولهم.

ونقول لهم أيضاً: لأي معنى لم تجعلوا مكان الثلاثين: ثمانية وعشرين، أو اثنتين وثلاثين؟ ولأي معنى خصصتم هذا العدد دون غيره؟ وعند هذا يتبين بطلان حكمهم، وفساد رأيهم. وكذلك نقول: لأي معنى شرعتم في العابث: مائة سوط. ولم تشرعوه فيمن نكج قريبته؟ مع أن العهد القديم أمر بقتل كل واحد منهما. فكان ينبغي أن تسووا في الحكم بينهما. فإما أن تضربوا كل واحد منهما مائة سوط، أو لا تضربوهما. فظهر من هذا أنكم تركتم حكم الأصل الذي تعتمدون عليه، ثم لم تعدلوا فيما تحكمتم به، ثم إنكم سهلتم الفواحش على أنفسكم، وصعبتموها على غيركم فحكمتم على «الأسقف» الذي يعبث بصبي بأن يبعد فقط، وعلى غيرهم بأن يبعدوا، وينكلوا، ويجلدوا، إذا فعلوا تلك الفاحشة، ولو عكستم ذلك

(١) إنجيل متى: ٥: ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) ليس هذا من قبيل النسخ. وإنما المسيح يقصد النصح والارشاد. بدليل إنه أكد أكثر من مرة على عدم نسخه شريعة موسى. ومن قوله: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه» (متى: ٢٣: ٢ ـ ٣).

لكان أشبه. فإن التغليظ على «القسس» مناسب لحالهم. فإن المعاصي تقبح في حقهم، أكثر مما تقبح في غيرهم. فإن من كلام النبوة: «إن من أشد الناس عذاباً: عالم، لم ينفعه الله بعلمه» ومن كلام الحكماء: «حسنات الأبرار، سيئات المقربين».

لكن الكهانة تريد أن تقول للعوام: إن غفراننا لكم غفران الله. وحرماننا لكم: حرمان الله. فإذا أعطينا نحن القربان، فقد قبله الله. وإذا لم نعطه لم يقبله الله. وإذا غفرنا نحن الذنب، فقد غفره الله. فإن غركم الشيطان ـ وقد فعل ـ بأن تقولوا: إن لنا لأجل القسيسية منزلة وحظوة، فاتركوا العمل بشريعتكم لأجل مالكم عند الله من الفضل، ولا تحرموا على أنفسكم شيئاً من الفواحش. وقد سمعنا هذا النوع عن بعض «قسس أرغون» فعليهم لعنة الله، ولعنة اللاعنين. ثم نقول لهم: يامعشر الأساقفة والقسيسين المتحكمين: من أنتم حتى تكونوا شارعين؟ أأنتم عقاب رب العالمين؟ أحصلتم على رضاه أجمعين؟ بل ينبغي أن تتحققوا: أنكم في العذاب خالدون، حيث كفرتم برسالة سيد المرسلين مع ما دلت عليها من الشواهد والبراهين. فلقد صدق الله، وهو أصدق القائلين، حيث قال مخبراً عن الأحبار والقسيسين: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

(١) البقرة: ١١١.

اليهود والمسيح وحادثة الصلب

الحديث عن واقعة الصلب التي قصّتها الأناجيل تصور السيد المسيح وكأنه «خيال» يتوهمه الناس ولا يعرفونه، كما أن معظم الروايات تصور المسيح وكأنه «لعنة» سماوية تطارد بعض الخلق، الجميع يهرب منه، الجميع لا يعرفه أيضاً، أعداؤه المتربصون به، لا يعرفونه من بين الناس جميعاً فضلاً عن تلاميذه وخاصته، ومن هنا فإن الروايات التي تناولت موضوع «صلب المسيح» تناولته وهو أشبه بزعيم لجماعة، يعيش بين أعدائه ويتخفى عنهم، ولذا فإنهم يحتاجون إلى من يدلهم عليه، ويعرفهم به. وهذا الإسقاط من جانب رواة الأناجيل يتنافى بل ويتصادم مع ما ذكرته الأناجيل وكررته كثيراً وفي غير موضع، من: (أن المسيح نشأ بين أظهر اليهود وتردد معهم في مواسمهم وأعيادهم، وزاحمهم في مجامع قراراتهم، يعرفونه ويعرفون أمه وسبطه، وأنه حين بهرهم في علم التوراة والنبوات كان يعلم عندهم في الهيكل بأورشليم، ويناظر أحبارهم، فيبهتهم بحسن التعليم فيقولون: أليس هذا ابن يوسف؟! أليس أمه مريم؟! أليس أخواته عندنا؟! فمن أين له هذه الحكمة؟!)[1].

وإذا كان اليهود عارفين بعينه واسمه ونسبه فما حاجتهم إلى أن اكتروا رجلاً من تلاميذه بالأجرة حتى عرّفهم بشخصه لولا وقوع الشبه الذي نقول به.

---

(١) متى الإصحاح (٤) مرقص الإصحاح (١) لوقا الإصحاح (٢) يوحنا الإصحاح (٢).

على أن المفعول به ذلك غير المسيح وأنه كان قد شبّه لهم وهو قول نقلة الأناجيل: (أما رئيس الكهنة ـ فقد أقسم على المأخوذ بالله الحي: أأنت المسيح ابن الله الحي؟ فقال له: أنت قلت)[١]، ولم يجبه بأنه هو المسيح، فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له: نعم، ولم يستجز أن يُورِي في الجواب وهو يحلف بالله الحي، وهذا دليل على أنه غير المسيح، ثم إن المسيح إنما جاء لبث الحقّ ونشر الصدق فكيف تجشّم لشيء ثم يكتمه؟!

والمعهود من الأنبياء والمرسلين فضلاً عما يوصف به السيد المسيح عند الأناجيل وكتّابها من أوصاف ونعوت تفوق بزعمهم درجة الأنبياء والمرسلين.

(١) متى ٢٦/ ٦٣.

إجراءات الصلب وكيفية وقوعه

بعد أن تعرضنا للدواعي والمبررات التي يقول بها شرّاح اللاهوت الإنجيلي عن مقتضيات صلب السيد المسيح، وبعد أن بينا تهافتها واضطراب رواتها وتناقضهم، فضلاً عن فساد مقالتهم في الصلب ودواعيه، نطالع هنا الأسباب والعوامل التي أسهمت في تشكيل الموقف المعادي للسيد المسيح من قبل اليهود، وتآمرهم مع السلطة المدنية الرومانية التي صدقت المؤامرة بأن المسيح هو ملك اليهود، كذلك بعد أن ألقينا الضوء على الموقف السلبي الذي يقصه كتّاب الأناجيل عن الاثني عشر قبل الصلب وبعده، فالنصوص الدالة على أنه (المسيح) حددها لهم الشخص الخائن منهم الذي دلهم عليه، وأشار إليهم، وإليه محدداً شخص المسيح أمام تلاميذه، والجند الذين جاؤوا للقبض عليه، ومع ذلك أسلموه.

وخيوط المؤامرة وإجراءات الصلب التي تتحدث عنها الأناجيل فيها البرهان القاطع على أن عملية صلب المسيح (عيسى بن مريم) وقتله على الصليب مؤامرة لم تحبك بشكل جيد. وبادئ ذي بدء فإنه من نافلة القول أن نؤكد هنا ما سبق أن كرره علماء ثقات من أهل العقائد، بينهم مسلمون ومنهم علماء لاهوت، من أن المسيح لما مثل أمام هيرودوس سأله عما سأله عنه بيلاطوس، وحكم عليه بالبراءة، كما حكم عليه بيلاطوس. ففي إنجيل لوقا: (فدعا بيلاطوس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قدمتم إلي هذا الإنسان كمن يفسد الشعب. وهاأنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه. ولا هيرودوس أيضاً. لأني

أرسلتكم إليه. وها لا شيء يستحق الموت صنع منه) «لوقا ٢٢/١٣ ـ ١٥».

وفي الإنجيل: أن اليهود أصروا على أن يقتله الوالي، وإلا فإنهم يتوجهون إلى قيصر الرومان نفسه في «روما» ويطلبون عزله. ولهذا التهديد أقدم الوالي على قتله. وهذا مستبعد من الوالي، لثبوت براءته في نظره من أذيته، ولما برأه، منع اليهود من أذيته، وتركه يسيح في الأرض، وآواه الله إلى ربوة ذات قرار ومعين، هذا محتمل عقلاً من مطالعة السياق العام لإجراءات القبض عليه. ومن المحتمل: أن الوالي لما قدم على قتله بناء على إصرار اليهود، ألقى الله شبهه على «يهوذا الإسخريوطي» فقتل مكانه وصلب، وهذا الاحتمال للجمع بين رواية برنابا ورواية كتّاب الأناجيل. ومن المحتمل أيضاً: أن لا تكون المحاكمة قد حدثت للمسيح كما روى برنابا.

وعلى المكتوب في الأناجيل الأربعة فإن الذي يهمنا بيانه في هذه المحاكمة: هو أن عيسى ـ عليه السلام ـ سألوه فيها هل هو المسيح المنتظر الذي أخبر عن مجيئه موسى مماثلاً له، والذي لقبه دانيال بابن الإنسان، ولقبه داود بلقب ابن الله، أم ليس هو؟ وأجاب بلا، وقال لهم: إنه سيأتي من بعدي.

ففي إنجيل متى: (أجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي، أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت. وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء) «متى ٢٦/٦٣ ـ ٦٤» كناية عن سرعة مجيئه مؤيداً بنصر الله وعونه.

وهنا نجد أنفسنا أما سؤال يطرح نفسه هو: ما الذي دفع اليهود العبرانيين إلى التفكير في قتل عيسى عليه السلام؟ إذا وضع في الاعتبار أنه إذا كان يبشر بمجيء المسيا، فإن اليهود كلهم يترقبون مجيئه، ولا يمكن أن يكون سبباً مؤدياً إلى التفكير في قتله، وإذا كانت التهمة الموجهة إليه أنه

يجدف على الله، زاعماً أنه ابنه، ابناً طبيعياً، أو أنه هو الله نفسه، فإنه دافع عن نفسه كثيراً، وصرح بأنه عبد لله كسائر العبيد ونبي كسائر الأنبياء، وبشر كسائر البشر، وكان ذلك أمام جمع كبير من اليهود، وفي أقدس مكان لديهم، وهو الهيكل، وكلمات الأناجيل ورواياتها المختلفة تؤكد بشريته.

ومن كلماته لليهود: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً، الذي يشهد لي هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق، أنتم أرسلتم إلى يوحنا «المعمدان» فشهد للحق، وأنا لا أقبل شهادة من إنسان، ولكني أقول هذا: لتخلصوا أنتم كان هو السراج المنير الموقد وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة، وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا، لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها. هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب «الله» قد أرسلني.

والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم، لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به، فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي، ولا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة. ثم يسترسل كما تقول الأناجيل ويقول:

مجداً من الناس لست أقبل، ولكني قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله في أنفسكم. أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن آتي آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه.كيف تقدرون أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟ لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى، لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك، فكيف تصدقون كلامي)» يوحنا ٥/ ٣١ _ ٤٧».

وهنا فإن جوانب من السؤال لازالت تطرح نفسها، ما هو السبب إذاً

في التفكير في قتله، إذا هو لم يأت بجديد عما ألفوه؟ هل هو تنبؤه بأن المسيا لن يكون من نسل داود عليه السلام كما كان يتوقع يهود أورشليم الذين بعث فيهم، وإنما سيكون من بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأن الملك من اليهود سيزول حتماً على يديه، وسوف يكون ذلك قريبا؟.

والذي يرجح هذا الرأي هو ما تم في هذه المحاكمة بعد أن أجمعت الأناجيل على أن تلميذاً خائناً يدعى «يهوذا الإسخريوطي» من تلاميذ عيسى ائتمر مع اليهود على أن يدلهم عليه في مقابل ثلاثين من الفضة. وقد أخذ الثلاثين من الفضة وانطلق ليلاً بصحبة جمع كثير، معهم سيوف وعصى ومشاعل، ومصابيح من عند رؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب، وذهبوا إلى «وادي قدرون» حيث كان بستان مجتمع فيه عيسى مع تلاميذه.

والذين أمسكوا بيسوع مضوا به إلى «قيافا» رئيس الكهنة كما يذكر ذلك متى، وتمت محاكمة المسيح محاكمة دينية، ثم حوكم ثانية محاكمة مدنية في دار القضاء عند بيلاطس الوالي على «أورشليم» من قبل الدولة الرومانية، وبعده عند «هيرودس».

وفي المحاكمة الدينية والمدنية، سئل عيسى ـ عليه السلام ـ عما إذا كان هو المسيا المنتظر، أم ليس هو؟ كما سئل هل هو «ابن الله»؟ أي هل هو المسيح الذي تنبأ عنه داود في المزمور الثاني بلقب «ابن الله»؟ وأجاب عيسى ـ عليه السلام ـ: بأنه ليس هو ابن الله، الذي هو المسيا. يقول متى هنري في تفسير إنجيل لوقا: (لقد سألوه: هل أنت «المسيح»؟ وكان المعتقد بصفة عامة بين أتباعه أنه هو المسيح، لكنهم لم يسمعوا منه أنه قال هذا بنفسه. ومن هنا يتضح أن الكنيسة اليهودية كانت تؤمن بأن المسيا، يجب أن يكون ابن الله وابن الإنسان، كما يذهب إلى ذلك متى هنري في تفسيره لإنجيل لوقا ج٣ ص٢٠٣.

إن هذا المفسر الإنجيلي يقول: إن المسيا لم يظهر من قبل عيسى عليه السلام ويقول إن من ألقاب المسيا: لقب «ابن الله» و«ابن الإنسان».

ويقول إن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يقل بنفسه حتى ساعة المحاكمة بأنه هو المسيا أي «المسيح». وفي المحاكمة الدينية التي أجريت بواسطة الكهنة اليهود نلاحظ أنه قد جاء السؤال الأول في شكل ادعاء أو توجيه تهمة إذ كما يذكر متى ومرقص فقد تقدم شاهدا زور وقالا: إنك قلت إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه لكن عيسى عليه السلام كما تقول الرواية التي ذكرها متى صمت، أما السؤال الثاني فقد جاء عن طريق رئيس الكهنة «قيافا» الذي قال للمسيح: (أسألك بصفتي رئيساً للكهنة عن تلاميذك وعن تعليمك فماذا تقول؟) ويرد عليه المسيح ويقول: (أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً وفي الخفاء لم أتكلم بشيء. لماذا تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم؟ هؤلاء يعرفون ماذا قلت لهم؟.

والجدير ذكره هنا في هذا المشهد أن السؤال والإجابة الواردتين جاءا عند يوحنا فقط، واللافت للنظر أن السؤال الثالث جاء على الوجه التالي: (استحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟) كما هو عند متى. وعلينا جميعاً أن نلاحظ أنهم يسألون عن المسيح المنتظر الذي هو المسيا، وفي ترجمة الكاثوليك: (أأنت المسيح ابن الله المبارك)

كما جاء عند لوقا: (إن كنت أنت المسيح فقل لنا) وعلى ضوء رواية متى يرد المسيح بقوله: (أنت قلت)، أما مرقص فقد روى عن هذا المشهد وذلك السؤال أن المسيح قال: (أنا هو): (إن قلت لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني) هذا ما جاء عند لوقا لكن الملاحظ هنا: أن رئيس الكهنة لم يعترض على صمت المسيح في السؤال الأول، ولم يظهر غيظاً ولا حنقاً، كما يلاحظ أيضاً: أن السؤال الثالث هو عين السؤال الأول وهو الذي كان يهمهم أن يعرفوا إجابة المسيح عنه.

ولأن يوحنا ذكر في معرض سؤال بيلاطس أمام السلطة المدنية هذا السؤال: هل أنت المسيح المنتظر أم لا؟، متى يذكر أن المسيح نفى كونه

المسيح المنتظر، ورد على «قيافا» رئيس الكهنة بتلك الإجابة الغامضة: أنت قلت. أي أنت قلت: إنني المسيح ابن الله، أما أنا فلم أقل إنني المسيح ابن الله «أي لست المسيا».

وفي رواية لوقا نجد أنه لم يعترف بأنه هو المسيح المنتظر لا بالتلميح ولا بالتصريح، وذلك لقوله فيما نسبوا إليه: إن قلت أنا هو، أو لست أنا هو لا تصدقون. وإن سألت قائلاً لماذا تسجنونني؟ لا تجيبونني ولا تطلقونني.

لكن رواية يوحنا تؤكد كلام متى ولوقا في أنه أجاب بصراحة مطلقة، واعترف اعترافاً حسناً أمام السلطة المدنية بأنه ليس ملكاً. وبالتالي ليس هو المسيا المنتظر فقد قال: (مملكتي ليست من هذا العالم) ١٨/ ٣٦.

ورواية مرقس فيها أن المسيح أجاب: (أنا هو) وتفسر على أنه آتٍ باسمي ودعوته دعوتي، فكأني أنا هو، أو هو أنا من باب التوقير والاحترام. وإن لم يسلم النصارى بهذا التأويل والترجيح يلزمهم مزيد من تناقض الأناجيل واضطرابها، فهنا رواية الثلاثة أقوى من الواحد. وهي لم تتناقض ولم تضطرب في رواية حادثة ما تناقضت واضطربت في رواية تفاصيل المحاكمة التي أدت إلى الصلب والقتل الذي قالوا به.

وفي ضوء تلك المشاهد والمواقف والإجراءات لم يحقق اليهود غرضهم في إدانة عيسى عليه السلام، لا بالأقوال التي اتهمته بنقض الهيكل، ولا بالأقوال التي شاعت عنه بأنه المسيا.

إن رئيس الكهنة كان يجب أن يكون عالماً من نبوءة المزمور الثاني، ونبوءة المزمور المائة والعاشر، وما في سفر دانيال عن ملكوت السماوات أن أوصاف الكتب لا تنطبق عليها كما أنه لم يعترف لا صراحة ولا ضمناً بأنه هو.

وهذا هو نص المزمور الثاني الذي فيه الحديث عن المسيا بلقب «ابن الله»:

يقول داود ـ عليه السلام ـ: (٧. إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك، ٨ اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك، ٩. تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم، ١٠. فالآن أيها الملوك تعقلوا، تأدبوا ياقضاة الأرض، ١١. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة،١٢. قبلوا الابن لئلا يغضب، فتبيدوا من الطريق، لأنه عن قليل يتقد غضبه) هذا هو ما جاء في المزمور٣/ ١٢.٧ ويعلق عليه بعض علماء الكاثوليك بقولهم: (هذا المزمور الأول غفل من العنوان. لكن لا خلاف فيما يقولون أن مصنفه هو داود وإليه نسب في أعمال الرسل) «٢٥: ٤» أما موضوعه فهو أن الشعب وملوكهم إنما يقاومون الرب ومسيحه سدىً «٣: ١» وأن الرب يسخر منهم «٤» وسيروعهم بغضبه «٥» وان ملكهم هو المسيح «٦» وهو ابن الله المولود في الأزلية «٧»، وقد أقامه الله ملكاً على جميع الشعوب، وسيحطم المقاومين بين يديه «٩: ٨» إذن فليخضع لملكه جميع الملوك مع شعوبهم «١٣: ١٠» والمراد بالرب هنا: الآب. وبالسيد: الابن كما في المزمور ١١٠ الذي هو في معنى هذا المزمور «١٢» قبلوا الابن كانت عادتهم أن يقبلوا الملك تعظيماً له كما نفعل نحن بتقبيلنا الأشياء المقدسة) أ.هـ

هذا هو نص المزمور الثاني، وهذا نص تعليق الكاثوليك عليه. ورئيس الكهنة يسأل عيسى عليه السلام ساعة المحاكمة هل هو ابن الله الذي تحدث عنه هذا المزمور أم لا؟ وكانت إجابة المسيح بالنفي قطعاً، وإن لم يجب فحاله تنبئ عن النفي قطعاً، لأنه لم يحطم المقاومين بين يديه. فإن معنى الكلام: هو أن داود عليه السلام يخبر بأن مؤامرات ستقوم ضد المسيح من ملوك الأرض ورؤسائها لإهلاكه، والله عز وجل بقدرته سيحبط هذه المؤامرات وسينصر هذا المسيح ويثبت مملكته؟إلى الأبد. مملكته التي ستمتد إلى أقاصي الأرض، وتشمل جميع الأمم ميراثاً دائماً إلى يوم القيامة، ومن يقف في وجه هذا المسيح ومن لا يتقبل دعوته بفرح. سوف يباد من الطريق. والسؤال الذي لا بد منه هنا أين من هذه الأوصاف

كلها عيسى ـ عليه السلام ـ يكفي لاضطرابهم وتناقضهم وتكاذبهم أن يعترفوا بصلبه وقتله. وهذا الاعتراف وحده كافٍ في أن يبعد عيسى ـ عليه السلام ـ عن هذه الأوصاف التي نسبت إلى داود في المزامير. لأن هذه الأوصاف تثبت نجاته من جميع المؤامرات. وهم يثبتون بالتحريف والوضع والدس بأنه لم ينجُ وهذا منتهى التناقض في روايات الكتاب المقدس عن السيد المسيح. وإذا جاز أن تتوجه هذه الأوصاف إلى نبي فلن يكون غير النبي محمد نبي الإسلام ـ ﷺ ـ فقد تآمر عليه الكفار المشركون واليهود والفرس والروم، وأحبط الله مؤامراتهم وامتد سلطانه من الجزيرة العربية إلى بلاد فارس وبلاد الروم، وعظُم نفوذه في أقاصي الأرض. ومعه شريعة هادية باقية إلى يوم القيامة.

ومعنى هذا التحليل: أن المسيح المنتظر الذي بشرت به النبوءات لن يكون من نسل داود كما يزعم اليهود العبرانيون، لأن داود نفسه لما أشار إليه بظهر الغيب ناداه بسيده، وكيف يكون ابنه سيده؟ لأن الآب كما تقضي الفطرة هو الذي يكون سيداً لابنه.

إذن الآتي الذي بشرت به الكتب من غير بيت داود، وهذا هو ما أقلق اليهود وأزعجهم لأن الحديث كان غير موافق لاعتقادهم وهواهم.

وبناءً على هذا لم تكن التهمة الموجهة إلى عيسى عليه السلام أنه جدّف على الله، أو أنه أخبر بقرب مجيء المسيح المنتظر، أو أنه زعم أنه هو المسيح، فقد طالعتنا النصوص التي عرضناها من المزامير التي يؤمنون بها ببراءة عيسى من هذا كله. وإنما التهمة الموجهة إليه والتي جعلت اليهود يخططون لقتله من قبل ذلك مراراً واجتمعوا ليصطادوه بكلمة. هي قوله أن المسيح المنتظر ليس من نسل داود ـ عليه السلام ـ خلافاً لاعتقادهم ـ وأن الملك والنبوة سيزولان منهم إلى الأبد.

إجراءات المحاكمة المتعلقة بالصلب

تطالعنا الأناجيل الأربعة أن المحاكمة المدنية التي تمت بعد المحاكمة الدينية كانت تمهيداً إيجابياً لتلفيق التهم ضد المسيح، وللشروع في صلبه وقتله، لكنهم اختلفوا هل حاكمه بيلاطس فقط، أم بيلاطس وهيرودس؟ وهل حاكمه بيلاطس مرة واحدة أم مرتين؟ وفي ذلك من الاضطراب والتكاذب ما فيه. وحول إجراءات المحاكمة المدنية يطالعنا متى بإجراءات ومحاورات تشبه المحاكمة الدينية. يقول متى في الإصحاح٢٧/ ١ : (ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس النبطي الوالي) أما مرقص في الإصحاح١٥/ ١ فيقول: (وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس) بينما يقول لوقا في الإصحاح ٢٣/ ١ من إنجيله: (فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس) ويقول يوحنا في الإصحاح ١٨/ ٢٨، ٢٩: (ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية، لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح، فخرج بيلاطس إليهم وقال: أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟).

وأمام بيلاطس في دار الولاية، وجه إليه بيلاطس الأسئلة الآتية:

(أ) أأنت ملك اليهود؟ «متّى».

(ب) أنت ملك اليهود؟ «مرقص».

(ج) أنت ملك اليهود؟ «لوقا».

(د) أنت ملك اليهود؟ «يوحنا».

وكان جواب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام:

(أ) أنت تقول؟ «متى».

(ب) أنت تقول؟ «مرقص».

(ج) أنت تقول؟ «لوقا».

أما يوحنا فقد توسع في جواب المسيح على سؤال بيلاطس، فقد جاء عند يوحنا: أمن ذاتك تقول هذا؟ أم آخرون قالوا لك عني؟.

وبدون أدنى إلمام بعلوم الادعاء، والوقوف على أوجه منهجية التحقيق الجنائي يستطيع المستطلع أن يلاحظ هنا: (عدم الاعتراف من عيسى عليه السلام بما يدعى عليه. فلم يقل أنت قلت، بل رد على الوالي بقوله: أنت تقول ذلك،أما أنا لم أقل. فهل أنت تقول هذا من نفسك، لتخبرني، أم وشى بذلك الواشون عليّ؟.

والسؤال الثاني الذي قيل فيه للمسيح ما ورد عند متى ومرقص: (إن رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ يشتكون عليك، أما تسمع كم يشهدون عليك؟) رد عليه السيد المسيح بموقف يرفض الدعوى المقامة ضده، حين كان رد فعله على ما وجه إليه: الصمت وعدم التعليق، والصمت هنا في مثل هذه المواقف العصيبة، أشبه برفض الادعاء من الإجابة عنه.

أما السؤال الثالث فقد رد عيسى عليه السلام بقوله في ضوء ما ورد عند يوحنا ١٨/ ٣٥: «أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ. ماذا فعلت؟»

والبراعة التي ينسبها يوحنا إلى السيد المسيح تتمثل في تلك العبارات التي يعلن بها عدم علاقته باليهود في كل ما نسبوه إليه: (مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون كي لا

أسلّم إلى اليهود، ولكن الآن: ليست مملكتي من هاهنا) «يوحنا».

وهنا أيضاً يلاحظ المطالع عدم الاعتراف. ولو كان هو المسيا المنتظر ما أهانه أعداؤه، فإن من أوصافه أن يَغلِب، لا أن يُغلَب هو.

وحتى السؤال الرابع الذي وجه للمسيح: (أفأنت إذاً ملك؟) فيرد السيد المسيح بالقول الذي ينسبه إليه يوحنا: (أنت تقول: أني ملك. لهذا قد ولدت أنا. ولهذا قد أتيت إلى العالم، لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي) «يوحنا».

ونلاحظ هنا عدم الاعتراف أيضاً. وعبارة «لهذا قد ولدت» معناها المباشر الذي يفرضه السياق: قد ولدت لأخبر اليهود بمجيء المسيا، لأن التوراة تنبأت عمن يهيئ الطريق لنبي الإسلام. في قول ملاخي: (هاأنا أرسل أمام وجهك ملاكي) وقد أتيت لأشهد الحق، أي لمجيء نبي الإسلام حتى لا يرفضه اليهود فيهلكون «ملاخي ٣: ١ ـ ٤».

وحتى السؤال الخامس الذي لم تكتمل جوانبه بين الطرفين: بيلاطس والمسيح «ما هو الحق؟» وهنا خرج بيلاطس إلى اليهود، ولم ينتظر حتى يسمع إجابة من عيسى عليه السلام «وقال لهم: أنا لست أجد فيه علة واحدة» (يوحنا).

والمتعقب لإجراءات التحقيق ينتهي إلى ما يشبه اليقين، بأن بيلاطس كان لا يرى في المسيح علة واحدة، وبعد ذلك هل يستبعد عاقل يفكر، أن يكون بيلاطس، وهو الذي بيده قرار الصلب، قد أعد خطة لكي يجنب المسيح الموت على الصليب، كما تقول الشواهد التي تفيد بعدم كسر رجليه، ثم دفنه في مغارة لا لحد أو قبر، ثم يوضع على باب المغارة حجر ثقيل، ووجود الثياب الملطخة داخل القبر ودحرجة الحجر كل ذلك يدل على أن هناك أفعالاً قد وقعت قبل أن يرى الناس السيد المسيح بغير تلك الثياب النظيفة التي شاهدوها عليه بعد الصلب، وكان من نتيجة كل تلك

الملابسات ما رواه متى في إنجيله من الإصحاح ٢٧/ ٢٤،٢٥ من أن بيلاطس الوالي الروماني (أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أبنائنا).

وقد روى مرقص أن بيلاطس (عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً، ولما صرخ اليهود يطلبون صلبه بعد المحاكمة «قال لهم بيلاطس: وأي شرٍ عمل؟» فازدادوا جداً صراخاً: اصلبه) الإصحاح ١٥: ١٠ ـ ١٤.

وقد روى لوقا عن بيلاطس: (أي شرٍ عمل هذا؟ إني لم أجد فيه علة للموت فأنا أؤدبه وأطلقه) ٢٣: ٢٢. وروى يوحنا: (أنا لست أجد فيه علة واحدة، ولكم عادة أن أطلق لكم واحداً في الفصح، أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين: ليس هذا بل باراباس. وكان باراباس لصاً) ١٨ :٣٨،٤٠.

والقرائن التي يطالعها المرء بين صفحات الأناجيل تلهم وتقول بتريث بيلاطس، في الحكم على السيد المسيح، ولقد أعاد الحوار أو فلنقل أعاد عليه دعاوى اليهود في لقاء آخر أو فلنقل في محاكمة ثانية، وقد أغفلها كل من متى ومرقس ولوقا، وذكرها يوحنا وحده، كما انفرد يوحنا بالقول بأن السيد المسيح مثل أمام حنان رئيس الكهنة دون الثلاثة. يقول يوحنا بعد المحاكمة الأولى: (حينئذٍ أخذ بيلاطس يسوع وجلده، وضفر العسكر إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه، وألبسوه ثوب أرجوان، وكانوا يقولون: السلام يا ملك اليهود: وكانوا يلطمونه فخرج بيلاطس أيضاً خارجاً، وقال لهم: هاأنا أخرجه إليكم، لتعلموا أني لست أجد فيه علة واحدة، فخرج يسوع خارجاً وهو حامل إكليل الشوك، وثوب الأرجوان. فقال لهم بيلاطس: هو ذا الإنسان، فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين: اصلبه، وقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علة.

أجاب اليهود: لنا ناموس. وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله. فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفاً. فدخل أيضاً إلى دار الولاية وقال ليسوع: من أين أنت؟ وأما يسوع فلم يعطه جواباً فقال له بيلاطس: أما تكلمني ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك؟ وسلطاناً أن أطلقك، أجاب يسوع: لم يكن لك عليّ سلطان البتة، لو لم تكن قد أعطيت من فوق. لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم).

من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر...فحينئذٍ أسلمه إليهم ليصلب «١٩: ١ ـ ١٢: ١٦».

والمتأمل في المحاكمتين اللتين أجريتا للسيد المسيح على ضوء ما تقول الأناجيل يجد أن السؤال الأول: في المحاكمة المدنية: أأنت ملك اليهود؟ هو نفس السؤال الثالث في المحاكمة الدينية. وهو: (أنت المسيح ابن الله؟) والسؤال الثالث في المحاكمة الدينية هو عماد المحاكمة، والأول هو عماد المحاكمة في المحاكمة المدنية. والأسئلة التي بعدها تتردد حول معنى السؤال الأول. ولذلك لم يذكرها إلا يوحنا وحده وعليه فإن غرض المحاكمتين واحد بلا جدال. وكانت الإجابة في المحاكمة المدنية هي نفس الإجابة في المحاكمة الدينية. وهي أنه لم يصرح بأنه يريد الملك،ولم يقل إنه ملك ولذلك كان بريئاً أمام الوالي.

واللافت للنظر أن افتراء اليهود على عيسى بن مريم عليه السلام كان يستهدف أن يقاومه الرومان وهو افتراء قديم، فكروا فيه، وسألوا عيسى أسئلة أمام أنصار هيرودس الملك لكي يقتله. يقول متى في الإصحاح ٢٢/ ٢٢.١٦: (أرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودوسيين، قائلين: يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن، أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟، فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تغربونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية.

فقدموا له ديناراً. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر. فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا.

والمطالع لهذه الاعترافات التي أجمعت عليها الأناجيل، يتضح أن المسيح المنتظر وهو المسيا الذي أشارت إليه التوراة ليس هو عيسى عليه السلام بأي حال من الأحوال.

ولما فسدت خطة اليهود في حمل الوالي على قتله لأنه يريد الملك لجأوا في المحاكمة الثانية أمام بيلاطس إلى ادعاء آخر وهو أنه يزعم أنه «ابن الله» ويقصدون بذلك خداع بيلاطس والتمويه عليه، فإن معنى «ابن الله» ليس ابناً طبيعياً، حتى يتهم بالتجديف على الله تعالى. وإنما هو وارد في التوراة عن المسيح المنتظر الذي هو المسيا، والذي إذا أطلق منفرداً لا يدل إلا على المسيح المنتظر، وهو لقب وارد في المزمور الثاني لداود عليه السلام في قوله: (إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك. تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم) وهذا ما ورد في المزمور الثاني من الفقرات من ٧،٩ ولذلك عندما سأله بيلاطس حكم بنزاهته من هذا الادعاء.

وهنا ملاحظة يطالعها المتأمل في هذه الواقعة ما السبب إذاً في حنق اليهود على المسيح إذا كان هو بريئاً أمام السلطة الدينية والمدنية من ادعاء أنه المسيح المنتظر؟. إن تنبؤه بمجيء المسيح من بعده ليس تهمة تستحق الحنق والثورة، فإنهم كان يجب أن يكونوا في شوق إليه ويكادون يطيرون من الفرح إذا سمعوا عمن يقول إنه هو المسيح، حتى ولو كان كاذباً. والسبب في حنقهم هو قوله في ضوء ما يقول برنابا أن المسيح المنتظر من أولاد إسماعيل عليه السلام.

ثم يستطرد برنابا فيحكي كيفية المؤامرة كما هي عنده في الإصحاح ١٤٢: ٢٢ ـ ١٢٥.

ثم يذكر برنابا أنهم لما هموا بقتله وصلبه ألقى الله شبه عيسى على التلميذ الخائن وهو يهوذا الاسخريوطي، فحوكم مكانه، وقتل بدله وصلب.

وقول برنابا هذا يمكن أن يقبل لأن يوحنا كتب في إنجيله في الإصحاح ١١: ٤٥.٥٣: (فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم، ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به. وأما قوم منهم فمضوا به إلى الفريسيين، وقالوا لهم عما فعل يسوع. فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا: ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا.. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه).

هنا تجيء عبارات يوحنا واضحة في أن اليهود لو تركوا عيسى عليه السلام بغير أن يقتلوه فسيأتي الرومانيون لاحتلال أورشليم. وبرنابا بين أنهم لو تركوه فسيأتي الإسماعيليون لاحتلال أورشليم. فمن منهما هو الصادق؟ وخاصة إذا تبين للدارسين أن عيسى عليه السلام قد ولد بعد احتلال الرومانيين بثلاث وستين سنة، وهنا يتبين لنا أن برنابا هو الصادق وإذا تبين أن إسماعيل وأبناءه لهم بركة منصوص عليها في سفر التكوين، وهذا مما يرجح أن برنابا هو الصادق.

وفي الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا أنه قبل المحاكمة بأيام كثيرة وقع كلام أثناء المحاكمة يستدل به على أنه عليه السلام قد وبخ تلاميذه وانتهرهم، على أنهم ظنوا أنه المسيا الذي تفسيره المسيح.

ففي الأناجيل: أن عيسى عليه السلام سأل تلاميذه: (ما قولكم فيّ؟) أجاب بطرس: (إنك المسيح ابن الله) أي أنت المسيا. فماذا حدث من عيسى عليه السلام لما سمع بهذه الإجابة؟ في ضوء ما يقول برنابا في الإصحاح ٧٠/ ٤، ٧ (فغضب حينئذٍ يسوع وانتهره بغضب قائلاً: اذهب وانصرف عني. لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسيء إليّ ثم هدد الأحد عشر قائلاً: ويل لكم إن صدقتم هذا لأني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا) «برنابا

٧٠/ ٤ ـ ٧»، ويقول مرقص: (ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس. وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم: من يقول للناس أني أنا؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان. وآخرون ايلياء. وآخرون واحد من الأنبياء. فقال لهم: وأنتم من تقولون أني أنا؟ فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح. فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه) «٨/ ٢٧ ـ ٣٠»، ويقول لوقا: (فأجاب بطرس وقال: مسيح الله. فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد) «٩/ ٢٠ ـ ٢١».

ومن هذه الإجابة يتبين أن عيسى عليه السلام لم يعلن لتلاميذه أنه هو «المسيح» وانتهرهم وأوصاهم أن لا يقولوا أنه هو المسيح.

والنصارى لما غلبوا على أمرهم من قبل الرومان واليهود، وزعموا: أن عيسى هو المسيح، وما كانوا عارفين بأنه المسيح إلا بعد قتله وصلبه وقيامته من بين الأموات، كتبوا عبارات لتدل على أنه ليس هو المسيا المنتظر، بحسب ظاهر النصوص التي يسلمون بقدسيتها. وهذه المحاكمة أوردها برنابا في إنجيله ليهوذا الإسخريوطي، التلميذ الذي خان معلمه، ودل عليه الرومان واليهود ليقتلوه. وهذا هو نص المكتوب في إنجيل برنابا:

النص: خرج يسوع من البيت، ومال إلى البستان ليصلي. فجثا على ركبتيه مائة مرة معفراً وجهه كعادته في الصلاة. ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يسوع مع تلاميذه، ذهب إلى رئيس الكهنة. وقال إذا أعطيتني ما وعدت به، أسلم هذه الليلة ليدك يسوع الذي تطلبونه، لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقاً. أجاب رئيس الكهنة: كم تطلب؟ قال يهوذا ثلاثين قطعة من الذهب.

فحينئذ عدَّ له رئيس الكهنة النقود فوراً، وأرسل فريسيا إلى الوالي وهيرودس ليحضر جنوداً. فأعطياه منها، لأنهما خافا الشعب. فأخذوا من ثم أسلحتهم، وخرجوا من أورشليم بالمشاعل والمصابيح على العصي.

ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً وكان الأحد عشر نياماً. فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل، سفراءه، أن يأخذوا يسوع من العالم. فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد.

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع. وكان التلاميذ كلهم نياما فأتى الله العجيب، بأمر عجيب. فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبها بيسوع، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا، أخذ يفتش، لينظر أين كان المعلم. لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد هو معلمنا. أنسيتنا الآن؟ أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء، حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي. وبينما كان يقول هذا، دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه. أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود، هربنا كالمجانين.

ويوحنا الذي كان ملتفاً بملحفة من الكتان، استيقظ وهرب. ولما أمسكه جندي بملحفة الكتان، ترك ملحفة الكتان وهرب عرياناً، لأن الله سمع دعاء يسوع وخلص الأحد عشر من الشر.

فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه، ساخرين منه.لأنه أنكر ـ وهو صادق ـ أنه هو يسوع. فقال الجنود مستهزئين به: يا سيد: لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكاً على إسرائيل، وإنما أوثقناك، لأننا نعلم أنك ترفض المملكة. أجاب يهوذا: لعلكم جننتم. أنكم أتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري، كأنه لص. أفتوثقونني أنا الذي أرشدتكم لتجعلوني ملكاً؟

حينئذ خان اليهود صبرهم، وشرعوا يمتهنون يهوذا بضربات ورفسات، وقادوه بحنق إلى أورشليم.

وتبع يوحنا وبطرس الجنود من بعد وأكد للذي يكتب: أنهما شاهدا كل التحري الذي تحراه بشأن يهوذا رئيس الكهنة ومجلس الفريسيين، الذين اجتمعوا ليقتلوا يسوع. فتكلم من ثم يهوذا رئيس الكهنة كلمات جنون كثيرة، حتى أن كل واحد أغرق في الضحك، معتقداً أنه بالحقيقة يسوع، وأنه يتظاهر بالجنون خوفاً من الموت. لذلك عصب الكهنة عينيه بعصابة، وقالوا له مستهزئين: يا يسوع نبي الناصرية فإنهم هكذا كانوا يدعون المؤمنين بيسوع، قل لنا: من ضربك؟ ولطموه وبصقوا في وجهه.

ولما أصبح الصباح، التأم المجلس الكبير للكهنة وشيوخ الشعب، وطلب رئيس الكهنة مع الفريسيين شاهدا زور، على يهوذا، معتقدين أنه يسوع. فلم يجدوا مطلبهم. ولماذا أقول: إن رؤساء الكهنة اعتقدوا أن يهوذا يسوع؟ بل إن التلاميذ كلهم مع الذي يكتب اعتقدوا ذلك، بل أكثر من ذلك أن أم يسوع العذراء المسكينة، مع أقاربه وأصدقائه، اعتقدوا ذلك، حتى أن حزن كل واحد كان يفوق التصديق. لعمر الله إن الذي يكتب نسى كل ما قاله يسوع: من أنه يرفع من العالم وأن شخصاً آخر سيعذب باسمه وإنه لا يموت إلا و نهاية العالم وشيكة. لذلك ذهب الذي يكتب مع أم يسوع ومع يوحنا إلى الصليب.

فأمر رئيس الكهنة أن يؤتى بيسوع موثقاً أمامه، وسأله عن تلاميذه، فلم يجب يهوذا بشيء في الموضوع، كأنه جن. حينئذٍ استحلفه رئيس الكهنة بإله إسرائيل الحي أن يقول الحق.

أجاب رئيس الكهنة: أيها الضال المضل. لقد ضللت كل إسرائيل بتعاليمك وآياتك الكاذبة مبتدئاً من الجليل حتى أورشليم هنا. أفيخيل لك الآن أن تنجو من العقاب الذي تستحقه، والذي أنت أهل له بالتظاهر بالجنون؟ لعمر الله إنك لا تنجو منه. وبعد أن قال هذا أمر خدمه أن يوسعوه لطماً ورفساً، من عقله إلى رأسه. ولقد أصابه من الاستهزاء على يد خدم رئيس الكهنة ما يفوق التصديق. لأنهم اخترعوا أساليب جديدة بغيرة،

ليفكهوا المجلس. فألبسوه لباس مشعوذ، وأوسعوه ضرباً بأيديهم وأرجلهم، حتى أن الكنعانيين أنفسهم، لو رأوا ذلك المنظر، لتحننوا عليه. ولكن قست قلوب رؤساء الكهنة والفريسيين وشيوخ الشعب على يسوع، إلى حد سروا معه أن يروه معاملاً هذه المعاملة، معتقدين أن يهوذا هو بالحقيقة يسوع.

ثم قادوه بعد ذلك موثقاً إلى الوالي، الذي كان يحب يسوع سراً. ولما كان يظن أن يهوذا هو يسوع، أدخله غرفته وكلمه سائلاً إياه، لأي سبب قد سلمه رؤساء الكهنة والشعب إلى يديه؟

أجاب يهوذا: لو قلت لك الحق لما صدقتني، لأنك قد تكون مخدوعاً، كما خدع الكهنة والفريسيون. أجاب الوالي (ظاناً أنه أراد أن يتكلم عن الشريعة): ألا تعلم أني لست يهودياً؟ ولكن الكهنة وشيوخ الشعب قد سلموك ليدي. فقل لنا الحق، لكي أفعل ما هو عدل، لأن لي سلطاناً أن أطلقك وأن آمر بقتلك. أجاب يهوذا: صدقني يا سيد إنك إذا أمرت بقتلي ترتكب ظلماً كبيراً، لأنك تقتل بريئاً. لأني أنا يهوذا الاسخريوطي، لا يسوع الذي هو ساحر، فحولني هكذا بسحره.

فلما سمع الوالي هذا تعجب كثيراً، حتى أنه طلب أن يطلق سراحه. لذلك خرج الوالي وقال مبتسماً: من جهة واحدة على الأقل لا يستحق هذا الإنسان الموت بل الشفقة. ثم قال الوالي: إن هذا الإنسان يقول: إنه ليس يسوع بل يهوذا، الذي قاد الجنود ليأخذوا يسوع. ويقول: إن يسوع الجليلي قد حوله هكذا بسحره. فإن كان هذا صدقاً، يكون قتله ظلماً كبيراً، لأنه يكون بريئاً، ولكن إذا كان هو يسوع وينكر أنه هو، فمن المؤكد أنه فقد عقله، ويكون من الظلم قتل مجنون.

حينئذ صرخ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب مع الكتبة والفريسيين بصخب قائلين: انه يسوع الناصري فإننا نعرفه، لأنه لو لم يكن هو المجرم، لما أسلمناه ليديك، وليس هو بمجنون، بل بالحريّ خبيث لأنه

بحيلته هذه يطلب أن ينجو من أيدينا. وإذا نجا تكون الفتنة التي يثيرها شراً من الأولى.

أما بيلاطس (وهو اسم الوالي) فلكي يتخلص من هذه الدعوى، قال: إنه جليلي. وهيرودس هو ملك الجليل. فليس من حقي الحكم في هذه الدعوى، فخذوه إلى هيرودس. فقادوا يهوذا إلى هيرودس، الذي طالما تمنى أن يذهب يسوع إلى بيته. ولكن يسوع لم يرد قط أن يذهب إلى بيته، لأن هيرودس كان من الأمم وعبد الآلهة الباطلة الكاذبة، عائشاً بحسب عوائد الأمم النجسة. فلما قيد يهوذا إلى هناك سأله هيرودس عن أشياء كثيرة، لم يحسن يهوذا الإجابة عنها، منكراً أنه يسوع. حينئذ سخر به هيرودس مع بلاطه كله، وأمر أن يلبس ثوباً أبيض، كما يلبس الحمقى، ورده إلى بيلاطس قائلاً له: لا تقصر في حق إعطاء العدل بيت إسرائيل.

وكما جاء عند برنابا (٢١٤ ـ ٢١٧: ١ ـ ٧٩) أن الله الذي قدر العواقب، ألقى يهوذا للصليب ليكابد ذلك الموت الهائل الذي كان أسلم إليه آخر. فلم يسمح بموت يهوذا تحت الجلد، مع أن الجنود جلدوه بشدة، سال معها جسمه دماً. ولذلك ألبسوه ثوباً قديماً من الأرجوان تهكماً، قائلين: يليق بملكنا الجديد أن يلبس حلة ويتوج.

فجمعوا شوكاً وصنعوا إكليلاً، شبيهاً بأكاليل الذهب والحجارة الكريمة، التي يضعها الملوك على رءوسهم، ووضعوا إكليل الشوك على رأس يهوذا، ووضعوا في يده قصبة كصولجان، وأجلسوه في مكان عال. ومر من أمامه الجنود حانين رءوسهم، تهكماً، مؤدين له السلام،كأنه ملك اليهود، وبسطوا أيديهم لينالوا الهبات التي اعتاد إعطاءها الملوكُ الجدد. فلما لم ينالوا شيئاً، ضربوا يهوذا قائلين: كيف تكون إذن متوجاً أيها الملك إن كنت لا تهب الجنود والخدم؟

فلما رأى رؤساء الكهنة والفريسيين أن يهوذا لم يمت من الجلد، ولما كانوا يخافون أن يطلق بيلاطس سراحه، أعطوا هبة من النقود للوالي،

فتناولها وأسلم يهوذا للكتبة والفريسيين، كأنه مجرم يستحق الموت. وحكموا بالصلب على لصين معه. فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين. وهناك صلبوه عرياناً. مبالغة في تحقيره ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ: يا الله لماذا تركتني، فإن المجرم قد نجا، أما أنا فأموت ظلماً.

تلك هي رواية برنابا عن أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب. ويوافقه كثير من قدماء النصارى فقد قال الفيلسوف الإيطالي «جيوفاني بابيتي»: وأما في موت يسوع فيقولون: أنه لم يصلب على الصليب، كما توهم أتباعه، وإنما خيل إليهم أن اليهود صلبوه وقبروه، ولكنه لم يمت ولم يقبر بل توارى عن الأبصار حتى ظن الجميع أنه قد مات.

ومهما قال علماء اللاهوت عن برنابا ورفضهم أن يكون أحد الحواريين الإثني عشر كما عرف بنفسه في إنجيله ومن الإصحاح ١٤/ ٩، ١٧ فهو على أقل تقدير واحد من الرسل السبعين (أعمال الرسل ١٣: ١، ٥) وهو ولاشك واحد من قديسي المسيحيين ومن رجال الصف الأول بين أتباع عيسى عليه السلام وتلاميذه وكان هذا الإنجيل أحد المخطوطات التي تحتويها مكتبة (بابا) روما سكتس الخامس وكانت هذه النسخة مكتوبة باللغة الإيطالية ثم ضاعت هذه النسخة من المكتبة في القرن السادس عشر، ويبدو أن راهباً اسمه «فراموينو» اختلس هذه النسخة وسرقها، وعن طريقه وصلت النسخة إلى مكتبة أحد مستشاري ملك بروسيا: ثم انتقلت إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا عام ١٧٣٨م.ولا تزال موجودة حتى الآن.

هذا وتوجد نسخة أخرى لنفس هذا الإنجيل مكتوبة باللغة الإسبانية، وقد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية ورجح المحققون، أن النسخة الإيطالية هي الأصل للنسخة الإسبانية، وإذن فأقدم نسخة معروفة لهذا الإنجيل هي النسخة الإيطالية وقد وجدت في جو مسيحي خالص فإذا ما أضيف إلى ذلك أن إنجيل برنابا كان ضمن الأناجيل التي حرمت قراءتها عام ٤٩٢م،

ومعنى ذلك أن هذا الإنجيل الذي أصدر أمراً بتحريم الاطلاع عليه البابا جلاسيوس إنجيل برنابا كان معروفاً ومتداولاً قبل ظهور الإسلام بأكثر من ٢٠٠ سنة أي أن هذا الإنجيل مسيحي لحما ودماً، وليس للمسلمين فيه ناقة ولا جمل، لأنه وجد قبل الإسلام بـ ٢٠٠ سنة بشهادة التاريخ، ولم تحرم الكنيسة هذا الإنجيل وترمي كاتبه بالزندقة والكفر إلا لمخالفته الصريحة للأناجيل الأخرى المتداولة، وتتلخص مواطن الافتراق والاختلاف بين أناجيل النصارى وهذا الإنجيل فيما ذكرناه سابقاً عند بيان اختلاف واضطراب الأناجيل في رواية صلب السيد المسيح، وهو الاختلاف الذي لا يقوم دليلاً على ما يذهبون إليه من صلب السيد المسيح (عيسى بن مريم) ورواية إنجيل برنابا التي تروي نبأ الصلب ووقوعه على يهوذا الاسخريوطي وليس على السيد المسيح عيسى بن مريم، كما أن هذا الإنجيل (برنابا) لا يعتبر المسيح ابناً لله تعالى، ولا يعتبره إلهاً، بل عبداً رسولاً. وإذا نظرنا إلى العبارات التي يفتتح بها برنابا إنجيله، وهو يقرر نبوة المسيح، وخطيئة بولس وكفره في زعمه ألوهية عيسى بن مريم لتأكد لنا أوجه الاختلاف بين كل الأناجيل، ما اتفقت المجامع المسيحية عليه، وما لم تعترف به كإنجيل برنابا.

يقول برنابا: (أيها الأعزاء! إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله...الذين ضل في عدادهم أيضاً «بولس» الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر لك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان....)

كما يصرح هذا الإنجيل بأن الذبيح لإبراهيمعليه السلام هو إسماعيل وليس إسحاق، كما يعتقد اليهود والنصارى كما يؤكد هذا الإنجيل أن المسيح المنتظر، أو المسيا المنتظر ليس هو عيسى، بل هو سيدنا محمدﷺ، وقد

ذكره باللفظ الصريح وقال: إنه رسول الله.وبهذا الموجز الذي أوردنا فيه رواية برنابا عن واقعة الصلب ومخالفته للأناجيل الأربعة في أصول العقائد النصرانية يبرز حجم الاضطراب والتباين، بل والتناقض في نبأ كتب العهد الجديد.

عقيدة الصلب والقول فيها

لا خلاف عند النصارى: أن إنكار صلب المسيح: كفر، ومن شك فيه فهو كافر. وينطلقون من معتقد يقول: الكلمة هو الله. وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، وهو خالق جسمه، وهو خلق أمه. وأمه كانت من قبله. بالناسوت. وهو كان من قبلها، باللاهوت. وهو الإله التام، وهو الإنسان التام، ومن تمام رحمته على الناس: أنه رضي بإهراق دمه عنهم، في خشبة الصلب. فمكن اليهود أعداءه من نفسه، ليتم سخطه عليهم. فأخذوه وصلبوه، وغار دمه في أصبعه. لأنه لو وقع شيء من دمه على الأرض ليبست، إلا شيء وقع فيها فنبت في موضعه النوار. كذا عند القوم، وتتمة المعتقد وبيانه. إنه لم يكن من الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصي آدم، الذي ظلمه، واستهان بحقه، فلم يرد الله الانتقام منه، لاعتلاء منزلة السيد، وسقوط منزلة العبد. أراد أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله. فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح، الذي هو إله، متساو معه، فصلب ابن الله، الذي هو الله، في الساعة التاسعة من يوم الجمعة» أ.هـ هذا مجمل معتقد القوم في الصلب، وتداعيات هذا الكلام أن ذنب آدم كان في رقاب بنيه، إلى أن قتل عيسى، وانتقم منه، لأجل آدم، وحينئذ عفى عن آدم وبنيه. ولهذه الحكمة كان صلب المسيح عندهم وعلى العقلاء أن ينظروا بعين الاعتبار جهل أصحاب هذه العقيدة، وجرأتهم على العزيز الجبار. وقولهم بالشتيمة في الأنبياء الأخيار، فلقد ارتكبوا من المحالات، وقالوا من الأكاذيب والترهات ما لم يقله أحد من المخلوقات. ثم لم يكتفوا بهذه العظائم، حتى أضافوا لله، ولأنبيائه أعظم النقائص

والشتائم. فلله سر في إبعاد بعض العباد ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[1].

فهؤلاء كما قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[2].

وكما سبق لنا القول فإن الذي شرع عقيدة الصلب وقدمها للنصارى هو «قسطنطين بن هيلانة» الملك. وهو الذي سنها، وكتبها لهم في الإنجيل، ليوغر صدور عامته ورعيته على اليهود، وأنه احتال عليهم بالرؤية التي اخترعها، فتم له مراده منهم. ولم يكن عنده من أمر عيسى إلا خبر يسير.

ثم اختلق لهم في شأنه أموراً تفصيلية هي محال في نفسها، لكنها مهولة على العامة الرعاع. كقولهم في الالتحام، وفي لاهوت المسيح، «لم يدركه ألم الصلب والإهانة. وإنما أدرك ذلك لحمته» وكإطلاق لفظ الطبيعتين على لاهوته وناسوته. إلى ما عندهم من التفسيرات التي هي محال بالضرورة.

وكل أصحاب دين من النصارى يدعون: أن اليهود قتلت المسيح عيسى يقيناً. وأن اليهود يدعون: أنهم قتلوا رجلاً أدعى نسخ التوراة، بعد أن ادعى النبوة، ولم يقم عليها شاهداً. وأمام هذه المفارقات يقول الإمام القرطبي في الكتاب السابق الإشارة إليه:

ونحن ندعي: أن عيسى بن مريم عليه السلام لم يقتله اليهود، ولا غيرهم. بل رفعه الله إليه، من غير قتل، ولا موت. ونحن نبين أن الفريقين في شك منه، وغير عالمين بشيء مما يدعونه في صلبه. فنقول:

---

(١) غافر: ٣٣.

(٢) البقرة: ١٨.

إن مستند النصارى في قولهم بالصلب: إنما هو الإنجيل. وقد بينا فيما تقدم: أنه تعرض للتحريف والتبديل. وقد رأينا فيه التناقض والتحريف عياناً. وأوضحنا على ذلك برهاناً. مع ما قدمنا من أن نقله ليس نقلاً متواتراً يفيد العلم. بل إنما نقله من باب أخبار الآحاد، التي لا يحصل بها العلم. وهذا يكفي، مع أنهم ليسوا عالمين بشيء مما يتضمنه. ولو سلمنا أنه متواتر، يحصل بنقله العلم. لقلنا: إن الأخبار التي فيه، والتي تتضمن الصلب لا تنص نصاً قاطعاً للشك على أن المصلوب هو المسيح بعينه. بل هي محتملة. لأن المصلوب غيره، ولم تتفطن النصارى لوجوه الاحتمال. ونحن نسرد نصوصهم في أناجيلهم، ونبين ذلك، ووجه الاحتمالات فيها، وهنا لابد من القول بأن دعاة النصارى قد جعلوا وقف على المسيح يهوذا، أحد الاثني عشر. ومعه جماعة برماح وعصى. وكان معهم قواد القسيسين، وأكابر بني إسرائيل. وكان يهوذا قد قال لأولئك الأعوان: من قبلته، من الجماعة، فهو قاعدة دعوتهم وأساسها عقيدة صلب المسيح فداء عن البشر، وأما التثليث فيأتي بعدها. وتقرير هذه العقيدة عندهم هي أن آدم لما عصى الله تعالى بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها صار هو وجميع أفراد ذريته خطاة يستحقون العقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي، كما أنهم مستحقون له بذنب أبيهم الذي هو الأصل لذنوبهم. ولما كان الله تعالى متصفاً بالعدل والرحمة، طرأ عليه حسب قولهم ـ سبحانه وتعالى عن ذلك ـ مشكل منذ عصى آدم، وهو أنه إذا عاقبه هو وذريته كان ذلك منافياً لرحمته، فلا يكون رحيماً وإذا لم يعاقبه كان ذلك منافياً لعدله فلا يكون عادلاً فكأنه منذ عصى آدم كان يفكر في وسيلة يجمع بها بين العدل والرحمة! فاهتدى ـ حاشاه ـ بأن يحل ابنه ـ تعالى الله ـ الذي هو نفسه على ما يقولون به من بطن امرأة من ذرية آدم، ويتحد بجنين في رحمها ويولد منها فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث هو ابن إمرأة، وإلهاً كاملاً من حيث هو ابن الله، وابن الله هو الله ويكون معصوماً من جميع معاصي بني آدم. ثم بعد أن يعيش زمناً معهم يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون

ويتلذذون، ويتألم كما يتألمون، ثم يسخر له أعداء لقتله أفظع قتلة، وهي قتله على الصليب التي لعن صاحبها في الكتاب الإلهي، فيحتمل اللعن والصلب لأجل فداء البشر وخلاصهم من الخطيئة الأولى وهو غير مستحق لذلك، وكان ذلك ـ الابن وهو الفداء ـ هو المسيح عيسى بن مريم العذراء.

لذا فقد أرسل الله إلى مريم الملك جبريل وبشرها بأن الروح القدس ستحل فيها، وتلد ابناً اسمه يسوع المسيح، وسيخلص العالم من خطاياهم وتدعى والدته والدة الإله. وقد ولدته فعلاً في بيت لحم، وسمته يسوع ـ أي مخلص ـ وبعد ولادته سافرت به مع يوسف النجار إلى مصر هرباً من تهديد الحاكم الروماني بقتله، وبعد فترة من الزمن عادا به إلى اليهودية (أي فلسطين)، وفي الثلاثين من عمره عمده يوحنا المعمدان في نهر الأردن ثم أخذ يبشر بعدها بديانته، فآمن به تلاميذه الإثنا عشر، وأخذوا يبشرون معه في القرى، ودام ذلك مدة ثلاث سنوات أتى خلالها بمعجزات تثبت ألوهيته على حد قولهم، ولما شعر اليهود باشتداد الحال بينه وبينهم، فكروا في التآمر عليه، فاشتكوا إلى حاكم فلسطين الروماني المدعو بيلاطس، فحاكمه وحكم عليه بالموت صلباً، فقبض عليه وسيق مع صليبه إلى مكان الصلب فصلب ثم دفن ومكث في قبره ثلاثة أيام، قام بعدها وخرج من القبر في عيد فصح اليهود، ثم مكث بعدها أربعين يوماً وصعد إلى السماء على مرأى من تلاميذه.

هذه هي عقيدة الصلب التي تمثل جوهر المعتقد النصراني، والتي في ضوئها تتم عمليات التبشير والتنصير. إن هذه العقيدة لو وضعت أمام أبسط أساليب النقد العلمي لوضعت العقل النصراني في مأزق شديد وجاهلية ضخمة، ذلك أنه في ضوء رواية الأناجيل عن هذه الحادثة البسيطة تبرز للباحث الاختلافات بل والتناقضات التي كانت مقدمة وتمهيد لحادث الصلب، يقول إنجيل مرقس «كان الفصح وأيام الفطير بعد يومين وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه.. وفيما هو في

بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص وهو متكئ جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه.

وكان قوم مغتاظين في أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا. لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطي الفقراء وكانوا يؤنبونها (١٤: ١ ـ ٥).

وقد ذكر متى هذه الحادثة في (٢٦: ٦ ـ ٩) ولوقا في (٧: ٣٦ ـ ٣٩) ويوحنا في (١٢: ١ ـ ٦) مع اختلافات بينهم في توقيتاتها وعناصرها الرئيسية.

يقول نينهام في هذه القصة: «نجد القديس يوحنا يذكرها مبكراً عما أورده القديس مرقص ببضعة أيام. وكذلك يضعها القديس لوقا في موقع مختلف تماماً من سيرة يسوع.. فبينما نجدها في إنجيل مرقص قد حدثت في منزل سمعان الأبرص من قرية بيت عنيا.. نجدها في إنجيل يوحنا قد حدثت في بيت مريم ومرثا ولعازر»[١].

ومن تلخيص اختلاف الأناجيل في هذه القصة كالآتي:

مكان الحادث:

في بيت سمعان الأبرص (مرقص ومتى) ـ في بيت فريسي (لوقا) ـ في بيت الإخوة لعازر ومريم ومرثا (يوحنا).

وأما شخصية المرأة:

فقد اختلفت حولها الروايات فهي مجهولة عند (مرقص ومتى) وخاطئة عند (لوقا) وامرأة صديقة هي مريم أخت لعازر عند (يوحنا). وأما ما فعلته هذه المرأة فقد دهنت رأس يسوع بالطيب عند (مرقص ومتى) بينما

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص ٣٧٠.

دهنت رجليه بالطيب عند (لوقا ويوحنا). وإذا نظرنا على رد فعلها عند الذين شاهدوها فقد اغتاظ قوم لإسرافها عند (مرقص) واغتاظ التلاميذ عند (متى) ـ كان تساؤل الفريسي مع نفسه حول معرفة يسوع لشخصية المرأة (لوقا) ـ اغتاظ يهوذا الاسخربوطي لإسرافها عند (يوحنا).

التحضير لعشاء المسيح الأخير

يقول مرقص: «وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن تمضي وتعد لتأكل الفصح.

فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما: اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه، وحيثما يدخل فقولا لرب البيت إن المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي فهو يريكما علبة كبيرة مفروشة معدة. هناك أعدت لنا.

فخرج تلاميذه وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما، فأعد الفصح. ولما كان المساء جاء مع الإثني عشر» (١٤: ١٢ ـ ١٧).

ويقول نينهام: «إن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرة بأعدادها من رقم (١٦:١٢) إنما كانت في الواقع إضافة أدخلت فيما بعد إلى الرواية التي يتبعها القديس مرقص في هذا الجزء من إنجيله. ومن بين الأسباب لذلك الاعتقاد عنده ما يأتي:

١ ـ وصف اليوم الذي قيل: إن القصة حدثت فيه بأسلوب لا يستخدمه اليهودي العادي الذي كان معاصراً لها.

٢ ـ وصف أتباع يسوع في كل فقرة من هذا الإصحاح (الرابع عشر) بأنهم تلاميذه بينما أشير إليهم بإصرار في هذه الفقرة بأنهم الإثنا عشر.

٣ ـ أن كاتب العدد ١٧ (الذي يقول: ولما كان المساء جاء مع الإثني

عشر) لا يعلم شيئاً عن رحلة التلميذين التي ذكرت في العدد ١٣، فلو كان كاتب العدد ١٧ يعلم محتويات تلك الفقرة لكان عليه أن يتحدث عن: (العشرة وليس الإثني عشر، أي أن العدد ١٧ كان يجب أن يقرأ هكذا: ولما كان المساء جاء مع العشرة..)[1].

ويختلف متى مع مرقص في قصة الأعداد العشرة، أي أنه يجعل التلاميذ جميعاً ـ كما يقول جون فنتنون في ص ٤١٤ من تفسيره ـ يشتركون في هذه الأعداد فهو يقول: «قال يسوع لتلاميذه اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له، المعلم يقول إن وقتي قريب، عندك اصنع الفصح مع تلاميذي. ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح» (٢٦: ١٨ ـ ١٩).

وأما أثر اضطراب توقيت العشاء الأخير على قضية الصلب التي تقولها الأناجيل: فيقول عنها جون فونتون: «يتفق متى مع مرقص (وكذلك لوقا ٨: ٢٢) في أن العشاء الأخير كان هو الفصح، وعلى العكس من ذلك نجد الأنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل في المساء بعد موت يسوع».

ويرى أغلب العلماء عند جون فنتون أن توقيت كل من متى ومرقس (ولوقا) صحيح وأن يوحنا قد غير ذلك لأسباب عقائدية[2].

ذلك أن يوحنا يقرر أن العشاء الأخير الذي حضره يسوع مع تلاميذه كان قبل الفصح، فهو يقول: «أما يسوع قبل عيد الفصح... فحين كان العشاء.. قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها، ثم صب ماء في مغسل وابتدا بغسل أرجل التلاميذ» (١٣: ١ ـ ٥).

وكذلك يقرر يوحنا أنهم قبضوا على يسوع في مساء اليوم السابق لأكل الفصح، وذلك في قوله: «ثم جاءوا يسوع من عند قيافا إلى دار

---

(١) يوحنا ٢٨: ١٨، كما يقول جون فنتون في تفسيره.

(٢) تفسير إنجيل متى: ص ٤١٥.

الولاية، وكان صبح، ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح» (٢٨:١٨).

إن اختلاف الأناجيل في العشاء الأخير وتوقيته ترتب عليه اختلافهم في نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب، ألا وهي تحديد يوم الصلب.

فإذا أخذنا برواية مرقص ومتى ولوقا لكان يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس، ثم كان القبض بعد ذلك بقليل في مساء الخميس ذاته، وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة.

أما الأخذ برواية يوحنا فإنه يعني أن القبض كان مساء الأربعاء، وأن الصلب حدث يوم الخميس.

هل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة؟ إن كل القائلين بالصلب والدعوة إليه لا يجدون جواباً مقنعاً أو شافياً، وأما قصة التلميذ الخائن الذي كان مع المسيح في العشاء فقد قال فيه مرقص: «ولما كان المساء جاء مع الإثني عشر، وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني. الآكل معي فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحدا فواحدا، هل أنا؟ وآخر، هل أنا؟ فأجاب وقال لهم، هو واحد من الإثنى عشر الذي يغمس معي في الصحفة. إن إبن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه. ولكنه ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد» (١٤: ١٧ ـ ١٢).

ولقد أدخل متى بعض التغييرات على رواية مرقص.

ويقول لوقا: «فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الاسخريوطي وهو من جملة الإثني عشر. فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم وكان ينتظر فرصة ليسلمه إليهم خلوا من جمع.

ولما كانت الساعة اتكأوا الإثني عشر رسولاً معه. وقال لهم شهوة

اشتهيت أن آكل الفصح معكم.. ولكن هو ذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة.. فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم من ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا» (٢٢: ٢٢ ـ ٢٣).

أما رواية يوحنا ففيها اختلاف يسهل ملاحظته ـ عما روته الأناجيل الثلاثة الأخرى، فهو يقول: «لما قال يسوع: هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني. فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون من قال عنه.. أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان.

فقال له يسوع: ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة.

فذاك لما أخذ اللقمة للوقت وكان ليلا» (١٣: ٢١ ـ ٣٠).

وبصرف النظر عن اختلاف الأناجيل في إجابة المسيح لتلاميذه عمن يكون الخائن، إذ قال إنجيل لوقا: «الذي يغمس في الصحفة» بينما قال إنجيل يوحنا: «الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه» لكن النقطة الهامة التي تتعلق بخيانة يهوذا هي اختلاف الأناجيل في حادثة دخول الشيطان فيه. فها هو يقرر أن الشيطان دخل يهوذا قبل العشاء الأخير بيوم على الأقل (لوقا ٢٢: ٣ ـ ٧)، بينما يقرر يوحنا أن الشيطان دخل يهوذا بعد أن أعطاه يسوع اللقمة (يوحنا ٢٧:١٣) أثناء العشاء الأخير.

هذا ويتصل بالاضطراب والتناقض في رواية صلب المسيح وعدم الدقة والأمانة في رواية الرواة جوانب كثيرة بجوهر هذه العقيدة التي تمثل العمود الفقري في أركان المعتقد النصراني، الذي تبذل القوى والهيئات المعنية جهدها للتبشير به. وأعني بهذا الجانب، ما يسميه مرقص «آلام المسيح» فعن هذه الآلام يقول مرقص: «وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني، فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي».

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب وابتدأ يدهش ويكتئب، وقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا.

ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن وقال يا أيها الآب كل شيئ مستطاع لك. فاجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن ما لا أريد أنا، بل ما تريد أنت.

ثم جاء ووجدهم نياماً. فقال لبطرس ياسمعان أنت نائم، أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه. ثم رجع ووجدهم نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه. ثم جاء ثلاثة وقال لهم الآن استريحوا، يكفي، قد أتت الساعة، هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة، قوموا لنذهب، هو ذا الذي سلمني قد اقترب» (١٤: ٣٢ ـ ٤٢).

إن أبسط تعليق على هذا الكلام هو أنه واضح تماماً أن المسيح لم يكن يتوقع هذه المفاجأة المذهلة وهي أن أعداءه سيقتنصونه، وطبعاً هو يعلم أنهم عندما يمسكونه فلسوف يقتلونه. ولذلك كان يصلي في كل وقت لكي تعبر عنه هذه الساعة أو هذه المحنة أو هذه الكأس، حتى ينجو.

إذن نستطيع أن نقرر ـ مبدئياً ـ بأن أي قول يقول إنه جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين، أو أن سفك دمه كان ضرورياً للتكفير عن خطيئة آدم أو خطايا البشر، كل ذلك لا يمكن قبوله لا عقلاً ولا نقلاً.

وإذا كان عصيان آدم، يكون تكفيره بقتل ابن الإله غصباً عن ابن الإله نفسه، فهذه كارثة أكبر، لأن الخطيئة تتضاعف تماماً بهذه الصورة، فضلاً عن أن الجناة الذين سيقتلون المسيح سيكونون في رواية الأناجيل أبراراً فعلوا الخير.

يقول دنيس نينهام Denis Ninham: «لقد انقسمت الآراء بعنف حول

القيمة التاريخية لهذا الجزء، تساؤل عما إذا كان يعتبر في الحقيقة جزءاً من المصدر الذي روى عنه القديس مرقص».

ويؤكد آخرون أنه لم يكن في مقدور أحد أن يكون شاهداً لأغلب الحوادث المذكورة هنا، كما لم يكن في مقدوره أن يعلم ماهية الصلاة التي صلاها يسوع وحيداً، ولذلك فإنهم يعتبرون أن الصلاة النموذجية (في العدد ٣٦) وتكرارها ثلاث مرات إنما هي شيء مصطنع مثل القول بإنكار بطرس ثلاث مرات.

إن القرار الموثوق منه (حول حقيقة ما جرى في الحديقة) مستحيل[١].

أما رواية لوقا عن آلام المسيح فنجد فيها ما يجعلنا نعرضها ـ إذ أنها تقول: «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضاً تلاميذه، ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة.

وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلاً: ياأبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، لكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن، فقال لهم لماذا أنتم نيام، قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (٢٢: ٣٩ ـ ٤٦).

وعند تفسير «جورج كيرد» George Kerd لهذه الفقرات يقول حسب رواية مرقص (الذي كان مصدراً للوقا) نجد أن يسوعه بدأ يكتنفه الفزع والذهول، وقد تحدث إلى تلاميذه عن الحزن الذي صحب استنزاف حياته وتلاشيها. ولما كان غير قادر على رفقة أعز أصحابه (تلاميذه) فإنه قضى الليل في تشنجات متتالية من صلاة المكروب. ولكن رواية لوقا المختصرة (بالنسبة لرواية مرقص) تعطينا بقدر الإمكان انطباعات أقوى من حالة

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

الإضطراب التي حلت بيسوع. فلقد أخبرنا أن يسوع هو الذي انتزع بعيداً عن أصحابه، وأنه كان في ألم مبرح، وأن عرقه صار مثل قطرات الدم.

وعندما تذكر الشجاعة والثبات التي واجه بها الموت رجال آخرون شجعان بكل أشكاله الدموية، وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط، فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ماهية الكأس التي كان يسوع يرجو الله - في صلاته - أن يجيزها عنه.

إن صلاة يسوع ترينا أن عقاب الشك كان أحد عناصر محنته المعقدة. فلكم تنبأ بآلامه، لكنه الآن عشية حدوثها نجده ينكص على عقبيه.

هذا ولما كانت بعض المراجع القديمة تحذف العددين ٤٣، ٤٤ اللذين يقولان: «وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» ورغم وجودهما في أغلب النسخ وإلمام علماء المسيحية في القرن الثاني بهما «فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه (كما يقول جورج كيرد) إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا، وقد اكتنفها الضعف البشري، كان يتضارب مع اعتقاده في الإبن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة»[١].

فإذا أسلمنا بأن هذا هو حقيقة ما حدث للمسيح في الحديقة فإن هذا يعني بوضوح أنه لم يكن يتوقع القتل إطلاقاً، وبالنسبة لعذاب الشك الذي أصابه فيمكن إرجاعه إلى أنه لابد وقد اطمأن مسبقاً إلى أن أعداءه لن يتمكنوا من اصطياده أما وقد رأى أعداءه أنهم سيقضون عليه فإن الأمر لابد وأن يختلف.

وأما عند القبض على يسوع فإن رواية مرقص تقول:

«وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا وأحد من الإثني عشر ومعه جمع

(١) تفسير إنجيل لوقا: ص ٢٤٣.

كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وكان مسلمه (يهوذا) قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبله هو، هو، أمسكوه وامضوا به بحرص، فجاء للوقت وتقدم إليه قائلا ياسيدي ياسيدي وقبَّله، فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه.

فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني، ولكن لكي تكمل الكتب، فتركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لابسا إزاراً على عريه فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عريانا» (١٤: ٤٣ ـ ٥٢).

لقد كانت القُبلة هي بداية عملية القبض، وتجد هذا قد اتفق فيه متى ولوقا مع مرقص، مع خلاف يسير. أما عند يوحنا فلا مكان للقُبلة، كما أنه يعطي صورة مختلفة تماماً عما روته الأناجيل الثلاثة المتشابهة ـ فهو يقول: «أخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح.

فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال من تطلبون؟

أجابوه يسوع الناصري. قال لهم يسوع إنه هو. وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفاً معهم.

فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصري. أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون (١٨: ٣ ـ ٨).

لقد اتفقت الأناجيل الأربعة على شيء هام وهو أنه ابتداء من ذلك الوقت الذي كان في ظلمة الليل ـ لأنهم جاءوا بمشاعل ومصابيح ـ فقد تركه التلاميذ كلهم وهربوا. وحول هذه القضية وللبرهنة على حال الشك التي كانت تسيطر على قلوب التلاميذ يقول اللواء دكتور مهندس أحمد عبد

الوهاب في مناظرة بالخرطوم أمام صفوة من رجال الكنيسة تعقيباً وتعليقاً على قول المسيح لتلاميذه: «كلكم تشكون فيّ هذه الليلة». ونحن هنا أمام احتمالين:

أحدهما ـ أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده، ورغم أنها ستسبب له ألماً ومعاناة، إلا أنها ستفشل وينقذه الله من القتل الذي ينتظره على أيدي مدبريها.

ثانيهما ـ أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده وتسبب له ألماً ومعاناة وتنتهي بقتله.

فإن كانت الحالة الأولى، ورأى التلاميذ ـ حسبما ترويه الأناجيل بكل وضوح ـ أن المسيح قبض عليه في تلك الليلة، واستطاعت قوى الظلم أن تنتصر عليه، وتحقق ما تريد، فعندئذ لابد وأن يشك التلاميذ في معلمهم الذي تنبأ لهم بنجاته، ثم أظهرت الحوادث أمام أعينهم بعد ذلك أنه لم تحدث له النجاة.

هنا فقط يحدث الشك والزلل والإرتداد عن العقيدة.

ومن المعلوم أن الشك غير الإنكار، ذلك أن اللص الذي يقبض عليه، قد ينكر السرقة، لكنه في الوقت نفسه أول من يعلم يقيناً أنه سرق، فهو لاشك في السرقة رغم أنه ينكر ذلك.

ولما كانت الأناجيل قد أظهرت جميعاً أن التلاميذ لم يشكوا في المسيح في تلك الليلة ـ وإنما تحدثت عن إنكار بطرس أنه من تلاميذه ـ فإن هذا يعني أن الأحداث سارت حسبما جاء في تلك الحالة التي تنتهي بنجاة المسيح من القبض والقتل.

أما إن كانت الحالة الثانية وهي أن المسيح تنبأ لتلاميذه بالقبض عليه وقتله، فإن ما شاهد التلاميذ ـ حسب رواية الأناجيل أيضاً ـ هو أن ذلك لما يحدث.

ولا محل للشك ـ إذن ـ في هذه الحالة.

ولا ريب في أن نفي الشك عن التلاميذ في تلك الليلة، يترتب عليه بالضرورة إلحاق تنبؤات خاطئة بالمسيح، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يصدر عنه. وهو أمر نستنكره.

مما سبق نجد أن الأناجيل الأربعة اختلفت في قصة القبض وملابساتها:

فقد روى كل من مرقص ومتى أن يهوذا قبّل المسيح، وروى لوقا أن يهوذا كان على وشك أن يُقبّله، بينما لا يعرف يوحنا شيئا عن القُبلة.

ويذكر كل من مرقص ومتى تحية وكلاماً جرى بين يهوذا والمسيح، ويصمت لوقا عن تلك التحية، بينما لا يذكر يوحنا شيئاً عن يهوذا سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة للقبض عليه في البستان.

وإذا صرفنا النظر عما جاء في روايتي الإثني عشر جيشاً من الملائكة، والشاب الذي هرب عريانا ـ لبقيت ثلاث نقاط أساسية لابد من استيعابها تماما للوقوف عندها وهي:

١ ـ أن القُبلة كانت الوسيلة الوحيدة لتعريف أفراد القوة بشخصية المسيح (حسب مرقس ومتى ولوقا)، بينما تم ذلك في يوحنا بعد أن ظهر المسيح ذاته إليهم بطريقة تنم عن التحدي والثبات الذي يتحلى به المجاهدون من أصحاب العقائد والرسالات.

٢ ـ وأن حادثاً غير عادي قد وقع في تلك اللحظة، مما أذهل أفراد القوة وجعلهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض.

٣ ـ وأن التلاميذ ـ حسبما يرويه كتبة الأناجيل ـ لم يشكوا في المسيح ولو للحظة واحدة من تلك الليلة التي حدث فيها القبض.

ولما كانت قصة المسيح بكل تفاصيلها، ترد دائماً إلى تنبؤات العهد القديم وخاصة سفر المزامير، فإن المزمور ٩١ الذي يستشهد به كثيراً ـ يقول:

«لأنك قلت يارب ملجاي، جعلت العلى مسكنك».

لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك.

لأنه يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك.

أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق. أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي (٩١: ٩ ـ ١٦).

أليس من حق القائل أن يقول إن ملائكة الله قد حملت المسيح على أيديها في تلك اللحظة التي كادت تزيغ فيها قلوب المؤمنين، بعد أن رأى المسيح تلاميذه أن سلطان الظلمة على وشك أن يبتلعهم؟

وإذا قيل: أين ذهب المسيح بعد ذلك؟

نقول: وأين ذهب إيليا (إلياس) الذي رفع إلى السماء؟

وفي هذا تقول أسفار العهد القديم: «وفيما هما (إيليا وتلميذه اليشع) يسيران ويتكلمان، إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء، وكان اليشع يرى وهو يصرخ ياأبي ياأبي مركبة إسرائيل وفرسانها، ولم يره بعد (الملوك الثاني ٢: ١١ ـ ١٢).

وكما سبق أن رفع أخنوخ (إدريس) إلى السماء، كما تقول الأسفار: «وسار اخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه. (تكوين ٢٤:٥).

الحق أنه من رحمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالناس، أن كل ما فعله المسيح من معجزات له سابقة فعلها الأنبياء قبله. فإذا كان قد أحيا أمواتاً لا يزيد عددهم حسبما ترويه الأناجيل عن ثلاثة ـ فقد أحيا غيره أفراداً ماتوا حديثاً، أو بعد أن انقضى على موتهم مدة طويلة.

وبالنسبة للمباركة وتكثير الطعام التي مارسها المسيح، فإنها حدثت كذلك مع الأنبياء قبله.

وبالمثل كانت عملية شفاء المرضى التي مارسها الأنبياء السابقون.

إن هذا كله رحمة من الله بخلقه، حتى لا يضلوا في المسيح ويفتنوا به فيتخذونه إلها. هذا ويتصل بهذه القضية رواية المحاكمة التي قضت بالصلب، فإن الأناجيل لم تتفق على عدد المحاكمات وإذا ما نظرنا إلى محاكمتين اثنتين فقط فإن مرقص يقول عن:

المحاكمة الأولى: أمام مجمع اليهود: «مضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع ومعه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة.

وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار، وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا، لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهاداتهم... ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين نحن سمعناه يقول إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد. ولا بهذا كانت شهاداته تتفق.

فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشيء... ماذا يشهد به هؤلاء عليك.

أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء.

فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك.

فقال يسوع: أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء.

فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا إلى شهود؟ وقد سمعتم التجاديف. ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت فابتدأ قوم يبصقون عليه، ويغطون وجهه، ويلكمونه ويقولون له: تنبأ، وكان الخدام يلطمون (١٤: ٥٣ ـ ٦٥).

يقول نينهام: «ليس من السهل أن نتبين كيف نشأ هذا الجزء، ولقد

كان السؤال حول قيمته التاريخية ـ ولا يزال ـ موضوعاً يتعرض لمناقشات حيوية، ومن الواجب أن نعرض الأسباب الرئيسية للشك في قيمته التاريخية، ونناقشها باختصار كما يلي:

١ ـ يصف القديس مرقص المحاكمة على أنها حدثت أمام المجمع ـ أي السهندرين ـ وهو هيئة رسمية تتكون من واحد وسبعين عضوا يرأسها رئيس الكهنة وتمثل السلطة الشرعية العليا في إسرائيل.

ولما كانت لائحة السنهدرين المذكورة في المشنا، تبين الخطوات التفصيلية التي يجب اتخاذها أمام تلك الهيئة، فإن المقارنة بين تلك الإجراءات وبين ما يذكره القديس مرقص عن محاكمة يسوع، تكشف عن عدد من المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار.

٢ ـ ولكن، هل كان من الممكن أن يجتمع أعضاء السنهدرين، ولو حتى لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التي تسبق المحاكمة في منتصف ليلة عيد الفصح، أو إذا اعتبرنا أن تقويم القديس مرقص لأسبوع الأحداث غير دقيق، فهل كان يمكن أن يجتمعوا في منتصف الليلة السابقة لعيد الفصح؟

إن محاكمة رسمية في مثل ذلك الوقت تبدو شيئاً لا يمكن تصديقه، كما يشك أغلب العلماء تماماً في عقد جلسة في مثل ذلك الوقت، ولو لعمل تحقيقات مبدئية[(١)].

وأما المحاكمة الثانية أمام بيلاطس فإن مرقص يقول عنها: «وللوقت في الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس.

فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ فأجاب وقال له: أنت تقول؟

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص ٣٩٨ ـ ٤٠١.

وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً.

فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً أما تجيب بشيء، انظر كم يشهدون عليك، فلم يجب يسوع أيضاً بشيء حتى تعجب بيلاطس، وكان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً، من طلبوه، وكان المسمى بارباس موثقاً مع رفقائه في الفتنة، الذين في الفتنة فعلوا قتلاً.

فصرخ الجميع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائماً يفعل لهم.

فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة قد أسلموه جسده، فهيج رؤساء الكهنة الجميع لكي يطلق لهم بالحرى باراباس.

فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود؟ فصرخوا أيضاً اصلبه. فقال لهم بيلاطس: وأي شر عمل؟ فازدادوا جداً صراخاً: اصلبه.

فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلد ليصلب (١٥: ١ ـ ١٥).

يقول نينهام: «رغم أن المحاكمة تعرض لنا باعتبارها وقعت في العراء ـ فإن رواية القديس مرقص لا يمكن اعتبارها بأية حال تقريراً لشاهد عيان، وفي الواقع إنها ليست تقريراً على الإطلاق.

إننا لم نخطر كيف علم بيلاطس بالتهمة (وفي العدد ٢ نجده قد عرفها من قبل) ولماذا لم يرد ذكر لحكم رسمي (على عكس لوقا الذي يقول: فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم (٢٣ ـ ٢٤).

وبالنسبة لما قيل عن عادة إطلاق أحد المسجونين ـ فإن وجهة نظر أغلب العلماء تقرر أنه: لا يعرف شيئاً عن مثل هذه العادة كما وصفت هنا، إن القول بأن عادة الحكام الرومان جرت على إطلاق أحد المسجونين في عيد الفصح، وأن الجماهير هي التي كانت تحدد اسمه بصرف النظر

عن جريمته، إنما هو قول لا يسنده أي دليل على الإطلاق، بل إنه يخالف ما تعلمه عن روح الحكم الروماني لفلسطين وأسلوبه في معاملة أهلها.

على أن محتويات الحوار بين بيلاطس والجمهور تعتبر من المشاكل أيضاً، فيبدو منها أن بيلاطس قد وجه مقدماً بالاختيار بين مجرمين أدينا، بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر، وفي نهاية الفقرة التالية (الأعداد ٢ ـ ٥) نجد أن يسوع لم يدن. وحسبما تذكره القصة لا نجد مبرراً يمنع بيلاطس من تبرئة يسوع إذا كان قد اعتقد في براءته وإصدار عفو كذلك عن باراباس. ونجد في رواية القديس متى لهذه القصة أن اسم ذلك المتمرد قد ذكر مرتين (في ٢٧: ١٦ ـ ١٧) في أغلب النسخ على أنه: يسوع باراباس، والاعتقاد الشائع أن ذلك كان القراءة الأصلية.

إن حذف كلمة يسوع من النسخ المتداولة ـ يمكن شرحه ببساطة على أساس أنه بالرغم من أن اسم يسوع كان شائعاً في أيام المسيح.. فلم يلبث المسيحيون أن اعتبروه مقدساً يرقى عن الاستخدام العادي، وأن اطلاقه على أحد المجرمين يعتبر مهيناً»[١].

ولقد أضاف متى إلى رواية مرقص قصتين: إحداهما تحكي نهاية يهوذا، وأما الأخرى فهي الحديث عن حلم زوجة بيلاطس، كذلك بيّن متى أن بيلاطس أعلن براءته من دم المصلوب بطريقة قاطعة فهو يقول: «فقال الوالي وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخاً ليصلب، فلما رأى بيلاطس أن لا ينفع شيئاً بل بالأحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريئ من دم هذا البار، أبصروا أنتم فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا.

حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب (٢٧: ٢٣ ـ ٢٦).

---

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص ٤١١ ـ ٤١٦.

لكن العلماء يشكون في حادث غسل يد بيلاطس ـ كما يقول جون فنتنون ـ باعتبار أن «عملية غسل اليد لتكون دليلا على البراءة إنما هي عادة يهودية أكثر منها رومانية، إذ يقول سفر التثنية: يغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من المدينة أيديهم، ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم».

ومن المستبعد جداً أن يكون بيلاطس قد عمل شيئا كهذا[١]، هذا ويستطرد اللواء مهندس أحمد عبد الوهاب أمام جمع من قادة الكنيسة ويقول نكتفي بهذا القدر بالنسبة لبعض ما يقال في المحاكمات والثغرات الموجودة فيها ثم نمر بعد ذلك على عدد من العناصر التي تتعلق بقضية الصلب، وهي لا تحتاج كثيرا للإستشهاد بأقوال العلماء، إذ أن اختلاف الأناجيل فيها، واضح لا يحتاج إلى تعليق، ثم ينطلق إلى رواية مرقص حول الصلب وحامل الصليب والتي يقول فيها مرقص: «ثم خرجوا به ليصلبوه، فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره موضع جمجمة» (١٥ : ٢٠ ـ ٢٢).

ويتفق متى ولوقا مع مرقص في أن حامل الصليب كان المدعو سمعان القيرواني لكن يوحنا يقرر شيئاً آخر فهو يقول: «حينئذ أسلمه إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة» (١٩ : ١٦ ـ ١٧).

يقول نينهام فيما نقل عنه اللواء أحمد عبد الوهاب: «لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب، بحمل صلبانهم بأنفسهم.. ويقرر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلاً في حالة يسوع، ولكن على العكس من ذلك نجد حسب رواية (مرقص ومتى ولوقا) أن شخصاً مجهولاً يدعى سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلاً من يسوع.

(١) تفسير إنجيل متى: ص ٤٣٦.

وبالنسبة لموضع جلجثة فإن التقاليد التي تقول إنه يقع داخل كنيسة القبر المقدس لا يمكن إرجاعها لأبعد من القرن الرابع، كما أنها لا تزال موضع جدل، ولقد اقترحت أماكن أخرى في عصرنا الحاضر، إلا أن القطع بواحد منها لا يزال بعيداً عن التحقيق[١].

أي أن الحديث عن القبر المقدس الذي يقول المسيحيون إن المسيح دفن فيه، وكان سبباً من الأسباب الظاهرة للحروب الصليبية التي ادعى مشعلوها أنها قامت لتخليص ذلك القبر المقدس من أيدي الكفرة والتي استمرت أكثر من ٢٨٠ عاماً، وقتل فيها من المسيحيين والمسلمين عشرات الألوف، ودمر فيها الكثير من المدن وأسيلت فيها دماء الكثير من الأبرياء ـ كل هذا قام على غير أساس.

ب ـ شراب المصلوب:

يقول مرقص: «أعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل» (١٥ : ٢٣).

ويقول متى: «أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب» (٢٧ : ٣٤).

جـ ـ علة المصلوب:

يقول مرقص: «وكان عنوان علته مكتوباً: ملك اليهود» (١٥ : ٢٦).

ويقول متى: «وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود» (٢٧ : ٣٧).

ويقول يوحنا: «وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب، وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك اليهود» (١٩ : ١٢).

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص٤٢٢.

يقول نينهام: «لقد اختلفت الآراء بشدة حول صحة ما كتب عن علته، فيرى بعض العلماء أن الصيغة الدقيقة قد عرفت عن طريق شهود عيان، بينما يعتقد آخرون أنه من غير المحتمل أن يكون الرومان قد استخدموا مثل تلك الصيغة الجافة، وأن ما ذكره القديس مرقص بوجه خاص عن علته، إنما يرجع مرة أخرى لبيان أن يسوع قد أعدم باعتباره المسيا»[١].

إن اختلاف الأناجيل في عنوان علة المصلوب ـ وهو ما لا يزيد عن بضع كلمات بسيطة كتبت على لوحة قرأها المشاهدون_ إنما هي مقياس لدرجة الدقة لما ترويه الأناجيل. وطالما كان هناك اختلاف ـ ولو في الشكل كما في هذه الحالة ـ فإن درجة الدقة لا يمكن أن تصل إلى الكمال بأي حال من الأحوال.

وقياساً على ذلك نستطيع تقييم درجة الدقة لما تذكره الأناجيل من ألقاب المسيح، وخاصة عندما ينسب إنجيل إلى أحد المؤمنين به قوله: كان هذا الإنسان باراً، بينما يقول إنجيل آخر في نفس الوقت: كان هذا الإنسان ابن الله، أو عندما يقول أحد الأناجيل على لسان تلميذ للمسيح: يامعلم ويقول إنجيل آخر: ياسيد، بينما يقول ثالث يارب.

إن الحقيقة تبقى هنا دائماً محل خلاف، ويجب أن يكون هذا الخلاف في الاعتبار، وأن يدرك قادة التنصير وأحبار اللاهوت أن علماء الإسلام يرفضون مثل هذا التناقض الذي جاء حول المصلوب في هذا الحدث، وخاصة عندما تتضح أبعاد التناقض وتكون واضحة جلية في حادث جلل كهذا الذي تقوم عليه أركان عقيدة دينية، واستكمالاً لجوانب التناقض يقول مرقص: «وصلبوا معه واحداً عن يمينه وآخر عن يساره.. واللذان صلبا معه كانا يعيرانه» (١٥ : ٢٧ ـ ٣٢).

---

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص٤٢٤.

ويتفق متى مع مرقص في أن اللصين كانا يعيرانه ويستهزئان به.

لكن لوقا يقول: «وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا.

فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلناه، وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله.

ثم قال ليسوع: اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك، فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (٢٣: ٣٩ ـ ٤٣).

لقد اختلفت الأناجيل في موقف اللصين من المصلوب.. وكذلك اختلفت في وقت الصلب فبينما يقول مرقص: «وكانت الساعة الثالثة فصلبوه» (١٥:٢٥).

يقول يوحنا: «إذ ذلك بعد السادسة: «وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة.

فقال (بيلاطس) لليهود هو ذا ملككم فصرخوا خذه، اصلبه، فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب» (١٩: ١٤ ـ ١٦).

يقول نينهام: «منذ اللحظة التي روى فيها القديس مرقص إنكار الناس ليسوع، نجد أن الوقت قد خطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية الأحداث إن التوقيتات مثل: (إنكار بطرس ثلاث مرات ١٤: ٦٨، ٧٢ وقت الصلب الساعة الثالثة ١٥:٢٥ ـ وقت الظلمة من السادسة إلى السابعة ١٥: ٣٤، ٣٣).

وفي هذا المثل على الأقل فإن الحساب يبدو مصطنعاً، إذ أنه من الصعب أن كل ما روت الأعداد (١٥: ١ ـ ٢٤) (منذ بدء جلسة الصباح حتى وقت الصلب) يمكن حدوثه في فترة الثلاث ساعات.

ويبين إنجيل يوحنا (١٤:١٩) بوضوح أن ذلك لم يحدث[١].

يقول لوقا: «ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعي جمجمة وصلبوه هناك مع المذنبين واحداً عن يمينه والآخر عن يساره.

فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (٢٣: ٣٣ ـ ٣٤).

لقد انفرد لوقا بذكر هذه الصلاة التي حذفتها الأناجيل الأخرى، بل وبعض النسخ الهامة التي تنسب للوقا أيضاً.

ويقول جورج كيرد: «لقد قيل إن هذه الصلاة ربما تكون قد محيت من إحدى النسخ الأولى لإنجيل (لوقا) بواسطة أحد كتبة القرن الثاني، الذي ظن إنه شيء لا يمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود. وبملاحظة ما حدث من تدمير مزدوج لأورشليم في عامي ٧٠، ١٣٥ صار من المؤكد أن الله لن يغفر لهم[٢].

وأما صرخة اليأس على الصليب والتي يقول بها مرقص فتجئ كهذا: «ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى التاسعة، وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: «الوى الوى لما شبقتني». الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني (١٥: ٣٢ ـ ٣٤).

لكن لوقا يقول: «نادي يسوع بصوت عظيم وقال ياأبتاه في يديك أستودع روحي» (٤٦:٢٣).

بينما يقول يوحنا: «لما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس روحه وأسلم الروح» (٣٠:١٩).

إن صرخة اليأس على الصليب تشير عدداً من المشاكل التي كانت

---

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص٤٢٤.
(٢) تفسير إنجيل لوقا: ص٢٥٠.

ولا تزال موضع جدل بين العلماء، فالبعض يقول: «يبدو أن القديسين لوقا ويوحنا قد رأيا في كلماتهما غموضاً واحتمالاً لسوء الفهم. ولذلك حذفاها، ثم استبدلها أحدهما بقوله: ياأبتاه في يديك أستودع روحي، بينما قال الآخر: قد أكمل.

وعلى العكس من ذلك فإن مثل هذا الرأي يفترض الرواية التي كانت شاغله الأول أن يذكر الحقيقة التاريخية، ويسجل بأمانة للأجيال القادمة كلاماً مزعجاً يتعذر تفسيره.

ولهذا فإن أغلب العلماء المحدثين يقرون تأويلاً مختلفاً تماماً، يقوم على حقيقة أن هذه الكلمات (اليائسة) إنما هي اقتباس من (المزمور ١ : ٢٢).

وإذا أخذنا هذا المزمور ككل، فإنه لا يمكن أن يكون صرخة يأس بأي حال من الأحوال، إنما هو صلاة لعبد بار يعاني آلاماً، إلا أنه يثق تماما في حب الله وحفظه من الشر، وهو مطمئن تماماً إلى حمايته.

وأما في أعقاب الصلب فيقول مرقص: «انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ولما رأى قائد المئة الواقف مقابلة أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله» (١٥ : ٣٨ ـ ٣٩).

ويقول متى: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسيين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامه ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (٢٧ : ١٥ ـ ٥٣).

ويقول لوقا: «أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه، فلما رأى قائد المئة ما كان، مجد الله قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً» (٢٢ : ٤٥ ـ ٤٧).

أما يوحنا فإنه لا يعلم شيئاً عن ذلك.

يقول جورج كيرد: «إن حدوث كسوف للشمس (حسب رواية لوقا) بينما يكون القمر بدراً، كما كان وقت الصلب، إنما هو ظاهرة فلكية مستحيلة الحدوث.

ويقول نينهام: «لقد قيل إن مثل تلك النذر لوحظت عند موت بعض الأحبار الكبار وبعض الشخصيات العظيمة في العصور القديمة الوثنية وخاصة عند موت يوليوس قيصر»[١].

ويقول جون فنتون: «لقد أضاف متى إلى ما ذكره مرقص حدوث الزلزلة وتفتح القبور وقيامة القديسين من الأموات وظهورهم لكثيرين في أورشليم بعد قيامة يسوع، وكان قصده من إضافة هذه الأحداث أن يبين أن موت يسوع كان عملاً من صنع الله[٢].

الحق الذي لا مرية فيه أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت صغير أو كبير.

هذا ويعلق الدكتور محمد جميل غازي ـ رحمه الله ـ على التناقضات التي أبرزها موضوع الصلب فيقول: «ومن العجيب أن هناك خلافا في شكل الصليب الذي استخدم، فهذا القاموس يذكر أن هناك الصليب (X) والصليب (+)، والصليب المستخدم كرمز للمسيحية هو (+) لكن هذا القاموس يقول إن الصليب الذي استخدم كان على شكل (T) وهذا هو نص ما يقوله الكتاب المقدس.

وللصلبان نماذج رئيسية ثلاثة، أحدها المدعو صليب القديس أندراوس وهو على شكل (X) وثانيهما بشكل (+) وثالثها بشكل السيف (T) وهو المعروف بالصليب اللاتيني.

ولعل صليب المسيح كان من الشكل الأخير (T) كما يعتقد الفنانون،

(١) تفسير إنجيل مرقص: ص٤٢٧.

(٢) تفسير إنجيل متى: ص٤٤٤.

الأمر الذي كان يسهل وضع اسم الضحية وعنوان علتها على القسم الأعلى منه».

فإذا كان شكل الصليب مختلفاً فيه، إذن قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾. . .الآية يبين لنا بوضوح أن كل ما يتعلق بالصلب اشتبه أمره عليهم وغابت عنهم الحقيقة، فهم لا يزالون مختلفين في كل ما يتعلق بقضية الصلب مثل: حامل الصليب، وعلة المصلوب، واللصان والمصلوب، ووقت الصلب، وصلاة المصلوب، وصرخة اليأس على الصليب، وما حدث في أعقاب الصلب.

وأما عن شهود الصلب فيقول رحمه الله: «لعل هذه واحدة من أهم العناصر قضية الصلب، وأنها لترينا أن شهود الصلب كن نساء وقفن ينظرن من بعيد ذلك الذي علق على الصليب، ولم تكن هناك فرصة للتحقق والمعاينة عن قرب.

يقول مرقص: «وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير، ويوسي، وسالومة، اللواتي أيضاً تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل، وأخر كثيرات صعدن معه إلى أورشليم» (١٥: ٤٠ ـ ٤١).

وكذلك يقول متى في (٢٧: ٥٥ ـ ٥٦).

ويقول لوقا: «وكان جميع معارفه ونساء كن تبعنه من الجليل واقفات من بعيد ينظرن ذلك» (٢٣:٤٩).

ويقول يوحنا: «وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلويا ومريم المجدلية» (١٩:٢٥).

ويقول جون فنتون: «لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع، ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة، فإننا لا نسمع عنه شيئاً أكثر من هذا، بعد إنكاره ليسوع.

إن مرقص ومتى ولوقا يخبروننا أن شهود الصليب كن نساء تبعن يسوع من الجليل إلى أورشليم، وقد رأين دفنه، واكتشفن القبر خاليا صباح الأحد، وقابلن يسوع (بعد قيامته)[١].

ويعلق العلماء على ما قاله يوحنا عن وجود مريم أم المسيح عند الصليب بقولهم: «إنه من غير المحتمل أساساً أن يكون قد سمح بوقوف أقارب يسوع وأصدقائه بالقرب من الصليب»[٢].

كذلك تقول دائرة المعارف البريطانية تعليقاً على اختلاف الأناجيل في شهود الصلب: «نجد في الأناجيل (الثلاثة) المتشابهة أن النساء فقط تبعن يسوع، وأن القائمة التي كتبت بعناية واستفاضة لا تضم والدته، وأنهن كن ينظرن من بعيد» (مرقص ١٥:٤٠).

ولكن في يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين أخريتين والتلميذ المحبوب تحت الصليب، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ المحبوب إلى خاصته.

هذا بينما لا تظهر والدته في أورشليم ـ حسبما ذكرته المؤلفات القديمة ـ إلا قبيل عيد العنصرة وفي رفقة إخوته (أعمال الرسل ١:١٤)[٣].

من ذلك نتبين أن شهود الأحداث الرئيسة التي قامت عليها العقائد المسيحية وهي الصلب، والقيامة، والظهور، إنما كانت ـ على أحسن الفروض ـ نساء شاهدن ما شاهدن من بعيد، ثم قمن بعد ذلك بالرواية والتبليغ.

وخلاصة ما يمكن أن نذهب إليه في حادث الصلب الذي ترويه الأناجيل، إن أقل تقدير كان يجب مراعاته وإعادته عند اعتماد كتاب

---

(١) تفسير إنجيل متى: ص٤٥٥.

(٢) تفسير إنجيل مرقص: ص٤٣١.

(٣) ج٣، ص٩٩.

الأناجيل على بعض في النقل والرواية أن يكون بينهم تآلفا بين الأناجيل، ويمنع التناقض والاختلاف بينها، ولكن ما حدث كان على النقيض من ذلك.

وإذا أخذنا بما ترويه الأناجيل عن الصلب وأحداثه، لوجدناها قد اختلفت فيه من الألف إلى الياء.

وباختصار شديد فإن ما ذكرته الأناجيل عن حادث القبض وملابساته - المحاكمات - توقيت الصلب (اليوم والساعة) - صرخة اليأس على الصليب - شهود الصلب، كل ذلك وغيره كثير يكفي للقول بأن الأناجيل اختلفت فيما بينها اختلافاً بعيداً، وهو اختلاف يكفي لرفضه ما يذكره أحد الأناجيل - على الأقل - إذا أخذنا برواية الإنجيل الآخر، فأيهما نأخذ به، وأيهما نرفضه؟

رب قارئ درج على الإيمان التقليدي بما ترويه الأناجيل، لا يجد مفراً الآن من أن يقول: «إنما العلم عند الله».

الموت والتجلي للمسيح

اقترب عيد الفصح واجتمع في أورشليم عدد كبير من اليهود ليقربوا القرابين للهيكل. وكان البهو الخارجي يضج بأصوات البائعين ينادون على الحمام وغيره من حيوانات الضحايا، والصيارفة يعرضون النقود المتداولة في هذا المكان بدل نقود الوثنيين المتداولة في الإمبراطورية الرومانية. ولما زار عيسى الهيكل في اليوم الثاني بعد دخوله المدينة هاله ما كان تحت المظلات من ضجيج وأعمال تجارية، فانتابته هو وأتباعه نوبة من الغضب الشديد، دفعتهم إلى قلب مناضد الصيارفة وتجار الحمام، وبعثرة نقودهم على الأرض، وإخراج التجار من ساحته بضرب العصى. وظل عدة أيام بعد مجيئه يعلم في الهيكل دون أن يتعرض له أحد. ولكنه كان يخرج منه ليلاً ويبيت في جبل الزيتون لخوفه أن يُقبض عليه أو يُغتال.

وكان عمال الحكومة ـ المدنيون منهم والدينيون، الرومان واليهود ـ يراقبونه، وأكبر الظن أن هذه المراقبة قد بدأت من يوم أن خلف يوحنا المعمدان في دعوته. وكان عجزه عن أن يضم إليه عدداً كبيراً من الأتباع مما جعلهم يهملون أمره، ولكن يبدو أن الاستقبال الحماسي الذي استقبل به في أورشليم حير زعماء اليهود فصاروا يخشون أن تلتهب حماسة هذه الجماعات التي اجتمعت في عيد فصح، فتدفعها عواطفها الثائرة، ونزعتها الوطنية، إلى الثورة على السلطة الرومانية، ثورة طائشة عقيمة، لم يحن موعدها بعد، فتكون عاقبتها القضاء على كل ما تستمتع به اليهودية من حُكم ذاتي وحرية دينية. ومن أجل هذا دعا الحاخام الأكبر السنهدرين إلى الاجتماع. وقال: «إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك

الأمة كلها» ووافقته أغلبية الحاضرين على رأيه وأمر المجلس بإلقاء القبض على المسيح.

ويبدو أن نبأ هذا القرار وصل إلى مسامع يسوع، ولعل الذي أوصله إليه بعض أعضاء في السنهدرين نفسه. ففي اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري (وهو اليوم الثالث من شهر إبريل) من العام الثلاثين في أرجح الأقوال أكل عيسى ورسله عشاء عيد الفصح في دار صديق له في أورشليم، وكانوا ينتظرون أن ينجي المعلم نفسه بما له من معجزات، لكنه لم يفعل شيئا من هذا، ورضى بما قُدّر له، ولعله كان يأمل أن يتقبل الله موته على أنه تضحية يكفِّر بها عن ذنوب شعبه. وقد قيل له إن أحد الاثني عشر كان يأتمر به ليسلمه إلى أعدائه، وفي هذا العشاء الأخير اتهم المسيح علناً يهوذا الإسخريوطي. وقد جرى يسوع على السنن اليهودية فبارك الخمر الذي قدمه الرسل ليشربوه، ثم غنوا جميعاً أغنية هاليل اليهودية. ويقول يوحنا إنه قال لهم «ياأولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد... وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً... لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة... أنا أمضي لأعدّ لكم مكاناً».

ويبدو أنه من المعقول جداً أن يطلب المسيح إليهم في هذه الساعة الرهيبة أن يكرروا هذا العشاء في مواسم خاصة (كما تتطلب ذلك عادة اليهود)، إحياء لذكراه، وليس ببعيد أنه وهو ذو الإحساس الشرقي المرهف والخيال الشرقي الوثاب، قد سألهم أن يتصوروا أن العيش الذي يأكلونه هو جسمه، وأن الخمر التي يشربونها هي دمه.

ويقال إن الجماعة الصغيرة اختبأت تلك الليلة في حديقة جثسماني في خارج أورشليم. وفيها عثرت عليهم سرية من شرطة الهيكل، وقبضت على يسوع، وسيق أولاً إلى بيت أونياس أحد كبار الكهنة السابقين، ثم نقل منه إلى بيت قيافا، ويقول مرقس أن «المجلس» ـ ولعل الأصح أن لجنة من أعضاء السنهدرين ـ اجتمعت في ذلك المكان. وشهد عليه شهود

كثيرون، وذكروا بنوع خاص تهديده بتخريب الهيكل. ولما سأله قيافا هل هو «المسيح ابن الله؟» أجابه كما تقول الرواية «أنا هو» واجتمع السنهدرين في صباح اليوم التالي وأثبت عليه جريمة التجديف (وكان عقابها الإعدام في تلك الأيام) وقرر أن يسوقه أمام الحاكم الروماني، وكان قد جاء إلى أورشليم ليرقب الجماهير المحتفلة بعيد الفصح.

وكان بيلاطس البنطي رجلاً قاسياً، استدعى إلى رومة بعد وقت ما من هذه الحادثة متهماً بابتزاز المال واستخدام القسوة، وعُزل من منصبه. على أنه لم يبد له وقتئذ أن هذا الواعظ الوديع الخلق خطر حقيقي على الدولة. وعلى ضوء ما امتلأت به الأناجيل، يروي ول ديورانت: أن الوالي سأل الرجل يسوع سؤالاً يكاد يكون من قبيل المداعبة: «أأنت ملك اليهود؟» فأجاب يسوع، حسب رواية متى بقوله «نعم». ولا يسع الإنسان إلا أن يشك في هذه التفاصيل التي تناقلها الناس مشافهة في أغلب الظن، ثم دونوها بعد وقوعها بزمن طويل. فإذا أخذنا بهذا النص وجب علينا أن نجزم بأن يسوع كان قد قرر أن يموت، وأن نظرية بولس عن التكفير تجد ما يؤيدها في عمل المسيح نفسه. وينقل يوحنا عن يسوع أنه أضاف إلى جوابه السابق قوله: «لهذا وقد ولدت أنا.. لأشهد للحق». وسأله بيلاطس «ما هو الحق؟» ـ وهو سؤال لعل الباعث عليه نزعة الإنجيل الرابع الميتافيزيقية، ولكنه يدل بأجلى بيان على ما هنالك من فروق بين ثقافة الرومان السوفسطائية الساخرة، ومثالية اليهودي الواثقة المتحمسة. ومهما يكن من شيءفلم يكن أمام القانون بعد اعتراف المسيح إلا أن يدينه، وبناء على هذا أصدر بيلاطس وهو كاره حكمه بالإعدام.

وكان الصلب من طرق العقاب الرومانية اليهودية. وكان الجلد يسبقه عادة، فإذا ما جلد المذنب بقسوة أصبح جسمه كتلة من اللحم المتورم الدامي. ووضع الجنود الرومان تاجا من الشوك على رأس المسيح يسخرون بذلك من تلقيبه «ملك اليهود»، كما نقشوا على صليبه باللغات الآرامية

واليونانية واللاتينية «عيسى الناصري هو ملك اليهود» Nazarathaeus Rek Joudeorum. وسواء كان يسوع من دعاة الثورة أم من غير دعاتها فليس ثمة ريب في أن رومة قد حكمت عليه بوصفه من هؤلاء الدعاة، وكذلك فهم تاستس الأمر على هذا النحو. وكانت جماعة صغيرة، لا يزيد عددها على ما يتسع له فناء بيت بيلاطس، قد طالبت بإعدام المسيح، فلما أن أخذ يصعد تل جمجمة «تبعه جمهور كبير من الشعب» كما يقول لوقا، والنساء اللواتي كن يلطمن وينحن عليه وما من شك في أن هذا الحكم لم يرق في عين الشعب اليهودي. وهنا يبدو على ول ديورانت أنه ممن يسلم برواية الصلب، ولا يعقد مقارنة كعادته في العرض التاريخي بين رواية الصلب ورواية نفيه، يقول: وقد أذن لكل من يريد أن يشهد هذا المنظر الرهيب أن يشهده. وكان الرومان الذين يرون أن لابد لهم أن يحكموا الناس بالإرهاب يختارون لتنفيذ حكم الإعدام فيمن يرتكبون الجرائم التي يحدد لها القانون هذه العقوبة الطريقة التي يسميها شيشرون «أقسى أنواع التعذيب وأبشعها». فكانت يد المذنب وقدماه تُدَق (أو تربط في حالات نادرة) إلى الخشبة، وكانت فيها قطعة بارزة تسند العمود الفقري أو القدمين. وإذا لم يُرحم المذنب فيُقتل فإنه يبقى على هذه الحال يومين أو ثلاثة أيام، يقاسي فيها آلام عدم الحركة، وهو عاجز عن طرد الحشرات التي تتغذى من لحمه العاري، فتخور قواه ببطء حتى يقف القلب عن الحركة ويضع حداً لهذا العذاب الأليم.

وكان الرومان أنفسهم يشفقون على ضحايا هذا التعذيب في بعض الأحيان، ويقدمون لهم شراباً فيفقدهم وعيهم. ويقال إن الصليب كان يرفع «عند الساعة الثالثة أي في الساعة التاسعة صباحاً. ويقول مرقص إن لصين صلبا مع يسوع وإنهما كانا يسبانه. ويؤكد لنا لوقا أن واحداً منهما كان يدعو له. ولم يكن مع عيسى أحد من الرسل إلا يوحنا وحده، وكان معه ثلاث نساء تسمى كل واحدة منهن مريم، أم المسيح، ومريم أختها، ومريم المجدلية (وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد). واقتسم الجند ثياب الميت

كعادة الرومان، وإذ لم يكن للمسيح إلا ثوب واحد فإنهم أخذوا يلقون القرعة ليروا من يأخذ الثوب. ولعلنا نقرأ في هذا المعنى الآية الثامنة عشر من المزمور الثاني والعشرين منسوبة إلى المسيح: «يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون». ويبدأ هذا المزمور نفسه بتلك الكلمات: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟». وذلك هو نداء اليأس البشري الذي يعزوه مرقص ومتى إلى المسيح وهو يحتضر. فهل يمكن أن يكون الإيمان العظيم الذي أعانه في موقفه أمام بيلاطس قد انقلب في تلك اللحظات المريرة إلى شك أسود؟ ولعل لوقا قد رأى أن هذه العبارة لا تتفق مع عقائد بولس الدينية فبدلها بقوله: «ياأبتاه في يديك أستودع روحي» ـ وهي عبارة تردد صدى الآية الخامسة من المزمور الحادي والثلاثين ترديداً يثير الريب لما فيه من دقة.

وأشفق جندي على المسيح الظمآن، فجاء بإسفنجة مغموسة في الخل وقربها من فيه، فشرب عيسى وقال: «قد أكمل» وفي الساعة التاسعة ـ الثالثة بعد الظهر ـ «نادى يسوع بصوت عظيم.. وأسلم الروح». ويضيف لوقا إلى هذا ـ ويدل بقوله على عطف اليهود ـ «وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر.. رجعوا وهم يقرعون صدورهم». واستطاع اثنان من اليهود الرحماء ذوي النفوذ أن يحصلا على إذن من بيلاطس بإنزال جثة المسيح عن الصليب، فأنزلاها، وحفظاها بالند، والمر، ووارياها التراب. [كذا عند ول ديورانت في قصة الحضارة] ويستطرد فيقول:

ترى هل مات حقاً؟ لقد كان اللصان اللذان إلى جانبه لا يزالان على قيد الحياة، وقد كسر الجنود ساقهما حتى تتحمل أيديهما ثقل جسمهما، فيؤثر ذلك في حركة الدم ويقف القلب. غير أن هذا لم يحدث في حالة عيسى، وإن كان قد قيل إن جندياً طعنه في قلبه بحربة، فانبثق الدم من الجرح أولاً، ثم خرج بعده مصل الدم. وأبدى بيلاطس دهشته من أن يموت رجل بعد ست ساعات من صلبه، ولم يوافق على أن يرفع جسد

المسيح عن الصليب إلا بعد أن أكد له قائد المائة المكلف به أنه قد مات.

وهنا يبدو ديورانت قد أهمل منهجه التحقيقي في تناول روايات التاريخ، فهو يعرض ما هو معروف عند الجميع من أن بيلاطس كان غير متحمس لموت المسيح، فلماذا هذا الحرص على التأكد من موته.

يقول ديورانت: وبعد يومين من هذا الحادث زارت مريم المجدلية - وكان حبها ليسوع تمتزج به تلك النشوة العصبية التي تمتاز بها عواطفها كلها - قبر المسيح مع مريم أم يعقوب، وسالومة، فوجدته فارغاً، فامتلأت قلوبهن خوفاً وسرورا معاً، وجرين لينقلن ذلك النبأ إلى تلاميذه والتقين في الطريق برجل حسبنه يسوع، فانحنين احتراماً له، وأمسكن بقدميه. وفي وسعنا أن نتصور الأمل الذي انبعث في النفوس الساذجة من هذا النبأ وما لقيه من ترحيب، لقد قهر يسوع الموت وأثبت أنه هو المسيح المنتظر ابن الله، وملأ ذلك النبأ قلوب «أهل الجليل» بنشوة جعلتهم على استعداد لأن يصدقوا أية معجزة وأي وحي. ويروي الرواة أن المسيح ظهر في ذلك اليوم نفسه إلى تلميذين من تلاميذه في الطريق الموصل إلى عمواس، وتحدث إليهما، وأكل معهما، ولكن «أمسكت أعينهما عن معرفته» ثم «أخذ خبزاً وبارك وكسر.. فانفتحت أعينهما، وعرفاه، ثم اختفى عنهما». ورجع التلاميذ إلى الجليل فلما «رأوه» بعد قليل «سجدوا له، ولكن بعضهم شكوّا». وبينما كانوا يصطادون السمك رأوا المسيح ينضم إليهم، فألقوا شباكهم ولم يستطيعوا أن يجذبوها من كثرة السمك.

وجاء في سفر أعمال الرسل أن المسيح صعد بجسمه إلى السماء بعد أربعين يوماً من ظهوره إلى مريم المجدلية. لقد كانت فكرة «انتقال» القديس بجسمه، وحياته إلى السماء، من الأفكار الشائعة المألوفة بين اليهود، فقد رووها عن موسى، وأخنوخ، وإليشع، وإشعيا. وهكذا اختفى السيد المسيح بنفس الطريقة التي ظهر بها. لكن يبدو أن معظم تلاميذه كانوا يعتقدون مخلصين أنه قد وجد معهم بجسمه بعد صلبه. وفي ذلك يقول لوقا:

«ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله». وبهذه النهاية التي تصورها الأناجيل يتناولها ول ديورانت ويعرضها كأشهر مؤرخ غربي دون تدقيق أو تمحيص، إنما هو عارض لشريط الأناجيل.

لماذا صُلب المسيح؟

سؤال لو صدر من جميع أصحاب العقائد والمذاهب المتباينة فسوف يقابل بإجابات متباينة، وكلها ينصب بين التبرير، والدواعي، والمقتضيات، وبين رفض، وإنكار، واستبعاد عقلي تاريخي، كما تأتيك إجابات دينية تعتمد على نبأ الوحي الصادق، كما تطالعك روايات تدل على وقوع الحدث بغير مبررات، ولا دواعي، ولا مقتضيات، لكن المحيّر هو أن القلوب المؤمنة من جميع طوائف النصارى ينطلقون في إجاباتهم من معتقد لا يحبون أن يتدبروه أصلاً، فالقضية عندهم - إن شرحوها وبينوها للناس - لا تخرج عما يألف الناس في دنياهم من منطق «القصاص»، أو العوض، وذلك حتى تستقيم الحياة بزعمهم.

وخلاصة الدوافع والمبررات لصلب المسيح وقتله في ظل ما تقول به معظم روايات الأناجيل هو الزعم بأن آدم لما تخطى ما أمر به، وزل، استحق العقاب، فلما توجه عليه العتاب أشفق من ذنبه، وتقطع أسفاً على مخالفة أمر ربه، فرحمه الله، ولطف به، وفداه بابنه المسيح، وعلى ذلك فكل ما نزل بالمسيح من ضرب، وإذلال، وصلب، وموت، إنما هو فداء وقضاء عن مخالفة آدم لأمر ربه، أي أن المسيح في هذا التبرير ضرب عوضاً عن رفاهية آدم، وأهين بدلاً من عزه الذي أمله بالخلود في الجنة، وصلب على خشبة لتناوله الشجرة، وسمرت يداه لامتداد يد آدم إلى الثمرة، وشرب المر والخل عند عطشه لاستطعام آدم حلاوة ما أكله، ومات بدلاً عن موت المعصية الذي كان آدم يتوقعه لولا قتل المسيح، وفي ظل هذه الإجابة يطالعك أن حكمة الله الأزلي اقتضت في ضوء هذا التبرير

ألا يعذب الله عبده آدم لوجود التوبة النصوح الصادرة منه، وألا يهمل مجانا فيقع الخُلفُ في خبره، وذلك رحمة من الله ولطف بآدم وبنيه وإظهار الشرف الرفيع للمسيح، إذ جعل كبش قربان العالم بأسره فصبر المسيح ولم ينازع، واستسلم ولم يدافع، فهذه هي الحكمة في قتل المسيح وصلبه، وهذا الجواب هو التعبير عن الأساس الثاني من أسس العقيدة النصرانية التي شكلتها روايات الأناجيل بالاعتقاد بصلب المسيح تكفيراً عن خطيئة آدم التي انتقل إثمها إلى ذريته من بعده.

ومنشأ هذه العقيدة يبينه لنا، أرنست ذي بولسن الألماني في كتابه (الإسلام والنصرانية الحقّة) ففي صفحة ١٤٢ يقول: (إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، ومن ثم لم يتلقوا عنه شيئاً من أصول النصرانية الحقة).

وفي ضوء ذلك كله إذا ما قيل لعلماء اللاهوت أليس قد وافقتم على أن آدم لما ورد عليه العتاب استرجع، وتاب، وأقلع، وأناب؟ وإذا كان الأمر كذلك فأي شيء دعا إلى قتل المسيح على الصليب فداءً عنه؟ فإذا علمنا أن كل الشرائع قاضية بأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فقتل المسيح على الصليب فداءً لخطيئة آدم التي تاب منها يكون عبثاً، والرب يتعالى ويتقدس عن العبث، وليس قوله تعالى لآدم نصاً، بل هو ظاهر يدخله النسخ والتخصيص، والدليل عليه أنه لو وصله بالكلام وقال: إن عصيتني عذبتك إلا أن تتوب، لقبله الكلام ولم يتب عنه، ولَعُدَّ كلاماً حسناً، وإنما ترك الزيادة فلم يصلها بالكلام ليكون أدعى إلى الانكفاف، وهكذا كل ظاهر فإنه يرد مطلقاً بلفظ يوهم التأبيد، ثم يجيء الناسخ والمخصص فيبين أن المطلوب وقتاً قد انقضى ومضى وأنه ليس مسترسلاً أبداً، فهو سبحانه توعّد آدم إلا أن يتوب وقد تاب، باعتراف الكتب وأصبح آدم بالتوبة لا ذنب له ولا وزر عليه، فلا معنى بعد ذلك لقتل المسيح.ثم لا بد من السؤال والاعتراض عن هذا القضاء الذي تدعيه بعض

أجزاء الأناجيل، أليس هو بلغة الناس استدراك مصلحة الأداء، وهو أن يأتي القاضي بمثل ما فوّت؟! فإن قال علماء اللاهوت: نعم يقال لهم فالذي فوته آدم هو الانكفاف عن الأكل، وقد قضاه المسيح بصومه ووصاله أربعين يوماً بلياليها كما حكيتم عنه في الأناجيل، وفي ذلك قضاء لما ضيعه آدم لأنه من جنس الأداء المُفَوَّت، فلا حاجة إلى قتل المسيح إذ هو خارج عن جنس الأداء المضيَّع.

فإن قالوا: إن آدم وجب عليه موت المعصية، وهو: الخلود في النيران أبداً وهو أعظم الموتتين، فجاء موت المسيح قضاءً عن ذلك الموت فصار من جنسه، وهذه إجابة وعقيدة تدلان على السفه لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم لكان المسيح قد أماته الله موت الخطيئة، وكان يجب أن تأتي الروايات بكونه مخلداً في دركات النار بدلاً عن آدم، فأما وقد مات موت الطبيعة فكيف جعلتم موتاً لا بقاء له مكافئاً لموتٍ لا انتهاء له فيبطل ما عوَّلتم عليه،؟! وإذا بطلت دعواكم، بطل قتل المسيح، إذ صار ساذجاً عن المعنى، فارغاً من الفائدة، والرب يتعالى عن العبث، كذلك من الممكن أن تدفع الحيرة وعلامات الاستفهام بسؤال يحمل بين جنباته وبدون لجاج أو مراء بداهة عقلية، أليس ولد الصلب أولى من ولد الابن وولد البنت في كثير من الأحكام، فما الذي حصل المسيح على بعده الزمني والعائلي من آدم أحق من شيث في درجته بهذا الفداء والقضاء؟ فإن قالوا: المسيح هو ابن الله، ولم يصلح لفداء الخلائق وخلاص الأمم سواه، قلنا: أليس من العدل أن يجني ابن آدم فيقتل ابن الله في جنايته؟! ثم نقول أليس إسرائيل عندكم في التوراة هو بكر الله والبكر أولى وأفضل عند أبيه من غير البكر، فهلا فداه به ولم يدع الناس في العذاب إلى حين مجيء المسيح؟! ثم يجد الباحث نفسه مضطراً وهو يرد التبريرات والذرائع والمقتضيات القاضية عند كتّاب الأناجيل بصلب المسيح، ويسأل: أليس المسيح عند معظم طوائفكم هو الله الأزلي، وعند أخرى هو ابن الله، فكيف يستقيم أن يقتل الله نفسه أو ابنه بدلاً عن عبده؟! أو فكيف يتوفى

نفسه، فيتحد القاتل والقتيل فيكون قاتلاً قتيلاً؟!

ثم تتوارد علامات الاستفهام حول هذا الموضوع فيقال: أرأيتم لو أن رجلاً أمر عبده بأمر فخالفه العبد، فغضب عليه، وتوعده، فخافه العبد، وأشفق من عقوبته وراجع خدمته، وشمّر في مرضاته، فعطف عليه مولاه فرحمه ثم عمد إلى ولد نفسه فقتله وصلبه على أعلى جذع، ثم التفت إلى عبده فقال: هذا فداؤك، أكنتم تعدونه حكيماً؟!

ثم نقول ألستم عبتم قول غيركم بنفي الصلب بناءً على نبأ وحي ربهم وزعمتم أن ذلك ظلم وعبث لا يليق بالحكمة؟ فكيف نسيتم هنا وجوزتم أن يقتل الله المسيح، ويصلبه، وينكل به فداءً عن آدم، ولم تجعلوا ذلك ظلماً وعبثاً؟! والجور لا يجوز على الولد، كما لا يجوز على العبد والأجنبي.

ثم يقال لمبرري الصلب: أليس يجب أن يكون القضاء متصوراً بصورة الأداء، وهو أن يأتي القاضي بمثل ما فات، والمسيح عندكم ليس مثل آدم لأن آدم إنسان محض، والمسيح بزعم كتاب الأناجيل ليس إنساناً محضاً بل قلتم إنه عبارة عن لاهوت وناسوت، اتحدا، وإذا كان الأمر كذلك فليس في قتله ما يقضى عن آدم، فإن قالوا: هذا بمثابة من عليه درهم فقضى درهماً وديناراً، فإن ذلك يعد من حسن القضاء، والرد على هذا التمثيل أنه خطأ في القياس، بل ذلك بمثابة من عليه صوم فقضاه بصلاة، وإذا كان المسيح ليس إنساناً محضاً فكيف يكون مكافئاً لإنسانٍ محض، وآدميٍّ صِرف؟؟

وحول محيط هذه الدائرة الواسعة تجدر الإشارة إلى أن عقيدة النصارى تعتمد على أن المسيح صلب تكفيراً عن خطيئة آدم التي انتقل إثمها إلى ذريته من بعده حتى شملت أرواح الناس جميعاً بما فيهم الأنبياء والرسل قبل صلب المسيح، كانت أرواحهم تتعذب في نار جهنم إلى أن صُلِبَ المسيح ومات ودفن، ونزل إلى الجحيم، فأخرج منها أرواح آدم وذريته كما يقول قانون الإيمان عند النصارى.

قصة الصليب وفلسفته..

وقصة الصلب هنا لها ماضٍ سحيق يعود إلى أيام سيدنا موسى بين بني إسرائيل في «برية سيناء إذ تمردوا على الله وتنكروا له، فعاقبهم الله بالحيات والعقارب. ولما صرخوا إلى موسى يطلبون الخلاص من هذه الضربات أمره الله عز وجل بأن يصنع حية نحاسية، ويعلقها على طرف خشبة، وأمر التائب من بني إسرائيل بأن يرفع وجهه لينظر إليها، فيشفى»(١).

لكن الأجيال توارثتها كعقيدة بقوة الرغبة في الخلاص من هذه الحية النحاسية، وضاع الحق بالباطل(٢).

وظل بنو إسرائيل يقيمون لهذه الحية الأنصاب على المرتفعات حتى جاء حزقيا بن آحاز ملك يهوذا، وأراد أن يعمل ما هو مستقيم أمام الله، فأزال المرتفعات، وكسر التماثيل، وقطع الصواري، وسحق حية النحاس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها، ودعوها بحشتان»(٣).

هذا هو التاريخ الكتابي لإقامة الصليب بمثابة الإله، من موسى سنة ١٤٠٠ق.م، إلى حزقيا سنة ٥٣٨ ق.م. وظلت هذه العبادة قائمة برغم أن

---

(١) A.Lods, Israel From Its Beginnings to the Middle of the Eights Century, London, 1962, p. 362.

(٢) A.Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927.

(٣) الملوك الثاني ١٨ : /٤.

الوصية الإلهية الثانية من الوصايا العشر تنهي عن هذا: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً»[١].

التاريخ السياسي للصليب:

يحدثنا عنه السير آرثر فندلاى في كتابه (الكون المنشور)[٢] صحيفة ٥٨: «إن اكتشاف النار كان من أهم الاكتشافات التي وصل إليها الإنسان الأول في سابق العصور. لقد وجد أنه يمكنه توليد هذه النار باحتكاك قطعتين من العصى، ولما شاهد هذا اللهب العجيب سحر به وبهت إلى درجة أنه عبده، ومن ثم كانت عبادة النار».

وإسرائيل الأمة الموحدة ـ وهي تعيش بين هؤلاء الأقوام ـ توارثت عنهم الكثير.

ولقد جاء ذكر العضوين بمواصفات أوحى الله بها إلى عبده موسى بقوله: «وتصنع عضوين من خشب السنط وتغشيهما بنحاس. وتدخل عضوين في الحلقات. فتكون العضوان على جانبي المذبح حيثما يحمل»[٣].

فأصبح أمر العضوين لإسرائيل مزيجاً من الأمر الإلهي والعبادة الوثنية، فالعبادة الوثنية جعلت لتقريب الله الذي يتعبدون له أن ترمز إليه بعضوين متعامدتين على شكل صليب.

وعلى هذا أصبح الصليب رمزا للحياة والتضحية منذ آلاف السنين.

وهذا الرمز وجد منقوشاً على الألواح الحجرية الموضوعة فوق القبور البالغة القدم.

ولقد شغل الصليب مكانة دينية مرموقة في مصر وفي آشور، وفارس، والهند.

---

(١) خروج ٢٠: ٣ ـ ٤.

(٢) ترجمة: دكتور علي عبد الجليل راضي.

(٣) خروج ٢٧: ٦ و٧.

ويقال: إن الإمبراطور قسطنطين قد اتخذه رمزاً للإيمان المسيحي نقلاً من المحورين المتعامدين للمجموعة الشمسية التي كانت جيوشه قد جاءت بها من بلاد الغال رمزاً لعبادتهم الشمس.

وعلى هذا يكون الصليب رمزاً دينياً قديماً جداً. لا يمت إلى المسيحية بصلة.(١)

ويقول السير آرثر فندلاى(٢) أيضاً في كتابه (صخرة الحق) صحيفة ٧٢: «حتى سنة ٦٨٠م لم تكن الفكرة قد تبلورت حول الرمز الذي يعطي لصلب عيسى. وقبل ذلك كان يرمز بحمل للمخلص مذراً، فاستبدل عندئذ بالحمل رجل مربوط إلى صليب، ومذراً هو المسيح المخلص للفرس سنة ٤٠٠ ق.م». ثم يستأنف السير آرثر فندلاى(٣) حديثه في صحيفة ٤٣ من المرجع نفسه فيقول» «ولقد استخدم الصليب منذ آلاف السنين كعلامة على الحياة، ففي مصر القديمة الفرعونية كان الصليب يستخدم كرمز للحياة، حتى إنه وجد في مدينة الأقصر بمصر على جدار معبد الأقصر كتابة قديمة تبشر بالأم العذراء، والروح القدس المصري، كان يرسم قابضاً على صليب أمام وجه الأم العذراء، وفي المنظر بعد ذلك يصورونها وقد وضعت طفلاً إلهاً. وفي اليونان كان الصليب يستخدم كرمز للحب والتضحية، وكذلك الأمر في التبت والهند».

ويسترسل السير آرثر فندلاى(٤) في كتابه (الكون المنشور) صحيفة ٧٨ فيقول: «إن قصة الصليب قيلت قبل عيسى على الستة عشر إلهاً مخلصاً،

(١) وأيضاً للتوسع:

James Hastimgs, Dictionary of the Bible, New York,1963.

*Martin Hengel, Judaism and Hellenism, SCM Press, London, 1981.

(٢) ترجمة دكتور علي عبد الجليل راضي.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ترجمة: دكتور علي عبد الجليل راضي

وقصص حياتهم على الأرض من المهد إلى اللحد ثم البعث ـ كلها متشابهة، وكأن كل ديانة ترث من سابقتها».

ونتيجة لهذا نشأت فكرة الفداء، فأولئك الذين يعبدون الشمس كانوا يقدمون آلاف الضحايا للشمس، وكان هذا العدد يتضاعف عندما يحل الكسوف، إذ كانوا يعتقدون أن الإله الشمس غاضب، أو أنه غير راض عن عباده، وكانوا يعتقدون عندما ينتهي الكسوف أن السبب في انتهائه فداء أحد زعماء القبيلة للشعب، بتقديم نفسه ضحية، وبهذا يعتبر ذلك الزعيم مخلصهم ومسيحهم، ويعتبر شخصاً إلها، حمل على نفسه عذاب شعبه.

وعلى هذا المنوال أحاطت بالمسيحﷺ مثل هذه الضلالات، إذ قيل: إنه قد حصل على الأرض ظلام، «ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة»[١].

وبذلك كان موته ـ كما يحققه التلمود اليهودي ـ على الطريقة المنصوص عليها في التوراة، بحيث رجم بالأحجار، ثم علق جسده على شجرة. وأحيطت هذه الحادثة بخرافات ومعتقدات الأقدمين الذين انشأوها رغبة في تهدئة إلههم الشمس في وقت الكسوف.

وليس هذا بعجيب، فإن كهنة الهند قالوا ـ في مطلع سنة ١٩٦٢ ـ إن القيامة لابد أن تقوم، وفسر علماء الفلك قولهم هذا بحقيقة وجود الشمس والقمر والأرض على خط واحد، ولولا عناية الله وحفظه لخلقه لحل الدمار بالعالم، باختلال الجاذبية التي تحفظ توازن كل كوكب من هذه الكواكب في مساره، ومع هذا حفظ الله الأجرام في أفلاكها دون فقدان جاذبيتها التي تحفظها سابحة في أفلاكها.

وأصبح الصليب معبود الأقدمين رمزا للمحورين المتعامدين

---

(١) أرثر فندلاى «صخرة الحق» ترجمة الدكتور عبد الجليل راضي مصدر سابق.

للمجموعة الشمسية، وينبغي تقديم الفدية حتى لا يقع كسوف شمس كما أشرت آنفاً.

ثم أصبح الصليب في ٦٢٢م وفي عهد الإمبراطور هرقل رمزاً للجيوش الصليبية، وكان ذلك عند استيلاء الدولة الفارسية الساسانية على فلسطين وبيت المقدس سنة ٦١٧م، إذ أعد الإمبراطور هرقل جيشاً صليبياً لاسترداد الصليب الأعظم من يد الدولة الساسانية الغاضبة.

ويبدو أن وجهة نظر الإمبراطور في تعبئة جيش صليبي كانت محاولة يائسة لرد هجوم الفرس الذين لم يبقوا له من أملاكه سوى القسطنطينية، وكانت هذه العلامة القوة الدافعة للنصر الرائع.

ثم قامت الجيوش الصليبية بتنظيم حملات صليبية ضد جيوش المسلمين من سنة ١٠٩٧ ـ ١٢٥٠ ـ هذه الحملات السبع التي انتهى أمرها بانتصار صلاح الدين الأيوبي انتصاراً رائعاً سنة ١١٨٧م، واستيلائه على بيت المقدس. وتطهيره من تلكم الجيوش الباغية، وبأسر لويس التاسع ملك فرنسا بالمنصورة سنة ١٢٥٠م.

هذه هي قصة الصليب من حيث التاريخ الكتابي، ومن حيث التاريخ السياسي[(١)].

هذه هي قصة الصليب الذي أصبح عقيدة ورمزاً للمسيحيين.

هذه هي قصة الصليب الذي مجده بولس المدعو رسولاً، وجعله موضع كرازته وتبشيره بقوله: «لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً».

(١) *F Owen cole, Six Religions in the Twenteith Century, Hulton, 1984.

الفصل الخامس

- ◄ إنجيل متى والتعريف به
- ◄ لغة إنجيل متى ومشاكله
- ◄ مضمون إنجيل متى ومشاكله
- ◄ الاضطراب والتناقض في إنجيل متى
- ◄ الاضطراب عند متى في مولد وصلب المسيح
- ◄ الإنجيل وفقاً لرؤية متى

إنجيل مَتَّى والتعريف به

نلاحظ أن التخمين والظن وعدم التحقق هي الصفات الطاغية على كتابات اللاهوتيين النصارى حول شخصية (مَتَّى) الذي ينسب إليه هذا الإنجيل، كما أن عدم القطع ينسحب ـ أيضاً ـ على التاريخ الذي حرر فيه هذا الإنجيل، والمكان الذي حرر فيه، والقوم الذين كتبه لهم .

وإن التخمين أو الاحتمال واضح جداً في الأسلوب الذي يعالج به المؤلفون النصارى مشكلات هذا الإنجيل، من الناحيتين الدينية والفنية.

لقد ورد ذكر (متى) في إنجيل متى مرتين اثنتين ؛في الإصحاح التاسع/ ٩.

(وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى أنساناً جالساً عند مكان الجبانة اسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه).

والمرة الثانية التي ذكر فيها اسم متَّى، فكانت ضمن قائمة التلاميذ الاثنى عشر، انظر الإصحاح العاشر / ٣ «متى العشار».

فهل متَّى صاحب الإنجيل هو متَّى العشار؟ أو بعبارة أخرى: هل يذكر متى هنا نفسه؟ أو يصف لنا دعوة شخص آخر يدعى متى؟؟

يرى مفسر هذا الإنجيل [J.C.Fenton] في كتابه[1]: (إن ربط مؤلف هذا الإنجيل شخصيته بهذا التلميذ هي بالتأكيد خيال محض).

(١) SAINTMATTHEW , 1963, P.136..

ويزداد الأمر غموضاً إذا ما عرفنا أن مرقص قد ذكر في إنجيله الإصحاح الثاني / ١٣:

(وفيما هو مجتاز رأى لاوي بن حلقي جالساً عند مكان الجباية، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه)[١].

يقول «فنتون» مفسر إنجيل متى: (حدث هنا تغيير هام، فبدلاً من قول مرقص: رأى لاوي بن حلفي ـ نجد متى قد غيره إلى رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه «متى».

إن اسم لاوي لم يذكر في إنجيل مرقص مرة أخرى، كما أنه لم يُضمن قائمة الاثنى عشر تلميذاً الذين ذكرهم مرقص في (٣: ١٦: ١٩)، وقد ذكر اسم متى بينهم.

فلماذا أحدث مبشرنا (متى) هذا التغيير؟

إننا لا نجد أي دليل على أن اسم متى كان هو اسم التنصير للاوي. إنه من المحتمل ـ ولو أن هذا مجرد ظن ـ أنه كانت هناك بعض الصلاة بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب علمه إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه (متى)، ويحتمل أن يكون المبشر (كاتب الإنجيل) قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثنى عشر (متى) الذي وقّره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها)[٢].

ويتساءل الدكتور موريس بوكاي قائلاً:

ما هي شخصية متى...؟

(١) مصدر سابق.

(٢) موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة، ص٨٠.

ويجيب: لنقل صراحة: إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حواريي المسيح، وبرغم ذلك يقدمه... تريكو على أنه كذلك، في تعليقه على ترجمة العهد الجديد المنشورة عام ١٩٦٠م، يقول:

(اسمه متى، واسمه قبل ذلك ليفي، وكان عشّاراً أو جابياً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم، عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته).[١]..

وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وإبيجان، ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا

وهناك نقطة لا جدال فيها، وهي أن هذا الكاتب يهودي، فمفردات كتابه فلسطينية، أمّا التحرير فيوناني،، ويقول «أ. كولمان»: (إن الكاتب، أي متى، يخاطب أناساً يتحدّثون اليونانية، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرمية)[٢].

وكذلك فإن الباحث اللاهوتي الدكتور جرانت يتفق مع موريس بوكاي ويقطع بأن: (مؤلف إنجيل متى يهودي ولا شك، وهو يختلف عن مرقص الذي لا يفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلاً، كما أنه يختلف عن لوقا الذي يفهم اليهود جيداً، ويعرف حسن إيمانهم وقوته لكن خلفيته الثقافية تأتي من العالم الواسع للإمبراطورية الرومانية والهللينية الشرقية، إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودي المولد، إن حملته العنيفة ضد الفريسيين وريائهم لا تحجب حقيقة موقفه تجاه الناموس (التوراة)، وهو أنه لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل).

---

(١) الأناجيل: أصلها وتطورها، ص١٤٠،١٤١

(٢) المصدر نفسه..

لغة إنجيل متى ومشاكله

الرأي الشائع لدى كثير من الباحثين هو أن هذا الإنجيل قد كتب ـ أساساً ـ باللغة العبرية، ثم نقل منها إلى اللغة اليونانية التي عرف بها،لكن هذه المصادر تسكت عن المترجم أو الإشارة إليه، اللهم إلا ابن البطريق الذي يقول:

(كتب متاوس «متى» إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، وفسّره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل)[١].

ولم يؤيد أحد من المؤرخين ابن البطريق في هذا، بل إن الكثيرين منهم يقولون: (إنه لم يعرف المترجم). خاصة إذا ما علمنا أن اللغة العبرية في القرن الأول الميلادي لم تكن قد اتفق على مفرداتها وإعرابها.

أما عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فهي كما يذكر هورن:

(سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من الميلاد)[٢].

أما «فنتون»، فيذكر أنه قد حرر في الفترة من ٨٠ إلى ١٠٥ ميلادية[٣].

وإن خلاف الدارسين النصارى حول المكان الذي ألف فيه هذا الإنجيل، ليس بأقل من خلافهم حول شخصية متى نفسه أو السنة التي حرر فيها إنجيله

---

(١) The Jerusalem Bible - Alexander - Jones - 1968 with Abridged introduction Darton, Longman & Todd.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية للشيخ أبي زهرة، ص٥١،٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص١١.

مضمون إنجيل متى ومشكلاته

في إيجاز يمكن الاعتماد على ما كتبه الدكتور موريس بوكاي حول مضمون هذا الكتاب ومشكلاته فماذا يقول؟

يقول: يحتل إنجيل متى - بين الأناجيل الأربعة - المكان الأول في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد، وهي مكانة لها ما يبررها.

فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما، فقد كتب ليثبت أن المسيح «يكمل تاريخ إسرائيل»، يقول هؤلاء المعلقون على الترجمة المسكونية ؛ ولكي يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم، تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذي ينتظره اليهود، ويبدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح[1].

ويجعل متى المسيح ينتسب إلى إبراهيمعليه السلام عن طريق داودعليه السلام، يقول في مفتتح إنجيله «١ : ١٧»:

(كتاب ميلاد يسوع بن داود بن إبراهيم...).

ومن الجدير بالذكر، بل ومما يجب التأكيد عليه، أن المطالع لإنجيل متى يراه قد بدأ إنجيله بإرسالية يوحنا المعمدان، ويطالعه أيضاً جملة من المفارقات منها مثلاً:

أن قصة ميلاد كل من المسيح ويوحنا المعمدان قد خلا منها إنجيل

---

(١) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص٧٩.

مرقص وإنجيل يوحنا، مع إدعاء المحدثين أن إنجيل مرقص هو أول الأناجيل الأربعة تدويناً، وأن كلا من متى ولوقا قد نقلا عنه، وأن إنجيل يوحنا كان هو آخرها تدويناً في ختام القرن الأول، أو مفتتح الثاني على الأكثر.

ومنها إنهم يقرون بأن متى قد كتب إنجيله أصلاً لليهود، لذلك كان حرصه فيه على الحفاظ على الناموس، ومراعاة شعائر اليهود، وعوائدهم وانفرد لذلك بحكاية قول المسيح: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل)[1].

المسيح على غير نسق تاريخي، وفسروا ذلك باحتمال أن يكون اللفظ اليوناني Login الذي استخدمه بمعنى Oracles أي الوحي، أو الكلام الإلهي إنما أراد أن يشير به إلى أن الإنجيل العبراني كان مجموعة من الأقوال Discourses حسب الترجمة الحرفية للفظ Login أكثر من كونه سيرة تاريخية بالمعنى المعروف. ذلك أن إنجيل متى هو الوحيد بين الأناجيل الأربعة الذي يورد فعلاً أقوال المسيح على نحو متكامل[2].

كذلك اعترف جيروم بأن إنجيل متى العبراني هو نفس إنجيل الناصريين Nazarens وهو الأبيونيون وسائر النصارى المتهودين، وذكر أنه قد أطلع عليه بمكتبة بامفيلوس Pamphilus بقيصرية[3]، وهذه شهادة بالغة الأهمية تثبت وجود ذلك الأصل حتى مطلع القرن الخامس، إذ كانت وفاة جيروم في حدود سنة٤٢٠.

ومن الجدير ذكره أن Epiphanias أسقف قبرص الذي ولد عام ٣١٥م، وتوفي عام ٤٠٣م، قد ذكر أن إنجيل الناصريين كان مكتوباً في

(١) متى، إصحاح ١٧: ٥

(٢) Fausset's: Bible Die.P. 45p...

(٣) Ibide.

أصله بالعبرانية، ومن ثمة خرج أصحاب هذا الاتجاه بهذه النتيجة الخطيرة وهي أنه:

من المحتمل أن يكون إنجيل الناصريين هذا هو الأصل العبراني لإنجيل متى، ثم طرأت عليه توسعة وتعديل أخرجته عن المشابهة الظاهرة

وهنا تبرز من بين هذا السياق فرضية تقول:

١ - إن الادعاء بأن الأصل مجرد تجميع لأقوال المسيح، وليس على نسق السيرة التاريخية إنما هو افتراض محض من المحدثين يدعم موقفنا برغم أنه لم يصرح به القدماء الذين أتينا بشهاداتهم باستثناء شهادة بابياس التي كان غموضها سبباً لهذا الافتراض.

٢ - لو صح الادعاء بأن أصل إنجيل متى هو مجموعة أقوال لا تأخذ صورة السيرة التاريخية، فعندئذٍ يسقط الادعاء القائم حتى الآن بأن قصة الميلاد من تدوين متى.

٣ - اعترافهم باحتمال توسيع الأصل وتعديله يؤكد إضافة قصة الميلاد.

٤ - عدم معرفة المترجم، أو المترجمين، يفقدنا الثقة بأمانة الترجمة ويبرر الشك في أصالة هذا الإنجيل بصورته الحالية.

٥ - شهادة جيروم باطلاعه عليه تقطع بوجود الأصل الصحيح حتى القرن الخامس مع وجود التراجم المعدلة، ويوحي بميله إليه إذ يشهد بأن هذا الإنجيل هو نفس ما كتبه «متى» بالعبرانية، ولم يطعن فيه، فكونه يشهد بأنه نفس ما كتبه متى يؤكد ثقته بصحته «وميله إليه» وإلا وجب الشك في عقيدته وهم لا يشكون فيه!!

ولنذكر أن جيروم هذا هو الذي ذكر أن الأبيونيين والمتهودين عامة، كانوا قد بدءوا في التلاشي والانحلال في زمنه، فكان هناك ارتباط واضح بين استمرارهم، واستمرار إنجيلهم، حتى ذلك الحين.

وإذا أخذنا بقرينة الإنجليزيين الآن، ذكرهم ج «م» كريد J.M.Creeb هـ.د.أ ماجور H.D.A.Major بشأن الولادة من عذراء، ودعواهم أن القول به بدأ بعد سنة ٧٠م، وصار عقيدة للكنيسة بعد سنة ١٥٠م، خرج لنا من ذلك أن تلك القصة لم يكن لها أصل قط في أي من تلك الأناجيل الأربعة، وبخاصة تلك الثلاثة التي يسمونها المتفقة أو المتقاربة Synoptics والتي زعموا أنها كتبت في حدود سنة ٧٠م.، مستدلين على ذلك بأنها لم تشر إلى تخريب الهيكل، والذي وقع حوالي ذلك التاريخ، إذ لو كانت بواحد منها تلك القصة لما انتظرت الكنيسة حتى سنة ١٥٠م للقول به[١].

هذا ويبدأ الإصحاح الثالث من متى بالكلام المباشر عن إرسالية يوحنا المعمدان مفتتحاً بهذه العبارة:

(وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية).

فقوله «في تلك الأيام» يقتضي أن يكون هناك مشار إليه في الإصحاح السابق، بل وفي الكلام السابق مباشرة على تلك الإشارة. ولكنا لا نجد ذلك أصلاً، فالإصحاح الأول ينتهي بولادة يسوع وتسميته باسمه، والإصحاح الثاني ينتهي بقتل هيرودس لأطفال بيت لحم مستهدفاً قتل المسيح بينهم وهروب أمه به إلى مصر، ثم عودتها به وهو لا يزال صبياً لم يبلغ الثالثة بعد، حيث تقيم معه بمدينة الناصرة.

فإذا كانت تلك نهاية الإصحاح الثاني، ثم نفاجأ بالإصحاح الثالث يبدأ بتلك العبارة فهذا يعني أحد أمرين:

إما أن يوحنا كان أكبر من يسوع بما يقارب ثمانية وعشرين عاماً، وكان يباشر مهام رسالته، ويسوع في الثالثة من عمره.

---

(١) The Niv, Interlinear Hebrew English old Testament Volume 1/ Genesis - Deuteronomy, Edited by :John R. Kohlenbarger III, Zondervan, Publishing house Michigan.

وإما أن هنالك شيئاً ساقطاً قبل الإصحاح الثالث، كان في موضع الإصحاحين السابقين، أو بينهما وبين الثالث.

أما الفرض الأول فمرفوض تماماً من جانب النصارى على شتى شيعهم ومنازعهم، حيث يرون يوحنا المعمدان لا يكبر يسوع إلا بفارق ستة شهور فقط، حسب المكتوب في الرواية المنقولة عن لوقا.

وإذن فلا يبقى إلا الفرض الثاني وهو تعديل لبداية متى، وإسقاط نص أصلي لإبداله بقصة ولادة المسيح من العذراء.

وحتى على أبعد الفروض، لو كانت القصة أصلية فيه فأين النص المشار إليه، في تلك الأيام، ولم أسقطوه[١]؟

وإن عدم وجود ذلك النص المشار إليه يقوم قرينة قوية على التصرف في أصل ذلك الإنجيل، والحذف منه، وإضافة قصة الميلاد محل النص المحذوف وإلا فلا ندري كيف يمكن ملء تلك الفجوة الزمنية الواسعة بين الإصحاحين الثاني والثالث والتي يبلغ مداها ثمانية وعشرين عاماً أو يزيد لو كانت تلك القصة أصلية فيه؟

ومن المؤكد حسب ما يمكننا أن نفهمه من تلك الإشارة «في تلك الأيام»، أن الكاتب كان في ذلك النص الذي أسقطوه يتحدث عن أحداث أو أمور أو أشخاص معاصرة لظهور يوحنا المعمدان على مسرح الأحداث مبشراً برسالته.

أما ما عسى أن تكون تلك الأمور أو الأحداث أو الأشخاص التي قارنت وزامنت قيام المعمدان بمهام رسالته، واستباحوا إسقاطها لإقحام قصة الميلاد فلا ندري.

ولكنهم ربما رأوا في حكاياتها ما يناقض عقائدهم في المسيح

(١) جون لوريمر «تاريخ الكنيسة» دار الثقافة القاهرة عام ١٩٩٠م

فرفضوها، أو استشعروا أنها أقل خطراً من قصة الميلاد فأبدلوا هذه بتلك.

أو رأوا في استبقائها، مع إضافة قصة الميلاد، ما يكشف عبثهم بالإنجيل فأسقطوها.

أو تعذر على كاتب القصة وضع التحديد الزمني الصحيح لإرسالية المعمدان فترك الإشارة على علاتها بعد إسقاط النص الذي تشير إليه، بدليل أنه لم يأت بأي تحديد تاريخي إلى أنه عاصر تلك الأحداث، أو اهتم بتحقيقها، فلم يذكر مثلاً في عصر مَن مِن الأباطرة كان ذلك، وفي أي سنة من حكمه، وفاته تعيين سنة معروفة من حكم هيرودس الذي ذكره دون تحديد صفة مميزة له عن آخرين بهذا الاسم لولا إشارته إلى ابنه أرخيلاوس في آخر الإصحاح الثاني. فالقصة توضع في إطار تاريخي تقريبي تعوزه الدقة والتحقيق في أبسط الأمور التي تكون في القائم به أن يكون متعلماً، وتقوم مهنته على ذكر التواريخ مثل مهنة متى العشار موظف الضرائب الذي ينسب إليه الإنجيل، والذي كان من تلاميذ المسيح بزعمهم.

وهكذا نخلص من تلك القرائن جميعاً إلى إثبات أن قصة الميلاد مقحمة على إنجيل متى، وليست من أصله قط، وأن بدايته الصحيحة هي من إرسالية يوحنا المعمدان، بما يؤكد صحة موقف الأبيونيين، وسائر المتهودين الذين اعترضوا على إقحام هذه القصة من أول الأمر.

وسواء أكان موقف الأبيونيين تعبيراً عن أصول يونانية أم كانوا من اليهود المتكلمين باليونانية، واعتنقوا النصرانية واستهواهم القول بتأليه المسيح، ورأوا في ولادته من عذراء ما يشبع أهواءهم ويؤثر على السذج، وضعاف العقول، لجذبهم إلى ملتهم فإنهم قالوا بتأليه المسيح وبعيد أن تكون عند المتهودين والأبيونيين، عقيدة التأليه لأن هؤلاء قد أنكروا ذلك من أول الأمر.

والأولى بذلك إذن هم يهود الشتات، المتكلمون باليونانية، لأنهم

مخالطون للوثنيين، ويستمعون منهم إلى أساطير مشابهة عن آلهتهم، فيحركهم ذلك إلى تدوين القصة بالإنجيل، وهم على ذلك أقدر من غيرهم بما يجمعون به بين الثقافتين اليهودية واليونانية، ويستطيعون أن يكونوا على عين ذلك المستوى الذي جاءت عليه قصة الميلاد بالإصحاحين المذكورين.

وهذه إذن قرينة على أن إنجيل متى في صورته الأصلية كان لا يمكن أن يوافق منازعهم في تأليه المسيح، وإبطال الناموس اليهودي، فكان عليهم لقبوله أن يخضعوه للتعديل إلى الحد الذي يتماشى مع اتجاهاتهم وعقائدهم ومن ذلك إضافة قصة الميلاد.

وقد أقر علماؤهم بأن هناك أصلاً لإنجيل متى كتبه بالعبرانية، بناء على شهادة بابياس Papias أسقف هيرابوليس والمتوفى حوالي سنة ١٥٥م، والذي كتب يقول: (وقد كتب متى الأقوال Logia بالعبرانية، ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية حسب استطاعته)[١].

وكذلك شهادة ايريناوس Irenaeus أسقف ليون المتوفى عام ٢٠٠م حيث قال: (وقد وضع متى إنجيلاً للعبرانيين كتبه بلغتهم)[٢].

وتضاف إليهما أيضاً شهادة جيروم Jerome المتوفى سنة ٤٢٠م وقد قال: (إن الذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف)[٣].

لكن الخلاف هو حول صورة ذلك الأصل الذي ذكره هؤلاء. فبعضهم أشكل عليه الأمر فيما إذا كان المقصود هو إنجيل متّى المعروف حالياً أم مجموعة من أقوال المسيح، أم مجموعة من النبوات عنه، أم شيء آخر غير ذلك كله[٤].

وزعم آخرون أن ذلك الأصل المشار إليه على صورة تجميع لأقوال

(١) Fausset's Bibble Dic.art. Mat, Gospel of , Quotes Esseb. III.39..

(٢) J.D. Douglas , The New Bible Die, art, Gospls qeoles Adv. Haer.III.1...

(٣) Fausset's Bible Die. Art.Mat.Gospel of..

(٤) J.D. Douglas The New Bible Die.P.458..

المسيح على غير نسق تاريخي، وفسروا ذلك باحتمال أن يكون اللفظ اليوناني Logia الذي استخدمه بابياس بمعنى Oracles أي الوحي، أو الكلام الإلهي،إنما أراد أن يشير به إلى أن إنجيل متى العبراني كان مجموعة من الأقوال Discourages حسب الترجمة الحرفية للفظ Logia أكثر من كونه سيرة تاريخية بالمعنى المعروف.ذلك أن إنجيل متى هو الوحيد بين الأناجيل الأربعة الذي يورد فعلاً أقوال المسيح على نحو متكامل[١].

كذلك اعترف جيروم بأن إنجيل متى العبراني هو نفس إنجيل الناصريين Nazaress وهم الأبيونيون وسائر النصارى المتهودين، وذكر أنه قد اطلع عليه بمكتبة بامفيلوس Pamphilus بقيصرية، وهذه شهادة بالغة الأهمية تثبت وجود ذلك الأصل حتى مطلع القرن الخامس إذ كانت وفاة جيروم في حدود سنة ٤٢٠م. كذلك يذكر معاصره أبيفانيوس Epiphanias أسقف قبرص(ولد سنة ٣١٥م، وتوفي سنة ٤٠٣م) أن إنجيل الناصريين كان مكتوباً في أصله بالعبرانية.

ومن ثمة خرج أصحاب هذا الاتجاه بهذه النتيجة الخطيرة:

«من المحتمل أن يكون إنجيل الناصريين هذا هو الأصل العبراني لإنجيل متى ثم طرأت عليه توسعة وتعديل أخرجته عن المشابهة الظاهرة به»[٢].

يقول نينهام، مفسر إنجيل مرقص:

«لقد وقعت تغييرات تعذر اجتنابها، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد، ومن بين مئات المخطوطات، لإنجيل مرقص، والتي ما تزال باقية

(١) Fausset's: Bible Die.P.458..

(٢) انظر: SAINT MARK , penguin Books, England , 1936 P.II.

(٣) انظر: بوكاي ص ٨٥، ٨٦.

حتى اليوم، لا نجد نسختين اثنتين تتفقان تماماً»[١]..

ويرى د. موريس بوكاي: أن إنجيل مرقص يتناقض مع إنجيل متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث، مثل حكاية آية يونس، والآيات التي يعطيها المسيح للبشر أثناء بعثته، فيسرد مرقص عنها حكاية لم تعد قابلة للتصديق[٢].

وانظر هذه القصص في الإصحاح الثامن: ١١،١٢،، وقارن بينه وبين إنجيل لوقا مثلاً في الإصحاح السابق: ٢٢، والحادي عشر: ٢٠.

وتمثل خاتمة هذا الإنجيل مشكلة، فهي غير متفق عليها في النسخ المختلفة، وتعتبر في نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد، فقرات غير موثوق بها.

ويجزم بوكاي بأن هذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمي:

[Codex sinaiticus , Codex Faticanus]

اللتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع.

وينقل عن «أ. كولمان» مثل ذلك، ويعلق «الأب كانينجر» على هذه الخاتمة بقوله: (لا بد أنه حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي، «و عند النشر على العامة» لكتاب مرقص في الجماعة التي ضمنته... وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا، تم توليف خاتمة محترمة لمرقص، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك،، لدى المبشرين الآخرين... وذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها.... «الأناجيل» حتى أعتاب القرن الثاني)

(١) ص٨٦ الكتب المقدسة لبوكاي.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٨٧، وقد نقل د. موريس بوكاي هذا التعلق عن الأب R.P.K.annengisser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي في باريس، من كتابه « الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان » الذي نشر سنة ١٩٧٤م، في باريس.

نقل د. موريس بوكاي، هذا التعليق عن الأب R.P.Kannengiesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي في باريس[١].

وهنا يحسن أن ننقل تعليق د. بوكاي على كلام الأب كانينجر، أنه يقول: (ياله من اعتراف صريح بوجود التغييرات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة

ياله من اعتراف، ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتي الكبير)[٢].

وهذه الملاحظات الانتقادية، الحديثة والمعاصرة، التي يوجهها علماء مفكرون من النصارى للكتب المقدسة عندهم، تمتد ـ كما ظهر لنا ـ إلى جانبين رئيسين، هما:

- جانب السند ونقده نقداً علمياً، والتحقق من انقطاعه وعدم اتصاله بصاحب الشرع. وهذه المعضلة إشكالية لا حل لها أبداً في جميع التفسيرات التي قام عليها جمهرة من العلماء الإنجليز، مثل صاحب: الكنز الجليل في تفسير الأناجيل، وصاحب: السنن القديم في تفسير أسفار العهد القديم.
- جانب النص أو المتن، ونقده نقداً علمياً كذلك، وإظهار تناقضه وتدابره.

وكما رأينا في الإشارات والمقتطفات السابقة التي نقلناها عنهم، أن السند والمتن كلاهما لا يثبتان أمام النقد والتمحيص العلمي والمنهجي.

(١) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

الاضطراب والتناقض في إنجيل متّى

تجدر الإشارة إلى أنه قد روي عن يوحنّا الإنجيلي في كتابه أنه قال: (إن الكلمة صارت جسداً وحلّ فينا)[1].

وهم لا يعنون بالكلمة إلا صفة العلم، أو النطق، وذلك محال إذ يلزم من ذلك أن يكون القديم صار محدثاً، والأزلي عاد زمنياً، وصار عندهم الآن عبارة عن ذاتٍ جاهلة ساكتة خرساء وتحولت الألوهية للمسيح في ضوء كلمات يوحنّا: (إن الكلمة صارت جسداً وحلّ فينا) لأنه ذاتٌ كاملة بالعلم والنطق وذلك من النصارى عزل لله تعالى عن الربوبية وإخراج له عن الألوهية الكليّة.

أخطاء المنقول عن يوحنّا:

قلنا: إن يوحنّا انفرد وحده بذكر فصل يقول في صدر إنجيله قولاً في غاية التهافت والتناقض، بحيث لا يوجد معتقد عن الله فيما يقول به يوحنّا فقد قال كما هو في نص إنجيله: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) وهذا الكلام مضطرب من جهة لفظه ومعناه: أما اضطرابه من جهة لفظه فإن ذلك بمنزلة قول القائل: الكلام عند المتكلم والمتكلم هو الكلام، والعلم عند العالم، والعالم هو العلم، والدينار عند الصيرفي والصيرفي، هو الدينار.

واللافت للنظر أن ترجمة العهد الجديد للكاثوليك تقول: (والكلمة

---

(١) يوحنا ١/١.

هو الله) وهناك تراجم أخرى تختلف عن الترجمتين السابقتين، ففي ترجمة حديثة صدرت عام ١٩٨٥م بعنوان (العهد الجديد الأصلي) نقرأ مقدمة إنجيل يوحّنا كالآتي: (في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة عند الله، وهكذا كانت الكلمة السماوية، كانت في البدء عند الله، بها كل شيء عمل، وبدونها لم يكن شيء...) وكذلك تقول ترجمة إنجليزية صادرة عن جمعية الكتاب المقدس الأمريكية في افتتاحية إنجيل يوحنّا: (وكان الكلمة مثل الله) وفي ذلك يقول د. جون روبنسن أسقف ولويش بإنجلترا في إثبات خطأ القول: (وكان الكلمة الله) أو (والكلمة هو الله) مستنداً على ترجمة الكتاب المقدس (بالإنجليزية الحديثة) كالآتي: (وما كان لله كان الكلمة).

فهل الأمر بعد ذلك يحتاج إلى أدلة أو براهين على فساد رواية يوحنّا وتهافته وتناقضه في خبر واحد يتعلق بـ(الله تعالى).

وأما اضطراب المنقول عن يوحنّا من ناحية المعنى: فإن الكلمة عندهم هي العلم أو النطق، وهي التي اتحدت بالجسد المأخوذ من مريم، فإذا قال يوحنّا: إن الله هو الكلمة فقد صرّح بأن الأب قد اتحد بالجسد وحلّ في رحم مريم، وناله القتل والصلب، وتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان، وهذا لا يقول به نصراني، لكنه لازم لهم بمقتضى ما رووا عن يوحنّا أن الله هو الكلمة، ومما يُرَدُّ به قول يوحنّا هذا تصريح منسوب للمسيح في عدة مواضع من الإنجيل بأنه نبي، وأنه رسول، ومعلّم، وأن الله نبّأه وأرسله وأنه لا يعلم الغيب والقيامة وذلك كله يخالف قول يوحنّا: (إن الله هو الكلمة).

وكذلك من صور المفارقات والتناقضات ما يطالعه الباحث مما جاء عند متّى بهذا الشأن إذ قال في سياق ما يرويه: (لأنه جاء يوحنّا لا يأكل ولا يشرب)[١].

(١) متّى ١١/١٨.

وجاء في الإنجيل نفسه في موضع آخر ما ينقض هذه الرواية إذ جاء فيه: (ويوحنّا هذا كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد، وكان طعامه جراداً وعسلاً بريّاً)[١].

ونفس رواية أكل يوحنّا جاءت عند مرقص بما يؤكد فساد واضطراب رواية متّى الأولى، التي نفى فيها أكل يوحنّا، وهذا من أقبح صور التناقض والاضطراب.

وكذلك نرى من صور التناقض والاضطراب ما يدور حول شخصية المسيح ودوره التاريخي والديني فقد جاء في إنجيل متّى (قال يسوع: أنا هو الراعي الصالح وأنا عارف برعيتي وهي تعرفني)[٢] وأكذبه متّى قال: قال المعمداني حين رأى يسوع: (هذا خروف الله) وقال مرة أخرى: (هذا حمل الله)[٣].

فمتّى يجعل المسيح خروفاً، ويوحنّا يقول: لا ولكنّه راعٍ للخروف، وأيم الله هذا هو العجب، هلاّ قال المعمداني حين رأى المسيح: هذا هو الله، أو هذا ابن الله، أو هذا مسكن الله.

والنصارى تقول: إن المعمداني إنما جاء شاهداً للمسيح، والمسيح يقول في إنجيله: (لم تقم النساء عن رجل أفضل من المعمداني هذا)[٤] فكيف يجوز من مثل المعمداني أن يسمي المسيح خروفاً وحملاً ويثبت له مالكاً هو الله تعالى؟!.فكيف استجازوا خلافه وسلكوا في المسيح مذهباً غير مذهبه وطريقاً سوى طريقه فقالوا تارةً: المسيح هو الله، وأخرى قالوا: هو بيت الله ومسكنه؟!.

---

(١) متّى ٣ / ٤ ومرقص ١/ ٦.

(٢) يوحنّا ١٠/ ١٤.

(٣) لم يرد وصف المسيح في إنجيل متّى بأنه (حمل الله)، بل ورد في إنجيل يوحنّا ١/ ٢٩،٣٦، وأما وصفه بأنه (خروف...) فقد ورد في رؤيا يوحنا ١٥/ ٣ (ر: قاموس الكتاب ص٨٨٦).

(٤) متّى ١١/ ١١.

وقالوا في شريعة إيمانهم: (المسيح إله حق، بيده اتقنت العوالم، وخلق كلّ شيء)، وقالوا في صلواتهم: يا ربنا المسيح لا تُضَيِّع من خلقت بيدك، وهذا كله بخلاف قول المسيح في نفسه وبخلاف شهادة يوحنّا له؛ لأن يوحنّا شهد أن المسيح عبد لله، وأن الله مالكه. وقال حين رآه: هذا الذي قلت لكم أنه يأتي بعدي، وأنه أقوى مني، وأني لا أستحق أن أحلّ معقد خفه. وهذا يدل على الاضطراب والتناقض حول ذات المسيح كما هو حول: الصلب والقيامة.

يروي متّى: (أن المسيح قام من الموتى مساء يوم السبت)[١] وفي ذلك يقول: (وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر، وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه) وخالفه أصحابه فقالوا بما يفيد أنه: (ما قام إلا صبيحة يوم الأحد بغلس)[٢] وذلك مما يخرم الثقة بأصل الخبر، ويؤكد اضطراب الرواة وفساد نقلهم.

وفي خبر قيامة المسيح على ضوء ما يقولون ما هو أنكر وأفسد من هذا وهو: أن متّى يقول: (إن اليهود سألوا المسيح أن يريهم آية فقال: إن يونس أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام، وثلاث ليالٍ، وكذلك ابن الإنسان يكون في بطن الأرض وقلبها ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ مثلما أقام يونس) وفي ضوء ما يقوله متّى الإصحاح ١٢/ ٣٩، ٤٠: إن المراد بآية النبي يونان في هذا النص هو نفسه المراد في الإصحاح١٦/ ٤ ونصه «فأجاب وقال لهم: جيل شرير فاسق، يلتمس آية، ولا تعطى له آية يونان النبي» «وهو نفسه المراد في قول اليهود لبيلاطس» يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ: إني بعد ثلاثةِ أيام أقوم ٢٧/ ٦٣ فهذه الشواهد تدل على أن المراد بمثل آية النبي يونان هو المسيح عليه السلام.

(١) متّى ٢٨/ ١ ـ ٧.
(٢) مرقص ١٦/ ١٩، لوقا ٢٤/ ١، يوحنّا ٢٠/ ١، ٢.

ومع كل تلك الشواهد لم يصححوا هذا الخبر، إذ رووا كلهم: أنه صلب في الساعة الثالثة من يوم الجمعة، ثم أنزل ودفن مساءاً، من يومه، فمنهم من زعم أنه قام يوم السبت مساءً ومنهم من قال: قام صبيحة الأحد مغلساً، فإذاً لم يقم في بطن الأرض سوى يوم واحد، وليلة أو ليلتين على الرواية الأخرى،يتبين لنا ذلك من التناقض الواضح في روايات الأناجيل للقيامة التي تقول إن المسيح صلب قريباً إلى نصف النهار من يوم الجمعة كما يعلم من الإصحاح ١٩ من إنجيل يوحنّا ومات في الساعة التاسعة «الواحدة ظهراً ـ الثالثة بعد الظهر» وطلب يوسف جسده من بيلاطس وقت المساء فكفنه ودفنه، كما جاء في إنجيلي مرقص ومتّى.فدفنه لا محالة كان في ليلة السبت وغاب هذا الجسد «المسيح» عن القبر قبل طلوع الشمس من يوم الأحد، كما جاء في إنجيل يوحنّا فيكون المسيح في ضوء هذه الروايات ما بقى في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ بل يوماً وليلتين وما قام بعد ثلاثة أيام كما تدّعي بعض الروايات.

والنصارى قد يقرءون هذا الفصل في كل سنة في آخر سبت في الصوم وهو السبت الذي يكون في صبيحته عيد الفطير، والذي يسمى أيضاً بـ(عيد الفصح)،وهو العيد الرئيسي عند النصارى وهو ذكرى قيامة المسيح من بين الأموات ويقع بين ٢٢مارس و٢٥ أبريل ويرتبط به عدد كبير من الأعياد الأخرى، ويسبق بالصيام الكبير الذي يدوم (٤٠يوماً) بجمعة آلام المسيح، وهذا العيد أيضاً من أبرز أعياد اليهود ويقع عندهم في ١٥أبريل وفيه خرج بنو إسرائيل من مصر هرباً من فرعون.

وهذا الفصل المذكور يقول: الآن وفي هذا الوقت قام المسيح من بين الموتى وهذا كما نرى نقل مضطرب على أنّا لو أضفنا لهم يوم الصلب وهو يوم (الجمعة) لم يحصل الوفاء بالثلاثة الأيام والثلاث الليالي التي جاءت في بعض الروايات.

ومن لم يكن عنده من الإدراك العقلي أو العقدي ما يعرف به هذا

الخطأ البيّن مع وضوحه، لم يتردد في قبول كلّ مستحيل. وأيضاً مما يحار العقل في تقبله ما لم يعطل السنن والبداهات العقلية ذلك الحوار الذي وقع أثناء الصلب الذي يقولون به بين اللصين اللذين تقول الأناجيل بصلبهما مع المسيح.

قال المصلوب لأحد اللصين: حقاً إنك اليوم تكون معي في الفردوس(١) فحكم بأنه يوم الجمعة يكون معه في الجنّة وذلك مناقض لما رواه لوقا إذ قال: (إن المسيح لم يصعد من الأرض إلا بعد أربعين يوماً)(٢).وإذا كان قد مكث في الأرض أربعين يوماً قبل الصعود فقد بطل قوله لأحد اللصين (أنه معه يوم الصلب في الفردوس).

وأيضاً في مسلسل التناقض والاضطراب ما يرويه متّى عن ملابسات التحقيق والادعاء قبيل الصلب، وموقف السلطة وثورة اليهود على المسيح يقول متّى: (لما حمل يسوع إلى بيلاطس القائد قال: أي شرّ عمل هذا؟ فصرخ اليهود وقالوا: يصلب يصلب، فلما رأى القائد عزمهم وأنه لا ينفع فيهم شيء أخذ ماءً وغسل يده وقال: أنا بريء من دم هذا الصّدِّيق وأنتم أبصر)(٣)

وأكذب ذلك يوحنّا فقال: (لما حمل يسوع إلى بيلاطس القائد قال لليهود: ما تريدون؟ قالوا: يصلب، فضرب يسوع ثم سلّمه إليهم)(٤).

وهنا يمكن أن يقول المرء البسيط فضلاً عن الباحث المتخصص ـ والحسرة والحيرة تملآن قلبه وعقله ـ من نصدق من تلاميذ المسيح؟ ومن نكذّب في ضوء هذه الروايات؟ أحد التلميذين يقول: إن القائد أثنى على يسوع وغسل يده ليتبرأ من دمه، والآخر يقول: كلاّ ولكن جلده.

(١) لوقا ٣٣/ ٣٤.
(٢) سفر أعمال الرسل ١/ ٣.
(٣) متّى ٢٧/ ٢٢ ـ ٢٤.
(٤) يوحنا ١٨/ ٣٨ ـ ٤٠، ١٩/ ١.

والجدير ذكره في هذا المقام أن على النصارى الكاثوليك والأرثوذوكس، وكل من يؤمن بعصمة الكنيسة والأناجيل، وحق الكنيسة في التشريع، أن يحذفوا هذه النصوص وغيرها من التي تؤكد معتقدهم بصلب اليهود للمسيح، وتطالب بدمه وذلك بعد صدور وثيقة التبرئة عام ١٩٦٥م من البابا بولس السادس، وفيها التصريح والرغبة المسيحية بتبرئة اليهود من دم السيد المسيح، وهذا ما لا يجب أن يقول به أو يعتقده أحد من النصارى يؤمن بعصمة الكتاب المقدس، وبأن المسيح مات على الصليب فداءاً للبشر من خطاياهم.

وإذا ما توسعنا في هذه القضية الشائكة قضية الاضطراب في رواية صلب المسيح تطالعنا هذه الروايات التي تقول: إن المسيح لما حمل إلى رئيس الكهنة قيافا موثقاً سأله مستخبراً عن حاله فصاح يسوع: أنا كلمت العالم علانية، أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء لماذا تسألني أنا؟، اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا، ولما قال هذا قام إليه رجل من الشرط فلطم يسوع على خده الأيمن وقال: هكذا تجاوب عظيم الكهنة. فقال له يسوع: إن كنت قلت رديّاً فاشهد بالردى وإن كنت قلت جيّداً فلم تضربني؟)[١].

وهذا خلاف ما قال لوقا إذ قال: إن جبريل أخبر عن الله تعالى أن يسوع يكون ملك بني إسرائيل،[٢] ولم يقل إنه يحمل في القيود إلى اليهود لتضربه الشرط على وجهه، وتستمر المفارقات في هذه المنطقة من الأخبار والمرويات المتباينة والمتناقضة والمتكاذبة، فها هو لوقا يقول في إنجيله: (قال جبريل لمريم وهو يبشرها: إنك ستلدين ولداً تسمينه يسوع يجلس على كرسيّ داود ويملك على بيت يعقوب)[٣].

---

(١) يوحنا ١٨/ ١٩ ـ ٢٤.
(٢) لوقا ١/ ٣٢.
(٣) يوحنا ١٨/ ٣٣.

فأخبر عن الله بتملكه على بيت أبيه داود، لكن يوحنّا أكذب ذلك النبأ فقال: (لما حمل يسوع إلى رئيس الكهنة قال له: أنت ملك اليهود؟ فقال يسوع: أمن عندك قلت هذا؟ أم حُكِيَ لك عني؟) وهذا تكاذب قبيح إذ لوقا جعله ملك إسرائيل والآخر وسمه بسمّة ذليل.

وعلى درب المفارقات والمغالطات والاضطرابات في متن الأناجيل نطالع ما تفرد به يوحنّا في إنجيله حول واقعة الصلب المدّعاة يقول: (لما صُلب يسوع واللصان معه قال اليهود: هذا يوم الجمعة، وغداً السبت، ولا تبقى هذه الأجساد على الصلب، وسألوه أن يتقدم بكسر أسوِقهم، فمضى الشرط ففعلوا ذلك باللصين، وانتهوا إلى يسوع فوجدوه قد مات فلم يكسروا ساقيه بل جاء رجل من الجند بحربة فطعنه في جنبه الأيمن فخرج من جرحه ماء ودم)[١].

وأغفل الباقون ذلك فلم يخبروا به، وإذ تركوا هذه التفاصيل المهمة لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منها، أو لعلهم استضعفوا أصل الخبر فأضربوا عن نقل تفاصيله.

---

(١) يوحنا ١٩/٣١ ـ ٣٤.

الاضطراب عند متّى في مولد وصلب المسيح

المطالع لإنجيل متّى يطالعه من صور الاضطراب ما جاء عنده بشأن مولد ونسب المسيح إذ قال في صدر إنجيله: (هذا مولد يسوع المسيح بن داود)[1] فشهد بأن نسب المسيح يمتد إلى أبيه داود، ثم قال بعد هذه الرواية مباشرة (لما خطب يوسف مريم فَقَبل أن يعرفها، وجدت حبلى من روح القدس، وكان يوسف صدّيقاً فلم يرَ أن يشهرها، وهمّ بتخليتها سرّاً، فظهر له الملك في الرؤيا فقال له: يا يوسف لا تخف من إمساك خطيبتك، فإن الذي تلده هو من روح القدس وستلد ابناً ويدعى يسوع)[2] وذلك تكاذب قبيح لأنه إن صدق في خبره الأول، كذب لا محالة في الثاني، ولا معنى لما يقوله بعض الشرّاح للأناجيل من أن متّى في الخبر الأول كان يتكلم عن يسوع المسيح من نسب الناسوت، أي من النسب الإنساني، بينما هو في الخبر الثاني يتحدث عن يسوع الإلهي، أي اللاهوت، ومن هنا نسبه إلى الروح القدس فإذا أضفنا إلى ذلك الاضطراب التفاسير التي لا تسوغ في العقل فإن لوقا يطالعنا باضطراب آخر حين يروي من المفارقات حول واقعة الصلب ما يحار المرء معه، إذ يروي الشيء ونقيضه قال لوقا: (لما انطلقوا بيسوع ليصلبوه وجدوا سمعان[3] القرونيانيّ فحملوا عليه الصليب وجعل النسوة خلف يسوع يبكين، فالتفت إليهن وقال: يا

(١) متى ١/١.

(٢) متى ١/١٨ ـ ٢١.

(٣) لوقا ٢٣/٢٦ ـ ٣١، وانظر قاموس الكتاب المقدس ص٤٨٤.

بنات أورشليم لا تبكين عليّ، وابكين على أولادكنّ، ليأتين عليكن زمان تقلن طوبى للبطون العواقر التي لا يلدن، والأيدي التي لا ترضع، إذا كان هذا فعلهم بالعود الرطب، فكيف يصنعون بالعود اليابس؟)[١] .

وخالفه يوحنّا فقال: (مضى يسوع ليصلب وهو حامل صليبه إلى موضع يسمّى الجمجمة حيث صلبوه)[٢].

وخالفهما مرقص فزاد في الرواية ونقص وقال: (أخذوا سمعان وهو أبو الكسندروس).

وخالفهم متّى فقال: (وجدوا إنساناً فسخّروه لحمل الصليب).

فلوقا يقول: حملوا الصليب على سمعان القرونياني وطوّل في القصة، ويوحنّا يقول: ما حمل الصليب إلا يسوع نفسه.

ومرقص اختصر الحادثة جداً وسمّى ولد حامل الصليب، ومتّى قال: سخّروا رجلاً لحمل خشبته.

هذه حادثة واحدة جاء فيها الاضطراب والتناقض على هذا الوجه، فما الظن بالمطولات، والحوادث العظام؟! وإذا كانت هذه الأمور التي تزعمها الأناجيل قد جرت بعد المسيح فكيف عدّوها من الأناجيل؟! هذا سؤال نوجهه إلى علماء اللاهوت من الإنجيليين وغيرهم لعلّ هناك إجابة شافية.

---

(١) لوقا ٢٣/٢٦ ـ ٣١.

(٢) يوحنا ١٩/١٧، ١٦

الإنجيل وفقاً لرواية مَتَّى
The Gospel According to Matthew

يحتلُّ إنجيل متى المكانة الأولى من حيث ترتيب الأناجيل بالعهد الجديد The New Testa-ment. وهذا الوضع الذي يجعل إنجيل متى يتصدر أناجيل العهد الجديد مرجعه إلى أن إنجيل متى يعتبر امتداداً للعهد القديم كما يفترض ذلك المفترضون الذين يفترضون أن هذا الإنجيل قد كتب بهدف إثبات أن المسيح إنما هو جزء لا يتجزأ من تاريخ بني إسرائيل، ولم يكن تاريخ بني إسرائيل ليكتمل إلا به «Jesus Fulfilled the history of Israel».

ويبدأ إنجيل متى بما يسمى «شجرة نسب المسيح Genealogy of Jesus» وهو يجعل المسيح متصل النسب بسيدنا إبراهيم عن فرع سيدنا داود. وسنرى فيما يلي الخطأ في هذا النص المتعلق بنسب المسيح في إنجيل متى، وهو الخطأ الذي يلوذ مفسرو الكتاب المقدس بالصمت التام إزاءه. ومهما يكن الأمر، فلقد كان هدف متى الواضح هو ربط نسب المسيح بهذه السلسلة من الأنساب، ليربط تاريخ المسيح بتاريخ بني إسرائيل. ومؤلف هذا الإنجيل يستطرد في ملازمة هذا الخط إذ يدأب على إبراز موقف المسيح من الشرائع اليهودية، في مبادئها الأساسية كالصلاة والصوم والزكاة.

إن المسيح كما يقدمه لنا إنجيل متى يريد أن يوجه تعاليمه أولا وقبل

كل شيء إلى قومه من بني إسرائيل اليهود، وهو يحدد رسالته بأقوال مثل: (إلى طريق الوثنيين لا تمضوا. وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) «إنجيل متى ١٠/ ٥ ـ ٦». وكان المسيح أيضاً يقول: (ولم أُرْسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة) «إنجيل متى ٢٤: ١٥».

وفي موضع آخر هو نهاية إنجيل متى، لا يقصر متى تعاليم المسيح على خراف بني إسرائيل الضالة بل يوسع نطاق رسالة المسيح، لكي يحملها الحواريون إلى كل أنحاء العالم إلى كل الأمم. إنه يجعل المسيح يصدر هذا الأمر إلى الحواريين: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم) «إنجيل متى ١٩ : ٢٨». ويحاول مفسرو الإنجيل التغلب على هذا التناقض المتمثل في تصريح المسيح أنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة وفي إصداره الأمر لتلاميذه وحوارييه أن يتلمذوا جميع الأمم بقولهم: (ولكن التوجه الرئيسي يلزم أن يكون إلى بيت إسرائيل) «The primary destination must be to the house of Israel».

ويقول «أ. تريكو» عن إنجيل متى: (تحت العباءة اليونانية لهذا الإنجيل يظل هذا الإنجيل يهودياً لحماً وعظماً وروحاً. إنه يحمل خصائص الديانة اليهودية ويتسم بسماتها المميزة).[١]

ويستطرد د.بوكاي ويقول: هذه هي الاعتبارات التي تجعلنا نضع نصوص إنجيل متى في موضعها داخل الجماعة «اليهودية ـ المسيحية» التي كانت تحاول ـ على حد تعبير «أ. كولمان» ـ أن «تقطع العلاقات التي كانت تربطها باليهودية مع الاحتفاظ في نفس الوقت بالاتساق المستمر مع نصوص التوراة، وهذا هو السبب في أن النبرة العامة لهذا

---

(١) للتوسع انظر:
R.F. Collins, Introduction to the New Testament, SCM press, London, 1983.

الإنجيل توحي بوجود وضع متوتر)[١].

ويعود للتساؤل د. موريس بوكاي ويقول بعد المقدمات التي طرحها للتدليل على انعدام قدسية نص إنجيل متى: أي نوع من الناس كان متى؟
What sort of person was Matthew?!

فلنقل صراحة بادئ ذي بدء أنه لم يعد يُنْظَرُ إليه باعتبار أنه أحد الحواريين أتباع المسيح Jesus's companions وإن كان «أ. تريكو» بالرغم من ذلك يقدمه باعتباره أحد الحواريين في مقدمة ترجمته للعهد الجديد التي أصدرها عام ١٩٦٠م حيث يقول فيها عن متى: (متّى الياس ليفي كان عشارا وظيفته تحصيل رسوم العُشْر على البضائع المنقولة المتحركة على الطرق؛ أي: أنه كان موظفاً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم يُحصِّل الضرائب لحساب الرومان عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته)[٢]. وهذا بالضبط هو ما كان يعتقده آباء الكنيسة بوجه عام مثل أوريجين وجيروم وإبيفان. ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا الاعتقاد بشأن كون متى ليفي من تلاميذ المسيح وحوارييه. إن مسألة واحدة تعتبر على جانب كبير من الأهمية والخطورة لم يأبه لها ولم يضعها في اعتباره كل من اعتبروا متّى من الحواريين أتباع وتلامذة المسيح المباشرين. وهذه المسألة هي أنه كان يكتب باللغة اليونانية لليونان والرومان الذين كانوا يتحدثون اللغة اليونانية.

كان متى كاتباً يهودياً، موضوعات كتابته كانت فلسطينية، أما كتابته ذاتها فكانت يونانية اللغة. وفي ذلك يقول «أ. كولمان»: (إن الكاتب متى، كان يخاطب في كتابته «أناسا» وإن كانوا يتحدثون اليونانية فلقد كانوا

(١) وانظر الأب الدكتور جورج شحاته قنواتي: المسيحية والحضارة العربية ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، حيث يضع تقريراً عن الكتاب وطبعاته المختلفة.

(٢) انظر: العهد الجديد ـ المنشور في فرنسا عام ١٩٦٧.

يعرفون أيضاً العادات والشرائع اليهودية وكانوا يعرفون اللغة الآرامية أيضاً).

ثم يتوسع د. بوكاي ويقول: أما أصحاب الترجمة المسكونية للعهد الجديد، فقد ورد في تعليقهم على شخصية متى وإنجيله ما يلي: (من الأرجح أن إنجيل متى قد جرت كتابته في سوريا، أو في أنطاكية أو في فينيقيا حيث كان يعيش في هذه المناطق كثير من اليهود، أو الذين اعتنقوا الديانة اليهودية، ومن الممكن أن نستشف آثار معركة فكرية كانت ناشبة بين اليهود المسيحيين وبين اليهود الفريسيين المتمسكين بالتشدد في التعلق بتقاليد طقوس المعبد اليهودي، والنصوص التوراتية، وهي المعركة التي ظهرت معالمها بوجه خاص في جامينا في سنة ٨٠م، أو ربما قبل ذلك بقليل. ولا يمكن الوصول إلى يقين كامل في هذا الشأن. ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة له في ذات إنجيله ومنها أنه معروف بمهنته «متى العشار»، وبأنه واسع الإلمام بنصوص التوراة وبالتراث اليهودي، وبأنه كان يحترم رؤساء شعبه اليهودي، وإن عارضهم وخالفهم في بعض معتقداتهم، وأنه كان أستاذا في فن التدريس والتعليم الديني، ذا إلمام كبير بقواعده وأصوله، وله قدرات هائلة في مجال تبسيط وتوضيح أقوال المسيح لمستمعيه، مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتطبيق تعاليمه في الواقع الفعلي. وهذه الصفات كلها تتفق تماماً مع صفات وسمات شخص يهودي، أو اعتنق الديانة اليهودية، متأدب، ومعلم حاذق يخرج من كنزه جديداً من بين طيات القديم كما ينص على ذلك إنجيله نفسه بالإصحاح الثالث عشر بالجملة الثانية والخمسين...) إن هذه صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم الذي كان يطلق عليه مرقص ولوقا اسم «ليفي» والذي أصبح معدوداً ضمن الحواريين الاثني عشر التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام.

ثم ينتهي د.بوكاي إلى نتيجة خدمتها المقدمات العلمية التي عرضها في كتابه ويقول: (ويتفق الجميع على أن متى كان قد كتب إنجيله بالاعتماد

على مصادر مشتركة بينه وبين مرقص ولوقا، ولكن روايته في إنجيله تختلف عن رواية إنجيل كل منهما في نقاط ومسائل جوهرية كما سيتضح لنا، ومع ذلك فقد اعتمد متى في صياغة إنجيله على مرقس إلى حد كبير. ولم يكن مرقص بأي حال من الحواريين التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام[١].

كان متى يتصرف بحرية خطيرة في صياغة النصوص وعلى وجه الخصوص نصوص العهد القديم كما يفعل كبار المفسرين والأساتذة في مجال التفسير إذ لا يترددون في إبراز معنى جديد لنص قديم، وهو ما فعله متى على وجه التحديد فيما يتعلق بسلسلة نسب المسيح التي كان يعلق عليها أهمية كبيرة إلى حد أن وضعها في بداية الإنجيل المنسوب إليه. ويمتلئ هذا الإنجيل المنسوب إلى متى بوجهات نظر وروايات يستحيل التصديق بصحتها. واستحالة التصديق هذه ليست وَصْفاً من عندنا ولكنها الوصف الذي وصف الأب كانينجسر هذه الروايات كما أوردها متى في الإنجيل المنسوب إليه خصوصاً عندما تحدَّث إنجيل متّى عن «قيامة المسيح» وروايته بشأن حراس القبر من الجند. ويلاحظ كانينجسر أن أولئك الجند الذين كانوا يحرسون قبر المسيح وفقاً لرواية متّى لم يذهبوا بتقريرهم إلى رؤسائهم وإنما ذهبوا إلى كبير أحبار اليهود ليرشوهم، ليقولوا للناس الأكاذيب. ولكن الأب كانينجسر يحاول تخريج المسألة بطريقة تبريرية تحاول انقاذ كل ما يمكن إنقاذه من براثن اللامعقولية في رواية متّى في هذا الصدد عندما يقول: (ولكن علينا أن نلزم جانب الحذر في تقديرنا لدوافع متّى ليكتب عن هذه الأمور غير المعقولة على هذا النحو) إن متى - فيما يرى الأب كانينجسر - كانت نيته جديرة بالإجلال والاحترام. إذ لم يفعل شيئاً غير معتاد بمقاييس التراث الشعبي المتداول في عصره، حيث كان الناس لا يجدون حرجاً في الروايات الشعبية من سرد أوصاف غير معقولة لبعض الأحداث، حتى لو كانت متعلقة بأحد الأبطال المعروفين، أو

---

(١) موريس بوكاي: «الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» الترجمة العربية.

الأولياء الصالحين، بالضبط كما يفعل صناع الأفلام السينمائية في أحد أفلامهم الذي يجعل من المسيح «نجماً سينمائياًsuper star» في أحد أفلام السينما التي عرضت على الناس بالفعل.

وعلينا أن نضع في اعتبارنا أن هذا هو رأي، ونظرة، وتخريج، وتحليل عالم لاهوت مسيحي بارز هو الأب كانينجسر، وهو مسيحي مؤمن، وهو أيضاً أستاذ اللاهوت المسيحي بالمعهد الكاثوليكي في باريس.

وعند د.موريس بوكاي مثال آخر يدل دلالة واضحة على أن متى في إنجيله لم يكن يذكر تاريخ ووقائع وأحداث حياة المسيح كشاهد عيان بل كان يطلق لخياله العنان في اختلاق العجائب والغرائب التي واكبت توهمه بصلب المسيح إذ يقول في الإنجيل المنسوب إليه بالحرف الواحد ما نصه: (وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور فتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين. وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان، خافوا، وقالوا: حقا كان هذا ابن الله. وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه ومنهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، وأم ابني زبدي) «متى ٢٧/ ٥١ ـ ٥٦».

وليس لهذه الفقرة من إنجيل متى مثيل في أي من الأناجيل الأخرى. ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين أن تخرج من القبور بعد قيامة المسيح ولماذا؟ أي غداة السبت كما يقول الإنجيل.

وربما كان إنجيل متى الذي يروي تفاصيل هذا المشهد المصاحب لموت وقيامة المسيح حسب رواية إنجيل متى قد وصل إلى ذروة اللامعقولية، كما وصل إليها أيضاً في موضع آخر عندما يحدثنا متى عن آية «معجزة» يونس كما يلي:

كان المسيح موجوداً بين رهط من اليهود الكتبة والفريسيين فقالوا له: (يا معلم، نريد أن نرى منك آية). أي أنهم طلبوا منه أن يعمل لهم معجزة.

فأجابهم المسيح بقوله: (جيل شرير، وفاسق يطلب آية ولا يعطى له آية إلا آية يونان، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال) لإنجيل متى ١٢/٣٨ ـ ٤٠».

هاهو ذا المسيح يعلن وفقاً لما أورده عنه إنجيل متى من أن (المسيح) سيموت ويدفن في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم يقوم المسيح من القبر ببطن الأرض، ويخرج منه، كما خرج سيدنا يونس حياً من بطن الحوت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما يخبرنا بذلك إنجيل متى. ولكن ذات إنجيل متى ومعه إنجيل لوقا وإنجيل مرقص يحدد كل منها موت المسيح بأنه قد تم في آخر نهار الجمعة، وعند فجر الأحد ذهبت مريم المجدلية إلى قبر المسيح فلم تجد جسده في الكفن داخل القبر. ويستحيل أن تمتد فترة بقاء المسيح في قلب الأرض أكثر من ليلتين فقط. والنص اليوناني لإنجيل متى قاطع الدلالة على أن مدة بقاء المسيح في قبره هي ثلاثة أيام Treis emeras وثلاث ليال Treis nuktas ويستحيل القبول بمحاولة تحايل المفسرين المسيحيين لتبرير هذا الخطأ الحسابي الواضح في حساب مدة بقاء المسيح في مدفنه بأن: (يوم كامل وليلتان) مجموعهما ثلاثة أيام كما حاول ذلك الأب روجيه، إذ أن الأب روجيه نفسه يستدرك قائلاً: (ولكن لا يجوز هذا التبرير لأن التعبير في النص كما أورده إنجيل متى جامد لا يحتمل مثل هذا التأويل). ومن المحزن حقاً أن نلاحظ أن المفسرين ينزلقون إلى استخدام مثل هذه التبريرات لمحاولة تمرير مثل هذه المتناقضات، على حين أن الاعتراف بوجود خطأ في كتابة النص ربما كان أكثر إقناعاً للعقل.

وبالإضافة إلى هذه الأمور غير المعقولة، يتميز إنجيل متى أولاً وقبل كل شيء بأنه إنجيل طائفة من طوائف اليهودية ـ المسيحية التي نزعت إلى مخالفة اليهودية، مع التمسك بنصوص العهد القديم. ومن هنا تنبع الأهمية الكبرى لإنجيل متى في التأريخ لاتجاه اليهودية ـ المسيحية.

الفصل السادس

◄ إنجيل مرقص والتعريف به

◄ بطرس وتلاميذ المسيح

◄ اللغة التي حُرر بها إنجيل مرقص

إنجيل مرقص والتعريف به

يعتبر إنجيل مرقص ـ من حيث الحجم ـ أقصر وأوجز الأناجيل الأربعة، فهو يقع في ثنتين وثلاثين صحيفة من الكتاب المقدس[١].

«والقول بأن متى ولوقا قد اتخذا من إنجيل مرقص مصدراً لهما يكاد يكون مسلما به»[٢].

ولكن من هو مرقص محرر هذا الإنجيل؟

لا أحد يملك حجة أو وثيقة تعرفنا بشخص مرقص وفي باب العقيدة يعتبر انقطاع السند إشكالية تفقد النص مصداقيته.

وكل ما يذكر هو آراء شائعة لا حجة قاطعة عليها، أو دليلا مقنعا يثبتها

وفي تقرير ذلك ينقل الدكتور موريس بوكاى عن أ. كولمان ـ وهو باحث لاهوتي قوله: «إن هناك كثيراً من تراكيب الجمل (في هذا الإنجيل) تدعم الفرض القائل بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودي الأصل»[٣].

وقد كتب أ. كولمان في كتابه[٤] فيما ينقل عنه بوكاي ص ٨٤ ـ أنه لايعتبر مرقص تلميذاً للمسيح، ويذكر إشارات كثيرة في العهد الجديد

(١) طبعة البروتستانت (من ص٥٦ إلى ص ٨٩).

(٢) دائرة المعارف البريطانية ص ٥٢٣ ط ١٩٦٠م.

(٣) ص ٨٤ من الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

(٤) العهد الجديد المنشور عام ١٩٦٧ في فرنسا.

تتحدث عن رجل اسمه «يوحنا ويلقب بمرقص» ويعلق الدكتور بوكاي على ذلك قائلا: إن هذه الفقرات لا تذكر أنه مؤلف إنجيل، وحتى نص مرقص نفسه لا يشير إلى ذلك.

ويرى د. بوكاي أن فقر المعلومات الخاصة بهذه النقطة قد قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو وهمية، على أنها عناصر ذات قيمة. وعن علاقة مرقص ببطرس يقول: إن التراث ـ النصراني ـ قد أراد أن يرى في مرقص رفيقاً لبطرس في روما، وذلك اعتماداً إلى نهاية رسالة بطرس الأولى، (إذا ما كان هذا الأخير هو فعلاً كاتب هذه الرسالة) ويقال: إن بطرس قد كتب لمن وجه رسالته إليهم قائلاً: «جماعة المختارين ببابل تحييكم وكذلك مرقص أخي».

«بابل أي ربما روما.. يرى في مرقص رفيقاً لبطرس في روما، وذلك اعتمادا إلى نهاية رسالة بطرس الأولى، (إذا ما كان هذا الأخير هو فعلاً كاتب هذه الرسالة) ويقال: إن بطرس قد كتب لمن وجه رسالته إليهم قائلا:

«جماعة المختارين ببابل تحييكم وكذلك مرقص أخي».

«بابل أي ربما روما»...

ذلك ما نقرأه في التعليقات على الترجمة المسكونية، ومن هنا يعتقد البعض أن من حقه استنتاج أن مرقص الذي كان مع بطرس بروما هو المبشر.

ويتساءل د. بوكاي قائلاً: أسبب من هذا النوع هو الذي دفع ببياس أسقف هيرابولس في نحو عام ١٥٠م. إلى أن ينسب الإنجيل المقصود إلى مرقص الذي يقول عنه: أنه كان مترجماً لبطرس، وأنه كان أيضاً مساعد بولس؟

ويرى أن إنجيل مرقص ـ من هذه الزاوية ـ يكون قد تحرر بعد موت

بطرس، أي على أكثر تقدير بين عام ٦٥م، ٧٠م حسب الترجمة المسكونية، وفي حوالي عام ٧٠م حسب أ. كولمان[١].

ويذكر ف. س. جرانت[٢].

أنه لا يزال ما يرويه ببياز نقلاً عن «من يدعي» الشيخ «الذي يقال أنه يوحنا، هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافي للنواحي التاريخية والأدبية في إنجيل يوحنا» هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافي للنواحي التاريخية، والأدبية في إنجيل مرقص، إذ يقول: هذا ما اعتاد أن يقوله الشيخ: في الواقع أن مرقص الذي كان ترجماناً لبطرس قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته، ما قيل عن أعمال «يسوع» ولكن دون مراعاة للنظام.

ويعلق د. أ. نينهام ـ الأستاذ بمعهد اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل[٣]:

«لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وخاصة (بيسوع)، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى... ومن غير المؤكد صحة القول المأثور، الذي يحدد مرقص كاتب الإنجيل، بأنه يوحنا مرقص المذكور في أعمال الرسل: ١٢، ٢٥، أو في رسالة بطرس الأولى ٥: ١٣، أو في رسالة بولس إلى كولوس ٤: ١٠، أو في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤: ١١.

ويعلق الأستاذ نينهام قائلاً لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم.

---

(١) انظر موريس بوكاي الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٥٨.

(٢) انظر: جرانت صاحب كتاب الأناجيل أصلها وتطورها ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٣) في كتابه: تفسير إنجيل مرقص المطبوع في إنجلترا عام ١٩٦٣م ص ٣٩.

ولكن إذا تذكرنا أن اسم مرقص كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية... عندئذٍ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة.

من ذلك يتضح أن أحداً من علماء النصرانية لا يعرف بالضبط من هو مرقص كاتب الإنجيل، وإن كان الرأي الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس وتابعيه... ويرى د. جرانت: أن هذا الرأي الشائع من الموروثات الغريبة، وهو يشبه ـ في غرابته ـ استنتاج القديس أوغسطين الخاطئ بأن مرقص كان واحداً من الذين تبعوا متى، واختصروا إنجيله.

وكما أن صاحب هذا الإنجيل، مجهول الهوية، فإن تاريخ كتابة هذا الإنجيل محلُ جدل وعدم اتفاق، يقول نينهام:

«إنه غالباً قد كتب في الفترة ما بين ٦٥ ـ ٧٥م... ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقص في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام٧٠م[١]»، ويقول هورن: «ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦م وما بعدها إلى سنة٦٥م»[٢].

---

(١) نينهام ص ٤٢. مصدر سابق.

(٢) محاضرات ص٥٤.

بطرس وتلاميذ المسيح

يعتبر العهد الجديد بطرس واحداً من تلاميذ السيد المسيح، أو من حوارييه يظهر ذلك في أكثر من موضع، منها مثلاً ما جاء في إنجيل مرقص[١]:

(ودخل يسوع أورشليم والهيكل... وفي الغد لما خرج إلى بيت عينا جاع، فنظر شجرة تين من بعيد، عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئاً، وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد...» وجاء في بقية النص أن: «بطرس قال له: يا معلم،هذه التينة التي لعنتها قد يبست...».

وتذكر دائرة المعارف الأمريكية أنه كان لبطرس إنجيل،لكنه إنجيل مرفوض، وهو من مصدر قديم، وقيل: أنه كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة... في الربع الأخير من القرن الثاني[٢].

ويرى جنتر لا تركوفسكي أن رسالتي بطرس تقعان في إطار الرسائل العامة، أي التي وجهها إلى كل الكنائس، وليست مثل رسائل بولس الموجهة إلى كنائس خاصة أو أشخاص معينين[٣].

ويحدد بوتر في كتابه[٤]:

---

(١) انظر: الإصحاح الحادي عشر ١١ ـ ١٤ ص٧٧ من طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠م.

(٢) ج ـ ١٣ ص: ٧٠ ـ ٧١.

(٣) انظر: Sacred Writings ,1961.pp.31-37 .

(٤) The Lost years of JEUS REVEALED.1963,PP20-22.

الفترة التي كتب فيها بطرس رسالته الأولى سنة ٩٥م، وكتب رسالته الثانية في سنة ١٥٠م.وعلى ذلك يبعد أن يكون بطرس تلميذاً للمسيح عليه السلام.

ويذكر (سفر أعمال الرسل) أن بطرس كان واحداً من الرسل الملهمين من الروح القدس.

جاء في الإصحاح الأول ١٣ : ١٤

«ولما دخلوا (أورشليم) صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها :

بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وفيلبس وتوما وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفي وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب».

ويعطي هذا السفر لبطرس دوراً مميزاً، فيظهره بمظهر خطيب التلاميذ أو المتحدث بلسانهم.

انظر مثلاً ما جاء في الإصحاح السادس عشر: ١٥.

«وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ، وكان عدة أسماء معه نحو مائة وعشرين وقال:....»

ليس هذا فحسب، بل إن هذا السفر يظهر بطرس على أنه رسول صاحب معجزات خارقة للعادة، فهو يميت ويشفي من العرج المزمن ويبرئ المفلوج...الخ[١].

كما أن هذا السفر يرينا بطرس داعية مجاهداً ومتحدياً ومظهراً لدعوة يسوع. الإصحاح الرابع:٨.

أما رفقة بطرس ليوحنا أو صحبة يوحنا لبطرس فإنها ماثلة في عدة مواضع من سفر أعمال الرسل[٢].

ولكن من هو مؤلف (سفر أعمال الرسل) الذي أمدَنا بهذه

(١) انظر: الإصحاح الثالث ١:١٢ ـ الإصحاح التاسع ٣٢:٣٤.

(٢) انظر: الثالث:١، الرابع:١٣،١٩، الثامن:١٤.

المعلومات، وذكر أمر الرسل وإلهامهم وأعمالهم وأخبارهم...وذكر من بين هؤلاء بطرس.

خاصة وأن هذا السفر يعتبر أهم المراجع التي يعتمد عليها في كتابة تاريخ هذه الفترة من «أعمال الرسل».

والمتفق عليه بوجه عام أن هذا السفر هو والإنجيل الثالث من وضع مؤلف واحد، ولكن ليس ثمة ما يماثل هذا الإجماع على أن كاتب السفرين هو لوقا، صديق بطرس الذي لم يكن من اليهود.

وإذا كان سفر الأعمال لم يرد فيه شيء عن موت بولس، فإن النسخة الأصلية منه تكون قد ألفت حوالي عام ٦٣ م ليحاول بها صاحبها تسكين عداء الرومان للمسيحية ولبولس ؛ولكن المرجح أن الكتاب قد ضمت إليه أجزاء أخرى كتبها مؤلف آخر جاء بعد مؤلفه الأول. ويكثر في هذا السفر ذكر خوارق الطبيعة، ولكن قصته الأساسية يمكن اعتبارها تاريخاً صحيحاً. وقد ضمت في القرن الثاني عدة «أعمال» و«رسائل» مختلفة مشكوك فيها حذفت من الكتاب المقدس تحتوي على عدد من القصص الخرافية تروي حياة الرسل بعد المسيح. وكانت هذه «الأعمال» بمثابة الروايات الخيالية التاريخية لذلك العصر، ولم تكن بالضرورة محاولات يقصد بها الخداع والتمويه. وقد رفضتها الكنيسة المسيحية، ولكن أتقياء المسيحيين آمنوا بها، وخلطوها خلطاً متزايداً بالتاريخ الصحيح.

وينزع النقاد إلى الاعتقاد بصحة معظم ما جاء في رسالة بطرس الأولى، وهي إحدى الرسائل السبع الواردة في العهد الجديد معزوة إلى الرسل الاثني عشر، وتنزع كذلك إلى القول بأن صاحب رسالة يوحنا هو نفسه صاحب الإنجيل الرابع الذي لا يزال مؤلفه مثاراً للنزاع. أما باقي الرسائل فيرفضونها لأنهم يشكون كثيراً في صحتها.

ودراسة بطرس وإنجيله تلهم الباحث بأن المسيحية نشأت كما يقول

ول ديورانت: من الإيحاء الغامض العجيب الخاص بحلول الملكوت، واستمدت دوافعها من شخصية المسيح نفسه وتخيلاته، كما استمدت قوتها من عقيدة البعث والحساب، والوعد بحياة الخلود، واتخذت صورة العقائد الثابته في لاهوت بولس، ثم نمت باستيعابها العقائد والطقوس الوثنية ؛ وأصبحت كنيسة ظافرة منتصرة، بعد أن ورثت ما امتازت به رومة من أنماط وعبقرية منظمة.

ويبدو أن الرسل كانوا جميعاً يؤمنون بأن المسيح سيعود بعد قليل ليقيم ملكوت السماوات والأرض. انظر إلى قول بطرس في رسالته الأولى: (نهاية كل شئ قد اقتربت فتعقلوا واصحوا للصلوات). وتقول رسالة يوحنا الأولى: (أيها الأولاد، هي الساعة الأخيرة، وكما سمعت أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أضداد كثيرون «نيرون، فسبازيان، دومتيان». من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة). وكان الاعتقاد بنزول مسيح يطهر الأرض ويقيم ملكوت الله، ويبعث الناس بأجسامهم، وبعودته إلى الأرض، هو القاعدة الأساسية للدين المسيحي في أوائل عهده. على أن هذه العقائد لم تحل بين الرسل وبين استمرارهم في التمسك بالدين اليهودي. وشاهد ذلك ما جاء في أعمال الرسل: (وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة)[1]. وأطاعوا قوانين التغذية والحفلات، واقتصروا في أول الأمر على دعوة اليهود وحدهم إلى دينهم وكثيراً ما كانوا يخطبون فيهم في الهيكل.

وكانوا يعتقدون أنهم قد تلقوا عن المسيح أو عن الروح القدس قوى عجيبة من الإلهام، وشفاء الأمراض والأقوال. وأقبل عليهم كثيرون من

---

(١) للتوسع راجع المصادر التالية:

1- Schweitzer; Londsphips, p, Kraemer, Christ, pp. 8 - 11.

2- Braron, Salo Wittmyer:A Social and Religious of Jews. Second Edition. V. 6. The Jewish Publication Society of America. 1971.

3- Berliner, Dr. A.: Targum Oncklos. Herausagegeben und Erlaust von Dr. A. Berliner. Zweith. theil. Berlen 1884.

المرضى والعجزة، ويقول مرقص: إن بعضهم شفوا حين مسحوا بالزيت ـ وكان هذا المسح على الدوام من وسائل العلاج المنتشرة في بلاد الشرق. ويصور مؤلف سفر أعمال الرسل صورة مؤثرة للاشتراكية القائمة على الثقة المتبادلة التي كانت سائدة بين هؤلاء المسيحيين الأولين إذ يقول:

وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شئ مشتركاً... لم يكن فيهم أحد محتاج، لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزع على كل واحد كلما يكون له احتياج.

ولما كثر عدد المهتدين، وكثر ما تحت أيدي الرسل من الأموال عينوا سبعة من شمامسة الكنيسة للأشراف على شئون هذه الجماعة، وظل رؤساء اليهود فترة من الزمن لا يعارضون قيام هذه الشيعة لصغرها وانتفاء الأذى من وجودها، فلما تضاعف عدد «الناصريين» (النصارى) في بضع سنين قلائل وقفز عددهم من ١٢٠ إلى ٨٠٠٠ استولى الرعب على قلب الكهنة، فقبض على بطرس وغيره وجئ بهم أمام السنهدرين لمحاكمتهم يريد أن يحكم بإعدامهم، ولكن فريسياً يدعى غمالائيل ـ أكبر الظن أنه معلم بولس ـ أشار على المجلس أن يؤجل الحكم، ثم وفق بين الرأيين بأن جلد المقبوض عليهم وأطلق سراحهم وحدث بعد ذلك بزمن قليل (٣٠؟.م) أن استدعى أحد الشمامسة الذين عينوا للأشراف على جماعة المهتدين واسمه اصطفانوس (أو استيفن) للمثول أمام السنهدرين واتهم بأنه «يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله»، فدافع الرجل عن نفسه دفاعاً قوياً غير مبال بما يتهدده من أخطار:

«يا قساة القلوب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم؛ أي نبي لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلميه

وقاتليه، الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه»[(١)].

وأثار هذا الدفاع القوى غضب السنهدرين فأمر بأن يجر إلى خارج المدينة ويرجم بالحجارة. وكان شاب فارسي يدعى شاول يساعد على هذا الهجوم ؛ وبعد ذلك صار هذا الشاب ينتقل من بيت إلى بيت في أورشليم ويقبض على أتباع «الكنيسة» ويزجهم في السجن.

وفرّ اليهود المهتدون ذوو الأسماء والثقافة اليونانية الذين يتزعمهم اصطفانوس إلى السامرة وأنطاكية، وأنشأوا فيها جماعات مسيحية قوية. أما معظم الرسل الذين يبدو أنهم سلموا من الاضطهاد، لأنهم ظلوا يراعون الناموس، فقد بقوا في أورشليم مع المسيحيين اليهوديين. وبينا كان بطرس يحمل الإنجيل إلى البلاد اليهودية صار يعقوب «العادل» «أخو الرب» رئيس الجماعة المقيمة في أورشليم بعد أن قلّ عددها ونقصت مواردها. وكان يعقوب يبشر بالناموس بكل ما فيه من صرامة، ولم يكن يقلّ عن الأسينيين تقشفاً وزهداً، فلم يكن يأكل اللحم، أو يشرب الخمر، ولم يكن له إلا ثوب واحد، ولم يقصّ شعره أو يحلق لحيته قط. وظل المسيحيون تحت قيادته سبعة أعوام لا يمسهم أذى. ثم حدث حوالي عام ٤١ أن قُتل رجل يدعى يعقوب بن زبيدي، فقبض على بطرس ولكنه فرّ. ثم قُتل يعقوب يعقوب العادل نفسه في عام ٦٢م. وبعد أربعة أعوام من ذلك الوقت ثار اليهود على رومة. وأيقن المسيحيون المقيمون في أورشليم أن «نهاية العالم» قد دنت، فلم يأبهوا بالشئون السياسية، وخرجوا من المدينة وأقاموا في بلاد الوثنية الضالعة مع رومة والقائمة على الضفة البعيدة من نهر الأردن. وافترقت اليهودية والمسيحية من تلك الساعة، فاتهم اليهود المسيحيين بالخيانة وخور العزيمة، ورحب المسيحيون بتدمير الهيكل على يد تيطس

(١) لا يبعد أن تكون خطب اصطفانوس،وبطرس، وبولس وغيرهم كما وردت في سفر أعمال الرسل من اختراع مؤلف هذا السفر كما جرت بذلك عادة المؤرخين الأقدمين.

تحقيقاً لنبوءة المسيح. واتقدت نار الحقد في قلوب أتباع كلا الدينين، وأملت عليهم بعض ما كتبوا من أعظم آدابهم تقى وصلاحاً.

وأخذت المسيحية اليهودية من ذلك الوقت يقل عدد أتباعها وتضعف قوتها وتترك الدين الجديد للعقلية اليونانية، تشكله وتصبغه بصبغتها، وأصمت الجليل، التي قضى فيها المسيح كل حياته تقريباً، التي عفت منها ذكرى المجدلية وغيرها من النساء اللاتي كن من بين أتباعه الأولين، أصمت أذنها عن سماع الوعاظ الذين جاءها يدعون أهلها للدخول في دين الناصري ابن الله. ذلك أن اليهود المتعطشين إلى الحرية، والذين كانوا يذكرون كل يوم في صلواتهم أن «الله واحد» لم يستسيغوا فكرة «المسيح» المنتظر الذي لا يأبه بكفاحهم في سبيل الاستقلال، ورأوا أن من العار أن يقال: إن إلها قد ولد في كهف أو اصطبل في إحدى قراهم. وظلت المسيحية اليهودية قائمة مدى خمسة قرون بين طائفة قليلة من المسيحيين السريان المسمين بالإبيونيم (الفقراء) الذي كانوا يجمعون بين التقشف المسيحي والناموس اليهودي الكامل ؛ فلما كان آخر القرن الثاني الميلادي حكمت عليهم الكنبسة المسيحية بالكفر، وأخرجتهم من حظيرتها.

وكان الرسل والتلاميذ في هذه الأثناء قد نشروا الإنجيل بين اليهود المشتتين بنوع خاص، وهم المنتشرون فيما بين دمشق وروما. فهدى فليب عدداً من أهل السامرة وقيصرية، وأوجد يوحنا جالية مسيحية قوية في إفسوس وأخذ بطرس يعظ في مدن سوريا.وفعل بطرس ماكان يفعله معظم الرسل فاصطحب معه في أثناء تجواله «أختا» لتكون بمثابة زوجة له ومعينة. وبلغ نجاحه في شفاء المرضى حداً أغرى ساحراً يدعى سمعان المجوسي أن يعرض عليه مالاً ليشركه معه في قواه العجيبة. ففي يافا أقام تابيثا وكان يبدو أنها قد ماتت، وفي قيصرية هدى إلى المسيحية قائداً رومانيا على مائة. وجاء في سفر أعمال الرسل أنه رأى رؤيا اقتنع على أثرها أن عليه أن يقبل المهتدين من الوثنيين واليهود على السواء، ثم

اقتصر من ذلك الوقت على تعميد المهتدين من غير اليهود بدل أن يعمدهم ويختنهم معا، وذلك إذا استثنينا بعض حالات طرفة. وفي وسعنا أن نحس بما كان يعمر قلوب هؤلاء المبشرين الأولين من حماسة إذا اطلعنا على رسالة بطرس الأولى:

(بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتقربين من شتات بنطس، وغلاطية، وكبدوكية وآسيا، وبيثينية المختارين... لتكثر لكم النعمة والسلام... أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونزلاء... أن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكي... يمجدوا الله في يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها... فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب... كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر... أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة، ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعتقاء أيضاً... كذلكن أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف. ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر، والتحلي بالذهب، ولبس الثياب، بل... زينة الروح الوديع الهادئ... كذلكم أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحيوة... غير مجازين عن شر بشر... ولكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا) ولسنا نعرف متى شق بطرس طريقه إلى رومة أو المراحل التي وصل بها إلى تلك المدينة فأما جيروم (حوالي ٣٩٠) فيؤرخ وصوله إليها بعام ٤١م وقد بقيت الرواية القائلة بأنه كانت له اليد الطولي في إنشاء الجالية المسيحية في عاصمة الدولة الرومانية صامدة للنقد: ويحدثنا لكتانتيوس Lactantius عن قدوم بطرس إلى رومة في عهد نيرون، وأكبر الظن أن الرسول زار رومة عدة مرات وكان وهو طليق، وبولس وهو سجين، يبذلان مابوسعهما من جهد، ويتنافسان لهداية أهلها حتى استشهد كلاهما [كذا] في سبيل هذه الغاية، ولعل استشهادهما كان في عام واحد هو عام ٦٤م. ويروي أرجون

أن بطرس «صلب ورأسه مدلى إلى أسفل، لأنه طلب أن يعذب بهذه الطريقة»[1]، ولعله كان يأمل أن يكون الموت بها أسرع إليه أو (كما يقول المؤمنون) لأنه يرى أنه غير خليق بأن يموت بالطريقة التي مات بها المسيح. وتقول النصوص القديمة إن زوجته قتلت معه، وأنه أُرغم على أن يراها تساق للقتل. وتحدد إحدى القصص المتأخرة حلبة نيرون، القائمة في ميدان الفاتيكان، موضعاً لمقتله. وفي هذا المكان شيدت كنيسة القديس بطرس، وقيل أنها تضم عظامه.

وما من شك في أن تجواله في آسيه الصغرى، ورومة، قد ساعد على الاحتفاظ بكثير من العناصر اليهودية في الدين المسيحي. فقد ورث هذا الدين عنه وعن غيره من الرسل ما في الدين اليهودي من توحيد، وتزمت، واعتقاد في البعث والنشور، وهذه الرحلات ورحلات بولس هي التي جعلت العهد القديم الكتاب المقدس الوحيد الذي عرفته المسيحية في القرن الأول. وظلت المجامع اليهودية أهم الأماكن التي تبث فيها الدعوة المسيحية كما ظل اليهود أهم الجماعات التي تبث بينهم هذه الدعوة حتى عام ٧٠م. ولهذا انتقلت إلى الطقوس المسيحية أشكال العبادات العبرانية واحتفالاتها وملابساتها. وتسامى حَمَل بسكال فصار هو حمل الله المكفر عن الخطايا في القداس الكاثوليكي.

كذلك أخذت المسيحية عن أساليب اليهود في إدارة المجامع تنصيب جماعة من الكبراء (برز بتيري أى قساوسة) لتولي شئون الكنائس. وقبلت المسيحية فيها كثيراً من الأعياد اليهودية، كعيد الفصح، وعيد العنصرة،

---

(١) أنظر

Abrahams' Israel, Jewish life in the Middle Ages. Temple Book. N.Y. 1969

وأيضاً:

A. Harnack. Precis de L'histoire Traduit par E. Choisy. Paris Librairie Fischbaeher Societe anonyme 33 rue de Seine 1893. p.p. 176 - 194

وإن كانت قد غيرت أشكالها وتواريخها. وقد ساعد تشتت اليهود في أقطار العالم على انتشار المسيحية، وكان مما مهد السبيل لهذا الانتشار كثرة انتقال اليهود من مدينة إلى مدينة، والصلات القائمة بينهم في جميع أنحاء أوربا، وتجارتهم الواسعة، والطرق الرومانية المعبدة والسلم الرومانية.

وكانت المسيحية حسب تعاليم المسيح وبطرس يهودية، ثم أصبحت في تعاليم بولس نصف يونانية، وأضحت في المذهب الكاثوليكي نصف رومانية، ثم عاد إليها العنصر اليهودي والقوة اليهودية حين دخلها المذهب البروتستنتي.

اللغة التي حُرر بها إنجيل مرقص

وعن اللغة التي حُرر بها هذا الإنجيل، فهي اللغة اليونانية، يقول ابن البطريق:

«وفي عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عن مرقص في مدينة رومية، ونسبه إلى مرقص)»[(١)].

ويرى د. بوست في قاموس الكتاب المقدس أنه كتب باليونانية[(٢)] ويكاد يجمع الدارسون على أنه قد كتب باللغة اليونانية، فيقول أ. كولمان: إن وجود المناحي اللغوية اللاتينية يوحي بأنه قد كتب إنجيله في روما[(٣)].

ويلفت (فريدريك جرانت) الانتباه إلى خشونة وعامية اللغة الإغريقية التي حُرر بها هذا الإنجيل[(٤)].

ويرى د. موريس بوكاي: «أن نص هذا الإنجيل يظهر عيباً رئيسياً أولياً لا جدال فيه، فلقد حرر دون أي اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث...كما أن هذا المبشر يبرز افتقاراً كاملاً للمعقولية».

وينقل عن الأب روجي قوله: «إن مرقص كان كاتباً غير حاذق، وأثر المبشرين ابتذالا، فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية...»[(٥)].

---

(١) محاضرات ص٥٤.

(٢) ص ٨٤ من كتاب د. بوكاي السابق..

(٣) جيرانت مصدر سابق ص ٢٨ ـ ٣٠.

(٤) د. بوكاي ص ٨٥ مصدر سابق.

(٥) الإمام الشيخ محمد أبو زهرة ـ محاضرات في النصرانية ص ٥٥.

ويذكر علماء النصارى أن في هذا الإنجيل ـ كغيره من الأناجيل ـ معضلات فادحة، ليس من السهل التغلب عليها، منها مثلا: التناقض الداخلي في أحداثه ورواياته، ومنها عدم اتفاق أي نسختين من النسخ المخطوطة منه على نص واحد، إذ أن كل واحدة تخالف الأخرى[١].

يقول نينهام، مفسر إنجيل مرقص:

«لقد وقعت تغييرات تعذر اجتنابها، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد، ومن بين مئات المخطوطات، لإنجيل مرقص والتي ما تزال باقية حتى اليوم، ولا نجد نسختين اثنتين تتفقان تماماً»[٢].

وهنا يحسن أن ننقل تعليق د. بوكاي على كلام الأب كافينجر، أنه يقول: ياله من اعتراف صريح بوجود التغييرات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة!! ياله من اعتراف، ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتي الكبير!!»[٣].

(١) انظر: SAINT MARK , Penguin England 1963 p.11.

(٢) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة مصدر سابق.

الفصل السابع

◄ اضطراب رواية لوقا وتهافتها

◄ قانون الإيمان وفلسفته

◄ مخالفة إنجيل لوقا للتوراة في عقيدة الإله

اضطراب رواية إنجيل لوقا وتهافتها

استوقفنا ونحن نطالع العهد الجديد الاضطراب الذي وقع في المتن وانقطع في السند عند لوقا، في روايته التي عرضها عن نسب المسيح، وعن الصلب بقوله: (لما كان في الشهر السادس من حمل اليصابات زوجة زكريا بحيي ابنها، جاء جبريل إلى مريم العذراء بالناصرة من أرض الجليل، وهي إذ ذاك خطيبة لرجل من نسل داود يقال له يوسف، فقال لها جبريل: ابشري يا ممتلئة بنعمة الرب، مباركة أنت في السماء. فلما رأته اضطربت من كلامه، فقال لها جبريل: لا تخافي يا مريم، فقد ظفرت بنعمة من عند الله وأنت تقبلين حبلى بولد يدعى يسوع، يكون عظيماً وابن العلي يدعى، يعطيه الرب كرسي أبيه داود ويملك على بيت يعقوب. فقالت مريم: أتاني ذلك ولم أعرف رجلاً، فقال جبريل: روح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، وهذه اليصابات نسيبتك حبلى بابن على كبر سنها، لأنه ليس عند الله أمر عسير. فقالت مريم: ها أنا ذا عبدة الرب، فليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك)[1].

ورد ذلك من الله على مريم مورد الامتنان والإنعام، وهو أن يجلس ولدها في (دست) ـ صدر البيت ـ بيت داود ويملكه الرب رقاب اليهود، فالقول بأن المسيح هلك وما ملك يقضي بالسخرية من البتول، أو البداء من المرسل، أو الكذب من الرسول، والكل محال، فالقول بقتل المسيح وصلبه محال. وهناك من أدلة رفض ونقض روايات الصلب ما لا تسعه

---

(١) لوقا ١/٢٦ ـ ٢٨.

المجلدات والموسوعات، وكلها تقضي بكذب وفساد قول مدّعي الصلب، ومما يدل على فساد دعوى القتل والصلب ما اشتمل عليه الاضطراب في الرواية وقبيح الألفاظ كالقول الذي نُسب لرئيس الكهنة من المسيح: (إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى ترونه جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء)[١] يريد بالقوة الله تعالى، وكقوله: (إن ناساً من القيام هاهنا لا يذوقون الموت حتى يرون ابن الإنسان آتياً في ملكوته)[٢]، وكقول الملك للنسوة (تعالين فانظرن إلى الموضع الذي كان فيه الرب في القبر)[٣].

ولقد استفزّت هذه النصوص المتباينة والمتساقطة والمتكاذبة الإمام القاضي أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي المتوفى ٦٦٨هـ فقال في كتابه تخجيل من حرف التوراة والإنجيل:

ما أخلق هذه المواضع أن يكون بعض مجّان اليهود قد أدرجها في كتب النصارى ليضحك منهم الناس. ثم استرسل ناقماً غاضباً لعبد الله ورسوله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول: أسمعتم يا معشر النوكى برب في قبر، وإله في لحد؟! أيُّ جدثٍ وسعه؟! أي كفن واراه؟! أي نعش حمله؟! هل نجى من ضغطة القبر؟! هل لقن حجته عند السؤال؟! هل ثبت جأشه عند طلعة الملك؟!. ثم توسّع ومن صفحات ٣٤٨ ـ ٣٥٣ ذهب يقول: أفٍ لتراب تغشّى وجه هذا الإله، وتبّاً لكفن ستر محاسنه، وسحقاً لجذع انتصب تحته صلب عليه، عجباً للسماء كيف لم تَبِد وهو سامكها وللأرض كيف لم تَمِد وهو ماسكها، وللبحار كيف لم تَغِض وهو مجريها، وللجبال كيف لم تَسِر وهو مرسيها، وللحيوان كيف لم يصعق وهو مشبعه، وللكون كيف لم يمحق وهو مخترعه؟ وأنى استقام الوجود والرب في اللحود وثبت العالم على نظام والإله في الرحام؟! لقد لبس الكون ثوباً من القحّة صفيقاً

(١) مرقص ١٤/ ٦١، ٦٢.
(٢) متى ١٦/ ٢٨، مرقص ١/ ٩، لوقا ٩/ ٢٧.
(٣) متى ٦/ ٢٨.

واستمر على البقاء وكان بالفناء خليقاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة بهذا الرب والرزيّة بهذا الإله، لقد ثكلته أمه التي خلقها وصوّرها، وعدمته الدنيا التي أبدعها وفطرها، فليت شعري هل قسم ميراثه؟ وعمل مأتمه؟ وهل أُخِذَ بثأره أو سُلِّم مسلّمه؟. هذا هو الخذلان والتلاعب بالأديان).

والجدير ذكره في هذا المقام أن روايات الصلب تتضمن معوّقات تشعر بل تؤكد وتقطع بأن المصلوب رجل غير المسيح:

أحدها: شكواه العطش، خاصة وأن الإنجيل صرّح أكثر من مرة (بأن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وأربعين ليلة)[1]، ويقول لتلاميذه: إن لي طعاماً لستم تعرفونه)[2]، ومن صبر عن الماء والطعام ثمانين يوماً وليلة لا يجزع من قلة الماء ساعة أو أكثر، وبذلك يتحقق أن العطشان كان غير المسيح والمستسقي سواه.

وثانيها: قوله: (إلهي إلهي لم تركتني وخذلتني؟) و (لِمَ) كما يعلم كلمة تنافي الرضا بمر القضاء والصبر على البلاء، وتناقض التسليم لأحكام الحكيم ويجل عن ذلك رتبة الصالحين فضلاً عن أكابر المرسلين.

فهذا وما شاكله من كلام المصلوب الذي نطالعه في روايات الأناجيل يؤكد ما قلناه من أن المصلوب غير المسيح، فإن أبى النصارى إلا أن يكون قائل هذا الكلام هو المسيح، فيرد عليهم: ألم تزعموا أن المسيح إنما تعنّى ونزل ليؤثر العالم بنفسه ويخلّصه من الشيطان ورجسه؟! أفتقولون إنه تبرّم بالإيثار واستقال العثار؟

ألم ترووا لنا عن التوراة ما يفيد أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون كانوا حين احتضروا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى شعبهم، لم يجزعوا من الموت ولا هابوه، ولا أعابوه، هذا وهم عبيد. والمسيح بزعم كتّاب الأناجيل رب وولد، أفكان الأنبياء وثوقهم

---

(١) متى ٤/ ٢.

(٢) يوحنا ٤/ ٣٢.

بالله فوق وثوقه، أم حظ المسيح عند الآب دون حظ رفيقه من البشر.

ثم أين قول النصارى في شريعة إيمانهم نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء، وليس بمصنوع الذي نزل من السماء لخلاص معشر الناس؟

وكيف يصحّ لهم هذه الدعوى والمصلوب ينادي بحضرة اليهود: (إلهي إلهي كيف تركتني وخذلتني)؟

وكيف يكون خالق السماوات والأرض مقروناً في نهايته باللصوص مصلوباً على الخشب، له إله يدعوه ويسأله ألا يتركه ولا يخذله؟!

فإن كانت الأمانة صادقة فالإله الأزلي الذي يقولون به قد بكى واستغاث، وسأل شربة من الماء، وقُرِن بالذُّعار، وعلِّق على الخشب وسُمِّرت يداه بالمسامير، وإن كان الإله الرب الأزلي يتعالى عن هذه النقائص ويتنزه عن أن تناله هذه الرذائل فالأمانة باطلة، وأقوال من عقدها لهم فاجرة، وآراؤهم غاشة خاصة حين تتهافت الأقوال، وتضطرب الروايات وتأتي المواقف والحوادث يناقض بعضها بعضاً مثل قولهم: ((إنه حين مات يسوع على الصليب انشقّ حجاب الهيكل، وتزلزلت الأرض كلها وتشققت الصخور، وتفتحت القبور، وقام القديسيون من قبورهم، ودخلوا المدينة حتى رآهم الناس))(١).

وهذا الكلام الذي يقولون به في رواية متّى في إنجيله الإصحاح ٢٧/ ٥١ ـ ٥٤ علّق عليه نورتن المحامي عن الإنجيل والمتخصص فيقول: هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة في اليهود بعدما صارت أورشليم خراباً، فلعلّ أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متّى وأدخلها الكتّاب في المتن، وهذا المتن وقع في يد المترجم فترجمها على حسبه. أ.هـ.

---

(١) أنظر: شرح أصول الإيمان ، تأليف د. ق. اندراوس واطسون والدكتور القس ابراهيم سعيد. دار الثقافة المسيحية ـ القاهرة ص ٤٦ ـ ٥٠، ١٤٧ ـ ٢١٠.

ويدل على كذب هذه الروايات كما يقول المحامي نورتن عدة وجوه:

الأول: أن متّى ذكر بعد ذلك ٢٧/ ٦٢،٦٦: (إن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس في اليوم الثاني من الصلب قائلين: يا سيد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث...) كما قد صرّح متّى في نفس الإصحاح أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضيين بقتله، فلو ظهرت هذه الحوادث العجيبة لما استطاع اليهود أن يتجرءوا بالذهاب إلى بيلاطس ويقولوا بأن المسيح كان مضلاً، ويطلبوا منه إقامة الحرس على قبره، لا سيما أن بيلاطس كان غير راضٍ عن قتله منذ البداية، فإذا رأى هذه الحوادث فإنه لا بد أن يكذب اليهود وينقلب عليهم وكذلك غيره من الناس.

الثاني: أن هذه الحوادث من الآيات العظيمة التي لو ظهرت لآمن كثير من الروم واليهود على ما جرت به العادة، ألم تر أنه لما نزل روح القدس على الحواريين ـ كما يزعم النصارى ـ وتكلموا بألسنة مختلفة تعجب الناس، وآمن نحو ثلاثة آلاف رجل كما جاء في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثاني، ورواية قيام القديسين من قبورهم حتى رآهم الناس وأظلمت الشمس وحال لون القمر[1] تدل على أن تلك الرواية من الكذب البين، ومن المحال والبهت الذي لا يخفى بحال، لأنه لو كان صحيحاً لأطبق الناس على نقله، ولم يبق إخفاء مثله، ولزال الشك عن تلك الجموع في أمر يسوع، فحيث داموا على المحاجة له، والتكذيب عنه، دلّ ذلك على كذب النقل. ومما يوضح ذلك أكثر وأكثر أن الأناجيل تشهد في تمام قصة الصلب: (أن جماعة من أصحاب يسوع شكوا فيه بعد ذلك فرجعوا عن رأيهم الأول)[2].وذلك يكذب قول من قال: إن العالم تشوش

(١) هذه رواية لوقا في إنجيله ٢٣/ ٤٤،٤٥، ونصها كالآتي: (فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه.....).

(٢) ورد في سياق طويل في إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ ويوحنا الإصحاح ٢٠.

لمصرع يسوع[1] فإن قيل: إنما لم يشتهر ذلك لأن أصحاب يسوع لم يحضر أحد منهم خوفاً من اليهود، واليهود الذين شاهدوا هذه الآيات تواطؤوا على كتمانها بغياً وحسداً وهذا القول لا يستقيم لا في العقل، ولا مما جرت به العادة والسنن، لأن هذه الآيات الكونية إذا وقعت عم علمها، وعلمها من حضر ومن غاب من الأعداء والأحباب، لأنها آيات نهارية كونية حسية، فما بال سائر الطوائف من الأمم الذين لم يتعصبوا للأديان، ولا انحازوا لملة وشريعة لم ينقلوا هذه الآيات، ويلهجوا بها خلفاً عن سلف، حقباً بعد حقب؟!.

وقد نقل المؤرخون في صحفهم أموراً هي أندر وأقل خطراً من هذا الأمر الذي يدعي النصارى أنه طبق العالم الأعلى والأسفل، ولما استقر لأصحاب العقل أن الأمم الخالية عن الأهواء والتعصب لم تنقل شيئاً مما حكاه النصارى، ولو حرفاً واحداً، علمنا بالضرورة أن ذلك اخترعه الكذّابون ليخدعوا به ضعفاءهم، ويتوسلوا بهذه الخوارق المدعاة إلى جلب الحطام وجذب الدنيا الدنية، والحق مستغنٍ عن أن يقوى بهذه الترهات. وأما ما رواه متى من (أن يسوع جاء إلى التلاميذ الأحد عشر بالجليل وأوصاهم أن يعمدوا الناس، وأنه يبكون معهم إلى انقضاء الدهر)[2] فهذه من أعظم المفتريات والأباطيل.

وهنا أيضاً سؤال يطرح نفسه ما معنى: أن المسيح معهم إلى انقضاء الدهر؟ هل هذا الكلام محمول على ظاهره، أم محمول على معناه دون ظاهره؟ فإن زعموا أنه محمول على الظاهر، لزم منه أن يكون التلاميذ الأحد عشر اليوم وغداً في قيد الحياة، والواقع يقول بغير ذلك، الواقع

---

(١) روايات الأناجيل في سرد الأحداث التي أعقبت الصلب عند متى ومرقص ولوقا متناقضة ومضطربة حول الروايات التي تقول بتزلزل الأرض وانشقاق حجاب الهيكل أما يوحنا فإنه لا يعلم عن كل ذلك شيئاً ولن ينقل منه خبراً واحداً وهذا من أعجب العجب انظر إصحاح ١٩من يوحنا.

(٢) متى ٢٨/١٦ ـ ٢٠.

يقول عن القوم إنهم اخترموا موتاً وقتلاً.

وإن قالوا إن معية المسيح محمولة على المعنى دون الظاهر معناه: أنه الآن مع كل أسقف ومطران وقس وراهب، وإن قيل لهم أهو معهم بذاته أم بعلمه؟ فإن زعموا أن المسيح معهم بذاته أكذبتهم شواهد العقول وشواهد الإنجيل، أما شواهد العقول: فإن العقل قاضٍ بأن الشخص الواحد (المتعين) لا يكون حالاً في عدة مواضع في حالة واحدة في زمن واحد، بل إن شغل مكاناً فرغ الآخر لا محالة، وأما شواهد الإنجيل: فإنها مصرّحة بأن المسيح كان إن حلّ بالناصرة فارق أورشليم، وإن حلّ بأورشليم فارق الناصرة، ولم يتجدد له ما يرفع هذا الحكم، وخاصة بعد الصلب الذي يقولون به، فإن قالوا: لم يرد المسيح بالمعية ذاته بل علمه كقول القرآن الكريم عن رب العالمين: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ قلنا لهم إذن عليكم أن تسلكوا التأويل في جميع ظواهر الإنجيل، لعلكم ترشدوا في بعض ما تقولون به، ولعلّ ذلك يحلّ لكم مشكلات كثيرة في عقائدكم، ولو ألهم النصارى رشدهم لأهملوا هذا الموضوع من الإنجيل، فإن اللافظ بهذا اللفظ إنما يعرض سب إلههم، والتنقص من معبودهم، وهذا موضوع وخيم، وعار عليهم نشره، إذ مضمونه أن اليهود والعبيد عدوا على إلههم، ورصدوه، وتوقعوا غفلته فقصدوه، فوضعوا أيديهم عليه ذليلاً، وأناطوا به جوامع وكبولاً ولم يجد إلى الإفلات منهم سبيلاً، فكيف يصح هذا في حق من له منزلة السيد المسيح؟ لقد هرب التلاميذ وأسلموه وتناوله أعداؤه بيد القسر، وتسلموه، وساقوه بينهم، يحمل جذعه، أسيراً ثم لطم حتى حطم وأرضع الهوان، حتى استغاث، ونزل به من العطش والكرب، ما لا يقل في الألم عن القتل والصلب، وأنه استسقاهم ماءً فسقوه خلاً، حتى صرخ على جذعه: إلهي إلهي كيف تركتني؟ فهل هذا مما يصح في حق إله معبود أو ابن إله مولود في ضوء ما يعتقد القوم وينشدون؟

قانون الإيمان وفلسفته

وفي مناخ الاستفسار والتأمل نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه لكل المشتغلين بالعقائد وفلسفة الأديان وخاصة علماء اللاهوت، ما قولكم فيمن يقول: إن الله الأزلي خالق العالم ونافخ الروح في حواء وآدم هل هو حي باقٍ أم قضى وأصبح العالم بلا رازق بلا مدبر بلا محاسب؟ فإن قالوا: إن عقيدتنا في الإله: أنه حق وأنه يغاير الخلق في ذاته وصفاته، أبطلوا دين النصارى وكفروا بالأمانة والصلوات الثمانية التي يؤدونها لأن واقع النصارى اليوم في ضوء ما تقول به الأناجيل يدينون بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية بينها إنسان من بني آدم يسمى (يسوع) وهم يقرؤون في أمانتهم التي هي أصل دينهم: (نؤمن بالإله الآب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد يسوع المسيح الإله الحق الذي بيديه أتقنت العوالم وخلق كل شيء، ونؤمن بروح القدس الواحد المحيي)[1] فهنا ثلاثة آلهة يقر النصارى في أمانتهم بعبادتها على أنها آلهة كل منها ذات غير الأخرى وجميعهم الثلاثة إله واحد وهذا يخرج النصرانية عن أن تكون ديانة توحيد، فالتوراة وسائر النبوات تقول: عن الذات الإلهية: هو واحد جلّ وعلا تنزه وتقدس عن الشريك والزوجة والولد. فمثلاً جاء في سفر الخروج من العهد القديم فقرات وكلمات توحي بالتوحيد والدعوة للإله الواحد الذي لا يتكون من ثلاثة، تقول كلمات سفر الخروج من العهد القديم: (...أنا الرب إلهك

(١) الأسفار المقدسة قبل الإسلام. صابر طعيمة عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان طبعة أولى عام ١٩٨٥م صفحة ٢٢٦.

الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً لا منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في فوق من تحت)[١] وهذا التعبير عن التوحيد في التوراة مفتقد تماماً في كتب الأناجيل، فمثلاً تطالعنا كتب الأناجيل بما يعرف عند النصارى بصلاة النوم (الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة أيها الآب لأنك لم تزل وابنك نظيرك في الابتداء وروح القدس مساويك في الكرامة ثالوث واحد)[٢]. فقد صرحوا في الأمانة وأداء الصلوات بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية وإنسان من بني آدم يسمى (يسوع) المسيح وذلك مضاد للتوحيد الذي سلموا بصحته في العهد القديم، وإن قالوا بل ذلك باطل وكفر كفروا بتوراة موسى ،وإنجيل عيسى، ومزامير داود، ونبوة أشعيا، وسائر النبوات التي جاءت في التوراة والتي جمعت في سياق كتب العهد القديم، مثل تلك العبارات التي جاءت في سفر الخروج من الإصحاح٣/٦،١٤ وفي سياق طويل تقول كلماته: (يا موسى أنا الله ربك، ورب آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب، قد ذكرت عهدي لإبراهيم، وقد عرفت ذل شعبي بمصر، اذهب إلى فرعون، وقل له: هكذا يقول لك إله إبراهيم وإسحق ويعقوب أرسل شعبي يعبدني، فقال موسى: يا رب أنا أذهب إلى بني إسرائيل فأقول الرب إلهكم أرسلني إليكم، فيقولون لي: ما اسمه؟ فقال الله تعالى: قل لهم الأزلي الذي لم يزل أرسلني إليكم)

(١) المصدر السابق صفحة ١١٠

(٢) Eadie, Philippians, 99/112; Lightfoot; Romans 110 - 115 Behm£ Kittle Vol. 3 pp. 743 - 760

مخالفة إنجيل لوقا للتوراة في عقيدة الإله

في ضوء ما تناولناه من اضطراب وتكاذب روايات الأناجيل بشأن طبيعة السيد المسيح حياته ودعوته ونهايته على الصليب الذي تباينت الرواية الإنجيلية فيها بشأن المصلوب وفي ضوء عدم وجود إجابة شافية تتعلق بتوضيح وتحديد من الذي وقع عليه الصلب، وتجشم المعاناة والآلام أهو: الناسوت أم اللاهوت أم هما معاً؟ والمتعين الذي وقع عليه الصلب أهو ذلك الذي يعرفونه يسوع المسيح أم غيره؟ حيث مشاهد الاشتباه على الآحاد من الناس الذين شاهدوا «المأساة» والتي تتمثل في أن الجميع كان يريد أن يتأكد من الذي يختفي عنهم في القبر بعد الصلب ساعات أو أيام ليختفي من جديد، فإن المرء عندما يذهب ليتعرف على هذه الذات التي تتزاحم حولها الروايات، والتي يجئ في بعضها أن الإله متجسد في ثلاثة، المسيح تجسد لهم وهو الأمر الذي لا تقبله عقول معظم البشر على أنه معتقد سماوي ووحي إلهي.

ولما كانت الأناجيل الامتداد العقدي للتوراة فقد ذهبنا إلى بعض أجزاء العهد القديم للوقوف على مدى اتفاق أو اختلاف الأناجيل، مع التوراة حول هذه القضية.

ومن هنا فقد ذهبنا لنقلب صفحات من سفر الخروج ليطالعنا ما سبق وأن أشرنا إليه بنصه على أن في التوراة بعض بصمات الوحي الإلهي المتعلق بتوحيد الرب، ورفض ولعن الاعتقاد بالتعدد والتجزؤ في ذاته تعالى وذلك يتمثل فيما جاء في سفر الخروج الإصحاح ٢٠/ ٢.٤ : (أنا الله إلهك

فلا يكن لك إله غيري فلا تعبده ولا تسجد له، ولا تشبهه بشيء مما في السماء، ولا مما في الأرض، ولا مما في البحار).

كذلك نطالع في سفر التثنية من العهد القديم وهو السفر الذي يطلق عليه سفر الشريعة في الإصحاح ٣٢ / ٣٩ (إني أنا الله وحدي، وليس معي غيري، أنا أحيي وأميت، وأنا أسقم وأبرئ، ولا ينجو أحد من يدي).

وإفراد الباري سبحانه بالوحدانية ونفي الشركاء عنه نرى صوراً منها كثيرة في مواضع عديدة من العهد القديم. وأيضاً لا يفتقد الباحث شيئاً من هذا القبيل أي توحيد الله تعالى، والإقرار بأنه واحد في كتب العهد الجديد وذلك على الرغم من سيادة وغلبة التضارب في متون كتب العهد الجديد فمثلاً جاء في إنجيل متى الإصحاح ١٦/١٩، ١٧ وإنجيل مرقص ١٠/ ١٧ ولوقا ١٨/ ١٨: (لا صالح إلا الله الواحد، كما ورد عند يوحنا في الإصحاح ٣/١٧ عبارة منسوبة للسيد المسيح تفيد أنه ذات يوم رفع بصره إلى فوق قائلاً (إلهي إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذي أرسلت المسيح). واللافت للنظر العبارة التي في إنجيل يوحنا إنك الواحد الحق الذي أرسلت المسيح، فهل يكون الرسول المرسَل هو عين المرسِل كذلك نطالع في إنجيل متى جواباً للشيطان ـ حين قال له اسجد لي وأعطيك جميع ما في العالم ـ فقال له:

(أغرب عني يا شيطان، فإنه مكتوب للرب إلهك اسجد، وله وحده اعبد) وهذا الذي نراه عن وحدانية الإله في إنجيل متى من الإصحاح الرابع نرى نظيره عند يوحنا الذي نسب للمسيح قوله في إصحاح ٢٠/١٧ قوله: (إني ذاهب إلى إلهي وإلهكم).

كذلك نطالع تكرار هذه الإقرارات الوحدانية التي وردت عند يوحنا في إنجيله إصحاح ٢٨/٦ والتي تنسب إلى المسيح قوله: (إني لم آت

لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني كذلك نرى نفس الإقرار بالوحدانية عند متى في الإصحاح ٢٦/ ٤٣ فيما نسبه إلى المسيح حين قال: (يا أبت إن أمكن صرف هذا الكأس عني فاصرفه، لكن كما تشاء أنت، لا كما أشاء أنا).

كذلك يطالعنا يوحنا في الإصحاح الأول ١/ ١٨ بذلك الإقرار التوحيدي: (الله لم يره أحد قط).

وهذه النصوص التي أتينا عليها، مما هو مبثوث في ثنايا وسياق ومواضع عديدة من الأناجيل، مما لم تمتد إليه يد الوضع، والدس، تدل على «التوحيد» والإقرار بالربوبية التي تعني أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ثم في ظل هذه الإقرارات التي لا تخلو منها الأناجيل مقرة بوحدانية الرب بعيداً عن الدس والوضع فإنه يجب إفراده وحده سبحانه بالعبادة، ولا جدال أن هذه النصوص الإنجيلية مما يؤكد أن العهد الجديد في بعض مواضعه لم يزل يدل على بقية من آثار وبصمات الوحي الإلهي والرسالة التي بلغها النبي الرسول عيسى بن مريم عليه السلام، ولذا فمن الإنصاف أن نحتكم بالحق للحق الذي قد يعثر عليه الباحث هنا أو هناك، وذلك لقهر الباطل أو لرفض الزيف الذي قد يشوه وجه الحق في كتاب الله تعالى المنزل على قلب عبد الله ورسوله عيسى بن مريم «الإنجيل». وبما أن الباحث يطالع عدداً من الأناجيل، مطبوعة ومتداولة في إطار العهد الجديد، ويحتفظ بأوراق مخطوطة يدعي ناسخوها أنها هي الأخرى أناجيل لبعض من التلاميذ، أو تلاميذ التلاميذ، ولا نطلع على إنجيل واحد نرى فيه الوحدة الموضوعية والعقدية لذات الله وصفاته، فإن سؤالاً يطرح نفسه نوجهه إلى علماء اللاهوت عن ذلك الثالوث الذي تقول فقرات من هذه الأناجيل إن بعضه صلب، ونسألهم أيّ المعطيات يأخذونها عن عقيدتهم في الإله الذي جاء بين سياق الأناجيل الأربعة بغض النظر عما هو مستبعد تاريخياً من الأناجيل التي قد تكون أضعاف ما بأيدينا وهي غير معترف بها عند

أصحاب الشأن، أهو الإله الواحد الذي لم يره أحد والذي أرسل الرسل وصاحب المشيئة وحده أم الثالوث الذي صلب بعضه؟!

والسؤال هو عن هذا الإله الواحد الأزلي جل وعلى، أهو جسم ذو لحم ودم وأعضاء وشعر وظفر، أم يتنزه ويتقدس عن ذلك؟

فإن قالوا: كما يجب عليهم أن يقولوا على ضوء عبارات التوحيد التي جاءت في سياق الأناجيل الأربعة: إن الباري يتقدس عن ذلك، إذ هو خالق الأجسام، ويكونون بذلك قد أخرجوا المسيح من وصمة الربوبية، إذ معظم الأناجيل تشهد بأنه ذو جسد ولحم وشعر وظفر، لا يفارق المخلوقين في شيء، ولا يختلف عنهم في هيئة، أو في حاجته للطعام والشراب.

وإن وصفوا الباري «سبحانه» بهذه النقائص أكذبتهم النصوص التي لا تزال تحمل بصمات التوحيد في التوراة والإنجيل، والنبوات، جاء في سفر الخروج من الإصحاح ١٥/ ١١ في سياق عام يفيد التوحيد وعدم مماثلة الخالق للخلق (لا تشبهوني بشيء مما في السموات فوق، ولا في الأرض أسفل، ولا في البحار تحت، ولا بشئ مما يدب من الحشرات والهوام) ولعل هذه الفقرات تحمل معنى يشابه ما جاء في القرآن الكريم من سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

وفي سفر الخروج شئ من هذا القبيل إذ جاء فيه في الإصحاح ١٥/ ١١: (لا إله مثل إلهنا)، وجاء في موضع آخر من سفر التثنية الإصحاح ١٠/ ١٧ (لا إله مثل إله بني إسرائيل)، ومن تحصيل الحاصل القول إن المسيح مما في الأرض، وله أمثال وأشباه وأشكال، وبزعم روايات الأناجيل أنه طلب الماء وهو على الصليب، وإذا كان الله تعالى لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد قط، فإن ذلك يقضي بنفي الجسمية له سبحانه المماثلة للأجسام، وقد كان المسيح بين الناس يأكل ويشرب وينام، ولم يؤثر الناسوت في اللاهوت ولا اللاهوت في الناسوت بأي شكل من

أشكال المغايرة التي يمكن أن تفرق بين طبيعة المسيح وطبيعة الناس.

كما نطالع في المزمور السبعين من كتب العهد القديم: (عليك توكلت يا رب فلا أخزى أبداً، أنت إلهي وحافظي وحصني الذي ألجأ إليه في كل حين، أنت صانع العجائب لا نظير لك يا قدوس إسرائيل)[1]، وتبقى علامات الاستفهام قائمة حول ما جاء في بعض المواضع من الأناجيل عن الرب الخالق الأزلي إله إبراهيم وداود وسائر العالم، هل يفتقر إلى الطعام والشراب فيجوع ويعطش وينام ويسهر ويحزن ويفرح ويمشي ويركب أم لا؟

فإن قدسوا الباري عن هذه النقائص وجب عليهم ترك القول بربوبية المسيح، إذ الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته يشهد بملابسة المسيح لهذه الأمور الحياتية، وإن جوزوا ذلك على الباري جل وعلا كفروا ببعض ما جاء في الأناجيل والمزامير، مما يتعلق بالتوحيد فقد نسبوا إلى المسيح أنه هو القائل: (الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد) هذا وقد جاء في المزمور التاسع والأربعين والخمسين من فقرات ٧، ١٥: (اسمع يا إسرائيل: أنا الله إلهك لست أوبخك على ذبائحك أمامي في كل حين، لا أقبل ثيران بيتك ولا جداء غنمك، لأن لي جميع حيوان البر وطير السماء ووحش الصحاري، وأحسن الحقول معي، لي الدنيا وما فيها، لا آكل لحوم الثيران ولا أشرب دم المعز، اذبح لله ذبيحة التسبيح، وأوفي للعلي نذورك، وادعني في يوم شدتك أنقذك) كما نسب إلى داود في المزمور ١٢١ فقرة ٤: (إن حارس بني إسرائيل لا تأخذه سنة ولا نوم) فمن زعم أن الباري مفتقر إلى هذه الأمور الحياتية فللحيوان البهيم فضل عليه عظيم بشهادة نبي الله أشعيا الذي يقول في نبوته كما ورد في سفر أشعيا إصحاح١/ ٣: (عرف الثور والحمار مَن مالكه ولم يعرف بنو إسرائيل إلههم).

وما دمنا في دائرة (التوحيد) ونحن نطالع في الأناجيل الرواية

---

(١) مزمور ٧١/ ١ ـ ٨.

المتعلقة بتوحيد الرب ونقيضها المتعلق بغير ذلك، هل كان مع الله في أزله إله ثانٍ أو ثالث يشاركه في الربوبية، ويساويه في الألوهية، أم لم يزل سبحانه واحداً بغير ثانٍ وثالث؟! فإن قالوا لم يزل واحداً فرداً وافقوا عقيدة التوحيد والفطرة القاضية بأن الرب واحد، وفارقوا الروايات التي تقول بالتثليث، كما يجب عليهم أن يفارقوا الصلاة الأولى عندهم والتي يقرؤون فيها صلاة السحر: (أيها المسيح ارحمنا واقبل تضرعنا، تعالوا نسجد للمسيح إلهنا، أيها الرب المسيح حامل خطايا العالم ارحمنا أيها المسيح، أنت وحدك القدوس المتعالي بار كل يوم إلى الأبد)[١].

وإن قالوا بل كان معه في أزله آلهة أخرى، أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات في بعض المواضع التي لم تمتد إليها يد الوضع، ففي السفر الأول من التكوين الإصحاح١: (في البدء خلق الله السماء والأرض، وكانت الأرض خالية، خاوية، غير مرئية، والظلمة غاشية وجه الغمر، وروح الله يرف على المياه، فقال الله: ليكن كذا ليكن كذا، إلى أن أكمل سبحانه خلق السماء والأرض وما فيها في ستة أيام ثم خلق آدم وخلق منه حواء زوجته).

فنحن نطالع هنا في أسفار العهد القديم تصريحات عديدة تدل على أنه الواحد، خالق السماوات والأرض، وأنه ليس معه إله غيره، وأنه سبحانه منفرد بالخلق والإبداع، كما نطالع في سفر التثنية كلام ينسبه الكاتب إلى الله فيقول: (إن دعاك قريبك أو صديقك إلى عبادة إله غير الله فاقتله ولا تحنن عليه ولا ترحمه، أنا الله وحدي وليس معي غيري) هذا ما جاء في سفر التثنية، وكما هو معروف فإن سفر الشريعة من بين أسفار

---

(١) انظر: الأب متّى المسكين. المدخل لشرح القديس يوحنا مطبعة دير القديس أنبامقار ـ وادي النطرون ـ عام ١٩٩٢م صفحة ٢٢١ ـ ٢٢٢
وأيضاً:
Hasan Zasa; L'OEuvre grammaticale d'Ibn - Djanâh, et ses rapports avec les différentes théories arabes.

العهد القديم، كما جاء عند مرقس في الإصحاح ١٢/٢٨. ٣٠: (يا معلم ما أول الوصايا؟ فقال المسيح: أول الوصايا كلها اسمع يا إسرائيل، الرب واحد، أحبب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل قوتك، ففي هذا جميع نواميس الأنبياء) كذلك وفي نفس دائرة التوحيد يطالعنا يوحنا في إنجيله أكثر من مرة بما يدل على أن الأصل في الأناجيل التوحيد لا التثليث، يقول يوحنا ناسباً إلى المسيح القول: (ورفع رأسه إلى السماء: أنت الإله الحق وحدك الذي أرسلت يسوع)[١] وكذلك جاء في العهد القديم عند أشعيا أكثر من مرة في باب النبوات: (أنا الله الأول، أنا الله الآخر، وليس معي غيري)[٢].

وفي ضوء كل هذه البراهين الدالة على أن بصمات الوحي الإلهي في ما يتعلق بعقيدة التوحيد لا تزال هي الأصل لا التثليث، وفي ضوء ذلك فمن زعم أن مع الله تعالى غيره فقد كفر بكتب الله، وأهدر الفطرة، وفقد صلته بكل هدي السماء، وصار لا يصلح يهودياً، ولا نصرانيا، ولا مسلماً.

والسؤال الذي يجب أن يجيب عنه علماء اللاهوت ويوضحونه ويميزوا بين عقيدة التوحيد في مواضعها من الأناجيل وبين عقيدة التثليث التي تكاد تكون هي العقيدة السائدة في الأناجيل يتعلق بذات الرب جلّ وعلا وهو: هل يجوز أن يقهر الإله ويغلب ويقتل ويصلب أم لا؟ فإن نزّهوا الباري عن ذلك أبطلوا صلاة الساعة السادسة التي يقرؤون فيها: (يا من سمرت يداه على الصليب خرق العُهدة المكتوب فيها خطايانا، خلّصنا، يا من سُمّر على الصليب وبقي حتى لصق دمه عليه، قد أحببنا الموت لموتك، نسألك يا الله بالمسامير التي سمّرت بها نجنا)[٣].

---

(١) دكتور قس فهيم عزيز «الفكر اللاهوتي من كتابات بولس الرسول» صفحة ١٣٥.

(٢) Bull. Def. Fid. Nic., II.9.11; cited by The Pulpit Commentary, vol. 21, p. 5.

(٣) مستشار محمد عزت الطهطاوي «النصرانية في الميزان» دار القلم :دمشق الدار الشامية بيروت صفحة ١٩٥.

وإنا نسأل عن ما تضمنته الأناجيل من أقوال المسيح وأقوال تلاميذه فيه، أحقٌّ هي أم باطل؟.

فإن زعموا أنها باطلة، كفروا بالمسيح، وساووا في ذلك اليهود والمجوس وغيرهم، وإن قالوا: إنها حقٌّ وصدق، اعترفوا بعبودية المسيح ونبوته ورسالته، أسوةً بغيره من الأنبياء والمرسلين.

ولا خلاف بين النصارى أن المسيح تطهر وتعمد وصام وصلى وتعبد وأخلف إلى العلماء في طلب العلم، وكما جاء عند يوحنا في الإصحاح ٤/ ٢٢.١٩: (وفاوضته امرأة من السامرة فقالت له: إن آباءنا سجدوا في هذا الجبل فكيف تقولون أنتم إنه أورشليم؟ فقال: يا هذه أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم). أي أنه في ضوء هذا النص الذي أورده يوحنا أخبر المسيح المرأة أن له رباً يسجد له وإلهاً يعبده، وذلك مصدق لقوله تعالى حكاية عن السيد المسيح في القرآن الكريم كما جاء في سورة مريم الآية ٣٠: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ويقوم شاهداً على ذلك ما جاء في إنجيل متّى الإصحاح ٢١/ ١٠،١١: (إن المسيح حين دخل أورشليم وارتجت المدينة لدخوله، قال الناس: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل) وأما لوقا ففي بعض مواضعه يذهب هو الآخر إلى تأكيد نبوة المسيح جاء عنده في الإصحاح ٢٤/ ١٣،١٩: (صحب يسوع بعد قيامه رجلين، وهما يتحدثان في أمره، فقال لهما: من تذكران؟ فقالا: يسوع الناصري كان رجلاً نبياً قوياً بالأعمال) ولم يذكر لوقا أن المسيح أنكر عليهما شيئاً بل أقرهما.

وفي نفس السياق يأتي يوحنّا ويقول في إنجيله الإصحاح٧/ ٤٠: (كان الناس إذا سمعوا كلام المسيح ورأوا وجهه قالوا: هذا النبي حقاً).

وفي ضوء كل هذه الشواهد فكيف يكون المسيح رباً وإلهاً ويوحنا المعمداني يعمّده بالماء ويقول حين رآه: هذا الذي قلت لكم إنه يأتي بعدي وهو أقوى مني؟

وكيف يكون المسيح إلهاً لداود وغيره من الأنبياء، وداود يقول في المزمور ١١٠/ ٤،٥: (إن المسيح يكون كاهناً مؤيداً من الله يشبه «ملكي صادق» خادم البيت المقدس) وهذه الأقوال وغيرها كثير دليل على فساد الاعتقاد بأن المسيح إله.

الفصل الثامن

- إنجيل يوحنا والتعريف به
- يوحنا وعلاقته بالسيد المسيح
- قتل يوحنا وأسبابه
- تقدير عيسى للمعمدان

إنجيل يوحنا والتعريف به

لقد كان من المعتقد لفترة طويلة أن يوحنا كان على بينة من وجود الأناجيل الثلاثة المتشابهة، وأنه قد كتب ليكملهم، أو ليصححهم في حالة أو حالتين. فقد جرى القول بأن حادثة تطهير الهيكل ـ على سبيل المثال ـ قد وضعها يوحنا المعمدان في بداية دعوة يسوع، لأنه حسبما تذكرها يوحنا الذي تقدمت به السنون كان ذلك موضعها.

كذلك فإنه صحح تاريخ الصلب[1]، حيث وضعه عشية الفصح في اليوم الذي تذبح فيه خراف الفصح. ومن ناحية أخرى فإن لقب: ابن الانسان (الذي كان يطلقه المسيح على نفسه، ويفضله كثيراً على الألقاب الأخرى) والذي لم يستخدمه بولس قط، قد أبقى عليه يوحنا.

لقد كان يوحنا مسيحيا وبجانب ذلك فإنه هللينيا، ومن المحتمل ألا يكون يهوديا، ولكنه شرقي أو أغريقي.

ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب في أنطاكية أو أفسس أو الإسكندرية أو حتى روما، فإن كلا من هذه المدن كانت مركزاً عالميا للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد، كما كانت على اتصال ببعضها»[2].

ويقول: «جون مارش» في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا تحت عنوان: «استحالة التوكيد»:

---

(١) جورج كبرد: ص ٣٢ ـ ٣٣

(٢) فريدريك جرانت: ص١٥٦، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٨.

«حين نأتي لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التي تتعلق بالإنجيل الرابع وإنجيله، نجد من المناسب والمفيد أن نعترف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة للتعريف (بالإنجيل وكتابه) لا يمكن إيجاد حل لها»(١).

من كان يوحنا هذا الذي قيل أنه المؤلف؟ أين يعيش؟ لمن من الجمهور كان يكتب إنجيله؟ أي المصادر كان يعتمد عليها؟ متى كتب مصنفه؟.

حول كل هذه الأسئلة وحول كثير غيرها، توجد أحكام متباينة، أحياناً تقرر تأكيدات قوية، ومع ذلك فإن أياً منها لا يرقى إلى مرتبة اليقين.

(ثم يختتم جون مارش مقدمته بقوله):

وبعد أن نفرغ كل ما في جعبتنا نجد أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيق أي شيء من الإحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا.

ويعتقد كاتب هذه السطور (جون مارش)، أنه ليس من المستحيل الإعتقاد أنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا وزعم أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة، فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع اختص بها طائفته التي كانت تعتبر نفسها عالمية، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان»(٢).

مشاكل إنجيل يوحنا:

تقول دائرة المعارف الأمريكية: «يوجد ذلك التضارب الصارخ بينه

(١) جون مارش: ص ٢٠، ٨٠.

(٢) انظر كتاب: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم المبنى على آراء أفاضل اللاهوتيين.

وبين الأناجيل المتشابهة، فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقص للتسلسل التاريخي للأحداث فتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيس لرسالة يسوع، بينما يقرر إنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية كانت المركز الرئيس.

وهناك مشكلة الإصحاح الأخير (رقم ٢١) من الإنجيل: إن القارئ العادي يستطيع أن يرى أن الإنجيل ينتهي بإنسجام تام بانتهاء الإصحاح العشرين الذي يقول: وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله.. إن هذا الإعلان يبين بوضوح الغرض الذي كتب من أجله هذا الكتاب.

بعد ذلك يأتي الإصحاح الأخير (رقم ٢١) الذي يخبرنا أن يسوع ظهر كرب أقيم من الأموات لخمسة تلاميذ.. وأنه قال لبطرس: ارع خرافي.. وكذلك تعليق مبهم يقول: هذا هو التلميذ الذي جاء عن طريق الجماعة التي تشير إلى نفسها بكلمة: نحن (نعلم).. وفي حقيقة الأمر فإن هؤلاء يصعب تحديدهم»[١].

ولقد ظهر شيء من التأليف بين إنجيلي لوقا ويوحنا، مما ساعد على ظهور نظرية تقول بأن يوحنا استخدم إنجيل لوقا كأحد مصادره. إلا أن هذه النظرية تجد معارضة بسبب الإختلاف الواضح بين الإنجيلين في المواضع المشتركة بينهما:

«فكلا الإنجيلين يتحدث عن بطرس وصيد السمك بمعجزة، لكن أحدهما (لوقا) يضع القصة مبكراً في رسالة يسوع في الجليل، أما الآخر (يوحنا) فيضعها بعد قيامه من الأموات» (لوقا ٥: ١ ـ ١١، يوحنا ٢١: ١ ـ ١٤).

وكلاهما يتحدث بلغة مشتركة عن كيفية مسح يسوع (بالطيب) من إمرأة لكنها في أحدهما (لوقا) كانت زانية في بيت فريسي، بينما هي في

(١) دائرة المعارف الأمريكية: ج ـ ١٦ ـ ص١٥٩.

الآخر (يوحنا) كانت امرأة صديقة ليسوع، وأن ذلك حدث في بيتها. (لوقا ٧: ٣٦ ـ ٣٨، يوحنا ١٢: ١ ـ ٨)[١].

أما بعد ..

فإن النتيجة التي لا مفر من التسليم بها كما بينتها هذه الخلاصة لأبحاث علماء النصرانية تقول بحق:

إن الأناجيل القانونية ما هي إلا كتب مؤلفة ـ بكل معنى الكلمة ـ وهي تبعا لذلك معرضة للصواب والخطأ. ولا يمكن الإدعاء ولو للحظة واحدة أنها كتبت بإلهام.

ولقد كتبها أناس مجهولون. في أماكن غير معلومة، وفي تواريخ غير مؤكدة والشيء المؤكد ـ الذي يلحظه القارئ البسيط كما يلحظه القارئ المدقق ـ أن هذه الأناجيل مختلفة غير متآلفة. بل إنها متناقضة مع نفسها ومع حقائق العالم الخارجي (حيث فصلت التنبؤات بنهاية العالم) كما رأينا.

إن هذا القول قد يضايق النصراني العادي، بل إنه قد يصدمه ولكن بالنسبة للعالم النصراني المدقق فقد أصبح القول بوجود أخطاء في أسفار الكتاب المقدس حقيقة مسلماً بها.

إن الكنيسة الكاثوليكية كانت تتمسك بشدة بعقيدة الإلهام، كما يقول موريس بوكاي التي تأكد القول بها في مجمع الفاتيكان الذي عقد عام ١٨٧٠م، والذي تقرر فيه «أن الكتب القانونية لكل من العهدين القديم والجديد قد كتبت بإلهام من الروح القدس وأعطيت هكذا للكنيسة».

لكنها عادت الآن ـ بعد نحو قرن من الزمان ـ لتواجه الحقائق وتعترف بها، فلقد بحث المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان (٦٢ ـ ١٩٦٥م) المشكلة التي تتعلق بوجود أخطاء في بعض نصوص أسفار العهد

(١) جورج كبرد: ص٢٠.

القديم، وقدمت له خمس صيغ مقترحة استغرق بحثها ثلاث سنوات من الجدل والمناقشة. وأخيراً تم قبول صيغة حظيت بالأغلبية الساحقة، إذ صوت جانبها ٢٣٤٤ ضد ٦، وقد أدرجت في الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل فقرة تختص بالعهد القديم (الفصل الرابع ص ٥٣) تقول:

«بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان».

غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان: وهذا الذي ننقله، هو ما قرره وبعلمية الطبيب الفرنسي الكاثوليكي[١] موريس بوكاي من كتابه:

La Bible, Le Coran La Science

وقد اهتمت إدارة المعارف المصرية بالقاهرة وقامت في عام صدوره بترجمته إلى اللغة العربية تحت عنوان: «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة». وهذه الفقرة التي أتينا عليها عن الطبعة الأولى[٢].

إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كم عدد المؤمنين بقداسة هذه الأسفار واعتبارها تعليماً إلهياً موحى به من الله، يعلم هذا الذي قررته الكنيسة بشأنها وما تحتويه من شوائب وبطلان؟ وما لنا نذهب بعيداً ولدينا الكتاب المقدس ـ طبعة الكاثوليك ١٩٦٠م ـ وهو يقدم لأسفار موسى الخمسة (التوراة) بقوله: «كثير من علامات التقدم تظهر في روايات هذا الكتاب وشرائعه مما حمل المفسرين كاثوليك وغيرهم على التنقيب عن أصل هذه الأسفار الأدبي، فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البيانات (الأسفار الخمسة) منذ قصة الخلق إلى قصة موته، كما أنه لا يكفي أن يقال إن موسى أشرف على وضع

---

(١) يوم أن كان كاثولوكياً ولكنه أسلم.

(٢) ص ٥٩ ـ ٦٠.

النص الملهم الذي دونه عديدون في غضون أربعين سنة.

كذلك يقول الكتاب المقدس في تقديمه لسفر راعوث: «من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان في البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماما، ثم أضاف إليها عدداً من التفاصيل ليجعل الرواية أكثر حياة ويعطيها روحاً أدبيه»[(١)]

وها هي كتب التبشير التي توزع هنا بين المسلمين تعترف بتسرب أخطاء خطيرة إلى أسفار العهد الجديد، لقد جاء كتاب: «هل الكتاب المقدس حقاً من الله؟» في نص ١٦٠، ما يلي:

«بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها، مثالاً على ذلك الإدخال الزائف في رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الخامس، من الجزء الأخير من العدد ٧، والجزء الأول من العدد ٨، يقول حسب الترجمة البروتستنتية العربية، طبع الأمريكان في بيروت والترجمة اليسوعية العربية نقولات شيئاً مماثلاً: في السماء.. الآب والإبن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة (الروح، والماء، والدم، وهؤلاء الثلاثة في واحد).

ولكن طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد لم تشتمل أية مخطوطات يونانية على هذه الكلمات، وترجمة «ويصا» العربية تحذف هذه الكلمات كلياً من المتن، والترجمة البروتستنتية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين موضحة في المقدمة أنه ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها.

أعتقد أن أبسط تعليق هو التذكرة فقط بأن هذا النص الخطير الذي أدخل ابتداء من القرن الثالث عشر، والذي يقتبس منه فكرة التثليث، لم

(١) انظر كتابنا: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وعند الحديث عن سفر راعوث والتعريف به. دار الجيل بيروت لبنان صادر عام ١٩٧٩م.

يكن له وجود طوال القرون السابقة، وهذا شيء لا يمكن اعتباره تحريفا بسيطاً، بل أنه تحريف خطير، لأنه يمس أساس العقيدة، هكذا نجد أن نصوصاً وأفكاراً تتسرب إلى الكتابات التي اعتبرت مقدسة عبر القرن. فكل ما يتعلق بالتثليث أو الثالوث، ما من شك في أنه دخيل على مسيحية المسيح الحقة التي لا تزال بقاياها في الأناجيل الموجودة حاليا.

ويكفي أنه عندما يأتي العلماء لتفسير صلاة المسيح الأخيرة في إنجيل (يوحنا ١٧ :٣) التي يقول فيها: «وهذه هي الحياة الأدبية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

فإنهم يقولون: إن هذا توحيد لا شك فيه.

وطبعاً هذا الكلام معناه باللغة العربية المتداولة: لا إله إلا الله، والمسيح رسول الله.

ومن هذه النقاط يمكن ان تقترب النصرانية من الإسلام، ولو أن مثل هذه النتيجة ليس الهدف من هذه الدراسة.

وفي فقرات أخرى وفي لقاءات أخرى مع الإسرائيلين كان قوله: «اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد» (إنجيل مرقص ١٢: ٢٩).

وهذه الفقرة تشير إلى ما في أسفار العهد القديم. (سفر التثنية ٦: ٤) وعندما تقدم إليه اسرائيلي ليسأله: «أيها المعلم الصالح، ماذا أفعل لأرث الحياة البدية؟» (إنجيل لوقا ١٨ :١٨).

ومع هذه المقدمة التي نحاول من خلالها التعرف على هذا الإنجيل، إنجيل يوحنا سنداً ومتناً، إلا أن البحوث والدراسات الموسعة لا زالت تطالعنا بالمزيد من الشكوك، وعلامات الاستفهام، وحين نطالع مثلاً: جون مارش وهو كاتب موسوعي في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا، انه يقول بإصرار علمي وموضوعية عالية عن هذا الإنجيل تحت عنوان: (استحالة التوكيد)

«حين نأتي لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التي تتعلق بالإنجيلي الرابع يوحنا وإنجيله»، نجد أنه من المناسب والمفيد أن نعترف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة حول التعريف «بالإنجيل وكاتبه» يمكن إيجاد حل مؤكد لها، ويتواصل جون مارش فيسأل:

- من كان هذا الـ «يوحنا» الذي قيل: إنه المؤلِّف؟

- أين عاش؟

- لِمَنْ من الجمهور كتب إنجيله؟

- أيّ المصادر كان يعتمد عليها؟

- متى كتب مصنّفه؟

حول كل هذه الأسئلة، وحول كثير غيرها، توجد أحكام متباينة.. «ويختم» جون مارش مقدمته بقوله:

«... وبعد أن نُفرغ كل ما في جعبتنا، نجد أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، تحقيق أي شئ أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا!!».

ويرى هذا الباحث اللاهوتي نفسه: «أنه من المستحيل الاعتقاد بأنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي، قام شخص يدعى «يوحنا» من الممكن أن يكون يوحنا مرقص «خلافاً لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي الصياد، أحد التلاميذ الإثني عشر الحواريين».. قد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة (متّى ومرقص ولوقا)، فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع، اختص بها طائفته الخاصة، التي كانت تعتبر نفسها عالمية، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان»[١].

(١) John Marash, SAINT JOHN, pp 20,80 Penguin Books 1976.

ويرى «جرانت»: «أن يوحنا كان مسيحياً، وبجانب ذلك كان هلّينيّاً، ومن المحتمل أن يكون يهودياً، ولكنه شرقي أو إغريقي.. ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب في أنطاكية أو أفْسُسْ أو الإسكندرية أو حتى روما، فإن كلا من هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد، كما كانت على اتصال ببعضها»[١].

ويرى الدكتور جرانت أن إنجيل يوحنا يعتبر تقديماً درامياً لحياة يسوع ورسالته وموته وتمجيده، وأنه كتب بغرض التعليم والعبادة في الكنائس، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة، وهو يختص بموضوعات كانت محل جدل في العالم المسيحي الأممي (غير اليهودي) في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني، عندما انتشرت نظرية (غنوصية) حاولت أن تزيد من تبجيل المسيح، فجعلته شبحاً بلا وجود، أو مخلوقاً إلهياً تجسد مؤقتاً، ولم يعان عذاباً ولم يذق الموت

ويرى: أن من المعتقد أن يوحنا كان على علم بوجود الأناجيل الثلاثة المتشابهة وأنه قد كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها!![٢].

ومن خلال منهج: جرانت نجد الدكتور موريس بوكاى[٣] يسأل نفس السؤال: من هو المؤلف؟

يجيب قائلاً: المسألة موضوع نقاش طويل، وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف في هذا الشأن.

---

(١) انظر: (الأناجيل، أصلها وتطورها) للدكتور فريدريك كالفتن جرانت أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك ط لندن ١٩٥٧م ص١٧٤، ١٧٨.

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، الذي ترجمته ونشرته دار المعارف بمصر ١٩٧٨م، وطبع بعد ذلك عشرات الطبعات في العالم العربي.

(٣) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، الذي ترجمته ونشرته دار المعارف بمصر ١٩٧٨م، وطبع بعد ذلك عشرات الطبعات في العالم العربي.

وينقل عن (أ. كولمان) قوله:

إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حالياً (لإنجيل يوحنا) ينتمي إلى أكثر من مؤلف واحد، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم، قد نشر بواسطة تلاميذ المؤلف، وأنهم قد أضافوا إليه[١].

ويذكر موريس بوكاي: أن القيمة التاريخية لروايات يوحنا، موضع نزاع كثير، فالأمور التي تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة

ويعلل أ. كولمان هذه الاختلافات الصارخة: أن ليوحنا مرامي لاهوتية تختلف عن مرامي المبشِّرين الآخرين

وأمام هذه الاختلافات ـ بين الأناجيل ـ والتي يصفها بوكاى بأنها على جانب كبير من الأهمية، يسأل:

«إذن فمن يجب أن نصدق؟ أنصدق متَّى أم مرقص أم لوقا أم يوحنا»[٢].

أما دائرة المعارف البريطانية فقد كانت أكثر صراحة ووضوحاً ممن سبق، إذ جاء فيها:

«أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك، كتابٌ مُزوَّر، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين ببعضهما لبعض، وهما القديسان: يوحنا بن زبدي الصياد ومتَّى».

وقد ادّعى هذا الكاتبُ المزوِّرُ في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو: يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا «الحواري» يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل

(١) المصدر السابق، ص ٩٠ ـ ٩١.
(٢) انظر: المصدر السابق ص ٩٢ ـ ٩٣.

بعض كتب التوارة، التي لا رابطه بينها وبين من نسبت إليه.

وإنا لنشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي ـ الذي ألّف هذا الكتاب ـ في الجيل الثاني ـ بالحواري يوحنا الصياد الجليل، وإنّ أعمالهم تضيع عليهم سُدىً لخطبهم على غير هدى»[١].

وفي الواقع أن لهذا الإنجيل شأناً وخطراً أكثر من غيره، لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح، فهذه الألوهية يعتبر هو نص زعمها وادعائها وركن الاستدلال فيها، ولذلك كان لابد من العناية به، فالتثليث هو شعار النصرانية، وأساس التباين بينها وبين ديانة التوحيد ومن هنا تبدو أهمية هذا الانجيل.

ولقد اختلف الباحثون من النصارى حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً، فالدكتور (بوست) (وهو من المؤمنين المتعصبين بأن هذا الإنجيل قد كتبه يوحنا الحواري) في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل: ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨، أو ٦٩، أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد.

ويصرح كل من جرجس زوين، ويوسف الخوري، وصاحب كتاب «مرشد الطالبين»، يقول الأول:

«إن شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلّمون المسيحية بأن المسيح ليس إلاّ إنساناً، وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح».

---

(١) ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960 (JOHN).

ويرى الثالث أن: «المقصد بكتابتهُ هو إفناء لبعض هرطقات مفسدة، أشهرها معلمون كذبة، في شأن ناسوت المسيح وموته وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم، وفاديهم ومخلصهم..»

أمّا اللاهوتي الدكتور Grant فإنه يذكر في كتابه المشار إليه[١]: بأن «أخطر الأنواع الفلسفية الغنوصية ـ لا شك ـ هي التي أثرت بعمق في التعاليم المسيحية، في المنطقة التي جاء منها الإنجيل الرابع..

فنجد أن الرسول الإلهي، أو الشاهد الذي يأتي بالمعرفة الخالصة هو المسيح.. وبالرغم من أنه دخل العالم فإنه لم يتدنس بمواد الطبيعة، ولقد كان النور الطبيعي والظلام لم يطمسه. إن هذا يعني أنه لم يكن ذا جسد مادي، فقد كان شبحاً يشبه الإنسان المادي.. إن جسده غير حقيقي».

فالغنوصية بأنواعها المختلفة، وأصولها التي جلبتها من الأساطير البدائية، ثم غلفتها بالأفكار الميتافيزيقية ـ قد أثرت أبلغ الأثر في المسيحية الأولى، فقد اعتنقها الكثيرون من المسيحين الأوائل، وخاصة رجال الكنيسة، ثم ما لبث صراع الأفكار أن اشتد بين هؤلاء وهؤلاء، وتمخض عن ذلك إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الرابع وأحدث الأناجيل، الذي استحدث في الكتب المسيحية الأولى تعبيراتٍ فلسفية جديدة مثل:

«في البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله، وكان الكلمة الله.. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان..

كان في العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم..

والكلمة صار جسداً وحل بيننا.. الأب الحالّ في هو يعمل..»[٢].

---

(١) The Gospells, Their origin and their Growth, London 1957, p.22, 160, 162

(٢) انظر: افتتاحية الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا... ص ١٤٥. من طبعة البروتستانت بمصر ١٩٧٠م.

في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فى، وأنا فيكم.. إلخ»

ولئن كان من أغراض الإنجيل الفلسفي الذي أثار بشكل حاد مشكل لاهوت المسيح، والذي أدخل فكرة الحلول ـ حلول الخالق في المخلوق ـ واستقى ذلك من الفلسفات والأساطير القديمة، وجعل الله في المسيح، وجعل المسيح في الله، والمسيح في التلاميذ، والتلاميذ في المسيح وجعل الجميع واحداً، والواحد شاملاً للجميع!!

لئن كان من أغراض هذا الإنجيل محاربة الفلسفة الغنوصية التي تأثر بها (بولس) وتقرير لاهوت المسيح، فإنه ما لبث أن سقط في الغنوصية، ولم يستطع الفكاك منها، بل أصبح من أقوى صور التعبير عنها، وفي تقرير ذلك والذهاب إليه، يقول: تشارلز بوثر:

«إن الجزء الأول ـ وبعض أجزاء أخرى ـ من إنجيل يوحنا مثل: في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله.. ـ إن هذا القول غنوصية محض.. إن تعاليم يسوع وعقيدته وإيمانه الشخصي، بقدر ما نستطيع استخراجها من الكلمات التي وضعها كتبة الأناجيل ـ لم تكن أبداً عقيدة التثليث التي استحدثت في الغنوصية التي أنشأها بولس ومن جاء بعده.

ومن المشكوك فيه أن يكون بولس قد اطلع على المجموعة الأولى لمكونات الإنجيل الأصلي الذي تكلم عن تعاليم يسوع وأمثاله ومعجزاته في شفاء المرضى، وهي الوثائق التي تفترض أن جزءاً منها ـ على الأقل ـ كان مصدراً للأناجيل الأربعة القانونية»[1].

---

(١) انظر: Potter: The lost years of Jesusreveale New York, 1963, pp 24, 132

يوحنا المعمدان وعلاقته بالسيد المسيح

ورد في أسفار العهد القديم كما هو في سفر «التثنية» الاصحاح ١٨/ ١٥ أن النبي موسى ﷺ قال لبني إسرائيل عن نبي يأتي من بعده، له يسمعون ويطيعون: «يقيم لك الرب الهك نبيا، من وسطك من اخوتك. مثلي. له تسمعون... الخ» وهذا النبي لم يكن قد ظهر قبل عيسى ويحيى ـ عليهما السلام ـ ففي إنجيل يوحنا: أن علماء من بني إسرائيل في مدينة «أورشليم» سألوه قائلين: «النبي أنت؟ فأجاب» «لا» (يو ٢١ : ١).

وفي إنجيل برنابا أن علماء بني إسرائيل لم يسألوا هذا السؤال ليحيى ـ الذي هو يوحنا المعمدان ـ وإنما سألوه لعيسى بن مريم ﷺ. يقول برنابا: «فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه. لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة، يسألون[1] قائلين: من أنت؟ فاعترف يسوع وقال: الحق أني لست مسيا. فقالوا: ألأنت ايلياء أو أرمياء أو أحد الأنبياء القدماء؟ أجاب يسوع: كلا. حينئذ قالوا: من أنت؟ قل لنشهد الذين أرسلونا. فقال حينئذ يسوع: أنا صوت صارخ في اليهودية كلها، يصرخ أعدوا طريق رسول الرب. كما هو مكتوب في أشعياء[2]. قالوا: إذا لم تكن المسيح ولا ايلياء أو نبيا ما، فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا؟ أجاب يسوع[3]: إن الآيات التي يفعلها الله على

---

(١) مرقص ١٣ : ١٢ ولوقا ٥٤ : ١١.

(٢) يوحنا ١٩ : ١ ـ ٢٧، اشعياء ٤٠ : ٣ ـ ٥.

(٣) يوحنا ٣٦ : ٥.

يدي، تظهر أني أتكلم بما يريد الله. ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه، لأني لست أهلا أن أحل رباطات جرموق، أو سيور حذاء رسول الله، الذي تسمونه مسيا» (بر ٤٢: ٤ ـ ١٩).

ومن هذين النصين يتبين أن النبي الأمي، الذي تحدث موسى عنه بأنه سيأتي من بعده، لم يكن قد ظهر قبل يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وليس هو يحي، وليس هو عيسى.، ثم أن دانيال النبي قال لبني إسرائيل: إنه ستنشأ ممالك أربعة على الأرض: بابل وفارس واليونان والرومان. وفي نهاية حكم الرومان يقوم ملك سماوي على الأرض، ويظل إلى أبد الآبدين. يقول دانيال: «هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة ملوك يقومون عل الأرض. أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد، وإلى أبد الآبدين» (دا ٧: ١٧ ـ ١٨) وهذا الملكوت الأرضي، هو ملكوت بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ لأن الله وعد إبراهيم بالبركة في نسله، في قوله له: «وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جداً. اثنى عشر رئيسا يلد، واجعله أمة كبيرة» (تك ٢٠:١٧).

ولما ظهر يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ ناديا في بني إسرائيل معا، باقتراب ملكوت السموات، الذي تنبأ عن تأسيسه دانيال في الأرض، بعد زوال دولة الروم، التي احتلت فلسطين قبل الميلاد بثلاث وستين سنة. وفي بعض تفاسير النصارى مائة سنة.

ففي إنجيل متى: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان، يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات. فان هذا هو الذي قيل عنه باشعياء النبي القائل: صوت صارخ في البرية: أعدوا الطريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة» (متى ٣: ١ ـ ٣).

يريد متى أن يقول: إن يوحنا المعمدان قد تنبأت التوراة بمجيئه ليمهد الطريق أمام رسول الرب، الذي هو المسيح المنتظر، وتنبؤ التوراة بمجيئه مكتوب في سفر أشعياء. ونصه: «صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق

الرب. قوموا في القفر سبيلا لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيما، والعراقيب سهلا، فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر، لأن فم الرب تكلم» (أش ٤٠ : ٣ ـ ٥).

وقال برنابا: إن الذي تنبأت التوارة بمجيئه ليمهد الطريق أمام رسول الرب هو المسيح عيسى بن مريمعليه السلام، وليس هو يحيى كما قال متى. وليس من مانع أن يكون التمهيد لمجئ رسول الرب على يد يحيى وعيسى معا. ليس من مانع أن يكون الاثنان معا ممهدين لرسول الرب الذي هو المسيا. لأن دعوة يحيى إلى مجيء المسيا، هي نفسها دعوة عيسى إلى مجيء المسيا. ولا فرق. فقد دعا يحيى ـ كما قال متى ـ إلى اقتراب ملكوت السموات ـ الذي هو ملكوت المسيا باتفاق من المسلمين وأهل الكتاب ـ وقد دعا عيسى إلى اقتراب ملكوت السموات كما دعا يحيى معه. ففي إنجيل متى: «من ذاك الزمان ابتدأ يسوع يكرز، ويقول توبوا فإنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ١٧ : ٤).

وفي إنجيل مرقص: «وبعدما أسلم يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل، يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١ : ١٤ ـ ١٥) وفي إنجيل لوقا: «وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية، يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر» (لو ١ : ٨).

إن يحيى قد نفى أنه هو، المسيا، الذي تفسيره المسيح. فقد قال لوقا: «وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتي من هو أقوى مني، الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده، وسينقى بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (لو ٣: ١٥ ـ ١٧).

وعيسى أيضاً نفى أنه هو المسيا، الذي تفسيره المسيح ـ والمسيا هو

نفسه النبي الذي أخبر عن مجيئه موسى في سفر التثنية ـ فقد قال لوقا: «وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه. فسألهم قائلا: ما تقول الجموع أني أنا؟ فأجابوا وقالوا: يوحنا المعمدان. وآخرون: أن نبياً من القدماء قام. فقال لهم: وأنتم من تقولون: إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال: مسيح الله. فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد» (لو ٩: ١٨ ـ ١٢).

وبعد رفع عيسى إلى السماء، زعم «بولس» أن يوحنا المعمدان كان يبشر بعيسى عليه السلام (أ ع ٤:١٩) ـ وأن عيسى هو المسيا الذي تفسيره المسيح (أ ع ٢٢:٩) وقد أراد بهذا الزعم أن يختم النبوءات في بني إسرائيل والعالم بعيسى عليه السلام ويصد الناس عن الدخول في دين محمد اذا جاء.

وبهذه المقدمة فإنه لابد من تناول شيء من سيرة يوحنا المعمدان والذي هو «النبي يحيى» عليه السلام، وفي ضوء ما جاءت به الكتب وعلق عليه الشراح فإن يوحنا المعمدان هو النبي يحيى بن زكريا عليه السلام ومعنى «يوحنا في العبراني: أي عطية الله»[1] ويقول الدكتورماير: أن «المعنى الأصح: الرب تحنن»[2] ويقول متى هنري: إن معنى الاسم: «بالعبرانية: يوحنان. وهو اسم ورد كثيراً في العهد القديم ومعناه: رؤوف أو رحيم أو حنان»[3] وهو اسم لم يكن شائعا لدى اليهود في عشيرته، ولم يسم به أحد قبله. فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧] وفي الإنجيل «وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي، وسموه باسم أبيه زكريا. فأجابت أمه وقالت: لا. بل يسمى يوحنا. فقالوا لها: ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم» (لوقا ١:٥٩ ـ ٦١) وقد يكون لفظ القرآن على العموم في عشيرته وغير عشيرته، فإن أهل الكتاب قد نسوا حظا مما ذكروا به. ومعنى زكريا:

---

(١) ص٣١ ج ـ ١ الكنز الجليل في تفسير الأناجيل.

(٢) ص ٣٠ يوحنا المعمدان.

(٣) ص ٢٤ ج ـ ١ تفسير لوقا.

«من يتذكره الله. ومعنى» اليصابات «ـ اسم أمه ـ: قسم الله، أو الله حلفها»[١] وأسرة يوحنا من نسل الكهنة تمتد إلى أبناء هارون عليه السلام. وينتهي نسبه إلى عمران بن قهات بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، يقول عنه لوقا: «كان في أيام هيرودس، ملك اليهودية كان اسمه زكريا من فرقة أبيا، وامرأته من بنات هارون، واسمها اليصابات، وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه، بلا لوم. ولم يكن لهما ولد، إذ كانت اليصابات عاقرا، وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما» (١: ٥ ـ ٧).

ولم يذكر القرآن الكريم نسبته إلى أبناء هارون، بل ذكر الصفات التي تهدي إلى هذه النسبة، وهي طلبه من الله «وليا» وفي سبب طلبه يقول: «يرثني ويرث من آل يعقوب» يقصد وراثة العلم والحفاظ على التوراة من تحريف اليهود لمعانيها. ولما استجاب الله دعاءه «خرج على قومه من المحراب، فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا» (مريم١١) المحراب من اختصاص الكهنة أبناء هارون، وليس لأحد غيرهم من أولاد يعقوب عليه السلام، الذين هم الاثنا عشر سبطا وموطن هذه الأسرة كان في منطقة اليهودية نجد أورشليم وبيت لحم وحبرون. وعلى بعد أميال قليلة من حبرون نجد أرض «يوطاه» وفيها كان يعيش زكريا عليه السلام، وفيها ولد يوحنا المعمدان[٢]. يقول الدكتور فردريك فارار: «يوحنا في صغره عاش في منزل أبيه الكاهن، الذي بلا لوم في أرض يوطاه في الجزء الجنوبي لقسم يهوذا، غير بعيد من حبرون». وأما زمن ميلاد يوحنا فإن لوقا يحدده في إنجيله فيقول: «وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر، إذ كان بيلاطس البنطي واليا على اليهودية، وهيردوس رئيس ربع على الجليل، وفيلبس أخوه رئيس ربع على أيطورية وكورة تراخونيتس، وليسانيوس رئيس ربع على البلية، في

(١) ص ٣٠ يوحنا المعمدان.

(٢) ولأن يوحنا المعمدان من أقرباء عيسى عليه السلام لأن اليصابات قريبة لمريم كما يقول لوقا، يكون عيسى مولوداً في نفس الموطن الذي فيه ولد يحيى عليه السلام.

أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا، كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا، في البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن، يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا» (٣: ١ ـ ٣) وكان عمل أبيه كشأن أبناء الكهنة، يذهب إلى أورشليم مرتين في السنة، لتأدية وظيفته مدة أسبوع مكون من ستة أيام وسبتين، يحدثنا يوسيفوس بأنه كان هنالك عشرون ألف كاهن في اليهودية وقتئذ، وبين الخدمات الكنوتية المختلفة لم تكن هنالك خدمة أسمى من تقديم البخور الذي كان يقدم صباحاً ومساء على مذبح ذهبي خاص في القدس، في ساعة الصلاة. وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور (ع ١٠) كانت هذه الخدمة مكرمة جداً، حتى أنها كانت تعين بالقرعة، ولم يكن يسمح لأحد بتأديتها مرتين. كان يسمح للكاهن مرة واحدة في حياته، بأن ينثر حبات البخور على الفحم المتوهج الذي أتى به أحد المساعدين من مذبح المحرقة، ثم يبخر على مذبح البخور أمام الحجاب.

وعندما بوّق صاحب البوق الفضي، وتصاعد دخان المذبحة المسائية، وبدأ المصلون الذي يحتلون الدور المختلفة، يخرجون زرافات، ليقدموا صلواتهم في سكون وصمت. اعتزل الكاهن المساعد. أما زكريا فإنه للمرة الأولى والأخيرة في حياته، وقف وحيداً أمام المذبح المقدس، ونثر حبات البخور على الفحم المتوهج، فبدأ البخور يصعد في رائحته الذكية، ويحجب عنه ما حوله، وكان يرمز إلى صعود الصلوات والتضرعات ليس من قلبه فقط، بل من قلوب شعبه أمام الله»[1]. وأما البشارة بيحيى فيقول عنها لوقا: «فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل على هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف، فقال له الملاك: لا تخف يازكريا، لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات: ستلد لك ابنا

(١) ص ٢٣ ـ ٢٧ يوحنا المعمدان.

وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب. ومن بطن أمه يملتئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب الههم، ويتقدم أمامه بروح ايلياء وقوته، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيء للرب شعبا مستعداً.

فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا؟ لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها، فأجاب الملاك وقال له: أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وابشرك بهذا، وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا. لأنك لم تصدق كلامي[١] الذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل، فكان يومئ إليهم. وبقى صامتا.

ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته. وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته. وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة: هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلي، لينزع عاري بين الناس» (١ : ٨ ـ ٢٥).

والقرآن الكريم يقول أن مدة الصمت ثلاثة أيام فقط في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١٠ ـ ١١] وفي موضع آخر: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ

(١) هذا النص يبين أن صمته عقوبة له على عدم تصديقه، وفي القرآن الكريم أن الصمت معجزة له وليس عقوبة. انظر البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل للدكتور أحمد حجازي العالم المسلم المتخصص في التراث اللاهوتي وسبقت لنا الإشارة إلى أنه اكتشف بعض الأناجيل غير الأربعة وحققها وعلق عليه ونشرها وأخرجها للباحثين والدارسين.

ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١] وعبارة: «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه، وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر: خلاص من أعدائنا، ومن أيدي جميع مبغضينا، ليصنع رحمة مع آبائنا، ويذكر عهده المقدس، القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة وبر، قدامه جميع أيام حياتنا» (لوقا ١: ٦٧ ـ ٧٥).

لكن اللافت للنظر أنه في ضوء ما تقول الكنيسة والنبوءات أن يوحنا المعمدان كان منذورا لله تعالى منذ الصغر، كما كانت مريم رضي الله عنها وعيسى عليه السلام ففي لوقا: «لأنه يكون عظيما أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب» (لوقا ١٥: ١) وهذه عادة من العادات القديمة في اليهود. فقد قال: النبي عاموس: «وأقمت من بنيكم أنبياء، ومن فتيانكم نذيرين. أليس هكذا يابني إسرائيل؟: يقول الرب. لكنكم سقيتم الناذرين خمرا وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبأوا» (٢: ١١ ـ ١٢).

وفي الإنجيل أن الله أعطى النبوة ليحيى وهو صغير السن ففي لوقا: «ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس» (لو ١:١٥) وهذا التعبير عند النصارى للدلالة على التنبؤ بوحي من الله، كما في العبارة السابقة عن أبيه وهي: «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلا...» والقرآن الكريم يقول عنه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. وكذلك ذكرت الأناجيل أن يحيى عليه السلام صنع معجزات، ولم تذكر الأناجيل تفاصيل معجزاته، كما ذكرت تفاصيل معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ . ففي إنجيل مرقص: «لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالما أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه، وإذ سمعه فعل كثيرا. وسمعه بسرور» (مرقص:

٢٠ : ٦) فعبارة: «وإذا سمعه فعل كثيراً» تفيد أنه سمع عن معجزات فعلها يحيى. وأيضاً في الإنجيل أنه لما قتل يحيى عليه السلام - بيد هيرودوس - وسمع عن معجزات لعيسى، ظنه «هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات، ولذلك تعمل به القوات» (متى ١ : ١٤) أي تعمل المعجزات بواسطته.

والجدير بالذكر هنا أن صلة يحيى بعيسى عليهما السلام، بعد الإلهام الروحي أن يحيى وعيسى ابنا خالة، يقول الدكتور ماير: «كانت رواية يوحنا المعمدان في الواقع جزءاً من رواية يسوع، حتى أن العذراء المباركة لم يكن ممكنا أن تذكر الواحدة دون الأخرى. وعلاوة على هذا، فقد كانت اليصابات «نسيبة» لها كما قال الملاك. ولعلها كانت ابنة خالتها، أو ابنة عمتها أو عمها»[1].

الجدير ذكره أن معنى التعميد في المسيحية بمعمودية يوحنا أنها كانت على نمط فريد، لم يألفه اليهود، ولم يرد في التوراة. والوارد في التوراة: هو أن اليهودي إذا أخطأ خطأ ما، يذهب إلى الكاهن بذبيحة في الهيكل، ويقر بخطيئته أمامه، ثم يضع يده على رأس الذبيحة، فتنتقل الخطية إلى الذبيحة وإذا ماتت الذبيحة، يموت الأثم بموتها، أما يوحنا فقد قرر لهم: أن من أخطأ، فإن الاعتراف بالذنب يكفيه، ثم يغطسه يوحنا في نهر الأردن، فيخرج مغفورا له. وكفى. يقول الأنبا اثناسيوس: «كان الاعتراف معروفا عند اليهود إذ كانوا يقدمون ذبائح عن بعض الخطايا، ويقرون بخطيئتهم أمام الكاهن، ويضعون أيديهم على رأس الذبيحة، فتنتقل الخطية من عليهم إلى الذبيحة (لاويين ٥ : ٥ والعدد ٧ : ٥) أما العماد فكان جديداً عليهم، وكان اعترافهم ليوحنا بدون تقديم ذبائح، وكان في البرية، وليس في الهيكل، وسمى المعمدان لهذا السبب»[2]. وما كان هذا من المعمدان - في نظرنا - لأنه به يكون ناسخا لحكم في التوراة، وهو قد جاء مصدقا

(١) تفسير متى ص٢٠.
(٢) المصدر نفسه.

لها. ولأنه قد ظهر في مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران «ما يدل على أن الجماعة مارسوا معمودية معينة كمعمودية يوحنا أو معمودية الرسل. وجل ما هنالك: وجوب التوضؤ مرارا وتكرارا لمناسبات متعددة»(١). وعند بدء معمودية يوحنا «قال أيرانيوس: إن يسوع كان إذ ذاك في الخمسين من العمر، متكلا على بعض التقاليد»، وقد وصفه القرآن الكريم بالأخلاق الطيبة والصفات الحميدة في قوله تعالى: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٥].

وأما رأي اليهود فيه فيلخصه الأستاذ عباس العقاد بقوله: «وليس أدل على مكانة يوحنا من ثناء يوسيفوس المؤرخ الكبير عليه، وهو شديد الحذر من إغضاب ذوي الرأي والسلطان. فقد قال عنه: «إنه كان إنساناً صالحاً أوصى اليهود أن يبر بعضهم ببعض وأن يتقوا الله»(٢) وأما رأي النصارى فيه فإن من أبرز صفاته في الإنجيل:

(أ) الزهد في متاع الحياة الدنيا. يقول عنه متى: «ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد، وكان طعامه جرادا وعسلا بريا» (٤:٣) يقول الأنبا اثناسيوس في معنى هذه الآية: «احتقر يوحنا نعيم الحياة ولبس مسحا خشنا، من وبر الإبل، وسكن البرية القاسية وتمنطق بمنطقة المجاهدين. وعلى أية حال كان المعمدان مثالاً عظيماً في النسك وضبط النفس»(٣).

(ب) الحزم والعزم في سبيل الدعوة، فقد وبخ اليهود وتهكم بهم وندد

---

(١) ص ٨٢ مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران.

(٢) ص ١١٦ عبقرية المسيح.

(٣) تفسير متى ص٢٣.

ببعدهم عن الشريعة وخاطبهم بعنف «قال لهم: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة». (متى ٣: ٧ ـ ٨).

(ج) لم يشتر بآيات الله ثمنا قليلا، إذ رفض طلب هيرودوس الملك في أن يعطيه فتوى، ليتزوج من امرأة أخيه وهو حي يرزق، وفضل القتل ـ كما يزعمون ـ على الحياة، في سبيل رضا الله عز وجل.

(د) ولقد شهد له عيسى عليه السلام بالفضل، فقال: «لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه» (متى ١١: ١١) يقصد خاتم الأنبياء ﷺ.

قتل يوحنا وأسبابه

يقول النصارى: إن هيرودس قد قتل يوحنا، لأنه لم يوافق هواه. ويقول بعض المسلمين بقولهم. والسبب في قتل يوحنا على يد هيرودس كما يقولون هو أن هيرودس أراد أن يتزوج بإمرأة (فيلبس) أخيه، من قبل أن يطلقها، ولما كان هذا الزواج ضد شريعة التوراة، طلب من يوحنا أن يعطيه فتوى بإباحته. ولما امتنع قتله. هذا ما في الإنجيل عن سبب قتله. وليس هو بشئ. فإن زواج رجل بامرأة في شريعة التوراة، يلزم منه لكي يصح أن تكون المرأة خالية من الاقتران برجل. وإلا فأنه يعد زنا، والزنا محرم. ففي سفر اللاويين: «عورة امرأة أخيك لا تكشف» (لا ١٦:١٨) وعلى الزاني والزانية عقوبة مقدرة في التوراة. هي القتل على المحصن المتزوج (تث ٢٢:٢٢) وهذا لا يقدر عليه هيرودس الملك، الذي يريد رضا رعيته عليه، ولا يريد أن يكون في نظرهم كهازل وعابث بالشريعة. وهو قد عمل على ارضائهم من قبل بعمارة الهيكل، الذي هو أحب شيء إلى نفوسهم.

يقول متى: «فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن، من أجل هيروديا، امرأة فيلبس أخيه. لأن يوحنا كان يقول له: لا يحل أن تكون لك. ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب، لأنه كان عندهم مثل نبي. ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط، فسرت هيرودس، من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها، فهي إذ كانت قد تلقنت من أمها. قالت: أعطني ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان. فاغتم الملك، ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى. فأرسل

وقطع رأس يوحنا في السجن، فأحضر رأسه على طبق ودفع إلى الصبية فجاءت به إلى أمها فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه» (متى ١٤: ٣ ـ ١٢).

وظل تلاميذه على الوفاء لمبادئه بعد صعود عيسى إلى السماء بكثير، فلقد جاء عنهم في سفر أعمال الرسل: أنهم كانوا يعمدون الناس بمعمودية يوحنا (أ ع ١٩: ١ ـ ٥)، وكانوا يناوئون التعاليم الحالية للنصرانية.

ولقد قال بولس لأتباعه: «إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده. أي المسيح يسوع» (أ ع ١٩: ٤) يريد بقوله هذا أن يبعد تنبؤات يحيى عن نبي الإسلام إلى عيسى عليه السلام.

(أ) وفي القرآن الكريم: أن يحيى مات موتا طبيعيا، ولم يقتل في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم ١٥].

(ب) عن عيسى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم ٣٣].

ووجه الدليل: إن ما جرى على عيسى عليه السلام يجري على يحي عليه السلام ولم يجر القتل والصلب على عيسى لقوله تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء ١٥٧] ولأن الله تعالى فرق بين الموت وبين القتل في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٤] وحكم على نبيه بالموت لا بالقتل في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر ٣٠] ولم يقل له أنك مقتول. لأنه قد عصمه من الناس.

تقدير عيسى للمعمدان

في ضوء ما ذكره الدكتور أحمد حجازي السقا وعلق عليه فإنه قد ورد في إنجيل متى وإنجيل لوقا: شهادة تقدير حسنة وجيدة، ليوحنا المعمدان، من عيسى عليه السلام. وهذه الشهادة تعتبر بشارة بنبي الإسلام ﷺ.

وهذا نص عبارة متى: «أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح، أرسل اثنين من تلاميذه وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران، العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لم يعثر في. وبينما ذهب هذان، ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا: ماذا خرجتم لتنظروا؟ أأنسانا لابسا ثيابا ناعمة؟ هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك. لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبيا؟ نعم أقول لكم: وأفضل من نبي. فإن هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك.، الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه. ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه. لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا. وان أردتم فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي. من له أذنان للسمع فليسمع» (متى ١١: ٢ ـ ١٥).

وهذا نص عبارة لوقا: «دعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلا: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ فلما جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا

المعمدان قد أرسلنا إليك: قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين. فأجاب يسوع: وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما: أن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لم يعثر في. فلما مضى رسولا يوحنا ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا: ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنسانا لابسا ثيابا ناعمة؟ هو ذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك. بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبيا؟ نعم أقول لكم: وأفضل من نبي. هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك، لأني أقول لكم: إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه» (لوقا: ١٩ ـ ٢٨).

هذا وقد اتفق متى ولوقا على أن المعمدان أرسل إلى عيسى عليه السلام وقال له: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ دليل على أن نبيا واحدا، سيأتي إلى العالم، وعند جميع بني إسرائيل فكرة عن مجيئه. والمعمدان كواحد من اليهود يسأل عنه. يقول الدكتور فردريك فارار معلقاً على عبارة (أنت هو الآتي أم ننتظر آخر): «الكلمة الواردة في متى ٣:١١ تعني حرفيا: إما مسيحا ثانيا أو «خلافك» أما الورادة في لوقا ١٩: ٧ فتعني حرفيا «آخر»[(١)] ولماذا خفى على المعمدان أن عيسى هو المسيا، وهو نبي يوحي إليه من السماء؟ ولماذا نفى عيسى صراحة أنه هو المسيا الآتي إلى العالم واكتفى بقوله: «طوبى لمن لم يعثر في»؟ ومن هو الأصغر في ملكوت السموات الذي هو أعظم من يوحنا المعمدان؟ وما هو المراد من قول عيسى عليه السلام: «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي»؟.

أولا: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ المقصود به: النبي الذي وعد

---

(١) ص ٢٥٩ حياة المسيح.

به موسى في قوله: «يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون» (تث ١٥ :١٨) والذي يطلق عليه اليهود والنصارى لقب (مسيا) أو (المسيح) يقول متى هنري: بصدد تفسيره لعبارات متى: «كان هذا سؤالاً خطيراً وجوهرياً. أأنت هو المسيا المنتظر أم لا؟ أأنت هو المسيح؟ أخبرنا. كأن مجئ المسيا متوقعا كقضية مسلمة»[1] ويقول بصدد تفسيره لعبارات لوقا: «المسيح لم يكن إلى ذلك الوقت قد أعلن صراحة بأنه هو المسيح حقا، بل أنه لم يرد أن يعلن تلاميذه أنه هو كذلك. إلى أن تكمل البراهين بقيامته بأنه هو المسيح المنتظر، وعظماء الكنيسة اليهودية لم يعترفوا به، ولا بدا أي مظهر يدل على أنه هو الذي أقيم ليجلس على كرسي داود أبيه، ولا ظهر فيه أي شيء من العظمة والسلطان والقوة التي كان ينتظر أن يظهر فيها المسيا»[2]. يلاحظ من كلام متى هنري ومن عبارات الأناجيل: أن عيسى عليه السلام لم يعلن إلى ذلك الوقت، وهو وقت سجن المعمدان: أنه هو المسيا أو المسيح. وتلاميذه أيضاً لم يعلنوا. وكان التلاميذ كما يقول متى هنري منتظرين حتى يرفع عيسى إلى السماء، ثم بعد رفعه، يذيعون بين اليهود أنه كان المسيا. ولماذا يؤخر عيسى هذا الخبر ولم يبد عليه أثر الملك والسلطان. أو مظاهر الأبهة والعظمة. وذلك في مفهوم اليهود من علامات المسيا؟.

ومن فهمهم ندينهم: أن هذا يدل على أن فكرة المسيا قد ألصقت به من بعد صعوده إلى السماء لغرض التحريف. وإلا فما فائدة ملك لا يعلن عنه إلا بعد موته؟ وما مهمة رسول إن لم تكن واضحة حال حياته؟.

ثم وعلينا أن ننظر: وحينما سأل رسولا يوحنا، عيسى عليه السلام هذا السؤال: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» قام عيسى بعمل كثير من المعجزات أمام أعينهما وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما

(١) ص ١٨٦ ج ـ ٢ تفسير متى.
(٢) ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ج ـ ١ تفسير لوقا.

وسمعتما: فإذا كانت المعجزات في رأي النصارى دليلا على أنه هو المسيا. لأن عيسى لم يصرح بأنه المسيا، فإن لنبي الإسلامﷺ معجزة لا تقل أهمية عن معجزات عيسى، وتصلح دليلا على أنه هو المسيا. وإذا كانت معجزات عيسى قد جعلته في نظر النصارى هو المسيا وأغنت عن تصريحه. فهل لهم ولأي عابر سبيل أن يجعل أي فرد من تلاميذ عيسى قد صنع معجزة أن يكون هو المسيا، لأنه صنع معجزة؟ أنه على سبيل المثال:

١ - بطرس أمات رجلا وزوجته (أعمال ٥: ١).
٢ - بطرس يشفي من الأمراض هو وبقية الرسل (أعمال ١٢: ٥).
٣ - فيلبس أخرج الأرواح الشريرة وشفى المفلوجين والعرج (أعمال ٤: ٨).
٤ - بطرس أحيا ميتة (أ ع ٩: ٣٦).
٥ - بولس يشفي مقعدا (أ ع ٨: ١٤)
٦ - بولس يخرج الأرواح الشريرة (أ ع ١٦: ١٦).
٧ - بولس يحي الموتى (أ ع ٢٠: ٧).

ثم وبعد ذللك ويشهد عيسى للمعمدان شهادة تقدير، لأنه زميله في الهدف ورفيقه في الجهاد ونص شهادته: «ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا: ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنسانا لابسا ثيابا ناعمة؟ هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك، لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبيا؟ نعم أقول لكم: وأفضل من نبي».

قال هذا بعد انصراف رسولا يوحنا، لئلا تظن الجموع من اليهود أنه يتملق يوحنا، فتكون شهادة بريئة من كل شبهة. يقول عيسىعليه السلام: سأريكم أي إنسان كان يوحنا المعمدانعليه السلام:

(أ) كان إنسانا ثابتا لا يتزعزع، لم يكن «قصبة تحركها الريح» أنتم

كذلك في آرائكم عنه. أما هو فلم يكن كذلك. لم يكن مزعزعا في مبادئه ولا معوجا في سيرته، بل كان ثابتا كالطود الراسخ. إن الضعفاء يتزعزعون. أما يوحنا فكان قوي الروح، حينما هبت عليه ريح مديح الناس من جهة، وعصفت عليه ثورة غضب هيرودس من الجهة الأخرى ـ كما هو مكتوب ـ بقى ثابتاً كما هو لم يتغير، في أي جو من الأجواء.

(ب) كان إنساناً منكراً لذاته ميتا عن العالم «أكان إنساناً لابسا ثيابا ناعمة»؟ لو كان كذلك لما خرجتم إلى البرية لتنظروه، بل إلى قصور الملوك. أنتم خرجتم لتنظروا شخصاً «لباسه من وبر الإبل وعلى حقوية منطقة من جلد» تدل سيماؤه ورداؤه على أنه من عظمة العالم وتنعمات الجسد، وتتفق ملابسه مع البرية التي عاش فيها والتعاليم التي يلقيها. أي التوبة واقتراب ملكوت السموات.

(ج) لقد كان «نبيا» نعم. وأفضل من نبي، لقد شهد عيسى للمعمدان بالنبوة، كما شهد المعمدان لعيسى من قبل بها، وافتخر عيسى بشهادة المعمدان له أمام اليهود في قوله طبقاً لرواية يوحنا: «أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد الحق، وأنا لا أقبل شهادة من إنسان، ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم» (يوحنا ٥: ٣٣ ـ ٣٤).

وهنا لابد من سؤال يطرح نفسه وهو: ما المقصود بقول عيسى عليه السلام: «لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه»؟ من هو الأصغر في ملكوت السموات؟

الأصغر في ملكوت السموات: هو نبي الإسلام (ليس في الرتبة والمنزلة، وإنما على معنى: إنه خاتم النبيين كما جاء في القرآن الكريم: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي تقرير ذلك والتأكيد عليه يقول الدكتور أحمد حجازي السقا:

والنصارى مختلفون في تفسير: الأصغر في ملكوت السموات وعلماء الكاثوليك لا يخرجون على ما قرره علماء الأرثوذكس والبروتستانت في هذا الشأن. لذلك نكتفي بذكر هذه العبارة عنهم: «ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه: هذا يحتمل تفسيرين. الأول: ـ ولعله الأرجح ـ أنه أراد بالأصغر نفسه. لأنه كان أصغر من يوحنا سنا. وأدنى مرتبة حينئذ في عيون الناس، لأنه لم يكن قد عرف بعد، وإنما أورد هذا استدراكاً على ما ذكره من قوله: «لم يقم في مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان» فأشار بذلك إلى أنه هو أعظم منه في ملكوت السموات، يعني في الكنيسة. والتفسير الثاني: أن المراد بالأصغر في ملكوت السموات: أدنى المؤمنين بالمسيح رتبة، ممن حصلوا على نعمة الإنجيل، لأن جميع القديسيين من العهد العتيق إنما نالوا التقديس بنعمة الإنجيل. ولما كان الناموس يشير إلى إنجيل المسيح، كان بالضرورة أدنى منزلة من الإنجيل، وبالتالي كان أهل الناموس أدنى منزلة من أهل الإنجيل على الإطلاق. وبناء على هذا يقال: إن أعظم أصحاب الناموس يكون أدنى رتبة من أصغر أبناء الكنيسة»[1].

ونرد عليهم: هل عيسى أفضل من المعمدان؟ أم المعمدان أفضل من عيسى؟ وهل دعاة الإنجيل الآن يكون أي فرد فيهم أفضل من المعمدان أو أعظم من موسى أو داود أو سليمان عليهم السلام؟.

(أ) أما إن عيسى أفضل من المعمدان فذلك شيء نفاه عيسى نفسه، لأن سياق الكلام لا يسيغ أن يشهد عيسى للمعمدان بأنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه، ثم يقول إلا أنا. وقد أثر عنه في الإنجيل التواضع الشديد لدرجة أنه غسل أرجل التلاميذ وحثهم على التواضع (يوحنا ١٤ : ١٣) وقال بصريح العبارة: «مجدا من الناس لست أقبل» (يو ٤١ : ٥) وإذا كان لا يقبل المجد من الناس، فما فائدة الفخر إذا؟.

(١) ص ٤٧٠ حواشي على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك.

(ب) وأما أن العالم النصراني الذي يدعو بالإنجيل أفضل من المعمدان، فهذا يحتاج إلى نص سماوي صريح، لأن الأنبياء أرفع منزلة من سائر البشر، ولا يوجد في الإنجيل ما يغض من قيمة الأنبياء المعظمين في بني إسرائيل لدرجة أن يقال: إن إبراهيم واسحق ويعقوب رؤساء الآباء أقل درجة من دعاة النصرانية، كيف يكون هذا وهم آباء عيسى نفسه، وهم الذين سلموا التوراة إلى النصارى؟

ونص الإنجيل هو في المفاضلة بين نبي ونبي، وليس هو بين نبي وشخص عادي. وصفة النبوة هي الصفة المقصودة بالتفاضل. وسياق الكلام يبين ذلك. فإنه قال: «أنبيا؟» نعم أقول لكم وأفضل من نبي. صحيح أن هدف الدعاة واحد. ولكن الأستاذ له الفضل على التلاميذ، أنه هو الذي علمهم ما يدعون به، وهم يدعون بما علمه لهم، على حد قول عيسىﷺ: «ليس التلميذ أفضل من المعلم، ولا العبد أفضل من السيد، يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده» (متى ١٠: ٢٤ ـ ٢٥) فقد بين عيسى نفسه أنه لا يمكن التفاضل بين التلميذ والمعلم، بل تكفي المساواة. إذا كان لابد من المفاضلة.

(ج) وأما عن قول عيسى فيما انفرد بروايته متى: «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي» فهذه العبارة تثبت مجئ إيلياء في المستقبل من بعد عيسىﷺ، وجاء في إنجيل متى عبارة تفيد إن إيلياء قد جاء من قبل عيسىﷺ. وهي: «إن ايلياء قد جاء ولم يعرفوه» (متى ١٢:١٧) ولقد فهم التلاميذ إن إيلياء الذي جاء ولم يعرفوه، هو يوحنا المعمدان (متى ١٢:١٧) يقول الدكتور هاني رزق على لسان الأرثوذكس: «بذلك نجد أن نبوة ملاخي ٤٣٥ ق.م. القائلة بمجئ إيلياء النبي قبل مجئ يوم الرب العظيم، قد تحققت بمجئ يوحنا المعمدان، الذي أتضح من هذه الأقوال أنه

إيلياء المزمع أن يأتي، قبل مجيء المسيح ليعد له الطريق» ويقول الكاثوليك عن المعمدان: «هو إيلياء المزمع أن يأتي، لأنه قد سبق المسيح في مجيئه الأول، كما أن إيلياء سيسبقه في مجيئه الثاني».

وفهم التلاميذ خطأ. لأن يوحنا المعمدان نفسه قال: لست أنا إيلياء (يو ١:٢١) وهو نبي. ولا يمكن أن يكذب نبي من الأنبياء الصادقين. ولأن إيلياء كان قبل مجيء أشور سنة ٧٣٨ ق.م وكان معاصراً لأخاب ملك السامرة سنة ٩٠٠ ق.م.

وهذه قصته بإيجاز:

١ ـ إيلياء هو نبي من أنبياء اليهود الذين أتوا من بعد موسى عليه السلام:

وقد ورد في الترجمة الإنجليزية: أن اسمه (الياس) Elias وهذا هو اسمه عند يهود السامرة. وقد وردت له قصة في التوراة، فيها شبه مما جاء عنه في القرآن الكريم. قال تعالى ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات ١٢٢ ـ ١٣٢] قال القرطبي في تفسيره: «قال المفسرون الياس نبي من بني إسرائيل. وروي عن ابن مسعود قال: إن إسرائيل هو يعقوب. والياس هو إدريس» وتصحيح ما روى عن ابن مسعود فنقول: إن إسرائيل هو يعقوب كما ذكر، أما إدريس عليه السلام فليس هو إلياس، لأن إدريس نبي، وإلياس نبي آخر، ذلك أن التوراة ذكرت إدريس باسم أخنوخ، وكان وجوده في الأرض قبل نوح عليه السلام، وعاش مئة وخمسا وستين سنة، [كما تقول التوراة] وكان صالحاً عابداً ورفعه الله إلى السماء. ففي التوراة: «عاش أخنوخ خمسة وستين سنة وولد

متوشالح، وسار أخنوخ مع الله، بعد ما ولد متوشالح ثلاث مئة سنة، وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة وخمسة وستين سنة. وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد، لأن الله أخذه» (تك ٥ : ٢١ ـ ٢٤) وقال الإمام الزمخشري عن إدريس: «وكان اسمه أخنوخ».

٢ ـ «أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين»؟ ورد في التوراة: أن أخاب ابن عمري ٩٠٠ ق.م. من ملوك يهود السامرة تزوج امرأة تسمى «إيزابل» وعمل صنما وسماه (البعل) وسجد له هو وامرأته وأهل مملكته. وكان لهذا البعل من الكهنة خداما أربعمائة وخمسون «ثم قال للشعب: أنا بقيت نبيا للرب وحدي، وأنبياء البعل أربعمائة وخمسون رجلا فليعطونا ثورين، فيختاروا لأنفسهم ثورا واحدا ويقطعوه ويضعوه على الحطب، ولكن لا يضعوا نارا. وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن لا أضع نارا. ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب، والإله الذي يجيب بنار فهو الله. فأجاب جميع الشعب وقالوا: الكلام حسن. فقال إيلياء لأنبياء البعل: اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا وقربوا أولا، لأنكم أنتم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا، فأخذوا الثور الذي أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر، قائلين: يابعل أجبنا، فلم يكن صوت ولا مجيب. وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل. وعند الظهر سخر بهم إيلياء وقال: ادعوا بصوت عال لأنه إله. لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعله نائم فينتبه، فصرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عاداتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم، ولما جاء الظهر وتنبأوا إلى حين أصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ. قال إيلياء لجميع الشعب: تقدموا إلي. فتقدم جميع الشعب فرمم مذبح الرب المنهدم، ثم أخذ إيلياء اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه قائلاً: اسرائيل يكون اسمك. وبنى

الحجارة مذبحا باسم الرب، وعمل قناة حول المذبح، تسع كيلتين من البذور ثم رتب الحطب وقطع الثور، ووضعه على الحطب. وقال: املأوا أربع جرات ماء، وصبوا على المحرقة وعلى الحطب. ثم قال: ثنوا فثنوا. وقال: ثلثوا، فثلثوا فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضاً ماء. وكان عند أصعاد التقدمة: ان إيلياء النبي تقدم وقال: أيها الرب اله إبراهيم واسحق وإسرائيل ليعلم اليوم إنك أنت الله في إسرائيل وأني أنا عبدك. وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور استجبني يارب. استجبني. ليعلم هذا الشعب. أنك أنت الرب الاله، وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعا، فسقطت نار الرب. وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب، ولحست المياه التي في القناة، فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هو الله الرب هو الله.

فقال لهم إيلياء: امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل، فأمسكوا فنزل بهم إيلياء إلى نهر قيشون وذبحهم هناك» (الملوك الأول ١٨: ٢٢ ـ ٤٠).

وورد شبيها بهذا في أقوال المفسرين، فقد حكى القرطبي عن مقاتل بأن البعل «صنم كسره الياس وهرب منهم، وقيل من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه، فتنوا به وعظموه، حتى أخدموه أربعمائة سادن، وجعلوهم أنبياء، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل، ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها، ويعلمونها الناس»[١].

وهذا الذي أوردناه من كلام المفسرين شبيها بالتوراة، يدل دلالة واضحة على أن كثيراً من المفسرين كانوا ينقلوا عن أهل الكتاب

(١) القرطبي ج ـ ١٥ ص١١٧.

من كتبهم حينا، ومن ألسنتهم حينا آخر، يقول الدكتور محمد أبو شهبة[1] رحمه الله معلقا على الاسرائيليات في قصة الياس عليه السلام: «وكل هذا من أخبار بني إسرائيل وتزيداتهم واختلافاتهم. وما روى منها عن بعض الصحابة والتابعين، فمرجعه إلى مسلمة أهل الكتاب ككعب ووهب وغيرهما».

وله معجزات غير هذه: منها أنه أحيا ابن امرأة أرملة من قرية تسمى صرفة وجعل الزيت لا ينقص من كوز الزيت، وكوار الدقيق لا يفرغ من عندها، حتى ينزل المطر، فتخرج الأرض نباتها (الملوك الأول ١٧) ومنها أنه دعا الله أن لا تمطر السماء لئلا ينبت زرع فاستجاب الله له (الملوك الأول ١٧).

٣ ـ «سلام على الياسين» أشهر ما فيها من قراءات: ١ ـ آل ياسين بمد الألف ٢ ـ الياسين بقطع الهمزة ٣ ـ الياسين بوصل الألف، ويقول القرطبي في توجيه القرائتين الأوليين: ومن قرأ «سلام على آل ياسين» فكأنه والله أعلم جعل اسم الياسين ياسين، ثم سلم على آله أي أهل دينه، ومن كان على مذهبه. ومن قرأ «الياس» بالقطع فللعلماء فيه غير قول. فروى هرون عن ابن أبي اسحق. قال: الياسين مثل إبراهيم يذهب إلى أنه اسم له، وأبو عبيدة يذهب إلى أنه جمع جمع التسليم، على أنه وأهل بيته سلم عليهم. وعن القراءة الثالثة بالوصل يقول: وقرأ الحسن «سلام على الياسين» بوصل الألف كأنها ياسين. دخلت عليها الألف واللام التي للتعريف. والمراد الياس عليه السلام. وعليه وقع التسليم. ولكنه اسم أعجمي والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغيرهم لها.

---

(١) عالم سلفي معاصر من أكابر علماء الأزهر، وكان أستاذا بكلية أصول الدين ـ بالقاهرة وله ثروة علمية نادرة في قراءته لصحيح البخاري والتعليق عليه، لقي ربه منذ أكثر من عقدين من الزمان ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ .

والصواب في نظرنا: أن الاسم المفرد هو الياس. والجمع في اللغة العبرية للتذكير يكون بالياء والميم لا بالواو والنون كما في لغة العرب. ثم أن الميم تقلب نونا لقربها من المخرج. كأنه يقول: سلام على الياس ومن جاهد معه. أي سلام على الالياسيين وخفف النطق.

يقول مؤلفو تاريخ العرب المطول: «والجدير بالذكر أن أسماء شخصيات التوارة الواردة في القرآن جاءت على ما يظهر عن طريق اللغة السريانية. مثل (نوح) واليونانية مثل (الياس ويونس) لا مباشرة عن طريق اللغة العبرانية». وإيلياء هو، لا الياس.

٤ ـ واليهود السامريون لا يقرون بنبوته. يقول اليهودي أبو الحسن السامري: «وكانوا ملوك اليهود منهم من لا يسجد للأوثان، ومنهم من يسجد، يدعى بيت المقدس قدسا، ويدعون أن لهم أنبياء ينسبون إلى الله عز وجل ما لم يقل لهم، ويقولون: أن فيهم من يصدق وما كان فيهم صادقا. وإنما كانوا يتكلمون بطريق السحر والتنجيم ويلهون الناس ويلعبون بعقولهم، ويدخلون بهم في طريق الآثام والذنوب، ويغلونهم. وفي ذلك الوقت سمى حنيفية: نبي. والياس: نبي. وهذا الياس غرق في الأردن ومات. وادعوا أنه طلع إلى السماء بعد موته».

الفصل التاسع

- الرسالة التي حملها يسوع
- الإنجيل والسيد المسيح
- بولس ودوره في تأسيس المسيحية
- العبادات المسيحية ودلالتها

الرسالة التي حملها يسوع

ولما سجن يوحنا أخذ عيسى يقوم بعمل المعمدان ويخطب في الناس مبشراً بملكوت الله، ويقول لوقا إنه «عاد إلى الجليل»، وإنه «كان يعلم في مجامعهم. وليست لدينا صورة مطبوعة في أذهاننا عن ذلك الشاب المثالي، وهو يقوم بدوره في قراءة الكتاب المقدس على المجتمعين في الناصرة، ويختار لهم فقرة من سفر إشعيا: «روح الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق» «وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية»، ويضيف لوقا «وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه، فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم»؛ وكان الجميع يشهدون ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فيه». ولما عرف أن يوحنا قد قتل وأن أتباعه كانوا يبحثون عن زعيم جديد تحمل يسوع العبء وما يستتبعه من خطر، وارتد أولا في حذر وحيطة إلى القرى الهادئة وصار يتجنب على الدوام الجدل السياسي، ثم أصبح في كل يوم أعظم جرأة في إعلانه إنجيل التوبة، والإيمان، والنجاة، حتى ظن بعض أتباعه أنه هو يوحنا قام من بين الموتى.

وإنا ليصعب علينا أن ننظر إليه نظرة موضوعية مجردة. وليس سبب هذه الصعوبة مقصوراً على أن كل ما نعرفه منقول عن الذين كانوا يعبدونه، بل إن من أكبر أسبابها أن تراثنا الأخلاقي ومثلنا العليا وثيقة الصلة به، تكونا على منواله ـ هذا ما يقوله ول ديورانت، ولهذا فإنا نحس بما يصيبنا

من أذى إذا وجدنا عيباً في أخلاقه. لقد بلغ شعوره الديني من القوة حداً جعله يندد أشد التنديد بمن لا يشاركونه في آرائه، ويعفو عن كل الأغلاط إلا عدم الإيمان. وهو يقول دون أن يحتج عليه أحد إن رجلاً فقيراً في الجنة لم يسمح له بأن يترك نقطة واحدة من الماء تسقط على لسان رجل غني في الجحيم. وينصحنا بنبل وشرف ألا نحكم حتى لا يحكم علينا، ولكنه يلعن الناس والمدن التي لم تؤمن برسالته ويلعن شجرة التين التي لم تكن تحمل ثمراً. ولعله ـ فيما يقول ول ديورانت ـ كان قاسياً بعض القسوة على أمه. وكان يتصف بحماسة النبي العبراني المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذي يمتاز به الحكيم اليوناني وكانت عقائده القوية تملأ قلبه، كما كان غضبه للحق يطمس من حين إلى حين معالم إنسانيته العميقة، ولكن أغلاطه [عند ول ديورانت] كانت هي الثمن الذي أداه لذلك الإيمان القوي الذي استطاع أن يحرك به العالم. أما فيما عدا هذا فقد كان أحب الناس إلى القلوب. وليست لدينا صورة واضحة له ولم يترك لنا أتباعه وصفاً له دقيقاً، ولكن الذي لا شك فيه أنه كان وسيماً بعض الوسامة، كما كان ذا روح جذابة، استطاع بفضلهما أن يجمع حوله كثيرات من النساء وكثيرين من الرجال، وفي وسعنا أن نستدل من بعض العبارات المتفرقة، على أنه كان يلبس، كما كان يلبس أهل زمانه، عباءة فوق جلباب، وخفين في قدميه، ولعله كان يضع على رأسه غطاء ينزل على كتفيه ليقيه حر الشمس وكانت كثيرات من النساء يجدن عنده شيئاً من العطف والحنان يبعث فيهن إخلاصاً عامراً تفيض به قلوبهن، وليس انفراد يوحنا بذكر المرأة التي ضبطت وهي تزني حجة على كذبها، فليست هذه القصة مما يفيد يوحنا من الناحية الدينية، وهي فوق هذا مما يتفق كل الاتفاق مع أخلاق المسيح. ولا يقلّ جمالا عن هذه القصة قصة أخرى ليس في طاقة أتباعه أن يخترعوها، وهي قصة العاهر التي أثرت في قلبها سرعة قبوله توبة المذنبيَن، فخرت راكعة بين يديه، ودهنت قدميه بالطيب الثمين، وغسلتهما بدموعها، وجففتهما بشعر رأسها، وقال عنها عيسى إن خطاياها قد غفرت

لها «لأنها أحبت كثيراً». ويروى أن الأمهات كن يأتين إليه بأطفالهن ليمسهم بيديه، وأنه «احتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم». ثم يسترسل: ول ديورانت ويقول: ولم يكن عيسى من النساك الزاهدين كما كان الأنبياء الإسينيون والمعمدان. ويروى عنه أنه قدم كثيراً من الخمر في حفل للزواج، وأنه كان يعيش مع «العشارين والمذنبين»، وأنه قَبِل عاهراً تائبة ضمن أتباعه. ولم يكن يأنف من مسرات الحياة الساذجة، وإن كان قد قسا قسوة غير طبيعية على رجل كان يشتهي فتاة. وكان في بعض الأحيان يقبل الدعوة إلى الولائم في بيوت الأغنياء، بيد أنه كان في العادة يختلط بالفقراء وإن كانوا من الأمحاريين Amhaarez أشبه الناس بالمنبوذين الذين كان الفريسيون الصدوقيون يحتقرونهم ويتجنبونهم. وكان يدرك أن الأغنياء لن يؤمنوا برسالته، فكان لذلك يبنى آماله على ما عساه يحدث من انقلاب يدخل الفقراء الوضيعين الأعلين في ملكوت الله. ولم يكن يشبه قيصر إلا في وقوفه إلى جانب الطبقات السفلى وفي اتصافه بالرحمة، أما فيما عدا هذا فما أكبر الفرق بين الرجلين في أخلاقهما، ونظرتهما إلى الحياة، وما يهتمان به فيها. لقد كان قيصر يرجو أن يصلح الناس بتبديل نظمهم وشرائعهم، أما المسيح فكان يرغب في أن يكون تغيير طبائع الناس وسيلة لتبديل النظم والاستغناء عن كثير من الشرائع. وكان قيصر هو الآخر ممن يغضبون أحياناً، ولكن انفعالاته كانت على الدوام تحت سيطرة بصيرته النفاذة، أما عيسى فلم يكن أيضاً غير ذي بصيرة، وكان يجيب عن أسئلة الفريسيين الماكرة بمهارة تكاد تضارع مهارة المحامين. ولكنها لم تكن مهارة خالية من الحكمة، ولم يكن في وسع أحد أن يربكه ولو هدده بالقتل. لكن قواه العقلية لم يكن منشؤها اتساع عقله أو كثرة معارفه، بل كان مبعثها نفاذ البصيرة، وقوة الشعور، ووحدة الغرض. ولم يكن يدعي العلم بكل شيء، وكثيراً ما كان يفاجأ بالحوادث التي لا ينتظر وقوعها، وكان الذي يحمله على المغالاة في تقدير قواه ومواهبه هو جده وحرصه على الوصول إلى غرضه وتحمسه له، كما حدث في الناصرة وأورشليم بيد

أن قواه كانت غير عادية، ولعل الذي يثبت هذا هو معجزاته.

وأكبر الظن أن معظم هذه المعجزات كانت تحدث في أكثر الأحوال بقوة الإيحاء ـ أي بتأثير روح قوية واثقة من نفسها، في روح قابلة للتأثر. ولقد كان وجوده في حد ذاته يبعث القوة فيمن حوله، فكانت لمسته المبشرة بالخير تشفي المريض وتقوي الضعيف، وليست رواية أمثال هذه القصص عن غيره من الناس في الخرافات والتاريخ دليلاً على أن معجزات المسيح هي الأخرى خرافات وأساطير، فليس منها إلا عدد قليل، لا يصدقه العقل، ويمكن مشاهدة أمثالها في كل يوم تقريباً في لورد Lourdes، وما من شك في أنها كانت تحدث أثناء حياة المسيح في إبدروس Epidaurus وغيرها من مراكز العلاج النفساني في العالم القديم، وقد شفى الرسل أنفسهم حالات من هذا النوع. وهناك عاملان يدلان على أن هذه المعجزات ظاهرة نفسانية: أولهما أن المسيح نفسه كان يعزو شفاء المرضى على يديه إلى «إيمان» من يشفيهم، وثانيهما عجزه عن القيام بمعجزات في الناصرة، لأن أهلها فيما يظهر كانوا ينظرون إليه على أنه «ابن النجار» ولا يؤمنون بقواه غير العادية، ومن ثم كان قولهم إنهم «ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته». ويقال لنا عن مريم المجدلية إن «سبعة شياطين قد أخرجت منها»، أي أنها كانت تشكو آلاما ونوبات عصبية، وهذه الآلام والنوبات كانت تخفّ حدتها في حضرة عيسى، ومن أجل هذا كانت تحبه لاعتقادها أنه أعاد إليها الحياة، وأن قربه منها كان أمراً لا غنى عنه لسلامة عقلها. وأما ابنة بايروس فقد قال المسيح عنها في صراحة: إن البنت لم تمت بل كانت نائمة ـ ولعلها كانت مصابة بالتخشب والجحود. ولم يلجأ حين ناداها بأن تستيقظ إلى لهجته الرقيقة المعتادة بل قال بلهجة الآمر القوية: «طليثا قومي» (أي ياصبية قومي). ولسنا نقصد بهذا أن نقول إن عيسى كان يرى أن معجزاته ظواهر طبيعية محضة، فقد كان يحس أنه لا يأتي بهَذه المعجزات إلا بمعونة ما فيه من روح قدسية. ولسنا نعرف أنه كان مخطئاً في اعتقاده هذا، كما أننا لا نستطيع حتى الآن أن ندرك حدود

ما في تفكير الإنسان وإرادته من إمكانيات وقوى كامنة. ويبدو أن عيسى نفسه كان يحس بخَوْر نفساني بعد أن يقوم بمعجزاته، وانه كان يحاولها وهو كاره، وينهي أتباعه عن إذاعتها، ويؤنب من يطلب إليه «علامة»، ولقد ساءه أن أكبر الأسباب التي دعت الرسل أنفسهم إلى الإيمان به هو ما أتاه من أفعال «عجيبة».

ثم يستطرد ول ديورانت ويتوسع فيقول: ويصعب علينا أن نقول أن أولئك الرسل كانوا من طراز الذين يُختارون ليبدلوا أقوال العالم. فالأناجيل تظهر ما بين أخلاقهم من اختلاف واقعي، وتكشف عيوبهم كشفاً صريحاً فهم لا يخفون مطامعهم، ولما أراد عيسى أن يهدئ من هذه المطامع وعدهم بأنهم سيجلسون في يوم الحساب على اثنى عشر كرسيا يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر. ولما أن سجن المعمدان انضم أندرو أحد أتباعه إلى عيسى وجاء معه بأخيه سيمون الذي سماه المسيح باسم كفاس، أي «الصخرة». وترجم اليونان اسمه إلى بطرس. وبطرس هذا شخصية بشرية لحما ودما، فهو متهور، جاد، كريم، غيور، هياب يصل به الوجل في بعض الأحيان إلى حد الجبن الذي لا يسع الإنسان إلا أن يعفو عنه. وقد كان هو وأندرو يصيدان السمك في بحيرة الجليل، وكذلك كان ولدا زبدى Zebedee يعقوب ويوحنا. وانتقل هؤلاء الأربعة بأعمالهم وأسرهم وأصبحوا دائرة ضيقة حول المسيح. وكان متَّى جابياً في مدينة كيرنوم القائمة على الحدود، أي أنه كان يقوم بعمل الدولة، وإذن فقد كان في منصبه هذا يخدم رومة، لهذا كان مكروهاً من كل يهودي يتوّق إلى الحرية. وكان يهوذا الكريوثي وحده دون سائر الرسل الذي لم يأت من الجليل. وجمع الاثنا عشر كلهم جميع ما يملكون وعهدوا إلى يهوذا أن يتولاها نائبا عنهم. وكانوا في طوافهم مع المسيح في رحلاته التبشيرية يعيشون على ما يقدمه لهم القرويون، ويأخذون طعامهم آنا بعد آن مما يمرون به من الحقول، ويقبلون ضيافة أصدقائهم ومن يهتدون بهديهم. وقد أضاف عيسى إلى الاثنى عشر اثنين وسبعين من الأتباع، وبعث باثنين منهم إلى كل بلدة

يريد أن يزورها، وقال لهم «لا تحملوا كيسا، ولا مزوداً، ولا أحذية». وانضمت بعض النساء الصالحات الرحيمات إلى أولئك الرسل والأتباع وقدمن لهم المعونة، وأدين لهم تلك الأعمال المنزلية التي لا غنى عنها، والتي هي أعظم سلوى لحياة الرجال. وعلى يد هذه الجماعة الصغيرة الوضيعة غير المتعلمة أرسل المسيح إنجيله إلى العالم.

الإنجيل والسيد المسيح

يرى ول ديورانت أن السيد المسيح كان يعلم الناس بالبساطة التي تتطلبها حال مستمعيه، ويمزج هذه التعاليم بالقصص الطريفة التي تجعل دروسه تنفذ إلى الأذهان، وبالْحِكَم والأمثال القوية بدل الحجج العقلية. وكانت طريقة القصص الرمزي التي يلجأ إليها مألوفة في بلاد الشرق، وقد أخذ بعض تشبيهاته الرائعة، ولعله أخذها دون علم منه، عن أنبياء بني إسرائيل، وكتاب المزامير، وأحبار اليهود. بيد أن وضوح خطبه واتجاهها إلى هدفها مباشرة، وروعة خياله وقوَّته، وإخلاصه العظيم، قد رفعت أقواله إلى مستوى الشعر الملهم. ولسنا ننكر أن الغموض يكتنف بعض أقواله، وأن بعضها يبدو لأول وهلة مما يتجافى مع العدالة، وأن منها ما يشتمل على السخرية اللاذعة والحقد المرير، ولكنها كلها تقريباً نماذج في الإيجاز والوضوح والقوة.

وكانت بداية تعاليمه هي إنجيل يوحنا المعمدان، وهذا الإنجيل نفسه يرجع إلى دانيال وأخنوخ، إذ ليس في التاريخ طفرات. ومن أقواله أن ملكوت الله قد حان أجلها، وأن الله سيقضي عما قريب على عهد الشر والخبائث، وأن ابن الإنسان سيأتي «على سُحُب السماء» ليحاسب جميع البشر الأحياء منهم والأموات. ومن أقواله إن الوقت الذي يجب أن يتوب فيه الإنسان من ذنوبه يمر مسرعا، فأما من تاب وأناب، وسلك سبيل العدالة، وأحب الله، وآمن برسوله، فإنه يرث ملكوت السموات، ويسمو إلى القوة والمجد في عالم قد تحرر آخر الأمر من جميع الشرور والآلام والموت.

وكانت هذه الأفكار كلها مألوفة لسامعيه، ولهذا فإن المسيح لم يحددها تحديداً واضحاً، ومن ثم نشأت في وقتنا هذا صعاب جمة سببها ما في هذه الأفكار من غموض. ترى ماذا كان يعني بملكوت السموات؟ أهي سماء خيالية خارجة عن مألوف الطبيعة؟ يخيل إلينا أنها لم تكن كذلك، لأن الرسل والمسيحيين الأولين كانوا على بكرة أبيهم ينتظرون أن توجد مملكة أرضية، وكانت هذه هي الرواية اليهودية التي ورثها عنهم المسيح، ومن أجل هذا كان يعلم أتباعه أن يصلوا إلى الأب قائلين «ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض».

ولم يُنطق إنجيل يوحنا المسيح بقوله إن «مملكتي ليست من هذا العالم» إلا بعد أن خبا هذا الأمل. فهل كان يعني بها حالة روحية أو طوبى مادية؟ لقد كان يتحدث في بعض الأحيان عن ملكوت الله بوصفها حالة من حالات الروح يصل إليها الأطهار المبرؤون من الذنوب ـ «ملكوت الله داخلكم، وكان في أحيان أخرى يصورها كأنها مجتمع سعيد في مستقبل الأيام، حكامه هم الرسل، ويأخذ من أعْطَى أو أُوذي في سبيل المسيح مائة ضعف. ويبدو أنه لم يكن يرى أن ملكوت الله هي الكمال الخلقي إلا مجازاً، وأنه يرى أن هذا الكمال الخلقي إنما هو إعداد لهذا الملكوت وثمن يؤدي للحصول عليه، وأنه هو الحال التي تكون عليها جميع الأرواح الناجية في الملكوت إذا ما تحقق.

ومتى يحين موعد هذا الملكوت؟ قريبا. «الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله». ومن أقواله لأتباعه: «لا تكلموا مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان». ثم أخره قليلا فيما بعد: «إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته»، لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، ومرّت به لحظات رأى فيها من حسن السياسة أن يحذر رسله بقوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا

الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب». وستسبقه علامات: «وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب.. تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن.. يعثر كثيرون ويبغض بعضهم بعضا. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون، ويضلون كثيرين، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. وفي بعض الساعات جعل يسوع مجيء ملكوت الله ينتظر استحالة الإنسان إلها عادلا كما جعله موقوفاً على هذه الاستحالة، وهو يجعل حلول الملكوت عادة عملا من أعمال الله، وعطية ومعجزة يفاجأ بها الناس من قبل العناية الربانية.

يقول ول ديورانت: وقد فهم الكثيرون ملكوت الله بأنه طوبى شيوعية، وحسبوا المسيح ثائراً اجتماعياً. وإنا لنرى في الأناجيل بعض الشواهد التي تؤيد هذا الرأي، منها أن المسيح لا يخفي احتقاره للرجل الذي يجعل همه في الحياة جمع المال والانغماس في الترف فهو يتوعد الفتى البطين بالجوع والشقاء، ويواسي بالتطويبات التي ضمن لهم بها ملكوت الله. ولما سأله شاب غني عما يجب أن يفعله بعد أن حفظ الوصايا قال: «بع أملاكك، وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، و... اتبعني». وعند ديورانت أن الرسل ربما كانوا يفسرون الملكوت بأنه انقلاب ثوري للعلاقات القائمة بين الأغنياء والفقراء، وسوف نراهم هم والمسيحيين الأولين يؤلفون جماعة شيوعية: «وجميع الذين آمنوا كانوا معاً، وكان عندهم كل شيء مشتركا». وكانت التهمة التي أدين من أجلها عيسى هي أنه كان يتآمر ليكون «ملك اليهود».

ولكن في وسع الرجل المحافظ أن يجد في العهد الجديد شواهد يؤيد بها آراءه. منها أن المسيح قد اتخذ متَّى صديقاً له، ومتَّى هو الذي ظل كما كان عاملاً من قبل الرومان، ومنها أنه لم يطعن قط على الحكومة المدنية، ولم يكن له فيما نعلم نصيب في الحركة اليهودية التي تهدف إلى الحركة القومية، وأنه كان ينصح بالكياسة البعيدة أشد البعد عن الثورة السياسية. وقد نصح الفريسيين بأن يعطوا «ما لقيصر لقيصر وما لله لله»،

ولسنا نجد في قصة الرجل الذي «دعا عبيده» قبل سفره «وسلمهم أمواله» أية شكوى من الربا أو الاسترقاق، بل إنها تسلم بهاتين السنتين بوصفهما من الأمور التي لا تقبل الجدل. ويبدو أن المسيح يقر ما فعله العبد الذي استثمر العشر الميقات (٦٠٠ دولار أمريكي) التي عهد بها إليه سيده، فصارت عشرين، وأنه لا يقر عمل العبد الذي تركت له منها واحدة فحبسها ولم يستثمرها حتى يعود سيده من غيبته، ويُنطق هذا السيد بتلك العبارة القاسية: «إن كل من له يُعطى، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه»، وهي خير ما تلخص به أعمال السوق التجارية، إن لم نقل إنها خير خلاصة لتاريخ العالم. وفي قصة رمزية أخرى نرى العمال غاضبين على صاحب العمل الذي يؤجر من عمل ساعة بقدر ما يؤجر الذين ظلوا يكدحون طول اليوم، فينطق المسيح صاحب العمل بقوله: «أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي؟». ويبدو أن المسيح لم يفكر في القضاء على الفقر، لأن الفقراء دائما معه. فهو كالأقدمين جميعا يرى أن من الأمور المسلم بها أنه يجب على العبد أن يخدم سيده على خير وجه: «طوبى لذلك العبد الذي إذا جاءه سيده يفعل هكذا» أي ما كلفه به. وهو لا يرى من شأنه أن يهاجم النظم الاقتصادية أو السياسية القائمة في وقته، بل يفعل عكس هذا فيهاجم ذوي النفوس الثائرة المتحمسة الذين يغتصبون ملكوت السموات. أما الثورة التي كان يفكر فيها فكانت أعمق من هذه الثورة وأبعد منها أثراً، فهي ثورة إذا لم تحدث كانت كل الإصلاحات سطحية سريعة الزوال. فإذا استطاع أن يطهر قلوب الناس من الشهوات الأنانية، ومن القسوة، والفجور، فإن الطوبى تحل، ولا يبقى أثر لتلك النظم التي تنشأ من شره الإنسان وعنفه، وما تستتبعه من الحاجة إلى القوانين. وهذا إذا تم كان أعمق الثورات، التي إذا قيست إليها الثورات جميعها كانت تغيراً موقوتاً يضع طبقة مكان طبقة، وتظل الطبقة الغالبة تستغل الناس كما كانت تستغلهم الطبقة المغلوبة. وبهذا المعنى كان المسيح أعظم الثائرين، أي محدثي الانقلابات في تاريخ العالم.

وليست أهم أعماله أنه يبشر بدولة جديدة، بل أهمها أنه يضع الخطوط الرئيسية لمبادئ أخلاقية مثالية. وكانت تلك المبادئ الأخلاقية هي التي تنبأ بقيامها عندما يحل موعد ملكوت الله، والتي كان يقصد بها أن يكون الناس خليقين بالدخول في هذا الملكوت. ومن ثم كانت تلك «التطويبات» وما فيها من تمجيد للوداعة، والفقر والرقة، والسلام لم يسبق له مثيل، وكانت نصيحته أن يدير الإنسان خده الثاني، وأن يكون الناس كصغار الأطفال (لا مثلا عليا للفضيلة!)، وكان عدم اهتمامه بالشئون الاقتصادية، وبالفقر، وبشئون الحكم، وتفضيله العزوبة على الزواج، وأمره الناس بأن يتخلوا عن جميع الروابط العائلية لم تكن هذه قواعد للحياة العادية، بل كانت نظاماً يكاد يماثل نظام الأديرة يهيء الرجال والنساء لأن يختارهم الله لمملكة مرتقبة، لن تكون فيها شريعة، ولا زواج، ولا علاقات جنسية، ولا فقر، ولا حرب. وقد أثنى يسوع على الذين تركوا «بيتاً، أو والدين، أو إخوة، أو امرأة، وأولاداً» بل أثنى أيضاً على الذين «خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات». وما من شك في أن هذه التعاليم قد وضعت لتسير عليها أقلية دينية ورعة، ولم توضع لمجتمع دائم لقد كانت هذه مبادئ أخلاقية، ضيقة في أغراضها، ولكنها عامة في مجالها، لأنها تطبق فكرة الأخوة والقاعدة الذهبية على الأجانب والأعداء كما تطبقها على الجيران والأصدقاء. وكانت تتطلع إلى زمن لا يعبد فيه الناس الله في الهياكل، بل يعبدونه «بالروح، والصدق» وبكل عمل يعملونه لا بالألفاظ الزائلة.

ترى هل كانت هذه المبادئ الأخلاقية جديدة؟ ليس ثمة شيء جديد إلا الترتيب، وإن الفكرة الرئيسية التي تدور حولها عظات المسيح ـ فكرة يوم الحساب وملكوت الله ـ لهي من الأفكار التي وجدت عند اليهود قبل ذلك الوقت بمائة عام. ولقد نادت الشريعة بأخوة البشر قبل ذلك بزمن طويل. فقد جاء في سفر اللاويين: «تحب قريبك كنفسك» و«كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك». وكان اليهود قد أُمِرُوا في

سفر الخروج أن يحسنوا لأعدائهم، وكان إرميا وأشعيا، قد أشارا عليهم أن يديروا خدهم لمن يلطمهم. وكان الأنبياء أيضاً قد جعلوا الحياة الصالحة أعلى درجة من العداوة أياً كان نوعها، وكان إشعيا وهوشع، قد شرعا يبدلان يهوه من رب الجنود إلى إله الحب، وكان هلل قد صاغ القاعدة الذهبية كما صاغها كنفوشيوس.

وقد ظل المسيح زمناً طويلاً لا يرى في نفسه إلا أنه أحد اليهود، يؤمن بأفكار الأنبياء، ويواصل عملهم، ويجرى على سننهم. فلا يخطب إلا في اليهود. ولما أرسل أتباعه لينشروا إنجيله لم يرسلهم إلا لمدن اليهود: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامرين لا تدخلوا» ومن ثم كان تردد الرسل بعد موته في أن يحملوا «الأنباء الطيبة» إلى عالم «الكفرة» ولما التقى بالسامرية عند البئر قال لها إن «الخلاص لهو من اليهود»، وإن لم يكن من حقنا أن نحكم عليه من أقوال لعلها قد تقولها عليه إنسان لم يكن حاضراً معه، أو كتبها بعد ستين عاما من الحادثة التي قيلت فيها. ولما طلبت إليه امرأة كنعانية أن يشفي ابنتها أبى في أول الأمر وقال: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». وقال للأبرص الذي شفاه من علته «اذهب وأر نفسك للكاهن وقدم القربان الذي أمر به موسى»: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، لكن حسب أعمالهم لا تعملوا»، ولما عرض يسوع أن تعدل الشريعة اليهودية، سار على سنة هلل فلم يفكر في أنه ينقض هذه الشريعة: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» «ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس».

لكنه مع هذا قد بدل كل شيء بقوة أخلاقه وشعوره. فقد أضاف إلى الشريعة اليهودية أمره إلى الناس بأن يستعدوا للدخول في الملكوت بأن يحيوا حياة العدالة، والرأفة والبساطة. وزاد الشريعة صرامة في مسائل

الجنس والطلاق، ولكنه خففها بأن كان أكثر استعداداً للعفو، وذكر الفريسيين أن السبت قد وضع لخير الإنسان، وخفف الشروط الموضوعة على الطعام والطهارة، وحذف بعض أوقات الصوم، وأعاد الدين من المراسم والطقوس إلى الصلاح والاستقامة، وندد بالجهر بالصلوات، والتظاهر بالصدقات، والاحتفالات الفخمة بالجنازات، وترك الناس أحياناً يظنون أن الشريعة اليهودية سوف تمحي حين تحل الملكوت.

هذا ويستطرد ديورانت ويتوسع ويقول: وقد قاوم اليهود على اختلاف شيعهم هذه الإصلاحات عدا الإسينيين، وكان الذي أغضبهم بنوع خاص ما ادعاه لنفسه من حق العفو عن الخطايا والتحدث باسم الإله. وقد هالهم أن يروه يختلط بعمال رومة المبغضين، وبالنساء ذوات السمعة السيئة. وكان كهنة الهيكل وأعضاء السنهدرين يرقبون نشاطه بعين الريبة، ويرون في هذا النشاط ما كان يراه هيرودس في نشاط يوحنا وهو أنه ستار يخفي تحته ثورة سياسية، وكانوا يخشون أن يتهمهم الحاكم الروماني بأنهم يتحللون مما هو مفروض عليهم من تبعات ليحافظوا بذلك على النظام الاجتماعي.

وقد أوجسوا في نفوسهم خيفة من وعد المسيح بتدمير الهيكل، ولم يكونوا واثقين من أن هذا التدمير إنما هو تدمير مجازي لا يقصد به حرفيته. أما المسيح نفسه فقد ندد بهم تنديداً شديداً.

«الكتبة والفريسيون... يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس، فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع.. لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون.. أيها القادة العميان... أيها الجهال والعميان! تركتم أثقل الناموس ـ الحق والرحمة والإيمان... تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة.. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة!.. تظهرون للناس

أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء ونفاقا.. إنكم أبناء قتلة الأنبياء، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم! أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم؟... إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله».

ترى هل كان يوحنا عادلا في حكمه على الفريسيين؟ أكبر الظن أنه كان من بينهم من يستحقون هذا التقريع، وأن منهم كثيرين كانوا يفعلون ما فعله المسيحيون بعد بضعة قرون من ذلك الوقت فيستبدلون بطهارة النفس مظاهر التقى الخارجية. غير أنه كان من بين الفريسيين كثيرون يرون أن الشريعة يجب أن تخفف وأن تكون أكثر إنسانية مما هي. ولعل عددا كبيراً من هذه الطائفة كانوا رجالا مخلصين، وأشرافاً ظرفاء إلى حد كبير، يشعرون بأن القواعد الشكلية التي أغفلها يسوع يجب ألا يحكم عليها مستقلة عن غيرها من القواعد، بل يجب أن تؤخذ على أنها جزء من الشرائع التي ساعدت على جمع كلمة اليهود، وبعثت فيهم العزة والأدب وسط عالم يبغضهم ويعاديهم. وكان بعض الفريسيين يعطفون على عيسى، وقد جاؤوه ليحذروه من المؤامرات التي كانت تدبر لاغتياله، ولقد كان نقوميدس Nicomedus أحد المدافعين عنه من أغنياء الفريسيين.

وحلت القطيعة الأخيرة بين عيسى وبينهم حين بدأ يعتقد أنه هو المسيح المنتظر، ويعلن هذا في صراحة ووضوح. لقد كان أتباعه ينظرون إليه في أول الأمر على أنه خليفة يوحنا المعمدان، ثم أخذوا يعتقدون شيئاً فشيئاً أنه هو المنقذ الذي سيرفع نير الرومان عن اسرائيل، ويبسط حكم الله على الأرض. ولما أن سألوه «قائلين يارب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ لم يجبهم إلا بقوله» «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الرب في سلطانه» وأجاب جواباً شبيهاً بهذا الجواب في غموضه حين سأله رسل من عند المعمدان هل هو المسيح المنتظر؟ وأراد أن يخرج من عقول أتباعه فكرة أنه مسيح سياسي فأنكر كل ادعاء بأنه من نسل داود. لكن يلوح أن ترقب أتباعه وآمالهم القوية، وما تبينه من قواه

النفسية غير العادية قد أقنعاه تدريجا بأنه رسول من عند الله جاء ليعد الناس لحكم الله في الأرض لا ليعيد سيادة اليهودية، ولم يقل (في الأناجيل الثلاثة المتشابهة - متى، ومرقس، ولوقا) إنه هو والأب إله واحد أو يسوى نفسه به، فقد سأل أتباعه: «لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحداً صالحاً إلا واحد وهو الله وقال وهو يصلي في جتسماني: «ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت». وقد أخذ لفظ «ابن الإنسان» الذي جعله دانيال مرادفاً للفظ المسيح، واستعمله في بادئ الأمر دون أن يقصد به نفسه في وضوح ثم انتهى آخر الأمر بإطلاق هذا اللفظ على نفسه في مثل قوله: «فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» - وهي عبارة رآها الفريسيون تجديفا في حق الله. وكان يدعو الله باسم «الأب» دون أن يقصد بهذا في بعض الأحيان أباه هو نفسه، بيد أنه أحياناً أخرى يقول: «أبي». ويبدو أنه يقصد بهذا أنه ابن الله بصفة أو درجة خاصة. وقد ظل وقتاً طويلاً ينهي أتباعه عن أن يسموه المسيح، ولكنه في قيصرية فلبس رضى بقول بطرس إنه «المسيح ابن الله الحي». ولما اقترب من أورشليم في آخر يوم اثنين قبل وفاته ليوجه آخر دعوة إلى الناس، حياه «جمهور التلاميذ» «قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب»، ولما طلب إليه بعض الفريسيين أن ينتهر تلاميذه من أجل هذه التحية رد عليهم بقوله: «إنه لو سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ». وقد جاء في الإنجيل الرابع أن الجماهير حيته بقوله إنه «ملك إسرائيل». ويبدو أن أتباعه كانوا لا يزالون يعتقدون أنه مسيح سياسي سيقضي على سلطان الرومان ويجعل الكلمة العليا لليهودية. وكانت هذه الأصوات والتحيات هي التي قضت على المسيح الذي تنقل سيرته الأناجيل بأن يموت ميتة الثوار.

بولس ودوره في تأسيس المسيحية

ولد واضع اللاهوت المسيحي في طرسوس من أعمال كليكيا حوالي السنة العاشرة من التاريخ الميلادي. وكان أبوه من الفريسيين، ونشأ ابنه على مبادئ هذه الشيعة الدينية المتحمسة، وظل رسول الأمم طوال حياته يعد نفسه قريباً حتى بعد أن نبذ الشريعة اليهودية. كذلك كان والده مواطناً رومانياً، أورث ابنه هذا الحق الثمين. وأكبر الظن أن اسم بولس كان هو اللفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاول، ولهذا ظل الاسمان يطلقان على هذا الرسول منذ طفولته. ولم يتلق تعليما راقياً ولم يدرس الكتب اليونانية لأن الفريسيين على بكرة أبيهم لم يكونوا يسمحون بأن يتأدب أبناؤهم بهذا الأدب اليوناني الخالص، ولو أن كاتب الرسائل درس اليونانية لما كتبها بهذا الأسلوب الركيك. على أنه عرف كيف يتحدث بهذه اللغة بطلاقة تمكنه من أن يخاطلب بها المستمعين له من الأثينيين، وأن يشير أحياناً إلى بعض الفقرات المشهورة في الأدب اليوناني. ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس. فهو يستعمل اللفظ الرواقي نيوما (neuma) أي النَّفَس للدلالة على المعنى الذي يستعمل فيه مترجموه الإنجليز لفظ Spirit (الروح). وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية أتباع للأورفية، وغيرها من العقائد الخفية، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم، ثم قام من قبره، وإنه إذا دعى بإيمان حق، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة. وهذه الأديان الغامضة الخفية هي

التي أعدت اليونان لاستقبال بولس، وأعدت بولس لدعوة اليونان.

وبعد أن تعلم الشاب حرفة صنع الخيام، وتلقى العلم في المجمع الديني القائم في المدينة، أرسله أبوه إلى أورشليم وهناك كما يقول بولس نفسه: «تعلم عند قدمي عمالاثيل على طريقة الناموس الدقيقة». وكان المشهور عن عمالاثيل أنه حفيد هلل، وقد خلفه في رياسة السنهدرين. وواصل السنَّة القديمة سنة تفسير الناموس تفسيراً ليناً راعى فيه ضعف النفس البشرية. غير أن الفريسيين الذين كانوا أكثر منه تزمتاً هالهم أن يجدوه ينظر نظرة الإعجاب والتقدير للنساء الوثنيات أنفسهن. وقد بلغ من علمه أن اليهود الذين يجلون العلماء أعظم الإجلال، أطلقوا عليه اسم «جمال الناموس»، ولقبوه بما لم يلقب به إلا ستة رجال من بعده وهو «الربان» أي سيدنا. واتخذ بولس عنه وعن غيره تلك الطريقة الحصيفة، والجدلية السوفسطائية في بعض الأحيان، في تفسير الكتاب المقدس، وهي التي ترى واضحة في التلمود. وقد بقي بولس إلى آخر أيامه يهودياً في عقله وخلقه على الرغم من تعلمه أوليات الهلنيية، ولم ينطق بكلمة يشتم منها أنه يشك في أن شرائع موسى موحى بها من عند الله، وظل يعتقد في عزة وفخار كما يعتقد اليهود أن اختيار الله وحده هو طريق النجاة.

وهو يصف نفسه بقوله: «في الحضرة ذليل بينكم» ويزيد على ذلك: «ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع» ولا يزيد في وصف نفسه على هذا. وتصوره الروايات المأثورة وهو في سن الخمسين رجلاً زاهداً متقشفاً مقوس الجسم، أصلع الرأس، ملتحياً عريض الجبهة، أصفر الوجه صارمه، نفاذ العينين. وعلى هذا النحو تخيله درور في صورة تعد من أروع آيات الفن في العالم كله، ولكن الحقيقة أن هذه الصور التي تمثله أدب وفن لا تاريخ.

أما عقله فكان من طراز شائع كثيراً بين اليهود: كان فيه من نفاذ البصيرة وشدة الانفعال أكثر مما فيه من الدماثة والظرف، وكان فيه من الإحساس القوي والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية

إلى الأشياء. وكان قوياً في العمل لأنه كان ضيق التفكير. وكان رجلا «أسكرته النشوة الإلهية» أكثر مما أسكرت اسبنوزا نفسه، يلتهب صدره بالحماسة الدينية بالمعنى الحرفي للفظ الالتهاب ـ لقد كان صدره ينطوي «في داخله على الإله» نفسه.

وكان يعتقد أنه ملهم موحى إليه قادر على فعل المعجزات. وكان على هذا ذا طبيعة عملية، قادراً على الجلد والتنظيم، صبوراً إلى أقصى حد في تأسيس العشيرة المسيحية والمحافظة عليها. وكانت عيوبه وفضائله شديدة الصلة بعضها ببعض لا غنى لكلتيهما عن الأخرى شأنه في هذا شأن الكثيرين من الرجال. فقد كان شجاعاً مندفعاً، متعسفاً حاسماً في أحكامه، مسيطراً مجداً، متعصباً مبتدعاً، فخوراً أمام الناس متواضعاً لله، عنيفاً في غضبه قادراً على أن يستشعر أرق الحب والرحمة، يشير على أتباعه أن يباركوا من يضطهدونهم، ولكنه يتمنى لأعدائه الذين يختتنون أن «يُقَطّعوا أيضاً». وكان يدرك أسباب ضعفه، ويحاول الخلاص منها، ويقول لمن هداهم «ليتكم تحتملون غباوتي قليلا». وتلخص الحاشية التي كتبت على رسالته الأولى لأهل كورنثوس أخلاقه حين تقول: «السلام بيدي أنا بولس، إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن أنا ثيما! ماران أثا! نعمة الرب يسوع المسيح معكم، محبتي مع جميعكم». لقد كان الرجل ما لابد أن يكون لكي يستطيع أن يفعل ما فعل.

وبدأ بمهاجمة المسيحية دفاعا عن اليهودية، وانتهى بنبذ اليهودية دفاعا عن المسيح. وكان في كل لحظة من لحظاته داعيا ورسولا. فلما هاله احتقار اصطفانوس للناموس انضم إلى قتلته، وتزعم الاضطهاد الأول للمسيحية في أورشليم، ولما سمع أن الدين الجديد أصبح له في دمشق أتباع كثيرون «تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم» (٣١؟م). ولربما كان تحمسه لاضطهادهم ناشئا من شكوك خفية سرت وقتئذ في نفسه، وكان في مقدروه أن يقسو، ولكن هذه القسوة

لم تكن من النوع الذي لا يعيقه ندم. ولعل منظر اصطفانوس وهو يرجم بالحجارة حتى يموت، ولعل لمحات من ذكريات الشباب ـ ذكريات صلب المسيح ـ كانت تعود إلى خياله فتضطرب بها ذاكرته وتثقل عليه في سفره، وتهيج خياله. ولما اقتربت جماعته من دمشق، كما جاء في سفر أعمال الرسل:

«فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت ياسيد؟ فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده... وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً. فنهض شاول من الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، وبقى ثلاثة أيام لا يبصر. وليس في وسع أحد أن يعرف العوامل التي أحدثت هذه التجربة وما أعقبها من انقلاب أساسي في طبيعة الرجل. ولعل ما قساه من التعب في سفره الشاق الطويل في شمس الصحراء اللافحة، أو لعل ومضة برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعل شيئا من هذا أو ذاك كله قد أثر في جسم ضعيف ربما كان مصابا بالصرع، وفي عقل يعذبه الشك والإجرام، فدفع بالعملية التي كانت تجرى في عقله الباطن إلى غايتها، وأصبح ذلك المنكر الشديد الانفعال اقدر الداعين إلى مسيح اصطفانوس. وكان الجو اليوناني الذي يحيط به في طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية، كما كانت علوم بني جنسه من اليهود تتحدث عن حياة (مسيح) منتظر، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية العجيبة الغامضة الفتانة، الذي لا يتردد الناس في استقبال الموت من أجله، هو ذلك المسيح المنتظر؟ فلما أحس في آخر سفره وهو لا يزال ضعيفاً وأعمى بيدي يهودي مهتد، رحيمتين، تلمسان وجهه وتسكنان ألمه «فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال وقام واعتمد، وتناول طعاما فتقوى». وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها إن عيسى ابن الله.

العبادات المسيحية ودلالتها

كذلك من علامات التعجب ما نطالعه من عقائد النصارى حين يقرؤون في الصلاة الأولى التي يسمونها صلاة السحر وصلاة الفجر من قولهم: (تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلهنا أيها الرب خروف الله ارحمنا، أنت وحدك القدوس المتعالي، أيها المسيح الرب إنّا بكل يوم إلى الأبد).

والجدير ذكره أن النصارى يزعمون أن الصلوات المفروضة عليهم في كل يوم سبع صلوات كما يعتقدون بذلك في ضوء ما ورد في المزامير الإصحاحين ١١٨/ ١٦٤ وكما جاء في كتاب قوانين الرسل، وذلك على الرغم من أن كثيراً منهم يرون أن الانتظام في الصلاة توجيه اختياري لا إجباري، وتنقسم الصلاة عندهم إلى فردية وجماعية، وأوقات الصلوات السبع وأسباب تخصيصها وردت في مصادر عقائدهم كالآتي:

١ ـ صلاة باكر (الفجر) رتبت وقت شروق النور عند الفجر أي عند القيام من النوم وفيها شكر الله على حراسته لهم في ما مضى من الليل ويسألونه أن يحفظهم في هذا اليوم بغير خطيئة.

٢ ـ صلاة الساعة الثالثة وهي عندهم (حوالي التاسعة صباحاً) لأنه في الساعة الثالثة من النهار حلَّ الروح القدس على التلاميذ الأطهار.

٣ ـ صلاة الساعة السادسة وهي عندهم (وقت الظهر تقريباً) لأنه فيما يعتقدون في تلك الساعة صُلِب المسيح وسُمِّرت يداه ورجلاه فينبغي الصلاة فيه ليساعدهم المسيح على النصرة في جهادهم.

٤ ـ صلاة الساعة التاسعة (حوالي الرابعة بعد الظهر) ورتبت في هذا الوقت لأنهم يعتقدون أن يسوع المسيح نادى بصوت عظيم: (يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح...). ومن هنا فإنهم يصلون ليصنع معهم رحمة.

٥ ـ صلاة الغروب: وقد رتبت شكراً لله على حفظه لهم طول النهار ومباركته أعمالهم ويسألونه أن يحرسهم.

٦ ـ صلاة نصف الليل: وهي رتبت عندهم شكراً لله الذي أجاز النهار بسلام ويسألونه أن يجيز الليل بسلام، وهي تكون حيث يكون الهدوء من قلق العالم.

ويزعمون بأن هذه الصلوات كانت شائعة منذ القرون الأولى، والجدير ذكره أن صلاة نصف الليل تتكرر عندهم مرة عند نصف الليل للشكر والسؤال والمرة الثانية وهي أشبه بأن تكون الصلاة السابعة في نصف الليل أيضاً حيث يكون الهدوء من قلق العالم.

وذلك على ضوء ما جاء في ترانيم ومدائح منتخبة (للكنيسة القبطية) وما جاء في قصة الكنيسة القبطية لإيزيس حبيب.

وهذه الصلوات صرحوا فيها وأكدوا على أن المسيح هو الله الرب، وأنه وحده المتعالي المبارك إلى الأبد وهذه العقائد التي تبرز في الصلوات تخالف السياق العام لما جاء في العهد القديم ومواضيع كثيرة في العهد الجديد، فمثلاً: جاء في متى الإصحاح ١٩/ ١٧: أن المسيح قال: (لا يقدر أحد أن يعبد ربين) كما قال: (لا صالح إلا الله الواحد) كما نسب لوقا إلى المسيح قوله لليهود في الإصحاح ١٦/ ١٥،١٦: (أنتم تمجدون نفوسكم ولا تمجدون الله)، وقد جاء عند متى أيضاً في الإصحاح ١٩/ ١٧: أن المسيح سئل عن القيامة فقال: (لا يعرفها إلا الله وحده)، وجاء عند يوحنا في الإصحاح ١٧/ ٣: أن المسيح: (رفع وجهه إلى السماء وقال: أنت الإله الحق وحدك).

وفي ضوء ذلك كله إضافة إلى ما جاء في المزامير والنبوات كما هو في مزمور ١٨/ ٣٠،٩١: (... لا إله إلا الرب لا عزيز مثله)، أقول هذه الصلوات التي أتينا على ذكر أهمها تنص على عبادة رجل من بني آدم فإنها تكون باطلة لا تحقق عبودية ولا تؤدي قرباناً.

والعجيب الغريب أن المتأمل يطالع مفارقات عجيبة منها مثلاً: أن النصارى يقرؤون في صلاة السادسة: (يا من سمرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التي تجرأ عليها آدم، إخرق العهدة المكتوب فيها خطايانا وخلّصنا، يا من سُمِّر على الصليب وبقي حتى لُصِقَ على الخشبة بدمه قد أحببت الممات لموتك، أسألك بالمسامير التي سمرت بهم، نجني يا الله)، فإن مثل هذه القراءة لا تصلح أن تكون ديناً فإن توهم تحقيق مراد النصارى بمثل هذه الصلاة، لا يتحقق وذلك لأن آدم أُبِيحَ له أكل شجر الجنة وقيل له: كُلْ ما أحببت خلا شجرة معرفة الخير والشر فإنك في اليوم الذي تأكل تموت موتاً، فلما أكل وخالف أمر ربه وجب الحكم أن يموت موت الخطيئة لا موت الطبيعة، فلما ورد عليه العتاب والتوبيخ على ضوء ما يقولون أَسِفَ ونَدِمَ، وأنه تعالى تاب عليه، فلطف به وبعث المسيح فصام بدلاً من أَكْل آدم حين تناول الشجرة، وصُلِبَ على خشبة، وسُقِيَ المرار عوضاً لالتذاذ آدم بحلاوة أَكْلِه من الجنة، ومات على الصليب بدلاً عن الموت الذي كان الله يهدد به آدم، وهذه دعوى لا برهان لهم عليها، ولو ادعاها بعض الناس لبعض من صُلِب في الدنيا قبل المسيح أو بعده لما وجد النصارى إلى ردهم سبيلاً.

وكيف تستقيم هذه العقائد وقد جاء في الأسفار النبوية التي يعتقدونها كما هو عند حزقيال في الإصحاح ١٨/ ٢٠: أن المسيح أخبر أنه لا حاجة للقتل والصلب بل من تواضع لله ولم يتكبر كفاه ذلك وخلصه، والعجب هو كيف تحكم النصارى بصحة توبة آدم، حين يقولون: إن ذريته مأخوذون بجريرته وقد رووا في بعض النبوءات أن الله لا يأخذ الولد بذنب والده ولا

الوالد بذنب ولده، وكما نسبوا إلى حزقيال: (...طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطئ عليه تكون)، فإذا ما أُضيف إلى تلك النصوص التي ترفض ما جاء في هذه الصلوات من عقائد تتعلق بالصلب فإن ما جاء في صلاة الساعة التاسعة يؤكد لنا سُقم المعتقدات التعبدية التي وضعها النصارى لأنفسهم، فصلاة الساعة التاسعة مثلاً جاء فيها على ضوء ما وردت في كتاب العبادات المسيحية: (يا من ذاق الموت من أجلنا في الساعة التاسعة إليك ابتهالنا، يا من سَلَّم نفسه إلى الآب لما عُلِّق على الصليب لا تغفل عنا، يا مَنْ أجلنا وُلِد من العذراء، واحتمل الموت، لا تخيِّب من خلقت بيديك واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذي عاهدت عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب).

والعجب يزداد ويشتد عند من يتأمل كلمات (يا من ذاق الموت من أجلنا) إذا عَلِم أن القتل والصلب لا أصل لهما إذ الخلاص الذي قُتِلَ لأجله المسيح لا حقيقة له ولا وقف عقل على نبأه إلى اليوم.

وأما صلاة نصف الليل الثامنة فقد جاء فيها (تبارك الرب إله آبائنا وفوق المتعالي إلى الدهر، تبارك مجدك القدوس فوق المسيح وفوق المتعالي إلى الدهر، مبارك أنت فوق المسيح وفوق المتعالي إلى الدهر) فإنهم قد كرروا هذه الفوقية في هذه الصلاة مرات، فوصفوا الله تعالى بأنه فوق المسيح وفوق من هو أعلى من المسيح، وذلك يناقض ما جاء في صلاة النوم التي يقولون فيها: (إن المسيح نظير الله في الابتداء، وأن روح القدس مساويه في الكرامة)، فإن كان الله هنا فوق المسيح بطل قولهم في السابق إنه نظيره، وإن كان المسيح نظير الله بطل أن يكون فوقه، وفي ضوء ذلك لا بد عقلاً ونقلاً من إبطال أحد القراءتين ضرورة الوفاء بالأخرى لأن الاعتقاد بالفوقية تشويش للثالوث وإبطال لعقيدته.

تحريف رجال اللاهوت للكتاب المقدس

من نافلة القول التأكيد هنا على أن العهد الجديد امتلأ بجملة محرمات كما دعا إلى جملة أوامر، قد حرم مثلاً أكل الميتة، والدم، والخنزير، والنطيحة، والموقوذة، والمنخنقة، والقردة، والشحوم التي لا تختلط باللحم، والأرانب، والأسد، والدب، واللب، والفرس، والبغل، والحمار، وكل دابة ليست مشقوقة الحافر. ومن الطير: البازي، والعقاب، وكل طير يبغى بالمخالب، ومن حيوان المآكل: حوت ليس له «سفانق».

كما جاء في العهد القديم منع حرث الثور مع الحمار، وحمل الخيل على الحمير، والحمير على الخيل، وطبخ الجدي في لبن أمه، وأخذ الطير في أعشاشها بفراخها، وأكل الجزارة الملتصقة رئتها، وأكل الخبز المختمر في الفصوح، ولا يقرب قربانا إلا بخبز فطير، ومنع شحوم البقر، وشحم الشاة، ومنع قربان الحمام واليمام.

فهذه المذكورات كلها محرمة بنصوص العهد القديم التي لا تقبل التأويل، إذ قد عملت أنبياء بني إسرائيل على مقتضاها، ولم يغيروا شيئا منها.

وكذلك عيسى عليه السلام لم يغيرها عن مقتضياتها، ولا نسخها، بل أقرها بالعمل، وأمر بمقتضاها. في ضوء ما أوثر عنه من أنه ما جاء لينقض الناموس أي الوحي، بل ليتممه ويكمله.

وإن ادعوا نسخ شيء منها، فإن البداهة قاضية بأن يسأل علماء اللاهوت بدليل النسخ وبالعقل والبساطة فإنهم لا يجدون سبيلا إلى ذلك. ومع ذلك فقد تركوا العمل بما أمر الله به، وارتكبوا ما نهى الله عنه. واللافت

للنظر أن بعض علمائهم ذهب يذكر بعض المحرمات ثم تأولها بزعمه بحيث أحل الحرام وحرم الحلال. والعجب العجاب أنهم يعلمون أنهم مفترون، ويكذبون على رب الأرباب. فمثلاً راح يفسر الميتة التي في التوراة بمعنى يقول فيه: إن الميتة التي في التوراة يعنى بها: ألا تميتوا الأحياء، ولا تغمطوا الحق في الشهادة، ولا ترفعوا الطعام، وتمنوه السائل والجائع. فأما الميتة والمنخنقة، فما في أكلها غبطة، لذي عقل، فمن شاء أكل، ومن شاء ترك. وأما الدم فيعنى به ألا يقتل أحد بريئا، ويهريق دمه، وعنى بالخنزير: الزنا، والكفر بالله، إذ المعروف من الخنزير: الالتطاخ في المطائق، فنهانا عن فعله، وأما أكله. فما فيه منفعة ولا مضرة، فمن شاء أكله، ومن شاء تركه، وعنى بالنطيحة ألا يتناطح ملك جبار، وفقير مسكين، وعنى بالموقوذة ألا تزدرى بمن هو تحت ظلم غيرك. وعنى بالمنخنقة ألا تخنق أحدا، إذا كان لك قبله حق فتضايقه، وعنى بالقردة ألا تحاكي أحدا، فتفعل كفعلها، وعنى بالدب واللب ألا تأكل مع غيرك بالهجم والغارة. وعنى بالأرانب ألا تفعلوا فعل الأرانب، فتكونوا كقوم لوط. فإن الأرانب الذكور يأتي بعضها بعضا لكثرة شهوتها.

وعنى بالبازي، والشدانق، والعقاب، وكل طير يبغي بمخلبه: ألا يقتل أحدا، ولا يهريق دم أحد، ولا يغلب أحدا على متاعه، ولا تحسد جارا فتفعل كفعلها، وعنى بالدابة التي ليست مشقوقة الحافر: الكفرة، الذين يعبدون الأوثان، ويسبحون لها أيام حياتهم، ولا يقسمون أيامهم مشاطرة.

وعنى بالحوت الذي ليس له سفانق: الإنسان المذنب الذي يتلون في دينه، وعبادته، وعنى بحرث الثور مع الحمار: الإنسان الكافر، وعنى بحمل الخيل على الحمير، والحمير على الخيل، ألا يتزوج الكافر مؤمنة ولا المؤمن كافرة.

وعنى بالجدي في لبن أمه: الا تأخذ مال اليتيم ظلما، وعنى

بالملتصقة الرئة: الإنسان الحسود، الحقود، الذي يوسوس الشر في صدره، طول حياته، وعنى بالخبز المختمر: ألا ينفخنا الشيطان، ويهيج فينا الكبرياء. وعنى بالفطير: أن تكون أنفسنا ضامرة بلا انتفاخ.

وعنى بالحمام واليمام: المؤمنين الذين جعلوا أنفسهم لله قربانا» ا.هـ.

ثم قال: «فهذا هو المراد بتحريم هذه الأشياء. وأما تلك المذكورات بأعيانها، فمن شاء أكلها، ومن شاء تركها»(١). ونستطيع القول: هذا مذهب معظم النصارى أجمعين، ولا يأباه أحد منهم إلا الأقلين. وهنا سؤال يطرح نفسه وهو يوجه لشارحي ومتناولي نصوص الكتاب المقدس. ونقول لهم: ما الذي حملكم على أن حرفتم كتاب الله. وغيرتم شرع الله، فأحللتم ما حرم عليكم من غير دليل، وصرتم إلى تأويل، لم تضمكم إليه ضرورة عقل ولا معارضة قول رسول؟ فيا للعجب ما الذي أذهب أذهانكم، وضيع أفهامكم قد فهمتم من كتاب رب العالمين ما لم يفهمه أحد من النبيين، بل قد زاد فهمكم على فهم موسى بن عمران، وعيسى عليهما السلام، إذ كانا قد عملا على تحريم ما فهمتم أنتم تحليله من الأحكام.

لكن الذين حدث أن النصارى عملوا من فترة طويلة إلى زمان بولس المفسد لدين المسيح، الذي جاءكم بمكر خالص، وكفر صريح. فتلقيتم منه هذيانه، ولم تعرفوا شأنه، فحرفتم كتاب الله وانحرفتم عن الدين القويم، دين المسيح، حين حرف الدين. الذي لم تروا منه أثرا، ولا سمعتم له خبرا.

ثم نقول: يامعشر المحرفين لكتاب الله ـ التوراة والإنجيل ـ أخبرونا: هل كان موسى بن عمران، وعيسى بن مريم، ومن بينهما من أنبياء بني إسرائيل، علموا من هذه الأحكام ما علمتم أنتم أم لا؟ فإن كانوا قد علموا

(١) انظر الإمام القرطبي في كتابه الواسع: «الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن دين الإسلام»، صفحات ٣٩٨ ـ ٤٢٠.

فما بالهم نصوا على خلاف ذلك. وحكموا بتحريم تلك الأشياء. فلم يرو قط عن واحد منهم: أنه أكل خنزيرا، ولا ميتة، ولا دما، ولا شيئاً مما ذكر تحريمه، وأنتم تقولون هذا، وتساعدون عليه. فكيف يمتنعون من أكل ما يحل لهم، ثم يصرحون بتحريمه؟ فعلى هذا يلزمكم أنهم كذبوا على الله ولبسوا في أحكام الله. إذا كانوا علموا تحليل تلك الأشياء، ثم صرحوا بتحريمها، والنهي عنها. وإن لم يعلموا شيئا مما علمتموه أنتم. فمن أين علمتموه أنتم؟ أشافهتكم بذلك الملائكة، أم أرسل إليكم بذلك رسل أخر؟ أم خلق لكم بذلك علم ضروري؟ وكل ذلك لا تقدرون على ادعائه، فلم يبق إلا أنكم جاهلون بشرع الله، محرفون كتاب الله، كاذبون عليه، ومتهاونون برسله، وستقفون بين يديه، ويسألكم عما افتريتم عليه فتحيط بكم النيران، وتجركم على وجوهكم إليها ملائكة غلاظ شداد لا يطيقهم إنسان.

ثم لابد هنا من أن نتأمل منهج القوم في التحريف، إنه إن جاز أن نتأول ألفاظ الشارع، وكلماته من غير ضرورة داعية إلى ذلك، وندفع النصوص بالتحكم، بطلت الكتب كلها والألسنة، ولم يقدر واحد أن يفهم منها شيئا. إذ كل لفظ يتكلم به متكلم يمكن صرفه عن بابه، وعن موضوعه الأصلي ونصابه.

وإذا أمكن ذلك لم تقدروا على أن تثبتوا نبوة عيسى على اليهود، بما قدمتم. فإن من النصوص عندكم كلام للأنبياء ينص على نبوة بعض الأنبياء مثل قول يعقوب: «لا ينقطع قضيب الملك من نسل يهوذا، حتى يأتي المسيح»(١). فيسوغ لليهودي أن يقول: إنما عنى بالملك: دينهم، الذي ورثوه عن كتابهم وأنبيائهم. ولم يعن الملك الذي هو الإمارة والولاية. وقد يسمى الدين: الملك. وقد جاء في العهد القديم حديث ينسب لإبراهيم:

(١) سفر التكوين: ٤٩ : ١٠ ـ وتترجم حاليا كلمة المسيح بـ «شيلون».

«الملوك من صلبك يخرجون»[١] وإنما أراد بذلك الأنبياء، وأهل الدين. ولم يرد بذلك الأمراء فقط.

وعلى هذا التأويل تحاجكم اليهود، ويقولون لكم: هذا ديننا باق، لم ينقطع، فإنا نقيم التوراة وأحكامها، فلم يأت بعد المسيح. وهذا التأويل في هذا الموضع أسوغ مما تأولتم به أنتم أحكام التوراة.

فإن أنكرتم هذا التأويل، أنكروا تأويلكم، وخطؤوكم، وشهدوا عليكم أنكم غيرتم كتاب الله، وحرفتموه.

هذا ما جنى عليكم تأويلكم، إذ قد شككتم في مسيحكم.

يقول الإمام القرطبي: ولو شئنا لأبدينا لكم من التأويلات، وأريناكم من المناقضات أكثر من هذا لفعلنا. ولا يصح أن يقول قائل منهم: إن تحريم هذه المحرمات كلها التي تثبت في التوراة: نسخ. بقول عيسى في الإنجيل: «ليس ينجس المرء، ما يدخل فاه. وإنما ينجسه ما يخرج من فيه»[٢] لأنا نقول: قول عيسى هذا إذا سلم مفهومه، نفي التنجيس، لا نفي التحريم، إذ هما حكمان متغايران مختلفان فإن الحكم بتحريم هذه المذكورات إنما يرجع إلى منع أكلها. ثم يجوز أن نتناول بالأخذ والاعطاء وأنواع من التصرفات، كما نقول في الحمار الأهلي والبغل. فإنه يحرم علينا أكله، ويحل لنا تصريفه في أنواع من المنافع غير الأكل. والحكم بالتنجيس: إنما يرجع لمنع التناول مطلقا. أعني يمتنع فيه الأكل والتصرف.

هذا إذا كان ذلك النجس محكوما بنجاسته مطلقا. فإن حكم بنجاسته في حال دون حال. كان ذلك. وصح أن يقال عليه أيضاً: نجس. مثال

(١) سفر التكوين: ١٧ : ٦.

(٢) إنجيل مرقص ـ الاصحاح السابع ـ الفقرة الخامسة عشر.

ذلك: أن محكم الشرائع بأن العذرة نجاسة يحرم علينا أن نصلي بها، فلا يجوز أن نصلي بها ولا نحملها في تلك الحال. ويجوز لنا أن نتناولها ونحملها في غير حالة الصلاة. فقد بان الفرق ما بين الحكم بالتنجيس، والحكم بالتحريم. ثم لو سلمنا أنهما اسمان للتحريم، لما كان لتأويلكم الفاسد معنى لطيف. فلأي معنى تأولتم، وقلتم ما لا يصلح حمل اللفظ عليه، ولم لم تقولوا: إنه منسوخ. فهذا خطأ آخر وجهل لا يبوء به إلا من كان مثلكم، فإنه جمع بين التأويل والنسخ. وهما متناقضان.

فإن معنى التأويل: أن اللفظ المؤول معمول به على وجه، ومعنى النسخ: أن المنسوخ مرفوع الحكم على كل وجه، غير معمول به أصلا. وتحرير الموضوع وخلاصته أن هؤلاء القوم متحكمون بأهوائهم في دين الله، تاركون للعمل بكتاب الله، وسنن رسل الله ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2].

---

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) البقرة: ٧٩.

الفصل العاشر

- بولس والمسيحية
- بولس داعية المسيحية الأول
- تنصر بولس وتحوله
- نفور التلاميذ من بولس
- بولس المبشر والداعية
- بولس والعالم الديني

بولس والمسيحية

لم تكن الدعوة التي أطلقها بولس بألوهية المسيح دعوة عشوائية ولكنها صممت وفقاً للواقع الجغرافي الذي سيتم جلاء المسيحيين إليه. وهذا الواقع على سهوله ووديانه تنصب الأصنام التي تتخذها الأمم آلهة لها. وقد يظن البعض أن الذي جاء به بولس له ملامح من عقيدة المسيح. ولهؤلاء نقول: إن هذا تفكير سقيم لا يستند إلى أصول تطرح على مائدة البحث العلمي(١).

---

(١) جاء في تاريخ الكنيسة [.. لقد مات الرسل الذين شاهدوا المسيح. والمؤرخون لا يعرفون إلا القليل جداً عن عقائد تلك الفترة أي النصف الثاني من القرن الأول ويتفق غالبية العلماء على أن الكنيسة كانت في أيامها الأولى (بدون) صياغة (لاهوتية). وأن المسيح لم يذكر تفاصيل بناء وإدارة وممارسات الكنيسة] تاريخ الكنيسة / لوريمر ص٤٤، ٦٢، ٧٥، ٨٢، ٨٣. أي لم يكن هناك كنيسة لأن أتباع المسيح كان مكانهم الطبيعي هو الهيكل الذي تركوه إلى طريق الأمم. وجاء في دائرة المعارف الأمريكية عن عقيدة التثليث التي جاء بها بولس [... أن عقيدة التثليث هي العقيدة المسيحية التي تقول بالطبيعة الثلاثية للإله هي عقيدة ليست من تعاليم العهد القديم ولا توجد في أي مكان بين ثناياه..] دائرة المعارف الأمريكية ط ١٩٥٩ نقلاً عن كتاب حقيقة التبشير/ أحمد عبد الوهاب ص٨١. وقد أدت عقيدة التثليث إلى سوء هضم المفكرين لها، يقول وول ديورانت [.. كان ترتليان قد أحب الفلسفة فألف كتاباً فيها اسمه في النفس كان يقول: لقد مات ابن الله ذلك شيء معقول. لا لشيء. إلا انه مما لا يقبله العقل. وقد دفن. ثم قام من بين الأموات. وذلك أمر محقق لأنه مستحيل..] قصة الحضارة مجلد ١١ ف ١ باب ٢٨ ويقول رينيه دو بو، الحائز على ما يسمى بجائزة نوبل للسلام [.. إن المسيحية تفتت لتصبح متعددة تتبنى أخلاقاً اجتماعية مبهمة. فاللاهوتيون مشغولون بمناقشة =

إن بولس قد أسس ديناً ووضع نفسه في أعلى مراتب هذا الدين فهو القائل عن نفسه:

[.. ألست أنا رسول؟ ألست أنا حر؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟ ألستم أنتم عمل يدي في الرب؟..][١].

إذا كان بولس حراً.. فإن الماسون الأحرار هم الذين يبنون المملكة اليهودية العالمية[٢] وهذه هي حرية الإفساد للذين لا يجدون من يضربهم حتى يكفوا والباحث يجد أن حرية بولس جعلته يشيد لنفسه حتى وضع نفسه في الدرجة التي يدين (أي بولس) فيها الملائكة. يقول:

[.. ألستم تعلمون أن القديسيين سيدينون العالم.. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة..][٣].

ثم يعطي لنفسه صفاتاً ومهاماً غريبة! يقول:

[.. إني أنا أيضاً عندي روح الله[٤]..][٥] ولأنه عنده روح الله يقول [.. الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله..][٦]

وفي المقابل يقول على المسيح عليه السلام:

[.. المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار (لعنة) لأجلنا لأنه

= فلسفية زائغة لمحاولة التوفيق بين المسيحية والرأي الذي لا معنى له عن موت الإله] إنسانية الإنسان/ ديو ص٣٢.

(١) كور ٩/ ١.

(٢) والمقصود بالماسون الأحرار أي المجموعة القياسية في الماسونية التي تتصرف وفقاً لما تقتضيه الظروف لصالح الهيكل دون الرجوع إلى مكاتب الإرشاد العليا، انظر: كتابنا: «الماسونية ذلك العالم المجهول» طبعة سادسة، دار الجيل، بيروت.

(٣) كور ٦، ٢/ ٣.

(٤) الروح لها مفهوم خاص عند النصارى.

(٥) كور ٧/ ٤٠.

(٦) كور ٢/ ١٠.

مكتوب ملعون كل من علق على خشبة..][١].

من هذه المنحنيات المبهمة انطلقت مسيحية بولس إلى العراء حيث الأمم. تخمرت الوثنية في جماجمها. ولم يكن الطريق سهلاً. يقول يواكيم برنز: إن مسيرة المسيحية نحو الوثنية كانت تقتضي وتستدعي عدة تنازلات[٢] وعن هذه التنازلات أو هذه الاختراعات يقول شارل جنيبر:[٣]

[.. لقد تطورت إلى تأليف ديني تجمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر النابعة من العاطفة الدينية الوثنية. قامت المسيحية بترتيبها وتركيبها وأضفت عليها الانسجام..][٤].

ومن هذه الأشياء التي تم ترتيبها وتركيبها. يقول د. جنيبر:

[ورأى بولس بوضوح أيضاً. أن الأتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول «فضيحة الصليب» وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة تفسيراً مرضياً يجعل منها واقعة ذات مغزى ديني عميق.. وأعمل بولس فكره في هذه المشكلة.. ووضع لها حلاً كان له صدى بالغ المدى.. لقد تجاهل فكره عيسى الناصري (المسيحﷺ) ولم يتجه إلا إلى عيسى المصلوب (الشخصية التي اخترعها بولس) فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود.. رجل سماوي احتفظ به الله إلى جانبه أمداً طويلاً حتى نزل إلى الأرض لينشئ فيها حقاً، بشرية جديدة يكون هو دمها..][٥].

ثم يقول د. شارل جنيبر:

[.. وهذه العقيدة تنتهي إذا سمح لنا باستخدام هذا التعبير إلى ثمرة

---

(١) غلاطية ٣/ ١٣.
(٢) باباوات ص٩٣.
(٣) كان رئيساً لقسم الأديان بجامعة باريس.
(٤) المسيحية نشأتها/ جنيبر ص ١٢١.
(٥) المصدر السابق ص١٠٥.

تبعث كثيراً على الاستغراب. تلك هي أن السيد عيسى يصور لنا ابنا لله. ولكن فكرة الله بالنسبة لبولس تدخل ضمن ميراثه من العقيدة اليهودية..[1]فكيف إذن يتأتى تصور أن يكون لله ابن..][2].

وبين لنا الدكتور جوستاف لوبون نهاية هذه الحيرة فيقول:

[.. إننا لم نجد أي شبه بين النبي الجليلي الخاشع[3] وبين الرب الأسطوري الذي عبده الناس منذ ألفي سنة[4] إن يسوع الذي يضرع إليه المؤمنون[5] هو من صنع الجموع. فقد تطلب تأليف شخصه وتعاليمه من أنقاض الآلهة والمعتقدات السابقة.

إن بولس. أسس باسم يسوع ديناً لا يفقهه يسوع لو كان حياً. ولو قيل للحواريين الاثنى عشر أن الله تجسد في يسوع. ما أدركوا هذه الفضيحة ولرفعوا أصواتهم محتجين....][6].

وانطلق الدين الذي لا يفهمه المسيح عليه السلام عندما يعود آخر الزمان انطلق نحو الوثنية. ليمتصها في مرحلة ثانية من المراحل التكتيكية[7] وكان حصاد هذه المرحلة كما يقول وول ديورانت:

[.. إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها[8] بعد أن هضمت تقاليد العقل الوثني فكرة المسيح الإله!![9].وقصارى القول:

---

(١) التوحيد هو محور الارتكاز عند اليهود ولا يعرف اليهود شيئاً عن التثليث.

(٢) المسيحية نشأتها/ جنيبر ص ١٠٦.

(٣) أي عيسى عليه السلام.

(٤) أي الذي اخترعه بولس منذ ما يقرب من ألفي سنة.

(٥) أي الذي يعبده المسيحيون اليوم.

(٦) حياة الحقائق/ دجوستاف ليون ص ١٦٣، ١٨٧.

(٧) الورحلة الأولى كانت الجلاء.

(٨) قصة الحضارة/ ديورانت مجلد ١١ باب ٢٧ ف ٢ ص ٢٧٦.

(٩) المصدر السابق مجلد ١١ ف ٥ باب ٢٨ ص٣٢٠.

أن المسيحية كانت آخر شيئ عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم..][١].

إن الطريق إلى الأصنام يمتد آخر الزمان حتى يصل إلى قدم الدجال. فأسفل هذا القدم يتجمع عباد البشر والمخلوقات.

والباحث يجد أن وثنية الأمم لم تكن عشوائية ولكنها كانت وثنية (منظمة) وجنودها يخدمون أهدافاً لا يعرفون عنها شيئاً. والرؤوس التي تمسك الخيوط التي في نهايتها الجنود كان بولس يتردد عليها. تقول المراجع عن تحركات بولس:

[فلقد كان يرتحل من بلدة إلى أخرى ولا يقيم بضعة أيام في أي منها إلا حينما يجد جاليات يهودية هامة[٢] وكانت روما مركزاً لمستعمرة يهودية كان بولس يزورها. ويتوقف فيها أيضاً[٣] وكانت في روما جماعات الماسون تعمل في دفن الموتى بعد أن وضع عليهم (تراجان)[٤] قيوداً لتدخلهم في شئؤون السياسة][٥].

فبولس يدعو إلى النصرانية. وينام في اليهودية. وعلى قمم الجبال كان الجدل على أشده لتفسير أمور لاهوتية زعم بولس أنه عثر عليها يقول شارل جنيبر:

[.. عثر عليهما في غالب الظن. دون أن يبحث عنها. وكأنها نتاج طبيعي لتفاعلات في ذاكرته وفي عاداته الفكرية..][٦].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٦ فصل ٢ باب ٢٧ مجلد ١١.
(٢) المسيحية نشأتها / جنيبر ص١٠٣.
(٣) باباوات من الحي اليهودي.
(٤) إمبراطور روماني ولد سنة ٥٢ بعد الميلاد وتوفي ١١٧ وفترة حكمه هي التي عاصرها بولس حيث أن أقدم رسائل بولس كتبت عام ٥٠ بعد الميلاد.
(٥) تاريخ الماسونية: يوسف شاهين مكاريوس ص١٢.
(٦) المسيحية ونشأتها/ جنيبر ص١٠٥.

وبين الجدل العقيم والتخطيط السليم، حيث الجاليات اليهودية والماسون كان هناك بُعد آخر ينظر إليه أتباع الدجال ألا وهو توحيد الرقع الوثنية المتناثرة تحت قيادة واحدة تحمل آمال اليهود فيما بعد. فكيف بدأت فكرة الدمج؟

كان الماسون يعملون ببناء القصور وكان قسطنطين على رأس الامبراطورية[(١)] وفي تجهيزه لإحدى معاركه. خرج على قومه بتصريح يقول فيه: [.. لقد رأيت صليباً في الهواء (!!) حول الشمس...][(٢)].

ثم قال: إنه انتصر بفضل هذا الصليب. ثم اعتنق المسيحية ليصدر بياناً بعد تنصره يقول فيه:

[.. لقد كنت عدة الرب التي اختارها. وقدر صلاحها لإنفاذ مشيئته[(٣)] أنا أسقف (نصبني) (الرب) على جميع شؤون الكنيسة (الخارجية)..][(٤)].

وهنا يجد الباحث أن هناك أموراً قد تعددت في الأحداث الكبرى في تاريخ المسيحية، هي:

* أن بولس عندما دخل إلى النصرانية ادعى أنه شاهد المسيح في الهواء أو في الخلاء. ثم ادعى أن معه إنجيلاً ليس بشرياً.

* أن خروج النصارى من أورشليم كان نتيجة سماعهم صوتاً إلهياً يحذرهم من ثورة اليهود.

* ثم هنا نجد قسطنطين يرى صليباً في الهواء ثم يدعي أن الله اختاره

---

(١) قسطنطين الكبير ولد سنة ٢٧٤ للميلاد ونودي باسمه ملكاً على بريطانيا سنة ٢٠٦ واعتنق الدين المسيحي سنة ٣١٢ ونقل كرسي السلطة إلى القسطنطينية عام ٣٣٠ وتوفي عام ٣٣٧ (تاريخ الماسونية/ شاهين مكاريوس ص٦)، وأيضا: الماسونية ذلك العالم المجهول: صابر طعيمة. صفحة ٣٦٣.

(٢) الدولة والكنيسة / د. رأفت عبد الحميد ٢/١١٩.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١١٩.

(٤) باباوات من الحي اليهودي ص٩١.

ونصبه (بالذات) على شؤون الكنيسة (الخارجية).

وهذا الصوت الذي سمعه بولس لم يعترف به العلماء واعتبره بعضهم مرحلة تكتيكية. وكذلك رؤية قسطنطين اعتبرها العلماء تواطؤاً لأهداف سياسية. تخدم مرحلة من المراحل[١].

والباحثون مجمعون على أن الجريمة إذا تعددت بصورة واحدة في مواقف يترتب عليها منحنى تاريخي. فإن هذه الجرائم وراءها عصابة منظمة. لها أهداف بعيدة. جوهرها واحد. وهي تتجه نحو هذه الأهداف بصبر عجيب!! وتلك حقيقة ذكرها العلماء فقالوا:

إن في كل التغييرات الفكرية الكبرى. عملاً يهودياً. سواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً سرياً[٢] ولقد كتب: «بوتسويه» في القرن السابع عشر كتاباً عن تاريخ العالم. وجعل اليهود مركز الدنيا. فكل أحداث التاريخ وقيام الإمبراطوريات وسقوطها كل ذلك يرجع إلى (إرادة) الرب لأبناء اسرائيل. الذين يقع عليهم عبء قيادة البشرية إلى هدفها الواحد وهو مجيء المسيح..][٣].

---

(١) يقول المؤرخ «موسهيم» عن إدعاء قسطنطين أنه شاهد صليباً في الهواء [.. لماذا لم تستند إلا على شهادة الإمبراطور برؤيته للصليب في الهواء؟ ولماذا لم يذكر شهادة أحد من الألوف الذين كانوا ينبغي أن يكونوا قد شاهدوا ذلك؟ ولماذا اكتفوا بشهادة قسطنطين (بعد) (الانفراد) (معه)؟ وكيف يمكن أن تكون هذه القصة (غير) معروفة للعالم المسيحي حتى بعد حدوثها بخمس وعشرين سنة؟!..] انتهت شهادة المؤرخ.. الدولة والكنيسة ص ٩٧/ ٢ أما عن شكوك العلماء يقول وول ديورانت [هل كان قسطنطين حين تحول إلى المسيحية مخلصاً في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية؟ أم أن كان هذا العمل (حركة بارعة) أملتها عليه حكمته السياسية؟ أغلب الظن أن الرأي الأخير هو الأصوب] انتهت شهادة عالم الحضارة ـ الدولة والكنيسة ١٢/ ٢.

(٢) المخططات التلمودية/ أنور الجندي ص ١٤٧.

(٣) ملف اسرائيل / جارودي ٢٥.

إن بولس أعد المنهج الذي يخرجهم ويجعلهم قادرين على التعايش مع مناخ العراء. وقسطنطين جمع الشمل ليكون عدة الرب في الأحوال الخارجية والأحوال الخارجية تؤدي دائماً إلى أن يحمل الملوك والقادة أعواد الخشب وألواح الحجارة لوضع حجر الأساس لهيكل بني إسرائيل. ومنهج بولس الذي قبله قسطنطين يقول فيه تونبيي:

[.. النجاح الذي يدعو للدهشة أن بولس انتزع مسيحية (لا يهودية) من الدين اليهودي!! بحيث كان باستطاعة (غير اليهودي) أن يتقبلها بحرية من غير أن يلتزم بالشريعة اليهودية!!

ومما يدعو للإعجاب بشكل مساوٍ للدهشة أن المسيحية ذات الصبغة اليهودية السابقة الذكر نجحت في النهاية في أن تضم إليها سكان الإمبراطورية الرومانية (باستثناء) اليهود..؟!][١].

فهل هناك شك بعد هذا في النتيجة التي يمكن أن يصل إليها الباحث؟ وهي أن عقيدة ألوهية المسيح ترتبط باليهود ولكنها ليست في كتابهم المقدس وهذا الارتباط ارتباط مصلحي. ينفذه النصارى ولكن ليس للنصارى في هذه المصلحة أي حظ.

ولكي نؤكد أن هذه العقيدة لا تعرف الثبات على اعتقاد واحد وأن اليهود يتخذون اتباعها جداراً لهم تحميهم على امتداد العصور نقول:

إن العقيدة لم تعرف الثبات لأنها لم تعرف لها إنجيلاً. جاء في تاريخ الكنيسة [.. ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الوثائق الأولى كانت رسائل بولس وقد ركزت أساساً على أمور لاهوتيه..][٢] وكانت تعاليم بولس هي التي عاشت وكان لها الغلبة[٣] حتى جاء قسطنطين في مجمع نيقيه بالأناجيل

(١) تاريخ الجنس البشري/ تونبيي ص ٣٧٧/ ١.
(٢) تاريخ الكنيسة / لويمر ص٨٣.
(٣) المسيح في مصادر العقائد/ أحمد عبد الوهاب ص٣٢.

الأربعة المتداولة اليوم والتي تسمى بالعهد الجديد (وأقرها بالقوة)[١].

وقال جون لوريمر في تاريخ الكنيسة عن هذه الأناجيل: [.. لم يصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التي اعتبرت بها الكتب المقدسة كتب قانونية..][٢]. فإذا كانت قد فرضت بالقوة فمن الذي فرضها؟ ولمصلحة من؟ وإذا كان ليس هناك معرفة عن كيفية اختيارها لتكون كتباً قانونية. فكيف تكون مقدسة؟.

في الحقيقة أن أمر قسطنطين ليس أقل من أمر بولس. بل قد يكون مساوياً له أمام الباحث.

فقسطنطين يوم اختياره للأناجيل الأربعة كان يحتفظ بلقب الحبر الأعظم للوثنيين. وهو يحمل هذا اللقب قام أيضاً بتغيير في قانون الإيمان المسيحي[٣].

فأضاف عبارة (مساو في الجوهر) إلى القانون، يقول توينبي في تاريخ البشرية: [عبارة مساو في الجوهر] هي الكلمة التي كان قسطنطين يمقتها من قبل[٤] فإذا كان يمقتها وهو وثني فمن الذي فرضها عليه وهو مسيحي؟ هل هي الأيدي الخفية؟.

---

(١) تاريخ البشرية/ توينبي ص ٥٨/ ٢.

(٢) تاريخ الكنيسة ص ١٥٢.

(٣) جاء في البيان الختامي للمؤتمر الذي أقر قانون الإيمان المسيحي [.. عندما أفصحنا عن هذه العقيدة.. لم يكن هناك من يفندها.. بل إن امبراطورنا الحبيب نفسه كان أول الشهود على صدق إيماننا. وتوافقت معها آراؤه. على أن (تضاف) إليها عبارة واحدة هي من نفس الجوهر] الدولة والكنيسة ١٨٣/ ٢. ويقول د. رأفت عبد الحميد: قسطنطين يمسك دفة المناقشة ويدير ويؤيد ويعارض على هذا الحد يمكن مجارات قسطنطين فيما قام به. أما أن يتدخل في شأن العقيدة ذاتها بالإضافة أو الحذف فذلك شيء يدعو إلى التساؤل حقاً. إذا كان الإمبراطور قد سمح أن يفعل هذا فكيف تسمح له الكنيسة إذن أن يقدم على ذلك؟، الدولة والكنيسة ص١٨٣/ ٢.

(٤) تاريخ الجنس البشري ص ٥٨/ ٢.

والخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها في ضوء ما عرضناه تتمثل في ما يقوله الأستاذ حنا في تفسير سفر الرؤيا:

[وهكذا اتحدت الكنيسة والدولة وتشابكت أيديهما في رباط غير مقدس.. حتى قيل بحق إن العالم صار متديناً قليلاً وصارت الكنيسة عالمية كثيراً][(١)] وقالت المراجع أيضاً:

لقد فك قسطنطين القيود وساوى بين النصرانية والوثنية[(٢)] لقد كان وغداً غليظ القلب لا يرحم[(٣)].

فماذا أضافت مرحلة قسطنطين إلى سرح الدجال الذي يصنعه اليهود؟

لقد أضافت بعداً خطيراً، هو ظهور كيان اسمه الدولة الصليبية التي تتبنى مصالح اليهود. قد تكون دولة قسطنطين انتهت من التاريخ ولكن الصليبية لها الإعلام وهي ممتدة بامتداد التاريخ لقد قال د. شارل جنيبر:

[.. بدون بولس. كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية..][(٤)].

وفي المقابل يقول د. كافيين رايلي عن قسطنطين:

[.. وما إن أصبحت المسيحية دين الإمبراطور الرسمي حتى أصبح كثير من الناس مسيحين لدواع سياسية؟!!.][(٥)].

فبولس جاء بالمسيحية وقسطنطين وجهها على دواع سياسية وهل في الأناجيل دواع سياسية؟؟ إذا لم يكن فيها. فلحساب من يكون هذا المنحنى؟

---

(١) تفسير الرؤيا/ حنا ص ٥٩.

(٢) حرب في الكنائس د. أسد رستم ص٨.

(٣) قصة الجنس البشري/ هندرليك فان لون، ط الشعب ٦٥/ ١.

(٤) المسيحية نشأتها/ ص ١١١.

(٥) الغرب والعالم/ رايلي ١٦٧/ ١.

إنه لحساب الدجال!! ويقول توينبي عن هذا المنحنى:

[.. لقد امتصت المسيحية أكثر مما دمرت. وقد ترتب على انتشار المسيحية. أن تاريخ البشرية اتخذ منعطفاً جديداً..][١].

واللافت للنظر «أن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع. والثلاثة المتشابهة!! إن الاختلاف بينها في القضايا الرئيسية عظيم، بحيث إنه لو قبلت الأناجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة، وموثوقا بها، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا!!»

ولقد كانت عقيدة التثليث التي تضمنها إنجيل يوحنا وركز عليها وأوضحها، هي ما قبلته الكنيسة فيما بعد، رغم مخالفتها للكثير مما في الأناجيل المتشابهة، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التي تضمنها هذا الإنجيل نفسه.

ومع موريس بوكاى نسأل: «إذن فمن نصدق؟ أنصدق متَّى؟ أم مرقص؟ أم لوقا؟ أم يوحنا؟!!»[٢].

(١) تاريخ البشرية/ ٣٧٨.
(٢) انظر: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صفحة ٩٣.

بولس داعية المسيحية الأول

إن «لبولس» هذا لشأنا في النصراينة الراهنة، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب إلى أحد سواه، فرسائله هي التي شرحتها، وقعّدت أهم قواعدها. ورسائله هي:

١ ـ رسالة بولس إلى أهل روميّة.

٢ ـ رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس.

٣ ـ رسالتة الثانية إلى أهل كورنتوس.

٤ ـ رسالته إلى أهل غلاطية.

٥ ـ رسالته إلى أهل أفسس.

٦ ـ رسالته إلى أهل فليبي.

٧ ـ رسالته إلى أهل كولوسي.

٨ ـ رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي.

٩ ـ رسالته الثانية إليهم.

١٠ ـ رسالته الأولى إلى تيموثاوس.

١١ ـ رسالته الثانية إلى تيموثاوس.

١٢ ـ رسالته إلى تيطس.

١٣ ـ رسالته إلى فليمون.

١٤ ـ رسالته إلى العبرانيين.

وقد كان ـ بنشاطه الجم وتطوافه في الأقاليم مشرِّقاً ومغرِّباً، لا يستقر في مكان على نيّة الإقامة فيه، بل على قصد الرحيل إلى غيره ـ أشد دعاتها.

وقد تأثر المسيحيون خطاه، وتعرفوا أخباره وأقواله ـ ما دّونه منها في رسائله، وما ألقاه في الجموع ـ وتناقلوه شفاهة، إن لم يدونه هو، وتأثروا بأعماله فاحتذوا حذوه، وسلكوا مسلكه.

ولكن ما اسم هذا الرجل الخطير؟ وأنى مولده؟ وما جنسيته؟ وماذا كان موقفه من اتباع المسيح قبل أن يتنصَّر ويصبح رسولاً ملهماً ـ بزعمهم ـ يكتب الرسائل المقدسة ويبشر بالتعاليم؟

وما الذي أضافه إلى النصرانية؟ وما أثر ذلك في مسيرتها؟

يشغل تفصيل حياة بولس وأعماله مساحة كبيرة من (سفر أعمال الرسل) جاء في الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني والعشرين منه:

«أنا رجل يهودي، ولدت في طوسوس كيليكة، ولكن ربيت في هذه المدينة (يقصد أورشليم)».

فهو هنا يهودي وباعترافه، وهناك تصريح آخر في السِّفر ذاته بأنه يهودي فريسِّي.. جاء في الإصحاح الثالث والعشرين ٧: ٩.

ولما علم بولس أنّ قسماً منهم صدوقيون[1]، والآخرون فريسيون، صرح في المجتمع: أيها الرجال الإخوة، أنا فريسي، على رجاء قيامة

---

(١) فرقة يهودية قديمة، نسبتها إلى صادوق أحد كبار الكهنة في زمن داود عليه السلام، فهم من سلالته. قد ظهرت هذه الفرقة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي مائة وخمسين عاماً، ونادت بقبول اليهودية كمعتقد فقط ورفض تخريفات الكهنة وتزييفاتهم (انظر: للسموءل بن يحيى المغربي ٥٧٠هـ ـ بذل المجهود في إفحام اليهود).

الأموات أنا أخاكم، ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين[١] وبين الصدوقيين، وانشقت الجماعة؛ لأن الصدوقيين يقولون: إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك».

والسفر نفسه ـ سفر أعمال الرسل ـ يقص علينا أن أصله ـ أصل بولس ـ روماني.

جاء في الإصحاح الثاني والعشرين ٢٦: ٢٩ ما يلي:

«فلمّا مدّوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقْضى عليه، فإذا سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً: انظر ماذا أنت مُزْمِعُ أنْ تفعل: لأن هذا الرجل روماني، فجاء الأمير فقال: قل لي: هل أنت روماني؟ فقال: نعم»

وعلينا معشر المطالعين لهذه المصادر التي يتعين أن تكون مقدسة في معانيها ومبانيها النظر كيف يكون الخلط والخبط في سفر واحد مقدس حول شخص واحد هو بولس!!

فقد كان اسمه قبل أن يتنصر شَاوُلْ، ذكر هذا في غير ما موضع من سفر أعمال الرسل[٢].

وكان شديد العداء والخصومة للنصرانية، شديد التعذيب والتنكيل بأتباعها ومعتنقيها، ولقد جاء فيه:

«وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب،

---

(١) هم الفرقة المضادة للصادوقيين، فهم أنصار التحريف القائمون به، الداعون إلى عزل اليهود كجنس متميز مختار عن باقي أجناس العالم (الجوييم) (انظر: إفحام اليهود) وانظر: ترجمة الدكتور علي سامي النشار لكتاب جورج قيدا: مقدمة للفكر اليهودي في العصر الوسيط ص ١٨ وما بعدها، الإسكندرية ١٩٧٢م..

(٢) انظر مثلاً: الإصحاح الثاني والعشرين: ٨ وأول الإصحاح التاسع، ٢٧ منه، وكذلك الإصحاح الثامن ٤.. إلخ.

فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق.. إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق، رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم»[١].

وفي الإصحاح الثامن:

«حدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم. فتشتت الجميع في كُوَر اليهودية والسامرة ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة، وأمّا شاول فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت، ويجرُّ رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن»[٢].

---

(١) انظر: أول الإصحاح التاسع.

(٢) ويصرح بولس في رسالته إلى أهل غلاطية قائلا لهم: « فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي» (١: ١٣/ ١٤).

تنصر بولس وتحوله

ليس من الغريب أو المستبعد أن يتحول قلب من الكفر إلى الإيمان ولكن من غير المتوقع أن يتحول رجل من الكفر بدين أو بدعوة إلى أن يؤمن، وأن يصبح رسولاً ملهماً، يوحى إليه، يكتب الرسائل وينشر الدعوة ويبشر بها!!

أي أن الغريب هو أن يتحول الكافر بدين إلى رسول يوحى إليه[1] بالروح القدس؛ كما أن القصة التي وردت في سفر أعمال الرسل التي تخبر بهذا التحول الغريب من الكفر الديني إلى الرسالة والرسولية تجعل أمر بولس مريباً. جاء في الإصحاح الثاني والعشرين على لسان بولس مخاطباً اليهود:

«وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعُكم اليوم، واضطهدتُ هذا الطريق (النصرانية) حتى الموت مقيداً ومسلما إلى السجون رجالاً ونساءً، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذتُ أيضاً منهم رسائل للأخوة إلى دمشق، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيَّدين لكي يعاقبوا».

---

(١) يعترف بولس بأنه لم يأخذ إنجيله من بشر، ولا من رسل سابقين، أو معاصرين له (غلاطية ١ : ١١) ولكن كتبه وبشر به في العالمين بناء على وحي إلهي وبإعلان من يسوع المسيح، ويقول في الرسالة نفسها (١ : ١٦/١٧): «ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته ابنه في لأبشر به بين الأمم، للوقت لم استشر لحماً ودماً ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلق ليبشر برسائله وكتبه.

هذا هو بولس، وهذا هو موقفه من النصرانية ومن معتنقيها.. تعقبهم للقبض عليهم وسجنهم والتنكيل بهم، وبقية النصوص تعرض علينا الحدث المفاجئ التالي:

«فحدث لي وأنا ذاهبٌ ومتقرب إلى دمشق أنّه نحو نصف النهار، بغتةً، أبرق حولي من السماء نورٌ عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي: شاؤول.. شاول، لماذا تضطهدني؟

فأجبت من أنت ياسيد؟

قال لي:

أنا يسوع النّاصري الذي أنت تضطهده، والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني، فقلت: ماذا أفعلُ يارب؟ فقال لي الرب: قم واذهب إلى دمشق، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل» (١١ : ٤).

نفور التلاميذ من بولس

«ولما جاء شاؤل (بولس) إلى أورشليم[1] حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ. فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل»[2].

وأما برنابا ـ «الذي كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان»[3] ـ فهو الذي كان ـ في مواقف كثيرة يرسله التلاميذ مندوباً عنهم، وهو الذي صاحب بولس في كثير من رحلاته التبشيرية ـ فما لبث أن تشاجر معه بولس ثم افترقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراءه الخاصة في التعاليم المسيحية والدعوة إليها.

«فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقص وسافر في البحر إلى قبرص، وأما بولس فاختار سيلاً وخرج

---

(١) يصرح بولس أنه صعد إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات من تنصرّه، وهناك التقى ببطرس وقضى معه خمس عشرة يوماً (غلاطية ١/١٨ ـ ١٩) ثم التقى يعقوب كذلك. ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم ـ مع برنابا ـ آخذا معي تيطس أيضاً، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم، ولكن بالإنفراد، على المعتبرين: لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً. (غلاطية ٢: ١ ـ ٢). والسؤال الذي لا بد منه: ما هو هذا الإعلان الذي صعد بولس بموجبه إلى أورشليم؟ ولماذا عرضه عليهم على انفراد؟ مع أن عيسى عليه السلام كلم الناس علانية [يوحنا ١٨ : ١٩/ ٢٠]..

(٢) أعمال الرسل ٩ ـ ٢٦/ ٢٧.

(٣) أعمال الرسل: ١١/ ٢٤.

مستودعاً من الأخوة إلى نعمة الله، فاجتاز في سورية وكيليكية يشدد الكنائس» (١٥ : ٤٠).

تشير هذه النصوص بادئ ذي بدء إلى شك التلاميذ وريبتهم فيه وتوجسهم منه، وتوضح صدق بصيرتهم فيه، حتى برنابا المحاط بالتحفظ وعدم الاعتراف به من الكنيسة إذ سرعان ما تشاجر مع من قدمه إلى التلاميذ وشهد له عندهم!! كما أن يعقوب (ويسمونه أخ الرب) قد عارضه واتهمه بأنه يعلّم الناس الباطل[١].

ومع ذلك فإن لرسائل بولس أهمية خاصة لدى الكنيسة ولليوم وبكل الوسائل يتم توصيلها إلى المؤمنين بها على أساس أنها أقدم الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس الأولى وأفضل نصوص الموعظة، وقد أصبح ذلك الداعية الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح أشهر الرسل وأهمهم.

لقد كتب رسائل بولس أو أغلبها ما بين سنتي (٥٠) و (٦١) ميلادية طبقاً لجدول د. فريدريك جرانت[٢] ودون أن يقابل بولس المسيح أو حتى يأنس إليه تلاميذ المسيح أصبح عمدة الرسالة المسيحية.

ومن الشائع في الفكر الديني المسيحي حتى لدى المؤرخين المحايدين أن أقدم الأناجيل هو إنجيل مرقص، قد كتب بعد رفع المسيح بحوالي ٣٥ سنة، وأن أحدث الأناجيل، وهو إنجيل يوحنا. قد كتب بعد المسيح بحوالي ٧٠ أو ٩٠ سنة.

---

(١) جاء في رسالة يعقوب (٢: ٢١ ـ ٢٤): « هل تريد أن تعلّم أيها الانسان الباطل؟ أن الإيمان بدون أعمال ميت، ألم يبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحاق ابنه على المذبح (هذا زعمهم الباطل!!)؟ فترى أن الإيمان عمل من أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان..» ومعروف أن رأي بولس يرمي إلى أن الإنسان إنما يتبرر (أي يصير مبروراً) بالإيمان وحده. (انظر رسالته إلى أهل غلاطية ٣: ١ ـ ١٠).

(٢) الأناجيل: أصلها وتطورها (مصدر سابق) ص: ٢٠ ـ ٢١.

ولقد كتب بولس رسائله قبل كتابة أقدم إنجيل بفترة تصل إلى خمس عشرة سنة.

بولس والصّلْب والخلاص والفداء:

يتفق علماء اللاهوت على أن عقيدة الصلب قبل بولس كانت غير شائعة بل ولا مقبولة، لكن بولس تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروّج لها في رسائله ـ تلك الرسائل التي لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من خمس عشرة سنة.

لقد كان صلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على ألاّ يعرِّف من المسيحية شيئاً غيره.

يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٢:٢):

«لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً»

ويقول: (١٥: ١ ـ ٣) كورنثوس الأولى:

«أعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشّرتكم به وقبلتموه.. فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب».

ويبني بولس نظريته هذه على أساس عقيم، هو أن الناموس الإلهي ليس فيه بِرٌّ ولا عدل، يقول في رسالته إلى غلاطية ٢: ٢١:

«إن كان بالناموس برٌّ فالمسيح إذن مات بلا سبب». وفي الوقت الذي يذكر فيه تلك القاعدة، فإن الأناجيل تصرِّح بغير ما يذكره بولس:

جاء في إنجيل متى، الإصحاح الخامس: ١٧ ـ ١٩: على لسان المسيح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل.

فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل..».

ويقول لوقا ١٦ ـ ١٧:

«إن زوال السماء والأرض أيسر من ان تسقط نقطة واحدة من الناموس».

والناموس المعنيّ هنا هو التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام.

مركيون تلميذ بولس:

ظهر هذا التلميذ في القرن الثاني الميلادي، وكان يعتقد بأن: إله اليهود الذي أعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم كان في الحقيقة إلها شريراً!!! [تعالى الله].

وكان يعتقد أن إله المحبة قد ظهر في المسيح، ولقد وضع مركيون إله المحبة في معارضة خالق العالم!! إله موسى الذي كانوا يقولون به.

واعتقد مركيون أن تلاميذ المسيح الاثني عشر لم يفهموه ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلاً يخالف إنجيل بولس، وقد اعتقدوا خطأً أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح.

من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحي خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير[(١)].

وينقل (أدولف هارنك)[(٢)] محاكمة بين إله المخلوقات والناموس، وبين الرب يسوع، فيقول:

«نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لاهوته، ودخل معه في

(١) أدولف هارنك «تاريخ العقيدة»، لندن ١٩٦١ ص: ٢٧٢، ص: ٢٨٠.
(٢) المصدر السابق: الموضع نفسه.

قصاص بسبب موته. قال له يسوع: إن الدينونة بيني وبينك.. شرائعك تقضي لي، ألم تكتب في ناموسك أن من قتل يقتل؟

فأجاب إله المخلوقات: لقد كتبت هذا...

فقال له يسوع: سلّم نفسك إذن ليدي...

قال خالق العالم: لأني قد ذبحتك فإني أعطيك عوضاً. كل أولئك الذين يؤمنون بك تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك!!

وعندئذ تركه يسوع، وحمل بولس بعيداً، وأراه الثمن، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن، وأن كل من يؤمن بيسوع فقد بيع عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب».

هذه ثمرة من ثمار بولس!!! وهذا غرسه!!

فهو الذي يقول:

«أظن أنا أيضاً عندي روح الله»[١].

«كل الأشياء تحل لي...»[٢].

وهو الذي قال عن الله:

«الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله»[٣].

«جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس»[٤].

واللافت للنظر هو رأي بولس في المسيح، إذ يصف أهم ركن في عقيدة الأناجيل بما لا يصح معه اعتباره من رجال الكنيسة إذ المسيح في رأيه لعنة حيث ورد عنه في رسائله:

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً من أجلنا. لأنه مكتوب

(١) انظر: رسالته إلى أهل رومية: الإصحاح السابع ١٥ ـ ٢٤.
(٢) رسالته الأولى إلى أهل كورنيثوس ٧: ٤٠.
(٣) ٦ : ١٢ ١٠ : ٢٣ السابق.
(٤) ٢ : ١٠ السابق.

ملعون كل من عُلِّق على خشبة»[١]. وذلك على الرغم مما أخبر به وتوسع فيه عن المسيح من أنه قد صلب وعلق على خشبة» أي أن المسيح المصلوب عند بولس لعنة وليس رحمة أو نعمة.

نظرية بولس في التفكير:

لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح. وكانت العوامل التي أوحت إليه بالأسس التي قام عليها ذلك اللاهوت هي انقباض نفسه، وندمه على اضطهاده للمسيحين الأولين، والصورة التي استحال إليها المسيح[٢] في خياله عند المحاكمة وعند الصلب.

ولعله قد تأثر بالفلسفة الأفلاطونية والرواقية في نبذهما للمادة والجسم واعتبارهما شراً وخبثاً.

ولعله تذكر السنة اليهودية مستقاة من شريعة موسى في التضحية الفدائية وما ينهجه في هذا المقام أصحاب الديانات الوثنية للتكفير عن خطايا البشر.

أما هذه الأسس فأهمها «أن كل ابن أنثى يرث خطية آدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته». «لأنه كان يليق برئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه وعن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه. فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة. وأما كلمة القسم التي بعد الناموس فتقيم ابناً مكملاً إلى الأبد»[٣].

(١) رسالته إلى أهل غلاطية ٣.
(٢) شبيه المسيح وليس المسيح نفسه.
(٣) العبرانيون ٧: ٢٦ ـ ٢٨.

لقد كان اليهود والأقدمون يشتركون مع الكنعانيين والمؤابيين والفينيقيين والقرطاجنيين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل، بل بطفل محبوب لاسترضاء السماء الغضبى.

ثم أصبح في الإمكان على توالي الأيام أن يستبدل الطفل مجرم محكوم عليه بالإعدام.

وكان البابليون يلبسون هذه التضحية أثواباً ملكية، لكي يمثل ابن الملك، ثم يجلد ويعدم شنقاً.

ومثل هذه الأعمال كانت تحدث في رودس Rhodes في عيد كرونس Cronus، وأكبر الظن أن التضحية بحمل أو جدي في عيد الفصح ليست إلا تخفيفاً لهذه التضحية البشرية اقتضاه تقدم المدنية، وفي ذلك يقول فرازر Frazer وفي يوم الكفارة كان كاهن اليهود الأعظم يضع كلتا يديه على جدي حي، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكبه بنو إسرائيل من مظالم، حتى إذا ما حمل الحيوان خطايا الشعب على هذا النحو أطلقه في البرية»[1].

وهذه الفكرة كانت أكثر قبولا لدى الوثنيين منها لدى اليهود. ولقد كانت مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد. تؤمن بأوزوريس وأتيس وديونشيس Osiris, Attis, Dionysus وديونوشيس هذه ماتت لتفتدي بموتها بني البشر، وكانت ألقاب سوتر المنقذ Soter Savior واليوتريس المنجمي Eleatherios Deliverer تطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ كريوس الرب Kyrios Lord الذي أطلقه بولس على المسيح هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية السورية على ديونشيس Dionysus[2].

ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن

(١) Frazer Sir J : The Scape Voat 210,413..

(٢) Guigmbert Christianily p,88.

اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه ـ أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتم المنقذين، ولهذا ناداهم بولس بقوله: «هو ذا سر أقوله لكم»[١]، ثم يستطرد فيقول: «الذين أراهم أيضاً نفسه ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله»[٢].

لقد كانت فكرة «انتقال القديس» بجسمه حياً إلى السماء من الأفكار الشائعة المألوفة بين اليهود، فقد رووها عن موسى وأخنوخ وإيليا. وهكذا اختفى بنفس الطريقة الخفية التي ظهر بها «وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا». ورفع يديه وباركهم، وفيما يباركهم انفرد عنهم وأصعد[٣] إلى السماء[٤].

لكن اللافت للنظر والذي يجب أن ننبه إليه: هو أن الأصل العقدي الذي كان يجب الالتزام به في العقيدة المسيحية يسقط كل المبررات التي توهمها الفكر الإنجيلي عن الصلب والفداء هو ما ورد في سفر التثنية من التأكيد أن الأبناء لا يقتلون عن الآباء: «ولا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل»[٥].

وجاء أيضاً في سفر التثنية أن المعلق على خشبة ملعون من الله، «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلق على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك».

ولقد كشف القناع عن هذه الحقائق السير آرثر فندلاى في كتابه (صخرة الحق)[٦] في صحيفة ٤٥، فذكر ستة عشر إلها ملكاً مخلصاً عرفوا

---

(١) ١ كو ١٥: ٥١.
(٢) أ ع ١: ٣.
(٣) He was parted from them الفعل مبني للمجهول.
(٤) لو ٢٤: ٥٠، ٥١.
(٥) تثنيه ٢٤: ١٣.
(٦) ترجمة الدكتور على عبد الجليل راضي.

قبل مجيء المسيح. وهؤلاء أيضاً في تواضعهم وحبهم لبني قومهم ماتوا لأجل خطايا العالم، وسمي كل واحد من هؤلاء إلهاً مخلصاً، وأعطي لقب المسيح، وهذه هي أسماؤهم:

١ ـ أوزوريس	مصر	١٧٠٠ ق.م.
٢ ـ بعل	بابل	١٢٠٠ ق.م.
٣ ـ أتيس	فرجيا	١١٧٠ ق.م.
٤ ـ ثاموس	طوريا	١١٦٠ ق.م.
٥ ـ ديونسيوس	اليونان	١١٠٠ ق.م.
٦ ـ كرشنا	الهند	١٠٠٠ ق.م.
٧ ـ هيوس	أوربا	٨٣٤ ق.م.
٨ ـ أندرا	التبت	٧٢٥ ق.م.
٩ ـ بالي	آسيا	٧٢٥ ق.م.
١٠ ـ أياو	نيبال	٦٢٢ ق.م.
١١ ـ الستيس	فيريا	٦٠٠ ق.م.
١٢ ـ كوبكس لكوت	المكسيك	٥٨٧ ق.م.
١٣ ـ وتيبا	ترفانسكور	٥٥٢ ق.م.
١٤ ـ برومثيوس	اليونان	٥٤٧ ق.م.
١٥ ـ كورينوس	روما	٥٠٦ ق.م.
١٦ ـ مذرا	الفرس	٤٠٠ ق.م.

ويقول السير آرثر فندلاى في كتابه (الكون المنشور)[1]: «إن أول إله مخلص قرأنا عنه هو أوزوريس الذي ظهر في مصر في القرن الثامن عشر

(١) ترجمة الدكتور علي عبد الجليل راضي.

قبل الميلاد، وكان أميراً مصلحاً، فظن أنه إله، لأن الآلهة ـ كما يعتقدون ـ تلبس لباس قوي الشرف الرفيع. ولما ظهر شبحه بعد الممات ظنوا أن الآلهة سمحت بالحياة، وأنها لم تعد غاضبة على الشعب الذي كان يرزح في خطاياه وآثامه، وأنها رفعت عنه غضبها ولعنتها التي كتبت عليه بسبب آثامه وخطاياه».

وبهذا كان ظهور الفداء بعد الموت معناه أنه قهر الموت، وفتح أبواب السماء للمؤمنين، وبذا عمل أوزوريس على «أن يتواضع ويصير مطيعاً حتى الموت».

ولا عجب أن بولس مؤسس المسيحية يتحدث عن المسيح عليه السلام بقوله: «إنه تواضع حتى الموت، موت الصليب».. ومن هذه الزاوية بدأ بولس يكرز برسالته بقوله: «لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا المسيح وإياه مصلوباً»[1]، وفي هذا تطابق بين أوزوريس الذي أصبح مخلصاً وفادياً ووسيطاً للفراعنة، ومنهم يتقبل كل الحب والتقدير في عبادتهم وسجودهم له، وبين المسيح كزعمهم المخلص والفادي والوسيط.

والحقيقة التي لا ريب فيها هي:

ظهر المسيح عليه السلام في عهد الإمبراطور الروماني أو غسطس سنة ١٤م، عقب فراغ طويل المدى من الجدب الديني لبني اسرائيل، وذلك تأديباً لهم إذ تركهم الله سبحانه وتعالى بلا راع يرعاهم ويهديهم سواء السبيل.

وقال عنهم ايليا نبي العهد القديم: «قتلوا أنبياءك، وهدموا مذابحك...» وقال عنهم المسيح «ياأورشليم، ياأورشليم، ياقاتلة الأنبياء والمرسلين» ومن هذا فقد أصبحوا فترة من الزمن بلا نبي ولا رسول هذه الفترة تطلق عليها الكنيسة «فترة الصمت المطلق».

---

(١) ١ كو ٢:٢.

وبالإضافة إلى هذا الجدب الديني بالنسبة لشعب إسرائيل كان العالم الروماني يشعر بنوع من الفراغ أو الجدب الديني كذلك، فالرومان أنفسهم بدؤوا ـ لا سيما المتعلمون. وأيضاً يمكن الموازنة بين مرويات الأناجيل وما يناظرها بالسبق الزمني في ترسيخ مبادئ المسيحية التي أتى بها بولس وفسر بها كلام من سبقوه التي تعتبر صورة طبق الأصل من الأصل الهندي.

بولس المبشر والداعية

أصدر حاكم دمشق، بإيعاز اليهود الذين ساءهم ما فعل بولس، أمراً بالقبض عليه، فما كان من أصدقائه الجدد إلا أن أنزلوه من سلة من فوق أسوار المدينة. ويقول هو إنه ظل ثلاثة أيام يدعو إلى المسيح في قرى بلاد العرب، ولما عاد إلى أورشليم عفا عنه بطرس، واتخذه صديقاً له، وعاش معه فترة من الزمان. وكان معظم الرسل يرتابون فيه، ولكن برنابا، وهو مهتد حديث، رحب به وقدم له كثيراً من المعونة، وأقنع كنيسة أورشليم أن تحمل مضطهدها القديم بشرى مجيء المسيح الذي سيقيم عما قريب ملكوت الله. وحاول اليهود، الذين يتكلمون اللغة اليونانية والذي جاءهم بالإنجيل، أن يقتلوه، ولعل الرسل خشوا أن تعرضهم حماسته الشديدة للخطر فأرسلوه إلى طرسوس.

وظل في مسقط رأسه ثماني سنين لا يعرف عن التاريخ شيئاً، ولعله شعر مرة أخرى بأثر التصوف الديني المنتشر بين اليونان وما فيه من تبشير بمجيء المنقذ. ثم أقبل عليه برنابا وطلب إليه أن يساعده على خدمة الدين في أنطاكية. وأخذ الرجلان يعملان معاً (٤٣ ـ ٤٤؟) فهديا كثيراً من الناس، فلم تلبث أنطاكية أن فاقت سائر المدن في عدد من بها من المسيحيين. وفيها أطلق الوثنيون على «المؤمنين»، أو «التلاميذ» أو «القديسين» كما كانوا يسمون أنفسهم اسم السكرستيانوني أي أتباع المسيح أي الإنسان الممسوح. وهنا أيضاً انضمت «الأمم» أي غير اليهود إلى الدين الجديد. وكان معظم هؤلاء ممن «يخشون الله» وكانت كثرتهم من النساء

اللاتي آمن ببعض طقوس اليهودية وبما فيها من دعوة إلى الوحدانية.

ولم يكن الإخوة في أنطاكية فقراء كأمثالهم في أورشليم، فقد كانت فيهم أقلية لا بأس بها من طبقة التجار، فاندفعوا بقوة هذه الحركة الفتية الناشئة إلى جمع قدر من المال ليستعينوا به على نشر الإنجيل، «فوضع» رؤساء الكنيسة «أيديهم» على برنابا وبولس وبعثوهما فيما يسميه التاريخ «رحلة القديس بولس التبشيرية الأولى» (٤٥ ـ ٤٧؟) وهي تسمية تستخف بشأن برنابا. وأبحر الرجلان إلى قبرص، ولقيا نجاحاً مشجعاً بين اليهود الكثيرين المقيمين في تلك الجزيرة. ثم ركبا السفينة من يافوس إلى برجا في ممقيلية واجتازا طرقاً جبلية وعرة تعرضا فيها للخطر حتى وصلا إلى أنطاكية في بسيديا .Pisidia واستمع إليهما الكنيس ورحب بهما فلما بدءا يعظان «الأمم» كما يعظان اليهود غضب عليهما اليهود المتمسكون بدينهم وحملوا موظفي البلدية على إخراج المبشرين من المدينة. ونشأت هذه الصعاب نفسها في إقونيوم Iconium، ورجم بولس في لسترا بالحجارة وجر على وجهه إلى خارج المدينة، وترك في العراء ظناً من أعدائه أنه مات. بيد أن قلبي بولس وبرنابا كانا لا يزالان يفيضان غبطة بروح القدس فحملا الإنجيل إلى دوربي Derbe ثم عادا بالطريق نفسه إلى برجا وأبحرا منها إلى أنطاكية السورية، وفيها واجهتهما أعقد مشكلة في تاريخ المسيحية.

ذلك أن بعض التابعين الممتازين في دمشق سمعوا أن المبشرين كانا يقبلان المهتدين من «الأمم» دون أن يحتما عليهم الختان، فجاؤوا إلى أنطاكية «يعلمون الأخوة أنه إن لم تختنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا». ولم يكن الختان عند اليهود من الطقوس التي توجبها صحة الجسم، بقدر ما كان رمزاً مقدسا لعهده القديم الذي عاهد عليه الله، ولهذا روع اليهودي المسيحي حين فكر في نكث ذلك العهد. وأدرك بولس وبرنابا أنه إذا نال هؤلاء المبعوثون بغيتهم فإن المسيحية لن يقبلها إلا عدد قليل من غير اليهود، وأنها ستبقى «بدعة يهودية» (كما سماها هيني فيما بعد) لا

تلبث أن تزول بعد قرن من الزمان. ومن أجل هذا سافرا إلى أورشليم (٥٠؟) وعرضا المسألة على بساط البحث مع سائر الرسل، وكانوا كلهم تقريباً لا يزالون يتعبدون مخلصين في الهيكل. فأما يعقوب فقد تردد كثيراً في قبول رأيهما، وأما بطرس فقد دافع عن المبشرين، واتفق الجميع آخر الأمر على ألا يطلب إلى المهتدين الوثنيين أكثر من أن يقلعوا عن الزنا، وعن أكل المخنوقة والدم وما ذبح على النصب. ويبدو أن بولس يسر الأمر بأن وعد العشيرة المسيحية المعدمة في دمشق بشيء من المال المطرد الزيادة في كنيسة أنطاكية.

لكن هذه النتيجة كان لها من الخطر ما يحول دون البت فيها بهذه السهولة. فقد جاءت من أورشليم إلى أنطاكية طائفة أخرى من المسيحيين اليهود المتمسكين بدينهم، ورأت بطرس يأكل مع الكفرة وأقنعه بأن ينفصل هو واليهود الذين اعتنقوا المسيحية عن المهتدين غير المختتنين، ولسنا نعرف رأي بطرس في هذه المسالة، ولكن بولس يخبرنا أنه «قاوم بطرس مواجهة» في أنطاكية، واتهمه بالرياء، ولعل بطرس لم يرغب، كما لم يرغب بولس، في أكثر من أن تكون «كل الأشياء لكل الناس».

والراجح أن بولس قام برحلته التبشيرية الثانية في عام ٥٠ من التاريخ الميلادي وكان قد اختلف مع برنابا الذي اختفى وقتئذ في موطنه بجزيرة قبرص ولم يعد له ذكر في التاريخ. وعاد بولس يزور مرة أخرى بني ملته في آسية الصغرى، وضم إليه في لسترا تلميذاً يدعى تيموثاوس أحبه من كل قلبه الذي ظل منذ زمن طويل متعطشاً إلى من يحب. وسافرا معا واجتازا فريجيا وغلاطية حتى وصلا شمالا إلى إسكندرية ترواس، وفيها تعرف بولس بلوقا وهو ممن اعتنقوا اليهودية من غير المختتنين، وكان لوقا رجلا طيب القلب كبير العقل وهو في أكبر الظن صاحب الإنجيل الثالث وسفر أعمال الرسل ـ وهما السفران اللذان خففا من حدة النزاع الذي امتاز به تاريخ المسيحية منذ بدايته. ثم أبحر بولس وتيموثاوس ومساعد آخر يدعى

سيلاس من ترواس إلى مقدونية، ووطئت أقدامهم لأول مرة أرضا أوربية. فلما وصلا إلى فلبي، وهي المكان الذي هزم فيه أنطونيوس بروتس قبض عليهما بتهمة تكدير السلام، وجلدا، وزجا في السجن، ثم أطلق سراحهما حين عرف أنهما مواطنان رومانيان. وانتقلا من فلي إلى تسالونيكي (سالونيك)، وفيها دخل بولس المجمع وظل ثلاثة أسبات يخطب في اليهود. فآمن بدعوته عدد قليل منهم، وأسسوا فيها كنيسة لهم، وأثار غيرهم أهل المدينة عليه واتهموه بأنه يدعو لملك جديد، واضطر أصدقاؤه أن يخرجوه خلسة إلى بيريه في أثناء الليل. وهناك تقبل اليهود الدعوة بقبول حسن، ولكن أهل تسالونيكي جاؤوا يتهمون بولس بأنه عدو لليهودية، فأقلع منها إلى أثينة على ظهر سفينة وحيداً كسير القلب كاسف البال.

وهنا في قلب الديانة الوثنية وعلومها وفلسفتها ألقى نفسه بلا صديق، ولم يكن في هذا البلد إلا عدد قليل من اليهود الذين يستمعون إلى مواعظه. وكان عليه أن يقف بين الناس في السوق العامة كما يفعل أي خطيب حديث يريد أن يتحدث إلى الجمهور، وينافس عشرات الخطباء في إيصال دعوته إلى آذان المارة. وكان بعض من يستمعون إليه يناقشونه فيما يقول. وبعضهم الآخر يسخرون منه ويسألون: «ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟» وأظهر عدد من الناس اهتماما بقوله، وأخذوه إلى الأريويجس أو أكمة المريخ ليجد مكانا أهدأ من السوق العامة يسمع الناس فيه صوته. وقال لهم إنه رأى في أثينة مذبحاً نقش عليه «الإله مجهول» وأكبر الظن أن هذا النقش كان يعبر عن رغبة من نقشوه في التسبيح بحمد إله لا يعرفون اسمه على وجه التحقيق، أو في استرضاء هذا الإله، أو طلب معونته، ولكن بولس فسره بأنه اعتراف منهم بجهلهم كنه الله، ثم أضاف إلى ذلك هذه الأقوال البليغة: «فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به، الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، هذا إذاً هو رب السماء والأرض لا يسكن فيه هياكل مصنوعة بالأيادي... هو يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء... وصنع من دم واحد كل أمة من الناس... لكي يطلبوا الله لعلهم

يلتمسونه فيجدونه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، كما قال بعض شعرائكم أيضاً، لأننا أيضاً ذريته، فإذاً نحن ذرية الله لا ينبغي أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان. فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدما للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات».

ولقد كانت جرأة منه أن يحاول التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية ومع هذا فإنه لم يتأثر بهذه المحاولة إلا عدد قليل، ذلك أن ما سمعه الأثينيون من الآراء قبل ذلك الوقت قد بلغ من الكثرة ما يحول بينهم وبين التحمس لما يلقى إليهم منها أيا كان شأنه. وغادر بولس المدينة يائسا وذهب إلى كورنثة، وكانت التجارة قد جمعت فيها جالية كبيرة من اليهود. وأقام في هذه المدينة ثمانية عشر شهراً (٥١ ـ ٥٢؟م) يكسب فيها قوته بصنع الخيام ويخطب كل سبت في كنيستها. وأفلح في هداية رئيس الكنيس، وعدد غيره من الأفراد بلغ من الكثرة حداً ارتاع له اليهود فاتهموا بولس أمام غاليون Gallio الحاكم الروماني بأنه يستميل «الناس على أن يعبدوا لله بخلاف الناموس». فأجابهم غاليون بقوله: لست أشاء أن أكون قاضيا لهذه الأمور»، ثم طردهم من المحكمة. وأخذت الطائفتان تتضاربان «ولكن لم يهم غاليون شيء من ذلك». وعرض بولس الإنجيل على غير اليهود من أهل كورنثة ودخل كثيرون منهم في دينه، ولعل المسيحية قد بدت لهم أنها صورة أخرى من الأديان الخفية، التي طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم، ولعلهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة، وأثروا في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيراً يألفه العقل الهلنستي.

ثم انتقل بولس من كرونثه إلى أورشليم (٥٣؟) ليسلم على الإخوة. ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى بدأ سفرته التبشيرية الثالثة، وزار فيها

الجاليات المسيحية في أنطاكية وآسية الصغرى، وبعث فيهم القوة والعزيمة بحماسته وثقته. وقضى في إفسوس عامين، وأتى فيها بأمثال عجيبة جعلت كثيرين من الناس يعتقدون أنه صانع معجزات، وحاولوا أن يشفوا مرضاهم بلمس الأثواب التي لبسها، ووجد صانعو التماثيل التي كان عابدو الأوثان يضعونها في هيكل أرطيس أن تجارتهم كسدت، ولعل بولس قد أعاد هنا ما أعلنه في أثينة من تشهير بعابدي الصور أو الوثنيين. وقام رجل يدعى دمتريوس ممن كانوا يصنعون نماذج من فضة للضريح العظيم ليتبرك بها الحجاج الصالحون، قام هذا الرجل بتنظيم مظاهرة احتجاج على بولس والدين الجديد، وسار على رأس جماعة من اليونان إلى ملهى المدينة، وظلوا ساعتين كاملتين ينادون: «عظيمة هي أرطيس الإفسيسيين!» وأفلح أحد موظفي المدينة في تفريق هذا الجمع الحاشد، ولكن بولس رأى من الحكمة أن يغادرها إلى مقدونية.

وقضى بضعة أشهر سعيداً وسط الجماعات التي أوجدها في فلبي، وتسالونيكي وبيريه. ولما سمع أن الانشقاق والفساد أخذا يفتان في عضد الإخوة في كورنثة لم يكتف بلومهم الشديد في عدة رسائل بعث بها إليهم، بل انتقل إليهم بنفسه ليواجه من كانوا يذمونه ويفترون عليه، وكانوا قد ادعوا أنه يستفيد مادياً من عظاته، ويسخرون من الرؤى التي كان يحدثهم عنها، وطلبوا من جديد أن يتمسك المسيحيون جميعاً بالشريعة اليهودية. فأخذ بولس يذكر الإخوة الثائرين أنه كان حيثما حل يكسب قوته بعمل يديه، وأما الكسب المادي فقد سألهم هل يعرفون ما عاد عليه من أسفاره ـ لقد جلد سبع مرات، ورجم مرة، وتحطمت به السفينة ثلاث مرات، وتعرض لمئات الأخطار من اللصوص، والوطنيين المتحمسين، والغرق في الأنهار. وترامى إليه وهو في هذه المحنة أن «جماعة المختتنين» قد نقضوا، على ما يبدو، اتفاق أورشليم وذهبوا إلى غلاطية وطلبوا إلى جميع المهتدين أن يطيعوا الشريعة اليهودية إطاعة كاملة. فما كان منه إلا أن كتب إلى أهل غلاطية رسالة تفيض بالغضب، انفصل بها نهائياً عن المسيحيين

المتهودين، وأعلن فيها أن الناس لا ينجون لاستمساكهم بشريعة موسى بل بإيمانهم القوي الفعال بالمسيح المنقذ ابن الله. ثم سافر إلى أورشليم، وهو لا يعلم ماذا ينتظره فيها من محن وبلايا أشد، ليدفع عن نفسه أمام الرسل، وليحتفل في المدينة المقدسة بعيد النصرة القديم. وكان يرجو أن يسافر من أورشليم إلى رومة، وإلى أسبانيا نفسها، ولا يستريح حتى تسمع كل ولاية من ولايات الإمبراطورية بأخبار المسيح الذي قام من بين الموتى وبما وعد به أتباعه الصالحين.

بولس والعالم الديني

واستقبله زعماء الكنيسة الكبرى، أحسن استقبال ولكنهم حين اختلوا به حذروه بأن قالوا له: «أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس، وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً ألا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد... سيسمعون أنك قد جئت، فافعل هذا الذي نقول لك. عندنا أربعة رجال عليهم نذر. خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم، فسيعلم الجميع أن ليس شيء مما أخبروا عنك. بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس».

وتقبَّل بولس النصيحة راضيا، وأجرى طقوس التطهير، ولكن بعض اليهود رأوه في الهيكل فرفعوا عقيرتهم قائلين إنه «هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضداً للشعب والناموس». وقبض عليه نفر من الغوغاء، وجرّوه خارج الهيكل «وبينما هم يطلبون أن يقتلوه» إذ أقبلت كتيبة رومانية وأنقذته من القتل بأن قبضت عليه. والتفت بولس ليتحدث إلى الجماهير وأكد لهم أنه يهودي ومسيحي، فنادوا بقتله، فأمر الضابط الروماني بجلده، ولكنه ألغى الأمر حين علم أن بولس يتمتع بحق المواطنية الرومانية. وجيء بالسجين في اليوم الثاني أمام السنهدرين، فخاطب بولس المجلس وأعلن أنه فريسي، ونال بذلك بعض التأييد، ولكن أعداءه المهتاجين حاولوا مرة أخرى أن يعتدوا عليه، فأخذه الضابط إلى الثكنات، وجاءه في تلك الليلة ابن أخت له يحذره ويقول له إن أربعين من اليهود قد أقسموا ألا يأكلوا أو يشربوا حتى يقتلوه. وخشي الضابط أن يحدث في

المدينة اضطراب يضر به، فأرسل بولس ليلاً إلى فيلكس وإلى قيصرية.

وجاء رئيس الكهنة ومعه بعض الشيوخ من بيت المقدس إلى قيصرية بعد خمسة أيام من ذلك الوقت وقالوا إنهم وجدوا بولس «مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة». وأقر بولس أنه يدعو إلى دين جديد، وأضاف إلى ذلك قوله إنه يؤمن «بكل ما هو مكتوب في الناموس». فما كان من فيلكس إلا أن طرد الشاكين، ولكنه مع ذلك أبقى بولس تحت الحراسة ومنع أحداً من أصحابه أن يأتي إليه. وبقي بولس على هذه الحال عامين كاملين (٥٨ ـ ٦٠؟)، ولعل فيلكس كان يرجو أن يحصل على رشوة طيبة.

ولما عين فستوس والياً بعد فيلكس عرض أن يحاكم بولس أمامه في دمشق، ولكن بولس خشى هذا الجو المهتاج فلجأ إلى ما له من حق بوصفه مواطنا رومانيا، وطلب أن يحاكم أمام الإمبراطور نفسه. وبينما كان الملك أغرباس (أجربا) ماراً بقيصرية أذن له بالمثول بين يديه مرة أخرى وحكم عليه بأن علمه الكثير قد جعله يهذي ولكنه فيما عدا هذا برئ. وقال أغرباس إنه «كان يمكن أن يطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر» وأركب بولس سفينة تجارية سافرت به على مهل، وقضت في البحر زمناً طويلاً صادفتها في أثنائه عاصفة شتوية قبل أن تصل إلى إيطاليا. ويقال إن العاصفة دامت أربعة عشر يوما ضرب فيها بولس للبحارة والمسافرين مثلا طيباً مشجعاً للرجل الذي يسمو على الموت، الواثق من النجاة. وتحطمت السفينة على صخور مالطة، ولكن من عليها جميعاً نجوا بالسباحة إلى الشاطئ. وبعد ثلاثة أشهر من هذه الحادثة وصل بولس إلى إيطاليا.

وعامله ولاة الأمور الرومان برفق، وانتظروا حتى يأتي الشاكون من فلسطين، وحتى يجد نيرون متسعا من الوقت يستمع فيه إلى قضيته، وسمح له أن يعيش في بيت يختاره هو لنفسه، وأن يوكل جندي بحراسته. ولم يكن في مقدروه أن يتنقل في المدينة بكامل حريته، ولكنه كان يستطيع استقبال كل من يشاء ولهذا دعا زعماء اليهود في رومة أن يوافوه في المنزل الذي

يقيم فيه، فجاؤوا واستمعوا له وهم صابرون، ولكنهم لما رأوا أنه لا يعتقد بأن مراعاة الناموس اليهودي ضرورية للنجاة، تولوا عنه، فقد كان يبدو لهم أن الناموس هو عماد الحياة اليهودية وسلواها اللذان لا غنى لها عنهما. وناداهم بولس قائلاً: «فليكن معلوما عندكم أن خلاص الله قد أرسل على الأمم وهم سيسمعون!» وغضبت الجالية المسيحية التي وجدها في رومة من موقفه هذا كما غضب منه اليهود. ذلك أن هؤلاء الإخوان وجلهم من اليهود كانوا يفضلون المسيحية التي جاءت إليهم من أورشليم. فكانوا يختتنون، وكانت رومة لا تكاد تفرق بينهم وبين اليهود الأصليين. ورحب هؤلاء ببطرس ولكنهم قابلوا بولس بفتور؛ واستطاع أن يهدي بعض سكان رومة من غير اليهود، ومن بينهم بعض ذوي المناصب الكبرى، ولكنه ضاق ذرعا بوحدته في سجنه وأحس بوطأة القيود المفروضة عليه.

وكان يجد بعض السلوى فيما يبعث به من رسائل طويلة رقيقة إلى أتباعه البعيدين عنه، وكان قد قضى عشر سنين يكتب مثل هذه الرسائل، وما من شك في أن مجموعها يزيد كثيراً على العشر التي وصلتنا منسوبة إليه. ولم يكن يكتبها هو بقلمه، بل كان يمليها، وكثيراً ما يضيف إليها حاشية بخط يده ويبدو أنه تركها دون أن يراجعها، تركها بكل ما فيها من تكرار وغموض وخطأ نحوي. ولكن ما فيها من شعور عميق يفيض بالإخلاص، وغيرة وغضبة قوية للقضية الكبرى التي وهب حياته للدفاع عنها، وكثرة ما فيها من أقوال نبيلة رائعة، كل هذا قد جعلها أقوى وأبلغ ما كتب من الرسائل من أدب؛ وإن ما في أدب شيشرون من سحر ليبدو ضئيلا إذا قيس إلى ما فيها من إيمان قوي فياض. فهي تشتمل على ألفاظ جد قوية ينطق بها رجل كانت كنائسه في منزلة أبنائه الذين يحميهم ويرد عنهم الأذى بأعظم ما يستطيع من قوة، وفيها هجوم عنيف على أعدائه الذين لا حصر لهم، وتأنيب شديد للمذنبين والمارقين، ولا يخلو جزء منها من إنذار ونصح رحيم رقيق «وكانوا شاكرين، لتكن فيكم كلمة المسيح بغنىً وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني

روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب» وها هي ذي كلمات كبيرة يرددها العالم المسيحي كله ويعتز بها: «الحرف يقتل، ولكن الروح يحيى»، «المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة»، «كل شيء طاهر للطاهرين»، «محبة المال أصل لكل الشرور». وها هي ذي اعترافات صريحة منه بعيوبه بل بريائه الشبيه برياء رجال السياسة.

وقد احتفظ بهذه الرسائل الجماعات التي وجهت إليها وكثيراً ما كانت تتلوها على الناس جهرة، ولم يكد يختتم القرن الأول حتى كان الكثير منها معروفا وواسع الانتشار؛ فها هو ذا كلمنت الروماني يشير إليها في عام ٩٧، ويشير إليها أيضاً بعد قليل من ذلك الوقت كل من أجناسيوس Ignatius وبوليكارب Polycarp؛ ولم تلبث أن دخلت في أخص خصائص اللاهوت المسيحي. ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح. وكانت العوامل التي أوحت إليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت هي انقباض نفسه، وندمه، والصورة التي استحال إليها المسيح في خياله، ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شراً وخبثا؛ ولعله تذكر السُّنة اليهودية والوثنية سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس: أما هذه الأسس فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته[1]. وتلك فكرة كانت أكثر قبولاً لدى

(١) لقد كان اليهود الأقدمون يشتركون مع الكنعانيين، والمؤابيين، والفينيقيين، والقرطاجنين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل، بل بطفل محبوب، لاسترضاء السماء الغضبى. ثم أصبح في الإمكان على توالي الأيام أن يستبدل بالطفل مجرم محكوم عليه بالإعدام. وكان البابليون يلبسون هذا الضحية أثواباً ملكية، لكي يمثل بها ابن الملك، ثم تجلد وتشنق. وكان هذا نفسه يحدث في رودس في عيد كرونس. وأكبر الظن أن التضحية بحمل أو جدي في عيد الفصح ليست إلا تخفيفاً فهذه التضحية البشرية اقتضاء تقدم المدنية. وفي ذلك يقول: جيمس فريزر Frazer «وفي يوم الكفارة كاهن اليهود الأعظم يضع كلتا يديه على =

الوثنيين منها لدى اليهود. ولقد كانت مصر، وآسية الصغرى، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد ـ تؤمن بأوزريس، وأتيس وديونيشس ـ التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان. وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) واليوثريوس Eleutherios (المنجي) تطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ كريوس Kyrios (الرب) الذي سمي به بولس المسيح هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية ـ السورية على ديونيشس الميت المفتدى، ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية، الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه، أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين، ولهذا ناداهم بولس بقوله: «هو ذا سر أقوله لكم».

وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت الشعبي الموسى بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سفر الحكمة، وفلسفة فليمون. من ذلك قول بولس إن المسيح هو «حكمة الله» و«ابن الله الأول» بكر كل خليقة، فإنه فيه خلق الكل.. الكل به وله قد خلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل، وليس هو المسيح المنتظر (المسيا) اليهودي، الذي سينجي إسرائيل من الأسر، بل هو الكلمة الذي سينجي الناس كلهم بموته. وقد استطاع بولس بهذه التفسيرات كلها أن يغض النظر عن حياة يسوع الواقعة وعن أقواله التي لم يسمعها منه مباشرة، واستطاع بذلك أن يقف على قدم المساواة مع الرسل الأولين، الذين لم يكونوا يجاورونه في آرائه الميتافيزيقية. لقد كان في وسعه فوق هذا أن يجيب عن الأسئلة المربكة أسئلة الذين قالوا إنه إذا كان المسيح إلها حقاً فلم رضي أن يقتل فقال: إن المسيح قد قتل ليفتدي بموته العالم الذي استحوذ عليه الشيطان بسبب خطيئة آدم. فكان لابد أن يموت ليحكم أغلال الموت، ويفتح أبواب السماء لكل من نالوا رضوان الله. انتهى.

= جدي حي، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكبه بنو إسرائيل من مظالم؛ حتى إذا ما حمل الحيوان خطايا الشعب على هذا النحو أطلقه في البرية».

الفصل الحادي عشر

- ◄ اكتشاف إنجيل برنابا والتعريف به
- ◄ موقف الكنيسة من إنجيل برنابا
- ◄ البراهين على انتشار إنجيل برنابا قبل الإسلام
- ◄ مخالفة إنجيل برنابا للأناجيل الأربعة
- ◄ نسخة الفولجانا
- ◄ نسخة أكسفورد
- ◄ نسخة ديوي
- ◄ التراجم إلى اللغات الحية
- ◄ نسخة الإسكندرية
- ◄ نسخة الفاتيكان
- ◄ النسخة السينائية
- ◄ النسخة السبعينية

اكتشاف الإنجيل
إنجيل برنابا والتعريف به

عثر كريمر مستشار ملك بروسيا على نسخة لإنجيل برنابا مترجمة إلى اللغة الإيطالية، ولما لها من قيمة تاريخيه أهداها إلى البرنس يوجين سافوى، ثم انتقلت النسخة مع سائر مكتبة البرنس الزاخرة بالآثار التاريخية والكتب العلمية إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا حيث لا تزال هناك حتى الآن.

وبرنابا حواري من أنصار المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل وهو الذي عرف التلاميذ ببولس بعد ما اهتدى بولس إلى المسيحية ورجع إلى أورشليم: «ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا، وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع»[١].

فلعل التلاميذ ما كانوا ليثقوا ببولس بعد ما كان من عداوته لدينهم لولا برنابا الذي عرفه أولاً وعرفهم به بعد أن وثق به.

ومع هذا فقد تنكر بولس لبرنابا، ولم يحفظ له الجميل، فاختلفا اختلافاً عنيفاً: «ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم، فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً

---

(١) أع ٩: ٢٦ ـ ٢٨.

يوحنا الذي يدعي مرقص وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما لا يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقص وسافر في البحر إلى قبرص. وأما بولس فاختار سيلا»[١].

وانعكس هذا الافتراق في إنجيل برنابا، فجاء في مقدمته أن بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه عن المسيح، ومن ذلك: «الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذا الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمته العظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذي ضل في عدادهم أيضاً بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته في أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة، وعليه فاحذروا كل واحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً»[٢].

والسؤال الآن: ما قيمة هذا الزعم الذي يجيء من رجل لم يكن من تلاميذ المسيح ﷺ (بحسب تصريحه هو)، ولم يكن من تلاميذ تلاميذه (بحسب استنتاجات علماء اللاهوت)، ولم يكن من خدام الكلمة (أي المسيح)، ولم يكتب ما كتب عن وحي وإلهام؟!

---

(١) أع ١٥: ٢٦ ـ ٤٠.

(٢) المقصود إنجيل لوقا: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إليها الذين كانوا من البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عملت به» لوقا ١: ١ ـ ٤.

إنجيل برنابا:

ترجم الأستاذ خليل سعادة إنجيل برنابا إلى اللغة العربية، ونشرت دار المنار لصاحبها الشيخ رشيد رضا هذا الإنجيل وفي مقدمته كتبت هذه العبارة: «إنجيل برنابا وجد باللغة الإيطالية في مكتبة بلاط فيينا. وترجم بعد ذلك إلى جميع اللغات، هذا الإنجيل يعترف صراحة بأن عيسى بشر مثل غيره من البشر، وينكر ألوهيته، ويعترف بوحدانية الله، وبأن محمداً عبد الله ورسوله. ويقال إن البابا «جلاطيوس» قد حرم قراءة «هذا الإنجيل سنة ٤٩٢م».

يعلن الدكتور تشارلس فرنسيس بوتر في كتابه (السنون المفقودة من عيسى تكشف)[١]: «إن إنجيلا يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول. والمخطوطات التي اكتشفت حديثاً في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل».

وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التي لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيراً، وهذا هو سر التعجب، فالمصادر التي تذكر هذه الأمور ـ كلها أجنبية غربية ـ قد ذكرت أن مخطوطاً آخر في الفيوم وآخر في مصر العليا، وثالثاً في طور سيناء في سنة ١٩٥٨م، وأن هذا الأخير مكتوب باللغة الديموطيقية، وأنه كتب في القرن الثالث بواسطة القديس مرقص الحواري المعروف، يصف فيه تاريخ عيسى ويصحح نقطاً مما جرى عليه العرف.

لقد استبعد إنجيل برنابا الذي يهدي إلى الحق، فيهدي إلى الرسول الكريم سيدنا محمدﷺ، ومن عباراته: «فلما كان الناس قد دعوني الله، وابن الله، على أني كنت بريئا في العالم ـ أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله

(١) ترجمة الدكتور علي عبد الجليل راضي.

الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله»[١].

وفي هذا المعنى يقول يوحنا الحواري: «ومتى جاء روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي»[٢].

وقال برنابا أيضاً: «لأن الله سيصعدني من الأرض، وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي. ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة، أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة، وسيفعل الله هذا لأنني اعترفت بحقيقة مسيا[٣] الذي سيعطيني هذا الجزاء، أي أن أعرف أني حي، وأني بريء من وصمة تلك الميتة».

وحين جاء نبي الإسلام محمد رسول الله ﷺ فند هذه الفرية بقول الله تعالى:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾[٤].

لقد استبعد إنجيل برنابا، وبقيت كتابات بولس الذي ادعى لنفسه الرسالة. وبين برنابا وبين بولس مشادة يكشف القناع عنها برنابا في قوله: «أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمته العظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين أكل

(١) إنجيل برنابا الباب ٢٢١.
(٢) إنجيل يوحنا ١٥ : ٢٦.
(٣) مسيا: كلمة آرامية تعني الرسول. انظر «الغات السامية» للدكتور حسن ظاظا.
(٤) سورة النساء: آية ١٥٧.

لحم نجس الذي ضل في عدادهم بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى»[١].

ويقرر العهد الجديد في سفر الأعمال (١٥: ٢٦ ـ ٤٠) هذا القرار: «فحصل مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقص وسافر في البحر إلى قبرص، وأما بولس فاختار سيلاً وخرج مستودعاً من الإخوة».

استبعد إنجيل برنابا وبقيت كتابات بولس الذي جاء بتعليم شديد الكفر بقوله: «كأس البركة التي تباركها أليست هي شركة دم المسيح. الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح»[٢].

ويسترسل الحواري يوحنا على هذا النمط فيقول: «جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه»[٣].

ومن هنا نشأ أحد الأسرار الكنسية السبعة المعروفة بسر «الأفخارستيا» وفحواه: «إننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر، واستدعاء حلول الروح القدس على القرابين ـ يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين حتى إن الخبز والخمر اللَّذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزاً خمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت الخبز والخمر». «ونؤمن أن ربنا يسوع المسيح حاضر في هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الإشارة أو الصورة أو المجاز ولا بأنه مستتر في الخبز بل هو حاضر حضوراً فعلياً».

---

(١) ١ كو ١٠: ١٦.
(٢) مقدمة إنجيل برنابا.
(٣) يو ٦: ٥٣ ـ ٥٦.

موقف الكنيسة من إنجيل برنابا

لعل في سيطرة تعاليم بولس في الكنائس وسيطرة شخصيته على التلاميذ ما دفع بعض علماء الغرب إلى القول بأن إنجيل يوحنا وإنجيل مرقص من تأليف بولس كما تحققه دائرة المعارف الفرنسية، وكما يحققه قاموس الكتاب المقدس.

ولهذه الاعتبارات أثرها في جعل الكنيسة تستبعد إنجيل برنابا بمقتضى أمر بابوي أصدره البابا جلاسيوس في أواخر القرن الخامس للميلاد، أي قبل بعثة الرسول سيدنا محمدﷺ.

تاريخ كتابة إنجيل برنابا:

يرجع تاريخ كتابة إنجيل برنابا باللغة الإيطالية إلى ما بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر، ومن المرجح أن النسخة الإيطالية هي عينها التي اختلسها الراهب فرامرينو من مكتبة البابا سكتس الخامس الذي عاش في أواخر القرن السادس عشر، لاسيما أن نوع الورق الذي سطرت عليه النسخة الإيطالية إنما هو من الورق الإيطالي المعروف بالآثار المائية التي فيه والتي يمكن اتخاذها دليلاً صادقاً على تاريخ النسخة الإيطالية.

وإلى جانب النسخة الإيطالية ظهرت نسخة إسبانية في أوائل القرن الثامن عشر تقع في مائتين واثنين وعشرين فصلاً، وفي أربعمائة وعشرين صفحة، وقد نقلها إلى اللغة الإنجليزية الدكتور منكهوس أحد أعضاء كلية الملكة في اكسفورد، ودفع الترجمة مع الأصل في سنة ١٧٨٤م إلى الدكتور هوايت أحد مشاهير الأساتذة.

البراهين على انتشار إنجيل برنابا قبل الإسلام

إن الأمر البابوي ـ الذي أصدره البابا جلاسيوس الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢م ـ يبين أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها، وفي عدادها كتاب يسمى إنجيل برنابا، وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الإنجيل كان موجوداً قبل ظهور الإسلام، ومشهوراً بين خاصة العلماء.[١]

ودليل ثان هو نوع الورق الذي سطرت عليه النسخة الإيطالية، الذي هو من الورق المعروف بالآثار المائية التي فيه، والتي تدل على تاريخ النسخة الإيطالية مما يؤكد شيوعه.

ودليل ثالث بشأن الزمن الذي كتب فيه ـ ما ورد: «أجاب يسوع أني حقاً أرسلت إلى بيت إسرائيل نبي خلاص، ولكن سيأتي بعدي مسيا المرسل من الله لكل العالم الذي لأجله خلق الله العالم، حينئذ يسجد لله في كل العالم، وتنال الرحمة حتى أن سنة اليوبيل التي تجيء الآن كل مائة سنة سيجعلها مسيا كل سنة من كل مكان»[٢].

ولعل هذا الدليل يشير إلى ركن من أركان الإسلام، ألا وهو الحج.

---

(١) انظر كتابنا «الاسفار المقدسة قبل الإسلام»، عالم الكتب، بيروت.

(٢) برنابا ٨٢: ١٦ ـ ١٨.

مخالفة إنجيل برنابا للأناجيل الأربعة

يخالف هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة المشهورة في عدة أمور أهمها:

١ - قوله إن يسوع انكر ألوهيته، وكونه ابن الله.

٢ - أن الذبيح الذي عزم إبراهيم عليه السلام على تقديمه لله إنما هو إسماعيل الابن البكر لإبراهيم لا إسحق وأن الموعد لإسماعيل.

٣ - أن مسيا، أو المسيح المنتظر، ليس هو يسوع بل محمد، وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول، وقال إن محمداً رسول الله، وإن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرف من نور «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»[1].

٤ - أن يسوع لم يصلب، بل حمل إلى السماء، وأن الذي صلب هو يهوذا الأسخريوطي الخائن مسلم سيده[2].

ومن نافلة القول التأكيد هنا على أن مسألة محاكمة المسيح وصلبه تتناقض مع حقائق هامة في سياق ما جاء «بالأنبياء والأناجيل» فسرد تفاصيل لمخاوف الكهنة والكتبة من أن يسرقوا جسد المسيح من القبر -

---

(١) يستنكر الباحثون الغربيون الإشارة الصريحة عن محمد ﷺ ويتجاهلون تطبيقهم لنبوءة صريحة عن المسيح في قول أشعياء: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً اسمه عمانوئيل» شعياء ٧: ١٤.

(٢) ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء: ١٥٧.

إنما هو خرافة أحاطت بسيرة المسيح في قول الكهنة لبيلاطس: «قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ويسرقوه، ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى، فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر»(١).

وهذا يناقض رعاية الله لأبنائه وأنبيائه وأصفيائه في قصة دانيال في جب الأسود، وكيف حماه الله من الأسود الجائعة، فظل بينها وكأنها تحرسه حتى خضع الملك الوثني للقول: «يا دانيال عبد الله الحي، هل إلهك الذي تعبده دائماً قادر على أن ينجيك من الأسود؟ فتكلم دانيال مع الملك: يأيها الملك، عش إلى الأبد، إلهي أرسل ملاكه، وسد أفواه الأسود، فلم تضرني لأني وجدت بريئاً قدامه، وقدامك أيها الملك»(٢).

وما موقف الكردينال بيا ـ الذي يتزعم الحركة المؤيدة لإسرائيل وصاحب وثيقة «تبرئة اليهود من دم المسيح» التي نشرت تفاصيلها الأهرام في ٢/ ١٠/ ١٩٦٤ ـ من هذا السند الذي جاء في إنجيل متَّى؟ أيهما أصدق: بحوثه، أم ما جاء بإنجيل متَّى؟... وما جاء بإنجيل متَّى كما يلي: «وفيما هما ذاهبان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا، وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. وإذا سمع ذلك عند الوالي نستعطفه ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم»(٣).

---

(١) متى ٢٧: ٦٢ ـ ٦٦.
(٢) دانيال ٦: ١٥ ـ ٢٢.
(٣) متى ٢٨: ١١ ـ ١٥.

(أ) نسخة الفولجاتا:

كان للقديس جيروم أثر ظاهر في الحركات الإصلاحية. إذ قام بترجمة العهد القديم من اللغة العبرانية إلى اللغة اللاتينية، وتنقيح العهد الجديد وترجمته من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية، ويعتبر هذا العمل أكبر الأعمال الكنسية، وتسمى هذه النسخة بالفولجاتا.

وظل يعمل فيها حتى وفاته سنة ٤٢٠م، وقد كان الكتاب المقدس مغلقاً عليه حتى عهد الإصلاح سنة ١٤١٤م.

وهذه الترجمة قد نقحت في سنة ١٥٩٢، سنة ١٩٠٧، ومازالت تعتبر عمدة التراجم للكنيسة الكاثولوكية، ومنها كانت الترجمة الإنكليزية المعروفة Douai Bible.

(ب) نسخة اكسفورد:

وفي سنة ١٣٧٥م قام جون ويكلف بترجمة الفولجاتا من اللغة اللاتينية إلى اللغة الإنجليزية، وعاونه في ذلك علماء جامعة أكسفورد، وكان عمله هذا بمثابة القبس الذي أشعل النهضة الروحية السياسية التي اجتاحت أوربا في العصور الوسطى، حيث طالبت الشعوب المسيحية بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية ونشره لتداوله بينهم مما جعل الكنيسة الكاثوليكية ـ حرصاً منها على النسخ المقدمة ـ تستجيب لهذه النهضة، فكلفت الأسقف تشالور بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ترجمة تتفق ومشرب الكاثوليك وتمحض الأمر عن نسخة ديوى Douai Bible.

(جـ) نسخة ديوى Douai Bible

عكف الأسقف تشالور على ترجمة الكتاب المقدس من الفولجاتا من اللاتينية إلى الإنجليزية، وذلك في منتصف القرن السادس عشر مع بعض التغييرات الحديثة، وهذه التغييرات ـ في اعتبارهم ـ لم تؤثر إطلاقاً في

جوهر معاني الكتاب المقدس أو مبادئه الأساسية، وطبع العهد الجديد في كلية ريمس سنة ١٥٨٢، ثم طبع العهد القديم في كلية ديوى سنة ١٦٠٩ وهذه النسخة تشتمل على أسفار الأبوكريفا، وعلى تقديم من البابا ليوس الثالث عشر والبابا بيوس الثاني عشر مع تذييل للأسفار كلها بالتحقيق التاريخي.

(د) التراجم إلى اللغات الحية:

من هذه النسخ سواء كانت باللاتينية أو الإنجليزية كانت التراجم إلى اللغات الحية ومنها اللغة العربية.

والجدير ذكره إن اللغة اللاتينية تعرضت لتغيرات ضخمة في مدى قرنين ونصف قرن، وهي المدة الواقعة بين (تاكتيوس سنة ٥٥ ـ ١٣٠م، وأغسطينوس سنة ٣٥٤ ـ ٤٣٠م).

ذلك أن انتشار المسيحية في الغرب خلال هذه الفترة لم ينشأ عن إدخال ألفاظ جديدة من أصل يوناني فحسب، بل أدى أيضاً إلى استحداث كلمات جديدة وتعبيرات لم تكن معروفة من قبل لتلائم الآراء والمعتقدات والطقوس الدينية التي أتت بها المسيحية.

وقد نجم عن ذلك تغيير جسيم في اللغة اللاتينية، ويبدو الفارق واضحاً بين اللغة اللاتينية الفصحى ـ كما كتبها شيشرون ـ واللغة اللاتينية الجديدة أو الدارجة التي استخدمها كتاب العصر المسيحي منذ عهد ترتوليان سنة ٢٠٠ فصاعداً، وهكذا انتهى عصر البلاغة والبيان الذي كان يمتاز به الأسلوب اللاتيني .

وثمة مظهر آخر من مظاهر التأخر الذي أصاب اللغة، وبالتالي أصاب أوربا في ذلك العصر، هو تدهور مستوى الخط في الكتابة وفي المخطوطات أو الوثائق الحكومية المعاصرة. ففي العصور القديمة كانت الكتب تدون على مجاميع من أوراق البردى، ولكنها منذ القرن الأول

الميلادي أصبحت تدون على صفحات من الرقائق الجلدية مقطوعة على هيئة مربعات قائمة الزوايا أطلق عليها الكتب المربعة. ومعظم المخطوطات التي ترجع إلى العصر الميروفنجي أو العصر القوطي من هذا النوع.

أما الخط فكان على ثلاثة أحجام، لكل حجم منها اسم خاص به وهي:

١ ـ الحروف الكبيرة، وتسمى: ماجسكيل.

٢ ـ الحروف البوصية، وتسمى: يونيسكيل.

٣ ـ الحروف الصغيرة، وتسمى: ماينوسكيل.

ولم يلبث أن أدى انتشار الجهل إلى فساد الخط، وتعذر قراءته، فوقع الكتاب بذلك في أخطاء عدة، مما أفسد الكتابة إفساداً يبدو بوضوح في الترجمة اللاتينية للإنجيل في ذلك العصر[١].

(أ) نسخة الإسكندرية

وتشمل أربعة مجلدات ضخمة، الثلاثة الأولى منها للعهد القديم، والرابع للعهد الجديد، أجمع العلماء على كتابتها في القرن الرابع الميلادي بمدينة الاسكندرية.

(ب) نسخة الفاتيكان:

يؤكد العلامة مونتفكون والعلامة بلاتشيني أنها كتبت في القرن الخامس، ولا يشبهها إلا نسخة الإسكندرية، وهي محفوظة الآن في الفاتيكان بروما.

---

(١) ص ٨٠ ج٢ من كتاب العصور الوسطى لمؤلفه ج. وطسن المطبوع في لندن سنة ١٩٣١م.

(ج) النسخة السينائية:

اكتشفها العلامة تشيدرف الألماني، وقد كتبت في القرن الرابع، ولهذا الكشف كرر العلامة زيارته لدير سانت كاترين بسيناء سنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٥٦م، وأخذ المخطوطات وأهداها إلى قيصر روسيا الإمبراطور إسكندر، ومازالت إلى الآن محفوظة بمكتبة بطرسبرح، وهناك مخطوطات أخرى في لبسيك.

(د) النسخة السبعينية:

وهي التي استدعى لها بطليموس فيلادلفيوس سبعين من أحبار اليهود إلى مدينة الإسكندرية سنة ٢٨٠ ق.م ليقوم كل منهم على حدة بترجمة التوراة من العبرانية إلى اليونانية، ثم يقابلوا تراجمهم بعضها على بعض ففعلوا ذلك وأظهرت المقابلة صحة الترجمة[١].

---

(١) يمكن الإطلاع للتوسع حول هذه الموضوعات في المصادر التالية:
(١): دائرة المعارف الكتابية: تأليف مجلس تحرير مكون من الدكتور القس صموئيل حسين. والدكتور فايز فارس والقس منيس عبد النور، وجوزيف صابر والفكر المسيحي: وليم وهبة. ج١/ ١٨١.
وأيضا انظر: تفسير الكتاب المقدس. تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسن ج١/ ٥.

الفصل الثاني عشر

العقيدة المسيحية والدولة

- المجامع الكنسية
- المشكلة التي تعرضت لها الكنيسة
- أشهر المجامع الكنسية
- الشعب اليهودي يجحد مسيح الله
- كيف انعقد مجمع نيقية
- قرارات مجمع نيقية
- تقسيم قرارات مجمع نيقية والملاحظات عليها
- مجمع صور
- السر في تشبث كنيسة الإسكندرية بعقيدة التثليث
- الأسس التي استند عليها مجمع نيقية في تقرير ألوهية المسيح

العقيدة المسيحية والدولة

يرجع الفضل في انتشار المسيحية في ربوع الإمبراطورية الرومانية إلى رحلات بولس المدعو رسولاً في آسيا وأوربا، وإلى كتاباته التي تحتل المكانة الأولى بين كتابات الحواريين.

يرجع الفضل في تمكين المسيحية من الإمبراطورية الرومانية إلى اعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية، ثم اعترافه بها في مرسوم ميلان الشهير سنة ٣٣٣م، وبهذا وضحت معالمها، وبرزت تعاليمها.

وهذا الانتشار أو التطور جعل المثقفين يأخذون بهذه الأمور متسائلين عن العلاقة بين الله والمسيح، محاولين تحديد هذه العلاقة، كما استفسروا عن طبيعة الملائكة، وعن المقصود بأن الخبز والنبيذ تحولاً إلى لحم المسيح ودمه.

وسرعان ما احتلت هذه المسائل جانباً كبيراً من تفكير المسيحيين عندما غدت المسيحية ديناً رسمياً للدولة، وقد أدى هذا إلى تطور في أسلوب الدراسات اللاهوتية، وقيامها على منهاج يقتنع به المثقفون من معتنقي الديانة الجديدة. وقام بهذه المهمة مجموعة من كبار العلماء ومفكري المسيحية الذين يطلق عليهم لقب آباء.

الآباء وتطور المسيحية:

كان هؤلاء الآباء على معرفة بالفلسفة الكلاسيكية، فأفادوا منها ـ لا سيما من الآراء الأفلاطونية الجديدة ـ في تأييد آرائهم، والتدليل عليها،

وتقديم العقائد المسيحية في صورة علمية يتقبلها المثقفون.

هذا إلى أن هؤلاء عملوا على التوفيق بين تعاليم المسيحية من جهة ومطالب الدولة والكنيسة من جهة اخرى، ومن هؤلاء الآباء وأهمهم وأكثرهم تأثيراً هو ما قام به مارتن لوثر وجماعته.

١ ـ القديس كليمنت الاسكندري في القرن الثالث الميلادي.

٢ ـ القديس جيروم حوالي (٣٣٠ ـ ٤٢٠م)

٣ ـ القديس أوريجانوس حوالي (١٨٥ ـ ٢٥٤م)

٤ ـ القديس أمبروز حوالي (٣٤٠ ـ ٣٩٧م)

٥ ـ القديس أوغسطينوس حوالي (٢٥٤ ـ ٤٣٠م)

ومن هنا فإن حركة الإصلاح التي تمت ضد الكنيسة منذ القرن الخامس عشر الميلادي وحتى ظهور سيادة الالحاد على معظم الاجيال المسيحية الغربية لم يغير من مزاعم الكنيسة في شيء، وإن اشتغلت إمكانات وكوادر الكنيسة من قبل القوى الدولية في شيء آخر تماما.

المجامع المقدسة:

تنقسم المجامع المقدسة إلى ثلاثة أقسام وهي: مجامع عامة ويقال لها «مسكونية»، ومجامع ملية، أي طائفية، ومجامع إقليمية، أي محلية، ولكن المجامع المعتمد على مقرراتها هي التي سنذكرها هنا على اختلافها مع إثبات تواريخها:

١ ـ **المجمع النقاوي المنعقد بأمر الملك قسطنطين** سنة (٣٢٥) ضد إيمان «الأرارسة» وتقرير أساس عقيدة اللاهوت المسيحي.

٢ ـ **المجمع الذي التأم** في سنة ٣٦٤ وقرر نحو ٦٠ قراراً تختص بالواجبات المسيحية.

٣ ـ **المجمع القسطنطيني**: المنعقد بأمر الملك «تيودسيوس» سنة (٣٨١) لتثبيت عقيدة اللاهوت روح القدس بأن المسيح ذو جسد حقيقي، ونفس حقيقية، وأنه إله تام، وإنسان تام.

٤ ـ **المجمع القرطاجني** المنعقد سنة ٣٩٧ للنظر في نظام الكنيسة وعماد الأطفال وتقرير الكتب الموضوعة.

٥ ـ **المجمع الأفسسي**: المنعقد بأمر الملك تيودسيوس الثاني سنة (٤٣١) لإبطال تعليم «نسطورس» و«بيلاجيوس» وتقرير عقيدة الاتحاد الجوهري بين الطبيعيين في المسيح، وبأن الإله والإنسان هما واحد، وبأن مريم والدة الإله.

٦ ـ **مجمع اللصوص**: تعده الكنيسة مجمعاً فرعياً بين الرابع والخامس، انعقد بأمر الملك «تيودسيوس» الثاني في مدينة «أفسس» سنة (٤٤٩) قرروا فيه عقيدة أن المسيح ذو طبيعة واحدة، ووجه تسميته باللصوص أن عامة الرهبان ثاروا في نهايته على بطريرك القسطنطينية «افلافيانوس» وضربوه حتى مات.

٧ ـ **المجمع الرابع**: (الخلقيدوني) المنعقد بأمر الملك «مرسيانوس» سنة (٤٥١) لتقرير عقيدة أن للطبيعتين في المسيح خصائص وهي أنهما غير ممتزجتين وغير منفصلتين، وأن المسيح هو واحد في طبيعتين وليس من طبيعتين.

٨ ـ **الخامس: المجمع القسطنطيني الثاني**، المنعقد بأمر الملك «يوستيانوس» سنة (٥٥٣) ضد عقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح.

٩ ـ **المجمع القسطنطيني الثالث**: المنعقد بأمر الملك قسطنطين «يوغناتوس» سنة (٦٨٠) تثبيتاً لوجود نشأتين في المسيح.

١٠ ـ **مجمع القسطنطينية**: المنعقد سنة (٦٩٢) وهو ملحق بالمجمعين الخامس والسادس التام لتثبيت مساواة سلطة القسطنطينية وروما

ولكن كنيسة «روما» لم تقبله وهو أساس الاختلاف بين الشرقيين والغربيين.

١١ ـ **مجمع ثان بين السادس والسابع**: عقد في القسطنطينية بأمر الملك قسطنطين الخامس سنة (٧٥٤) وفيه تقرير تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة، والذخائر وطلب الشفاعة من العذراء مريم في جميع الكنائس الشرقية. وقد تأيد حكم هذا التحريم بقرار مجمع.

١٢ ـ **جنانتيلي** سنة (٧٦٧).

١٣ ـ **ومجمع «فرانكفورت»** سنة (٧٩٤).

١٤ ـ **المجمع النقاوي الثاني**: المنعقد بأمر الملكة «ابريني» سنة (٧٨٧) لابطال تحريم وتكسير الأيقونات.

١٥ ـ **المجمع الانجليزي الفلمنكي**: المنعقد في انجلترا سنة (٧٩٤) لتحليل استعمال الأيقونات.

١٦ ـ **مجمع القسطنطينية**: المنعقد سنة (٨٦٩) لتثبيت ثلاث عقائد: الأولى بأن الانبثاق كان من الآب والابن، الثانية أن كل دعوى يجب أن ترفع بالآخرة إلى «روما» الثالثة تقرير سلطة «روما».

١٧ ـ **المجمع القسطنطيني**: المنعقد في سنة (٨٦٩) أيضاً، وفيه تقرر أن الانبثاق من الأب وحده، وفيه تم الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية وصار كل من هذين المجمعين معتبراً عند أصحابه كالمجمع الثامن (المسكوني) وكل منهما أثبت المجامع المسكونية التي قبله.

١٨ ـ **المجمع «الاتيراني» الرابع**: المنعقد سنة (١٢١٥) وفيه وقع تثبيت الاستحالة والغفرانات، وسمح باستئصال «الهراطقة» (الكفار).

١٩ ـ **مجمع فلورنس**: المنعقد سنة ١٤٣٩ للتقريب بين الكنائس الشرقية والغربية.

٢٠ ـ **مجمع ترنت المنعقد**: سنة **١٥٣٧** لتقرير أن ما يجب الايمان به متضمن في الكتاب المقدس.

ويظهر من هذا العرض الموجز عن المجامع، أن لمقرراتها الشأن الأول في وضع العقائد المسيحية التي تدين بها أغلب الطوائف النصرانية التقليدية الموجودة لهذا العهد، وما نود أن نشير إليه في هذا المقام، حيث انتشرت المسيحية عبر هذه المجامع وذاعت أن التأثير المباشر في شيوع الديانة المسيحية في العالم كان للمعلمين «بطرس الحواري» رئيس تلامذة المسيح و«بولس» الرسول. ولم تظهر هذه الدعاية بوضوح تام إلا حوالي سنة (٤٢) م فبواسطة انقطاع هذين المؤثرين لنشر تعاليم المسيح، أقيمت الكنيسة المسيحية قهراً فوق حبات القلوب وانتشرت مبادئها وتعاليماً في الأقطار واستمر ذلك (٢٥) سنة كاملة، بحيث لم تمض سنة (٩٧)م حتى أصبحت للنصرانية منزلة ممتازة بين معتنقيها من الرومانيين بالرغم من الصعوبات والمعارضات التي كانوا يلاقونها من أنصار التقاليد ورجال الدولة.

فقد كان ولاة الأمور من الرومانيين يمقتون ويمتهنون كل من يتمسك بهذا الدين أشد مقت ويعاملونهم أسوأ معاملة. وقد روى لنا المؤرخون حكايات عن ذلك تقشعر منها الجلود فقد كانوا يجمعون المتنصرين لامتحان إيمانهم ويبعثونهم إلى مواقد النيران ومرابض الأسود، فيذهب هؤلاء المساكين إلى احتضان مناياهم بشجاعة خارقة وأقدام ثابتة مما أوجب إعجاب وحيرة القياصرة الطغاة أمثال «طبياريوس» و«كاليغولا» و«كلود» الذين تداولوا عرش الإمبراطورية الرومانية بعد القيصر «أوغستوس»، وهم مع شدة قساوتهم وتصلبهم ضد المنتصرين لم يكن ما فعلوا معهم شيئاً مذكوراً في جانب الفوادح التي كان يرتكبها «نيرون» الظالم و «ديبوكليان». فقد استمر الفتك بالمنتصرين عصراً طويلاً تحت حكم القياصرة. وكان أولئك المنتصرة يستقبلون الخطوب بإيمان قوي وعقيدة راسخة ويقدمون نفوسهم بسخاء ثمنا للاحتفاظ بدينهم الجديد. إلى أن جلس الإمبراطور قسطنطين على عرش «روما» سنة (٣٠٦) وكان داهية

حكيماً بعيد النظر، مقدراً شدة احتياج الرومانيين إلى دين جديد يحضهم على التمسك بمحاسن الخلال ومحامد الخصال ويخلصهم من البطر والشهوات الرديئة التي انغمسوا فيها فأفقدهم كل نخوة وشهامة. ولم تعد تهمهم مصلحة البلاد إلى غير ذلك من أسباب الانحطاط التي كان يخشى منها على حياة «روما» المتفسخة، فقد اضطر حين جلوسه على العرش بسبب انحطاط أخلاق الشعب إلى خوض غمار حرب طاحنة داخلية دامت سبعة سنين، ولم يكد يتخلص منها حتى قرر الاعتراف بالنصرانية كدين تجوز ممارسته مع الطقوس الرومانية، فأصدر بذلك أمراً من مدينة «ميلانو» سنة (٣١٣)م. ضمن فيه للمسيحيين حرية الاعتقاد والعبادة واعتبار يوم الأحد من أيام الراحة العمومية. وقد ذهب مؤرخو النصرانية في تعليل هذا الانقلاب العظيم في سياسة الامبراطورية الرومانية إلى ذكر أعجوبة خرافية، كأن الأسباب الاجتماعية لم تشبع نفوسهم؛ فمالوا إلى إيراد الخوارق. والنفس الضعيفة مولعة بالتصديق والإعجاب، فذكروا أن قسطنطين بينما كان يصلي مرة إلى الشمس وهي إلهه الذي يعبده ويتوجه إليه؛ فيظهر له في الأفق صليب مكتوب عليه «بهذه العلامة تنتصر». ومن ذلك اليوم اتخذ الصليب شعاراً له في حروبه. مع أن الصليب في ذلك العهد لم يكن شعاراً مسيحياً بل كان شعاراً رومانياً.

ومهما كانت الأسباب الباعثة على اعتبار النصرانية كدين رسمي للرومان فإن أمر «ميلانو» يعد كأساس لاتخاذ النصرانية وجعلها ديناً للدولة. ومن ذلك العهد صار الإقبال عليها عظيماً، وأخذ الرومانيون يمارسونها ضمن طقوسهم داخل هياكلهم. وبمرور الزمن تحولت تلك الطقوس إلى تقاليد مسيحية يمارسها المتدينون المسيحيون وهكذا بالتدريج صار الهيكل الروماني كنيسة مسيحية.

وتولت المجامع التي أشرنا إليها مهمة صياغة النصرانية معتقداً وراء الآخر.

المجامع الكنسية

ترتب على الاعتراف بالمسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية نتائج بعيدة الأثر في الكنيسة ونظامها، وكان الجهاز الذي يحكم شئون المسيحيين روحياً يطلق عليه الكنيسة الكاثوليكية (وكلمة «كاثوليك» كلمة لاتينية، ترادف «كوزميك» اليونانية، ومعناها الكونية)، وكانت الكنيسة في أيام قسطنطين كنيسة واحدة يتزعمها الإمبراطور قسطنطين، ثم بدأ هذا الجهاز يتألف من رجال الكهنوت فحسب، وكان صراع عنيف بين الأباطرة والباباوات حول الزعامة في العصور الوسطى.

وقد ظهر على رأس الكنيسة بعدئذ خمسة بطارقة في خمس مدن رئيسة وهي:

١ ـ روما في إيطاليا

٢ ـ بيت المقدس في فلسطين

٣ ـ أنطاكية في الشام

٤ ـ القسطنطينية في آسيا الصغرى

٥ ـ الإسكندرية في وادي النيل.

وهؤلاء البطارقة يمكن تشبيههم بكبار الرؤساء الإداريين في الإمبراطورية الرومانية «كالولاة».

وكان الجهاز الكنسي يتدرج من القمة إلى مستوى الشعب، بأن يتبع هؤلاء البطارقة مجموعة من رؤساء الأساقفة، وهؤلاء الرؤساء من الأساقفة يشبهون في نظامنا السياسي المحافظين، ويمتد نفوذ الواحد منهم إلى عدة أسقفيات، وهذه الأسقفيات تشمل الكنائس والأديرة والمدارس والأوقاف الخيرية.

وتشمل الأسقفية الواحدة عدة أبروشيات، على كل أبروشية قسيس

راع، ويتبع الأبروشية الواحدة القساوسة المعلمون والمبشرون والشمامسة، ثم ينتهي هذا الجهاز ببسط نفوذه إدارياً وروحياً على الشعب.

وهكذا ظهر هرم كهنوتي متدرج يشبه إلى حد كبير هرم الوظائف الإدارية في الإمبراطورية الرومانية.

وهذا الجهاز جعل من الكنيسة حكومة ثيوقراطية وراثية، تستمد نفوذها من المسيح، فهي بذلك تعتمد على العقيدة المسيحية في سلطانها وسيطرتها على الشعب، من الملوك إلى المزارعين والعمال.

ونجم عن هذا الجهاز الدقيق وعن تشبث رجال الدين بمراكزهم إن كان هناك صراع من أجل النفوذ، دفعهم إلى العمل لاستبعاد كل الشخصيات التي يتوجسون منها خفية في إثارة مشاكل أو منافسة على سلطان الكنيسة.

ومع هذا التشبث الدنيوي تعرضوا لأخطر مشكلة نجم عنها انقسام المسيحيين ـ بل الإمبراطورية الرومانية أيضاً ـ إلى معسكرين، وثارت البغضاء الدينية والسياسية بينهما لمدة قرنين من الزمان.

هذه المشكلة هي تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الآب.

المشكلة التي تعرضت لها الكنيسة

حدث خلاف جوهري بين اثنين من رجال الكنيسة بالإسكندرية حول تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الآب.

فقال أريوس - وهو أسقف إسكندري - إن المنطق يحتم وجود الآب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقاً للإله الآب، فهو إذن دونه، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعادل الابن الإله الآب في المستوى والقدرة، وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله، بمعنى هذه الكلمة المطلق وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وبعبادة إلهين[١].

وقال أثناسيوس - وهو شماس إسكندري - (وعلينا أن نلاحظ التدرج الهرمي في الوظائف الدينية) إن فكرة الثالوث المقدس. تحتم أن يكون الابن مساوياً للإله الآب تماماً في كل شيء، بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، وإن كانا شخصين متميزين.

ويبدو أن الأثناسيوسيين أدركوا أن المسيحية تعتمد في دعوتها على

(١) بعض المراجع التي تعالج موضوعات أريوس ومعتقداته

1. Francois Bonifas. Histoire des dogmes de leglise Chrétienne. Tome 2. pp 36 - 50.

2. A. Grillmeier. Le Christ dans La Tradition Chrétienne.... pp. 215 - 225.

3. Bardy Origines de l'arianisme. Fliche et Martin. 3 : 69 - 83.

4. Bardy. Recherches sur Saint Lucien d'Antioche et son école. Paris 1936.

مكانة المسيح، وأن أي اتجاه للتقليل من شأنه قد يؤدي إلى إضعاف الدعوة المسيحية.

ومن الواضح أن المذهب الآريوسي كان يتفق مع منطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل، في حين المذهب الأثناسيوسي يلائم تفكير عامة الناس من الدهماء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. وحسماً للموقف دعا الامبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع نيقية سنة **٣٢٥**م وفيه صدر قرار بإدانة آريوس أسقف الإسكندرية. وتوالت بعدئذ الدعوة إلى عقد مجامع يحضرها أساقفة المعمورة ليتدارسوا فيها شئون الكنيسة، وما يترتب بها من نظام كهنوتي، وعقيدة، ولاهوت[١].

---

(١) بعض المراجع للدراسة عن أريوس وأثناسيوس ومجمع نيقية:

1. A. Harnach. History of Dogma. Volume IV. p. 6 - 71
2. A Harnack. Precis de L'histoire. 176 - 194.
3. M. F. Haag Histoire des Dogmes Chretiens. 1re partie p. 148 - 182.
4. F. Bonifas. Histoire des Dogmes de L'Eglise Chretienne Tome 2. 36 - 65.

أشهر المجامع الكنسية

ومن أشهر وأهم هذه المجامع ـ بعد مجمع نيقية آنف الذكر ـ والمجامع التي أشرنا إليها في إيجاز، المجامع الآتية:

١ ـ مجمع صور سنة ٣٣٤م:

في هذا المجمع الذي عقده الامبراطور قسطنطين صدر قرار بإلغاء قرارا مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وصدر قرار بالعفو عن آريوس وأتباعه، وبقبول تعاليمه. وكان هذا القرار تبرئة للمسيحية من الشرك:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[١].

٢ ـ مجمع خلقدونيا سنة ٤٥١م:

أصبح رابع مجمع مسكوني ديني بإغفال مجمع صور سنة ٣٣٤، وفيه اتخذ قرار بأن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية، وطبيعة إنسانية، متحدتين اتحاداً وثيقاً، وكان هذا القرار في عهد البابا ليو الأول، ويعرف هذا المذهب بالمذهب الملكاني.

---

(١) انظر آية المائدة: ٧٢

٣ ـ مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣م:

في هذا المجمع استصدر قرار بتأييد مذهب الطبيعة الواحدة، وساند هذا التأييد الإمبراطور جستنيان، إرضاء لزوجته ثيودورا وتنكيلاً بالبابا فيجيليوس وتشجيعاً ليعقوب براديوس معتنق مذهب الطبيعة الواحدة، ومؤسس كنيسة اليعاقبة، وقد جاء ذكرهم بكونهم جيراناً يقيمون على مشارف الجزيرة العربية.

٤ ـ مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٨٦٠م:

وقد اتخذ هذا المجمع قراراً بإدانة مذهب الطبيعة الواحدة، فكان هذا نقضاً لقرار سنة ٥٥٣م.

٥ ـ مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧م:

وقد اتخذ قرار بإدانة اللاأيقونية.

٦ ـ مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩م:

ويعتبر هذا المجمع نقطة الانقسام الكنسي، ففيه اتخذ قرار بإدانة البطريرك فسوتيوس وعزله. ومن هذا الوقت بدأ الانشقاق المذهبي بين الشرق والغرب وانتهى بالانقسام التام بين المسيحيين، إذ تكون على أثره كنيستان:

كنيسة شرقية: أطلق عليها أرثوذكسية، وتعني مستقيمة الرأي، وقاعدتها القسطنطينية.

وكنيسة غربية، بقيت على اسمها كاثوليكية وقاعدتها روما.

هذا بالإضافة إلى مجمع كونستانس سنة ١٤١٤م وسنة ١٤١٨م، ومجمع بازل سنة ١٤٣١م.

هذه المجاميع دعا إليها رجال الإصلاح الكنسي، لما رأوا عليه الكنيسة الكاثوليكية من الانحراف عن الكتاب المقدس.

وكان لهذه المجامع القوة الفعالة في حركة لوثيروس في أكتوبر سنة ١٥١٧م، ولوثيروس يترجمون له بأنه راهب كاثوليكي، استنار بنور الكتاب المقدس، فتكشف له سوء حالة الكنيسة والإكليروس وانحرافهم عن الحق، فندد بصكوك الغفران، وكان من الجرأة إلى حد أنه عرض حياته للحرمان وغضبة البابا عليه، وعرض جسده للموت حرقاً، وكان من الجرأة أن ألصق معلقته المشهورة والمشتملة على ٩٥ بنداً كلها تنديد بالكفر والضلال.

ولم يقف البابا ليو العاشر مكتوف اليدين، بل استصدر حكمين ضد هذا الراهب، الحكم الأول بالحرمان من الحياة الأبدية، والحكم الثاني بإعدامه حرقاً بالنار.

وفي وسط هذه الغضبة العارمة كان الشباب الألماني سباقاً إلى إنقاذ حياة هذا الراهب، والإيمان بمبادئه، والضرب بأحكام البابا ليو العاشر عرض الحائط، وكان هذا التصرف بمثابة التفجير الذري الذي أصاب الكنيسة الكاثولكية بتصدع عنيف لم تسكت عليه مدى الأيام، فوقعت الحروب الدامية والاضطهادات التي يندى لها جبين الإنسانية.

ومع هذا فقد انسلخت كنيسة ثالثة أطلق عليها اسم الكنيسة البروتستانتية (أي المحتجة)، وهكذا لم ينصرم عام ١٥٢١م حتى كان على الأرض ثلاث كنائس كبرى:

١ ـ الكنيسة الكاثوليكية، وقاعدتها روما.

٢ ـ الكنيسة الأرثوذكسية وقاعدتها قسطنطينية.

٣ ـ الكنيسة البرتستانتية، وقاعدتها ألمانيا، ثم انتقلت إلى انجلترا ثم إلى الولايات المتحدة.

٤ ـ ومع تعدد هذه الكنائس الكبرى كانت كل كنيسة منها تنقسم على نفسها إلى عدة مذاهب، وكل مذهب له تفكيره الخاص في الإيمان، وكل مذهب له أنصاره.

كيف انعقد مجمع نيقية

يقول ابن البطريق المؤرخ المسيحي في وصف ذلك «بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية ٢٠٤٨ من الأساقفة وكانوا مختلفين في الآراء والتوجهات.

فمنهم من كان يقول أن المسيح وأمه إلهان ومن دون الله ويسمون المريميين.

ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، وهي مقالة سابليوس وشيعته.

ومنهم من كان يقول أن مريم لم تحبل به تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهي مقالة إلبان وأشياعه.

ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله، ويقولون أن الله جوهر قديم واحد، وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس. وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وأشياعه، وهم البوليفانيون.

ومنهم من كان يقول إنهم ثلاثة آلهة لم تزل، صالح وطالح وعدل

بينهما. وهي مقالة مرقيون وأصحابه. وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين وأنكروا بطرس.

ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول. ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً من ٢٠٤٨ ممن اجتمع في مؤتمر نيقية ٣٢٥م.

وقد اختلف المجتمعون في هذا المجمع اختلافاً كبيراً، ولم يتفقوا على أي رأي، مما أثار عجب الإمبراطور قسطنطين، ولما كان الإمبراطور قسطنطين نفسه ممن يميل مع القائلين بألوهية المسيح طبقاً لما زعمه الرسول، فقد اختار من المجتمعين ٣١٨ أسقفا من أشد المتعصبين لرأيه، وألف منهم مجلسا خوله إصدار ما يراه من قرارات ويقول في ذلك ابن البطريق المؤرخ المسيحي «وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين. فباركوا الملك، وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذب عنهن ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعمله ويعمل به ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به».

قرارات مجمع نيقية:

يتبين مما سبق كيف أن مجمع نيقية أصدر قرارات ضمنها أربعين كتابا فيها السنن والشرائع. ويهمنا من هذه القرارات، القرارات الآتية:

قرار خاص بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث.

تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان.

تكفير أريوس وحرمانه وطرده، وهو الذي أشرنا إليه بأنه كان قسيسا

في كنيسة الإسكندرية حينئذ، حيث كان يعتقد وينادي بأن المسيح مجرد بشر مخلوق وليس إلها أو ابنا لله.

إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح، أو تحريم قراءتها، ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي تقرر بشرية المسيح وأنه رسول فقط ومنها إنجيل برنابا.

وقد ذكر صاحب كتاب (تاريخ الأمة القبطية) بيان مجمع نيقية عن عقيدة التثليث التي فرضها المجمع بمعاونة الدولة الرومانية على المسيحيين وهاك نص هذا البيان:

«إن الجامعة المقدسة والكنيسة تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه، وأنه يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الآب، وكل من يؤمن أنه خلق أو من يقول إنه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران».

تقييم قرارات مجمع نيقية والملاحظات عليها:

إن الملاحظ أن المدعوين إلى هذا المجمع رسمياً من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وقتئذ كان ٢٠٤٨ أسقفا، لكن من أصدر قراراته النهائية لم يتجاوز ٣١٨ أسقفا.

كيف يصدر هؤلاء وهم ٣١٨ أسقفا قرارات تلتزم بها الكنائس المسيحية جميعاً، في حين أن أريوس طبقاً لما ذكره الرواة عنه لما ألقى بدعوته وجادل عن فكرته انضم إليه أكثر من ٧٠٠ أسقف، وهذا العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة، فلو كانت النصرة بالكثرة النسبية، لكان الواجب أن تكون الغلبة لأريوس الذي احتج بما تحت أيديهم من أناجيل، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح قرروا تحريفها.

روى مؤرخو المسيحية أيضاً أن عصا السلطان ورهبة الملك، كان لهما دخل كبير في إصدار القرار بألوهية المسيح، لأن هؤلاء المجتمعين على ذلك وهم ٣١٨ لم يكونوا مجتمعين على القول بألوهية المسيح، لكن سلطان الترهيب والترغيب من جانب الإمبراطور قسطنطين امتص خلافهم، فأمضوا ما سبق ذكره من قرارات، وبذلك أقروا ألوهية المسيح، وقسروا الناس عليها بقوة السيف ورهبة الحكام.

ويستخلص من كل ذلك أن المجمع قرر أن تعاليم الدين المسيحي لا يتلقاها الناس من كتب المسيحية رأساً، بل لابد تلقيها من المجامع الرسمية المشكلة من رجال الكهنوت، وأن أقوالهم في ذاتها حجة سواء أخالفت النصوص أم وافقت، وسواء أكانت صواباً أم جافت الحق.

إن المجمع أمر بإحراق الكتب التي تخالف رأيه وتتبعها في كل مكان وحث الناس على تحريم قراءتها، فهو بهذا يمنع أن يصل إلى الناس علم بأي أمر من الأمور التي تخالف رأيه، ويحاول التحكم في القلوب والسيطرة على الناس، يحملها على قراءة ما وافق رأيه ومنعها بتاتاً من أن تقرأ غيره، وهو مخطئ في ذلك، بدليل أن المجامع التي تلت دمغته وخطأته فأعادت إلى حظيرة التقديس كتباً حرمها، بل أعادت تلك المجامع كتباً حرمها المجمع المسكوني الأول، من كتب العهد القديم، بل وكتباً من كتب العهد الجديد أيضاً وهي رسالة بولس إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا، ومشاهدات يوحنا، فإذا كان المجمع المسكوني الأول قد أخطأ في معرفة الصحيح من الكتب فآراؤه الأخرى، خصوصاً ما تعلق بألوهية المسيح وغيرها، أكثر عرضة للخطأ، وهذا ما حدث فعلاً في مجمع صور لكن سؤالاً يطرح نفسه هنا وهو لماذا تدخل الإمبراطور قسطنطين شخصياً لإصدار قرارات مجمع نيقية على الصورة التي صدر عليها؟ يجيب الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوي فيقول:

«تتناقل الرواه والمؤرخون أن قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية وقتئذ وإن كان المشهور عنه أنه كان مسيحياً إلا أنه وقت انعقاد المؤتمر لم يكن قد دخل المسيحية بعد فأيد الرأي بألوهية المسيح، حتى يقرب المسيحية من وثنيته، فهو رجح ما هو أقرب إلى الوثنية لوثنيته، دون أي حجة له في ذلك».

ومما يؤيد هذا الرأي أن المؤرخ أبوسيبوس الذي تقدس الكنيسة كلامه وتسميه سلطان المؤخرين يقول «إن قسطنطين عُمّدَ حين كان أسير الفراش، وأن الذي عمده هو ذلك المؤرخ نفسه وقد كان له صديقاً».

ومعنى ذلك أن قسطنطين ما كان مسيحياً إبان انعقاد مجمع نيقية، بل صار مسيحياً وهو على فراش الموت، إذ التعميد بإعلان دخول المسيحية هو من أهم شروط الكنيسة لقبول الداخلين إليها.

مجمع صور:

يذكر ابن البطريق المؤرخ المسيحي أن البطريق أوسابيوس أسقف نيقومدية كان موحداً من مناصري أريوس في المجمع العام قبل أن تبعده عنه كثرته، ولعن من أجل هذا، وأراد أن يتقرب من قسطنطين، فأظهر له أنه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة فأزال قسطنطين عنه اللعنة وجعله بطريرك القسطنطينية، فما إن ولي هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء فلما اجتمع المجمع الإقليمي في صور وحضره هو وبطريك الإسكندرية الذي كان يمثل فكرة ألوهية المسيح، ويدعو إليها وينفرد من بين البطاركة بالمبالغة في الدعوة إليها ولعن كل من يقاومها، وانتهز البطريرك أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع وأثار مقالة أريوس رأيه في المسيح، وإنكار ألوهيته، وكان في ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المتمسكين به، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم كما فعلوا في المجمع العام بنيقية، واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الإسكندرية وبين المجتمعين، حتى وصل

إلى الاعتداء عليه وعلى رأسه بالضرب، حتى كادوا أن يقتلوه، ولم يخلصه من أيديهم إلا ابن أخت الملك الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع، ولكن لما بلغ ذلك الإمبراطور قسطنطين كرمه، هذا وقد أصدر مجمع صور قراره الفذ وهو وحدانية الله وأن المسيح رسول فقط، ويستنبط من ذلك عدة نتائج منها:

أن أهل المسيحية الأولى كانت كثرتهم الغالبة من الموحدين المتحمسين لوحدانية الإله، إذ كانوا في مجمع نيقية الكثرة، وكانوا يناصرون رأي أريوس في عقيدة التوحيد ويعارضون التثليث وألوهية المسيح، وفي مجمع صور الإقليمي كانوا جميعاً موحدين ما عدا بطريرك الإسكندرية، وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يكونوا الكثرة في جمهور المسيحيين وقتئذ.

ومنها: أن عقيدة التوحيد هي التوحيد الخالص، وأن فكرة ألوهية المسيح هي العارضة، إلا أن الإمبراطور قسطنطين كان يشجع دائماً المخالفين لعقيدة التوحيد حنيناً إلى عقيدة الوثنية.

ومنها: أن مجمع صور الذي عقد بعد مجمع نيقية بسنين قليلة خالف كل المخالفة مجمع نيقية الذي تخاذل عدده من ٢٠٤٨ أسقفا إلى ٣١٨ عند تقريره عقيدة التثليث وألوهية المسيح.

أن كنيسة الإسكندرية وحدها، هي موطن الدعاية لألوهية المسيح، ولم تتمكن من السيطرة برأيها على العالم المسيحي الذي كان يدين أكثره بعقيدة التوحيد حتى في إقليم مصر نفسها، ويقول في ذلك ابن البطريق عن العصر الذي تلا عصر قسطنطين «في ذلك العصر غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية، وأنطاكية وبابل والإسكندرية» وعن أهل مصر يقول «فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين، فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية، وأخذوها ووثبوا على اثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى».

لماذا لم تتغلب آراء الموحدين على أفكار أنصار عقيدة التثليث:

أخذت الدولة الرومانية مستعينة في ذلك بقوة سلطانها، فعينت في مناصب الأساقفة من لم يكونوا موحدين متخذة في ذلك كل الاحتياط، فاختفى مذهب الوحدانية الحق في لجة التاريخ، حتى أنه لا يوجد حالياً في جميع أنحاء العالم المسيحي كنيسة واحدة لا تقول بالتثليث.

السر في تشبث كنيسة الإسكندرية بعقيدة التثليث(١):

السبب في ذلك أن كنيسة الإسكندرية كانت تعتنق المذهب الإسكندراني، وهو المذهب الفلسفي الذي نادت به مدرسة الإسكندرية التي كان يتزعمها أفلوطين في القرن الثالث الميلادي، وإليه تنسب الأفلوطنية الحديثة، وكانت آراؤها في العقيدة الإلهية ترتكز على الثالوث المكون من الله والعقل والروح، وقد امتد جذور الثالوث الأفلوطني حتى عقيدة المصريين القدماء في آمون ورع طبقاً لما حكاه المستر وليم أولكي في كتابه (مصر وعجائب أرض الفراعنة) أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأزوريس كاعتقاد المسيحية بالمسيح تقريباً.

الأسس التي استند إليها مجمع نيقية في تقرير ألوهية المسيح:

يقرر بعض المسيحيين أن الأسس التي أدت إلى اتخاذ هذا القرار الخطير هي ما ورد في كتبهم المقدسة طبقاً للآتي: -

(أ) يروي متى في الإصحاح ٢٦ عدد ٦٣ و ٦٤ حكاية عن رئيس الكهنة عندما سأل المسيح «وأما يسوع فكان ساكتا، فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله قال له يسوع أنت قلت».

---

(١) (محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن) المستشار محمد عزت طهطاوي.

(ب) ما رواه متَّى في إنجيله بالإصحاح ٣ عدد ١٧ عن الله «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت».

(جـ) وقول يوحنا في إنجيله وصف المسيح إصحاح ١ عدد ١، عدد ١٤ «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله..» عدد ٣ «كل شيء به كان وبغيره لم يكن» عدد ١٤ «والكلمة صار جداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما، لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً».

(د) وفي أعمال الرسل إصحاح ٨ عدد ٢٨، ٢٧، ٢٦ حكاية من فيلبس أن يعمده، فقال فيلبس إن كنت تؤمن من قلبك يجوز، فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله. فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيليس والخصى فعمده.

(هـ) قد يقول قائل النصرانية إن التثليث يستند إلى ما ورد بإنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ من قول منسوب للمسيح «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» وفي ضوء البحث الموضوعي المجرد فإن مناقشة ونقد وتفنيد هذه المزاعم، يتمثل بداهة في الآتي:

أن ما يرويه متّى أو يوحنا لا يمكن أن يعتبر دليلا على مثل هذا الأمر الخطير، وهو اعتبار المسيح إلها، وبخاصة إذا اتضح أن هذه الأناجيل من صنع متى ويوحنا، أو من صنع الأجيال المتعاقبة، ونسبت إليهم؛ لأن الصلة بين إنجيل عيسى وهذه الأناجيل مقطوعة الصلة بين هذه الأناجيل، والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً.

مما يؤكد هذا النظر أن الكاتب الكبير كالتوف Kalthoff أبان أن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل، فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد الصواب، لذلك تراه يقول «إن صورة

المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل، وأن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) التي كانت إذ ذاك مسيطرة وكانت آراؤها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية».

يثبت بيفليديرير Pfliederer المصادر الحقيقية للاعتقاد بألوهية المسيح فيقول إن معالم التنبؤ عند اليهود، وعظماء الأحبار، والخيال الشرقي، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التي ظهرت في العهد الجديد، وكل ما يمكن تقريره دون تردد، هو أن تصور المسيح كان الهدف الوحيد للمسيحية في عهدها الأول كما كان هدف دعاتها.

أن كلمة ابن الله أو قول الله تعالى «هذا ابني الحبيب» لو صح هذا أو ذاك لما كان دليلا قط على ألوهية المسيح، فإنه استعمال مجازي معناه التكريم والطاعة ونظيره إطلاق الأناجيل على العصاة أنهم أبناء الشيطان مع أنهم أبناء آدم من ذلك أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للآباء.

ويقول H.D.A.Mazer مدير ربيون هول ـ أكسفورد: ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية، ولا من الناحية الفكرية العقلية، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلق به والاعتماد عليه والحاجة إليه.

وردت في الأناجيل التي يعتمد المسيحيون عليها في إثبات البنوة عبارات كثيرة تقرر توحيد الله، وتفيد بوضوح أن المسيح نبي وبشر رسول، وذلك دليل قاطع على أن المراد من البنوة غير ما فهموه، بل المراد منها الطاعة والمحبة والاعتماد على الله والحاجة إليها كحاجة الابن إلى أبيه، وإليك بعض هذه العبارات:

(أ) جاء في إنجيل متّى إصحاح ٢١ عدد ١١ «فقالت هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل»

(ب) وجاء في الإنجيل السابق إصحاح ٢٣ عدد ٩ «ولا تدعو لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات» وهنا نسبت البنوة إلى البشر ولم يختص بها المسيح، فهل البشر يساوون المسيح في البنوة لله على النحو الذي فهموه، فإن قالوا هي بنوة الحاجة والطاعة، قلنا بنوة المسيح كبنوتهم.

(جـ) وجاء في إنجيل مرقص إصحاح ١٢ عدد ٢٩ «فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي بإسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفي عدد ٣٢ «فقال له الكاتب جيداً يامعلم الحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه».

(د) ورد في إنجيل لوقا إصحاح ٧ عدد ١٦،١٧ «فأخذ الجميع جوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي كل جميع الكورة المحيطة».

(هـ) كما ورد في الإصحاح ١٣ عدد ٣٣ من الإنجيل السابق وكذلك في عدد ٣٤ «بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج عن أورشليم، ياأورشليم ياأورشليم، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا».

(و) وجاء في إنجيل يوحنا إصحاح ٦ عدد ١٤ «فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا هذا حقيقة النبي الآتي إلى العالم».

(ز) يروي يوحنا عن عيسى إصحاح ٢٠ عدد ١٨ قوله: «ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

(ط) وفي رسالة أعمال إصحاح ٣ عدد ٢٢،٢٤، أن موسى قال للآباء الآتي: «فإن موسى قال للآباء إن نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به وجميع الأنبياء أيضاً

من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام».

أن بولس نفسه استعمل هذا التركيب «ابني الحبيب» استعمالاً مجازياً في رسالة كورنثوس الأولى. قال بولس عن تيمورثاوس «لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب». مع أنه ليس ابنه.

(انظر رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ٤ عدد ١٧).

يقول العالم هارناك Hornack في شخصية المسيح «ووصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء وأن خضوعه له تام، ويدخل عيسى نفسه ضمن الناس معلنا أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله (الذات الإلهية)».

ورد في دائرة المعارف البريطانية ما نصه «ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعاً بنسبه العادي ابناً لمريم، منسوباً من جهة الأب إلى يوسف النجار».

أن العبارة المنسوبة للمسيح وهي «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» الواردة في إنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ لا تفيد أدنى دلالة على التثليث بمفهوم النصرانية، بل إنها تشير إلى تكليف التلاميذ بتعليم أبناء الأمم، معرفة الآب وهو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له؛ لأن معنى الآب هو الله، ومعرفة الابن أي المسيح الوحي الذي أنزل على المسيح وعلى من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، بل إن كلمة أقنوم لا توجد إطلاقا، في جميع أسفار العهد القديم والعهد الجديد.

من كل ذلك يتضح أن فلسفة مدرسة الإسكندرية التي كانت تعتنق مذهب أفلوطين، وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعتا المسيحيين إلى القول بتعدد الآلهة.

ويؤكد هذا النظر العالم هارناك إن يقول إن تعدد الآلهة هو من عمل أتباع المسيح، وهو بعيد كل البعد عن عمل المسيح وقوله.

ويقول السيد محمود الفضل في كتابه (وحدة الدين والفلسفة والعلم): إن الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون في عهدهم الأول دفعهم إلى الهجرة، فرحل بعضهم إلى الإسكندرية حيث أخذوا من مدرستها، ورحل البعض إلى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية، ومن هذين المعينين، جاءت المسيحية الحديثة.

واللافت للنظر إن الشعب اليهودي ـ وهو الشعب الموحد لله ـ يخشى الله ويخشى مسيح الله ويؤيد هذا الصراع المريع بين شاول الملك في مطاردته لداود النبي بغية قتله والتخلص منه، ويشاء الله القدير أن يقع شاول في قبضة داود الذي هرب إلى الجبال ليحتمي من سطوة الملك وبطشه. لقد وقع شاول الملك ثلاث مرات في قبضة داود، وفي كل مرة كان داود يصفح عنه.

قال أبيشاي لداود: «قد حبس الله اليوم عدوك في يدك فدعني الآن أضربه بالرمح إلى الأرض دفعة واحدة ولا أثني عليه، فقال داود لأبيشاي: لا تهلكه، فمن الذي يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ؟! وقال داود: حي هو الرب، إن الرب سوف يضربه، أو يأتي يومه فيموت، أو ينزل إلى الحرب ويهلك، حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إلى مسيح الرب. فقال شاول: قد أخطأت»[١].

وهذا التصرف من داود النبي، هو التصرف السليم الذي تتحقق به إرادة الله (العفو عند المقدرة)، الذي يقهر الخصم فيجبره على الاعتراف بخطئه كما اعترف شاول الملك بقوله لداود عليه السلام: قد أخطأت.

وعلى هذا نتبين أن الرسالة واحدة، رسالة الله، وكلمة الله هي

(١) ١ صم ٢٦: ٨ ـ ٢٥.

واحدة، والهدف واحد، وهو إشارة إلى ملك الكون، الله جل جلاله، وإنما تختلف الطريقة وتتلون الحقيقة في أعين الناس على حسب اختلاف عقولهم وأزمانهم، وإذا كان عيسى أو موسى أو محمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ رسل الله يبشرون بالكلمة، فإن الله جل جلاله من ورائهم جميعا، وأنبياء الله كمثل الكهرباء التي تسري في المصابيح الكهربائية، فتشع بالضياء، أو تسري في المحركات الآلية، فتولد الحركة، هذه الكلمة لا يمكن أن تسير بدون أضوائه المتلألئة في كل سماء، وإن كانت تحجبها أحيانا سحب من صنع البشر.

كيف يتخلى الله عن المسيح

لقد ذكر الحواري متى في إنجيله قصة التجلي للمسيح عيسى ابن مريم وهذا نصها للفائدة التاريخيه: «وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب، ويوحنا أخاه، وصعد بهم إلى جبل عال منفردين. وتغيرت هيئته قدامهم، وأضاء وجهه كالشمس. وصارت ثيابه كالنور. وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه.. وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا، ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً، فجاء يسوع ولمسهم وقال: قوموا ولا تخافوا، فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده»[١].

والأمر إلى هذا الحد لا يعدو أن يكون قصة جميلة، لكن الأمر الخطير في هذه القصة هو وصية المسيح لهؤلاء التلاميذ الثلاثة بقوله: «لا تعلموا أحدا بما رأيتم»[٢].

ولنقابل هذه الحادثة بأخرى مماثلة مع اختلاف الحالة العاطفية من

(١) متى ١٧: ١ ـ ٨.

(٢) متى ١٧: ٩.

المجد إلى الموت، ومن البهجة والسرور إلى الكآبة والحزن، وها هي ذي القصة الثانية وقد وردت في الأناجيل الثلاثة: إنجيل متى ٢٦: ٣٦ ـ ٤٦، وإنجيل مرقص ١٤: ٢٢ ـ ٢٤، ثم إنجيل لوقا ٢٢: ٣٩ ـ ٤٦.

والقصة كما وردت في إنجيل لوقا: «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه تلاميذه أيضاً. ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكيلا تدخلوا في تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن، لا إرادتي. بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه، فوجدهم نياماً من الحزن، فقال لهم: لماذا أنتم نيام؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة».

هذه هي القصة ومنها تستخلص كينونة المسيح عيسى بن مريم كإنسان بشر، يصلي في جهاد، فينزل ملاك من السماء ليقويه ويشد من أزره ثم يعود إلى تلاميذه، فيجدهم ساعة هذه التجربة العظمى نياما.

ومن هنا حدث لبس في شخصية المصلوب.

١ ـ كان مع تلاميذه طاهراً يصلى، وأولئك كانوا في سبات عميق نائمين.

٢ ـ ويتقدم يهوذا الاسخريوطي الجمع الذي يريد القبض عليه وينطق المسيح بمثله المشهور: «أبقبلة تسلم ابن الانسان؟»[1] تقدم الجمع الذين جاءوا بمشاعل ومصابيح وسلاح، ومن هذا يتبين أن الوقت كان ليلاً دامساً: «جاءوا بمشاعل ومصابيح».

(١) يو ١٨: ٢.

٣ ـ وإذا كان الله قد وهبه ملكاً ليقويه في أثناء الصلاة أفما كان الأولى به أن يحقق قول المسيح: «لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكيلا أسلم إلى اليهود، لكن الآن ليست مملكتي من هذا العالم»[1].

بل أكثر من هذا يتبين ـ بقراءة النص الآتي من إنجيل متى ـ تلك الخدعة الكبرى لموضوع القيامة على أثر الخدعة الصغرى بالصليب، وهذا هو النص: «وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: ياسيد، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال ـ وهو حي ـ إني بعد ثلاثة أيام أقوم. فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب: إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى. فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس، وختموا الحجر»[2].

هذه الفقرة يتبين منها النية المبيتة لرسول الله، حوله تلاميذ لا حول لهم ولا قوة. حوله تلاميذ تركوه عند المحنة، فهذا يهوذا يسلمه، وذاك بطرس ينكره، وبقية التلاميذ قد تخلوا عنه ساعة المحاكمة إن كان حقا هو الذي حوكم. والحقيقة أنه لم يحاكم، ولم يصلب، ولم يرقد في قبر، ولم يقم من بين الأموات، إنما كانت الواقعة تدور في فلك يهوذا الذي أراد الله له تنكيلا، جزاء خيانته، ورفع نبيه إليه، وفي هذا قال برنابا الحواري:

«فلما كان الناس قد دعوني الله، وابن الله، على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا

(١) يو ١٨: ٣٦.

(٢) متى ٢٧: ٦٢ ـ ٦٦.

الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله»[١].

ثم نجد أن هيرودس الملك يأبى أن يقتل نبي الله بقوله: «ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب، لأنه كان عندهم مثل نبي»[٢] وبيلاطس الوالي الروماني يتبرأ من هذا الذنب العظيم بقوله: «إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم»[٣].

١ ـ أهو الله؟ إن كان كإله خلص آخرين، أما كان الأولى به أن يخلص نفسه[٤]؟!.

٢ ـ أهو نبي ومسيح الله؟ إن الشريعة الموسوية تحرم القتل إطلاقا، وقتل الأنبياء، فكيف يستقيم هذا الادعاء مع كونه نبيا؟!

٣ ـ أهو إنسان مجرد من تأييد الروح القدس له؟ وهنا يجوز أن يقتل لو كانت هناك أسباب قانونية تدفع إلى القتل اقتصاصاً، والمسيح عيسى بن مريم كان رسول الله ونبيه الممسوح بالروح القدس، الذي قال: «إن الله يقدر أن يرسل إليه جيشاً».

(١) إنجيل برنابا.

(٢) متى ٢٧ : ٤٢.

(٣) متى ١٤ : ٥.

(٤) متى: ٢٧ : ٢٤.

الفصل الثالث عشر

- ◄ حول أشهر المذاهب المسيحية القديمة
- ◄ انتشار مذهب أريوس في الشرق
- ◄ رفض تعاليم انسطورس
- ◄ كيف تطورت المسيحية المعاصرة
- ◄ غفران الذنوب في المسيحية

حول أشهر المذاهب النصرانية القديمة

الغنوسيوسية:

نسبة إلى أغنوسيوس أسقف انطاكيا، وهي كلمة يونانية معناها «المعرفة» وقد ظهر هذا المذهب في عهد المسيحية الأول، أيام الرسل، في أواسط القرن الأول بعد صعود المسيح، أي حين كانت الفلسفة اليونانية الباحثة في ما وراء الطبيعة متسلطة على أفكار وآداب الشرق. وقد مزجت هذه الطائفة ذلك البحث بالتعاليم المسيحية وجعلوها شيئا واحداً. غير أنها رفضت الشريعة الموسوية، مع أنها كانت أساساً لتعاليم المسيح، وقالت عن المسيح إنه كان واسطة بين الله والناس، أرسل لتخليصهم من الشيطان ومنع تسلط المادة على الروح لئلا تتأثر بشيء منها. ومن مزاعم هذه الطائفة أن الدين ليس من صنع الله الأعلى، وإنما هو صنع آلهة أشرار، أذعنت له، والقبائح والشرور لا تصدر إلا عن المواد التي ليست من صنع الله واستنبطت هذه الطائفة من العقائد التي قررتها شرائع وأحكاماً ملائمة لها. منها: الامتناع عن الزواج، ومن جميع الحظوظ التي تتوق إليها النفس. ولهم مجاهدات كثيرة، يرمون بها لفناء الجسم وتخليص الروح بواسطة الرياضات الشاقة كالصيام ونحوه.

الأبيونية:

نشأس هذا المذهب في القرن الأول للمسيح وكان معاصرا لـ «بولس» الرسول وأنكر عليه تعاليم رسالته أشد الإنكار. وهو يعترف بإنجيل «متّى»،

وينكر منه الإصحاحين الأولين. ولا يقر من كتب العهد العتيق إلا الأسفار الخمسة «التي كتبها موسى». وكان ينفر من اسم «داود» و«سليمان» و«أرميا» و«حزقيال».

أما ما يتعلق بالإيمان بالمسيح عند «الأبيونية» فأساسه قائم على إنكار انبثاق المسيح من روح القدس مع الاعتقاد الجازم بأنه ولد من أبوين بشريين حسب الطبيعة البشرية، مريم العذراء ويوسف النجار. وكذلك القول بأن المسيح سيظهر مرة أخرى ويعيد المجد والعظمة إلى «أورشليم» ويجعلها تحت ملكه، ومن قواعد هذا المذهب اتباع شريعة موسى الطقسية، والقول بأن لا نجاة ولا خلاص إلا بالختان، والاغتسالات، وتحريم أكل اللحوم.

وقد استقام هذا المذهب إلى غاية الجيل الرابع، ثم انقرض في عهد «نيودوس».

النيقولاوية:

نسبة إلى «نيقولاوس» أحد الشمامسة السبع الذي ظهر في القرن الأول من الميلاد أما أصحاب هذا المذهب فإنهم يقربون الذبائح للأوثان. ولا يرون اتباع الحدود ويزعمون أن من عرف الله والمسيح يخلص من العذاب مهما كانت آثامه؛ لاعتقادهم أن المسيح فدا حياته لحرية الشعب ومن لوازم هذا الفداء التحرير من أحكام الشريعة، وتخليص الناس من القيود.

وقد أبطلوا حق الملكية، وجعلوا الأشياء على الشياع بينهم، وهم يقدرون حرية الأمم والأديان كافة.

الماركونية:

مذهب «ماركيون» الذي نبغ في أواسط الجيل الثاني للميلاد، ومولده

مدينة «سنوب»، وكان أبوه أسقفا، فحذق الديانة وتعمق فيها، ثم سافر إلى «روما» سنة (١٣٩)م وكان البابا «هجنوس» جالسا إذ ذاك على عرش البابوية، ولما هلك، كان «مركيون» من المرشحين لتقلد هذا المنصب الرفيع. ولقد ذهب «ماركيون» في عقائده إلى القول بالأصول الثلاثة الأولية، وهي:

١ ـ الخير وهو أصل سام غير منظور.

٢ ـ الخالق

٣ ـ المادة أو (الشيطان) وهو أصل الشر.

يعتقد «ماركيون» بأزلية المادة، ويقول إن الخالق، والإله الصالح متضادان ويذهب إلى القول بأن الإله الحقيقي ولد أرواحاً كثيرة، وهو الذي أنزل شريعة اليهود، ووعد بمجيئ المسيح، على لسان الأنبياء، وقد ظهر فعلاً، وهو الفادي الحقيقي ابن الإله الصالح الحقيقي، وأنه وجد على الأرض بصورته البشرية، يحرر النفس ويهدم الظلم.

ويروى عن أصحابه القول: بأن هذا العالم غنيمة للشر، لذلك يريدون ويتمنون الموت، لأنه يخلصهم على زعمهم من الشر. وهم يتعمدون حمله مرات، ويقولون في ذلك: إن الخطايا والآثام التي تقترف كل يوم تغفر في هذا السر المقدس. ويقولون في ذلك استحسان عدم الزواج، وأنكر تعميد المتزوجين، وأباح للنساء تعميد النساء، وحرم أكل اللحم وشرب الخمر.

وقال في العهد القديم هو وحي الخالق إلى اليهود، وأنكر أنه كتب بإلهام، أما العهد الجديد فلم يعترف منه إلا بإنجيل «لوقا» عدا الإصحاحين الأولين منه، وأنكر كذلك بعض رسائل «بولس» ولم يسلم إلا بفقرات منها. وقد ألف «مركيون» كتاباً دون فيه أصول مذهبه وآراءه، واستند في كتابه القسم الإلهي منه إلى إنجيل «لوقا» بعد أن حذف البشائر الأولية منه، وقد

زعم أصحابه أن «المسيح وبولس» هما اللذان ألفا هذا الكتاب.

اللوجينية:

هم اسم لطوائف من النصرانية ظهرت في القرن الثاني للميلاد، وهي تنكر الإنجيل وجميع تصانيف «يوحنا». وتقول: إن المسيح عليه السلام ترك التعاليم في الصدور ولم يترك أبدا كتابا.

البرديصانية:

مذهب ينسب إلى «برديصان الرهاوي» وقد ولد في «إرفه» سنة (١٧٠)م. وكان ذكي القلب فصيح اللسان، قوي الحجة، بنى مذهبه على القول بوجود إلهين اثنين: إله الخير وإله الشر، وتكلم عن المسيح فقال عنه:

ليس جوهرا أرضيا وإنما هو جوهر سماوي، وأنكر قيام الموتى. وقد نظم قصائد غراء في اللغة السريانية ضمنها آراءه وأفكاره، وكان الناس يتناقلونها عن بعضهم ويترنمون بها في مجالس، وكان لها أشد تأثير في نفوسهم. وقد تصدى له القديس «افرام» وناقشه في مذهبه وفند كثيراً من آرائه. لكن رغم هذا كله فإن مذهبه انتشر في العراق وبين نصارى جزيرة العرب وسوريا وفلسطين، وكان أكثر أصحاب المذاهب اتباعا في هذه الأقطار.

السابليوسية:

هي مذهب «سيبلوس» الذي ظهر في القرن الثاني. وكان يقول بالأقانيم الثلاثة ويرى في كل أقنوم خاصية تنافي الألوهية.

السمساطية:

هي مذهب كان يعرف في الأصل بـ «المونوريخية» ترأسها

«تيوتونيوس» وبعد وفاته انتقلت الرئاسة إلى «بولس» السمساطي فاشتهرت به وأساس هذا المذهب القول بوحدانية الله، وتنزيهه والاعتراف بأن المسيح كان إنسانا وقد قام هذا المذهب على إنكار «السابليوسية» وإبطال القول بالأقانيم الثلاثة.

المونتانوسية:

نسبة إلى «مونتانوس» وهو من الفريجيين، كان يزعم أنه وجد لإكمال الآداب التي جاء بها المسيح عليه السلام للناس، فحرم الشهوات، والزنا، وتعليم الفلسفة والفنون الجميلة، وفرض على الناس الزهد والتقشف، وتبعه خلق كثير وشاع مذهبه كثيراً في المشرق. ومن الذين اشتهروا بالنبوغ في هذه الطائفة «ترتوليانوس» الشهير بالفصاحة وله تآليف دينية انتصر فيها إلى مذهبه.

الولوزيونية:

ويقال لها أيضاً «الأورولوجيونية» وهم طائفة تشعبت عقائدها عن «المونتانوسية» ثم تفرقوا عنها بالزيادة في التطبيق والتشديد وعاملوا نفوسهم بأشد صنوف الحرمان، من لذائذ الحياة والتعذيب. فكانوا لا يكتفون بقمع نفوسهم عن الشهوات، بل يبالغون في ذلك وربما تخلصوا من بعض أعضائهم وحواسهم بالبتر والاستئصال وغير ذلك من ضروب القسوة والشدة والأعمال المنافية لأسرار الطبيعة وروح الدين.

الروستية:

هي طائفة من المسيحية متفرعة عن الغنوسية في القرون الأولى تقول بإنكار اتحاد الذات الإلهية بشخص بشري اتحاداً حقيقياً. وتذهب إلى القول بأن جسد المسيح كان جسداً بالصورة فقط، وأنه تألم ومات بحسب الظاهر لا الحقيقة.

الكرناثوسية:

نسب إلى «كرناثوس» صاحب هذا المذهب، كان متفقا في الأصل مع «الدوستية» في القول بعدم وجوب التصديق بما لا يمكن فهمه، ولم ينكروا شيئا على طبيعة المسيح البشرية، ولا أثبتوا له أنه عمل على التحقيق كما قيل عنه في الأناجيل، ولم يستطيعوا أن يوفقوا بين ما حدث له من الصلب والإهانة وبين القول عنده إنه ابن الله.

وقد خالف «الكرناثوسية» و«الدوستية» في إنكار لاهوت المسيح عليه السلام، ثم زعموا أن المسيح الذي اعتبروه منبثقاً عن اللاهوت هو الذي نزل على الإنسان «يسوع» حين تعميده، ودام معه إلى وقت صلبه، ثم تركه وعاد إلى السماء.

الأرويوسية:

هي مذهب «أريوس» ويقال لأتباعه الأرارسة. ومفرده الأريس، وفي كتب اللغة أنه اسم للأكار وجمعه الأريسيون. ويقال أيضاً: الأريسي، وجمعه أريسيون وأرارس وأراريس، وهي جموع غريبة. وقال في التاج أرارسة تنصرف وأرارس لا تنصرف. كان «أريوس»[١] شماسا في اسكندرية ظهر في أول القرن الرابع من الميلاد وكان من الذين يعلمون الناس نفي الألوهية عن المسيح، ويقولون عنه ليس من ذات الله، وإنه مسبوق بالعدم ضرورة، لأنه مولود، وأنه جائز الوجود وإن الحكمة في وجوده واسطة في إنقاذ العالم من الخطيئة، وكان على مذهبه جهابذة كثيرون من رجال الدين والشعب.

وحدث بسبب تعليم أريوس العقائد على أصول التوحيد والتنزيه خلاف شديد بينه وبين «الكساندروس» مطران الإسكندرية وكان عازما على

(١) أريوس (ARJUS) هو قس الإسكندرية (٢٥٦ ـ ٣٣٦م).

منعه من نشر التعاليم المخالفة للروح اليونانية فلم يعبأ به أريوس. فأضمر المطران له الشر، وعدل في معاملته إياه عن المحاسنة، إلى المخاشنة، ثم في النهاية دعا أساقفة أبرشيته إلى عقد مجمع لمحاكمة أريوس.

فانعقد المجمع الاسكندري سنة (٣١٨) لمحاكمة أريوس على تهمة إنكار لاهوت المسيح، ولما سئل أريوس عن التهمة الموجهة إليه لم ينكرها بل اعترف بها وأثبتها على نفسه بحجج، غير أن المجمع أبى أن يصغى إليها. فحكم عليه بالحرمان. ومن ذلك الحين أخذ أريوس يتطاول على الإكليروس ويجابهه بالإنكار. ولم تكن الصراحة مألوفة بين الناس. فشق ذلك على البطريارك، ودعا الإساقفة في سنة (٣٢١) إلى عقد مجمع ثان، فاجتمع منهم مائة أسقف، ليبيون ومصريون، وحكموا على «أريوس» بالابتداع والانفصال عن الكهنوت، فلم يعبأ به ولم يزده هذا الحكم إلا تصلبا في الرأي وقوة في العقيدة.

وكتب البطريارك «الكساندروس» إلى عامة الكنائس يعلمهم بصدور قرار المجمع ضد أريوس وابتداعه وتحريم تعاليمه، وعلى أثر ذلك هاجر «أريوس» إلى فلسطين وانقطع هناك للكتابة ضد البطريارك وأخذ في بث عقائده التي استخلصها من تعاليم المسيح بواسطة الأناشيد والترنيمات المقدسة حتى انتشر صيته، وكثر أشياعه ومريدوه ثم انتقل إلى «نيكوميدا» عاصمة الروم الشرقية، وكان أسقفها إذ ذاك المؤرخ الشهير «أسيبوس» فاصطفاه لمودته وجعله من مريديه.

غير أن خصوم أريوس كانوا يتعقبونه في كل مكان يرحل إليه، ولما علموا بوصوله إلى «نيكوميدا» كتبوا إلى الإمبراطور «قسطنطين» يؤلبونه عليه باسم النصرانية فلم يغتر بما كتبوه، بل بعث خلفه «أسيبوس» وسأله عن حقيقة أريوس وتعاليمه فكاشفه بالواقع دون أن يخفي عليه شيئاً، وأفهمه أن السبب في الإشاعات الحاصلة ضد «أريوس» كانت من حسد وبغض «الكساندروس» له. فأحب الإمبراطور أن يطفئ جذوة هذه الفتنة بالوسائل

الخفية فأرسل إلى «الكساندروس» «أسيوس» أسقف قرطبة وكان يثق به ويجله، يدعوه إلى الوفاق وإصلاح ذات البين مع «أريوس». ولما كان «الكساندروس» كارهاً لذلك جمع أساقفة الأبرشية وألف منهم مجمعاً ظاهره للنظر في إزالة أسباب الخلاف، أما باطنه فكان قصده إثارة تعصب القساوسة ضد «أريوس» واستنكار عقيدته وتعاليمه، ولما فطن أتباع «أريوس» إلى هذه الدسيسة تخلفوا عن المجمع فأخفق لذلك سعي البطريارك إخفاقا تاما. فعاد «أسيوس» إلى قسطنطين وقص عليه هذه الحكاية من أولها إلى آخرها وكان مشابها في الباطن لمطران اسكندرية، فأصدر الإمبراطور أمرا منع به الخوض في مسألة ألوهية المسيح وبشريته، فلم يذعن إليه الطرفان. لذلك عزم على إنهاء هذه المشكلة بطريقة حاسمة. فأمر بعقد المجمع النيقاوي فالتأم هذا المجمع وكان مؤلفاً من جميع أساقفة البلاد النصرانية في مدينة «نيقا» «آنذاك» سنة (٣٢٥) وقد بلغ عدد من حضر من الأساقفة (٣١٨) من جملتهم أريوس تحت رئاسة «أسيوس» أسقف قرطبة.

ولما كان أكثر أعضائه من اليونانيين الذين يذهبون في عقائدهم مذهب فلسفة الاتحاد، والحلول والانبثاق، والتجسد، فمن الصعب أن يحكموا لأريوس على أنفسهم، بل كان من المحقق أنهم سيصدرون حكمهم القاسي ضد تعليم «أريوس».

قرار المجمع النيقاوي:

«إن يسوع المسيح هو ابن الله حقا، وهو مساوٍ لأبيه، وهو قوته، وصورته، وهو موجود دائما فيه وهو إله حق».

وبعد توقيع هذه الصيغة لاح للمجمع أن في وسع الأرارسة التقصي من هذه العقيدة بالتأويل، فوضعوا كلمة تعبر عن وحدة الطبيعة لله الآب وللكلمة همواوسيون Honoaussion، معناها مساو للجوهر، وفي زعمهم

أنها غير قابلة للتأويل ولا تتفق مع عقائد الأرارسة لدلالتها الصريحة على مساواة الابن لأبيه في كل شيء وأنه هو والآب الإله واحد.

وقد حاول الأرارسة تغيير هذه الكلمة ولكن أكثرية أعضاء المجمع أصروا على بقائها إصرارا شديدا فخرج الأرارسة محتجين على الأكثرية معلنين انفصالهم عن قرار المجمع.

وبعد ذلك اتفق الآباء على وضع كلمة يتميز بها إيمان التقليديين «الكاثوليك» عن غيرهم فوضعوا الصورة التالية للإيمان:

«نؤمن بإله واحد، أب ضابط للكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد مساو للأب في الجوهر، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد وتأنس وصلب عنا على عهد «بيلاطس» البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب وأيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه، وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن، يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسوليا. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر العتيد آمين».
ولما صدر قرار المجمع بإثبات عقيدة التثليث ومساواة الابن لأبيه في الجوهر تلته الأوامر بتحريم نشر تعاليم الأرارسة، وإحراق كتبهم، وتحجير بيعها وقنيتها. واستمر العمل بهذه الأوامر القاسية سنتين أي إلى أن ذهب الإمبراطور قسطنطين. ثم خلفه «كونستانس» سنة (٣٢٧) فمال إلى مذهب أريوس وكان يريد جعله دينا للرومانية، وكان يقول بإبطال ألوهية المسيح. ولو طال حكمه لأبطل قرار مجمع نيقية .(Nicee) ولكن عاجلته المنون فمات بعد سنة واحدة من ولايته. ثم خلفه «أثيوديوس» الثاني سنة (٣٢٨) وكان شديد التعصب لعقيدة التثليث، فافتتح حكمه باصدار قانون عام في منع الأريوسية وحدث بعده اضطهاد شديد لأريوس ثم نفي، وبسبب ذلك

فشت فاشية التعصب للعقائد بين الناس وانتشر في سائر الكنائس القول: بالاتحاد، والحلول والتشبيه والتجسيم.

انتشار مذهب أريوس في الشرق الأدنى:

ولما نفي أريوس من بلاد الروم عاد إلى مصر. وعكف على نشر مذهبه في مصر والبلاد المتصلة بها حتى شاع شيوعا هائلا ودان به فلاحو السواد وقد كان أغلب بلاد العرب لا يعرفون المسيح إلا من تعاليم أريوس.

ويرى المسلمون أن الأرارسة كانوا على دين التوحيد الذي جاء به المسيح من عند الله. لذلك قام النبي بحمايتهم والدفاع عنهم، يدلنا على ذلك كتابهﷺ للروم والذي جاء فيه ما معناه: فإن أبيت قبول الإسلام فعليك مسؤولية ما يصيب الأريسيين من الظلم والاضطهاد، حيث قال «فإن توليت فعليك إثم الأريسيين» والذي يفسر لنا بوضوح تام ما يعانيه هؤلاء المساكين من ظلم الروم قول معاوية بن أبي سفيان فيما كتبه إلى ملك الروم وهو يهدده حين يقول له: لأردنك أريسا من الأرارسة ترعى الدوابل»[1].

أما تعاليم الأرارسة: فهي أكبر حجة على ثبوت وحدة التعاليم الإلهية في الأديان السماوية، وإن ما يظهر عليها من الخلاف إنما هو أثر من آثار التأويل والتحريف.

النسطورية:

ظهر مذهب النسطورية في أوائل القرن الخامس بعد اندراس مذاهب كثيرة تقدمته من نوعه منها «السبيليانية» و«الماركونية» و«البرديصانية»

---

(١) في اللسان (دبل) ٤/ ٢٨٧ «الدَّوْبل: الحمار الصغير لا يكبرُ وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى ملك الروم: لأَرُدَّنَّك إريساً من الأرَارِسة تَرْعَى الدَّوابل: هي جمع دَوْبَل وهو ولد الخنزير والحمار، وإنما خَصَّ الصِّغار لأن راعيها أوضع من راعي الكبار.

و «الأريوسية» وأول من علم به القسيس انستاسيوس في القسطنطينية ومن تعاليمه: إنكار تلقيب العذراء بوالدة الإبن.

فقد قال عن العذراء هي أم المسيح لا أكثر ولا أقل. وقد ظهر هذا القول بعد انتشار عقيدة التثليث، والاعتراف بالخطيئة الأصلية وحلولها محل العقائد المسيحية الأخرى المنقرضة فعاد الخلاف إلى أشد مما كان عليه بين المتكلمين من علماء النصرانية خصوصا بعد ظهور انسطورس. فقد أجمع مؤرخو الكنيسة على أن الأصل في هذا الخلاف هو:

تعاليم انسطورس:

فقد كان أنسطورس في أول عهده على رأي القسيس أنستاسيوس، ثم توسع في الخلاف، وأنكر على أصحاب المذاهب المعروفة في زمانه عقيدتهم في بالإيمان بسر تجسد الكلمة، فإن أغلب المسيحيين الذي مالوا إلى ترجيح عقيدة اثناسيوس كانوا يؤمنون أن المسيح هو كلمة الله المتجسد، وأن للمسيح المتجسد من الضرورة طبيعيتن وأقنوما واحدا، أو شخصية واحدة.

فثار نسطور ضد هذه التعاليم وهو يومئذ أسقف القسطنطينية، وأثبت أن في المسيح أقنومين، فأحدثت آراؤه هجسا في الاكليروس والشعب. ولما كان لـ «نسطور» نفوذا في قصر الملك، استطاع إقناعه بصحة ما ذهب إليه، ولكن «كيرللس» نابذ هذه العقيدة وقاومها بشدة وألف رسالة في سر التجسد رد بها على انسطورس وإليك ما كتبه في هذا الموضوع:

«إني لأعجب من وجود من يشك في أن العذراء القديسة هي والدة الله فإنه لما كان ربنا يسوع المسيح إلها والعذراء مريم أمه، نتج أن مريم أم الله، هذا هو الإيمان الذي علمنا أياه الرسل. وهو تعليم آبائنا. وليس معنى ذلك أن طبيعة الكلمة أو الألوهية أخذت الوجود من مريم، بل تكون في حشا مريم. تكون وتنفس بنفس عاقلة واتحد بالجسد المقدس الذي اتحد به اتحادا أقنوميا (كلمة الله) لذلك قيل إن الكلمة ولد بحسب الجسد. ألا ترى

أن الأم في أمور الطبيعة لا حصة لها في خلقة نفس الولد، ومع ذلك يقال إن الأم هي التي ولدته كله لا والدة الجسد».

رفض تعاليم انسطورس:

لما حدث في الأوساط النصرانية قلق أمر البابا «فلسطينوس» بتأليف مجمع من الأساقفة في روما لفحص كتب انسطورس، ولما فحصوها قرروا أنها مناقضة لعقائد وتعاليم الآباء وبنوا على ذلك رفضها. ولما عرض هذا القرار على نسطورس رفضه وأبى قبول نصائح البابا، وأنهى الأمر إلى الملك «ثيودسيوس» الثاني، وهذا أمر بعد المجمع المسكوني في مدينة أفسس. فانعقد المجمع وكانت غايته السعي في إبطال تعاليم «استناسيوس» و «انسطورس». فانعقد من مائه أسقف قبل وصول الأساقفة الشرقيين تحت رئاسة «كيرللس» بطريارك الاسكندرية، وأرسل الملك من قبله لحراسة المجمع الكونت «كانديديماوس»، وكان على عقيدة انسطورس، فبعث الآباء يدعون نسطورس ثلاث مرات وهو يمتنع ويحتج بغياب يوحنا الأنطاكي بطريارك أنطاكيا وأساقفتها. ولما حضروا سنة ٤٢١ عاد المؤتمر للانعقاد في كنيسة المدينة وأنزل البطريارك «كيرلس» عن الرئاسة وتقلدها البطريارك الانطاكي. وبعد ذلك شرع المجمع في فحص كتب نسطورس وتعاليمه، ولما دارت المناقشة في الموضوع تليت رسالة فلسطينوس التي كتبها إلى انسطورس، وسمعت الاعتراضات التي تواردت عليها من الآباء القديسيين وأخيراً أصدر المجمع القرار التالي ضد تعاليم نسطوروس: «إن الاتحاد جوهري بين الطبيعتين في المسيح وإن الإله والإنسان في المسيح هما واحد وأن مريم العذراء هي والدة الإله» ولما عرض قرار المجمع على انسطورس رفضه وأصر على مقاومته وشرع في نشر أفكاره وتعاليمه بين تلامذته وفي الآفاق، حتى انتشرت في العراق، وسورية، وفلسطين، وجزيرة العرب، ومصر، والهند، وتركستان.

ولم يزل مذهب انسطورس قائما وعليه أغلب الأثوريين.

الايلاجيونية:

أصحاب «بلاجيوس» البريطاني وصاحبه «سيليتوس» الإرلندي، كانا راهبين في روما ومذهبهما مبني على إنكار سريان الخطيئة الأولى على أولاد آدم، وقد انبني هذا القول على الاعتقاد بأن من الأسباب التي تحرم الإنسان من السعادة الأبدية الجزم بسريان الخطيئة الأولى إلى نسل آدم، والقول أن الإنسان في حاجة إلى تجديد القلب بنعمة من الله تمنعه من الإقدام على الخطيئة، وتقبل به على التوبة، وكانا يعنيان كثيرا بإبطال تينك العقيدتين. ويقولان إن خطيئة آدم وحواء لا يؤخذ بها أحد من ذريتهما، وإن امتناع الإنسان عن الخطيئة لا يتوقف على تلك النعمة، وإنما ذلك موكول إلى أعمال الإنسان الاختيارية. ولأجل إبطال تعليم هذين الراهبين انعقد مجمع «قرطاجنة» سنة ٤١٢ فقرر ما أرادته الكنيسة، فانتقل بلاجيوس إلى المشرق ثم أخذ بنشر مذهبه هناك وساعده على ذلك أسقف «أورشليم» إلى أن تقرر رفضه نهائيا بقرار مجمع أفسس المتقدم سنة ٤٣١، فعدل أصحابه عن القول بعدم الاحتياج إلى النعمة من الله إلى القول بالقضاء والقدر. واستمرت عقيدة القضاء والقدر فاشية بينهم إلى أن أبطلها مجمع «ايراس» سنة (٤٧٢) ومجمع «ليون» سنة (٤٧٣).

الاوطاخيوسية:

مذهب «اوطاخيوس» رئيس دير قرب القسطنطينية، كان من أشد المعارضين لآراء الراهب «انسطورس» ومن المعارضة جعل لنفسه مذهبا خاصا تبناه: القول بوحدة الاقنوم والطبيعة في المسيح.

وكان يبرهن حسب زعمه على أنه ليس في المسيح بعد التجسد إلا طبيعة واحدة. وأن المسيح لم يصر إنسانا مثلنا.

وقد قال بعض معارضيه إن كان «انسطورس» فصل أقنوم المسيح، فإن أوطاخيوس بلبل الإفهام في طبيعة المسيح.

وقد أخذ بنشر تعاليمه في أديرة القسطنطينية دون أن يقبل في ذلك نصيحة ناصح إلى أن أوشى به الواشون إلى فيلبيانس أسقف المدينة فدعا أوطاخيوس إلى حضور مجمع عقده للنظر في عقيدته فأبى أن يجيب الدعوة لذلك. فأعلن المجمع سنة ٤٥١ رفض تعاليمه وعزله من رئاسة الدير. وتلا ذلك انعقاد المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥٩ بأمر الملك «مارسمانوس» وبلغ عدد أعضائه ٥٦٠ اسقفا، كلهم من المشرق عدا ستة اثنان من افريقية وأربعة من «ليون» ضد «ريسقورس» و«افتخيوس». وكان اجتماع هذا المؤتمر في كنيسة القديسة «أوفاميا» الشهيدة وأوفد البابا إليه ثلاثة نواب نيطت بهم رئاسة المجمع. ومن أهم المسائل التي عرضت عليه مسألة «ديسقورس» بطريارك الاسكندرية التي ذهب فيها إلى ترجيح رأي «أوطاخيوس» ضد «فليبيانس» اسقف القسطنطينية فحكم عليه بالتجريد من الرتب الكهنوتية. وبهذه المناسبة عرضت عليه مسألة إلحاد «أوطاخيوس» التي كتب عنها البابا «مارلاون» أن في المسيح المتجسد اقنوما واحدا وطبيعتين ولما تليت رسالته أعجب بها الآباء، وذلك لمطابقة مباحثها لدستور الإيمان النيقاوي. فهتفوا قائلين هذا هو إيماننا نحن أجمعون، هذا هو إيمان الآباء هذا هو إيمان الرسل. إن بطرس الحواري هو الذي يتكلم على لسان «لاون»، هذا هو التعليم الأرثوذكسي الذي يجب التمسك به، ومن لم يتمسك به فهو محروم.

ثم حرر الآباء شرحا للإيمان صدروه بقوانين المجمعين النيقاوي والقسطنطيني المتقدمين، وفي الجلسة السادسة الختامية للمجمع حضر الملك «مارقبان» بنفسه وقرر أنه متبع في خطته الدينية نسق سلفه الملك قسطنطين. ثم قال: حضر المجمع لكي يسند بقوة السلطنة الملكية تحديدات الآباء لا ليمنع الاساقفة من إبداء آرائهم بحرية وقبل انصراف الملك من المجلس أمر أن يتلى عليه قرار الإيمان الذي حدده المجلس فتلي عليه وانصرف. أما الأساس في مذهب «الاوطاخيوسية» فهو القول: بوحدة الاقنوم والطبيعة في المسيح، ويسمى القائلون بهذا القول في اليونانية

بـ «المونوفيستيين» ولم ينشق المونوفيستيون انشقاقا تاما عن الكنيسة الكاثوليكية إلا بعد ما كثر ممارسة مذهبهم إلى أن جلس «أسوبروس» على كرسي البطريركية الأنطاكية أوائل القرن السادس، فإنه كان مع سرعة ذكائه وقوة حجته يبطن العداوة والبغضاء للمجمع «الخلكيدوني» وأشياعه وبسبب ذلك حرمه البابا «سماكوس» من كرسي البطريركية سنة (٥١٨). فاختفى ونصب مكانه بولس الأرثوذكسي، فلم يقبل بتعيينه «المونوفيستيون» وما زالوا لا يعترفون بأحد بطرياركا عليهم غير «أسويروس» إلى أن قضى نحبه غريب الديار. فنصبوا بعده «سيريجوس» بطرياركا عليهم. وكان البطريارك الكاثوليكي في ذلك العهد جالسا بصفة شرعية على كرسي البطريركية؛ ولهذا السبب انشق «المونوفيستيون» السريان عن الكاثوليك وانفصلوا عنهم وسميت طائفة المنشقين «اليعقوبية».

اليعقوبية:

نسبة إلى يعقوب البرادعي أسقف الرها، وقد كان من عهد «أسوبروس» يدعو السريان الغربيين والمصريين إلى إثبات عقيدة الطبيعة الواحدة ورفع عقيدة العصيان ضد الكنيسة الكاثوليكية كما فعل «برصوما» «النصيبي» مع السريان الشرقيين، حيث تمسك بالـ «اوطاخيوسية» وبذلك يدعونهم «اليعاقية» أيضاً. وقد مات يعقوب سنة (٥٧٨).

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه لم يكد يبدو القرن السادس للميلاد حتى دب الوهن إلى المملكة الرومانية وتعددت فيها المذاهب واختلفت العقائد وافترق المسيحيون إلى طوائف. وشيع، يعادي بعضها بعضا وأشد ما اختلفوا فيه ألوهية المسيح وبشريته، وما يترتب عليه من القول بالطبيعة، والطبيعتين، والمشيئة والمشيئتين، لذلك عزم «هرقل» قيصر «القسطنطينية» على إرجاع المسيحيين إلى عقيدة الكنيسة. فاتفق «أثناسيوس» بطريرك إنطاكية وبطريرك اليعاقبة في «منبج» على أن يرد الأخيرة طائفته إلى الإيمان برأي الكنيسة حتى يكون الاعتقاد العام: بأن المسيح من حين اتحد فيه

اللاهوت، والناسوت، لم يبق فيه إلا إرادة واحدة وتأثير واحد.

واستحسن ذلك «كورش» بطريارك الاسكندرية والبابا «هاتريوس» الأول ولكن بقى مصرا على الخلاف «سوفرينوس» بطريارك «أورشليم» وبعض الأساقفة الآخرين وفي طليعتهم أسقف عمان وكذلك أتباع الكنيسة الأرثوذكسية الملكانية، فأمر الملك «بوسيتانوس» بعقد مجمع لذلك سنة (٥٥٢) فكانت نتيجته انفصال الأرمن واليعاقبة عن الكنيسة. ثم استؤنف هذا المجمع بأمر الملك قسطنطين «يوغناتوس» سنة (٦٨٠) فقرر وجود مشيئتين في المسيح، ومن نتائج هذا القرار تجريم ستة بطاركة كانوا يؤيدون رأي اليعاقبة، وكذلك تجريم البابا «هاتيريوس» مع أنه كان ميتا من قبل.

المانوية المسيحية:

مذهب ماني الحكيم الذي ظهر في القرن الرابع للميلاد في زمن «نيسابور» سلك فيه مسلك الوفاق والتوحيد بين عقائد الدينين، المجوسية والمسيحية.

وقد زعم ماني أن «البارقليت» المبشر بظهوره في الإنجيل الذي سينزل من السماء لتكميل الدين وإصلاح العالم هو عينه، وقال عن نفسه إنه نزل من السماء كما بشر به المسيح ونسب إلى المسيح الأفعال والخواص التي يسندها الفرس إلى «ميترا» أحد قدماء آلهتهم.

وقد فسر الأناجيل بما ينطبق على عقائد الصابئيين، في الأصلين الأوليين، وهما المادة الشفافة اللطيفة والمادة المظلمة الكثيفة، فالأولى قال عنها هي النور المستولي عليه إله الخير، وقال عن الثانية هي التي استولى عليها إله الشر. ثم قال:

إن كلا من هذين الإلهين أثر تأثرا من جنسه. ونشر ذلك في الدنيا، فالأجسام البشرية ناشئة عن الأصل الرديء، والأرواح ناشئة عن أصل الخير لذلك كان بينهما الخلاف والعناد إلى مالا نهاية له. وإن من الحكمة

وجوب قمع الإنسان عن الشهوات، وإنقاذ الروح من سجن الهيكل الجسماني.

وقد حذف من دينه كتب العهد العتيق جملة واحدة، وألف في المجوسية والنصرانية كتاباً سماه «أرتينك» أي الإنجيل وهو مطابق لما ورد فيهما من العقائد والآداب.

وقسم ماني أتباع ديانته إلى مرتبتين: مؤمنين كاملين، ومؤمنين مستمعين، وجعل رئيس ديانته نائبا عن المسيح، وجعل من تحته اثنى عشر رئيسا بعدد الرسل، ومن تحتهم اثنين وسبعين أسقفا. عدد تلامذة المسيح الاثنين والسبعين، وخص تعيين القساوسة والشمامسة بفرقة المؤمنين الكاملين.

كما وضع ماني في كتابه شرائع اجتماعية عملية منها:

فرض العشر في الأموال، وتحريم القتل، والكذب، والسرقة، والزنا، والبخل، والسحر، وعبادة الأوثان، وأن يأتي الإنسان مع ذوات الأرواح ما يكره أن يفعل به، ورتب للتربية الروحية أربع صلوات في اليوم والليلة وأدعية خاصة يتوجه بها الداعون إلى الله.

وجعل الاعتقاد بصحة النبوات كافة أساسا للإيمان، ونظراً لما اشتمل عليه هذا الدين من السهولة، والمرونة، وعدم التعصب، فقد دان به خلق كثير من العرب في العراق.

كيف تطورت المسيحية المعاصرة

عندما تعرضت أركان العقيدة المسيحية للاجتهاد والإضافات بسبب مؤامرات أعدائها، وانقطاع سندها بين المؤمنين بها، حدث انشقاق مذهبي حاد بين أتباع النصرانية، منذ مجمع «نيقية» حول أهم معتقد في النصرانية وهو يدور حول القول بطبيعة المسيح، أهي: بشرية محضة أم: إلهية بشرية، واللافت للنظر، أن الرأي الثاني القائل بأن طبيعة المسيح إلهية بشرية لم يجد له أتباعا وأنصارا على نطاق واسع إلا بعد مجمع «نيقية»، خاصة منذ هزيمة الموقف القوي الذي كان يمثله «أريوس» في الاسكندرية ومنذ ذلك التاريخ، والمسيحية قد خضعت للاجتهادات التحريفية التي أدت بها إلى ما هي عليه اليوم.

يؤكد ذلك وبوضوح المفكر الغربي «دي لاسي أوليري» الذي يقول عن هذه المقدمات التي وثبت بها الوثنية على توجهات الاستقامة العقدية[1].

ويظهر هذا الأمر أوضح ما يظهر في الجدل الآريوسي Arian: إذ إن الطرفين كانا قد اتفقا على أن المسيح هو ابن الله، وأن العلاقة بين الأب والابن ليست بالطبع كتلك الأبوة الإنسانية، بل الأخرى بطريق الفيض. كما اتفق الطرفان على أن المسيح هو الله، إذ إن للفيض نفس طبيعة الأصل الذي صدر عنه، وكذلك اتفق الطرفان على أن الابن صدر عن الآب منذ

(١) دي لاسي أوليري (الفكر العربي ومركزه في التاريخ) ترجمة اسماعيل البيطار، دار الكتاب، لبنان.

الأزل وقبل خلق العالم، وكان الابن أو الكلمة هو الوسيط في الخلق.

إلا أن البعض ـ وهؤلاء، كما يبدو، كانوا مرتبطين بصورة رئيسة بمدرسة أنطاكية ـ قالوا إن صدور الابن عن الأب قد تم قبل الزمان بأحقاب بعيدة جداً في الأزل، إلا أن الابن لم يكن قد نتج في تلك الحقبة، ذلك أن الآب ـ كما يقولون ـ يجب أن يسبق الابن كما يسبق السبب المسبب، وهكذا فإن الابن، نتيجة لذلك، أقل أزلية من الآب إلا أن الإسكندريين هبوا لتصحيح خطئهم في الحال، ولنبدأ أولاً فنقول إنه ليس هناك درجات في الأزلية، ولكن أفدح خطأ أدت إليه هذه الفكرة هو أنها جعلت الله عرضة للتغير، وإذا كان هذا الإله أبا الآن، فيجب أن يكون كذلك منذ الأزل، فعلينا إذن أن نفهم أن الابن بوصفه الكلمة Logosz يصدر دائماً ومنذ الأزل عن الأب الذي هو منبعه. إن حسنات هذا الجدل لا تهمنا في وقتنا الحاضر، فنحن نلاحظ ببساطة حقيقة سيطرة الفلسفة اليونانية السائدة على لاهوت الكنيسة: فكان حتماً على ذلك اللاهوت أن يعبر عنه بتعابير مشتركة في الفلسفة، وكانت نتيجة هذا الجدل الأريوسي اعتبار الكنيسة الشرقية بأن الفلسفة الإسكندرية هي أساس الأرثوذكسية، وقد تبعها في هذا الاعتبار القسم الأكبر من الكنيسة الغربية، بالرغم من أن القوط الغربيين مرتبطون بوجهات النظر الآريوسية التي تعلموها من أساتذتهم الأوائل.

ولقد استبعدت العقيدة الآريوسية تماماً من الكنيسة الرسمية في القرن الخامس. أما الفلسفة الاسكندرية التي كانت السبب الرئيسي للوصول إلى هذه النتيجة فقد ظلت سائدة، بالرغم من وجود دلائل تشير إلى أنه كان ينظر إليها بالارتياب في «عض الأنحاء. ومن بين تلك المجادلات التي أخذت مجراها في العصر الذي تلا مجمع نيقيا كان أبرزها تلك التي تبحث بشخص المسيح المتجسد، وهي في معظمها مسائل تخص علم النفس، وكان من المسلم به عموماً أن لكل إنسان نفساً حيوانية يشاطر بها

المخلوقات ذوات الحس، وبالإضافة إلى هذا يتمتع الإنسان بالروح أو النفس الناطقة، وهي التي جعلها الأفلاطونيون المحدثون أو الاسكندر الأفروديسي فيضاً من الروح الخالقة - التي هي الكلمة أو «العقل الفعال» وقد دعم اللاهوتيون المسيحيون هذا المعتقد بآية من سفر التكوين تقول إن الله نفخ في الإنسان نفس الحياة فأصبح بالتالي روحاً حية، ولقد كان القديس بولس قد ميز قبل ذلك بين النفس الحيوانية والنفس الخالدة وفقاً لعلم النفس الذي كان مزدهراً في أيامه. إلا أن اللاهوت المسيحي افترض أن الكلمة الخالدة - وهي الروح الخالقة التي فاضت منها الروح أو النفس الناطقة - كانت موجودة في المسيح أيضاً. فأية علاقة يمكن أن تكون إذن بين الكلمة وفيضها عندما تجتمعان في شخص واحد؟ إذا كانت الفلسفة الإسكندرية والدين المسيحي كلاهما على حق، فالمسألة يمكن حلها بطريقة عقلية، فإذا كان الجواب الوحيد ظاهر البطلان فإما علم النفس أو المسيحية على خطأ، وتبعاً لذلك، كما هو المعهود، ظهرت الدعوى بأن علوم ذلك العصر يقينية، وأن على الدين أن يخضع لاختبار العلم، ولقد اقترح اقتراحان لحل هذه المشكلة، أولهما: وقد لاقى التأييد بنوع خاص في الاسكندرية - هو أن العلاقة بين الكلمة والنفس الناطقة أو الروح هي علاقة أصل وما فاض عنه، التحما معاً بالضرورة بحضورهما في نفس الجسد في آن واحد. أما أهمية هذا فهي أن الكلمة كانت مساعداً بالطبع في الخلق، ولم يعد الإله الحقيقي خالقاً بنفسه كما كان، بل يتوسط الكلمة. في حين أن النفس الحيوانية المبددة أثناء الخلق كانت مشتقة في النهاية من الكلمة التي خرجت منها الروح بصورة مباشرة، وهذه كلها تمثل النظرية الفلسفية التي أتى بها الاسكندر الأفروديسي والأفلاطونيون المحدثون، والتي سلم بها بعد ذلك على مضض، أما الحل الآخر، والذي وجد المنافحين عنه بصورة رئيسة في أنطاكية، فقد أكد كمال ناسوت المسيح إلى الدرجة التي يصبح عندها الجسد والنفس الحيوانية والنفس الناطقة تامة بالضرورة في الناسوت. فالكلمة عندهم حلت في الإطار

الإنساني دون طرح النفس الناطقة التي هي إحدى مميزات الجسد، وهكذا لم يكن الامتزاج بالإمكان، لأن هذا يتضمن عودة النفس الناطقة إلى مصدرها، وبالتالي إسقاطها من ناسوت المسيح، وهذا الحل ـ كما يبدو ـ يسلم بعلم النفس ذاته الذي يسلم به الحل الأول، وأيا ما كانت وجهة النظر السائدة، فإن الكنيسة بتحديدها هذا لعقيدتها قد انغمست كلياً في الدراسات النفسية الشائعة آنئذٍ.

إن كلا الحلين يظهر لنا نتائج منطقية تماماً من مقدمات مسلم بها وكل ما كانت تحتاجه هذه هو دفاع المدافعين لتجاوز الحالة المخالفة لتعاليم الفلسفة، وكان أول تحرك مزيف من أنطاكية إذ إنهم في تأكيدهم الشديد على كمال ناسوت المسيح ادعوا أن الجسد والنفس الحيوانية والنفس الناطقة متصلة ببعضها بالضرورة في الإطار الإنساني، كانوا يعبرون عن هذا الرأي على هذه الصورة كي يقال إن مريم العذراء هي أم المسيح الإنساني أي جسده ونفسه الحيوانية ونفسه الناطقة فقط، وهذا يتضمن ـ أو يبدو أنه يتضمن ـ القول بأن المسيح كان إنسانا فقط عند ولادته، ثم أصبح إلها بعد ذلك بدخول الكلمة في جسده الإنساني، وهذه النتيجة يمكن أن تكون غير مقصودة من أولئك الذين عبروا عن وجهة النظر هذه، وإنما جاءت نتيجة ضغط الخصوم، كانت تعاليم دودورس Diodorus وتيودور المفسوسطي Theidore of Mopseustia اللذين كانا على اتصال بمدرسة أنطاكية التي دافع عن تعاليمها المتطرفة نسطور Nestorius أحد أحبار أنطاكية الذي أصبح مطراناً للقسطنطينية عام ٤٢٨م. ولقد أدت المجادلات المتلاحقة إلى عقد مؤتمر عام في إفسوس Ephesus عام ٤٣١. حيث نجح الإسكندريون في الحكم على نسطور وأتباعه بالإلحاد.

وبعد مرور عامين، وبدافع من ثقتهم المطلقة في أن مناوئيهم غير منطقيين بالمرة في افتراضهم أن النفس الناطقة والكلمة لم تمزجا أو تتحدا معاً، نبذ النساطرة الكنيسة الرسمية ونظموا أنفسهم في كنيسة لم تتسع

لهراطقة إفسوس، أما الكنيسة الرسمية فقد كانت السلطة الزمنية من ورائها تدعهما بكل قوتها، فامتدت يد الاضطهاد ثقيلة على النساطرة، ولقد أدى الاضطهاد عمله بنجاح في أنطاكية والأجزاء الناطقة بالإغريقية في سوريا، فتقلص النساطرة حتى اضطروا إلى الهرب، ولم يجد النساطرة لهم في مصر موطئ قدم ووافق الغربيون أخيراً، بالاتفاق مع الكنيسة الرسمية على أن يطلق العقال للتعاليم النسطورية بين النصارى السريان، وبالطبع لم تجد هذه التعاليم آذاناً صاغية إلا بين هؤلاء.

وكانت مدرسة نصيبين قد أغلقت، أو بالأحرى نقلت إلى الرها، قبل أن يحدث هذا الأمر، وفي عام ٣٦٣م سلمت مدينة نصيبين للفرس تنفيذا لشرط من شروط السلام الذي أنهى الحرب المشؤومة التي بدأها جوليان، فنزح أعضاء المدرسة إلى المنطقة المسيحية، ثم اجتمعوا أخيراً في الرها حيث افتتحوا مدرسة عام ٣٧٣م. وهكذا أصبح محور الكنيسة الناطقة بالسريانية - وهو مدرسة الرها - في منطقة سريانية، ولكن ضمن الإمبراطورية البيزنطية، وعندما حدث الانشقاق النسطوري لمت مدرسة الرها شعث أولئك الذين لم يقبلوا قرارات إفسوس إلا أن الأمبراطور زينو أغلقها عام ٤٣٩م بسبب طابعها النسطوري القوي، فقاد برصوما - أحد تلاميذ إباس Ibas (المتوفى عام ٤٥٧م) والذي كان أحد الكبار الأستاذة البارزين في الرها - أعضاء المدرسة المطرودين، واجتازوا الحدود الفارسية، واستطاع برصوما أن يقنع الملك الفارسي فيروز بأن الكنيسة الأرثوذكسية، أو بكلمة أخرى الرسمية موالية لليونان، وأن النساطرة بعيدون عن الأمبراطورية البيزنطية بسبب المعاملة القاسية التي تلقوها منها فاستقبلوا استقبالاً حاراً نتيجة لهذا التفهم، وبقوا موالين للدولة الفارسية أثناء الحروب التي تلت مع الأمبراطورية البيزنطية. ولقد أعاد النساطرة فتح المدرسة في نصيبين، فأصبحت هذه بؤرة النشاط النسطوري الذي جاء بوجه شرقي للمسيحية، وانتشرت البعثات النسطورية بالتدريج في أوسط آسيا والجزيرة العربية، حتى إن الشعوب التي كانت تعيش خارج

الأمبراطورية الإغريقية عرفت المسيحية لأول مرة في صورتها النسطورية، يقول أوليري ومن الممكن على ما يبدو أن يكون محمدﷺ قد اتصل بالمعلمين النساطرة: (Hirshfield New Researches. P.23)، وفي ضوء زعمه يقول: ومن المؤكد أنه كان للرهبان والبعثات التبشيرية النسطورية كبير اتصال مع المسلمين الأوائل، ولم يقلق هؤلاء النساطرة لتعاليم المسيحية فقط، وإنما علقوا أعظم الأهمية على تفسيرهم لشخص المسيح بصورة جد طبيعية، ولم يكن بالإمكان توضيح هذا إلا بالاعتماد على نظريات مستمدة من الفلسفة الإغريقية، وهكذا أصبحت كل بعثة نسطورية داعية لتلك الفلسفة. كما ترجم النساطرة إلى السريانية كتب اللاهوتيين العظام، كتبوا دور المفسرين الذين فسروا وجهات نظرهم، كما ترجموا كتب فلاسفة الإغريق كأرسطو وشراحه، لأن بعض معارف هؤلاء كانت ضرورية لفهم اللاهوت، وتظهر في أكثر ترجماتهم رغبة حقيقية لشرح تعاليمهم، كما يظهر فيها أيضاً الحنق الشديد على الإمبراطورية وكنيستها الرسمية، ولما كانت تلك الكنيسة تستعمل اللغة الإغريقية في خدمة القداس وفي تعاليمها، احتفلوا هم بتقديم القرابين بالسريانية. كما كرسوا أنفسهم لترويج لاهوت وفلسفة محليين مميزين بواسطة المواد المترجمة والشروح السريانية، ولقد أصبحت هذه الترجمات هي الواسطة التي نقلت عن طريقها آثار أرسطو والشراح الأفلاطونيين المحدثين إلى آسيا خارج حدود الأمبراطورية، ولسوف نرى فيما بعد كيف أن جماعة من التراجمة النساطرة قد حملت الفلسفة الهللينية إلى العالم العربي لأول مرة عن طريق ترجماتها إلى العربية من السريراينة، إلا أن جانب الضعف كان انقطاع الكنيسة النسطورية عن الحياة الهللينية العريضة، حتى أصبحت إقليمية بوضوح، ولقد دارت فلسفتها حول ذلك الإنشقاق البارز، كما عملت على نشر هذه الفلسفة في بلدان جديدة، وجاءت بنظام تعليمي متسع زينت مادته، إلا أنها لم تحقق أي تقدم فيه، وإذا اعتبرنا المقياس الرئيسي للكفاية التعليمية هو إنتاجها على صعيد الأبحاث وليس فقط نشرها المادة التي كانت قد حصلتها، نرى

أن النسطورية لم تحرز نجاحاً علمياً، ويبدو أن هذا هو الاختبار النهائي، إذ إن المعرفة في تطور مستمر، وهكذا فإن أقل مساهمة نحو تقدم جديد يجب أن يكون ذا قيمة حقيقية تفوق أفضل تعليم للنتائج التي تم الوصول إليها، ومع هذا فإنه يصعب علينا المبالغة في تقدير قيمة النسطورية بسبب إيجادها صورة مشرقية للثقافة الهللينية فيما قبل الإسلام. إن أهميتها الرئيسية تكمن في كونها جاءت تمهيداً للإسلام الذي جعل العربية وسيلة عالمية لتبادل الفكر، وهكذا فقد مكنت للسريانية إذ جعلتها تستعمل في حقل أوسع أو أكثر فائدة.

وبالرغم من إدانة نسطور، فقد ظلت الكنيسة تعاني مشكلة وهي الاعتراض الحقيقي القائل: إذا كانت الكلمة والنفس الناطقة مزجتا في ناسوت المسيح بحيث إن النفس الناطقة فقدت ذاتها في مصدرها، فإن الكلمة تكون قد حلت في جسم حيواني وإن ناسوت المسيح الكامل يكون بذلك قد ضاع. إن الرأي النسطوري القائل بالاتصال المؤقت قد أدين آنذاك على أنه إلحاد، ولكن هل كان هذا الرأي ضرورياً للوصول إلى الطرف الآخر من «الامتزاج» الذي كان النتيجة المنطقية للتعاليم الإسكندرية؟ لقد أرادت الكنيسة أن تكون على حق من الجهة الفلسفية وأن تتجنب في الوقت ذاته النتائج التي يمكن أن تستخلص من أي من الرأيين في صورته المتطرفة، ولقد كان الضغط الشديد الذي كانت تمارسه الفلسفة يخيف الكنيسة أكثر ما يخيف في الحقيقة، وكان لديها ـ أي كنيسة ـ شعور داخلي بأن الإيمان لا يجاري العلم، أو على الأقل لا يجاري علوم تلك الأيام، وكان أعداء الكنيسة الحقيقيون هم أولئك المتحمسون الذين كانوا يعتقدون أن كلاً من العقيدة والفلسفة على صواب، وحتى انتهى بها الأمر إلى نتائج متطرفة، وهكذا تحقق فجأة التحذير الذي تنبأ به النساطرة: فقد فوض التعليم القائل «بالامتزاج» بين الكلمة والنفس الناطقة في المسيح ناسوت المسيح تماماً، وتلت هذا مجادلة أخرى، ولكن شأنها كان كشأن سابقتها، إذ إن أيا من الجانبين لم يبذر الشك في علم النفس أو الميتافيزيقيا

المأخوذين من فلسفة أرسطو والأفلاطونية المحدثة، بل اعتبرا شيئا مؤكدا، وإنما كانت المشكلة تنحصر في جعل العقيدة المسيحية متفقة معهما، وكان الذين يعارضون النتائج الإسكندرية يتمسكون بنظرية «الاتحاد» بين الكلمة والنفس الناطقة في المسيح. بحيث إن الناسوت الكامل ظل منزهاً مثلما ظل لاهوته منزهاً أيضاً، وكان الإتحاد من القوة بحيث لا تنفصل عراه، وهكذا كان بمأمن من النظرية النسطورية، إلا أن هذا كان يسلم في الحقيقة بالأقوال الفلسفية ويمنع في الوقت نفسه الوصول إلى استنتاجاتها الممكنة، وهذا ما يوصف بالعقيدة «الأورثوذكسية»، وهي على حق في هذا المعنى الذي تعبر عنه، على الرغم من أن هذه العقيدة التي تمثل الكنيسة قد عبر عنها أناس لم ينالوا أي نصيب من الفلسفة، ولذلك كانت تستبعد النتائج التي يمكن أن تتوصل إليها بمجرد استعمال العبارات الفلسفية، وهذه نتيجة طبيعية للعقيدة عندما يعبر عنها أولئك الذين يجهلون الفلسفة، في الحين الذي كان يتوجب فيه التعبير عنها بتعابير منطقية وعلمية، ولذلك فإن الغرض الحق والوحيد للعقيدة الأرثوذكسية كان لابد أن يكون حلاً وسطاً.

ولقد نتج عن هذه المجادلة الثانية في مجمع خلقيدونية Chalcedon عام ٤٤٨م طرد المدافعين عن نظرية «الامتزاج» من الكنيسة الرسمية، وهكذا تألفت فرقة ثالثة، وكان كل من الفرق الثلاث يدعى أنه يمثل المعتقد الحق. ولقد اتبعت الكنيسة المصرية برمتها دعاة الامتزاج Fusionists أو القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة Monpphysites أو اليعاقبة كما دعوا فيما بعد نسبة ليعقوب السروجي Jacob of Serugh الذي كان الأداة الرئيسية في تنظيمهم ككنيسة، وكان لهؤلاء أتباع أقوياء في سوريا، ولقد لاقوا نفس المصير الذي لقيه النساطرة من قبل، إذ اضطهدهم الامبراطور والكنيسة الرسمية، إلا إنهم خالفوا النساطرة من حيث أنهم لم يهاجروا خارج الامبراطورية البيزنطية، وإنما بقوا يشكلون قوة مهمة داخل حدودها، بالرغم من فتور ودهم نحوها، ثم امتدوا فيما بعد إلى بلدان أخرى، واتجهوا ـ كالنساطرة ـ إلى طرح لغة مضطهديهم جانبا وإلى

استعمال القبطية والسريانية الدارجتين، ولهذا فإن المدعين بأن العصر الذهبي للأدب والفلسفة السريانيين يبدأ مع الإنشقاق المونوفسي (اليعقوبي) هم على حق. وهناك تحديد غريب للفصل بين اليعاقبة في الغرب والنساطرة في الشرق، إذ انهما استعملا لهجتين مختلفتين ربما بسبب توزيعهم الجغرافي، كما استعملا حروفا مختلفة في كتاباتهم نتيجة لغرض متعمد من ناحية، ومن ناحية أخرى نتيجة لاستعمال وسائل مختلفة في الكتابة إلى حد ما.

غفران الذنوب في المسيحية

عقيدة غفران الذنوب من البدع التي استحدثت في النصرانية، وقد مارست الكنيسة بسبب اعتقاد النصارى بها ألواناً وأنواعاً من الجباية والقهر والتسلط على الناس على نحو لا يتصوره عاقل، وصورة غفران الذنوب التي خدعوا بها الجنود الذين جندوا للحروب الصليبية دفعت الألوف إلى التطوع عن حماس ديني بالغ، وكان من مردودها مثلا أنه إذا أراد البابا مثلا أن يبني كنيسة أو يجمع مالاً لشيء ما، طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب وبالصك فراغ يكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه، والعجيب هو الاعتقاد النصراني بأن هذا الصك يغفر لمشتريه ما تقدم من الذنوب وما تأخر، فهو بعبارة أخرى إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمنت الجنة لهذا المحظوظ، وفيما يلي نص لصك غفران:

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يا...... (يكتب اسم الذي سيغفر له) ويحلك باستحقاق الأمة الكلية القدسية، وأنا بالسلطان الرسولي المعطي لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنيسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار الذنوب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي تلتزم بمكابدتها في المطهر وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار

الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب للعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الروح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والابن وروح القدس».

ذلك هو الوضع الذي آلت له حينذاك مسألة غفران الذنوب، لقد كان جمع المال في أول الأمر وسيلة للإعفاء من الاشتراك في الحروب الصليبية ثم أصبحت الحروب الصليبية ثمنا لغفران الذنوب، ثم أصبح وسيلة لغفران ما مضى منها وما هو آت. دون حاجة إلى توبة أو رد ظلامة.

ولم تقف قضية غفران الذنوب عند هذه الصكوك، بل سرعان ما دخلها عنصر جديد فاضح. ذلك ما يسمى «الاعتراف» فكان على المذنب أن يعترف بذنبه في خلوة مع قسيسه، ليستطيع هذا القسيس أن يغفر له ذنبه، وفي خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشعر لها الوجدان، وقد نشرت المجلة المسيحية «رسالة الحياة» صوراً من ذلك يندى لها الجبين، وذكرت أحداثا محددة اعتدى فيها رجال دين أو حاولوا العدوان على المعترفات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأرثوذكس ابتدأوا ينتقدون صكوك الغفران بقسوة، ويبرزون ما في قضية التطهر من انحراف.

المصلحون والكنيسة:

بدأ المصلحون يرتفع صوتهم في القرن الخامس عشر، ومن أشهر من قادوا الإصلاح في هذا القرن جيروم وهوس، ولكن سلطان الكنيسة كان أقوى منهما، فأعدما حرقا بالنار، بيد أن مصلحي هذا القرن على كل حال مهدوا الطريق لمن جاء بعدهم، وحفل القرن الساس عشر بمجموعة من المصلحين المشاهير، وبخاصة في إنجلترا التي كانت ترى سلطان الكنيسة تدخلا في شئونها، وفي ألمانيا التي عانى بعض ملوكها قسوة البابوات

حينما أصدروا ضدهم قرارات حرمان. ومن هنا يسر هؤلاء الملوك لرعاياهم القيام بحركات مناوئة للكنيسة، وظهر في انجلترا توماس مور (١٤٧٨ ـ ١٥٣٥) ودعا إلى إصلاح الكنيسة بطريق سلمي، ثم ظهر بعد ذلك في نفس القرن أشهر المصلحين وهو مارتن لوثر، وكان ظهوره في ألمانيا موطن العقل والتفكير الغربيان وكان لوثر عالما باللاهوت ولذلك نجد أنه تجمع له مالم يتجمع لسواه، فحركته نابعة من قلبه وليست بتوجيه ملك أو إيعاز أمير وهو رجل ألماني مستقل العقل حر التفكير، ثم هو من رجال اللاهوت، فهو عليم بخبايا الكنيسة، دارس لعلومها.

وكان لوثر ـ بالإضافة إلى دراسته اللاهوت ـ شديد الورع يحصي على نفسه سيئاتها ويبالغ في تقديرها، وتضطرب نفسه خوفا منها، وتعبد في روما رجاء أن يزيده قربه من الأماكن المقدسة صلاحا ويبعده عن السيئات، ولكنه هناك وجد ما أزعجه، فإن هذه الذنوب التي أثقلته يزعم الكاهن أنه يستطيع أن يعفيه منها بصك يشتريه، يالله كيف هذا؟ كيف ينجو القاتل من العذاب بصك يشتريه؟ وكيف تمحى سيئات السارق وقاطع الطريق وآكل حقوق الناس إذا أراد الكاهن ذلك دون نظر إلى المعتدي عليهم ودون نظر إلى الله خالق الكون، ورأى لوثر كذلك في روما ما قلل مكانة رجال الدين عنده، وعاد إلى ألمانيا فلاحقته صكوك الغفران إذ كان البابا «ليو» يريد أن يعيد بناء كنيسة بطرس واحتاج للمال، فقرر أن يحصل عليه من بيع هذه الصكوك، فأرسل أحد حامليها فيمن أرسل إلى ألمانيا، فثار لوثر لذلك وكتب احتجاجا علقه على باب الكنيسة. فطلبته الكنيسة لمحاكمته أمام محاكم التفتيش فلم يذعن فأصدرت قراراً بحرمانه، وتبعا لذلك أصدر الإمبراطور قرارا بحرمانه من الحقوق القانونية والمدنية ومعنى ذلك أنه أصبح مباح الدم فقد كل ما يملك، ولكن أحد الأمراء حماه، وصادفت دعوة لوثر في القرن السادس عشر نجاحا، واعتنقها كثير من المصلحين الذين ساروا في طريق لوثر فأنكروا حق الغفران، والاستحالة، ووقف فهم الكتاب المقدس على الكنيسة، وما شابه ذلك.

لكن نتائج الجهود التي بذلت والدماء التي أهدرت في سبيل الاصلاح الكنسي كانت ضعيفة أو بقيت الكنيسة في واد ودعوة الإصلاح في واد آخر، وعجزت الكنيسة عن القضاء على هذه الحركات، ولكن هذه الحركات أيضاً عجزت عن تحويل تفكير الكنيسة، وكانت نتيجة ذلك أن أنشأت الحركة الجديدة كنائس لأتباعها، سميت الكنائس البروتستانتية كمذهب جديد من مذاهب المسيحية وقد ارتكزت الكنيسة البروتستانتية إلى جملة مبادئ من أهمها:

١ ـ جعل الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية، ورد كل الأحكام التي لم ترد فيه كتلك التي تستند إلى رأي البابوات أو إلى العلم الخاص الذي قيل إنهم يتوارثونه الواحد عن الآخر.

٢ ـ من حق كل مسيحي قادر أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره.

٣ ـ ليس لكنائس البروتستانتية رياسة عامة، فلكل كنيسة رياستها، وعمل الرياسة هو الإرشاد وتوجيه من لا يستطيع أن يستقل وحده بفهم الكتاب المقدس.

٤ ـ ليس للكنيسة حق غفران السيئات.

٥ ـ ترجمة الكتاب المقدس للغات المختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف لغاتهم وحتى تكون صلاتهم ودعاؤهم بلغة يعرفونها.

٦ ـ لا علاقة بالعشاء الرباني بجسم المسيح ودمه وليس هو إلا للذكرى.

٧ ـ عدم الاعتراف بضرورة الرهبنة وإباحة الزواج لرجال الدين.

٨ ـ عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس وعدم السجود لها فتلك هي الوثنية.

لكن سؤالا يطرح نفسه:
هل نجحت حركة الإصلاح هذه أو فشلت؟

يرى كثير من الباحثين أن الحركة نجحت، وأن من دلائل نجاحها بقاءها وكثرة أتباعها وانتشارها في عدة أقطار.

وقد قامت حركة إصلاحية من قبل كحركة أريوس ونسطور وغيرهما ولكنها فشلت واندثرت، ولم يبق لها إلا ظلال قليلة إن كانت لها ظلال في ثنايا التاريخ أو تفكير الأذكياء الموهوبين الشجعان.

أما حركة لوثر فقد ساعدها الزمن الذي كان قد تطور، والحرية التي كانت قد بدأت تنتعش، ثم ساعد بعد ذلك على انتشارها إنها صادفت اكتشاف امريكا فدخلت إلى هذه البلاد مع أتباعها من الإنجليز وغيرهم، وهناك قوى عودها واستقرت، فاتخذت لها في الدنيا الجديدة كما اتخذت في الدنيا القديمة مراكز قوية.

ولكن إذا ذهبنا نتعمق في فهم هذه الحركة الإصلاحية نجد أنها فشلت من ناحيتين:

أولاً: لم تستطع تقويم الكنائس التي كانت قائمة، ولم تفلح في التغلب على البابا وأفكاره وأتباعه، فقنعت بإنشاء كنائس لها تظهر فيها المبادئ الإصلاحية التي اعتنقتها، وتركت آلاف الكنائس الأخرى تسير على النحو الذي كانت تسير عليه من قبل.

ثانياً: كانت الحركة إصلاحا للكنيسة لا اصلاحا للمسيحية، والفرق بين الموضوعين كبير ومعنى هذا أن ما أثار لوثر ومعاصروه هو أفعال الكنيسة في ذلك العهد أما البحث في الأشياء الهامة التي دخلت على المسيحية الحقة فلم يكن موضوع اللوثرية منهجا إليها لبيان ما طرأ على جوهر عقيدة المسيح من تزييف وتضليل.

المؤثرات الوثنية في العقيدة النصرانية:

تشكل العقيدة الدينية النصرانية على ضوء ما ورد في الأناجيل منعطفا كبيرا في مسار وتطوير العقائد ذات الصبغة الوثنية التي سبقت دعوة المسيح عيسى بن مريمﷺ ذلك أن الدعوة التي قام بها المسيح في إعداد جيل من المؤمنين الموحدين الذين عرفوا الله وآمنوا به حقا وصدقا من خلال دعوة المسيح ومنهجه السماوي، ما لبثت أن تعرضت لانقضاض من أعدائها وتحريف من أبنائها بحيث أضيف إليها من التراث المصري القديم ومن التراث البوذي والزرادشتي والكنفوشيوسي ما أفقدها جوهر التوحيد الذي دعا إليه المسيح، والذي لا تزال بعض معالمه متناثرة في متاهات وسراديب أسفار العهد الجديد، والتي اضطرت بعض المدارس الدينية المسيحية أن تجعل لها مدخلا للتعريف بها، وأداة التعامل بين اضطراب رواياتها وانقطاع سندها وإذا ما نظرنا إلى بعض أهم العقائد الدينية المهيمنة على قضايا الاعتقاد في النصرانية، فإن عقيدة «التثليث» كما يقول الاستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوي في كتابه (النصرانية والإسلام) من أوضح وأول النماذج على ذلك.

يتضح ذلك من الاطلاع على تاريخ (موسيهيم) أن التثليث لم يكن معروفا عند المسيحين حتى أواخر القرن الثاني الميلادي. وكان الأب أثيناغورس هو أول من نطق بكلمة ثالوث، لأن راعي عادات الرومان أصحاب السلطان على الإمبراطورية الرومانية وقتئذ حيث كانوا معتنقين لديانتهم الوثنية التي تقول بالتثليث، إذ إن معتنقي المسيحية ما قدروا أن يتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأفهامهم وما هو مغروس في قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة لديهم والتي كانت وليدة الاحتكاك بالوثنية الرومانية.

فكان مثلا عند المصريين القدماء في مدينة طيبة ثلاثة آلهة: آمون

وموت وخنسو. وكان في مدينة أبيدوس ثلاثة آلهة: إيزيس ـ وأوسيريس ـ وجوريس، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الإله «رع» مظهر الشمس فإنه سُمي في الصباح هرماخميس وعند الظهر «را»، وعند الغروب أتوم أو تمو، ومن مصر غزت عقيدة الثالوث حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت صورة إيزيس الأم وهي تحمل الإله الابن هي الصورة السائدة في أنحاء العالم الروماني بأثر من الثقافة المصرية القديمة في ثوبها الوثني قبل أن تعرف هدى الإسلام.

هذا الثالوث المصري لم يكن قاصراً على حوض البحر الأبيض المتوسط بل شارك المصريين فيه البوذيون والبراهمة. كما اعتبره الأشوريون والبابليون والميترايزميون حتى إنه ما كانت آلهة المكان الواحد ثالوثاً مثلثاً أو عدة حاصلة من ضرب الثالوث الواحد في نفسه أي تسعة أو عدة تسعات. ومن نافلة القول أن نذكر هنا مرة ثانية بأنه قد تم وضع قانون الإيماني المسيحي، أو الإيمان الثالوثي في مجمع نيقية سنة **٣٢٥** ميلادية بمعرفة القساوسة المجتمعين هناك، فهم الذين صاغوه وهم الذين قدموه عقيدة للشعوب المسيحية مفروضاً عليهم بسلطان قيصر الرومان قسطنطين. ومن المعروف أن عقيدة التثليث تقوم على تصور عاطفي يتصور إمكان الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم أو ثلاثه شخوص (كما يقول بذلك اللاتين) الآب والابن والروح القدس. وهذه الثلاثة أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة. واحدة في ثلاث وثلاث في واحدة، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها، وعلى ضوء ما تقول هذه العقيدة والتي كانت كعقيدة تثليث منتشرة بين معظم الشعوب التي سبقت دعوة التوحيد في المسيحية التي جاء بها رسول الله عيسى بن مريم: فالآب لاهوت وهو الخالق.

والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادي.

والروح القدس لاهوت محض وهو المظهر المنبثق من الآب. والناظر

إلى هذه الثلاثة يجدها منفصلة، ولكنهم يقولون إنهم إله واحد، يقولون إنهم ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة. وهذا أمر لا يستقيم مع العقل والمنطق السليم، ولذلك فإن المعنيين بقضية الثالوث يقولون إن هذه العقيدة فوق العقل، مع أن الثابت بالأناجيل المتداولة أن المسيح عليه السلام كان شديد الرغبة في العبادة أو الصلاة لله، بعبادات تدل على عقيدة التوحيد التي جاء بها ولو كان إلهاً لاستحال ذلك؛ لأن الإله لا يعبد نفسه.

بعد ذهاب السيد المسيح لقى المسيحيون الأول صنوفاً من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود والرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون، حتى لقد التهمت كثيراً من كتبهم ومراجعهم وقضت على أتباع المسيحية أو كادت، ففقدت المسيحية طابعها البسيط السهل وامتلأت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في المسيحية أو النصرانية وقتئذ، كالمصريين واليونانيين والرومانيين، خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل الذين سبقوه، ورآه آخرون إلهاً، ورآه فريق ثالث أنه ابن الله، وله صفة القدم، فهو أكبر من رسول له صلة خاصة بالله، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم، وكل واحدة تدعي أنها هي المسيحية الحقة، واختلفوا في ذلك اختلافاً شديدا اضطر معه الامبراطور قسطنطين، الذي قيل إنه اعتزم الدخول في النصرانية، إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية.

وتصادف في نفس الزمن أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الإسكندرية وعلى رأسها البطريرك بطرس وبين القسيس آريوس المصري، إذ كان هذا الأخير داعية قوي الحجة جريئاً واسع الحيلة، فقاوم كنيسة الإسكندرية فيما بثته بين المسيحين من أفكار تقوم على ألوهية المسيح، فحارب تلك الأفكار ناشراً فكرة الوحدانية مقراً بوحدانية المعبود، منكراً ما جاء في بعض الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية.

ويقول ابن البطريق عن أريوس أنه كان يقول: إن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن.

ولقد كان لرأي أريوس في إنكار ألوهية المسيح واعتباره مخلوقاً أنصار كثيرون ومشايعون عديدون.

(أ) فقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه وعلى رأسها ميلتوس.

(ب) وكان أنصاره يغلبون في نسبتهم العددية في مدينة الإسكندرية أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون.

(جـ) بل تعدى الأمر ذلك النطاق المحدود في مصر، إذ كان لرأيه مشايعون كثيرون في فلسطين ومقدونيا وغيرها.

الحجة التي استند إليها بطريرك الإسكندرية لمقاومة أريوس:

عندما أراد بطريرك الإسكندرية القضاء على فكرة أريوس لم يلجأ إلى الجدل والمناقشة. لافتقاره إلى الحجة المقنعة القوية، وتوقع غلبة آريوس عليه، ولذلك عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة، بل ونفيه استناداً إلى زعمه بأنه رأى في منامه المسيح لعن أريوس هذا فاحذروه، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: ياسيدي من شق ثوبك؟ فقال: أريوس فاحذروا أن تدخلوه معكم.

لما ولي أمر كنيسة الإسكندرية البطريرك اسكندر، رأى أن الرؤى والأحلام والنفي لم تقضِ على أفكار أريوس بين الناس، لذلك أخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر، فكتب إلى أريوس وأنصاره رأيه يدعوهم إلى اعتناق رأي كنيسة الإسكندرية، ولما لم تجد محاولته نفعا عقد مجمعاً في كنيسة الإسكندرية حكم فيها على أريوس بالحرمان، إلا أن أريوس لم يخضع له بل غادر الإسكندرية إلى فلسطين.

لما تفاقم الخلاف بين أريوس وبطريرك الإسكندرية، حاول الإمبراطور قسطنطين التدخل في الأمر للوفاق بينهما، وقد جمع بينهما، ولكنهما لم يتفقا، فدعا إلى عقد مجمع نيقية سالف الذكر للنظر في أمر هذا الخلاف أيضاً.

الفصل الرابع عشر

- الروح القدس وتقرير ألوهيته
- هل اكتفى رجال الكنيسة بهذا الثالوث
- الأساس الذي قرر المجمع عليه ألوهية المسيح
- نقد الأساس الذي قرر ألوهية المسيح
- عقيدة التثليث عالمية

الروح القدس وتقرير ألوهيته

الروح القدس في عرف المسيحيين هو الروح الذي حل على العذراء لدى البشارة لها وعلى المسيح في العماد، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء.

أما في عقيدة المسلمين فإن الذي أرسل إلى العذراء بالبشارة بولادة عيسى عليه السلام هو الملك جبريل عليه السلام.

ومجمع نيقية بعد أن قرر مبدأ التثليث وألوهية المسيح لم يتعرض لألوهية الروح القدس، بل نص ذلك الاجتماع على ترك الحرية للناس في الاختلاف على الروح القدس، وفي ضوء هذه الحرية وجد اتجاهان يتصارعان هما:

كنيسة الإسكندرية إذ تتزعم القول بالتثليث، أي أن المسيطر على العالم قوى ثلاث المكون الأول ـ العقل (الابن) ـ والنفس العامة (الروح القدس)

أسقف القسطنطينية مقدونيوس يناصره بعض القسس ومنهم الأسقف أوسابيوس الذي أنكر وجود الأقانيم الثلاثة، إذ أعلن أن الروح القدس ليس بالإله ولكنه مخلوق مصنوع.

وإزاء هذا الخلاف استدعى الأمر عقد مجمع جديد، فعقد الإمبراطور تاوديوس الكبير «وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ، فلما حلت عليهم الروح تنبأوا لم يزيدوا». أي فلما نزل عليهم الملك بالوحي تنبأوا.

(ب) ورد في سفر أشعيا عليه السلام إصحاح ١١ عدد (١) وما بعده.

«ويخرج قضيب من جذع يس وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب».

(جـ)ورد في إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢٥ «سمعان عليه روح القدس».

ولو كان كل من يتصف بصفة الروح أو من عليه الروح إلها لاشترك في الألوهية مع المسيح السبعون رجلا الشيوخ من بني إسرائيل مع موسى وسمعان وغيره ممن تأيدوا بالروح.

ولكن هذا المجمع لم يكن يفكر ولم يجتمع ليناقش، مع أن المقدمات الواردة بتفسير بطريرك[1] الإسكندرية غير مسلم بها ونتائجها غير مرتبة ولا مبنية بالضرورة على المقدمات، لذلك فإن ذلك المجمع ما اجتمع إلا ليتخذ قرار مبيتاً قبل اجتماعه، ولذلك سرعان ما اتخذوا قرارهم بألوهية الروح القدس وبلعن من يقول بغير ذلك.

ومرة أخرى فرض هذا القرار فرضاً على المسيحيين، وعذب ولعن من خالفه وحرم من الوظائف وصودرت آراؤه وقتلت.

ما قاله ابن البطريق أحد المؤرخين المسيحيين في إثبات قرار ألوهية روح القدس وشرحه. يقول ابن البطريق «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية ـ الإيمان بروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، وثبتوا أن الآب والابن الروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص وحدية في تثليث وتثليث في وحدية كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة.

(١) محاضرات في النصرانية ـ للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة.

هل اكتفى رجال الكنيسة بهذا الثالوث على هذا الوضع:

يقول الدكتور أحمد حجازي السقا: لم يكتف بعض رجال الكنيسة بهذا الثالوث على هذا الوضع السابق شرحه بل تراهم كأنهم تصوروا منافسة بين الله جل جلاله وبين المسيح، فلم يقتنعوا بأن يكون الروح القدس منبثقاً من الآب بل عقدوا مجمعاً آخر هو مجمع طليطله سنة **٥٨٩** ميلادية وقرروا أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً وهذا مناقض لما قالوه سابقاً من أنه هو الذي حل على العذراء لدى البشارة لها، وعلى المسيح عند العماد.

ولم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة وكذلك الكنيسة القبطية بمصر ولا تزال عبارة «ومن الابن أيضاً» موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والقبطية والكنيسة الكاثولويكية وسبباً لعدم الالتقاء بينهما.

ويقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه (المسيحية).

وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الإله - (ياللعجب العجاب).

ثانياً: صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر، وهو الأساس الثاني في عقيدة المسيحية، ويعبر عنه في لغة المسيحيين بظهور الله في الجسد، حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح، وأساس هذا العنصر الثاني عند المسيحيين أن من صفات الإله العدل والرحمة فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها. وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر.

ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ليكفر خطيئة البشر، وهذا ما يعبر عنه النصارى بالاخلاص. وهنا [بزعمهم] تمت المصالحة بين الله والناس.

ويدلل المسيحيون على ذلك بالآتي:

١ - ما ورد بإنجيل مرقص الإصحاح ١ عدد ٤٥ «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليخدم، بل ليخدم، وليذل نفسه فدية عن كثيرين».

٢ - ما ورد بإنجيل يوحنا إصحاح ٣ عدد ١٧ «لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم، ليدين العالم بل ليخلص به العالم».

٣ - رسالة رومية إصحاح ٣ عدد ٢٥، ٢٤ وما بعدها «متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال إلى الله».

٤ - رسالة رومية إصحاح ٥ عدد ١٠ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه لأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته».

٥ - رسالة رومية إصحاح ٦ عدد ٦ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطيئة».

ما قاله الأب بولس إلياس الخوري عن عقيدة الصلب والفداء:

يعلن ذلك الأسقف المسيحي في جرأة أن بولس الرسول هو مبتدع هذه الفكرة، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها، وهذه كلماته[١]:

«ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عنادهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفديهم على الصليب، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي على

(١) كتاب (يسوع المسيح) للأب بولس الياس الخوري.

عهد النعمة، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا».

وصف عملية التنكيل والتعذيب التي مر بها عيسى قبل صلبه (كما يقولون):

يصور إنجيل متى هذه العملية في الإصحاح ٢٧ عدد ٢٢ طبقاً لآتي:

فقال الوالي للشعب، ماذا أفعل بيسوع الذي يدعي المسيح، قال له الجميع ليصلب فقال الوالي وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريء من دم هذا البار أبصروا أنتم. فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا، حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه للصلب، فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه الكتيبة فعروه وألبسوه رداء قرمزيا، وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه، وكانوا يجثون قدامه؟ ويستهزئون به قائلين، السلام عليكم يا ملك اليهود، وبصقوا في وجهه، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعد أن استهزأوا به نزعوا الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به إلى الصلب، وأعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب».

كما وصف إنجيل مرقص في الإصحاح ١٤ تلك العملية بمثل ذلك التصوير البشع مع اختلاف وتضاد، ولذا يقول الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار[1] رحمه الله:

إن الأناجيل الأربعة اختلفت اختلافاً كبيراً في إيراد هذه القصة، وإن الإنسان ليمتلكه العجب في اختلاف تلك الأناجيل الأربعة على أساس هام من أسس ديانتهم، ولو صح أن هذا أساس وأن المسيح أنبأ به لكان اهتمامهم بتدوينه متساويا أو متقاربا في تلك الأناجيل، لكن تلك النصوص

(١) يمكن الرجوع إلى: قصص الأنبياء، للأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار.

عن هذه الواقعة جاءت من أوجه التضاد ما يسقط قيمة الاستدلال بها، وبالتالي يسقط قيمة هذه الفكرة من أساسها، والعجب أن يقول المسيحيون إن أساس هذا الصلب هو صفة العدل، إذ كان على الله بمقتضى صفة الرحمة أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم. لكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر. لكن يعترض على ذلك بما يأتي أين كان عدل الله ورحمته منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح. فهل كان الله حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين، حتى قبل المسيح منذ ألفي عام وأكثر أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم؟

يقرر المسيحيون إن نزول ابن الله وصلبه كان ضرورياً للتكفير عن خطيئة البشر. فليت شعرى كيف ضاقت الأمور على رب البشر في نظرهم حتى استحال عليه أن يجد طريقاً آخر ووسيلة أخرى من الممكن بواسطتها أن يغفر بها خطيئة البشر، بدلا من هذه العملية القاسية لمن يزعمون أنه ابنه، تلك الصورة التي زادت بها خطايا البشر. فهل يعقل أن يعالج المرض بمرض أخطر منه؟ أليس أولى بحكمة الله أن يقول للعصاة عفوت لكم في ضوء رحمته وقدرته بدل أن يقدم ابنه ذبيحة.

وإذا كانت عملية الصلب والفداء بهذا الوصف عملاً تمثيلياً في نظر المسيحيين للتكفير عن خطيئة البشر، فلماذا يبغض المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على المسيح. ومع ذلك ولأن عملية صلب المسيح ليست أصيلة في الوجدان المسيحي، كما أن العقلي العلمي يرفضها، رأينا ذلك التعاتق العقدي الي رأيناه في الغرب المعاصر بين الأصولية المسيحية والأصولية اليهودية.

يقرر المسيحيون في تعليل هذه الفكرة أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم، لكن يرد على ذلك بأن إلزام الأحفاد بأخطاء الأجداد أمر لا تقره العقول ولا تسمح به القوانين التي وضعها البشر، ولا تقره الشرائع السماوية، فكيف استساغوا هذه السفسطة الفارغة؟ إن الكتاب

المقدس في سفر التثنية إصحاح ٢٤ عدد ١٦ ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل. كما ورد في سفر حزقيال إصحاح ١٨ عدد ٢٠. النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الاب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه وشر الشرير عليه يكون. وهذا هو الذي جاء في القرآن الكريم دستوراً للعدالة الإلهية ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ الآية.

والفطرة المعترف بها في العقائد جميعاً وفي القوانين الوضعية وعرف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء سوى ثرواتهم، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤخذ بها ذرياتهم ويترتب على ذلك ما يلي:

(أ) أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم طبقاً لما أوردته عقيدة الفداء عن النصارى بأن المسيح قتل وصلب كفارة عن خطيئة آدم وذريته، إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه آدم تطبيقاً لما ورد في سفر التثنية وسفر حزقيال السابق الإشارة إليهما. وتطبيقاً لبداءة العقول وأعراف الناس وقوانينهم. كما لا يعقل أن يعرض ابن الله نفسه ليقتله من يريد الغفران لهم، فيزيد بذلك خطاياهم، ولا يقبل أن يكون ذلك هدفا للمسيح، وهو الذي وصفوه بأنه شكا لأبيه أنه تركه ليقتل[١].

(ب) والنتيجة الثانية، فساد القول بالمعمودية التي يقول عنها النصارى أنها تطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهم من خطيئة.

إذا كانت الكلمة قد تجسدت لمحو الخطيئة الأصلية، فما العمل في الخطايا التي تجد بعد ذلك، ومنها ما هو أقسى من عصيان آدم، حتى لقد أنكر البعض وجود الله سبحانه وتعالى وهاجمه آخرون وسخروا من جنته

(١) حيث قال: إيلى إيلى لم شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني لأعدائي ليقتلوني.

وناره، فلماذا كانت حكاية التجسد لخطيئة واحدة ثم تركت باقي خطايا البشر التي لا تعد ولا تحصى دون تكفير.

ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب شخص غير مذنب وصلبه، فإن قالوا إنه قبل ذلك نجد أن ماورد بالأناجيل عكس هذا القول، فقد جاء في إنجيل متّى إصحاح ٢٧ عدد ٤٦ (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلى إيلى لم شبقتني) أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟

كما ورد في إنجيل مرقص إصحاح ١٥ عدد ٣٤ (وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوى إلوى لما شبقتني) وتفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني؟

إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في يديه؟

إن من المسلم به في جميع الشرائع أن تتناسب العقوبة مع الذنب فهل تتناسب واقعة الزعم بصلب المسيح على هذا النحو مع الخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر. إن كل خطيئة آدم التي أحال عليها المسيحيون عملية قتل المسيح عليه السلام وصلبه لم تعد أن تكون أكلا من شجرة نهى عنها، وثبت بنص الكتب المقدسة أن الله عاقبه عليها بإخراجه من الجنة، ولاشك أنه عقاب كاف، فالحرمان من الجنة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب اختاره الله بنفسه وفي وقته وحينه، فكيف يستساغ أن يظل سبحانه مضمراً غاضباً آلاف السنين حتى وقت رسالة المسيح. وهنا فقط ينتهي الغضب بحادثة صلب ابنه.

إن السيد عبد الأحد داود، وكان أسقفاً مسيحياً قبل إسلامه، ينتقد فكرة التكفير فيقول، إن من العجب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر

اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب.

إن قيل إنه بواسطة نظرية الخلاص خلاص النصارى من محن الدنيا ومشاغلها فما بالنا نراهم مثل جميع البشر يجري عليهم كل ما يجري على غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى، من سعي على الرزق وإصابتهم بالهموم والأمراض والموت.

فإن قيل إنهم خلصوا من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك، لأنهم يتلون في عباداتهم وصلواتهم في الصباح والمساء (واغفر لنا ذنوبنا).

وإن قيل إن هذا الخلاص كان خلاصاً من حساب الآخرة فلا صحة لذلك لأنه مكتوب في إنجيل متى إصحاح ٢٥ عدد ٣١ أنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب، وهناك يفرز الله الناس ويفصل الأبرار من الأشرار، فيأمر بالأبرار إلى الجنة والأشرار إلى الهاوية (أي النار). والعجيب أن الكنيسة خرجت من هذا المأزق الحرج بتفسير عجب! إذ قررت أن هذه المصالحة التي تمت بين الله وبين البشر لا تعني أنه لا تثريب على البشر في الخطأ والعصيان، لأن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة، فجسد المسيح ودمه الذي يكفر عن الذنوب والخطايا محفوظ عند الكنيسة، وهي وحدها التي توزعه على من تعطيه فيصبح من الناجين، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه جسد المسيح أو دمه، فيصبح من الهالكين في الدنيا، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان فضلا عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك.

ثم إن مجمع القسطنطينية المنعقد سنة ٣٨١ ميلادية ولم يحضره إلا ١٥٠ أسقفا فقط قد قرر الآتي:

حرمان الأسقف مقدونيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط كل منهما من رتبته.

كما قرر ألوهية الروح القدس، وبذلك اكتمل بنيان الثالوث في نظرهم، وصار الآب ويعنون به الله، والابن يعنون به المسيح، والروح القدس، وكل من هذه الثلاثة أقنوم (أي شخص) إلهي [تعالى الله].

الأساس الذي قرر المجمع عليه ألوهية روح القدس

قدم بطريرك الإسكندرية وقتئذ تفسيراً لهذا المبدأ إلى المجتمعين في المجمع فوافقوا عليه وهو الآتي:

«ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق، وإذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، فقد كفرنا به، ومن كفر به عليه اللعن».

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية بألوهية الروح القدس:

من النظر في السلسلة السابقة التي قدمها بطريرك الإسكندرية يتضح الآتي:

١ - أن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله أي حياته مقدمة ساقطة خاطئة لا يوافقه عليها أهل العلم والكتب المقدسة خصوصاً القديمة منها وعارية عن الدليل عليها. والعقيدة الصحيحة هي أن روح القدس خلقه الله واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً، والدليل على ذلك ما ورد في العهد القديم والجديد.

(أ) ففي سفر أشعيا إصحاح ١١ عدد ٢٥ حاكياً عن موسى عليه السلام:

«وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ، فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا» أي فلما نزل عليهم الملك بالوحي تنبأوا.

(ب) ورد في سفر أشعيا ﷺ إصحاح ١١ عدد ١ وما بعده:

«ويخرج قضيب من جذع يس وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب»

(جـ) ورد في إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢٥ «سمعان عليه روح القدس»

ولو كان كل من يتصف بصفة الروح أو من عليه الروح إلها لاشترك في الألوهية مع المسيح السبعون رجلاً الشيوخ من بني إسرائيل مع موسى وسمعان وغيره ممن تأيدوا بالروح.

٢ ـ ولكن هذا المجمع لم يكن يفكر ولم يجتمع ليناقش، مع أن المقدمات الواردة بتفسير بطريرك الإسكندرية غير مسلم بها، ونتائجها غير مرتبة ولا مبنية بالضرورة على المقدمات، لذلك فإن المجمع ما اجتمع إلا ليتخذ قرارا مبيتاً قبل اجتماعه، ولذلك سرعان ما اتخذوا قرارهم بألوهية الروح القدس وبلعن من يقول بغير ذلك.

٣ ـ ومرة أخرى فُرض هذا القرار فرضاً على المسيحيين، وعذب ولعن من خالفه وحرم من الوظائف وصودرت آراؤه وقتل.

ما قاله ابن البطريق أحد المؤرخين في إثبات قرار ألوهية روح القدس وشرحه. يقول ابن البطريق «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية ـ الإيمان بروح القدس، الرب المحي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له ممجد، وثبتوا أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وجوهر، وثلاثة خواص، وحدانية في تثليث وتثليث في وحدانية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة في ظل ما زعموه واعتقدوه بعيداً عن هدى التوحيد الذي نطق به المسيح مبلغاً به عن ربه.

عقيدة التثليث عالمية

الجدير ذكره هنا أن التثليث عقيدة شاعت في العالم القديم كعقيدة وضعية قبل المسيح وبعده بحيث لم تنفرد بها المسيحية، فمثلاً كان التثليث معروفاً عند قدماء الفرس، حيث كان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم كالنصارى، وذلك قبل نشأة النصرانية. فقد نقل صاحب تفسير المنار حيث قال: «قال هجين» (في ص ١٦٢ من كتابه الانكلوسكون) كان الفرس يدعون متروساً: الكلمة، والوسيط، ومخلص الفرس اهـ. وقال مثل ذلك دونلاب، وبنصون. وقال داون في كتابه الذي ذكر غير مرة: «كان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، مثل الهنود، ويسمونها: أورمزد، ومترات، وأهرمن، فأوزمرد الخلاق، ومترات ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمن الملك»[1].

يظهر من هذا أن عقيدة التثليث مرض انتشر في المجتمع البشري شرقه وغربه، والنصرانية لم تكن إلا نتاج الأفكار الوثنية بصورة لا تختلف عن وثنيات الأمم إلا في وجود اسم المسيح كواحد من الأقانيم.

التثليث عند اليونان:

ومن الأمم الوثنية القائلة بالتثليث قبل النصراينة اليونان فقد قال عنهم صاحب تفسير المنار: «جاء في كتاب (سكان أوروبا الأولين) ما ترجمته: كان الوثنيون القدماء يعتقدون أن الإله واحد، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم، وجاء

(١) تفسير القرآن الحكيم ج ـ ٦ ص٩١ والعقائد الوثنية ص٢١.

في كتاب «ترقي الأفكار الدينية» (ص٣٠٧ م١) أن اليونانيين كانوا يقولون إن الإله مثلث الأقانيم. وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات، إشارة إلى الثالوث، ويرشون المجتمعين حول المذبح ثلاث مرات ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع. ويعتقدون أن الحكماء قالوا إنه يجب أن تكون جميع الأشياء المقدسة مثلثة، ولهم اعتناء بهذا العدد في جميع شعائرهم الدينية»[1].

ثم يقول صاحب المنار: «أقول: وقد اقتبست الكنيسة بعد دخول نصرانية قسطنطين فيهم هذه الشعائر كلها ونسخت بها شريعة المسيح التي هي التوراة، ويسمون أنفسهم مع ذلك مسيحيين، ويعلمون كل شيء باسم المسيح! فهل ظُلِمَ أحد من البشر بالافتئات عليه، كما ظلم المسيح عليه السلام؟ لا لا.

نقل داون عن أورفيوس أحد كتاب اليونان وشعرائهم قبل المسيح بعدة قرون أنه قال: كل الأشياء صنعها الإله الواحد مثلث الأقانيم.

وجاء في مجلة الأزهر ما يؤكد أن اليونانيين القدماء كانوا يؤمنون بوجود ثلاثة آلهة وهي: بروميتيوس وجوبيتر وهيركول. وتزعم أساطيرهم بأن بروميتيوس الذي كان إله النار وخالق الإنسان، طرده من السماء رئيس الآلهة جوبيتر، فهبط إلى الأرض، وقام بالعناية بالبشر، ولما رأى حاجة بني الإنسان إلى النار اختلسها من السماء، فوهبهم إياها، مما أغضب عليه جوبيتر حتى صلبه على صخرة في جبال القوقاز، ولم يستطع الصلب إهلاكه، لما له من الألوهية والخلود، ولما رأى ذلك جوبيتر، عمد إلى تعذيبه عذابا مؤبدا بواسطة ابنه هيفستوس الذي يعمل قطعا محماة من الحديد ويغرسها في جسم بروميتيوس، وسلط عليه أيضاً نسرا من النسور مهمته الانقضاض عليه، وتمزيقه بمخالبه، ونهش كبده، وكلما مزق جسمه

(١) وانظر كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر تنير ومحمد المجذوب ص ٢١ نقلا عن كتاب التصورات الدينية م١ ص٢٠٧.

عاد بروميتيوس كما كان، وعاد النسر إليه بنفس العذاب المتواصل، والعقاب المتكرر، إلى ان قيض له الإله هيركول، فأنقذه، وكانت قيامته ونجاته على يديه»[١].

هذا تثليث اليونانيين القدماء، وتلك آلهتهم التي يتكون منها الثالوث، فالعدد عندهم وعند النصارى واحد، وصلب أحدها موجود عند الفريقين، ولكن المعدودات مختلفة. فعند النصارى تم صلب أحد الثلاثة وهو المسيح لتخليص البشر وتطهيرهم من خطيئة آدم الموروثة. وعند اليونان صلب بروميتيوس في سبيل البشر أيضاً. فالصلب من أجل البشر موضع الالتقاء الفكري بين الفريقين، ومصلوب النصارى وموضع صلبه، غيرُ مصلوب اليونان وغير موضع صلب مصلوبهم، ولكن الفرق بينهما أن مصلوب اليونان صلب عقوبة له على خدمة البشر بالنار، ومصلوب خلفائهم النصارى صلب لتطهير وخلاص البشر، والمتأخر استفاد من المتقدم. حيث بنى على أنقاضه، ونسج على منواله.

التثليث عند الرومان:

ومن القائلين بالتثليث من الأمم السابقة على النصارى الرومان ذكر ذلك صاحب تفسير المنار حيث قال: قال فسك في (ص٢٠٥ من كتاب: الخرافات ومخترعوها): كان الرومانيون الوثنيون القدماء يؤمنون بالتثليث، يؤمنون بالله أولاً، ثم بالكلمة، ثم بالروح.

التثليث عند الفنلنديين والاسكندنافيين من أهل أسوج والنرويج والدنمارك:

ومن الأمم القائلة بالتثليث الفنلنديين والإسكندنافيين من أهل أسوج ونرويج والدنمارك. قال بارخورست في القاموس العبراني: كان للفنلنديين (البرابرة الذين كانوا في شمال بروسيا)[٢] إله اسمه (تريكلاف) وقد وجد له

(١) مجلة الأزهر ج ـ ٣٨ ص٨٩٦.

(٢) بروسيا: مدينة تركية معروفة عند الأتراك باسم بورسة.

تمثال في (هرتونجربرج)[١] له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، أقول: تريكلاف. مركب من ترى ومعناها ثلاثة، وكلمة كلاف ولعل معناها: إله. وقال داون: (في ص ٣٧٧ من كتابه) كان الاسكندنافيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يدعونها: أودين وتورا وفري. ويقولون هذه الثلاثة الأقانيم إله واحد. وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة أوبسال من أسوج.

وكان أهل أسوج ونرويج والدنمارك يفاخر بعضهم بعضا في بناء الهياكل لهذا الثالوث وكانت جدران هذه الهياكل مصفحة بالذهب، ومزينة بتماثيل هذا الثالوث. ويصورون أودين بيده حسام، ونورا واقفا على شماله، وعلى رأسه تاج وبيده صولجان. وفري واقفا عن شمال تورا، وفيه علامة الذكر والأنثى. ويدعون أودين الآب، وتورا الابن البكر»[٢].

التثليث عند التتر

وممن ذهب إلى القول بالتثليث من الأمم التتر والوثنيون من التتر كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث المماثلة لعقيدة النصارى وغيرهم. وقال في ذلك محمد طاهر التنير ومحمد المجذوب: «والتتر الوثنيون عبدوا إلها مثلث الأقانيم المقدسة جالسا على حندقوفة».

التثليث عند الدرديين وسكان سيبريا القدماء:

ومن القائلين بالتثليث الدرديون وسكان سيبيريا القدماء. والدرديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، وهم: «تولاك» و«فان» و«موك». وسكان سيبيريا القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم، ويدعون الأقنوم الأول من هذا الثالوث المقدس: «خالق كل شيء» والأقنوم الثاني «إله الجنود»

---

(١) وانظر أيضاً: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.

(٢) تفسير القرآن الحكيم ج ـ ٦ ص ٩٢ ـ ٩٣ وانظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٢٢ ـ ٢٣.

والأقنوم الثالث: «روح المحبة السماوية». ثم يقولون: «أقانيم ثلاثة إله واحد»[١].

التثليث عند سكان جزر الأقيانوس

ومن الذين دانوا بعقيدة التثليث سكان جزر الأقيانوس فقد قال في نسبة ذلك إليهم العلامة نيت حيث قال: «وسكان الجزائر في الأقيانوس عبدوا إلها مثلث الأقانيم. فيقولون: الإله الابن، والإله روح القدس، ويصورون روح القدس بهيئة طير»[٢].

التثليث عند المكسيكيين والهندوس الكنديين

ومن الأمم القائلة بالتثليث المكسيكيون والهندوس الكنديين. قال اللورد كنسيرو: «والمكسيكيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يدعونه: «نزكتليبوتا» ومعه إلهان آخران أحدهما واقف عن يمين الإله المذكور، والآخر واقف عن يساره. واسم الإله الواقف عن اليمين: «أهو نزليبوشتكي» والآخر اسمه: «تلالوكا». ولما عين بروتولوميو مطراناً سنة ١٤٤٥ أرسل القس فرنسيس هرمنديز إلى المكسيك ليبشر بين الهندوس بالديانة المسيحية، وكان هذا القس عارفاً بلغة الهندوس، ومن بعد مضي عام على ذهابه، أرسل مكتوباً إلى المطران المذكور يقول فيه: إن الهندوس يؤمنون بإله كائن في السماء، وإن هذا المثلث الأقانيم، وهو الإله الآب والإله الابن والإله روح القدس، وهؤلاء الثلاثة إله واحد، واسم الأب: «بزونا» واسم الابن: «باكاب» مولود من عذراء، واسم الروح القدس: «إيكيهيا». ويعبدون صنماً اسمه: «تنكاتنكا» يقولون عنه إنه واحد ذو ثلاثة

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٣٢.

(٢) نفس المرجع السابق نقلا عن كتاب: «نيت»: «الصنائع القديمة والوثنية القديمة» ص١٦٩.

أقانيم، وإنه ثلاثة أقانيم إله واحد[١]. قال العلامة سكوير[٢]: «والهندوس الكنديون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، ويصورنه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد، وإرادة واحدة»[٣].

التثليث أو التثنية عند الفيلسوف أفلاطون:

كان أفلاطون يؤمن بوجود: المحرك الأول والمثل الأعلى. ويؤمن بوجود: عالم المثل الذي هو حقيقة الأشياء الكونية عنده. أما الأشياء الكونية فما هي إلا ظلال وأشباح لذلك الوجود الحقيقي كما يزعم وجعل المثل أصل الأشياء، وقال بقدمها، وهو بهذا الاعتبار ثنائي العقيدة ولكنه لا يقف عند هذا الزعم، بل يقول: إن المادة موجودة قبل الأشياء، وقديمة مختلطة بالمثل.

وزعم أن المحرك الأول (الله) أو المثل الأعلى لم يخلق المادة، لتنزهه عن مباشرة خلق المادة. وقال في النفس البشرية إنها قوة تتحرك بذاتها، وقد كانت متحدة بالله كقبس من نوره، قبل أن تظهر في عالم الحبس خلال الأجسام البشرية، ثم تشاغلت بحلولها في المادة، واعتنقت الجسم ناسية وجودها السابق لكي تكفر عن آثام ارتكبتها في حياتها الماضية[٤].

لست أدري أين ارتكبت النفس تلك الآثام التي اعتنقت الجسم لتكفرها؟. وقد صلب المسيح في زعم النصارى للتكفير، وصلب بروميتيوس

(١) نقلا عن كتابه: «آثار المكسيك القديمة» م٥ ص١٦٤.
(٢) نقلا عن كتابه: «رمز الحية» ص١٨١.
(٣) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٢٣.
(٤) راجع تهافت الفلسفة لمحمود أبي الفيض المنوفي ص٩١ ـ ٩٣، ومجلة الأزهر ج ـ ٣٨ ص٨٩٤.

للتخليص، وبوذا أيضاً لنفس الأمر، وما أكثر ما صلب وضحى بنفسه في سبيل التخلص والتكفير!!!

ولكن الإنسان رغم ذلك ما صفا وما خلص، ولا خلاص له إلا بالخلوص من هذه المعتقدات الباطلة، والإيمان الصادق بما أرسل الله به رسله عليهم الصلاة والسلام، ولا يخلص الناس بما نتج من العقول المريضة، ويشارك الكلدانيون المصريين في عقيدة التثليث بصورة أخرى حيث نقل إبراهيم خليل أحمد عن بونويك قوله: «وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين: (الوثنيين القدماء) هي قولهم بلاهوت الكلمة. وإن كل شيء صار بواسطتها وأنها: (أي الكلمة) منبثقة من الله، وأنها الله. وكان أفلاطون الفيلسوف الإغريقي عارفا بهذه العقيدة الوثنية. وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين، ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول، ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام»[1].

التثليث أو التثنية عند الفيلسوف أرسطو:

ومن بعد أفلاطون جاء تلميذه أرسطو فقال بوجود:

١ ـ المحرك الأول (الله) ٢ ـ المادة (الهيولي) وهو بهذا لا يتجاوز مرحلة التثنية لولا أنه أضاف ٣ ـ الصورة إلى هذين الأصلين. وقال إن الصورة هي التي جعلت المادة تتحول من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، أما المحرك الأول فهو في رأيه ليس له أي عمل إلا التحريك والدفع إلى الحركة، وعلى هذا فالمادة الأولية عنده هي القوة الحقيقية للوجود، وإن كان بجانبها محرك وقامت بإخراجها إلى الوجود بالفعل الصورة بعد أن كانت موجودة بالقوة.

---

(١) الغفران بين الإسلام والمسيحية ص٧١ نقلاً عن بونيوك في كتابه اعتقاد المصريين ص٤٠٤.

وقد استبدل أرسطو نظرية أستاذه أفلاطون في بعض الأمور بنظرية عكسية، حيث ذهب إلى وجود الأشياء دون المثل الأفلاطونية، واعتبر وجود المثل وجودا ذهنيا لا تحقق له في الخارج، وناقض بهذا مذهب أستاذه القائل بأسبقية المثل وبأن وجودها هو الوجود الحقيقي الثابت[١].

وعلى الرغم مما يظهر من تخالف أو تناقض في مذهبي أفلاطون وأرسطو وما يبدو من أنهما يؤمنان بالتثنية تارة وبالتثليث تارة أخرى، على اختلاف في بعض الأقانيم واتفاق في البعض الآخر بينهما، على الرغم من هذا كله فإن صلة هذين المذهبين بقول النصارى في التثليث قوية جدا، سواء قالا بالتثنية أو التثليث، ولعل النصارى لا يقفون عند هذا الحد، بل يربعون ويخمسون ويسدسون بالباباوات، وقد فعلوا ذلك!!.

التثليث عند المصريين القدماء والكلدانيين:

يؤمن المصريون القدماء بعقيدة التثليث ويتألف تثليثهم من آلهة ثلاثة هي: «أوزيريس» الآب. و «إيزيس» الأم. و «هورس» الابن[٢].

ويكاد يتطابق هذا الاعتقاد مع ما يعتقده بعض النصارى من ألوهية مريم والدة الإله الابن في زعمهم، ولم يقل هؤلاء بألوهية الروح القدس، وقد ذكر الشيخ ابن تيمية هذه الطائفة حيث قال: «وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم، لما ذكر اجتماعهم في قسطنطين «نيقية» قال: «وكانوا مختلفي الأديان، فمنهم من يقول المسيح ومريم إلهان من دون الله، وهم المريمانيون ويسمون المريمانية[٣].

وقال أيضاً: «ومنهم من يجعل إلها مع الله، كما جعل المسيح إلها،

---

(١) تهافت الفلسفة ص ٩٦ وما بعدها.

(٢) انظر الأديان في القرآن لمحمود بن الشريف ص٢٧٧ وما نقله عن المسيو آثر فنزلاى ص٢٢٨ ـ ٢٢٩. وانظر كتاب: الله لعباس محمود العقاد ص٦٥.

(٣) الشيخ ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ـ ٣ ص٤٣.

فإن قالوا بذلك، جعلوا لله صاحبة وولدا، وجعلوا المسيح ابن مريم وأمه إلهين من دون الله، كما فعل ذلك من فعله منهم. فإنهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه، والمسيح، ويجعلونها إلها، كما يجعلون المسيح إلها، فيقولون ياوالدة الإله اغفري لنا وارحمينا، ونحو ذلك. فيطلبون منها ما يطلبونه من الله عز وجل، ومنهم من يقول عن مريم: «إنها صاحبة الله سبحانه وتعالى»(١).

إن ثالوث المصريين يتألف من أب وأم وابن: أوزريس، أوزيس، هورس. وثالوث بعض النصارى كذلك يتألف من أب وأم وابن. فتبين ما بين الديانتين من التشابه في التثليث ونوعه.

وقال استدروف الألماني: «ولأسباب لا تزال سرا غامضاً لدينا، جعلوا هذه الآلهة فئات، كل فئة تتكون من ثالوث أو (ثلاثة آلهة). وقد كانت الطريقة المتبعة عادة في هذا التقسيم، أن يعين الإله الأكبر، ثم تضاف إليه إلهة زوجة له، ويكون لهذين ثالث، وهو ولدهما، ففي طيبة مثلا كان عظيم الآلهة المعبود «آمون» ومعه زوجته الإلهة «موت» وابنهما إله القمر «خنس». وكذلك كان تأليف منف يتألف من: «فتاح» الإله الأعظم، وزوجته: «سخمت» وابنهما: «نُفرْتُمْ». وفي وجهات قاصبة أخرى كالفنتين: (أصوان). كان للمعبود: «خنم» إله الشلال زوجان بدلا من زوجة وابن وهما: «سانت» و«عنقت»(٢).

وفي هذه الصورة الأخيرة يكون التشابه بين هذا التثليث النصراني تشابها عدديا أي الاتفاق على عبادة ثلاثة آلهة.

وقال صاحب تفسير المنار: «قال داون في ص ٤٧٣ في كتابه المشار

(١) الجواب الصحيح ج ـ ٣ ص٤٣.

(٢) ديانة قدماء المصريين ص٢٢ ـ ٢٣، وانظر: ديانة مصر القديمة تأليف أدولف هرمان ص٥٨ ـ ٥٩.

إليه آنفا[١]: «وكان قسيسو هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم: إن الأول خلق الثاني، وهما خلقا الثالث. وبذلك تم الثالوث المقدس. وسأل توليو ملك مصر الكاهن تنيشوكي أن يخبره هل كان أحد قبله أعظم منه؟ وهل يكون بعده أحد أعظم منه؟ فأجابه الكاهن: نعم يوجد من هو أعظم منه، وهو الله قبل، ثم الكلمة، ومعهما الروح القدس. ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة، وهم واحد بالذات، وعنهم صدرت القوة الأزلية، فاذهب يافاني ياصاحب الحياة القصيرة. قال المؤلف: لا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالث المقدس: «كلمة» هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات المسيحية. و «أبوللو» المدفون في دهلي يدعى: الكلمة في علم اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلمه «بلاتو» قبل المسيح بسنين عديدة الكلمة: هي الإله الثاني ويدعى أيضاً «ابن الإله البكر»[٢].

وفي هذا التصور تطابق للتصور النصراني من عدة وجوه: أولاها التثليث. وثانيها: في تسمية كل واحد منها بالأقنوم. وثالثها: في تسمية الأقنوم الثاني بالكلمة. ورابعها في تسميتها بالابن.

وقال صاحب تفسير المنار أيضاً: «وقال بونويك في ص٤٠٢ من كتابه: (عقائد قدماء المصريين): أغرب عقيدة تم انتشارها في ديانة المصريين، هي قولهم بلاهوت الكلمة. وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها منبثقة من الله، وأنها هي الله، وكان بلاتو عارفا بهذه العقيدة الوثنية، وكذلك ارسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين. (بل بقرون) ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا، ويعتقدون هذا الاعتقاد[٣].

---

(١) خرافات التوراة.

(٢) تفسير القرآن الحكيم ج ـ ٦ ص٩٠.

(٣) نفس المرجع ص٩٠ ـ ٩١.

ثم يعلق صاحب تفسير المنار على هذا الكلام الذي نقله بأن الذي يظهر له، أن سبب اعتقاد المصريين هذا الاعتقاد أن الرسل الذين أرسلهم الله إليهم، كانوا يقولون لهم: إن كل شيء خلقه الله بكلمته، فلما طال عليهم الأمد، وسرت فيهم الوثنية، ظنوا أن الكلمة ذات إرادة واختيار وفعل، وقالوا ما قالوا، واعتقدوا ما اعتقدوا[١].

وخلاصة القول أن التثليث عند المصريين القدماء كان سابقاً للتثليث النصراني بزمن ليس ببعيد، وكان هذا التثليث ذا أثر كبير في نشأة النصرانية. وليس هذا فحسب، بل إن أصابع الرومان واليونان ظاهرة في هذه الديانة المصنوعة.

إن السلطة الرومانية التي نمت في ظل سلطانها وصولجانها النصرانية وترعرت، كانت تبسط سلطانها في ذلك العصر على تلك البلدان التي تدين بالوثنية المبنية على التثليث، وتوالد الآلهة، وتقاتلها وتناحرها، وصراعاتها المستمرة على الألوهية، وفداء بعضها عن البشر وتكفيرها لخطاياهم. وقد نسج مشرعو النصرانية في الإمبراطورية الرومانية على منوال تلك الوثنيات، وأنقاضها، فأقاموا دينهم على التثليث، وأعانهم على ذلك قسطنطين. ومما يؤكد ذلك أن المصطلحات النصرانية في مجالات الاعتقاد والعمل، وألقاب رجال الدين ومناصبهم، كل ذلك مستعار من الرومان واليونان، وليس لذلك أية صلة بمهد الدين الموسوي ومصلطحات قوم عيسى الدينية. فكلمة القسيس، والبطريق، والأسقف، والشماس، والكاردينال وغيرها، ليست إلا مصطلحات وثنية رومانية ورثها النصارى. ولم يكن لها وجود أو ذكر في شريعة موسى، أو المصطلحات الدينية اليهودية، التي يدعي النصارى أنهم شركاء اليهود في الإيمان بها، وهذا من أوضح الأدلة وأظهرها على أن النصرانية اخترعت تحت رعاية الوثنية الرومانية. بل هي امتداد للوثنيات الأممية بشيء من التعديل والترميم.

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

وهذا التعديل والترميم لم ينفك عن النصرانية منذ ظهورها إلى الوجود على يد بولس في القرن الأول الميلادي حيث تقوم بدور التشريع زيادة ونقصا وتغييرا وتعديلا المجامع العديدة التي تنعقد لهذا الغرض. وكان من بينها مجمع نيقية الذي عقد سنة ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية المنعقد سنة ٣٨١م ومجمع أفسس الأول المنعقد سنة ٤٣١م وكان لهذه المجامع وأمثالها دور عظيم في تأسيس عقيدة التثليث، واعتبار قراراتها ملزمة لجميع النصارى. ولا يزالون يعقدون مؤتمراتهم المسكونية لهذا الغرض متى شاؤوا. ولقد تم عقد المؤتمر المسكوني في سنة ١٩٦٤م لتبرئة اليهود من دم المسيح، فأعطوهم البراءة مع أن أسلافهم لم يفعلوا ذلك في كل عصر ومصر. وقصدهم بالتبرئة تبرئة اليهود المعاصرين من جريمة القتل، لأنهم لم يباشروا قتله. وإنما آباؤهم الذين باشروا قتله هم المجرمون لا سواهم. وهنا سؤال يُطرح على النصارى إذا كانت عدالتكم قد برأت اليهود من دم المسيح إلا من باشروا قتله فلماذا لم يفعل الرب ذلك مع ذرية آدم حيث جرمهم بذنب لم يفعلوه إنما فعله أبوهم؟ وإذا كان الرب لم يجد سبيلا للغفران إلا بقتل ابنه الوحيد على الصليب، فكيف برأتم اليهود من دم المسيح بلا فداء، فإذا لم تجدوا ابنا آخر فلم لم تقدموا يوحنا بولس السادس منظم المؤتمر المسكوني السادس عام ١٩٦٤م قرباناً وفداء لقتلهم المسيح؟؟!!.

التثليث عند البراهمة (الهندوس)

كان البراهمة يؤمنون بثلاثة من الآلهة:

١ ـ براهما ٢ ـ سيفا ٣ ـ كرشنا

ويعتقد البراهمة أن الإله براهما كان قبل الوجود (الأزل). وأوجد العالم وسمى نفسه خالقا، ثم صدر عنه الإله (سيفا) الموكل بالخراب والدمار، والذي لو ترك وشأنه لأفنى السماوات والأرض ومن فيهن،

وحفظا على بقاء العالم وسلامته صدر عنه أي عن الإله براهما الإله (كرشنا)، الذي يحافظ على بقاء العالم، والذي قدم نفسه للصلب في سبيل بني الإنسان وتخليصهم وفدائهم[١].

ونرى من هذا بجلاء، أن التثليث البرهمي لا يختلف عن التثليث النصراني في عدده وهدفه، وكيفية صدور بعض هذه الآلهة عن بعض.

فكما يعتقد البراهمة أن سيفا وكرشنا صدرا عن الإله برهما، كذلك يعتقد النصارى صدور الابن والروح القدس عن الله.

وقيل إن البراهمة يؤمنون بإله واحد له ثلاثة جوانب:

فذلك الإله هو براهما باعتبار إيجاده العالم، وهو سيفا باعتبار تدميره للعالم، وهو كرشنا باعتباره محافظا على بقاء العالم[٢].

ثم إن النصارى يصهرون الثلاثة ويصبونها في قالب واحد، حتى تصبح إلها واحدا في ثلاثة أقانيم، ولم يرتضوا باستقلال بعضها عن بعض بعمل خاص، كما يقول ذلك البراهمة، وقد خدع النصارى أنفسهم حيث لم يفرقوا بين العدد الواحد وما فوقه من الأعداد في دينهم.

قال صاحب تفسير المنار: «قال موريس: (ص٣٥ من المجلد من كتابه: «الآثار الهندية القديمة» ما ترجمته: كان عند أكثر الأمم الوثنية البائدة تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي او الثالوثي، وقال دوان (في ص٣٦٦ من كتابه «خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى») إذا رجعنا البصر إلى الهند نرى أن أعظم وأشهر عبادتهم

---

(١) راجع كتاب: الله، للعقاد ص٧٦، وكتاب: الأديان والفرق، لعبد القادر شيبة الحمد ص٤٨، مجلة الأزهر ج - ٣ ص٨٩٥، وكتاب الأديان في القرآن للدكتور محمود بن الشريف ص٢٢٧، وما ذكره في صفحة ٢٢٨ نقلا عن كتاب: الأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد وافي، وانظر ص٢٣٠ منه أيضاً.

(٢) راجع مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبي، قسم المسيحية ص٩٠.

اللاهوتية هو التثليث، ويسمون هذا التعليم بلغتهم: «تري مورتي» وهي عبارة مركبة من كلمتين بلغتهم السنسكرتية. «تري»[1] ومعناها: ثلاثة. و«مورتي» ومعناها: هيئات أو أقانيم. وهي: «رهما وفيشنو، وسيفا» ثلاثة أقانيم متحدة، لا تنفك عن الوحدة، فهي إله واحد بزعمهم. وقد شرح المؤلف معنى هذه الأصول أو الأقانيم عندهم، وذكر أنهم يرمزون إليها بثلاثة أحرف وهي: (أ.و.م) وأنهم يصفون هذا الثالوث المقدس الذي لا ينقسم في الجوهر، ولا في الفعل، ولا في الاتحاد بقولهم: برهما الممثل لمبادئ التكوين والخلق ولا يزال خلاقا إلهيا وهو: «الآب». وفشنوا الذي يمثل حفظ الأشياء المكونة (أي من الزوال والفساد) وهو (الابن) المنبثق والمتحول عن اللاهوتية. وسيفا، هو المهلك والمبيد والمبدئ والمعيد (أي الذي له التصرف والتحويل في الكون) وهو (روح القدس) ويدعونه (كرشنا) الرب المخلص، والروح العظيم الذي ولد منه (فشنو) الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس. فهو أحد الأقانيم الثلاثة التي هي الإله الواحد... الخ ما قال، ومنه أنهم يرمزون للأقنوم الثالث بصورة حمامة. وهذه عين عقيدة النصارى في التثليث من كل وجه، فهي عقيدة برهمية وثنية، أخذها النصارى عن البراهمة، وصاروا يدعونهم أخيرا إليهم. وكان منتهى شوط أحد اليسوعيين في التفرقة بينهما، أن ثالوث البراهمة وأمثالهم نجس، وثالوث النصارى مقدس. فإذا قال لهم الوثنيون: الأمر بالعكس، فارجعوا إلى الأصل، ودعوا المبتدع، فبماذا يحجونهم؟

ثم يقول: والذي ظهر لي أن التوحيد هو أصل عقيدة البراهمة، وأن أول رسول إليهم وصف لهم الإله بثلاث صفات، هي التي تظهر بها حقيقة الألوهية، وهي: ١ ـ ما به الخلق والإيجاد. ٢ ـ الحفظ والإمداد. ٣ ـ التصرف والتغيير في عالم الكون والفساد. فلما طال عليهم الأمد، ودبت إليهم الوثنية، جعلوا لكل فعل من هذه الأفعال إلها، وجعلوا أسماء

---

(١) وهو في الإنجليزية كذلك يعني ثلاثة.

الصفات أسماء أقانيم وذوات. ولما كانوا ناقلين بالتواتر كلمة التوحيد وأن الله إله واحد، قالوا: إن الثلاثة واحد[١]، وكل واحد منها عين الثلاثة. وسرت هذه العقيدة إلى غيرهم من الوثنيين من الشرق والغرب. وللهنود تماثيل للوحدة والتثليث واحدا في دار العاديات التي بنتها الحكومة الهندية الإنجليزية في ضواحي مدينة بنارس (المقدسة عند البراهمة) وهو تمثال واحد له ثلاثة وجوه. ولعله هو الذي قال عنه موريس في (٣٧٢ من المجلد الرابع من كتابه آثار الهند القديمة): لقد وجدنا في أنقاض هيكل قديم قوضه مرور القرون صنما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، والمقصود منه الرمز للثالوث»[٢].

إن أسبقية عقيدة التثليث في الأمم المختلفة على التثليث النصراني أمر لا خلاف فيه بين علماء التاريخ والأديان وإن كنا لا نجزم بذلك في قبائل البانتو الأفريقية، حيثما لم تتوفر لنا معلومات عن تاريخ عقيدتها. وهذا يؤكد أن الوثنية النصرانية بنيت على أنقاض الوثنيات الأممية. ولعل ابتعاد بولس رسول النصرانية في دعوته المبتدعة من مهد ديانة التوحيد وشريعة التوراة إلى مهد الوثنيات في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، لعلمه أنه لا يتمكن من إقامة دين جديد إلا إذا اختلط بالوثنيين، واقتبس من نيرانهم، ودعاهم إلى دينه الجديد. ولما أدرك بعض المؤمنين خطورة ما يدعو إليه بولس ومخالفته لدين الأنبياء، فارقوه بعد أن صحبوه في الدعوة، ومن بينهم برنابا الذي زكاه عند تلاميذ المسيح حينما ادعى تحوله من عدو لدود لأتباع المسيح إلى مؤمن بالمسيح على أنه الرب المخلص، وليس

---

(١) ما أشبه هذا ببدعة عمرو بن لُحَي الخزاعي للعرب في الجاهلية حيث أضاف للتوحيد في التلبية قوله: «إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك» وذلك لعلمه أن عبادة الأصنام التي استوردها تنافي الوحدانية التي يجهرون بها في التلبية. وهو أيضاً عين ما فعلته النصارى حينما رأت أن تثليثهم ينافي التوحيد المصرح به في كتب العهدين قالوا: الآب والابن والروح القدس إله واحد.

(٢) تفسير القرآن الحكيم ج ـ ٦ ص٨٨ ـ ٨٩.

بشراً مرسلا. ولو قام بولس بدعوته في مهد دعوة التوحيد الذي جاء به المسيح في أورشليم لما أصغى إليه أحد.

يقول صاحب كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: «قال العلامة هوك: «ويعتقد الهنود «الوثنيون» بتجسيد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة». وقال العلامة مورنيور وليمس: «ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية. ومما يدل على ذلك، ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد الكياتري وهي: «إني مذنب، ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني أمي بالإثم، فخلصني ياذا العين الحندقوقية، يامخلص الخاطئين، يامزيل الآثام والذنوب». وقال العلامة داون ما نصه: «ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له ـ على رأيهم ـ تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها، وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه. قال العلامة القس جورج كوكس: «ويصفون (أي الهنود) كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا، لأنه قد شخصه ذبيحة، ويقولون: إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه. قال المسيو كونيو ما نصه: «يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة، أهمها أنه مات معلقا على شجرة سمر بها بضربة حرية. قال العلامة داون: «والمقصود من الشجرة «الصليب» وأن المستر مور قد صور كرشنا مصلوبا كما هو مصور في كتب الهنود، مثقوب اليدين والرجلين، ومعلق بقميصه صورة قلب إنسان»[١].

التثليث في الديانة البوذية في وضعها الأخير:

إن البوذية في بداية نشأتها لم تكن تعتقد بألوهية إله ما، بل كان بوذا نفسه فيما حكى عنه ينكر الألوهية، ويسفه من يقول بها. ويدعو إلى الزهد، والرياضة النفسية. ولا يهدف من وراء ذلك إلا إلى التخلص من

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٣١ ـ ٣٢.

سيطرة الأفكار الهندوسية التي تؤمن بالطبقات في ديانتها البرهمية، وتحرم على كل طبقة أن تتطلع للوصول إلى ما فوقها من الطبقات. وذلك لاعتقادها أن الإله الخالص «براهما» خلق الإنسان على طبقات:

الطبقة الأولى: طبقة البرهميين، فقد زعموا أنه خلقها من فمه ولذلك لا يكون رجال الدين إلا منها، وهم أصحاب نشر العلم والثقافة، ويتكون منهم القضاة، والحكام والمعلمون. وقد زعموا أن وجود هذه الطبقة مستمد من وجود الإله براهما الخالق. وهو المصدر الأعلى لها، ومآل هذه الطبقة الحلول والاتحاد في ذات الخالق[١]. وقد زعموا أن الخالق خلق هذه الطبقة من فمه.

الطبقة الثانية: طبقة الكشتريين. وقد تنسب إلى إحدى ولايات الهند التي تستوطنها وهي: «راجبوت» فيقال لها «الراجبوتية» وقد زعموا أن الإله خلقها من ذراعه، فهم الملوك الذين لا يحق لسواهم أن يحكم بلادهم. وهم حملة السلاح ومقدمو القرابين.

الطبقة الثالثة: طبقة الويش، وهذه الطبقة الزراع والتجار الذين يقومون بالإنفاق على المؤسسات الدينية والعلمية، وليس لها سوى ذلك.

الطبقة الرابعة: الشودرا، وهي التي ليس لها من الأعمال سوى خدمة الطبقات الثلاث، البرهميين والكشتريين، والويشيين. وهذه الطبقة تعتبر أدنى الطبقات درجة. فقد أوجبوا عليها أن تعيش خارج القرى غير مختلطة بغيرها، وغير مستخدمة سوى الأواني الفخارية، وملزمين أن يقتنوا من الحيوانات الحمير والكلاب، ويلبسوا أكفان الموتى، ويتحلوا بالحديد، ولا يختلطوا بغيرهم من الطبقات ولا يجوز لهم التجول ليلا[٢].

---

(١) انظر: فصول في أديان الهند، تأليف: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٥٥.

(٢) انظر: موسوعة الأديان السماوية والوضعية ج ـ ٣ ص٤٦ ـ ٤٩، وانظر أيضاً فصول في أديان الهند، ص٥٨ ـ ٦٣، وانظر مقارنة الأديان ج ـ ٤ أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي، ص٥٤ ـ ٦١.

هذا النظام الطبقي الجائر، فرضه الأقوياء الغالبون من الجنس الآري الغازي المحتل للبلاد على الضعفاء المغلوبين المقاومين للغزاة من أهلها. وذلك عقوبة على مقاومتهم للغزو الآري، ومنعا لهم عن التفكير في المقاومة مستقبلاً عن طريق وضع عقيدة دينية مقدسة يستسلم لها الجميع لأنها حكم من الإله الخالق لا يمكن أن يعارض. هكذا أوهموهم فصدقوهم حينا من الدهر.

غير أن النفوس التي خلقها الله عز وجل، وقسم بينها الإدراك والإحساس، والرغبة، والآمال، والآلام، لم تقتنع بهذا التشريع البرهمي الاستعماري الظالم أن يكون شريعة ربانية ملزمة للجميع. فقاوموا ما أمكن أن يقاوموا هذه العقيدة. ولئن هزموا في ميدان الحروب أمام الغزاة، فإن عقلاءهم لم يهزموا فكريا. ولعلمهم اليقيني أن مقاومتهم بالسلاح غير محققة للهدف، عمدوا على مقاومة الفكر بالفكر، والعقيدة بالعقيدة. فنشأت من أجل ذلك البوذية، حيث قام بوذا من أجل الوصول إلى هذه الغاية بثورته السلمية التحريرية. قام بوذا في وجه هذه العقيدة الجائرة ليخلص قومه من الخضوع للظلم الطبقي العنصري الذي فرض عليهم باسم الدين. فهجر أهله وماله ومنصبه وعشيرته، وهام على وجهه يتعبد ويتنسك في الغابات والمغارات والكهوف ليصل إلى الأسرار الكونية، ويصل إلى خباياها وخفاياها من الحقائق، وبعد فترة من الزمن سئم حياة الزهد والرهبنة التي لم يصل بها إلى مبتغاه، فقرر العودة إلى الطعام والشراب والكساء إذ تأكد لديه أن الذي كان يفعله غير مجد فتيلا[1].

وفي أحد الأيام مال بوذا إلى ظل شجرة في إحدى الغابات لتناول طعامه، وفي ظلها غير رأيه، فعزم على العودة نحو حياة الزهد وملازمتها، ولو أدى ذلك إلى تقطع عروقه، وانفصال أعضائه، ومن يومها عرف باسم

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الديني قبل الإسلام، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣، وانظر مقارنة الأديان ج ـ ٤ أديان الهند الكبرى، ص١٤١.

(بوذا) بعد أن كان اسمه الأصلي (سذهاتا)، وفي أيام تعبده عرف باسم: (جوتاما)[١].

وبعد أن مات بوذا بمرور الزمن اتخذت البوذية شكلا جديداً، وهو الإيمان بألوهية بوذا، وأنه الابن الإلهي المتجسد في الناسوت، وأنه المخلص للبشر والمكفر لذنوبهم، ويسمونه المسيح الذي قدم نفسه ذبيحة وفداءا لبني الإنسان.

والمعلوم أن بوذا مات حتف أنفه حتى أحرق أتباعه جثته ووزعوها في الأقاليم المتبعة له لتبنى المعابد الضخمة على رماده[٢]، ولا ندري متى كان بوذا ذبيحة وفداءا للبشر وصلب؟ إلا أن الشياطين في كل زمان ومكان يوحون إلى أوليائهم بالمتناقضات.

وهذه عين عقيدة النصارى في المسيح فهم يعتقدون بألوهيته وبنوته لله وتجسده في الناسوت، وبأنه قدم نفسه للصلب فداءاً للبشر، وإذا كان بين الفريقين فرق في هذه الأمور، فكل ما هنالك أن البوذية تعتقد بالتثنية، كما في مرحلة الانحراف الأولى للنصرانية، حيث اعتقدوا بألوهية الإله الأب وألوهية الإله الابن ولم يجمعوا على القول بالتثليث إلا بعد مجمع القسطنطينية المنعقد عام ٣٨١م. وكان النصارى بين مؤتمر نيقية الأول وهذا المؤتمر ثنائيين، وبعده كانوا ثلاثيين برهميين بعد أن كانوا ثنائيين بوذيين، بل الذي علم أن البوذيين في بعض البلدان كالصين يؤمنون بالثالوث المشابه لثالوث البراهمة، وثالوث النصارى.

قال في تفسير المنار: قال مستر فاير في كتابه: (أصل الوثنية): كما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفاً من براهما وفشنو وسيفا، نجد عند البوذيين ثالوثا، فإنهم يقولون: إن (بوذا) إله له ثلاثة أقانيم. وكذلك بوذيو (جينست)

---

(١) انظر مقارنة الأديان ج ـ ٤ ص١٤٢ والأديان والفرق ص٥٤ ـ ٥٥.
(٢) انظر مقارنة الأديان ج ـ ٤ ص١٥٤ والأديان والفرق ص٥٦.

يقولون: إن (جيفا) مثلث الأقانيم. قال: والصينيون يعبدون بوذا، ويسمونه (فو) ويقولون: إنه ثلاثة أقانيم، كما تقول الهنود، وذكر رمزهم: (أ.و.م)[١].

وهذا دليل يضاف إلى الأدلة السابقة يقوي وثنية عقيدة التثليث ووجودها السابق على وجود التثليث النصراني المنسوج على منوال ما سبقه من الوثنيات في الأمم.

التثليث في الأفلاطونية الحديثة:

كان أفلوطين زعيم الفلسفة الأفلاطونية الحديثة يؤمن بما يلي:

١ - يؤمن بوجود إله لا يوصف إلا بالسلوب، ولا يحتاج إلى موحد، بل هو الذي أفاض على الجميع نعمة الوجود.

٢ - ويؤمن بأنه صدر عن إله هذا العقل على سبيل التولد لا الخلق، ولهذا العقل قوة الإنتاج.

٣ - ويؤمن بأن الروح انبعثت عن هذا العقل لما له من قوة الإنتاج، والروح التي صدرت عن العقل هي وحدة الأرواح.

وعن هؤلاء الثلاثة معا صدر وتولد كل شيء في الوجود[٢].

وإذا تأملنا في هذا المذهب الأفلوطيني، ونظرنا إلى معايشته للمسيحية، في القرن الثالث الميلادي، وإلى الفترة الزمنية القصيرة التي تفصل بين عهد أفلوطين ومؤتمر نيقية الذي أقر القول بالتثنية، ومؤتمر القسطنطينية الذي دعا إلى التثليث، وجدنا أن الفارق الزمني بين مؤتمر نيقية وعهد أفلوطين خمسة وخمسون عاما، ومن عهده حتى مؤتمر قسطنطينية مائة وأحد عشر عاما، لأن أفلوطين، عاش بين فترة ٢٠٥ -

(١) تفسير القرآن الحكيم ج - ٦ ص٨٩ - ٩٠.

(٢) مجلة الأزهر ج - ٣٨ ص٨٩٤ - ٨٩٥.

٢٧٠م ومؤتمر نيقية كان في عام ٣٢٥م ومؤتمر القسطنطينية كان في سنة ٣٨١م وإذا أضفنا إلى هذ الأمور تلك المقاومة العنيفة التي أبداها رئيس كنيسة الإسكندرية لمعارضي فكرة ألوهية المسيح، وما قام به من دور في الدعوة إلى القول بألوهيته في مؤتمر نيقية الذي انعقد برئاسته، وفي مؤتمر صور الذي أجمع الحاضرون على مخالفة نتائج مؤتمر نيقية ونال فيه رئيس كنيسة الإسكندرية من المؤتمرين ضرباً مبرحاً لشذوذه عن الإجماع، بدا لنا جليا أثر الأفلاطونية في التثليث النصراني.

يقول إبراهيم خليل أحمد فيما نقل عنه في كتاب: (مناظرة بين الإسلام والنصرانية): إن التثليث في حقيقته ليس إلا فلسفة ظهرت في مدينة الإسكندرية قبل ظهور المسيح عيسى بن مريم، إذ كانت الفلسفة الأفلوطينية الحديثة تقرر أن المسيطر والمهيمن على العالم ثلاث قوى هي: العقل - اللوجوس - الروح ومن هذه الفلسفة جاءت إضافة في: (إنجيل متّى ٢٨:١٩): «فذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس». ونجد في هامش الكتاب المقدس توضيحاً يقول: «لم تكن هذه العبارة موجودة في النسخة الأصلية اليونانية». ومما يؤكد أن هذه الإضافة مستحدثة قول المسيح لتلاميذه كما جاء في إنجيل متّى (١٠: ٥ - ٧): «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون كرروا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات». لقد حصر المسيح رسالة تلاميذه في بني إسرائيل، وهو نفسه قد حصر رسالته في بني إسرائيل إذ قال في إنجيل (متّى ٢٤:١٥): «أجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[١].

ونظرنا كذلك ما قام به خلفه في مؤتمر القسطنطينية من الدعوة إلى القول بألوهية روح القدس، وجدنا من هذا كله مدى تأثير الأفلاطونية

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٤٩ - ٢٥٠.

الحديثة في نشأة الديانة النصرانية. لإن اختلف ثالوث الأفلاطونية عن ثالوث النصرانية فلأن الأفلاطونية مذهب فكري، والنصرانية مذهب ديني.

يقول الدكتور أحمد شلبي: «وخلاصة مذهب أفلوطين أن في قمة الوجود «الواحد» أو «الأول». وهو جوهر كامل فياض، وفيضه يحدث شيئا غيره وهو مبدأ الوجود، والشيء المحدث عنه؛ «عقل» شبيه به، وهذا يفيض بدوره فيحدث صورة منه هي «نفس» فتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر. أو بعبارة سهلة موجزة، ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة»[١].

هذا مذهب أفلوطين الإسكندري، ولعل مدرسته هي التي أثرت على النصرانية أكثر من غيرها، وذلك لأمور منها:

١ ـ ذلك الموقف الذي وقفه رئيس كنيسة الإسكندرية في مؤتمر نيقية[٢]، وصور[٣]، وخلفه في مؤتمر القسطنطينية[٤]، مما يدل على أنهم تشبعوا بفكره ومذهبه.

٢ ـ وذلك التقارب الزمني والمكاني بين عهد أفلوطين وعهد التثليث النصراني وبين الإسكندرية والقدس وما حولها من الأماكن التي تتركز فيها النصرانية.

٣ ـ تلك المقدمات الفلسفية التي أبداها رئيس كنيسة الإسكندرية في مؤتمر القسطنطينية الأول وبنى عليها تكفير ولعن من قال بأن الروح القدس مخلوق حيث قال: «ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته. فإذا قلنا إن روح القدس

(١) مقارنة الأديان ج ـ ٢ المسيحية ص ٩٥ ـ ٩٦.
(٢) سنة ٣٢٥م واسمه الاسكندر.
(٣) سنة ٣٢٥م، واسمه أثناسيوس.
(٤) سنة ٣٨١ وقد خلف الإسكندر على كرسي الإسكندرية أثناسيوس سنة ٣٢٨م.

مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن»[1].

(١) الشيخ الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية ص١٣٣.

تثليث التاويين[1] في الصين

التاويون جماعة دينية صينية تتبع رجلا يدعى: لاوتزي، أنشأ نحلة في القرن السادس قبل الميلاد عرفت بالتاوي أو الطاوية. يحكى عن أتباع هذه الملة أنهم يؤمنون بعقيدة التثليث على نحو ما يؤمن به غيرهم من الوثنيين.

قال في تفسير المنار: «وقال داون (في ١٧٢ من كتابه خرافات التوراة...الخ): وأنصار لاوكومتذا الفيلسوف الصيني الشهير ـ وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمائة (٦٠٤) يدعون: (شيعة تاوو) يعبدون إلها مثلث الأقانيم. وأساس فلسفته اللاهوتية، أن (تاوو) وهو العقل الأول الأزلي، انبثق منه واحد، ومن الثاني انبثق ثالث، وعن هذا الثالث انبثق كل شيء. وهذا القول بالتولد والانبثاق، أدهش العلامة موريس لأن قائله وثني»[2].

التثليث في قبائل البانتو الأفريقية:

قبائل البانتو الأفريقية تؤمن بثلاثة أنواع من الآلهة:

١ ـ ميزيمو ٢ ـ بيبو ٣ ـ مولنجو

---

(١) نسبة إلى ديانة أنشأها رجل صيني ولد في سنة ٦٠٤ ق.م في قرية من قرى الصين تسمى (كيوه جن) في منطقة: (اوو) يزعم اتباعه أن أمه حملت اثنين وثمانين عاما فولد شيخا مسنا أبيض الشعر. ثم لقب بـ «لاوتزي» أي الكبير المجرب. انظر كتاب التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص١٢٩ ـ ١٤١ وتعرف هذه الديانة بالتاوية أو الطاوية.

(٢) تفسير القرآن الحكيم ج ـ ٦ ص٨٩ ـ ٩٠.

يقول عباس محمود العقاد في بيان ذلك[1]:

١ - نوع هو بمثابة الأطياف الإنسانية الراحلة وهو الذي يسمونه (ميزيمو).

٢ - ونوع هو أرواح لم تكن قط في أجساد البشر، وهو الذي يسمونه (بيبو) ويزعمون أنه قابل للتفاهم والاتصال بالعرافين والحكماء.

٣ - ونوع مفرد لا جمع له، وليس من الأطياف ولا من الأرواح المتعددة ويسمونه (مولنجو).

وهؤلاء وإن لم يقولوا كالنصارى بالانصهار والاندماج بين الثلاثة في قالب واحد، فقد قالوا بالثلاثة، والثلاثة هي موضع الالتقاء بين الفريقين.

وبهذا العرض يتضح بجلاء أن جوهر ومقوم العقيدة النصرانية في ضوء ما انتهت إلينا اقتباس شديد ونقل غير أمين لتحريف دين الأصل فيه أنه كان على يد المسيح (عيسى بن مريم عليه السلام) رحمة ونورا وهداية. وتوحيداً للذات وإقراراً بافرادها وحدها بالعبودية، والرضوخ لمشيئته والعمل وفق شرعه.

(١) كتاب: الله، للعقاد ص٣١. وانظر كتاب الأديان في القرآن لمحمود بن الشريف: ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

الفصل الخامس عشر

- اضطراب المنهج الإنجيلي بالزيادة والنقصان
- نماذج من اضطراب المنهج
- نماذج هندية ونظيرها في النصرانية
- المبادئ البابلية والمبادئ النصرانية

اضطراب المنهج الإنجيلي بالزيادة والنقصان

بعد أن برهنّا واثبتنا بالأدلة القطعية تضارب المتن في النصوص الإنجيلية، فضلاً عن انقطاع سندها، نأتي هنا بإضافة علمية نتكئ فيها على نصوص الأناجيل لنبرهن على أن المنهج الإنجيلي في الرواية يفتقد الوحدة الموضوعية، سواء بإيراد التناقضات، أو بإيراد الزيادة في المعلومات، أو الإخلال بها نقصاً وحذفاً، ، أو إهمالاً وغفلة ونسياناً، وانقطاع السند في الأناجيل يفعل كل ما يحار معه العقل وتسقطه المنهاجية العلمية، وذلك مثل ما جاء في خاتمة إنجيل متى من أوامر وتوجيهات ينسبها متى للسيد المسيح والتي يقول فيها:

(اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وهاأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر)[1].

ويعتقد البعض أن هذه الخاتمة دخيلة على هذا الإنجيل - إنجيل متى - بمعنى أنها لم تكن منه في وقت ما، ومن أولئك د.أدولف هرنك[2]، وهو يرجع السبب في ذلك الشك إلى الآتي:

أ - لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم

---

(١) متى ١٩:٢٨.

(٢) أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين، ويعتبر واحداً من أكبر العلماء في التاريخ الكنسي، له أبحاث ومؤلفات عديدة من أهمها كتاب « تاريخ العقيدة» والذي يقع في سبعة أجزاء.

عن المسيح وهو يلقي مواعظه، ويعطي تعليماته ـ وذلك بعد قيامته من الأموات.

ب ـ إن صيغة التثليث هذه (التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس) ـ والتي وردت في النص السابق ـ غريب ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل[١].

فهاهو واحد من علمائهم ومؤرخيهم يعترف بزيادة خاتمة إنجيل متى، والتي نقلناها نصاً ـ فيما سلف ـ وليس هذا فحسب بل هو يعلل للشك في هذا النص بأنه لم يرد ـ إلا مؤخراً ـ بأن المسيح ـ عليه السلام ـ ألقى مواعظه وتعليماته بعد قيامته من قبره ـ كما يعتقدون ـ وهذا دليل على أن هذا النص ـ كما يرى المؤرخ ـ مضاف إلى هذا الإنجيل ولم يكن منه، كما أن صيغة التثليث التي وردت في سياق هذا النص على لسان السيد المسيح ليس لها ذكر ولا حتى في عصر رسل المسيح ـ عليه السلام ـ.

وكذلك من اضطراب المنهج الإنجيلي بالزيادة في متن الأناجيل، والأصل فيها أنها وحي للرسل، ما ورد في قصة شفاء المسيح ـ عليه السلام ـ للرجل المجنون، فيلاحظ أن هذه القصة وردت بنفس التفاصيل في مرقص وفي لوقا وفي متى، إلا أن متى قد زاد فيها فجعل بدلاً من كونه مجنوناً واحداً فقد ضاعفه إلى اثنين!!

فالاختلاف في هذه القصة بين مرقص ولوقا من جهة وبين متى من جهة أخرى، ولا يمكن التبرير هنا ولا قبوله عقلاً ومنهجاً بأنه كان واحداً، ثم أضيف إلى الواقعة آخر فتستقيم الرواية، فالواقعة في موقف واحد، وحادث واحد.

يقول مرقص: (ولما خرج «يسوع» من السفينة للوقت استقبله من

(١) تاريخ العقيدة ١/ ٧٩، ط٣، نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقيدة المسيحية) ص٦١، ط١.

القبور إنسان به روح نجس، كان مسكنه في القبور ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل، لأنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود فلم يقدر أحد أن يذلله، وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال وفي القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة، فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، وصرخ بصوت عظيم وقال: ما لي ولك يا يسوع بن الله العلي، أستحلفك بالله أن لا تعذبني، لأنه قال له: اخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس، وسأله ما اسمك؟، فأجاب قائلاً: اسمي لجئون لأننا كثيرون، وطلب إليه كثيراً أن لا يرسلهم إلى خارج الكورة، وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى، فطلب إليه كل الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير، لندخل فيها، فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير فاندفع القطيع من على جرف إلى البحر وكان نحو ألفين فاختنق في البحر، وأما رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى، وجاؤوا إلى يسوع فنظروا المجنون الذي كان فيه المجنون جالساً ولابساً وعاقلاً فخافوا، فحدثهم الذين رأوا كيف جرى للمجنون وعن الخنازير، فابتدءوا يطلبون إليه أن يمضي من تخوفهم، ولما دخل السفينة طلب إليه الذي كان مجنوناً أن يكون معه، فلم يدعه يسوع بل قال له: اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك فمضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع فتعجب الجميع)[1].

واللافت للنظر أن نفس القصة جاءت عند لوقا بتفصيل شديد مثلما هي عند مرقص، لكن بلغة وسياق وحوادث مضافة، فماذا قال لوقا عن نفس الحادثة التي رواها مرقص؟؟

يقول لوقا: (ولما خرج «يسوع «إلى الأرض استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل

(١) مرقص ٥: ٢ ـ ٢٤.

في القبور، فلما رأى يسوع صرخ وخر له وقال بصوت عظيم: ما لي ولك يا يسوع بن الله العلي، أطلب منك أن لا تعذبني، لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان، لأنه منذ زمان كثير يخطفه، وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً، وكان يقطع الربط ويساق من الشيطان إلى البراري، فسأله يسوع قائلاً: ما اسمك، فقال: لجئون، لأن شياطين كثيرة دخلت فيه، وطلب إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى في الجبل، فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها، فأذن لهم، فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير فاندفع القطيع من على جرف إلى البحيرة واختنق، فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى وجاءوا إلى يسوع، فوجدوا الإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً جالساً عند قدمي يسوع، فخافوا، فأخبرهم أيضاً الذين رأوا كيف خلص المجنون، فطلب إليه كل جمهور كورة الجدريين أن يذهب عنهم، لأنهم اعتراهم خوف عظيم، فدخل السفينة ورجع، أما الرجل الذي خرجت منه الشياطين فطلب إليه أن يكون معه، ولكن يسوع صرفه قائلاً: ارجع إلى بيتك وحدث بكم صنع الله بك)[١].

والقصة نفسها جاءت عند متّى على الوجه التالي:

(ولما جاء إلى العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق، وإذا هما قد صرخا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع بن الله، أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا، وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى، فالشياطين طلبوا إليه قائلين: إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير، فقال لهم: امضوا فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه، أما الرعاة فهربوا ومضوا

(١) لوقا ٨: ٢٧ ـ ٤٠.

إلى المدينة وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنونين، فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع، ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم)[١].

وبتأمل بسيط وتدبر أبسط يستطيع قارئ هذه النصوص الثلاثة في حادثة واحدة سواء أكان ذلك القارئ إنجيلياً، أو غير إنجيلي أن يرى النصوص الثلاثة السابقة من الأناجيل الثلاثة المذكورة واضح، بين فيها الاختلاف والتباين، بحيث يتعذر قبول المتن على أنه وحي إلهي، فمرقص ولوقا اعتبرا الإنسان الذي شفي من الجنون شخص واحد، بينما متى قد زاد في العدد فجعلهما اثنين من المجانين بدلاً من واحد، والمفسرون من رجال اللاهوت وغيرهم لا يجدون تبريراً أو تفسيراً معقولاً لبيان تلك النصوص، وكذلك الحال في تفسير مرقص[٢].

أما في تفسير إنجيل متّى فقد علل المفسر تلك الزيادة بأن متى يتكلم كشاهد عيان يقول:

(القديسان مرقص ولوقا يذكران مجنوناً واحداً فقط، والقديس متى يتكلم كشاهد عيان متفقاً معهم في مضمون القصة وهما يتكلمان عنه كالشخص البارز في الحادثة في ذلك الوقت والذي عرف بصورة أوضح فيما بعد. ثم يقول: إن القصة في شكلها العمومي مخيفة وكل بشير كتب عنها بصورة تميز بها)[٣].

أما مفسر إنجيل لوقا فقد قال محاولاً التعليل لذلك:

(ومتّى يذكر اثنين، وذلك لأن متى يتكلم إلى اليهود الذين كانوا يعتبرون الناموس، الذي يقول ان كل كلمة تقوم على فم شاهدين أو ثلاثة، ولذلك فهو يذكر دائماً شاهدين هنا مجنونان، وفي حادثة أخرى أعميان، ويذكر مرقص ولوقا واحداً على أساس أن ما ينطبق على الواحد ينطبق على

(١) متى ٨: ٢٨ ـ ٢٤.
(٢) تفسير إنجيل مرقص (وليم باركلي) ط دار الجيل، ص١٥٣.
(٣) لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص٧٨.

الآخر، وقد ذكراه فقط لأنه كان أكثر هياجاً من الآخر وأكثر شهرة، كما أنه رجع ليشكر الرب يسوع على شفائه إياه)[1].

وكذلك نجد أن مفسر إنجيل متّى يذكر أن متى يتحدث كشاهد عيان، إذاً هو يرجح صحة رواية متى، ثم يحاول التعليل لروايتي مرقص ولوقا بأنهما يتحدثان عن شخص واحد لأنه الشخص البارز في الحادثة، ثم يعود فيقول:

(إن القصة في شكلها العمومي مخيفة، وكل بشير يكتب عنها بصورة تميز بها).

فكأن كلاً منهم كتب ما يناسبه، أو ما يحلو له دون التحري لصحة ما يقوله. والحقيقة أنه لا بد حتى في النص الأدبي فضلاً عن نصوص الوحي وإلهامه من أن يكون النص لكي يستحق التصديق، علاوة على التقديس وتحري الحق وضبطه بدقة كيفما كان لا يتناقض مع غيره في ذات موضوعه.

أما مفسر إنجيل لوقا فهو يعلل زيادة متى في العدد في هذه الواقعة بأنه يتحدث إلى اليهود، ونحن نقول:

إن المتحدث يجب أن يذكر الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة ـ ولا سيما إذا كان هذا النص سيوضع في كتاب مقدس ـ بغض النظر عما إذا كان الخطاب لليهود أو لغيرهم من الأمم.

لكن اللافت للنظر أن المفسرين اللاهوتيين يعللون لروايتي مرقص ولوقا بذكر المجنون الواحد في هذه الحادثة بقولهم: إن ما ينطبق على الواحد ينطبق على الآخر، ولأن المذكور كان أكثر هياجاً من الآخر وأكثر شهرة وأنه رجع ليشكر الرب على شفائه. وهذا كلام لا يستقيم لا في عقل

(١) جمع وتقديم (هلال موسى) ط١٩٧٠، ص١٤٣.

ولا في منطق، إذاً فمفسر إنجيل لوقا لم يرجح نصاً آخر، والتعليلات التي تساق لا ترقى إلى القبول، وحتى تعليله لا ينجي عن هذه النصوص الاتهام والتحريف والزيادة لأن كون ما ينطبق على أحدهما ينطبق على الآخر، مع شهرة المذكور في رواية متى ـ وشكره للرب على شفائه .... كل هذا لا يمنع من التحري والتدقيق في ذكر الحقيقة كما هي من كونه شخصاً واحداً أم أكثر حتى يستقيم أمر النص الإنجيلي، ويصبح مقبولاً عقديا وعلمياً وتاريخياً. لكن الأمر غير ذلك تماماً.

وهنا سؤال يطرح نفسه: كيف يمكن قبول رواية متى في هذه الحادثة؟ أو كيف يمكن بكل وسائل التعبير اللغوي أو الكهنوتي التوفيق بين اعتبار متى أول الأناجيل في الترتيب والتدوين وبين القول بأنه يزيد في العدد أثناء ذكره لروايات اشترك مع بعض الأناجيل في روايتها(١)؟؟!!

والأصل منهجياً أن متّى باعتباره أول الأناجيل يجب أن يكون مصدرا لكل ما جاء بعده، أو حتى من عاصره وأخذ منه، لكن من العلماء من يجيب على هذا التساؤل: بأن هناك مؤرخين ومحققين مسيحيين يرون أن الإنجيل المنسوب إلى مرقص هو أول الأناجيل الأربعة المعتمدة تدويناً، وأن تدوينه كان بعد ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ بثمانٍ وستين عاماً.

ومن أمثلة التناقض والتباين في المنهج الإنجيلي، وعدم سلامة النص وتباينه واضطرابه(٢)، ما اتفق عليه بعض العلماء والمؤرخين والمفسرين

---

(١) انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة للدكتورة سارة بنت حامد محمد العبادي ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) لا يشفع في تبرئة الأناجيل من تهمة انقطاع واضطراب المتن ما يبذله علماء الكنيسة عبر التاريخ من محاولة البعض منهم الرد على مثل ما نذكره وغيرنا من تناقص واضطراب وفساد في النبأ والمعتقد ومن مثل هذه الجهود الكنسية ما كتبه الدكتور القس منيس عبد النور في كتابه: شبهات وهمية حول الكتاب المقدس. صادر عن كنيسة قصر الدوبارة ٧ شارع الشيخ ريحان ـ غاردن سيتي مصر عام ١٩٩٢م.

حتى المسيحيين منهم من زيادة في خاتمة إنجيل مرقص، فخاتمة إنجيل مرقص التي تتكلم عن ظهور المسيح من ٩ إلى ٢٠. ليست من عمل مرقص كاتب ذلك الإنجيل، ولكنها إضافات أدخلت إليه حوالي عام ١٨٠م - أي بعد أن سطر مرقص إنجيله بنحو ١٢٠عاماً - ولم تأخذ أي صورة قانونية إلا بعد عام ٣٢٥م[1].

أما نص خاتمة إنجيل مرقص - المشكوك في إضافتها - فهي كما يلي:

(وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهرا أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون، فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا.وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين.

أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم؛ لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تجعل المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة، ويحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.

ثم إن الرب بعد مأكلهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله، وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة)[2].

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب ص٢٩٣، ٢٩٤ ط١.
وأيضاً الدكتورة سارة العبادي في المصدر السابق ص ١٣٥ - ١٤٥.

(٢) إنجيل مرقص الإصحاح ١٦: الفقرات ٩ - ٢٠.

ويقول د.وليم باركلي مفسر الإنجيل عند التعليق على هذا النص:

(إن إنجيل مرقص ينتهي إلى عدد ٨ من هذا الإصحاح، أما عدد ٩.٢٠ فلم نجده في المخطوطات القديمة الموثوق بها، ويلوح أن أحدهم قد لخص عمل الكنيسة وحياتها ووضع هذا الملخص ليكون بديلاً عن تلك النهاية المبتورة)[١].

ويقول في مقدمة تفسيره لهذا الإنجيل:

(هناك حقيقة مثيرة في إنجيل مرقص، وهي أنه يتوقف في نسخته الأصلية إلى عدد ١٦:٨، أما الأعداد الباقية (٩:١٦.٢٠) فليست موجودة في أقدم النسخ وأصحها، كل ما هنالك هو أنها وجدت مؤخراً في نسخ أقل قيمة ومتأخرة في ترتيبها الزمني، كما أن أسلوبها اللغوي يختلف عن بقية الإنجيل، حتى إنه يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الإنجيل، ومن الناحية الأخرى نجد أنه من غير المعقول أن يتوقف عند ١٦:٨ فهي نهائية فجائية تعسفية، ولهذا فأمامنا أحد احتمالين:

الأول: إما أن يكون مرقص قد استشهد قبل أن يتم كتابة إنجيله وهذا بعيد الوقوع.

الثاني: إما ـ وهذا أقرب الاحتمالين ـ أن تكون النسخة الأصلية قد بلي جزؤها الأخير، فلقد جاء وقت فيه أهملت الكنيسة إنجيل مرقص وفضلت عليه إنجيلي متى ولوقا، ومن الجائز جداً أن جميع نسخ هذا الإنجيل قد ضاعت ولم تبق منها سوى نسخة واحدة بلي جزؤها الأخير، فإذا كان الأمر كذلك فلقد كانت الكنيسة إذن في خطر، فَقَد فُقِدَ أهم إنجيل كتب عن حياة ابن الله الذين يقولون به (!!)[٢].

---

(١) تفسير إنجيل مرقص،ط دار الجيل ص٤٣٠، ٤٣١. نقلاً عن الدكتورة سارة العبادي في المصدر السابق ص١٤٢ ـ ١٥٢.

(٢) تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقص) تعريف: القس فهيم عزيز، ط دار الجيل، ص١٤، ١٥.

وفي تقرير ذلك والتأكيد عليه يقول (دنيس أريك نينهام) أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة «بيلكان «لتفسير الإنجيل إنه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩، ٢٠) تظهر في أغلب النسخ الموجودة لدينا من إنجيل مرقص (مثل النسخة المعتمدة وما يناظرها) إلا أن النسخة القياسية المراجعة معيبة دائماً في اعتبارها غير شرعية.

إن العالم الكاثوليكي الكبير «لا جرانج» واضح تماماً في قوله: إنه بالرغم من قانونيتها (أي أنها جزء من الكتاب المقدس) فإنها ليست قانونية بالمعنى الحرفي (أي ليست من عمل القديس مرقس)، وتقوم وجهة النظر التي تتطابق وآراء العلماء الآخرين على ثلاثة أسباب رئيسية هي:

إن بعض أفضل النسخ من إنجيل مرقص تنتهي عند ١٦:٨، وبعض النسخ الأخرى تتفق معها في حذف الأعداد٩، ٢٠ لكنها تعطي بدلاً من ذلك الفقرة الآتية: (لكنهم نقلوا باختصار إلى بطرس وأولئك الذين كانوا معه كل ما أخبروا به، وبعد هذا فإن يسوع نفسه أصدر عن طريقتهم من الشرق إلى الغرب الإعلان المقدس الخالد للخلاص الأبدي).

والجدير ذكره في هذا المقام أن نشير إلى أن كبار العلماء في القرن الرابع مثل إيزيبوس وجيروم يشهدون بأن هذه الأعداد كانت ساقطة من أفضل النسخ الإغريقية المعلومة لديهم، وقد اقتبس منها مرة واحدة فقط ـ أو مرتين على الأكثر ـ في كل المؤلفات التي كتبت عام ٣٢٥م.

والأكثر حسماً مما سبق هو أن أسلوب تلك الأعداد، ومفردات اللغة التي كتبت بها تغلب عليها مفردات وسياقات أسلوب القرن الثاني، وهو شيء يختلف تماماً عما كتب به القديس مرقص بعض فقرات إنجيله.

«إن هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها بالضبط، ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من إنجيل مرقص حوالي عام ١٨٠ م»[1].

---

(١) تفسير إنجيل مرقص ص٤٤٩، ٤٥٠ نقلاً عن (المسيح في مصادر العقيدة المسيحية) للمهندس أحمد عبد الوهاب ص٢٩٤ ط ١.

ويقول جون فنتون:

(على حسب معلوماتنا فإن إنجيل مرقص الذي كان بين يدي متى، قد انتهى عند ١٦:٨، وعلى هذا فإن ظهور يسوع للنساء في إنجيل متى ٢٨:٩ قد أضافه متى[1].

إذاً فخاتمة إنجيل مرقص مشكوك في صحتها، بل يرجح العلماء والمؤرخين أنها مزيدة عليه وهي إحدى عشرة فقرة، وهاهم ثلاثة من المفسرين اللاهوتيين يعترفون بذلك.

وكذلك من صور التضارب والتناقض التي تدل على اضطراب المنهج الإنجيلي العقدي وعدم استقامة نصوصه قصة الأعمى الذي طلب الشفاء فشفي وعاد إليه بصره، وقد تكررت هذه القصة في كل من مرقص ولوقا ومتى ولكن متى قد زاد العدد ـ كما هي العادة ـ فجعل بدلاً من الأعمى الواحد أعميين اثنين.

وهذه الرواية كما هي عند مرقص جاءت على الوجه التالي:

(وجاءوا إلى أريحا، وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالساً على الطريق يستعطي، فلما سمع أنه يسوع الناصري ابتدأ يصرخ ويقول: يا يسوع بن داود ارحمني، فانتهره كثيرون ليسكت فصرخ أكثر كثيراً: يا بن داود ارحمني فوقف يسوع وأمر أن ينادي، فنادوا الأعمى قائلين له: ثق قم هوذا يناديك، فطرح رداءه وقام وجاء إلى يسوع، فأجاب يسوع وقال له: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال له الأعمى: يا سيدي أن أبصر، فقال له يسوع: اذهب، إيمانك قد شفاك، فللوقت أبصر وتبع يسوع في الطريق)[2].

أما نص لوقا فهو كما يلي:

---

(١) تفسير إنجيل متى ص٤٤٩، نقلاً عن (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) ص٢٩٥.

(٢) مرقص ١٠: ٤٦ ـ ٥٢.

(ولما اقترب من أريحا كان أعمى جالساً على الطريق يستعطي، فلما سمع الجمع مجتازاً سأل ما عسى أن يكون هذا؟ فأخبروه أن يسوع الناصري مجتاز، فصرخ قائلاً: يا يسوع بن داود ارحمني، فانتهره المتقدمون ليسكت، أما هو فصرخ أكثر كثيراً: يا ابن داود ارحمني، فوقف يسوع وأمر أن يقدم إليه، ولما اقترب سأله قائلاً: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال: يا سيد أن أبصر، فقال له يسوع: أبصر إيمانك قد شفاك، وفي الحال أبصر وتبعه وهو يمجد الله، وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله)[١].

أما رواية متّى فهي كما يلي:

(وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير، وإذا أعميان جالسان على الطريق، فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين: ارحمنا يا سيد يا ابن داود، فانتهرهما الجمع ليسكتا فكانا يصرخان أكثر قائلين: ارحمنا يا سيد يا ابن داود، فوقف يسوع وناداهما وقال: ماذا تريدان أن أفعل بكما؟ قالا له: يا سيد أن تنفتح أعيننا، فتحنن يسوع ولمس أعينهما، فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه)[٢].

وعند ملاحظة هذه النصوص الثلاثة نجد أن مرقص ذكر اسم الأعمى الذي طلب الشفاء من يسوع (بارثيماوس)، أما لوقا فقد ذكر أنه أعمى جالساً يستعطي ولم يذكر اسمه، أما في متى فقد زاد العدد فجعل الأعمى الواحد، والذي قد ذكر في مرقص وفي لوقا جعلهما أعميين في إنجيله، وذكر بأن يسوع لمس أعينهما فأبصرا بخلاف روايتي مرقص ولوقا فإنهما أبصرا دون لمس يسوع، وبلا شك هذا الاختلاف دليل على التحريف.

وعند الرجوع إلى التفاسير نجد أن مفسر إنجيل مرقص لا يذكر هذا الاختلاف فمن باب أولى لم يذكر تعليله[٣]....

---

(١) لوقا ١٨: ٣٥ ـ ٤٢.

(٢) متى ٢٠: ٢٩ ـ ٣٤.

(٣) د. وليم باركلي، ط دار الجيل ص٣٠٩ ـ ٣١١.

أما مفسر إنجيل متّى فلم يزد على أن قال: لقد كان الأعمى المجتاز الذي يظهر أنه تكلم عن نفسه وعن زميله[١].

أما مفسر إنجيل لوقا فيقول:

(يذكر البشير لوقا أن الرب شفى هذا الأعمى عند اقترابه من أريحا، ويذكر البشير متى شفاء أعميين عند خروجه من أريحا، ويذكر البشير مرقص أنه شفى بارثيماوس الأعمى عند خروجه من أريحا، ولا شك أنه كان هناك ثلاثة عميان، قابل الرب أحدهم عند اقترابه من أريحا، والاثنان الآخران، وأحدهما بارثيماوس قابلا الرب عند خروجه من أريحا، ويذكر البشير متى أعميين لأنه يكلم اليهود ويشهد لهم عن الرب، والشهادة تقدم على فم شاهدين، ويذكر البشير لوقا أعمى واحداً كمثل لقوة الإيمان يذكره على سبيل المثال لا على سبيل الحصر)[٢].

ويحاول المفسر الإنجيلي التعليل لذلك الاختلاف والتباين في الرواية بالزيادة في متى فيقول: لا شك أنه كان هناك ثلاثة عميان مع أن القصة تتكرر في روايات الأناجيل الثلاثة بتفاصيلها فهي حادثة واحدة قد تكرر ذكرها، إلا أن متى زاد في العدد ـ كما هي العادة ـ ثم يعود المفسر ليناقض نفسه فيقول: يذكر البشير متى أعميين لأنه يكلم اليهود ويشهد لهم عن الرب، فهو عندما أراد التعليل للاختلاف بوجود ثلاثة عميان طلبوا الشفاء من يسوع، فإنه هنا يذكر تعليلاً آخر وهو أن متى ذكر في روايته أعميين لأنه يخاطب اليهود، وقد قلنا سابقاً إنه لا بد من تحري الحقيقة وذكرها سواء كان الخطاب لليهود أم لغيرهم....

ويقول أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة «بليكان» لتفسير الإنجيل «دنيس أريك نينهام»:

---

(١) لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص١٩٣.

(٢) تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم هلال موسى، ط عام ١٩٧٠، ص٢٧٧.

(أن القديسين متّى ولوقا عندما كانا يكتبان فقد وضعا أمامهما نسخاً من إنجيل مرقص، وأنهما أدمجا في الغالب كل ما في ذلك الإنجيل في إنجيليهما[١].

ويقول «د. فريدرك كلفتن جرانت «أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك: (أنه عند المقارنة نجد أن ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقص توجد في إنجيل متى وأن ٥١٪ منها توجد في إنجيل لوقا، كما أن أغلب كلمات مرقص بنصوصها تظهر في هذا وذاك، ولا يوجد سوى ٣١عدداً من مجموع أعداد مرقص التي تبلغ ٦٦١ أسقطها كل من متى ولوقا)[٢].

وقد صاحب عملية النقل هذه التحريف لألقاب المسيح ولأقواله وأقوال تلاميذه كما رواها مرقص، وتتضح هذه الظاهرة عند مقارنة الفقرات المتماثلة وخاصة بين إنجيلي مرقص ومتى.

وأيضاً من صور اضطراب المنهج وتناقضه، فساد المتن الإنجيلي وعدم استقامة روايته في نقل الخبر الواحد والحادثة الواحدة في الزمن الواحد، ومثل هذه التهافتات لا تستقيم في لغة الوحي الإلهي، ولا في منطق العقل السوي، ومن ذلك مثلاً ما يرويه متّى من أنه: (ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً: من يقول الناس أني أنا ابن الإنسان، فقالوا: قوم يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء، قال لهم: وأنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي)[٣].

---

(١) تفسير إنجيل مرقص ص ١١، نقلاً عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٩٥ ط١.

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها ص ١١٧، نقلاً عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٩٥.

(٣) متى ١٣:١٦ ـ ١٧.

والزيادة المشار إليها هنا والتي في رواية متى هي إجابة بطرس: (أنت هو المسيح ابن الله الحي)، فإن صح ما يقال بأن متى نقل عن مرقص فإنه قد زاد ـ بلا شك ـ في هذه الرواية، لأن كلا الروايتين متماثلتين إلا أن متّى قد زاد في روايته تلك الجملة المذكورة فكان ذلك تحريفاً بالزيادة ودليلاً على عدم مصداقية رواية متى، ومن ثم سقوط عصمة إنجيل متى، وعدم وجود علاقة بينه وبين إلهام الوحي الإلهي.

وإذا ما تركنا تهافتات متى وتأملنا التناقض المنهجي والعقدي عند مرقس فستطالعنا مفارقات تقيم حداً فاصلاً، بين الإيمان والكفر، أو بين لغة الوحي الإلهي وتأليف البشر، فماذا يقول مرقص؟ وما الذي عنده؟؟!!

إنه يبدأ إنجيله بهذه الجملة:

(بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله)(١).

لكن يذكر بعض المحققين المسيحيين: (أن المراجع القديمة تحذف ابن الله)، أي أن كلمتي (ابن الله)(٢) مزيدة على الجملة المذكورة، إذاً فالسطر الأول من إنجيل مرقص كان يقرأ في الأصل على ضوء ما يقوله العلماء والمحققون من رجال الفكر المسيحي هكذا:

(بدء إنجيل يسوع المسيح)

ويعلق «جون فنتون» على هذه الظاهرة التي لحقت بالأناجيل ومنها إنجيل متّى فيقول:

(لقد حدث تحوير ملحوظ في مخطوطات الأناجيل وذلك في المواضع التي ذكرت فيها ألقاب الرب يسوع)(٣).

---

(١) مرقص ١: ١.

(٢) تفسير إنجيل مرقص ل ـ « دنيس نينهام » ص٥٦، نقلاً عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٩٧

(٣) تفسير إنجيل متّى ص٢٧١، نقلاً عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٩٧.

نماذج صارخة من اضطراب المنهج

تناولنا في الصفحات السابقة من الدلائل والبراهين التي تستفاد من قراءة النص الإنجيلي ما يدل على اضطراب المنهج الإنجيلي، وذلك بإيراد نماذج صارخة موجودة اليوم في متن الأناجيل تقول بتكاذبه، وتناولنا شرحها ونقدها مستشهدين برأي وتفسير كبار علماء اللاهوت، ولم نشأ أن نقذف التراث الإنجيلي برؤيتنا الخاصة باعتبارنا لا نؤمن بأن الكتب الأربعة وما يلحق بها في العهد الجديد، ليست هي إنجيل الله الذي أنزل على قلب عبده ورسوله سيدنا عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وإنما استدللنا برأي غيرنا من علماء الإنجيل من غير العرب وغير المسلمين.

ونحن في هذه الصفحات نأتي وفي إيجاز بما يدل على اضطراب المنهج الإنجيلي، وعدم استقامة النص، وذلك بالنقصان الذي جاء في بعض الأناجيل ولم يذكر فيها، بينما دونت نصوص أخرى وليس فيها هذا النقصان في مواضع أخرى. ومن ذلك مثلاً ما جاء في الإنجيل المنسوب إلى مرقص في قوله:

(أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم؛ لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه، وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وكرزوا بالإنجيل للخلقة كلها)[1].

ولكن هناك نسخة إغريقية لهذا الإنجيل من القرن الخامس تثبت بين

---

(١) مرقص ١٦: ١٤ ـ ١٥

الفقرتين السابقتين في نفس الإصحاح فقرة أخرى، والتي قد استشهد المحقق «جيروم» بجزء منها باعتبار أنها موجودة في النسخ المعلومة لديه.

أما الفقرة المحذوفة فهي كما يلي:

(وعندئذٍ أجابوا قائلين: هذا الجيل المتمرد وغير المؤمن تحت إمرة الشيطان الذي يستخدم الأرواح الشريرة في منع قدرة الله الحقيقية من الإدراك، ولهذا أظهر برَّك الآن)

لقد كانوا يتحدثون إلى المسيح الذي أجابهم قائلاً: (إن نهاية سنوات نفوذ الشيطان قد انقضت)[1]. وتعلق على ذلك الدكتورة سارة بنت حامد العبادي في المصدر السابق الإشارة إليه فتقول.

«وفي الحقيقة أنه إذا حققنا النظر في الفقرة السابقة التي يعتقد أنها حذفت أو سقطت من النسخة الأصلية نجد أنها ملائمة ومناسبة للمعنى العام في الجملة، أي لا يوجد فيها شذوذ أو نفور عن الفقرتين المحتضنتين لتلك الجملة ـ التي قبلها والتي بعدها»[2].

فالفقرة التي قبلها تذكر أنه عندما ظهر المسيح للأشخاص الأحد عشر ووبخهم على عدم إيمانهم لأنهم لم يصدقوا بنبأ قيامته، تأتي الفقرة المحذوفة لتقول: إنهم أجابوه قائلين: إن هذا الجيل المتمرد الذي ادعى قيامك تحت إمرة شيطان يستخدم الأرواح الشريرة في منع القدرة الحقيقية، ولهذا فهو يظهر برك الآن، وتستطرد الفقرة المحذوفة بأن السيد المسيح عليه السلام رد عليهم قائلاً: (إن سنوات نفوذ الشيطان قد انقضت)، ثم تنتهي الفقرة المحذوفة لتأتي الفقرة التي بعدها في (النسخ الشائعة) لتكمل المعنى فتذكر أن المسيح أمرهم أن يذهبوا إلى العالم ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها،

---

(١) دنيس نينهام (تفسير إنجيل مرقص) ص ٤٥٢، ٤٥٣، نقلاً عن أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقيدة المسيحية) ص ٥٦ ط١.

(٢) سارة العبادي ـ مصدر سابق صفحة ١٥٤.

وذلك يدل دلالة واضحة على أنها قد سقطت من النسخة التي اعتمد عليها أحد محققيهم (جيروم)... وهذا بلا شك يزيد في زعزعة الثقة بتقديس هذه الأناجيل أو حتى بتصديقها.

وفي مرقص أيضاً:

(فجاءت حينئذٍ إخوته وأمه ووقفوها خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه، وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هو ذا أمك واخوتك يطلبونك، فأجابهم قائلاً: من أمي واخوتي، ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمي واخوتي، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي)[1].

يقول «دنيس أريك نينهام» (أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة بيليكان لتفسير الإنجيل): إن مراجع أخرى أكثر قدماً تثبت لفظ (وأخواتك) في العبارة «وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هو ذا أمك واخوتك خارجاً يطلبونك»، وبذلك تكون العبارة على رأي المفسر وأستاذ اللاهوت هكذا: (وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هو ذا أمك واخوتك وأخواتك خارجاً يطلبونك)[2].

وقد يعضد رأي هذا المفسر العبارة التي وردت في آخر النص السابق والتي تروى على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ: (لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي)، فورد لفظ الأخت فيكون الاحتمال كبيراً بسقوط أو حذف لفظ «وأخواتك».

ويقول د. وليم باركلي (أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو) في تفسير هذا النص:

هنا يضع يسوع الأساس الصحيح للقرابة، فالقرابة لا تبنى فقط على

(١) مرقص ٣: ٣١ ـ ٣٥.

(٢) تفسير إنجيل مرقص ص١١٨، نقلاً عن أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) ص٩٨ ط١.

أساس جسدي، فقد يصبح القريب الذي لا يمت لي بأية قرابة جسدية أكثر قرباً لي من كل أقربائي حسب الجسد)[١].

وفي الإنجيل المنسوب إلى متّى ما يلي:

تروي هذه الفقرة من الإنجيل مناقشة جرت بين يسوع وتلاميذه عن أجر المؤمنين الذين اتبعوه في الآخرة، فأجاب المسيح على سؤال طرحه بطرس عن ذلك فكانت الإجابة التالية:

(فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد حتى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر)[٢].

أما نظير هذه الفقرة في الإنجيل المنسوب إلى لوقا فهي كما يلي:

(أنتم الذين تثبتوا معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر)[٣].

من الملاحظ ـ في رواية لوقا ـ حذف العدد اثنا عشر عند ذكر الكراسي: (وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر)، وهذا ما اعترف به محققوهم ومفسّرو الكتاب المقدس، يقول «جون فنتون» عميد كلية اللاهوت بإنجلترا:

(لعل ذلك يعود إلى أن لوقا كان يفكر في يهوذا الإسخريوطي[٤]، لأن يهوذا الإسخريوطي كان التلميذ الثاني عشر، ولكنه بعد خيانته لأستاذه

(١) تفسير العهد الجديد ـ تفسير إنجيل مرقص ـ ط دار الجيل ص١٠٨.

(٢) متى ١٩: ٢٨.

(٣) لوقا ٢٢: ٢٧ ـ ٢٠.

(٤) تفسير إنجيل متّى ص٣١٧، نقلاً عن أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) ص٩٩ ط١.

يسوع في إعلام أعدائه بموضعه، والذي كان سبباً في القبض عليه، ومن ثم صلبه ـ كما يعتقدون ـ ينقص عدد التلاميذ فيصبح أحد عشر بدلاً من اثني عشر).

أما ما ذكره مفسر إنجيل لوقا للنص المذكور فهو كما يلي:

(أما الاثنا عشر فسيكون لهم وضع خاص بالنسبة للبقية الراجحة من شعبه، إذ سيكون لهم الحكم على الاثني عشر سبطاً، وهذا خاص بهم. ثم وضع العبارة التالية بين قوسين: (لاحظ أن متياس حل محل يهوذا)[1].

مما سبق يتضح اعتراف محققيهم ومفسري الكتاب المقدس بحذف اثنا عشر من نص لوقا، وفي النص السابق تناقض ملحوظ لا يحتاج إلى تعليق.

(١) تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم هلال موسى ص٣٢٨ ط ١٩٧٠م.

نماذج هندية ونظيرها في النصرانية

أولاً: كرشنا الهندي، ويسوع الناصري

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنا ابن الله

كرشنا: «هو المخلص والفادي والمعزى والراعي والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الآب والابن والروح القدس».

(١) ولد كرشنا من العذراء ديفاكي التي اختارها والدة لأبنه (كذا) بسبب طهارتها وعفتها.

(٢) قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنا ابن الله وقالوا «يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة».

أقوال النصارى المسيحين في يسوع المسيح ابن الله

يسوع المسيح: «هو المخلص والفادي والمعزى والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الآب والابن والروح القدس».

(١) ولد يسوع من العذراء مريم التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها.

(٢) فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيها المنعم عليها الرب معك.

---

(١) دوان صفحة ٢٧٨.

(٢) كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣٢٩.

(١) إنجيل مريم الإصحاح السابع.

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح الثالث ٢٨، ٢٩ وإنجيل مريم الأصحاح السابع.

(٣) عرف الناس ولادة كرشنا من نجمه الذي ظهر في السماء.

(٤) لما ولد كرشنا سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء.

(٥) كان كرشنا من سلالة ملوكانية ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر

(٦) لما ولد كرشنا أضئ الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكي يرسل أشعة نور مجد.

(٧) ومن بعد ما وضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها.

(٣) لما ولد يسوع ظهر نجمه المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.

(٤) لما ولد يسوع المسيح رتلت الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من السحاب أنغام مطربة.

(٥) كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه «ملك اليهود» ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار.

(٦) لما ولد يسوع المسيح أضئ الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار.

(٧) وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل «يامريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي إليك وقد أتيت لأخلص الحال».

---

(٣) كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني سفحة ٣١٧، ٣٦٧.

(٤) كتاب فشنو بورانا صفحة ٢، ٥.

(٥) كتاب دوان صفحة ٢٧٩.

(٦) دوان صفحة ٢٧٩.

(٧) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١١.

(٣) إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد٣.

(٤) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني العدد ١٣.

(٥) دوان صفحة ٢٧٩.

(٦) إنجيل ولادة يسوع المسيح الإصحاح ١٢ العدد ١٣.

(٧) إنجيل الطفولية الإصحاح الأول العدد الثاني والثالث.

(٨) وعرفت البقرة أن كرشنا إله وسجدت له.

(٩) وآمن الناس بكرشنا واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب.

(١٠) وسمع نبي الهنود «نارد» بمولد الطفل الإلهي كرشنا فذهب وزاره في «كركول» وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد.

(١١) لما وُلد كرشنا كان «ناندا» خطيب أمه ديفاكي غائباً عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.

(١٢) وُلد كرشنا بحالة الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية.

(٨) وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له.

(٩) وآمن الناس بيسوع المسيح وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر.

(١٠) ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيردوس الملك وإذ بالمجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود.

(١١) ولما وُلد يسوع كان خطيب أمه غائباً عن البيت وأتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.

(١٢) وُلد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية.

---

(٨) دوان صفحة ٢٧٩.

(٩) كتاب الديانات الشرقية صفحة ٥٠٠ وكتاب الديانات القديمة المجلد الثاني صفحة ٣٥٣.

(١٠) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٧ صفحة ١١٠.

(١١) كتاب فشنو بروانا الفصل الثاني من الكتاب الخامس.

(١٢) التقنيات الآسيوية المجلد الأول صفحة ٢٥٩ وتاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٠.

(٨) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ٨ إلى ١٠.

(٩) إنجيل متَّى الإصحاح الثاني العدد ٣.

(١٠) إنجيل متَّى الإصحاح الثاني عدد ١، ٢

(١١) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ١ إلى ١٧.

(١٢) انظر تعداد نسبه في إنجيل متَّى وإنجيل لوقا وبأي حال وُلد.

(١٣) وسمع ناندا خطيب ديفاكي والدة كرشنا نداء السماء يقول له قُمْ وخُذْ الصبي وأمه فهربهما إلى كاكول واقطع نهر جمنه لأن الملك طالب إهلاكه.

(١٤) وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطفل الإلهي وطلب قتل الولد وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين وُلدوا في الليلة التي ولد فيهما كرشنا.

(١٥) واسم المدينة التي وُلد فيها كرشنا «مطرا» وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنا إنه ابن الله إلى يومنا هذا

(١٣) وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طالب إهلاكه.

(١٤) وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الإلهي وطلب قتل الولد وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين وُلدوا في الليلة التي ولد فيهما يسوع المسيح.

(١٥) واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية هي «المطرية» ويُقال إنه عمل فيها آيات ومعجزات عديدة.

---

(١٣) كتاب فشنو بورانا الفصل الثالث ص ١١٠

(١٤) دوان صفحة ٢٨٠.

(١٥) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٧ والتقنيات الآسيوية بالمجلد الأول صفحة ٢٥٩.

(١٣) إنجيل متّى الإصحاح الثاني عدد ١٣.

(١٤) إنجيل متّى الإصحاح الثاني.

(١٥) المقدمة على إنجيل الطفولية تأليف هيجين وكذلك كتاب سلفرى المدعو «الرحلات المصرية» المجلد الأول صفحة ١٣٦.

(١٦) كانت ولادة القديس واما قبل ظهور كرشنا في الناسوت بزمن قليل وقد سعى قانسا ملك البلاد في إهلاك القديس راما وإهلاك كرشنا أيضاً.

(١٧) ورُبي كرشنا بين الرعاة ولما جاء به إلى مطرا كان في احتياج عظيم للتعليم فأتى له بمعلم خبير وفي وقت قليل فاق أستاذه في العلوم وأعياه في المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة.

(١٦) وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيردوس في إهلاك يوحنا كما سعى في إهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح.

(١٧) وأرسل يسوع المسيح إلى عند المعلم ذاخوس كي يعلمه فكتب له أحرف ألف باء وقال ليسوع قل ـ ألف ـ فقال الرب: يسوع أخبرني أولاً عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول الباء، فتهدد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتي لها نقط وحركات والتي ليس لها نقط ولماذا وُضعت في هذا الترتيب أي بعض الحروف قبل غيرها وطفق بخبره عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب.

---

(١٦) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٦.

(١٧) دوان صفحة ٢٨٠ وتاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ١٢٣.

(١٦) إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الأصحاح السادس.

(١٧) إنجيل الطفولة الإصحاح ١٨ من عدد ١ إلى ٢.

(١٨) وفي أحد الأيام كان كرشنا سائراً مع قطيع من البقر فاختاروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة إلى المكان الذي عينه لها هذا الملك.

(١٨) وفي شهر آذار جمع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم وإذا بهم أحد كانوا يأخذونه غصبا ويأمرونه بالسجود للملك.

(١٩) وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنا الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر إليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعاً من الموت وعادوا أحياء.

(١٩) وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبي بيده فعاد إلى حال صحته.

(٢٠) وسُرق بعض أصحاب كرشنا مع عجولهم أخفاهم السارقون في غار فخلق كرشنا أصحابا وعجولا مثلهم في الشكل والهيئة.

(٢٠) وأخفى الأولاد الذين كانوا يلعبون مع يسوع أنفسهم في فرن فبدلوا إلى هيئة جداء (أي جديان) فناداهم يسوع تعالوا إلى هنا ياأيها الأولاد لنلعب فأعيدت تلك الجداء إلى هيئتهم الأولى صبياناً.

(٢١) وأول الايات والعجائب التي عملها كرشنا شفاء الأبرص.

(٢١) وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص.

---

(١٨) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٢.

(١٩) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣٤٣.

(٢٠) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ١٤ وكتاب خرافات الآربين المجلد الثاني صفحة ١٣٦.

(٢١) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٩.

(١٨) إنجيل الطفولة الإصحاح ١٨ من عدد ١ إلى ٣.

(١٩) إنجيل الطفولة الإصحاح ١٨.

(٢٠) إنجيل الطفولة الإصحاح ١٨.

(٢١) إنجيل الطفولية الأصحاح ١٨.

(٢٢) وأتى إلى كرشنا بامرأة فقيرة معقدة ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وذباد وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنا بعلامة خاصة وسكبت الباقي على رأسه.

(٢٣) كرشنا صُلِب ومات على الصليب.

(٢٤) لما مات كرشنا حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء بارداً ورماداً وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض وشُوهِدت ألوف من الأرواح في جو السماء يتحاربون صباحاً ومساء وكان ظهورهم في كل مكان.

(٢٢) تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣٢٠.

(٢٤) كتاب ترقى التصورات الدينية المجلد الأول صفحة ٧١.

(٢٢) وفيما كان يسوع في بيت عتيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ.

(٢٣) يسوع صُلِب ومات على الصليب.

(٢٤) لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم.

(٢٢) إنجيل متَّى الأصحاح الثامن العدد الثاني.

(٢٤) إنجيل متَّى الإصحاح الثاني والعشرون وإنجيل لوقا أيضاً.

(٢٥) وثُقِب جنب كرشنا بحربه.

(٢٦) وقال كرشنا للصياد الذي رماه بالنبله وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفاً برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة.

(٢٧) ومات كرشنا ثم قام من بين الأموات.

(٢٨) ونزل كرشنا إلى الجحيم.

(٢٩) وصعد كرشنا بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا.

(٣٠) ولسوف يأتي كرشنا إلى الأرض في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتُزلزّل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.

(٣١) وهو (أي كرشنا) يدين الأموات في اليوم الأخير.

(٢٥) دوان صفحة ٢٨٢.
(٢٦) فشنو بورانا صفحة ٦١٢.
(٢٧) دوان صفحة ٢٨٢.
(٢٨) دوان صفحة ٢٨٢.
(٢٩) دوان صفحة ٢٨٢.
(٣٠) دوان صفحة ٢٨٢.
(٣١) دوان صفحة ٢٨٣.

(٢٥) وثُقِب جنب يسوع بحربه.

(٢٦) وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صُلِبا معه «الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس».

(٢٧) ومات يسوع ثم قام من بين الأموات.

(٢٨) ونزل يسوع إلى الجحيم.

(٢٩) وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا.

(٣٠) ولسوف يأتي يسوع إل الأرض في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتُزلزّل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.

(٣١) ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير.

(٢٥) دوان صفحة ٢٨٢.
(٢٦) إنجيل لوقا الإصحاح الثالث والعشرين عدد ٤٣.
(٢٧) إنجيل متَّى الإصحاح ٢٨.
(٢٨) دوان ٢٨٢ وكذلك كتاب الإيمان المسيحين وغيره.
(٢٩) إنجيل متَّى الإصحاح الرابع والعشرون.
(٣٠) إنجيل متَّى الإصحاح ٢٤.
(٣١) إنجيل متَّى الإصحاح ٢٤ العدد ٣١ ورسالة الرومانيين الإصحاح ١٤ العدد ١٠.

(٣٢) يقولون عن كرشنا إنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي.

(٣٣) كرشنا الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء.

(٣٤) لما كان كرشنا على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه، ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كإحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأعمى وإعادة المخلوع كما كان أولا ونصر الضعيف على القوي والمظلوم على ظالمه. وكان إذ ذاك يعبدونه ويزدحمون عليه ويعدونه إلها.

(٣٥) كان كرشنا يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ بكثير.

(٣٢) دوان صحة ٢٨٢.

(٣٤) دوان صفحة ٢٨٣.

(٣٥) كتاب بها كافات كينا.

(٣٢) يقولون عن يسوع المسيح إنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي.

(٣٣) يسوع الألف والياء وهو الوسط وآخر كل شيء.

(٣٤) لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه، وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كإحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض وينصر الضعيف على القوي والمظلوم على ظالمه. وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه إلها.

(٣٥) كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ بكثير.

(٣٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ١ إلى ٣ ورسالة كورنوس الأول الإصحاح الثامن العدد ٦ ورسالة افسس الإصحاح الثالث العدد ٩.

(٣٣) سفر الرؤيا الإصحاح الأول العدد ٨ والإصحاح ٢٣ العدد ١٣ والإصحاح ٢١ العدد ٦.

(٣٤) انظر الأناجيل والرسائل ترى أكثر من هذا الذي ذكرناه.

(٣٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ العدد ٢٣.

(٣٦) وفي حضور أرجوانا بدلت هيئة كرشنا وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع في إله الآلهة فاحنى أرجونا رأسه تذللا ومهابة وتكتف تواضعاً وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت وإني أرجو رحمتك يارب فعُدْ واظهر علي في ناسوتك ثانية أنت المحيط بالملكوت.

(٣٧) وكان كرشنا خير الناس خَلْقاً وخُلُقاً وعلما بإخلاص ونصحاً، وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية، وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت.

(٣٨) كرشنا هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية.

(٣٦) كتاب موريس وليسس المدعو «دين الهنود» صفحة ٢١٥.

(٣٧) كتاب موريس وليس دين اليهود صفحة ١٤٤.

(٣٨) فشنو بورانا صفحة ٤٩٢ عند شرح حاشية عدد٣.

(٣٦) وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج.. وفيما هو يتكلم إذا بسحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي سررت، له اسمعوا، ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً.

(٣٧) كان يسوع خير الناس خلقاً وعلماً بإخلاص وغيرة، وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية ومثالها، وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت.

(٣٨) يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر من أسراره العظيمة الإلهية.

(٣٦) إنجيل متّى الإصحاح ١٧ من عدد ١ إلى ٩

(٣٧) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣.

(٣٨) رسالة تيموثاوس الأولى الإصحاح الثالث.

(٣٩) كرشنا الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته.

(٤٠) وأمر كرشنا كل من يطلب الإيمان بإخلاص أن يترك أملاكه وكافة ما يشتهيه ويحبه من مجد في هذا العالم ويذهب إلى مكان خال من الناس ويجعل تصوره في الله فقط.

(٤١) وقال كرشنا لتلميذه الحبيب أرجونا إنه مهما عملت ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قربت من قربان ومهما فعلت من الأفعال المقدسة الصالحة فليكن جميعه بإخلاص لي وأنا الحكيم والعليم ليس لي ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ.

(٤٢) قال كرشنا إن علة وجود الكائنات فيّ كانت وفي تحل على جميع ما في الكون يتكل عليّ وفيّ يتعلق كاللؤلؤ المنظم في خيط.

(٣٩) يسوع المسيح الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى.

(٤٠) وأمر يسوع كل من يطلب الإيمان بإخلاص أن يفعل كما يأتي «وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصِلْ إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية»

(٤١) فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فأفعلوا كل شيء لمجد الله.

(٣٩) من يسوع في سوع وليسوع كل شيء «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان».

---

(٣٩) مور وليمس في كتابه المدعو العقائد الهندية الوثنية صفحة ١٠.

(٤٠) ديانة الهنود الوثنية صفحة ٢١١.

(٤١) مور وليمس ديانة الهنود الوثنيين صفحة ٢١٢.

(٤٢) مور وليمس ديانة الهنود الوثنيين ٢١٢

(٣٩) انظر كافة كتبهم الدينية وكذلك الأناجيل والرسائل.

(٤٠) إنجيل متّى الإصحاح العدد ٦.

(٤١) رسالة كورنسوس الأولى الإصحاح العاشر عدد ٣١.

(٤٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من ١ ـ ٣.

(٤٣) وقال كرشنا «أنا النور الكائن في الشمس والقمر وأنا النور الكائن في اللهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار ليس في ظلمه».

(٤٣) ثم كلمهم يسوع قائلاً: «إنا هو نور العالم من يتبعني لا يمشي في الظلمة».

(٤٤) قال كرشنا أنا الحافظ للعالم وربه وملجؤه وطريقه.

(٤٤) قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي الآب الإبي».

(٤٥) وقال كرشنا «أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء الوسط والأخير والأبدي وخالق كل شيء وأنا فناؤه ومهلكه».

(٤٥) وقال يسوع «أنا هو الأول والآخر ولي مفاتيح الهاوية والموت»

(٤٦) وقال كرشنا لتلميذه الحبيب لا تحزن ياأرجونا من كثرة ذنوبك، أنا أخلصك منها فقط تثق بي، وتوكّلْ علّي، واعبدني، واسجد لي، ولا تتصور أحداً سواى؛ لأنك هكذا تأتي إلى المسكن العظيم الذي لا حاجة فيه لضوء الشمس والقمر اللذين نورهما مني.

(٤٦) وقال يسوع للمفلوج ثق يابني مغفور لك خطاياك ـ يابني أعطني قلبك ـ والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى قمر ليضيئا فيها الخروف سراجها.

---

(٤٣) كتاب مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ٢١٣.
(٤٤) دوان كتابه صفحة ٢٨٣.
(٤٥) كتاب مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ٢١٣.
(٤٦) كتاب مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ٢١٣.

(٤٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ العدد ١٢.
(٤٤) إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر العدد السادس.
(٤٥) رؤيا يوحنا الإصحاح الأول من ٧ ـ ١٨.
(٤٦) إنجيل متّى الإصحاح ٩ عدد ٢ وسفر الامثال الإصحاح ٢٣ عدد٦ وسفر الرؤيا الإصحاح ١٢ العدد ٢٣.

وكذلك من اليسير عقد مقارنة بين جملة المعتقدات النصرانية في المسيح وبين عقيدة بوذا الهندي وهي المقابلة التي تؤكد أسبقية الوثنية الهندية في كرشنا وبوذا لعقيدة النصارى في السيد المسيح.

اقوال الهنود الوثنيين

في بوذا بن الله

(١) وُلِد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل.

(٢) كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.

(٣) لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا، صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة.

(٤) وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه «نجم المسيح»

اقوال النصارى المسيحين

في يسوع المسيح بن الله

(١) وُلِد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل.

(٢) كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم.

(٣) لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء، صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة.

(٤) وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق (قال داون ومن الواجب أن يُدعى «نجم المسيح»).

---

(١) كتاب ديانة الهنود الوثنيين لويمس صفحة ٨٢، ١٠٨.

(٢) كتاب داون صفحة ٢٨٩ وكتاب ينصون المدعو الملاك المسيح صفحة ١٠، ٢٥.

(٣) ينصون المذكور صفحة ٢٠ وداون صفحة ٢٩٠.

(٤) داون صفحة ٣٩٠.

---

(١) إنجيل متَّى الإصحاح ١.

(٢) إنجيل متَّى الإصحاح ١.

(٣) كتاب داون ٢٩٠ وكتاب ينصون الملاك المسيح صفحة ٢٠ وكتاب الكونت امبرلي المدعو تحليل العقائد الدينية صفحة ٤٢٤.

(٤) إنجيل متَّى الإصحاح الثاني عدد ١، ٢.

(٥) ولد بوذا بن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول.

(٦) لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين ـ ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة ويهب بصراً للأعمى.

(٧) وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إله الآلهة.

(٨) وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة.

(٩) لما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايا إنه أعظم الناس جميعاً.

(٥) كتاب ينصون الملاك المسيح صفحة ١٠.

(٦) دوان صفحة ٢٩٠.

(٧) دوان صفحة ٢٩٠.

(٨) دوان صفحة ٢٩٠.

(٩) كتاب هردي المدعو العقائد البوذية صفحة ١٤٦، ١٤٥.

(٥) ولد يسوع بن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول.

(٦) لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمداً للواحد المبارك قائلين «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة».

(٧) وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إله الآلهة.

(٨) وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر.

(٩) لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم «أنا ابن الله».

(٥) داون صفحة ٢٩٠.

(٦) إنجيل متّى الإصحاح الثاني العدد ١٤، ١٣.

(٧) إنجيل متّى الإصحاح الثاني من ١ ـ ١١.

(٨) إنجيل متّى الإصحاح الثاني العدد ١١.

(٩) إنجيل الطفولية الإصحاح الأول العدد ٣.

(١٠) كان بوذا ولداً مخيفاً وقد سعى الملك بمبسارا وراء قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حياً.

(١١) لما أرسل بوذا إلى المدرسة وهو ولد أدهش الأستاذة مع أنه لم يدرس من قبل، وفاق الجميع في الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسية والتنجيم والكهانة والعرافة.

(١٢) ولما صار عمر بوذا اثنتا عشر سنة دخل الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه.

(١٣) ودخل بوذا مرة أحد الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجليه سجوداً له.

(١٠) كان يسوع ولداً مخيفاً سعى الملك هيرودوس وراء قتله كي لا ينتزع الملك من يده.

(١١) ولما أرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه يوسف «لقد أتيتني بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل معلم».

(١٢) ولما صار عمر يسوع اثنتا عشر سنة جاءوا إلى «الهيكل» أورشليم وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع.

(١٣) وكان يسوع مارا قرب حاملي الأعلام فأحنت الأعلام رؤسها سجوداً له.

---

(١٠) كتاب تاريخ البوذية تأليف بيل صفحة ١٠٤،١٠٣.

(١١) كتاب هردي «العقائد البوذية» وكتاب ينصون «الملاك المسيح» وكتاب بيل «تاريخ الديانة البوذية.

(١٢) ينصون «الملاك المسيح» صفحة ٧٣ وببال «تاريخ الديانة البوذية» من صفحة ٦٧ إلى ٦٩.

(١٣) ينصون «الملاك المسيح» صفحة ٧٣ وببال «تاريخ الديانة البوذية» من صفحة ٦٧ إلى ٦٩.

(١٠) إنجيل متّى الإصحاح الثاني العدد الأول.

(١١) إنجيل الطفولية الإصحاح ٢٠ عدد ١١ وإنجيل لوقا الإصحاح الثاني العدد ٤٦، ٤٧.

(١٢) إنجيل الطفولية الإصحاح ٢١ عدد ٢،١ وإنجيل لوقا الإصحاح الثاني من ٤١ ـ ٤٨.

(١٣) إنجيل نيكوديموس الإصحاح الأول عدد ٢٠

(١٤) ويصلون نسب كوتاما بوذا من أبيه «صدودانا» في أناس كلهم من سلالة ملوكانية إلى «ماهاسماطا» وهو على زعمهم أول ملك صار في الدنيا والحوادث والأنساب
المذكورة في كتاب «بيورازا» البرهمي توجد الحوادث ونسبها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوذية أخذوا فيها أسماء قبائل اخترعوا أسماء تمكنهم من إعلاء نسب حكيمهم عدا اعتبارها إياه إلهاً.

(١٥) لما عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه ـ مارا ـ (أي الشيطان) ـ كي يجربه.

(١٦) وقال مارا (أي الشيطان) لبوذا لا تسرف حياتك في الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا.

---

(١٤) دوان صفحة ٢٩١.

(١٥) دوان صفحة ٢٩٢.

(١٦) دوان صفحة ٢٩٢.

(١٤) ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم أبي البشر وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة في سلالته
مذكورة في التوراة كتاب اليهود وليس بالإمكان تحقيق حكاياتهم مع بعضها بعضاً ويتضح لنا أن المؤرخين النصارى قد اخترعوا أسماء قصد إعلاء نسب حكيمهم علاوة على قولهم بألوهيته.

(١٥) لما شرع يسوع في التبشير ظهر له الشيطان كي يجربه.

(١٦) قال (أي أبليس) له (أي يسوع) أعطيك هذه (أي الدنيا) جميعها إن خررت وسجدت لي.

---

(١٤) دوان صفحة ٢٩١.

(١٥) إنجيل متّى الإصحاح الرابع من ١ ـ ١٨.

(١٦) إنجيل متّى الإصحاح الرابع من ١ ـ ١١.

(١٧) فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل قال له اذهب عني.
(١٨) ولما ترك مارا (أي الشيطان) تجربة بوذا أمطرت السماء زهراً وطيباً ملأ الهواء طيب عرفه.
(١٩) وصام بوذا وقتاً طويلاً.
(٢٠) وقد عُمد بوذا المخلِّص، وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضراً، وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا.

(٢١) ولما كان بوذا على الأرض في أواخر أيامه بُدلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل «بندافا» (أي الأصفر المبيض في

(١٧) دوان صفحة ٢٩٢.
(١٨) دوان صفحة ٢٩٢.
(١٩) دوان صفحة ٢٩٢.
(٢٠) كتاب «الملاك المسيح» صفحة ٤٥ تأليف ينصون «وكتاب تاريخ البوذية» تأليف بيل صفحة ١٧٧.
(٢١) كتاب ينصون «الملاك المسيح» صفحة ٤٥ وكتاب تاريخ البوذية» تأليف بيل صفحة ١٧٧ وداون صفحة ٢٩٣.

(١٧) فأجابه يسوع وقال اذهب ياشيطان.
(١٨) ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه.

(١٩) وصام يسوع وقتاً طويلاً.
(٢٠) ويوحنا عُمَد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تم تجسيده عندما حل بالعذراء مريم فهو الآب والإبن والروح القدس.
(٢١) لما كان يسوع على الأرض بُدِلت هيئته «وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى

(١٧) إنجيل لوقا الإصحاح الرابع العدد ٨.
(١٨) إنجيل لوقا الإصحاح الرابع العدد ١١.
(١٩) إنجيل متّى الإصحاح الرابع العدد الثاني.
(٢٠) إنجيل متّى الإصحاح ٧ عدد ١و٢.
(٢١) إنجيل متّى الإصحاح الثامن من عدد ٣٧ إلى ٣٤ وغيره مما هو مثله.

«سيلان» ونزل عليه بغتته نور أحاط برأسه على شكل إكليل، ويقولون إن سيدازرنا أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضيء كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التبدل في هيئته قالوا ما هذا بشراً ـ إن هو إلا إله عظيم.

جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور».

(٢٢) وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس، وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوره.

(٢٢) وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوره

(٢٣) وفي صلاتهم لبوذا يأمل المؤمنون به دخول الفردوس.

(٢٣) وفي صلاتهم ليسوع يأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس.

(٢٤) لما مات بوذا ودُفن انحلت الأكفان وفُتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أي بقوة إلهية).

(٢٤) لما مات يسوع ودُفن انحلت الأكفان وفُتح القبر بقوة غير اعتيادية أي بقوة إلهية.

---

(٢٢) داون صفحة ٢٩٣.

(٢٣) المذكور.

(٢٤) كتاب ينصون «الملاك المسيح» صفحة ٢٩٣

(٢٢) إنجيل متّى الإصحاح ٨ من ٣٧ ـ ٣٤.

(٢٣) دوان صفحة ٢٩٣.

(٢٤) إنجيل متّى وإنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠.

(٢٥) وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض.

(٢٦) ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.

(٢٧) وسيدين بوذا الأموات.

(٢٨) بوذا الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلي.

(٢٩) قال بوذا فلتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا علّي ليخلص العالم من الخطيئة.

(٢٥) دوان صفحة ٢٩٣.

(٢٦) دوان صفحة ٢٩٣.

(٢٧) دوان صفحة ٢٩٣ وغيره أيضاً.

(٢٨) دوان صفحة ٢٩٣.

(٢٩) كتاب مولر «تاريخ الآداب السنسكريتية» ص٨٠

(٢٥) وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما أكمل عمله على الأرض.

(٢٦) ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.

(٢٧) وسيدين يسوع الأموات.

(٢٨) يسوع الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأبدي.

(٢٩) يسوع هو المخلص العالم وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عوضاً عن الذين اقترفوها ويخلص العالم من الخطيئة.

(٢٥) أعمال الرسل الإصحاح الأول من ١ ـ ١٢.

(٢٦) أعمال الرسل الإصحاح الأول.

(٢٧) إنجيل متّى الإصحاح ١٦ العدد ٢٧ إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ العدد ٢٢.

(٢٨) إنجيل يوحنا الإصحاح ١ عددا وسفر الرؤيا الإصحاح الأول وغيرها.

(٢٩) دوان صفحة ٢٩٣ وكذلك التعليم المسيحي.

(٣٠) قال بوذا اخفوا الأعمال الحسنة التي تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية.

(٣١) ويصفون بوذا أنه ذات من نور غير طبيعية والشرير مارا (ويدعونه أيضاً الحية) ذات مظلمة غير طبيعية.

(٣٢) وفي أحد الأيام التقى «اباندا» تلميذ بوذا وهو سائر في البلاد بالمرأة «متانجي» وهي من سبط «الكندلاس» المرذولين قرب بئر ماء فطلب منها قليلا من الماء فأخبرته عن سبطها وأنه لا يجوز لها أن تقترب منه لأنها من سبط محتقر، فقال لها ياأختي إني لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك إنما سألتك شربة ماء فصارت من ذاك الحين تلميذة بوذية.

(٣٠) قال يسوع اخفوا الأعمال الحسنة التي تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية.

(٣١) ويصفون يسوع أنه ذات نور غير طبيعية شمس وبر، وعدوه الشيطان الحية القديمة.

(٣٢) وفي أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء ما سار مسافة حتى كاد ينهكه التعب وبينما هو قرب البئر عند مدينة السامرة اتت إمرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر فقال لها يسوع اسقيني شربة ماء فقالت له المرأة السامرية أنت يهودي وكيف تطلب مني شربة ماء؟ فإن اليهود لا يستحلون معاملة السامريين.

---

(٣٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع من عدد ١ إلى ١١.

(٣٠) مولر كتابه «العلوم الدينية» صفحة ٢٨.

(٣١) ينصون «الملاك المسيح» صفحة ٣٩ وجوان صفحة ٢٩٤.

(٣٢) كتاب موار «العلوم الدينية» صفحة ١٤٠.

(٣٠) إنجيل متّى الإصحاح السادس العدد الأول ورسالة يعقوب الإصحاح ٥ العدد ١٦.

(٣١) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول العدد الثامن وإنجيل متى الإصحاح الرابع العدد الأول وإنجيل لوقا الإصحاح الرابع العدد الثاني وإنجيل مرقص الإصحاح الأول العدد ١٣.

(٣٣) قال بوذا إنه لم يأت لينقض الناموس، كلا من أتي ليكمله وقد سره عد نفسه حلقة في سلسلة المعلمين الحكماء.

(٣٤) وبحسب تعليم بوذا يجب أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى.

(٣٥) وفي أوائل أيام بوذا التي علم وبشر فيها ذهب إلى مدينة بينارس وعلم فيها فتبعه كوندتيا ثم تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلاميذ له. ومن ذلك الحين صار أينما علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويصيرون من أتباعه وتلاميذه.

(٣٦) وقال بوذا للذين صاروا تلاميذ له أن يتركوا الدنيا وغناها وينذروا عيش الفقر والفاقة.

(٣٧) وجاء في كتب البوذية القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا من بوذا آية كي يؤمنوا به.

(٣٣) كتاب ينصون «الملاك المسيح» صفحة ٤٨، ٤٧ وكتاب امبرلي: تحليل الأديان صفحة ٢٨ وغيرها.

(٣٤) كتاب موار: العلوم الدينية صفحة ٢٤٩.

(٣٥) كتاب: «الموناشيزم الشرقية» تأليف هاردي صفحة ٦.

(٣٣) وقال يسوع «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم».

(٣٥) وفي أوائل أيام يسوع التي علم وبشر فيها ذهب إلى مدينة كفر ناحوم وعلم فيها فتبعه بذلك الحين أربعة رجال صيادين، وصاروا تلاميذ له ومن هذا الحين صار أينما كرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويؤمنون به.

(٣٦) وقال يسوع للذين صاروا تلاميذ له أن يتركوا الدنيا وغناها وينذروا عيش الفقر والفاقة.

(٣٧) وجاء في كتب النصارى الدينية المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع علامة (أي بيِّنة) ليؤمنوا به.

(٣٣) إنجيل متّى الإصحاح الخامس.

(٣٤) إنجيل متّى الإصحاح الخامس العدد ٤٤.

(٣٥) إنجيل متّى الإصحاح الرابع من عدد ١٣ إلى ٢٥.

(٣٨) لما اقترب انتهاء أيام بوذا على الأرض وعلم الحوادث المقبلة التي ستقع قال لتلميذه «انادا» ما يأتي: ياأنانادا متى ذهبت لا تظن أنه لم يعد لبوذا وجود كلا فالكلام الذي قلته والفرائض التي افترضتها تكون خلفا عن بوذا لك كذاتي أنا.

(٣٩) وجاء في التعاليم البوذية أن إنفاق الإنسان لماله من أعظم الصعوبات ومن ينفق غناء هو أشبه بمن يهب روحه لأن النفس تبخل بالمال وتتمسك به وأما من وهب ونذر حياته شفقة وحنوا لخير الناس فلماذا نتمسك بغناء الدنيا الزهيد. ولما تخلص بوذا من حب المشتبهات الدنيوية وملذاتها نال المعرفة الإلهية وصار الرأس. فليعمل الرجل الحكيم الهاجر لملذات الدنيا والخير مع كل واحد حتى تقديم نفسه فداء عن الغير عندها يصل إلى المعرفة الحقيقية.

(٤٠) وكان قصد بوذا تشييد مملكة دينية أي مملكة سماوية.

(٣٨) لما اقترب انتهاء أيام يسوع على الأرض أخبر عن الحوادث التي ستقع من بعده وقال لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر».

(٣٩) وإذا واحد تقدم وقال له. أيها المعلم الصالح أي أعمل لتكون لي الحياة الأبدية. قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء وتعال ابتعني لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون».

(٤٠) ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.

(٤١) وقال بوذا «الآن أحببت إدارة دولاب الشريعة العظيم ومن أجل هذا فإنني ذاهب إلى مدينة بينارس لاهب نورا للتائهين في الظلام وأفتح باب الحياة للإنسانية.

(٤٢) وقال بوذا لتلميذه الحبيب: أناندا: يا أناندا إن كلامي حق لا ريب فيه فلا يزول قطعيا ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم، وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعا.

(٤٣) قال بوذا: لا يوجد شيء أعظم فعلا من الإنسان من الاشتهاء والهوى الشهواني ولحسن الحظ والسعادة لا يوجد سوى اشتهاء شهواني واحد ولو كان يوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم في النساء وإن كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير حاضرين معهن وإذا كلمتموهن فاحترسوا على قلوبكم.

(٤١) من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدأ يسوع بتأسيس مملكة دينية ومن أجل هذا الغرض ذهب إلى مدينة كفر ناحوم ومن ذلك الزمان ابتدا يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله، الشعب الجالس في ظلمة أبصر نورا عظيما والجالسون في كورة الموت وظلاله اشرق عليهم نور.

(٤٢) الناموس أعطى لموسى أما النعمة والحق فيسوع المسيح صارا. الحق أقول لكم: السماء والأرض تزول ولكن كلامي لا يزول.

(٤٣) وقال يسوع «قد سمعتم إنه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه.

(٤٤) وقال بوذا: الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متأججة، ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنا.

(٤٤) فحسن للرجل أن لا يمس إمرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق.

(٤٥) ومن جملة التعاليم البوذية قولهم «إذا أصاب الإنسان حزن وآلام وبؤس وقنوط، فإن ذلك يدل على أنه ارتكب آثاما وهذه الآلام جزاء عليها، وإذا لم يكن قد ارتكب شيئاً من الآثام في هذا الدور الحاضر من حياته، لابد وأن يكون قد ارتكبه من حياته، لابد وأن يكون قد ارتكبه في أحد الأدوار السابقة من ظهوره (أي في أحد أدوار تقمصه).

(٤٥) وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته فساله تلاميذه قائلين يامعلم أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى».

(٤٦) كان بوذا يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها.

(٤٦) كان يسوع يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم وإنه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها.

(٤٧) وجاء في كتاب الصوماديفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوذيين أنه قلع عينه ورماها لأنه اشككته.

(٤٧) قال يسوع «فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك».

(٤٨) لما عزم بوذا على التنسك كان راكبا جوادا يدعى كنتاكو ففرشت الملائكة طريقه بالزهر.	(٤٨) لما كان يسوع داخلا إلى أورشليم راكبا على حمار، فرشت الجموع الطريق بأغصان النخيل.

ومن جملة الألقاب والأسماء التي يدعون بها بوذا ـ ساقيا ـ (أي أسد سبط ساقيا) وساقيا مونى. (أي الحكيم ساقيا) وسوغاتا (أي الواحد السعيد) (أي المعلم) وجينا (أي الغالب) وبها كافاد (أي الواحد المبارك) ولو كاناثا (أي رب العالمين) وسر ماجينا (أي الحاضر) وضر مارجا (أي ملك البر) وقليل السعادة، وإله الجميع، والعظيم، والأبدي، ومزيل الآلالم والأتعاب، وحافظ العالم، ومثال الرحمة، ومخلص الناس، والطيب العظيم، والإله ما بين الالهة، والمسيح، والمولود الوحيد، طريق الحياة، وما شاكل ذلك من الأسماء، وبهذه المقارنات بين ما في العقائد الوثنية والنصرانية فإن كثيراً من العلماء ذهبوا يناقشون الوثنية، ويناقشون تقدير الأباطرة والأديان المحلية سواء أكانت يونانية أو لاتينية.

وقد اتجهوا إلى الآراء التي نادى بها الرواقيون. وحتى هذه الفلسفات أخذت تتضاءل أمام بحثهم عن حقيقة الوجود وحقيقة الله. وفي هذا الفراغ الديني الهائل لم يجد الرومانيون ـ وهم سادة العالم ـ وسيلة سوى الاتجاه شطر العقائد الدينية المختلفة المستوردة من الشرق، مثل ديانة سبيل من آسيا الصغرى وديانة متراس من فارس، وديانية إيزيس من مصر، وأخيراً المسيحية التي نبتت في فلسطين.

يقول السير آرثر فندلاى في كتابه (الكون المنشور)[1] صحيفة ١١٩ :

«ترتبط خمسة أسماء بالتغييرات الفكرية الهامة في العالم وهي :

١ ـ كرشنا ٢ ـ بوذا ٣ ـ كونفشيوس ٤ ـ سقراط ـ عيسى

«ومع ذلك لم يترك واحد من هؤلاء أية كتابة شخصية، وإنما تركوا

---

(١) ترجمة الدكتور راضي.

أفكارهم لكي تسجلها الأجيال التالية... ويجب أن يعلم كل إنسان أنه لا توجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة عيسى».

ثم يستطرد فيقول: «إن الأناجيل لا تعتبر سجلات تاريخية، فأولها «مرقس» كتب حوالي سنة ٧٠م و «لوقا» كتب بين سنة ٨٠ وسنة ٩٥، و «متّى» كتب حوالي سنة ١٠٠ و «يوحنا» حوالي سنة ١١٠. وليس للأخير قيمة تستحق الذكر في سرد الحوادث الأكيدة، ويظهر أن كل محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دوراً بعيداً. فاللغة اللاتينية الغربية. وهنا حدثت أخطاء كثيرة في النقل أو المحاكاة، إذ إن الكلمة الآرامية الواحدة قد يكون لها ٦ أو ٧ معان مختلفة»[١].

ويقول أيضاً سير آرثر فندلاى في كتابه (صخرة الحق)[٢]ص٥٩.: «إن الأناجيل الحالية لم تستقر إلا في القرن الرابع الميلادي عقب مجمع قرطاجنة عندما تقرر أي الكتابات يحتفظ بها، وأيها يرفض ويستبعد. وقبل ذلك التاريخ سنة ٣٩٧م لم يكن هناك شيء اسمه العهد الجديد الذي نعرفه اليوم. ويعلل أحد رجال الكنيسة القديس آيرونيوس اختبار أربعة أناجيل في القرن الثاني بأن الأرض لها أربعة أركان».

ويسترسل السير آرثر فندلاى في كتابه (صخرة الحق) صحيفة ٧٦ فيقول: «اكتشف لوحة أثرية في بابل تثبت أن إلههم بعل كان يتصف بنفس الصفات التي ألحقت بعيسى، وأن هذه اللوحة كتبت قبل العصر المسيحي بمئات السنين حوالي ١٢٠٠ سنة». ثم وازن على ضوئها بين المبادئ البابلية والمبادئ المسيحية:

---

(١) ترجمة الدكتور راضي.

(٢) المرجع السابق.

المبادئ البابلية والمبادئ المسيحية

المبادئ البابلية مقتبسة من اللوحة الأثرية	المبادئ المسيحية من البابين ٢٧ و ٢٨ من إنجيل متى
١ ـ أخذ بعل أسيراً	١ ـ أخذ عيسى أسيراً
٢ ـ حوكم بعل في قاعة المحكمة	٢ ـ حوكم عيسى في قاعة بيلاطس
	٣ ـ جلد عيسى
٣ ـ ضرب بعل	٤ ـ أخذ عيسى إلى الجمجمة
٤ ـ أخذ بعل إلى الجبل	٥ ـ أطلق سراح مجرم (بارباس) وأخذ معه مجرمان
٥ ـ أطلق سراح مجرمان أخذ معه مجرمان	٦ ـ بعد موت عيسى تحطم الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة
٦ ـ بعد أخذ بعل تهدمت المدينة	
٧ ـ أخذت ملابس بعل	٧ ـ اقتسم الجنود ملابسه واقترعوا على لباسه.
٨ ـ ذهب بعل إلى الجبل، واختفى من الحياة	٨ ـ خرج عيسى من القبر وذهب إلى عالم الأموات.
٩ ـ ذهبت امرأة تبكي عند القبر	٩ ـ ذهبت مريم المجدلية تبكي عند قبر عيسى
١٠ ـ عاد بعل إلى الحياة ثانية	١٠ ـ ارتفع عيسى من القبر حياً

وبنى المسيحيون على فكرة نبوة عيسى فكرة أنه المخلص الوحيد للبشرية من ذنوبها، وفي هذا بالطبع كثير من الأخطاء والمعارضة للقوانين الكونية، إذ إن المسؤولية الشخصية اعتمدتها كل القوانين، بل إن العلم ينادي بذلك أيضاً.

فعلم الميكانيكا يقول: «لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار، ومضاد له في الاتجاه».

وعلم الطبيعة يقول: «كل جسم يشع كمية من الإشعاع بمقدار ما يمكنه أن يستقبل».

فلا يمكن إذن أن يتحمل إنسان نتيجة عمل إنسان آخر.

وبعيداً عن التبريرات الإنجيلية في الفداء والصلب يقول السير آرثر فندلاى أيضاً في كتابه (الكون المنشور)[1] في صحيفة ١٥٧ مقارناً المسيحية بالوثنية الفرعونية وتماماً مثلما كان يردد المصريون:

«لما كان أوزوريس يحيا حقاً فسوف أحيا».

«لما كان أوزوريس لن يموت فلن أموت».

هذه العبارات نفسها يرددها المسيحيون الأولون والمتأخرون بقولهم: «لما كان المسيح يحيا حقاً فسوف أحيا. ولما كان المسيح لن يموت فلن أموت».

وللتأكيد من هذا كله انظر إلى: (يوحنا ٦: ٣٢ ـ ٥٩، ١ كورنثوس ١٥: ١ ـ ٥٨) تجد صدق التشابه في المقارنة التي أتى بها السير آرثر فندلاى والتي دونت في العهد الجديد فإذا ما أضيف ذلك إلى المقارنة التي ذكرناها بين كرشينا الهندي وبوذا تصبح الوثنيات الثلاثة القديمة السابقة لميلاد المسيح بمئات السنين أسبق وأدل.

ويسترسل السير آرثر فندلاى فيقول:

«نفس العبارات التي قيلت لأوزوريس نسبت إلى المسيح، ولما أضيف اسم عيسى إلى قائمة الآلهة المخلصين أصبحت كل القصص التي قيلت عن الآلهة الوثنية تقال بالمثل تماماً عن عيسى ومن تلك:

١ ـ قصة الولادة من العذراء.

---

(١) ترجمة الدكتور علي عبد الجليل راضي.

٢ ـ قصة المحاكمة قبل الموت، وطريقة الإعدام، وطريقة القيامة، وطريقة الصعود.

٣ ـ قصة القيامة بالجسد.

«تلكم القصص التي كانت تتكرر في المعابد القديمة صيغت في ألفاظ، وركزت حول المسيح عيسى بدلا من أوزوريس الفراعنة، وبعل البابليين، وبروميثيوس اليونانيين، أو أي واحد من الآلهة الآخرين».

ثم ينتهي بذكر رأيه فيقول في كتابه (الكون المنشور)[1] ص ١٨٤ :

«لا يعتبر عيسى إلهاً أو مخلصاً، وإنما هو رسول من الله، خدم في حياته القصيرة في علاج المرضى، وبشر بالحياة الأخرى وعلم بأن الحياة الدنيا ما هي إلا إعداد لحياة أخرى، للملكوت الإلهي، لحياة أفضل لكل من يعمل صالحاً».

ثم يؤكد براءة عيسى من شبهات المسيحية في أكثر من موضع، فيقول في الكتاب نفسه بصحيفة ١١٧[2] :

«إن بولس هو الذي وضع أساس الدين الذي يسمى الدين المسيحي... الدين الذي ولد طفلاً عملاقاً متكاملاً في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بأمر الإمبراطور قسطنطين».

ويقول العلامة روى ديسكون سميث في كتابه (ضوء على البعث)[3] صحيفة ٣٢١.

«لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التي لا توازى ـ في مجموعها منذ بدء

---

(١) ترجمة الدكتور علي عبد الجليل راضي.

(٢) المصدر السابق، نفس الموضوع.

(٣) المصدر السابق، نفس الموضوع.

الخلق إلى نهايته ـ كوكباً من الكواكب المتناهية في الصغر لكي يعاني موتاً وحشياً فوق الصليب، لترضية النقمة الإلهية على البشرية، ولكي يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية، على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجي الذي لا يستسيغه عقل ألا وهو الفداء.

«وإذا كان الله قد أذن بالصلب لأجل ترضيته فإنه يكون مشتركاً في الذنب مع السفاكين الذين يكونون قد قاموا بمهمة إلهية. لماذا لا نعتقد أن الله ـ والمستقبل أمامه كتاب مفتوح ـ قد سمح بتضحية رسوله لأنه تنبأ بالنتائج العظيمة من أن هذه الحادثة سوف تكون سبباً في حد ذاته في انتشار الإنجيل؟».

لقد كان الصلب خدعة كبرى بات الإنسان قادراً على أن يحل طلسمها. وهي عديمة التأثير على جلال الله بين غير المسيحيين، عديمة التأثير على عدالة الله وضبط قوانينه، تلك القوانين التي تنص على مسؤولية الفرد وحده عن عمله وجزائه عليه كما جاء في شرائع أخرى من أن كل امرئ بما كسب رهين.

الفصل السادس عشر

- سقم بعض المعتقدات التي تطرحها الأناجيل
- نماذج من سقم العبادات في الأناجيل
- بطلان دعوى الإلهام في كتب الأناجيل

سقم أهم المعتقدات التي تطرحها الأناجيل

المطالع للتراث اللاهوتي في الأناجيل الأربعة أو غيرها، سيجد من التراجم والروايات، ما لا يمكن أن يستقيم في العقل أو يقبله الذوق ناهيك عن أن تكون هذه المرويات عبادة يتعبد المؤمنون بها ربهم أو أن تكون عقيدة جاء بها نبي أو رسول بلغها عن ربه، واستقامت واستقرت في أمته، وذلك مثل: العيد، الذي يعرف عند معظم النصارى في الشرق والغرب بـ (عيد الصليب)، وهذا العيد في ضوء التأمل والمقارنة بين المصادر التي قالت به، لا أصل له ألبتة، فهو مما أحدثوه بعد رفع المسيح، كعيد ميكائيل وعيد النور وغيره، فقد قال كثير من علماء وشارحي اللاهوت، أنه من ميلاد المسيح، إلى أن وجد الصليب ثلاثمائة سنة وثمان عشرة سنة، وسبب إحداثه، أن اليهود اتخذوا المقبرة التي دفن فيها، الشبه الذي ألقي به في روع اليهود أنه المسيح مزبلة يطرحون فيها الكناسات والأوساخ تحقيرا لشأن المصلوب وتصغيرا لقدره، فأقامت مزبلة نحوا من ثلاثمائة سنة إلى أن جاءت أم الإمبراطور قسطنطين التي يسميها النصارى «القديسة هيلانه» أو «هيلينا الملكة»، كما وردت هذه القصة في تاريخ سعيد بن البطريق المتوفى ٩٤٠م المسمى بـ «نظم الجوهر» ونقلها عنه كثير من العلماء في بيان سخافات تندرج في دين النصارى، كذلك وردت هذه القصة عند الإمام القرافي في كتابه: (أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية) صـ ٧٥. ٧٧ والمقريزي في خططه جـ٣ / ٥٢٥ .٥٥٢ وغيرهم، كما نقلتها المصادر النصرانية المعتبرة عند الكنيسة مثل كتاب «السنكسار» جـ ٢/ ١٦٣.١٦٢ وهذا الكتاب يتضمن سيرة الشهداء والشهيدات في العصور الأولى للمسيحية.

وعندما جاءت القديسة هيلانه، أمرت بالكشف عن المقبرة فظهرت لها فإذا فيها ثلاثة صلب، وهم صليب اللصين والشبه فقالت: كيف لنا أن نعلم خشبة ربنا التي صلب عليها؟ وكان هناك مريض قد أشرف على الموت، فأمرت فوضع عليه الصليب فلم يقم، فأمسته الثاني فلم يقم، فأمسته الثالث فقام وبرأ من علته كأن لم يكن به بأس، قال النصارى: فعلمت أنه صليب الرب فعلقته بالذهب وبعثت به إلى الملك.

والجدير ذكره أن النصارى يحتفلون عادة بهذا العيد في الثالث من شهر مايو كل عام ويسمى «عيد اكتشاف الصليب» إحياء لذكرى قصة اكتشاف الصليب الذي صلب عليه المسيح على ضوء ما تقول الروايات ويزعمون. أما الكنيسة القبطية فإنها تحتفل بعيد ظهور الصليب باحتفالين:

الأول: ذكرى اكتشاف الصليب على يد الإمبراطورة هيلانه في يوم ١٦ من شهر توت «من الشهور القبطية سنة ٣٢٦م».

الثاني: ذكرى استرجاع الصليب من الفرس الغزاة على يد الإمبراطور هرقل في يوم ١٠ من شهر برمهات سنة٦٢٧ م. وإذا كان هذا العيد وأمثاله، إنما جرى بعد المسيح بهذه الفترة الزمنية الطويلة، مئات السنين فكيف يعد مأخوذا عن المسيح؟. وهذه الأعياد لو كانت معتبرة أو تمثل نسكا لكان الأولى أن تكون مسطورة في كتب الأناجيل، ومأخوذة عن التلاميذ، ولو بعث الله التلاميذ الآن لم يعرفوا منها ولا مما عليه النصارى شيئا، إذ ما في أيديهم شيئ مما كان عليه المسيح وأصحابه، يقول أفريم السرياني أحد كبار الأحبار النصارى وقديسيهم الأوائل في ضوء ما نقله حبيب جرجس في كتابه الوسائل العلمية للإصلاحات القبطية ص ١٠٥،١٠٦: لا تعمل عملا إلا وتبدأ بإشارة الصليب، وكذلك اختم بإشارة الصليب الحي جميع أعمالك، لا تخرج من باب منزلك قبل أن ترسم نفسك بالصليب، ولا تغفل عن ذلك في طعامك وشرابك، حين رقادك أو استيقاظك، في البيت أو في الطريق، في العمل أو في الاستراحة.

ومن الغرائب اختلاف النصارى منذ القرون الأولى في كيفية التصليب على عدة أشكال:

أ ـ التصليب بأصبع واحد، وهي سنة اليعاقبة من سريان وأقباط وحبش ونوبة، ابتداء من العلو إلى الأسفل «إشارة إلى نزول المسيح من السماء إلى الأرض» ومن الشمال إلى اليمين «إشارة إلى نقلهم من جهة الشمال التي هي الخطيئة إلى ناحية اليمين التي هي المغفرة ومحل النعمة حيث يكون سيدهم».

ب ـ التصليب بأصبعين، وهو ما كان الأقباط والسريان والنساطرة يتهمون به الروم البيزنطيين والملكيين بالتصليب بأصبعين.

ج ـ التصليب بثلاثة أصابع، هو الشكل القديم الذي عم الكنيستين الشرقية والغربية قبلا، ولا تزال تستعمله الكنيسة البيزنطية، وجرى عليه الأرمن.

د ـ التصليب بالأصابع الخمس، شاع ذلك في الكنيسة اللاتينية بعد القرن ١٣ م.

واختاره الموارنة والسريان الكاثوليك من الشرقيين تقليدا للإفرنج منذ القرنين ١٦، ١٧م.

ولو سأل سائل اليوم علماء اللاهوت وشراح الأناجيل وخاصة أولئك الذين يقدمون عقائدهم عبر قنوات البث الفضائي، واعظين ومفسرين وشارحين، ما الذي يحدث لو تركتم جوانب الوعظ والترقيق والترغيب ولغة المحبة المجردة من كل الاعتبارات العقدية ولو أنتم أعطيتم بعض اهتمامكم لشروح جوانب الاعتقاد المسيحي ونسكه وشعائره وصلواته؟ وفي ضوء ذلك كله لو أعاد متأمل السؤال وقال لهم أخبرونا بماذا استحق الصليب عندكم هذا التعظيم والتفخيم، حتى صرتم تقبلونه وتمررونه على أعينكم وتصلبون به على وجوهكم، فمنكم من يصلب على وجه بأصبع

واحد ومنكم من يصلب بأصبعين إلى غير ذلك مما تناولناه بالعرض من شراحكم وعلمائكم، أفهذا دين نقلتموه عن الأنبياء وأخذتموه من شرائع الرسل؟ فأرونا ذلك في توراة موسى ونبوات أشعيا وأرميا ومزامير داود، وأنَّى تجدون ذلك في هذه الكتب وآيات التوحيد فيها واضحة جلية لمن أراد أن يتأملها، وقد كان من حكم الصليب لو كنتم عقلاء أن تمقتوه وتلعنوه وتميتوا ذكره وتخفوه فلا تعلنوه، فإن قالوا: إنما عظمناه لأنه شُرف بصعود المسيح عليه، ونحن نقبله ونعظمه لذلك. وبمقتضى قولهم هذا، فإن سؤالا يطرح نفسه لماذا لم تعظموا: الحُمُر وتقبلوها وتسجدوا لها لأن لوقا وغيره من أصحاب الأناجيل قد أخبر أن المسيح ركب حمارا عند دخوله المدينة والصبيان بين يديه ينادون كما روى متى في الإصحاح ٢١/٩ مبارك الآتي باسم الرب، فكان ركوبه الحمار في حال تعظيمه وكرامته، وركوبه الصليب في حال تصغيره وإهانته، فهلَّا تعظمون الحمير وتضمخونها بالعبير وتقبلونها فإنها أفضل من الصليب بكثير، فشتان بين مركوب بالرئاسة مخصوص، ومركوب قرنه باللصوص، فلو عقل النصارى لأسقطوا ذكر الصليب ورفضوه ومقتوا ذكره وأبغضوه، فإن ذاكره يعرض بربهم الذي يقولون به. وهناك من الأحاجي والألغاز، ما يحار معه اللبيب مثل اختلافهم في السجود للصور، فمنهم من يؤثره ويهواه، ومنهم من كان يكرهه ويأباه، وأكثرهم على المذهب الأول بدليل أن كنائسهم لا تكاد تخلو من الصور، وهذا مما أحدثوه بعد المسيح وتلاميذه، وهذه الأناجيل الأربعة التي نطالعها ليس فيها شيء يدل على انتحال ذلك ألبتة ثم يسأل المتأمل ما الفرق بين السجود للصورة والسجود للوثن والصنم، ولو كان ذلك من الدين لكان أولى الصور المسيح، وأولى الناس بالسجود لها الحواريون، وقد بقوا بعد المسيح حتى اخترموا لم يؤثر عنهم شيء من هذا القبيل.

وقد ورد النهي عن صنع التماثيل والتصاوير والسجود لها صريحا كما جاء في العهد القديم من سفر اللاويين الإصحاح ١/٢٦ والذي يقول:

(لاتصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا في أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له، لأني أنا الرب إلهكم) وتكرر ذلك النهي أيضا في سفر التثنية إصحاح٤/ ١٥.٢٠.

يقول ول ديورانت: إن الكنيسة أول أمرها كانت تكره الصور والتماثيل وتعدها بقايا من الوثنية. وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثني الذي يهدي إلى تماثيل الآلهة، ولكن انتصار المسيحية في عهد قسطنطين، وما كان للبيئة والتقاليد والتماثيل اليونانية من أثر في القسطنطينية والشرق الهلنستي، كل ذلك قد خفف من حدة مقاومة هذه الأفكار الوثنية، ولما أن تضاعف عدد القديسين المعبودين نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم، فظهر لهم ولمريم العذراء كثير من الصور، وحول الشعب الميسحي الآثار والصور والتماثيل المقدسة إلى معبودات يسجدون لها ويقبلونها ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي.اهـ.

وعندما تولى الإمبراطور ليو الثالث «٧١٣ ـ ٧٤١م» عرش الإمبراطورية، وكان متأثراً بالمسلمين في تحريمهم التماثيل والصور، فإنه عقد مجلساً من الأساقفة وأعضاء مجلس الشيوخ وأذاع بموافقتهم في عام ٧٢٦م مرسوماً يقضي فيه بتحريم عبادة الأيقونات وإزالتها من الكنائس والأديرة، وسانده في هذا المرسوم المثقفون من النصارى، ولكن عارضه المؤيدون لعبادة الأيقونات وهم الرهبان والأساقفة، وقاموا بمساندة الشعب بثوراتهم ضده، وخلفه ابنه قسطنطين الخامس «٧٤١ ـ ٧٧٥م» الذي عقد مجمعاً بالقسطنطينية سنة ٧٥٤م للتأكيد على تحريم عبادة الأيقونات، كما سار على نهجه ابنه الرابع «٧٧٥ ـ ٧٨٠م» وبعد موته انتقلت السلطة إلى أرملته «إيريني» الوصية على ابنها الصغير قسطنطين السادس، وقد كانت من أشد أنصار عبادة ودعاة الصور والتماثيل، فألغت تنفيذ المرسوم السابق وعينت ترسيوس، وهو من دعاة الأيقونة في منصب بطريرك القسطنطينية، ثم سعت إلى عقد المجمع المسكوني السابع في نيقية سنة ٧٨٧م الذي أقر

تعظيم الصور والتماثيل المقدسة لا عبادتها وبأنه تعبير مشروع عن التقى والإيمان النصراني، وبذلك انتصر المؤيدون لمذهب الصور وعبادتها، لكن الصراع كما يقول ول ديورانت في قصة الحضارة ١٤/ ١٥٤،١٥٨ والمسيحية في العصور الوسطى لجاد المنفلوطي ص ٤٧، ٥٢، ٥٤ لا زال دائراً حيث أيدت طائفة البروتستانت القول بتحريم الصور والتماثيل وإزالتها من الكنائس.

وقد سبق أن ذكرنا أن التوراة قد شددت وغلظت على من يفعل شيئاً من ذلك بل إن السيد المسيح عليه السلام قد نسب إليه أنه قال: (لم يأت لنقض التوراة بل جاء لإكمالها) فالتوراة أو فلنقل كتب العهد القديم مصرحة بتكفير عابد الصور، ولما كان الإنجيل ليس فيه لها ذكر، فلم يبق أمامنا إلا أن نقرر أن كنائس النصارى مملوءة بها وأن هذه العبادة للتماثيل والصور نوع من المجاهرة بالعناد وعبادة الأنداد[1].

ومن الطرائف في هذا أنه ينسب إلى أحد الملوك حضور حفل في الكنيس فقال بنفسه للأسقف: اقرأ الساعة حتى نرى كيف يبكي الصنم. فقال الأسقف: إنما يبكي في يوم واحد من السنة، فاستشعر الملك أن قول الأسقف مخرقة، فتقدم يحفر ما تحت الصنم فوجد حفرة مصنوعة، والصنم مجوف من أسفله تجويفاً ضيقاً، فإذا كان ذلك اليوم وضع الأسقف في تلك الحفرة، قربة ماء وجعل فيها أنبوبة مستطيلة رقيقة متصلة برأس الصنم وستر الحفرة ستراً محكماً، فإذا ماسَّها ماسٌّ وأضغطها صعد الماء في

---

(١) عن أهمية التماثيل والصور والتجسد، يمكن الرجوع الى ما كتبه الدكتور القس فهيم عزيز، في كتابه الموسوعي: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس الرسول وانظر أيضا

Skoss, Solomon, L. :The Arabic Commentary of Ali Ibn Suliman the Karaite on the Book of Genesis. J.Q.R.V. XVIII 1927 - 1928.

Skoss, Solomon L. ; Kitab Jami Al Alfaz (Agron) of David Ben Abraham Al Fasi. Yale University Press. V. I. 1938.

الأنبوبة إلى رأس الصنم وقد حشي رأسه بالقطن، فإذا تشرب القطن الماء سالت منه دمعات وسقطت من عيني الصنم على تدريج بأمر قد أحكم، وحيلة قد أتقنت، فلما اطلع الملك على ذلك أمر بالصنم فأخرج وأخذ ما وجد بالكنيسة من المال وأدب القائمين عليها وشردهم.

والجدير ذكره في هذا المقام أن هناك طائفة من النصارى يسمون: الآريوسية أصحاب آريوس يعتقدون أن المسيح مخلوق جسمه وروحه، وأنه ليس بإله ولا رب، غير أن له سلطاناً على السماء، وأنه قد قتل وصلب، واتفق النصارى على لعنه ونفيه في مجمع نيقية، والتبرؤ منه بل والحكم عليه فيما بعد بالقتل.

ومن النصارى فرقة تعرف باللليانية أو باللياميتية شاركت السوفسطائية في الذوبان في المسيح خاصة، فقالت: إن الذي تراه العين من المسيح ليس هو المسيح وإنما هو خيال، وإلا فالمسيح ليس يتصور أن يرى. وفي نفس دعواهم هذه ما يقضي بردها والحكم بفسادها إذ يقال لهم: إذا كان المسيح لا يرى وإنما هو خيال، فمن أين لكم أن الذي أثبتموه خيالاً للمسيح إنه هو المسيح؟ ولعل الذي رأيتموه خيالاً ليس بخيال أيضاً، ولعل أحدكم حمار أو كلب أو حيوان آخر وإن كان آدمياً في رأي العين، وذلك الاعتقاد يؤدي إلى قلب الحقائق.

ومن النصارى من يقول: إن مريم لم تلد إنساناً، أو إن مريم لم تلد إلها، وإنما ولدت جسداً كما يقول النسطورية، وجاءت الكلمة فاتحدت به فصار إنساناً كاملاً.

ومن النصارى من يعتقد أن المسيح مولود من الآب والروح كما يقول بذلك الكاثوليك الذين كانوا يسمون في القديم «الملكية» وأن الروح قوة تحل على الصالحين كما حلت على يوحنا، وهي التي تحل على القربان فتبارك فيه، وأنها إذاً من إرث الأنبياء أتتهم في صورة إنسان حسن الصورة.

والمطالع لتراث اللاهوت المسيحي تواجهه مفارقات وتباينات عديدة، فمثلاً توجد فرقة من النصارى تعرف بالمريمية يزعمون أن مريم حين ولدت المسيح لم تكن عذراء، وأنها كانت ولدت قبله عدة أولاد من يوسف.

ويذكر القمّص زكريا إبراهيم: أن هذه الفرقة ظهرت في القرن الخامس الميلادي، وكان أصحاب هذه البدعة من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية، وكانوا في وثنيتهم يعبدون الزهرة ويقولون عنها ملكة السماء، وعندما اعتنقوا المسيحية حاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون وبين العقيدة المسيحية، فاعتبروا «مريم» ملكة السماء أو إلهة السماء بدلاً من الزهرة، ولذلك أطلقوا على أنفسهم اسم «المريميين» هذا ما قاله القمس زكريا إبراهيم عن هذه الفرقة في كتابه: (الله واحد في الثالوث المقدس ص٤١).

وقد ذكر ابن البطريق هذه الطائفة في كتابه «نظم الجوهر» ونقل عنه أخبار هذه الفرقة ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٢٢)، وابن القيم في هداية الحيارى ص ٣٢١، والمقريزي في خططه ٣/ ٥٢٤ وقد ذكرها ابن حزم باسم «البربرانيه» وبأنها قد بادت كما في كتابه: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ١/ ٢١٠.

ومع أن كثيراً من النصارى يقولون بانقراض هذه الفرقة، وأن الكنيسة لا تعترف بألوهية مريم وتؤمن بأن العذراء مريم إنسانة بشرية كما ورد ذكره عند القمص زكريا إبراهيم في كتابه «الله واحد في الثالوث ص٤٢» إلا لأن تقديس النصارى لمريم جاء في مجمع أفسوس الأول سنة ٤٣١م الذي وضع مقدمة قانون الإيمان والذي جاء فيه: (نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء المقدسة والدة الإله)، ويؤكده أيضا ما جاء في أوامر الكنيسة وتعاليمها بالتوجه والدعاء إلى مريم، وأن تختم الصلاة الربانية عنهم بالصلاة المريمية عشرين مرة كما جاء ذلك في كتاب عبد الأحد داود

«الإنجيل والصليب» ص١٢٥، ١٢٦ كما ذكر ذلك جاد المنفلوطي في كتابه «المسيحية في العصور الوسطى ص٤٤».

والجدير ذكره في هذا المقام أن مكتبتنا الخاصة تحتوي على مخطوط يرجع تاريخه إلى عام ١٦٨١م. عنوانه: «أمجاد مريم والدة الإله الكلية القداسة» يتضمن القول بنصوص صريحة تدعي «ألوهية مريم عند فريق من النصارى».

وقد ذكر يوسابيوس: اسم فرقة تدعى «النيقولاويين» نسبة إلى نيقولاوس أحد الشمامسة الذين أقامهم الرسل مع استفانوس لخدمة الفقراء، وأن نيقولاوس كانت له زوجة جميلة، وعندما اتهمه الرسل بالغيرة والحسد بعد صعود المخلِّص، أخذها ووضعها في وسطهم وسمح لأي واحد أن يفعل بها ما يشاء لأنه يقال أن هذا كان يتفق مع القول المعروف عنه، إن المرء يجب أن يذل جسده، أما الذين اتبعوا هرطقته وقالوا بحماقة كل ما فعله وقاله تقليدا أعمى فإنهم كما يقول صاحب «تاريخ الكنيسة» ص١٥٩ يرتكبون الزنا بلا خجل أو حياء وهذه الفرقة من النصارى الذين لا يدخلون الكنائس إلا عراة ويحرمون النكاح.

ومن النصارى فرقة يعبدون حية ويعظمونها كتعظيم المسيح، ولا عجب في ذلك فإن أسلافهم من اليهود قد عبدوا الحية النحاسية كما نقل ذلك في سفر العدد إصحاح٢١/ ٩ معتقدين أن موسى عليه السلام قد صنعها وأقامها على عمود في البرية، لكي ينظر إليها بنو إسرائيل الذين لدغتهم الحيات فيشفون، وفي السنين التالية بعد موسى اتخذ اليهود صنما يعبدونه إلى أن حطمه نبيهم حزقيا كما في سفر الملوك الثاني ١٨/ ٤ وقد زعم النصارى أن تلك الحية النحاسية، المرفوعة على عامود، رمز ونبوءة على صلب المسيح وأن تلك المقارنة قد وردت في إنجيل يوحنا ٣/ ١٤، ١٥.

ومن النصارى فرقة يزعمون أن المسيح جاء معه بجسد من السماء وجرى من مريم مجرى الماء في الميزاب. وهذه مقالة فالنتيوس

(Valentaus) الذي ظهر في منتصف القرن الثاني الميلادي، واشتهر في روما في عهد هيجينوس أسقف روما، وأسس شيعة تنتمي له. وقال أبيفانوس عنه: إنه ولد في مصر ودرس الآداب اليونانية في الإسكندرية كما قال صاحب تاريخ الكنيسة ص١٩٤، ١٩٥.

ومما يطالعه المرء في تراث اللاهوت الإنجيلي ولا يجد له مبررا عقليا، أو قبولا قلبيا حتى بين من ناقشناهم من الإنجيليين ما يقوم به معظم النصارى في صلاة الغروب من قولهم: (ياوالدة الإله العذراء اسعي في خلاصنا وافرحي يا والدة الإله، مباركة أنت في النساء ومبارك ثمرة بطنك لأنك ولدت لنا مُخَلِّصنا، يا والدة الإله لا تغفلي عن وسائلنا، ونجنا من المعاطب. وأيضا في هذه الصلاة على ضوء ما ورد في كتاب ترانيم ومدائح منتخبة ص٢٠، ٢١ (يا صابغ المسيح يوحنا اذكر جماعتنا ونجنا).

والبداهة قاضية بأن قولهم «يا والدة الإله أن الألوهية عندهم قد تكون حقيقة وتكون مجازا، فالإله الحقيقي هو الله الآب عندهم، والإله المجازي هو المعظم في الدين الذي يدعو إلى الله ويعلم الناس أوامر الله ويبين لهم أحكامه، فإن عنوا هاهنا الإله الحقيقي سقطت مقالتهم حيث لا يقول بها عاقل.

وإن عنوا القسم الثاني وهو الإله الذي هو معظم في الدين على ضوء ما جاء في كتب العهد القديم في سفر الخروج ٧/ ١ (أخوك هارون يكون لك مترجما وأنت تكون له إلها ومدبرا) وكقول داود لعلماء بني إسرائيل على ضوء ما ورد في المزمور ٨٢/ ٦ (أنا قلت: إنكم آلهة وبني العلي كلكم تدعون، وكقول حبقوق النبي كما جاء في سفر حبقوق ٣/ ٣) إله يأتي من التيمن ومقدس من جبال فاران، يصف نبيا يخرج من الحجاز صلوات الله عليه وسلامه.

ثم إن البداهة قاضية بأنه إذا قال النصارى في بعض صلواتهم (يا والدة الإله) لم يُعلم من هي المَدعُوّة أهيَ أُمُّ إبراهيم كما يشير إلى ذلك

سفر التكوين ١٢/٢، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأُعظم اسمك أَم أُمُ إسرائيل فإنه في التوراة كما هو في سفر الخروج ٤/ ٢٢ (بِكرُ الله)،أم والدة موسى فإنه قد ورد في سفر الخروج ٤/ ٢٢وهو يكون لك فما وأنت تكون له إله، أم إحدى أمهات أصحاب داود فإنهم كما ورد في سفر المزامير٨٢/ ٦ إنكم آلهة وبنوا العلي كلهم آلهة؟! فقد صار اللفظ مجملا، فمن التي دعوها لتنجيهم من المعاطب وتسعى في خلاصهم؟!

واللافت للنظر أنه إن صحت عندهم الروايات المتعلقة بهذه الصلاة فيكونون بذلك قد أضافوا إلها سادسا وهو يوحنا، إذ قالوا «يا يوحنا صابغ المسيح نجنا من المعاطب، فصارت الآلهة ستة: الآب والابن وروح القدس والمسيح ومريم والمعمداني، وفي دعائهم يوحنا وطلبهم النجاة منه والخلاص من أقوى الأدلة في تكذيب الروايات التي تقول بخلاص الجميع بصلب المسيح وقتله، إذ لو كانوا فعلا قد خلصوا بالمسيح كما يدعون لم يفتقروا إلى دعاء غيره، وحيث احتاجوا إلى الغير دل على أنهم ما خلصوا وصارت مزاعمهم فيما ادعوه من مقتضيات ومبررات من صلب المسيح وقتله، خاليا من الفائدة، بل يدل على اضطراب في التفكير وسُقم في المعتقد.

نماذج أخرى من سقم العبادات في الأناجيل

المطالع للتراث العقدي والنسك الديني عند النصارى تطالعه مفارقات عديدة منها مثلا: ترك طوائف عظيمة منهم، الاختتان فقد حرموه ورأوا أنه معصية، وأن إطالة القلف فيما زعموا دين يدان الله به وشرع لا يسع المكلف خلافه. ولابأس عندهم أن يجامع الرجل امرأته وجلدة قلفته مستطيلة والأخرى عضوها بارز نات كأنه عرف ديك فيكونان في أكرم علاقة أقبح شيء وأسمجه. والغريب في الأمر أنهم بذلك يخالفون ما في العهد القديم إذ جاء فيه من سفر التكوين ١٧/ ١٤.٩، ٢٧.٢٣. (أن إبراهيم الخليل أمره الله بالختان فقال له هذا عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك أن يختتنوا غرلة كل ذكر منكم ومن عبدانكم ليكون عهدي ميسما في أجسادكم عهدا دائما إلى الأبد، وكل ذكر لايختتن غرلته فلتهلك تلك النفس من شعبها لأنها أبطلت عهدي، فعمد إبراهيم فاختتن وهو إذ ذاك شيخ كبير وختن أولاده وعبدانه) فإذا كان هذا نص في سفر من أسفار العهد القديم ينص على أن الاختتان واجب إلى الأبد، وأن تاركه يقتل، فقد وضح كفر من خالفه من النصارى وغيرهم ببعض ما قالوا، وقد ترك الروم والفرنج وغيرهم الختان، هذا وقد جاء في بعض الروايات أن المسيح اختتن وتلاميذه، والعجب من النصارى أن منهم من يجب مذاكيره ويخصي نفسه، وآخرون يحلقون لحاهم، وفعل هؤلاء وأولئك لم يأت في شرع ولم ينزل به حكم ثم يأتي بعد ذلك طوائف أخرى من النصارى ويتركون الختان.

ولم يزل النصارى يختتنون بعد رفع المسيح، إلى أن أتاهم رجل يدعى عندهم فولس بعد المسيح بفترات متباعدة ومتطاولة وقال لهم كما ورد في رسالته إلى غلاطية ٦/ش/١٥: (إن الختان ليس بشيء، وإن الغرلة ليس بشيء). وكثير من العلماء والمؤرخين يرون في شخصية فولس أنه كان من أشأم الناس على النصارى، لأنه أخرجهم من شعائر طقوسهم بلطيف خداعه، وحلهم من سنة الختان حين رأى عقولهم قابلة لكل ما يلقى إليها، لكن الجدير ذكره أن كثيرا من النصارى في القرون المتأخرة قد مالوا إلى الختان لتقليدهم المسلمين وتأثرهم بهم عن طرق الاحتكاك المختلفة وأيضا لما لمسوه من الفوائد الصحية والنظافة الشخصية للختان كما يذكر ذلك إيزيس حبيب في كتابه: «المجتمع القبطي ص ٢٢٧،٢٢٤ وأيضا ما جاء عند حبيب زيات في كتابه الصليب في الإسلام ص٦».

كذلك يطالع المتأمل في التراث العقدي للنصارى الروايات التي تقول إن للنصارى كنيسة ببعض البلاد يحجون إليها، ويبدو أن هذه الكنيسة في الأماكن التي يقولون أنها تقدست بولادة المسيح وموته وقيامته، والأماكن التي لها تعلق بعجائب المسيح التي يقولون بها، ولم يقتصر النصارى على ذكر أماكن محددة فأصبحوا يحجون إلى الصوامع والأديرة التي كان يقيم فيها رهبانهم وقديسيهم، وإلى روما حيث كنيسة بطرس بالفاتيكان، وكنائس أخرى كثيرة في ألمانيا ومصر وأسبانيا وتركيا كما ذكر ذلك في دائرة المعارف ٦/ ٦٩٣ ـ ٦٩٨ للمعلم بطرس البستاني ومثل هذه الممارسات والعبادات تدل على حجم التحريف والابتداع، فالحج في ضوء ما تقول به الروايات سياحة أثرية ولا أكثر من ذلك.

لكن اللافت للنظر أن الكنيسة التي يحج إليها فريق من النصارى ويعظمونها، يزعمون أن يد الله تخرج إليهم من وراء ستر من جدران تلك الكنيسة فتصافحهم وذلك في يوم من السنة، فبلغ ذلك الخبر أحد قادتهم ثم حثه أحد رعاة الكنيسة على زيارتها وقال له: ألا تعجب من يد الله

تعالى كيف تظهر للناس ويرونها؟! فمضى ذلك الرئيس إلى الكنيس في ذلك اليوم، فلما ظهرت اليد قَرَّبَهُ أحدهم إليها ليقبلها فلما رآها وضع يده فيها والتزمها، فصاحوا به وقالوا الساعة تخسف بنا الأرض أو تسقط علينا السماء وترسل الصواعق فنهلك. فقال: دعوا عنكم هذا فإني والله لا أدع هذه اليد من يدي حتى أرى وجه صاحبها. فلما شاهدوا منه التصميم قالوا له: أرجعت عن دين النصرانية، وهو دين آبائك وأسلافك قال: لا ولكني أردت الوقوف على سر ذلك. قالوا: فإنها يد، يقف واحد من أصحابنا وراء هذا الستر. فلما رآه وشاهده أرسل يده وخرج من تلك الكنيس فلم يعد بعد، واشتهرت هذه القصة وذاعت وشاعت كنموذج من التضليل العقدي الذي تقوم به بعض طوائف النصارى، والجدير ذكره في هذا المقام أن لأبي عبيدة الخزرجي الأندلسي المتوفى ٥٨٢هـ. كتاب أشار فيه إلى بعض تلك التجاوزات والعبادات التي لا علاقة لها بفقه أو فهم شروح الأناجيل وتعاليمها وهو كتاب (مقامع هامات الصلبان في الرد على عبدة الأوثان ومراتع روضات الإيمان)، وقد حققه وعلق عليه أستاذنا الجليل د. محمد شامه ونشره بعنوان «بين الإسلام والمسيحية» والواقعة التي ذكرناها تقع بين صفحتي ٢٦٩،٢٦٨.

وفي مسلسل التجاوزات والانحرافات والخداع والتضليل ما يعتقده بعض النصارى من وجود صليب من حديد، معلق في قبة كنيسة لهم بالمغرب، قد وقف في الهواء بغير علاقة ولا دعامة وبعض القوم يحجون إليها ليشاهدوا الصليب، ويتعجبون من تلك الظاهرة، فأكثر التعجب من ذلك بعض الملوك، فقال لكاتب كان عنده من اليهود: ألا تعجب يا فلان من هذه الظاهرة العظيمة التي في هذا الصليب؟ فذكر له اليهودي أن في جهات الصليب المذكور حجارة المغناطيس العظام مخبأة في الجدران، وفي ما يوازيه من سقف القبة وأرض الكنيسة، فهي التي أوجبت قيامه ومنعته من السقوط. فحضر الملك إلى الكنيس المذكور في وقت خلوة، وتقدم بالكشف عن الحجارة من بعض الجدران من الصليب، فاضطرب

الصليب حتى خافوا أن يسقط فعرف حقيقة الحال وانصرف. كذلك مما يدعو للحيرة والتساؤل ما ذكره أبو عبيدة الخزرجي في «مقامع هامات الصلبان في الرد على عبدة الأوثان ومراتع روضات الإيمان» من أن للنصارى في بلاد المغرب أو بلاد الأندلس حسب أكثر من رواية أيضاً كنيسة فيها ثريا معلقة نحو تعليق الصليب، ينزل إليها نور من فوق فتتقد للوقت في وقت من السنة، فهم يعظمون ذلك اليوم ويفخمونه، فأطرق بها وُلاتُهم فصار إليها فعرف حقيقة الحال وذلك أنهم مَدُّوا من الجدار قصبة حديد مجوفة وأبرزوا لها أنبوباً دقيقاً على وزان طرف الذبالة، فإذا كان ذلك الوقت المخصوص أرسلوا نار النفط في تيك القصبة بسرعة فتتقد للوقت، فلما عرف وجه هذه الحيلة أمر بصفع السدنة وانصرف، وقد روى الخزرجي هذه الواقعة،كما يطالع المرء وهو يقلب صفحات التراث المسيحي الشيء الكثير من هذا القبيل،ومن ذلك زعم النصارى أن مريم أم المسيح تنزل من السماء على الأرض دار المطران بطليطلة في يوم معروف من السنة بكسوة تلبسها له، وهم لا يشكون في صحة هذا ببلادهم، قال بعض من نقلها: يا ليت شعري هل نزولها بغير إذن الأب أم بإذنه؟ فإن كان ذلك بإذنه فكيف لم يرسل بعض ملائكته ورسله ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبي عنها؟. وإن كانت تنزل بغير إذنه مستبدة برأيها، فكيف يجوز من الأب أن يصطفي لنفسه خائنة تخونه وتخرج من بيته بغير إذنه إلى رجل بكسوة تكسوهها وتتزين بها؟ أترون الأب لا يعلم خيانتها وترددها إلى من ليس لها بمحرم؟أو ترونها قد عشقت المطران فهي تتردد إليه شغفاً به؟.فما بالها لا تولي ذلك غيرها من خدمها حتى تتجشم هي بنفسها[1]. وإذا ما قلبنا صفحات هذا الجانب الخرافي من ممارسات بعض النصارى على أنها دين وقداسة، فسنطالع ما يقال من أن للنصارى عيد بيت المقدس مشهور يعرف بعيد النور، يحجون إليه في يوم

---

(١) هذه الفضيحة من المرجع السابق (ر: مقامع هامات، ص٢٧١).

من السنة، وإذا اجتمعوا عنده نزلت نار من تجويف القبة فتعلقت بذبالة القنديل فيتقد بسرعة فتكثر الأصوات وتعج بالدعاء والابتهال، فلا يشك الغر ولا يرتاب الغمر أن تلك آية نزلت من السماء دالة على صحة دينهم، ووجه الحيلة في ذلك أن رجلا يختبئ في أفريز القبة من داخل وهي غلسة جداً، فإذا كان ذلك الوقت الذي يُكمل فيه اجتماعهم وقُرئ الإنجيل والكتب؛ أرسل الرجل قبساً من نار النفط فجرت على خيط مدهون بدهن البلسان فتبتدر الذبالة فيتقد، فيجأرون حينئذٍ بالأدعية.

وقد تفطَّن لذلك بعض ولاة بيت المقدس فصار إليهم في ذلك العيد وأراد أن يفضحهم بكشف القصة فبذلوا له مالاً فقنع به منهم وانصرف، ومعلوم أن ذلك لو كان نوراً لم يتقد منه المصابيح، إذ صفة النار الإحراق وصفة النور الإشراق فقط، ولو كان ذلك نازلاً من السماء كما يدعي النصارى لرئي خارج القبة، والدليل على كذبهم أن تلك البقعة أقامت في أيدي اليهود مدة طويلة ثم جاء الله بالإسلام ولم يُر شيء من هذا الجنس[1].

وعلى درب البعد الخرافي في ممارسات بعض النصارى من طقوس وترهات نطالع النصارى وهم يصلون إلى مشرق الشمس ويتخذونها قبلتهم[2]، وقد كان المسيح ﷺ طول مقامه يصلي إلى قبلة بيت المقدس قبلة موسى بن عمران والأنبياء (وقال: إني لم آت لأنقض التوراة بل

(١) ذكر أبو بكر الطرطوشي (ت٤٧٤هـ) هذه الحيلة للنصارى، ونقلها عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان ص٦١٩، وكذلك نقلها كتاب مقامع هامات ص ٧٥، ٧٦، ٢٧٢.

(٢) إن الأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك يتجهون في صلاتهم إلى المشرق لعدة أسباب (في زعمهم) منها: أن الشرق هو الجهة التي قال السيد المسيح أنه يظهر منها عند مجيئه الثاني، ولأن المسيح نور العالم، والشرق مطلع الأنوار. ولقد كان لاتجاههم إلى الشرق تأثير في نظام الكنائس حيث جعلت جميع الهياكل تقام في الجهة الشرقية من الكنيسة.

أما الأقباط الإنجيليون (البروتستانت) فيتجهون في صلاتهم إلى أية جهة. (ر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر ص ٦٢٢ ـ رياض سوريال).

لأكملها، وأن الماء والأرض ليزولان وكلمة واحدة من الناموس لا تزول حتى يتم بأسره) كما روى ذلك متى في إنجيله٥/ ١٧، ١٨. غير أن النصارى خالفوا المسيح والأنبياء واعتذروا في توجههم إلى المشرق بأنه الجهة التي صلب إليها ربهم وقتل فيها إلههم فيقال لهم: يا حمقى لو كنتم أولي ألباب لَمَقَّتُّم جهة الشرق وأبغضتموها وتطيَّرتم بها ورفضتموها في أمور العادة فضلاً عن العبادة، وذلك لأنها الجهة التي لم يصل إليها المسيح ولا شهدت لها الأناجيل ولا صَلَّى إليها نبي من الأنبياء ألبتة، ثم إنها الجهة التي تشتت بها شملكم وبددت كلمتكم وفرقت جموعكم، فتعظيمكم لهذه الحجة هي أشأم الجهات عليكم، وأمر يقتضي السخرية بكم والازدراء عليكم وكان الأولى بكم أن لا تتحولوا عن جهة بيت المقدس لقول الإنجيل: (إن امرأة سامرية من اليهود قالت للمسيح: يا سيد، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل للأب، فكيف تقولون أنتم إنه أورشليم؟ فقال لها: أيتها المرأة أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم)[١] فهذا المسيح يشهد أنه ليس لله قبلة يصلى إليها إلا بيت المقدس الذي هو أورشليم، أفأنتم أعرف وأعلم من المسيح بما يجب لله تعالى؟.

وهناك من المضحكات المبكيات حين نقلب صفحات التراث الإنجيلي متوناً وشروحاً، فيطالعنا ما يقال عن الروم من النصارى على كثرة طوائفهم من أنهم لا يرون وجوب الاستنجاء فيبول أحدهم ويغوط ويقوم فوره إلى مصلاه وهو متضمخ ببوله[٢]، وذلك مما أحدثوه بعد المسيح،

(١) يوحنا ٤/ ١٩ ـ ٢٢.

(٢) قال ابن القيم: إن النصراني يقوم من على بطن المرأة يبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر، والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك، وصلاته صحيحة تامة عنده، ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره، فضلاً عن أن يفسو أو يضرط، ويقولون إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذٍ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين.(ر: هداية الحيارى ص٢٦٣، إغاثة اللهفان ص٦١٦).. =

وإلا فشرائع الأنبياء عليهم السلام قد وردت أن العبد لا يقوم إلى الصلاة إلا وهو على أكمل أحواله. فيجتمع لهم في الصلاة أمور قبيحة منها: أن يقوموا بغير طهارة، ومنها: استدبارهم قبلة المسيح التي كان يصلي إليها، ومنها: دعواهم وتضرعهم إلى رجل من بني آدم أن يغفر لهم خطاياهم، ويكفر عنهم سيئاتهم وربما سألوه بحق المسامير التي سمر بها في يديه وبالخشبة التي صلب كما تقول كتبهم وكما يمارسون في صلواتهم.

وتطالعنا فضيحة أخرى: من النصارى وهي أنه لا يتقبل توبة لمذنب ما لم يعترف له بذنوبه. ويقر له بإجرامه، ويشرح له ما فعله في طول عمره، وأنه زنى وسرق وقتل وفعل كيت وكيت ويعدد ما ستره الله عليه، ويبدي عورته لهم، فيجد أكابرهم الوسيلة إلى التحكم في ماله والتبسط في ما حواه من دنياه فيطوفون حوله، ويوظفون عليه ما رأوه لائقاً بماله واتساع حاله، ويبقى المسكين في أيديهم وفي قبضتهم طول عمره، وقد أُرِّخَت عليه سيئاته وخلدت في دفاترهم قبائحه، وعرفها من لم يعرفها منهم ومن

= ومما هومعلوم أن الطهارة في الديانتين تعتبر شرطاً أساسياً في صحة الصلاة وقبولها، بعكس النصرانية التي تعتبر الطهارة الجسمية أموراً رمزية ثانوية لا قيمة لها أساساً، وهذا من التحريف الذي أحدثه النصارى في دينهم قطعاً حيث إن الطهارة لأداء الصلاة مما وردت به شرائع الأنبياء جميعاً، وقد تطرف القساوسة والرهبان في العصور الوسطى إلى حد اعتبار القذارة من وسائل التقرب إلى الله وأن النظافة من عمل الشيطان، فكان أزهدهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات، حيث يقول الراهب أتهينس: إن الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد أبت العذراء سلفا أن تغسل جزءاً من جسدها عدا أصابعها، وكان في أحد الأديرة النسائية (١٣٠) راهبة لم تستحم قط أو تغسل قدميها، إلا أن الرهبان مالوا إلى استخدام الماء في آخر القرن الرابع، وسَخِر الأب إسكندر من هذا الانحطاط، فأخذ يحن إلى تلك الأيام التي لم يكن فيها الرهبان يغسلون وجوههم قط.(للتوسع ر: قصة الحضارة ١٢/ ١٢١ ـ ١٢٣، تاريخ أخلاق أوروبا، الجزء الرابع، وانظر كتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٦٨، ١٦٩، لأبي الحسن الندوي).

غيرهم، وعيرت بها أولاده وعقبه جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن[١]، وعلى درب الوضع والدس في عقائد النصارى ما زادوه في صومهم الكبير[٢]

(١) هذه الفضيحة تسمى عند النصارى بـ (سر التوبة) وهو أحد الأسرار السبعة للكنيسة، وتعريفه عندهم: هو سر مقدس يرجع الخاطئ إلى الله ويتصالح معه تعالى. والاعتراف والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطيئة وعدم الرجوع إليها، لينال الحِلَّ منه بالسلطان المعطى له من الله (المسيح) القائل (من غفرتم له خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت) يوحنا ٢٠/ ٢١ ـ ٢٣ وكذلك في متى ١٦/١٩، ١٨ / ١٧، ١٨.

وهناك عقوبات وتأديبات كنسية متعددة على المذنب منها: الصوم الخصوصي علاوة على الأصوام المفروضة على جميع النصارى، وصلوات يقدمها الخاطئ في مخدعه مع عدد من الركعات، وتأخير التناول من الأسرار المقدسة وقتاً مناسباً لثقل خطيئته، وتوزيع جزء من ماله صدقة على الفقراء.

وتختلف نظرة الكنيسة الأرثوذكسية عن الكاثوليكية في أن الغرض من هذه التأديبات إصلاح حال الخاطئ ليس إلا، ولكن الكنيسة الكاثوليكية تعتبرها قصاصات حقيقية، الغاية منها وفاء العدل الإلهي الذي أهانه الخاطئ بخطاياه، وبناء على ذلك فقد تمادت الكنيسة الكاثوليكية في إصدار الغفرانات (صكوك الغفران) وقررته حقاً لها في المجمع المسكوني الرابع سنة١٢١٥م، فأصبح البابا يوزع تلك الصكوك، وتباع وتشترى كالسلع متضمنة الصفح والغفران ليس عن الخطايا الماضية فقط بل والمستقبلة أيضاً، فأصبحت هذه الصكوك مصدراً لزيادة ثراء رجال الكنيسة وتوفير الرفاهية والترف لهم، لذلك فقد اعترضت الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية على هذه الصكوك واعتبرتها عاراً على النصرانية.(ر:أسرار الكنيسة ص١٠٣ ـ ١٢٧،حبيب جرجس ـ بتصرف ـ قصة الكنيسة القبطية ص٥٠٢ ـ ٥٠٤، إيزيس حبيب،ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٧٣لأبي الحسن الندوي).

(٢) ويسمى بالصوم المقدس وعدد أيامه(٥٥) يوماً،وهي عبارة عن الأربعين يوماً التي صامها المسيح مضافاً إليها أسبوعان: الأول قبل الأربعين ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعيني المقدس، والثاني أسبوع الآلام، ويأتي بعد الأربعين وينتهي بـ(أحد القيامة). ولهم مواسم للصوم كثيرة منها: صوم يوم الأربعاء، ذكرى التشاور للقبض على المسيح، وصوم يوم الجمعة،ذكرى صلب المسيح ـ حسب زعمهم ـ ، صوم الميلاد وعدد أيامه (٤٣) يوما ينتهي بعيد الميلاد.ويزعمون أن الصوم ليس إجبارياً عليهم وإنما هو اختياري،وميقاته تتخالف =

جمعة يصومونها لهرقل[١] ملك البيت المقدس، وسبب ذلك أن الفرس لما استولوا على بيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس، أعانهم اليهود على ذلك وكانوا أشد فتكاً في النصارى من الفرس، فلما توجه هرقل إلى بيت المقدس، تلقاه اليهود بالهدايا وسألوه الأمان فكتب لهم كتاباً يؤمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم، فلما دخل البيت المقدس شكى إليه النصارى ما لقوا من اليهود وكيف مالؤا عليهم الفرس وسألوه قتل اليهود فقال: كيف أقتلهم بعد أن أمنتهم؟ فقالوا: نحن نصوم عنك جمعة في أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه، وندع أكل اللحم في الصوم مادامت النصرانية، ونلعن من يخالف ذلك ونُعيِّره ونكتب به إلى الآفاق غفراناً لذنبك. فأجابهم إلى مسألتهم وملتمسهم وقتل اليهود قتلاً ذريعا.

فصاموا له جمعة في أول الصوم وكتبوا بذلك إلى سائر البلاد، وأهل بيت المقدس ومصر يصومونها، وبقية أهل الشام لا يأكلون اللحم[٢]

= فيه فرقهم، وكيفية صومهم: هو الامتناع عن تناول الطعام مدة من النهار قد تصل إلى الظهر أو العصر أو الغروب ـ حسب مقدرة الصائم ـ ويتناول الصائم بعدها أطعمة خالية من الدسم غير الحيواني. (ر: المجتمع القبطي ص٢٢٨رياض سوريال، دائرة المعارف ١١/ ٧٠بطرس البستاني، النصرانية والإسلام ص٨٢ محمد الطهطاوي).

(١) هرقل (هيراكليوس): إمبراطور الروم (٦١٠ ـ ٦٤١م) عرف عهده حروبا كثيرة مع الفرس، وحرروا بيت المقدس منهم عام ٦٢٨م.

(٢) قال ابن القيم: وإذا شئت أن ترى التغيير في دينهم، فانظر إلى صيامهم الذي وضعوه لملوكهم وعظمائهم، فلهم صيام للحواريين، وصيام لماري مريم، وصيام لماري جرجس، وصيام للميلاد، وتركهم أكل اللحم في صيامهم مما أدخلوه في دين المسيح، وإلا فهم يعلمون أن المسيح عليه السلام كان يأكل اللحم، ولم يمنعهم منه لا في صوم ولا في فطر، وأصل ذلك: أن المانوية كانوا لا يأكلون ذا روح، فلما دخلوا في النصرانية خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيقتلوا، فشرعوا لأنفسهم صياماً فصاموا للميلاد والحواريين، وماري مريم وتركوا في هذا الصوم أكل اللحم محافظة على ما اعتادوه من مذهب ماني، فلما طال الزمان تبعهم على ذلك النسطورية واليعقوبية، فصارت سنة =

فيها، ويصومون الأربعاء والجمعة[١]. ولا شك أن هذا وشبهه من باب التلاعب بالدين وقد صار هذا النمط سجية للنصارى وخلقاً. أليس هم الذين عمدوا إلى إنسان قد تربى بينهم طفلاً ونشأ حتى صار كهلاً فاتخذوه إلهاً؟؟

وقد اعترض النصارى على قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، قالوا: إنما عنى بأهل الذكر حملة التوراة والكتب العتيقة، وقد قال أهل الذكر: إن الله قد بعث أنبياء من النساء منهن مريم أخت موسى وخلدي ورفقا وأستار.

فافتضح النصارى لما حققوا جريان الآية على سبب، وهو أن مشركي العرب أَنِفَت أن يأتيها برسالة الله رجل منها، ووَدَّت أن لو كان الرسول إليهم مَلَكاً من ملائكة السماء، فقالوا ما أخبر الله به في كتابه: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ فقال الله: ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[٣].

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ولم نرسل الملائكة بل لم نبعث إلى البشر إلا من جنسهم فقل لمن تَعَنَّد: فليسأل أهل الكتاب هل بعث الله قط الرسل إلى الناس إلاَّ من جنسهم؟ فإنهم سيخبرونهم بصحة ذلك، والنزاع لم يكن بين النبيﷺ وبين العرب في

= متعارفة بينهم ثم تبعهم على ذلك الملكانية.اهـ.
(نقل ابن القيم ذلك من تاريخ ابن البطريق «نظم الجواهر». ر: إغاثة اللهفان ص٦١٨، الجواب الصحيح ٣/ ٣٤).

(١) ذكر هذه الفضيحة بنصها ابن القيم في إغاثة اللهفان ص٦٢٤، والمقريزي في خططه ٣/ ٥٣٣، ٥٣٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ سورة الأنعام آية٨.

إرسال النساء أو الرجال بل في إرسال الملائكة والآدميين[١].

هذا إن سلمنا لهم ما ادَّعوه من نبوة هؤلاء النسوة، ونحن لم نصدقهم فيما لم تقم عليه حجة ولا دلَّ عليه دليل ولم نتجاوز بهم القدر اللائق بهم والمشهود به على لسان أرميا وأشعيا عليهم السلام من لعنهم وخزيهم ومقتهم ولنا في ذلك أسوة حسنة بمن تقدمنا من أنبياء الله، فقد قال أشعيا فيهم: (عرف الثور من اقتناه، والحمار مربط ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل)[٢].ومن لا يعرف ربه فالأولى أن لا يعرف نبيه،ومن جهل المرسل جهل الرسول لا محالة، ومن غلط فأخرج من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم وإسرائيل فغير عجيب منه إثباتها للنسوة المجاهيل.

هذا وقد ترك طوائف من النصارى[٣] النكاح المباح ورفضوا النساء

---

(١) قال الضحَّاك عن ابن عباس: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، قال: فأنزل الله (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم) وقال: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، بالبينات والزبر). فاسألوا أهل الذكر: يعني أهل الكتب الماضية، أبشراً كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمد رسولاً. أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ١٠٩.

(انظر: تفسير البغوي والخازن ٤/ ٧٦، أسباب نزول القرآن ص ٢٨٥ لأبي الحسن الواحدي، تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٧، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩١، الجواب الصحيح ١/ ٣٣٧، ٣٣٨لابن تيمية).

(٢) سفر أشعيا ١/ ٣.

(٣) من المعلوم عن النصارى أن الرهبان والقساوسة ورجال الدين في الكنيسة حرموا النكاح المباح على أنفسهم وادّعوا التبتل وهم بذلك قد انحرفوا عن الفطرة الإنسانية مما نتج عنه انحراف أعظم وأخطر حيث انغمس الكثير منهم في الملذات والشهوات المحرمة واتخذوا العشيقات والسراري، وخاصة البابوات منهم كما تقول مصادرهم، مثل: البابا إسكندر السادس، وتحولت الأديرة والكنائس من دور عبادة وطهر إلى مواخير دعارة ونجاسة ـ والعياذ بالله ـ وكتب مؤرخيهم تشهد بذلك. (ر: كتاب تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر لمؤلفه =

ولم يروا بالتناسل وإبراز الذرية الصالحة إلى الوجود، وهذا شيء لو، مالأهم الناس عليه لانقطع التناسل وانقرض جنس الآدميين، وهذا ـ فاعلم ـ مما أحدثوه بعد المسيح وكأنهم نَحَو فيه نَحوَ المتفلسفين من الطبائعيين فإن تمسكوا بقوله في الإنجيل(من ترك زوجة من أجلي فإنه يعطى للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة)(١) قلنا: في الفصل كلام أسقطتموه وهو قوله (من ترك بنين وبنات أو حقولاً فإنه يعطى(٢) وذلك مما لا نصححه عن المسيح إذ لا يجوز إجراء هذا الكلام على ظاهره، فإن الفرار عن الأولاد والأطفال وتركهم بلا كافل يكفلهم ومنفق ينفق عليهم مما لا يجوز، ومن نسب المسيح إلى الجهل بذلك فقد كفر بالمسيح.

ثم ذلك على تقدير صحته معارض بنصين عن المسيح، أحدهما: قوله في جواب الزنادقة الذين جاؤوا متعنتين له (إن الذي زَوَّجه الله لا يقدر أحد على تفريقه)(٣).

والآخر: قوله ﷺ: (إن من طلق زوجته باطلاً فقد عرضها للزنا، ومن تزوج بمطلقة فقد زنا بها)(٤).ثم النكاح والتناسل سنّة الأنبياء وخواص الأولياء ودأب النجباء والأقوياء.وقد امتن الله على إبراهيم وإسرائيل وزكريا ومريم وغيرهم بنعمة الأولاد كما هو مزبور مذكور في كتبهم، ومن رغب

= ميرل دوبينياه طبع بيروت سنة١٨٧٨م، وقصة الحضارة ١٢/ ١٢٩ ـ ١٣١، ١٨/ ٨٤ ـ ٨٦ في الباب العشرين من الانحلال الخلقي، كتاب «الديارات «للشابشتي». وهناك طوائف أخرى من النصارى دعت إلى العزوبة وترك النكاح، منهم: المارسينيون أتباع مرسيون الذي ظهر في عام ١٤٠م، والمانوية أتباع ماني، والأنكراتيون أتباع تاتيان، والساويرسيون أتباع ساويروس.(ر: تاريخ الكنيسة ص٢٢٧،٢٢٨، قصة الحضارة ١١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥).

(١) متّى ١٩/ ٣ ـ ٦، ١٠/ ١١، لوقا ١٦/ ١٨.

(٢) مرقص ١٠/ ٢٩.

(٣) متّى ١٩/ ٣ ـ ٦، ١٠/ ١١، لوقا ١٦/ ١٨.

(٤) متّى ١٩/ ٩، مرقص ١٠/ ١١، لوقا ١٦/ ١٨.

عن الأنبياء التحق بالأغبياء، وقد قال فولس في الرسالة الثانية عشر: (إن القسيس محقوق أن يكون غير ملزم فإنه وكيل الله غير حقود، ولا يستبد برأيه، ولا للمقصد في الخمر، ولا يسرع بيده إلى الضرب، وأن يكون محباً للغرباء والأعمال الصالحات، وأن يكون عفيفاً باراً ضابطاً لنفسه عن الشهوات، معنياً بالعلم والتعليم، ويكون له زوجة واحدة وبنون صالحون).

فمن رفض النكاح ومنع منه فقد خالف من ذكرنا من الأعلام والقدوة.

ومن يطالع التراث اللاهوتي تطالعه فضيحة أخرى: مع غلبة الجهل على النصارى، فهم أشد الناس دعاوى وأوسعهم تخرصاً على الله يزعمون أن فيهم إلى عصرنا هذا من يمشي على الماء، يحيي الموتى، ويفعل العجائب، ويدَّعون أن بفارس بيعة لهم كانت على قمة جبل ولها مرتقى صعب وأن واحداً منهم دعا إلهه الذي صلبته اليهود فحطها له من أعلى الجبل حتى جعلها على وجه الأرض.

ويزعمون أن كنيسة بالسوس كانت بأعلى تل ولها بئر في أسفله، وأن القَيِّم بالكنيسة كبر وعجز عن النزول فدعا ربه المصلوب وتوسل إليه وأقسم عليه بالخشبة التي صلب عليها فرفع البئر إليه فيدعي ذلك اليعقوبي على النسطوري، والنسطوري على الملكي[(١)].

(١) يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: قد قال بعض الحكماء: هاهنا ديانات ومقالات تعرف كذب أهلها بأدنى تأمل، منها: النصرانية فإنهم يدَّعون الآيات لكبرائهم وأنها لا تنقطع في زمان من الأزمنة، وأن الذين أجابوا إلى النصرانية إنما أجابوا بالمعجزات.

* ثم يقول القاضي ـ ومن أكبر كيد رؤساء النصارى ادعاء المعجزات لأنفسهم ولأمثالهم ممن سلف من رؤسائهم، والنصارى تقبل ذلك منهم بغير برهان ولا حجة، فإذا مات ذلك الرئيس من راهب أو قس قعد راهب وقال: أنا كنت أخدمه فرأيت منه العجائب، فترحموا عليه معشر النصارى وتوسلوا إلى الله به، فإنه شاهد فاشهدوا قبره وأكثروا زيارته. فيقول النصارى: يا ربنا حدثنا بما رأيت منه =

وقد أضاف النصارى إلى عقائدهم جانب العنف الذي يخالف ما نص عليه المسيح من التواضع واللطف والإيثار وذلك أن القتال لم يكن من سنة المسيح ولا من طريق تلاميذه الذين صحبوه، بل كان مذهبهم الذي جاء به المسيح الاستسلام إذا عجزوا والعفو إذا قدروا، وهم الذين رووا عنه في الإنجيل (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن نازعك ثوبك فزده رداءك، ومن سَخَّرك مِيلاً فامض معه اثنين)(١) وهم الذين حكوا عنه في الإنجيل (أحبوا مبغضيكم، وصلوا على لاعنيكم، وأعطوا من حرمكم، وصلوا من قطعكم، وأحسنوا إلى من أساء إليكم)(٢).

وقالت أوائلهم: لو أراد المسيح نصب الحروب لم يستسلم فنحن لا نخالف سيدنا المسيح.

= فيمتنع ويقول: اعفوني من الشرح، وكلما تمنَّع لَجُوا في مطالبته، فيقول: قد كان انقطع بنا الزيت في البيعة، وكان لا يطلب الزيت من أحد ولا يدعني أطلبه فإذا كان الليل أشعل القنديل وقام إلى جرة فيها خل فيصبه في القنديل فيصير من ساعته زيتاً، فيصطبح به كذا وكذا شهرا، ثم يذكر القاضي أمثلة أخرى من تلك المعجزات التي يدعيها النصارى لرهبانهم ورؤسائهم مثل إحياء الموتى وفعل الخوارق. ثم يقول: فيصدق النصارى الرهبان فيما يدعونه ويكتبونه عنهم. ويجعلون له عيداً وذكراناً فيقولون: هذا ذكران جورجس وهذا ذكران مرقص وهكذا وهذا أصله ومخرجه وأوله، فإذا تخَلَّد وانبثت ومرت عليه الدهور وأتت عليه الأعصار، ادعوا أنه شيء كان أصله بمشاهدة الأمم، لأن الكذب فيما تقادم عهده أمكن، وإنما يجعلون له ذكراناً وعيداً ويوماً بعينه لتتم الحيلة فيه، وليظن من يسمع أنه ما جعل له عيد ويوم معلوم وتاريخ محدود مؤقت إلا وهو حق وله أصل ليتأكد الكذب ويتم التمويه، وليتصل البر والصدقات على الرهبان في هذه الأعياد، والفطناء من النصارى يقولون: هذه الآيات والمعجزات إنما هي من احتيالات الجثالقة والرهبان ومن يبغض العمل ويفر من الكدِّ، ويسمونهم بلغتهم السريانية «عازق معناثا «معناه أنها ترهب ولزم الدين ليأكل من غير ماله ويستريح من الكد.اهـ، (تثبيت دلائل النبوة ١/ ١٧٥، ٢٠٢ ـ ٢٠٩ بتصرف).

(١) متّى ٥/ ٣٩، لوقا ٦/ ٢٩.

(٢) متّى ٥/ ٤٤، ٦/ ٢٧، ٢٨.

وقد قال المسيح: (طوبى للذين يرحمون وأن الرحمة تكون لهم، طوبى للذين يصلحون بين الناس، أولئك أصفياء الله ونور بني آدم)[١].

فهم مع كونهم يرون ذلك عن المسيح أنزل الناس له وأبعدهم منه، وقد قال فولس في الرسالة الحادية عشر: (اهرب من جميع الشهوات، وَاسْعَ للرب وللإيمان والود والسلم، وتنكب المنازعات فإنها تولد القتال، وليس يحل لعبد من عبيد الله أن يقاتل)[٢]. فأمر فولس بترك ما يؤدي إلى القتال سداً للذريعة، فكيف خالفه النصارى وشرعوا الحروب وسفكوا الدماء الحرام؟[٣]. ومن يطالع التراث اللاهوتي عند النصارى تقابله فضائح كثيرة ومنها أن الحبشة من النصارى أخصت أولادهم وكذلك بعض الروم، والخصي أشد المثلة وأفظع الذنوب، ثم هم يفعلون ذلك بأطفال لا دفاع عندهم، وتلك قسوة عظيمة وغلظة جسيمة، وقد قال المسيح عليه السلام (طوبى للرحماء)[٤] ثم هم يخصونهم ويبيعونهم فيأكلون أثمانهم وهذه مَعَرَّة لو وافقتهم عليها الناس لذهب بنو آدم ومُحي جنس البشر، ثم هم يتصرفون في وجوههم ولحاهم بالحلق والنتف والكشط فيصيرون مع عوج الجنس[٥].

---

(١) متّى ٥/ ٧ ـ ١٠.

(٢) رسالة إلى تيموثاوس ٢/ ٢٢ ـ ٢٤.

(٣) وردت في الأناجيل ثلاثة نصوص تشير إلى القتال وهي:
أحدها في إنجيل متى ١٠/ ٣٤ كالآتي: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكِنة ضد حماتها) ثم تكرر هذا النص في إنجيل لوقا ١٢/ ٤٩ ـ ٥١. والنص الثالث ورد أيضاً في لوقا ١٩/ ٢٧ كالآتي: (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدّامي)، ومع ذلك فإن النصوص الأخرى الكثيرة في الأناجيل ـ وقد ذكر المؤلف بعضها ـ تطغى على هذه النصوص، وتدعو إلى التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة والمغالاة في المثالية.

(٤) متّى ٥/ ٧.

(٥) بل قد ورد النهي عن الخصي في سفر التثنية ٢٣/ ١ كالآتي: (لا يدخل مخصي بالرّض أو مجبوب في جماعة الرب).

والجدير ذكره أنه ليس بين يدي النصارى شيء من الأحكام والفرائض والسنن المحتاج إليها الإنسان في المعاملات والمناكحات، والأناجيل التي بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر صريح وأكاذيب كثيرة، لم يصدقهم عليها أحد من الأمم، وأكثر ما يفزعون إلى أحكام المسلمين لخلو أكابرهم عن معرفة الحلال والحرام، وأي شيء استحسنوه بعقولهم شَرَّعُوه وحكموا به فمن نازعهم من أهل مِلَّتهم أحرموه ومنعوه من دخول الكنائس فيحكمون فيهم بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان[١]، قال أبو الطاهر بن عوف رحمه الله: وليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف وليست مأخوذة عن المسيح.

ومن المزاعم التي امتلأت بها كتب التراث الإنجيلي زعم النصارى أن يوحنّا أحد مُدَوِّني الإنجيل جلس بأفسس[٢] بلدة من بلاد الروم يكتب

(١) لا عجب إن كانت النصرانية المحرفة من أفقر الديانات تشريعاً وأحكاماً فإن المسيح عليه السلام لم يأتِ بشريعة جديدة، وإنما كان متبعاً لشريعة بني إسرائيل، وقد كانت دعوته لإصلاح وهداية بني إسرائيل الذين ضلوا ولتخفيف بعض الأحكام عليهم، قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: قال (ومصدقا لما بين يديّ من التوراة والإنجيل ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سورة آل عمران: آية٥٠، ٥١ وقال المسيح في إنجيل متى ١٧/٥ (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) لذلك كانت الأحكام الواردة في الأناجيل محصورة في أمور محددة في الخطبة التي ألقاها المسيح على الجبل وعرفت بخطبة أو وصية الجبل (ر: الإصحاحات ٥،٦،٧ من إنجيل متى) - وإن كنا لا نسلم بصحة نسبة جميع ما ورد في الخطبة إلى المسيح - وعندما حرّف النصارى دعوة المسيح عليه السلام فإنهم ابتدعوا عقائد جديدة وعبادات وطقوساً كنسية خالفوا بها شريعة التوراة وتحكموا فيها من خلال المجامع التي يعقدها قساوستهم فيحلون ويحرمون ويشرعون بما شاؤوا مصداقاً لقول الله تعالى فيهم: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله...) سورة التوبة: آية ٣١.

(٢) أفسس: كلمة يونانية معناها (المرغوبة)، وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى على بحر إيجة بتركيا، وبحسب الروايات النصرانية فإن يوحنا قام فيها في السنوات =

إنجيله فوقع مطر محي بعض ما كتب فغضب يوحنا ورفع وجهه إلى السماء وقال: أما تستحي أن تمحوا اسم ابن إلهك؟ قالت النصارى: فلم تمطر تلك القرية من بين سائر البلاد.

فليت شعري ما طريق تصحيح هذه الدعوى، وهل البلدة اليوم تمطر أم لا؟ وإن كانت قد حلت فهل كان ذلك بسبب غضب يوحنا على ربه وتخطئته لخالقه أم لا؟ وبعد: فلعل في بلاد الله بلاداً وبقاعاً كثيرة لا تمطر وأخرى تخلو من المطر.

وقد حكى النصارى أن بين هذه القرية وبين القسطنطينية نحواً من ألف فرسخ، وهذا دأبهم فيما يستشهدون به على أباطيلهم فإنهم يبعدون شاهدهم غاية البعد ليعسر على الممتحن مراجعته، وليت شعري هل كان يعدو أمر ذلك المطر إما أن يكون الله هو الذي ساقه أو مَلَكٌ من قِبَل الله أو سحابة سخَّرها الله، فإن كان إنما انتهز الغيم والسحاب فهذا سخيف العقل إذ وَبَّخ من لا يعقل ولا يفهم ولا ذنب له، وإن كان إنما وَبَّخ الملك المتولي سوقها فهو جاهل إذ الملك إنما يصدر عن أمر الله تعالى، وإن كان إنما خاطب الله فقد زعم أن لله إلهاً فوقه.

وبالجملة ففي إنجيل يوحنا هذا أمور انفرد بها عن أصحابه ولم يوافقوه عليها، والنصارى يكاتمون اختلافهم ولا يبوحون به لنا لأنه اختلاف في الإله نفسه وليس هو في الفروع فيغتفر.

ويطالع المتأمل في كتب القوم من المزاعم مفتريات ومزاعم بل وأكاذيب تقول: إن المسيح لم يتكلم في المهد ولم ينطق ببراءة أمه مريم صغيراً بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار وتحكم بأنه

= الأخيرة من حياته، كما وجه إليها بولس إحدى رسائله، وعقد فيها المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١م. (ر: قاموس ص ٩٢، ٩٣، المنجد في الأعلام ص٥٤).

ولد زنا، فلزم على سياق قولهم لم تلقَ أُمٌّ بسبب ولدها من الشر ما لقيت مريم من المسيح؛ لأنه فضحها وهتك سترها ودعا إلى رميها بالزنا ولم يدفع عنها بحجة تقطع شغب اليهود وهو قادر على ذلك، ثم إنه كَلَّفها عبادته فأوجب عليها الصوم والصلاة وألزمها ترك الشهوات ومخالفة الهوى فهي ملتزمة لذلك إما خوفاً من عقابه أو رجاءً لثوابه، ثم قضى عليها الموت وجرَّعها غصصه، وسلط على جسدها البلى، وهذا شيء لم يُعرَف في برِّ الأولاد وما سمعنا بعاق بلغ هذا المبلغ من أمه، فبمقتضى قولهم إنه كان مشؤوماً عليها والله تعالى يقول في حقه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ - إلى قوله - ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾[1].

أما يهوذا الإسخريوطي فقد كفر وفجر وواطأ اليهود على المسيح وارتشى منهم على المسيح ثلاثين درهماً وزاد على ابن أبي السرح بأن قتل نفسه كافراً، فأما ابن أبي السرح فإنه رجع إلى الإسلام ومات مؤمناً[2].

فإذاً كُفْر من كَفَر من أتباع النبي لا يقدح في نبوته بدليل أن اليهود

---

(١) قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ سورة مريم الآية ٣٢،٣١.

(٢) حديث إسلام عبد الله بن سعد بن أبي السرح بعد ردته رواه إسحاق معلقا (ر: السيرة لابن هشام ٤/ ٧٣)، وأخرجه أبو داود ٣/ ١٣٣، ١٣٤، والنسائي في كتاب الحدود (ر: صحيح النسائي للألباني ٣/ ٨٥٢)، والحاكم ٣/ ٤٥، وأبو يعلى في مسنده ١/ ٢١٦، من طريق أحمد بن المفضل حدثنا أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد قال:... فذكره في سياق طويل.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قال الشيخ الألباني: إلا أن أسباط بن نصر وأحمد بن المفضل قد تكلم فيهما بعض الأئمة من جهة حفظهما، لكن الحديث له شاهد يتقوى به يرويه نافع أبو غالب عن أنس رضي الله عنه، أخرجه أبو داود (ح ٣١٩٤) وأحمد ٣/ ١٥١ بسند حسن، فالحديث بهذا الشاهد صحيح إن شاء الله تعالى. أ.هـ. (ر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٠٠ح ١٧٢٣)..

كفروا بعد موسى وفي حياته عبدوا العجل، ولم يقدح ذلك في نبوة موسى وصحة رسالته.

ومن اللافت للنظر ما عابه النصارى على المسلمين من قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[1] ونظائرها في إثبات الخير والشر من الله تعالى[2]، وقالوا: لا يفعل الله سوى الخير

---

(١) سورة السجدة آية ١٣، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء آية ٧٨]، وغيرها من الآيات في سورة الأنعام آية ٣٩، ١٢٥، والإنسان آية ٣٠، والتكوير آية ٢٩.

(٢) دلت النصوص الشرعية على نفي نسبة الشر إلى الله تعالى، وأنه لا ينسب إليه عز وجل إلا الخير، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: آية ٢٦].
وقال صلى الله عليه وسلم - في ثنائه على ربه في دعاء الاستفتاح - (لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت) أخرجه مسلم ١/ ٥٣٤، وهذا يدل على أن الشر لا يضاف إلى الله تعالى لا وصفاً ولا فعلاً ولا يتسمَّى باسمه بوجه من الوجوه، بل يدخل في مفعولاته ومخلوقاته، والله سبحانه لا يوصف بشيء من مخلوقاته ومفعولاته، وإنما يوصف بفعله وخلقه ولا يجيء في كلام الله تعالى إضافة الشر وحده إلى الله، بل لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه ثلاثة:
١ - إما أن يدخل في عموم مفعولاته ومخلوقاته ؛ فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر آية ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٤].
٢ - وإما أن يحذف فاعل الشر كقوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [سورة الجن آية ١٠].
٣ - وإما أن يسند إلى محله القائم به كقول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ سورة الشعراء آية ٧٨ - ٨٠.
فلم يسند الخليل عليه السلام الأمراض إلى الله تعالى بل أسند المرض إلى نفسه التي هي محل المرض. وإنما كان الشر شرا لانقطاع نسبته إلى الله تعالى، لأنه إن =

المحض، فأما الشر فهو من الشيطان لا من الله، فالتزموا مذهب الثنوية[1] القائلين بأن الخير من النور وأن الشر من الظلمة، فلزمهم أن يكون مراد الله أقل وقوعا وأن إرادة الشيطان أنفذ من إرادة الباري، وكذلك يلزمهم من عزو الشرور إلى النفوس ممن ينكر وجود الشياطين من اليهود وغيرهم أن يكون سلطان النفوس أنفذ من سلطان الله.

ولو عقل النصارى واليهود لعرفوا في كتبهم ما أنكروا علينا إذ هو مسطور في صحفهم ولكن لا يهتدون سبيلاً، قال الله تعالى فيما تبقى من التوراة لموسى: (امض إلى فرعون وقل له: أرسل شعبي يعبدني وأنا أقسي

= أريد بالشر وضع الشيء في غير موضعه فهو الظلم والله منزه عنه، وإن أريد بالشر الأذى اللاحق بالمحل بسبب ذنب ارتكبه فإيجاد الله العقوبة على ذنب لا يعد ذلك شرا بالنسبة له بل ذلك عدل منه تعالى، وإن أريد بالشر عدم الخير وأسبابه الموصلة إليه فالعدم ليس فعلاً حتى ينسب إلى الله، وليس للعبد على الله أن يوفقه، فهذا فضله يؤتيه من يشاء، ومنع الفضل ليس بظلم ولا شر.

يقول الشيخ ابن القيم: وأسماء الله الحسنى مثل القدوس والسلام تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب ـ تعالى ـ هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فَجَعْلُه العبدَ فاعلاً خيرٌ وحسنٌ، والمفعول شر وقبيح، فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيبا ونقصا وشرا ا هـ. (ر: مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٣٣٦،٣٣٧ لابن تيمية، شفاء العليل ص ٣٥٩ ـ ٣٦٣،٤٣٦،٥٢٧ ـ ٥٣١ لابن القيم، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ لابن أبي العز الحنفي، لوامع الأنوار ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٣ للسفاريني، الحكمة والتعليل ص١٩٩ ـ ٢٠٤ د.محمد المدخلي).

(١) الثنوية: هم طائفة من المجوس الذين أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، يسمون أحدها (النور) وبالفارسية (يزدان)، والثاني (الظلمة) وبالفرسية (أهرمن)، ويزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس الأصليين القائلين بحدوث الظلام. (ر: الفهرست ص٤٤٢ ـ ٤٧٤ لابن النديم، الملل والنحل للشهرستاني/ ١٣٢ ـ ٢٤٤).

قلب فرعون فلا يرسلهم)[١] ثم قالت التوراة عقيب كل آية صنعها موسى بحضرة فرعون (وقسى الله قلب فرعون فلم يؤمن كما قال الرب)[٢] وهذا تصريح من الله لا جمجمة[٣] بأنه سبحانه هو يقذف في قلبه القسوة والكفر وهذا بعينه هو قول المسلمين أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ولأنه تعالى لو أراد هداية فرعون لشرح صدره للإيمان ولم يقس قلبه كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٤].

ولما أخرج الصاع من رَحْلِ بنيامين جزع إخوته وقالوا: من عند الله نزلت هذه الخطيئة، كما نطقت به التوراة[٥]، وهذا دليل على أنهم كانوا يعتقدون صدور الخير والشر من الله تعالى وهذا الجنس في التوراة كثير، وقال بلعام بن فعور ـ لما قال له الملك: العن بني إسرائيل. فقال: إني لا أستطيع أن أفعل خيراً ولا شراً من قبل نفسي وإنما أقول ما أمرني به الرب، ذكرت التوراة[٦] ذلك.

وقد قال المسيح في الإنجيل: (إني لم آت لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني) وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٧].

وقالت التوراة في عدة مواضع (وقَسَّى الله قلب فرعون فلم يرسل بني إسرائيل[٨] وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ

---

(١) خروج ٩/١٢، ١٠.
(٢) خروج ٩/١٢، ١٠/١، ٢٠.
(٣) والجَمْجَمَة: أن لا يبين كلامه وإخفاء الشيء في الصدر. (ر: القاموس ١٤٠٨).
(٤) سورة الأنعام، آية: ١٢٥.
(٥) تكوين ٤٤/١٥، ١٦، ٤٥/ ٥، ٧ ـ ٨.
(٦) عدد٢٢/٣٨، ٢٤/١٣..
(٧) سورة التكوير، آية ٢٩.
(٨) خروج ١٠/٢.

﴿قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾(١) وضرب المسيح مثلا في الإنجيل فقال: (إن ملكاً عمل وليمة ودعا إليها أهل مملكته وأمر ألا يتخلف عنها أحد فلما جلس فلم ير إلا بعض القوم فقال: المدعوون كثير والحاضرون قليل)(٢) فبيَّن عليه السلام عموم الدعوة وخصوص الهداية وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣) فبيَّن الله تعالى أن دعاء الأنبياء عموم، وهداية الله خصوص، فلا يستنكر قول الإسلام أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فلم ترد شريعة ولم ينزل كتاب إلا وهو متضمن ذلك، وبذلك يتحقق أن أصول الشرائع ومقاصدها واحد وإن اختلفت الأحكام التكليفية لاختلاف مصالح المكلفين(٤).

---

(١) سورة الأنفال، آية ٤٤.

(٢) متى ٢٢/١ ـ ١٤، سياق طويل.

(٣) سورة يونس، آية ٢٥.

(٤) قال ابن القيم: قد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم أنه سبحانه يضل من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والإضلال فعل العبد وكسبه.

ومراتب الهدى أربعة هي:

١ ـ الهدي العام وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه.

٢ ـ هداية الإرشاد والبيان للمكلفين، وهي التي أثبتها الله لرسوله قال عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

٣ ـ فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾، وهي التي نفاها الله عن رسوله قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (ر: شفاء العليل في ص١٤١ ـ ١٧٩ باختصار).

وهناك من اللوازم التي تلزم النصارى واليهود وهي ما اشتملت عليه كتبهم من الاختلاف والتكاذب وقد ذكرنا فيما تقدم نُبذاً من ذلك ليستدل بها من وقف عليها على قلة ضبطهم لدينهم ولنذكر هاهنا مثلا مما وقع في التوراة من التكاذب، فمن ذلك ما وقع في تاريخ عمر آدم وأعمار مشاهير أولاده ففي نسخة من التوراة: أن آدم عاش مائة وثلاثين سنة ثم ولد على شبهه ولد فسماه شيث[(١)]، وفي نسخة أخرى: أنه لم يرزق شيث حتى صار له من العمر مائتان وخمسون سنة[(٢)].

وعاش آدم بعد أن ولد شيث ثمانمائة سنة فولد له بنين وبنات ثم مات، وكان جميع عمر آدم تسعمائة سنة[(٣)]، وفي نسخة: ألف وثلاثون سنة[(٤)].

ثم عاش شيت مائة وخمس سنوات فولد له أنوش، وعاش من بعد ما ولد له أنوش تسعمائة واثنتي عشرة سنة ثم مات[(٥)] وفي نسخة تسعمائة وسبع سنين[(٦)]، ثم رأيت هذا التناقض والتكاذب جارياً في أعمار مشاهير أولاد آدم إلى نوح عليه السلام[(٧)]، فلم تكد نسخة توافق أخرى وإذا كان

(١) اتفقت النسختان العبرية والسامرية على ذلك (ر: تكوين ٥/ ٣).

(٢) الصواب: أنه لم يرزق شيت حتى صار له من العمر مائتان وثلاثون سنة، وقد ورد ذلك في النسخة اليونانية أو السبعينية(التي قام بترجمتها٧٢حبراً من اليهود عن النسخة العبرية فيما بين عام ٢٨٥ق.م إلى ١٥٠ق.م.) وهي النسخة المعتمدة عند النصارى ـ ما عدا طائفة البروتستانت الحديثة التي تعتمد النسخة العبرية ـ وهي النسخة المقصودة في كلام الجويني في كتابه(شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ص٣٣،٣٤) حينما يقول: التوراة التي بيد النصارى.

(٣) اتفقت النسختان العبرية والسامرية على ذلك (ر: تكوين ٥/ ٤،٥).

(٤) انفردت النسخة اليونانية بذلك.

(٥) اتفقت النسختان العبرية والسامرية على ذلك (ر: تكوين: ٥/ ٦ ـ ٨).

(٦) انفردت النسخة اليونانية بذلك.

(٧) يعترف مفسرو العهد القديم بوقوع الأغلاط في ذلك فقد ورد في السنن القويم =

. . . .

= ٦٩/١، ٧٠ ما نصه: أن معرفة حقيقة الأعداد في التوراة صعبة جداً، لأن الأسلوب العبراني في ضبط الأعداد كان بأحرف يضم بعضها إلى بعض، وإذا لم يكن لمجموعها معنى سهل تغييرها بلا قصد، ولذلك اختلفت أعداد المواليد في العبرانية والسامرية والسبعينية، فالوقت بين طرد آدم من الجنة إلى الطوفان ١٥٨٦ سنة بمقتضى العبرانية، و١٣٠٧ سنة بمقتضى السبعينية، على أن الثلاث تتفق على مدد أعمار الآباء، والظاهر أنه لا يوثق بأعداد السبعينية، وأما أعداد السامرية فتقرب من أعداد العبرية.اهـ. وورد في تفسير (هنري وإسكات) جدول كتب فيه في مقابل اسم كل شخص سنة ولادة ابنه الذي يليه في الجدول، وكتب في مقابلة اسم نوح عليه السلام سنوات عمره وقت حدوث الطوفان، والجدول كالآتي:

الاسم	عدد السنوات في النسخة		
	العبرية	السامرية	اليونانية
آدم ـ عليه السلام ـ	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيت ـ عليه السلام .	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
أنوش.	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان.	٧٠	٧٠	١٧٠
مهللئيل.	٦٥	٦٥	١٦٥
يارد.	١٦٢	٦٢	٢٦٢
أخنوخ.	٦٥	٦٥	١٦٥
متوشالح.	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك.	١٨٢	٥٣	١٨٨
نوح ـ عليه السلام .	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
	١٥٦٨	١٣٠٧	٢٢٦٢

كما ورد في نفس تفسير هنري وإسكات: أن أكستائن كان يقول: إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمان الأكابر الذي قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام، وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة، ولعناد الدين المسيحي، وكان قدماء المسيحيين يقولون: إن اليهود حرفوا التوراة في سنة مائة وثلاثين بعد الميلاد، وكان هيلز وكني كات يقولان بذلك أيضاً.

(ر: للتوسع: إظهار الحق ص ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٦٢، الفصل في الملك والأهواء =

هذا ضبطهم للتوراة وهي أُسُّ دينهم فكيف يوثق بهم فيما عداها؟.

وليس يمكن إضافة هذا التحريف إلى سواهم فإن التوراة لم ينقلها من اللسان السرياني إلى غيره إلا اليهود وذلك يشعر بتهاونهم بأمور دينهم وإلا فكيف يحسن أن يخبر عن شخص أن عمره مائة سنة، وأن عمره خمسين سنة ويكون الخبران صدقا.

وإذا كان هذا تحريفهم لما لا يتعلق به غرض فما ظنك بتحريفهم لما يحققون به الدلالة على أصولهم وذلك من مرغوبات النفس وحب الانتصار والتعصب القاضي بعمى البصيرة، ولن يتخلص من ذلك إلا موفق قد أعانه الله على قمع هواه وجعل الحق مطلوبه والانقياد إليه مراده ومقصوده، فهو ينقاد إليه حيث دعاه لبَّاه، ولو على لسان عدوه وبذلك وعد الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

هذا وقد زعم النصارى أن المسيح أراد بقتل نفسه تطهيرهم من خطاياهم، فيقال لم تطهير من آمن به واتبعه؟ أو تطهير من كفر به وخالفه؟! فإن قالوا: تطهير من كفر به. قلنا لهم: كيف يطهرهم من خطاياهم بأعظم من خطاياهم، وما هذا إلا بمثابة من غسل البول بالعذرة يريد تطهيره فإنه لا يزيد المحل إلا نجاسة، وعلى هذا ينبغي أن يكون الذين قتلوه أو صلبوه والإسخريوطي الذي دل عليه ونمرود وفرعون قد طهروا من خطاياهم وكذلك الهنود والمجوس وكل كافر على وجه البسيطة.

وإن قالوا: إنما أراد تطهير الحواريين، فيقال: وما هذا الذنب الذي لا يطهره إلا قتل الله وصلبه؟؟!. وينبغي أن يكون [الحواريون] شرار خلق الله إذ كان لا يطهرهم إلا هذا القتل الذي لا يشابهه قتل، فليت شعري أيُّ

= والنحل ١/ ١٢٢. ١٢٤ لابن حزم، شفاء العليل ص ٣٨٣٣ لابن القيم، أدلة اليقين ص١٥٦. ١٦٠ للجزيري، دراسة الكتب المقدسة ص ٤٠. ٥٠ موريس بوكاي).

(١) سورة النازعات، آية: ٤٠، ٤١.

ذنب لقوم هم عند النصارى خير من جبريل وميكائيل وسائر النبيين والمرسلين؟!.

وإن قالوا: إنما أراد بتسليمه نفسه ليتهذَّب الخَلْق و[يَتَعَلَّموا] الصبر على الشدائد والمحن ولا يضطربوا تحت مجاري الأقدار ليفوزوا بأجور الصابرين، قلنا: فإصلاحه لقلوبهم بخلق الصبر فيها والاحتمال مع بقاء جلالته وعظمته كان أليق بالربوبية، فإن كان إلهاً قادراً فهلا أصلح قلوبهم وهذَّب نفوسهم من غير أن يتلبس بما وصفتم من الصفع والضرب والقتل والصلب ليصلحهم.

ثم أي إصلاح يظهر في العالم بقتله؟؟ وأي فساد زال؟؟ أليس العالم على ما كان عليه قبل مجيئه ؛ السارق يسرق، والفاسق يفسق، والقاتل يقتل، والظالم يظلم، وأسواق الشرور قائمة وعيون الشياطين عن إغواء الآدميين غير نائمة، بل قد زادت الشرور بما ذكرتم زيادة كثيرة لأن أهل العالم بزعمكم قتلوه وصلبوه ونكلوا به وبتلاميذه الذين هم عندكم أفضل من الأنبياء والمرسلين فقد تفاقمت الشرور واتسعت بمصرعه دائرة المحذور، وقد كان أهل العالم قبل مجيئه يعبدون الله تعالى، وإن عُبد صنم ففي العقول السليمة مندوحة عن المتابعة عليه، فلما جاء هذا الذي زعمتم أنه قتل وصلب عبد مع الله غيره.

وإن كابرتم وقلتم: إن الخطيئة قد ارتفعت بمجيء المسيح وقتله صرتم ضحكة بين العقلاء على أنكم قد تأنستم بإزراء العقلاء بكم وتمرنتم على السخرية منكم، ألستم الذين تقرؤون بعد عيد الفطر بجمعتين التسبيحة المشهورة عندكم وهي (بصلبوت ربنا يسوع المسيح بطل الموت وانطفأت فِتَن الشياطين ودرست آثارها)[1]؟ ألستم تقرؤون يوم الأحد من الصوم

(١) وردت هذه التسابيح بألفاظها في رسالة المهتدي الحسن بن أيوب والتي نقل الشيخ ابن تيمية جزءاً كبيراً منها في كتابه (الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٠)، ووردت كذلك في النصيحة الإيمانية للمهتدي نصر بن يحيي المتطبب ص٢٣٢، ٢٣٣.

التسبيحة المشهورة عندكم وهي: (أن المسيح هو الذي أنقذ رعيته من الفتن والكفر وغلب بصومه الموت والخطيئة)[١]. ألستم الذين تقرؤون بعد كل قربان (يا ربنا يسوع الذي غلب بوجعه الموت الطاغي)[٢] كذلك قولكم في ثاني جمعة من الفطير: (إن فخرنا إنما هو بالصليب الذي بطل به سلطان الموت، وصرنا إلى الأمل والنجاة بسببه)[٣].

والمتأمل في هذه التسابيح يستطيع أن يرى فساد ما يقول به النصارى من بطلان الموت بصلب المسيح وموته فالعقل يرى أن الموت فاغراً فاه لا يشبع والشيطان مستمراً على الإضلال لا يقلع؟ وأنَّى يغلب الموت من قد مات وغُلِب، ويقهر الشيطان من قد قُهِر وصُلِب؟!

(١) المصدر السابق نفس الموضع

(٢) المصدر السابق نفس الموضع.

(٣) المصدر السابق نفس الموضع

بطلان دعوى الإلهام في كتب الأناجيل

بعيداً عن البلاهة، بل والعته الذي يقوم به بعض من يسمون: علماء اللاهوت، في بعض قنوات «الموت» لا: «الحياة» التي يدعون، وترفعا، بل وتأبيا عن ممارسة الإسفاف في تناول عقائد الآخرين بمثل ما يفعل بعض من «الآخر» الذي يجلس إلى قنوات البث الفضائي في جهالة وظلمة يتناول بالتحريف بعض حقائق وثوابت الإسلام حين يلوي أعناق النصوص ويبتر بعضها الآخر، أو يقدم بلادة كوميدية تجعل المشاهد لا يملك إلا أن يضحك بصوت مرتفع جداً من خرافة ما يرى وما يسمع، كما وقع منا شخصياً حين كنا نشاهد أحد القوم وهو يقول: كدليل على ما يدعيه من وقوع تحريف للقرآن الكريم: هذا مصحف ورش، وهذا مصحف حفص، وهذا مصحف قالون إلى آخر ما عده من أسماء أصحاب القراءات، ولا يدري «الجهل» أنه لم يوجد أحد في العالم كله في القديم والحديث من قال: إن أصحاب القراءات العربية، أصحاب مصاحف يخالف بعضها بعضها، حتى المؤتمرين في مؤتمر «التنصير العالمي» الذي عقد في كولورادو لم يقولوا بذلك الزعم.

وللعقلاء لا للبلهاء وللعلماء المتعلمين، لا للعوام نقدم هذه التأملات أو فلنقل نحن نرغب أن نقدم هذه المفارقات التي نتكئ فيها على كامل النصوص وعلى ما يقوله أصحاب هذه النصوص عن أنفسهم ومقدساتهم، ولنبدأ مرة ثانية بالحديث عن نبوءات كتاب إنجيل متى الذي يكتب إنجيله لليهود، هذا باعتراف النصارى الذين يفتخروا أن متى يكتب لليهود ولوقا

يكتب لليونانيين، ومرقص يكتب للرومان، ويوحنا يكتب للكنيسة، وهم لا يدركون أن معنى هذا التخصيص أن كل واحد يكتب على هوى الفئة التي يكتب لها، لمحاولة إقناعها حسب معتقداتها وفي حالة متى أو من كتب إنجيل متّى هو يحاول بأي طريقة أن يربط بين القصص التي يكتبها وبين العهد القديم لإقناع اليهود بطريقة واضحة لأي شخص يستخدم عقله ويفكر، وبمعنى آخر يؤلف قصصاً لإقناع اليهود.

وهذا الكاتب يكتب الصيغة دائما «وهذا كله لكي يتم ما قيل...» ثم يذكر نص العهد القديم. ومن الواضح أن هذه التعليقات أضيفت ويعترف النصارى أن هذه الصيغ هي إسهام خاص من كاتب إنجيل متّى محشورة بطريقة مصطنعة غير مقنعة، انظر على سبيل المثال التفسير الحديث إنجيل متى صفحة ٣١ (طبع بموافقة الكنيسة المصرية) وكل نبوءات متى من الممكن حذفها بدون الإخلال بالسياق مما يؤكد أنها مضافة من كاتب له غرض شخصي.

والأمر اللافت للنظر أن متى هو الوحيد الذي اكتشف هذه النبوءات وكما سبق وأن أوضحناه بأن علماء النصارى جميعاً يقرون بأن إنجيل متّى كتب بعد سنة ٨٠ ميلادية وليس قبل ذلك، والسؤال هنا ألم يقرأ أي يهودي أي نبوءة من الذي يدعي كاتب إنجيل متى تحقيقها في المسيح، ألم يقرأ هذه قبل متى في حياة المسيح عليه السلام ولم يلاحظ أنها تنطبق على حالة المسيح، بل لماذا لم يستغلها المسيح عليه السلام نفسه لإثبات صدق دعوته بين اليهود الذين يعرفون هذه النبوءة ويحفظونها. وما الفائدة أن يذكر كاتب إنجيل متى هذا التشابه بعد رفع المسيح عليه السلام. أليس من الأفضل إذا كانت هذه نبوءة صحيحة أن تذكر في وقتها ويؤمن بها الجميع أو البعض بسهولة. وهذا القول ينطبق على كل ما يذكره كاتب إنجيل متّى من نبوءات ملفقة بطريقة واضحة. كل ما يفعله أنه يأخذ مقطعاً خارج سياقه، ويربطه بتعسف شديد بحكاية عن المسيح غالباً أيضاً الحكاية ملفقة وأحياناً لا تكون نبوءة

أصلاً، وأي فرد منصف يقرأ العهد القديم يكتشف فوراً أن الكلام له علاقة له بالمسيح من قريب أو بعيد.

ونستطيع أن نرى ذلك في نبوءة أشعيا المشهورة عن العذراء التي تحبل وتلد ابنا يدعى عمانويل، ونقول باختصار شديد هذه النبوءة لا تصلح نبوءة لأن أحد لم يدعو المسيح بهذا الاسم طول حياته وأن الكلمة عذراء مترجمة صورة خاطئة، وكاتب إنجيل متى وجد كلمة عذراء المترجمة خطأ فربطها بطريقة مكشوفة بميلاد المسيح عليه السلام.

وأيضاً نستطيع أن نرى قصة بشارة الملاك في لوقا ١:٣١ والتي جاءت بالنص: وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. فإن هذه القصة على ضوء هذا النص تتعارض ببساطة مع قصة متّى، ولا ندري هل نسميه يسوع أم عمانويل، ولكن يسوع اسم منتشر في الإنجيل عكس عمانويل الذي لم يذكر مطلقا، مما يرجح صيغة لوقا.

والأمر باختصار وببساطة نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه: هاتوا لنا شخصاً واحداً عاصر المسيح أطلق على المسيح لفظ عمانويل، ولو كان في الحلم، حتى يمكن أن نصدق النبوءة وألا تعتبر تلفيقا من كاتب هذا الإنجيل.

ولا أعرف كيف يجرؤ واحد على ذكر هذا العدد من الأعداد التي تثبت ألوهية المسيح، كما فعل القس الداعر جيمس سيجوارت في المناظرة الشهيرة.

وأما المثال الثاني فيتمثل في قصة قتل هيرودس للأطفال، وهروب السيدة مريم إلى مصر، أيضاً اخترعها كاتب الإنجيل، نعم اخترعها حتى يقول في النهاية:

فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر.

وكان هناك إلى وفاة هيرودس، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي

القاتل من مصر دعوت ابني. لأنه قرأ المكتوب في سفر هوشع الإصحاح ١١ في أوله «لما كان إسرائيل غلاما أحببته، ومن مصر دعوت بني».

والنص في هوشع لا علاقة له بالمسيح على الإطلاق وليس نبوءة أصلا حتى نبحث تحقيقها، بل هي تتحدث عن خروج بني إسرائيل من مصر وما فعلوه بعد ذلك.

ومن الواضح البين والجلي أن الكاتب ألف قصة قتل الأطفال والهروب إلى مصر، حتى يذكر هذه الجملة «من مصر دعوت ابني» التي لا تثبت شيئاً؛ لأن أحداً لم يشاهدها في وقتها، فلا فائدة منها إلا في محاولة ربط قصة المسيح بقصة موسى، باعتبار التشابه في محاولة قتل الأطفال والهرب من فرعون والخروج من مصر. والكاتب يحاول أن يجعل المسيح هو موسى الثاني حتى يؤمن به اليهود الذين يكتب لهم على حسب قول النصارى!

وقصة المجوس أيضاً كلها ملفقة، لا يوجد أي سند تاريخي لها باعترافهم، هم ولم تسجل في أي كتاب تاريخ، لكن متى انفرد بها ولم تذكر في أي إنجيل آخر وهنا لفق كاتب متى نصاً آخر من ارميا ٣١:١٥ هكذا قال الرب: [صوت سمع في الرامة نوح بكاء مر. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين].

وهذا النص في إنجيل متّى مثبت هكذا.

حينئذ تم ما قيل بأرميا النبي القائل.

صوت سمع في الرامة نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى؛ لانهم ليسوا بموجودين.

النص في ارميا الذي انتزعه كاتب متى من سياقه ليس نبوءة أصلاً، بل هو وصف لما حدث في أحد غارات نبوخذنصر، ولا علاقة لها بالمسيح ولم تخطر على بال أحد حتى لفق الكاتب هذه القصص.

واللافت للنظر أن اسم راحيل هنا أيضاً خطأ؛ لأنه كان قد مر مائة عام على الأقل على موتها، ولكن هذه قصة أخرى.

وبتأمل علمي بسيط، ودون كذب على الحقيقة كما يفعل بعض من «الآخر» عبر قنوات البث الفضائي، أنه من الواضح جداً من كلام كاتب إنجيل متّى، أن المسيح والسيدة مريم الصديقة ويوسف النجار كانوا يقيمون في بيت لحم قرابة سنتين من عمر المسيح، وجاءت المجوس وهو في بيت لحم وهربوا إلى مصر، وعادوا بعد موت هيرودس، ولا يعرف أحد شيئاً عن المسيح وكل هذا يتناقض مع ما جاء في لوقا (الذي يكتب ما وصله من معلومات) من بشارة الملاك للرعاة، وذهابهم لنشر الخبر، وهذا يدل على ذيوع الخبر ووصوله إلى هيردوس طبعاً ولم يفعل هو أو الأهالي أي شيء ضد المسيح، ولا ذكر لقتل أطفال أو الذهاب إلى مصر. من أين جاءت التلفيقات؟

ومن مضمون الإصحاحين المتناقضين يكون مجيء المجوس والهروب إلى مصر من الكذب الواضح الذي انفرد به كاتب متّى دون سائر الأناجيل والرسائل، ولا أحد من المؤرخين، اطلاقا، وبيت القصيد في الفرية التي حكاها متى أنه بعد تمام النفاس ذهبت السيدة مريم الصديقة إلى أورشليم ولم يقيما في بيت لحم التي أتى إليها المجوس وقدموا هدايا ولبان للمسيح!!

ومن قال إن المجوس وهم كفار في انتظار نبي، ولماذا لم يؤمنوا به وينشروا دعوته في بلادهم، وهل أرسل المسيح إلى المجوس؟؟

ومن البداهة التي لا تغيب عن ذي لب أنه كلام غير منطقي ولاحظ أن هيرودس كان يستطيع التحقق من كلام المجوس بسهولة بدون إراقة دم أطفال، وخاصة أنه هناك سجلات وتعداد كما ينص لوقا، وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة.

وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية. أي أن

الأمر سهل على هيرودوس وبيت لحم بلدة صغيرة كل شيء معروف فيها وتحت سيطرته تماما، كما أنه من السهل التحقق أن المجوس جاؤوا إلى المسيح ولا يحتاج الأمر إلى قتل أطفال، ومن كذب الكاتب أيضاً أنه يقول أن هيرودوس دعا المجوس سرا (ولماذا سرا لا أحد يعرف طبعاً) وقال لهم متى وجدتموه أخبروني لأسجد له!!! هل كان يكذب عليهم حتى يعرف مكان الصبي ولماذا إذن لم يرسل وراءهم جواسيسه ليعرف مكان الصبي ويقتله وهم يقدمون له اللبان والمر؟؟؟

من الواضح أن الكاتب تعمد هذا الكذب الصريح الواضح حتى يقرب قصة المسيح من قصة موسى وحتى يدس العبارة من العهد القديم «من مصر دعوت ابني» وكذبه هذا لا يصدقه إلا ناقصي العقل والإدراك من أبواق وأدوات قنوات «الموت» التي تبث سمها على أنه «الحياة» ثم هنا لابد من سؤال: وما ذنب الأطفال الذين قتلوا على زعم الكاتب وهل مجيء المخلص يبدأ بقتل مجموعة من الأطفال الأبرياء هل هذا عمل رب محبة؟!!

وأصل قصة المجوس وزيارتهم إلى نيرون سنة ٦٦ ميلادية في كتاب ديوكاسيس عن حياة نيرون قبل كتابة إنجيل متى بعشرين عاماً على الأقل مدونة ومثبتة والمرجح أنه اقتبسها من هذه القصة.

وأما النص الثالث المثبت في إنجيل متّى فيقول:

وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً.

والمشكلة هنا معقدة أكثر لأنه ببساطة لا يوجد نص في العهد القديم يشير إلى ذلك إطلاقاً، وأكرر لا يوجد أي نصر ممكن حتى بتلفيق الكاتب أن تربطها بالمسيح الناصري، لا صراحة ولا تلميحاً. وربما الحل ببساطة أنه كان هناك نصوص حذفت.

ونحن هنا علمياً وتاريخياً في ظل هذه النصوص أمام حلين إما أن كاتب إنجيل متى يلفق أكاذيب، أو أنه كان هناك نص وحذف بمعرفة اليهود. مما يعني أن الكتاب سهل التلاعب فيه بالزيادة والنقصان، وعلى السادة الذين يبحثون عن الحق أن يختاروا أي حل، وأي حل منهما يبطل العمل بالكتاب المقدس ككتاب إلهام.

وأما النص الرابع الذي هو مدون اليوم في إنجيل متى ٢٧:٣٥ فيقول:

ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي القوا قرعة.

والإشارة إلى المزمور ١٨:٢٢ في العهد القديم تحمل مضموناً قريباً من رواية متّى، إذ جاء في المزامير: يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون، لكن الذي غاب عن متى وعن الذين يفسرون كتابته حتى اليوم هو أن النص في العهد القديم ليس نبوءة، بل يمكن أن نسميه مرثية إذ جاء في المزمور العدد رقم ٦ أي قبل مرثية الثامن عشر خبراً عن نفس الشخص الذي جاء خبره في المزمورين أنه يقول في العدد رقم ٦ عن نفسه أنه دودة.

أما أنا فدودة لا إنسان عار عند البشر. فهل هذا بقوله هذا ينطبق على يسوع أيضاً؟

والعدد التالي يدعو الله أن يخلصه، فهل هذا ينطبق على يسوع؟.

خلِّصنى من فم لأسد وقرون بقر الوحش ستجب لي.

الأمر واضح تماما لا لبس فيه ولا غموض، وهو أن كاتب إنجيل متى لا يجيد حتى صناعة التلفيق لبعدها عن الحقيقة واعتمادها على الوهم والخيال.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كاتب إنجيل مرقص شاهد عيان أو حتى ينقل عن شاهد عيان.

لقد سبقت الإشارة ونحن نؤرخ للأصل التاريخي للأناجيل وبيان مدى صحة سندها وسلامة متنها، أن قررنا أن النصارى يعتبرون الأناجيل الأربعة منقولة من شهود عيان، رغم أنهم لا ينكرون أن مرقص ولوقا ليسا من الحواريين!! الأناجيل الثلاثة الأولى: متى، ومرقص، ولوقا، تسمى الأناجيل المتوازية؟ لتشابه أحداث كثيرة فيها ويستنتج كثير من النصارى أن متّى ولوقا ينقلوا من مرقص الذي يعتبر عندهم أول إنجيل كتب، ولمزيد من الدقة نقول إن من ٦٦١ عدد في إنجيل مرقص، نجد أن كاتب إنجيل متّى قد اقتبس ٦٠٧ عدد منها في إنجيله لكن نقحها وصححها كما سوف نرى ولوقا اقتبس ٣٦٠ عدد. وهناك ٢٣٠ عدد في متّى ولوقا غير موجودة في مرقص الأمر الذي جعل البعض يقول إن هناك مصدراً آخر نقل منه متّى ولوقا، أو من كتب إناجيلهما، وهذا المصدر يسمى المصدر «كيو». المهم أنه لا خلاف على أن متّى ولوقا اقتبسا من مرقص، ولا خلاف أن أحد الأناجيل أو بعضها كان مصدرا لأناجيل أخرى، والسؤال الآن إذا كان متّى هو شاهد العيان الحواري الذي عاصر المسيح لماذا ينقل من مرقص حوالي ٩٠ بالمائة من إنجيله، مع أن مرقص ليس شاهد عيان!! بل هو جاهل بأحوال اليهود وأرض فلسطين تحديدا.

والسؤال الذي لابد منه ونحن على يقين أن لا أحد يملك إجابة شافية تلهم الدراسة المقارنة: هل كان مرقص شاهد عيان للأحداث أو ينقل عن شاهد عيان؟؟

ما يدفعنا للقول بأن متى يصحح أخطاء مرقص والأمثلة على ذلك كثيرة وخاصة في تلفيقات متى، أن كل مثل بمفرده قد يحتمل التأويل، ولكن تجمع هذا العدد الكبير من الأمثلة يجعل الأمر مختلفاً ويدعو أولاً إلى الشك ثم إلى التأكد من الفكرة التي أحاول أن أثبتها، وهي أن كاتب إنجيل مرقص ليس يهودياً ولا يعرف فلسطين إطلاقاً، ولم يشاهد أي شيء وشهادته مشكوك فيها. وللتدليل على ما نقرره نأتي على ذكر عدد من الأمثلة.

المثال الأول:

في مرقص ١٤: ١٢ ١٢ وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن تمضي ونعد لتأكل الفصح.

انظر النص الموازي في متى:

وفي أول أيام الفطير، تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح.

حذف متى عبارة «حين كانوا يذبحون الفصح»؛ لأنها خطأ؛ لأن ذبح الفصح لا يكون في اليوم الأول من أيام الفطير. واضح هنا أن كاتب مرقص معلوماته ضعيفة عن اليهود وأعيادهم.

المثال الثاني:

في مرقص ٥: ٢٢ ٢٢ وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه بايروس جاء. ولما رآه خر عند قدميه.

المجمع له عدة رؤساء كما يقول مرقص، انظر ماذا فعل متّى في هذه العبارة في متى ١٢: ١٤ وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء، فسجد له قائلاً إن ابنتي الآن ماتت، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا. جعله كاتب انجيل متى رئيساً واحداً وهذا عند اليهود كما أعلم هناك رئيس واحد للمجمع.

المثال الثالث: في متى ٤:١٥

فأن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا.

قارن بما قاله مرقص في ٧: ١٠ ١٠ لأن موسى قال أكرم أباك وأمك ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا.

وكلام متّى اليهودي بلا جدال أدق؛ لأن الرب هو قائل هذا الكلام في العهد القديم، وبداية الإصحاح ٢٠ في الخروج: ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات: ثم يذكر الوصايا العشر، ومنها أكرم أباك وأمك.

وكل اليهود سوف يقولون قال الرب، وليس قال موسى، ولن تجد يهوديا واحدا ينسب الوصايا العشر إلى موسى؛ لأن الرب هو الذي قالها وتنسب له دائماً. أما مرقص الغريب عن فلسطين وغريب عن اليهود يقول ببساطة قال موسى الوصايا العشر.

المثال الرابع: في مرقص ١٤:١٣

فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما؛ اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حاملاً جرة ماء اتبعاه.

طبعا لا يوجد رجل يحمل جرة ماء، هذا عمل المرأة عند اليهود وغيرهم؛ ولذلك انظر ماذا قال متّى مصحح إنجيل مرقص، أو بمعنى أدق انظر ماذا قال كاتب إنجيل متى ليصحح أخطاء كاتب إنجيل مرقص: ١٨ قال: اذهبوا إلى المدينة، إلى فلان، وقولوا له: المعلم يقول إن وقتي قريب. عندك أصنع الفصح مع تلاميذي. حذف موضوع جرة الماء تماما؛ لأن هذا عمل النساء عند اليهود.

المثال الخامس: في مرقص ١٥:٤٢

ولما كان المساء إذ كان الاستعداد، أي ما قبل السبت.

وهذا الكلام يعني إما أن يوم الجمعة يبدأ عند غروب الشمس، ويكون يسوع قد مات الخميس، أو أن البشير مرقص نسى، أو لا يعرف أن اليوم عند اليهود يبدأ في المساء.

ومتّى الإنجيلي يصحح كل هذا، انظر متّى ٢٧:٥٧ وما بعدها.

ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف، حذف كل العبارات المحرجة الخطأ من مرقص.

المثال السادس:

فاشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتا في صخرة، ودحرج حجرا على باب القبر.

متّى لم يذكر أي شيء عن شراء كتان مع أنه نقل ٩٠ في المائة من إنجيل مرقص، هل تعرف لماذا لأنه لا يمكن أن يشتري أي يهودي أي شيء يوم السبت وكاتب إنجيل مرقص لا يعرف ذلك، وكاتب متّى يصحح له كالعادة.

المثال السابع:

وهنا سوف نحتاج لنسخة إضافية هذا أولاً من مرقص الطبعة العربية التقليدية ٢٢ : ١ كما هو مكتوب في الأنبياء، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك.

وهذا من طبعة الملك جيمس مرقص ٢٢ : ١

As it is written in the prophets, Behold, 1 send 22: 1 messenger before thy face, which shall prepare the way before thee. Mal Mt 11:10 Luke 1:17, 76, 7:27 3:1

وكلا النصين يشير إلى نص في ملاخي ١١ : ٣ هأنذا أرسل ملاكي فيهيء لطريق أمامي. وهذا وضاح تماما ولكن متّى اكتشف خطأ مرقص ثانيا فجعل النص هكذا انظر متى ٣٣ : ٣ فإن هذا هو الذي قيل عنه بأشعيا النبي القائل: صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة.

وفي طبعة كتاب الحياة الجديدة تحول النص في مرقص إلى نص متطابق مع نص متّى تقريباً، انظر مرقص ٢ : ١ في الطبعة الجديدة المعدلة والمحرقة:

كما كتب في كتاب إشعياء «ها أنا أرسل قدامك رسولي الذي يعد

لك الطريق، صوت مناد في البرية، أعدوا طريق الرب، واجعلوا سبله مستقيمة!.

والمهزلة هنا مركبة، ليست بسيطة، مرقص ينقل من ملاخي، وفي نسختين العربية القديمة والإنجليزية العتيقة، ومتّى في النسخة العربية القديمة يقول إن الاقتباس من إشعياء والنسخة العربية المعدلة تجعل مرقص أيضاً يقول ذلك وواضح تماما حجم الخلل والاضطراب والتهافت الذي يحول قضية اضطراب المتن إلى مهزلة لا رابط لها.

والذي يجب التنبه له هنا، هو أن متّى لا يزال يصحح لمرقص الذي أصبح واضحاً الآن أنه ليس يهوديا بل لم يكن يعيش في فلسطين، والأخطاء الكثيرة في معلوماته تقلل من مصداقية كلامه الذي يعتبر مرجعاً لبقية الأناجيل.

المثال الثامن:

في مرقص ٢: ٢٦ ٢٦ كيف دخل بيت الله في أيام ابياثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلا الكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضاً.

متّى يصحح الخطأ في ١٢: ١ ـ ٨ ويحذف اسم ابياثار

فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه.

كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا اللذين معه بل للكهنة فقط.

والملاحظة الثانية إذا كان الاقتباس من سفر صمويل الأول الإصحاح ٢١ من أوله فإن داود كان بمفرده حين قدم له ابيمالك ولم يكن معه أحد.

المثال التاسع:

مرقص ١٠: ١٩ ١٩ أنت تعرف الوصايا. لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تسلب، أكرم أباك وأمك، يضيف كاتب مرقص وصية من عنده هي لا تسلب ومتّى يصحح كالعادة انظر متى ١٨ :١٩.

قال له آية الوصايا، فقال يسوع لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك.

هذا مثل واضح على جهل كاتب مرقص حتى في الوصايا العشر أنه بالقطع ليس يهوديا ولم يعش في فلسطين أبدا.

المثال العاشر:

في مرقص ١٥: ٣٤ ٣٤ وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي لما شبقتني، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني.

وفي متّى ٢٧: ٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً ايلي ايلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني.

ايلي ايلي هي اللفظة العبرية التي يجب أن يقولها يسوع في هذا الموقف وليس ايلوي، ولكن كاتب مرقص ينقل من المزامير ١ :٢٢ إلهي إلهي لماذا تركتني بعديا عن خلاصي عن كلام زفيري.

والنص العبري الأصلي الذي يجهله كاتب إنجيل مرقص هو ايلي ايلي وليس الوي الوي. وبدهيٌّ أن يسوع (إذا كان قد قال هذه العبارة) سيقولها بلفظة واحدة، فلماذا الاختلاف هنا، وخاصة أن كلاً من كاتب متى وكاتب مرقص يذكر ما قاله يسوع على زعمهم طبعا بلغته الأصلية، ويترجم الكلمة هنا أي من المفروض أن تكون الكلمة هنا، التي قيلت بدون ترجمة فتأمل كيف يختلفوا حتى في الكلمة الأصلية، ولا يتفقوا حتى على كلمة واحدة قيلت من فم يسوع مباشرة، ولا يمكن أن يكون يسوع قد

قال إلا كلمة واحدة ايلي أو الوي، أي أن الأخرى خطأ لا محالة. والآن مزيد من أخطاء كاتب إنجيل مرقص:

في مرقص ٣١:٧ من النسخة العربية القديمة:

ثم خرج أيضا من تخوم صور وصيدا ولكن في النص الأصلي كانت العبارة من خلال صيدا، أو مروراً بصيدا. ودليلي ببساطة هو الطبعة الجديدة العربية التي جعلت النص كما يلي: ثم غادر يسوع نواحي صور وعاد إلى بحيرة الجليل، مروراً بصيدا وعبر حدود المدن العشر.

المشكلة هنا أن خط السير هذا مثل أن تكون في القاهرة مثلاً وتذهب إلى الاسكندرية مروراً بأسيوط!! ولا يكتب هذه العبارة إلا شخص لا يدري شيئاً عن المنطقة، ولا يتوخى الدقة، وكاتب إنجيل متّى لم يصحح هذا الخطأ (ربما أصابه الملل).

وتأمل هذا النص:

مرقص ٨: ١٠ ١٠ وللوقت دخل السفينة مع تلاميذه وجاء إلى نواحي دلمانوثة

هل ممكن أن نعرف أن تقع دلمانوثة هذه؟؟

وقد ذكرت بالتفصيل خلاف مرقص مع متّى في قصة الخنازير عن كورة الجدريين وكورة الجرجسيين، وذكرتها أيضاً في موضوع تلفيقات كاتب إنجيل متّى وهي تثبت بلا أدنى شك أن مرقص ليس عنده أي فكرة عن فلسطين أبدا.

وإليك هذا الخطأ الهزلي؛ لأن هذه المرة كاتب إنجيل متّى وقع مع كاتب مرقص في الخطأ، مرقص الآن يصف هيرودس بأنه ملك في مرات عديدة نذكر منها من الإصحاح السادس:

فسمع هيرودس الملك فحزن الملك جداً، ولأجل الأقسام والمتكئين

لم يرد أن يردها. فللوقت أرسل الملك سيّافاً وأمر أن يؤتى برأسه.

وكاتب إنجيل متى يقع في نفس الخطأ مرة واحدة في متى ٩:١٤ فأغنم الملك، ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى.

ولكنه لا يقع في هذا الخطأ مرة أخرى انظر مثلا متى ١:١٤

في ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع.

هذه هي صفة هيرودس رئيس الربع وليس ملكاً كما أخطأ مرقص وجر معه متى ولكن متى صحح الخطأ في مكان آخر كما وضح.

وهذه الصفة أي صفة الرئيس لهيرودس تظهر في كل مكان مثل لوقا ٣:١٩ ولوقا ٧:٩ واعمال ١:١٣ ولا تظهر أبدا عند البشير مرقص الإنجيلي.

وتستمر في مرقص ١٣: ١٧ ١٧ وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام. وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء.

متّى يضيف السبت لأنه يهودي ويكتب لليهود، ويعرف عادتهم، انظر الموازي في متى ٢٠:٢٤ وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت.

لا يزال متّى يضيف ويصحح لزميله البشير مرقص الذي ينقل منه مع أنه (أي متّى هو الذي شاهد وعاين بنفسه!!).

وانظر أيضاً مرقص ٧: ١٩ ١٩ لأنه لا يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف ثم يخرج إلى الخلاء وذلك يطهر كل الأطعمة.

ومتّى يحذف هذا التصريح بأكل كل الأطعمة؛ لأنه يهودي يكتب لليهود، ألا تفهمون بعد، إن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج.

حذف عبارة يطهر كل الأطعمة.

وانظر ايضاً مرقص ٩:٤ وظهر لهم ايليا مع موسى، وكانا يتكلمان مع يسوع.

انظر النص الموازي في متى ١٧:٣٣ وإذا موسى وايليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه.

هل لاحظت الفرق، كاتب متى وضع موسى قبل ايليا؛ لأنه أهم عنده ويكتب لليهود، ولا يظن أحد أن هذا فرق لا يذكر. هو يثبت على الأقل أن بشراً يكتبون ويترجمون ولكل واحد له غرض معين وخلفية وثقافة معينة لا دخل للوحي أو كلام الله هنا على الإطلاق.

لنستمر مع البشير مرقص وإنجيله انظر ١٢:٣١

وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه. ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت الله، ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله.

أما متّى فيقول:

فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء.

طبعا متّى أهمل أن الحب أفضل من جميع المحرقات والذبائح والأمر أصبح واضحا جداً الآن.

وإليك هذا النص من مرقص ١٢ : ١٠

وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني.

والسؤال هنا أين كانت المرأة في اليهودية تطلق زوجها، وما الذي جعل مرقص يقول ذلك إلا أنه من خلفية وثنية بعيدة عن فلسطين واليهود الذين لا يبيحون الطلاق للمرأة أبدا.

والآن ملاحظة أخرى وأخيرة غريبة جداً، مرقص بإجماع علماء النصارى هو تلميذ بطرس، وينقل منه هل تتصور أن مرقص هو الوحيد الذي لم يذكر مديح يسوع لبطرس، أو أي مديح له بعكس متّى ١٧ :١٦ ولوقا ٢٨ :٢٢ ويوحنا ١٥ :٢١ هل يستطيع أن يفسر لنا أحدهم ذلك!!!

انظر مرقص ٨: ٢٦ ٢٩ فقال لهم وأنتم من تقولون إني أنا، فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح، فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه.

طبعاً مرقص يقول له أنت المسيح فقط بدون أي إضافات.

وخلاصة القول بعد إيراد هذه الأمثلة، وهي غيض من فيض، فإن من الإنصاف العلمي أن نقرر هنا، أن كاتب إنجيل مرقص يجهل تماما أحوال اليهود، وأحوال فلسطين، وأحوال المسلمين وتلاميذه، وكاتب إنجيل متّى لأنه أكثر خبرة بأحوال اليهود يصحح لمرقص، ويضيف ما يراه ضرورياً ويحذف ما يراه خطأ والنظرة المنصفة لهذا الإنجيل لابد أن تشك في كل ما ورد فيه.

نماذج خرافية لا تقبل عقلاً ولا قلباً

وهذه النماذج ربما تبعدنا قليلاً عن متون كتب الأناجيل، لكن بما أن المؤمنين بالأناجيل يتكئون على إيمانهم بما في كتب الأناجيل مما يتوهمونه من علاقة بين كتب العهد الجديد في الجملة، وما في العهد القديم في الجملة. وفي ضوء ذلك فإن المتأمل في الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد ستطالعه مفارقات يدخل بعضها دوائر الخرافة والأساطير وحكايات الشعوب البدائية من أوسع الأبواب. ومن ذلك مثلا زعم كتاب العهد القديم من أن الوحي الإلهي ـ تعالى الله ـ قد يجيء بأمر إلهي بأن يضرب الواحد من عامة الناس نبيا، وما لم يرضخ الرجل بضرب النبي المعين في الرواية يعاقب بالقتل، فما الذي تقوله الخرافة التي لا يسعفها مجاز ولا تأويل ولا تعطيل. إنها الكارثة، ولتنظر ما جاء في بعض أسفار العهد القديم.

جاء في سفر الملوك الأول ٣٥:٢٠: «أن رجلاً من الانبياء قال لصاحبه. عن أمر الرب اضربني. فأبى الرجل أن يضربه. فقال له من أجل أنك لم تسمع لقول الرب فحينما تذهب من عندي يقتلك أسد. ولما ذهب من عنده لقيه أسد. وقتله» (ترجمة الفانديك دار الكتاب المقدس) ولنا وتحت تأثير كل صور وتداعيات الخرافة أن تتخيل رجلا يقول لصاحبه إن الله يأمرك أن تضربني!! هل هذا معقول؟ هل ينزل الله وحيا على رجل ما، يقول له فيه عليك أن تطلب من رجل آخر أن يضربك؟ على كل حال وكما هو متوقع من العقلاء فإن الرجل رفض أن يضرب صاحبه. فغضب طالب

الضرب على صاحبه ودعا عليه فأكله أسد!! ولماذا يدعو عليه؟ وما ذنبه؟ دعا عليه لأنه رفض أن يضربه!!! والمدهش أن الرب استجاب دعاءه (حسب النص) فأكل الأسد هذا الرجل المسكين «المؤدب» الذي رفض أن يضرب صاحبه!!! وهل هذه العقوبة مناسبة لرفض الرجل أن يضرب صديقه؟

ومثال آخر يطالعنا عن أم البشر حواء، وحسب الكتاب المقدس فإن حواء أكلت من الشجرة المحرمة وخضعت لإغواء الحية، فغضب الله عليهما وقال: «بالوجع تلدي أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك. وهو يسود عليك» تكوين ١٦:٣.

هذا النص يجعل عقاب الله لحواء ثلاثة أضعاف: الولادة بالوجع واشتياقها للرجل، وسيادة الرجل عليها. مسكينة حواء في الكتاب المقدس.

والسؤال هو: هل الولادة عقاب؟ وهل ألم الولادة عقاب؟ إن جميع إناث الحيوانات تلد وتتألم أثناء الولادة. فهل ولادة البقرة مثلاً عقاب لها أم من وظائفها الطبيعية؟

ولا يزال السؤال قائماً: هل اشتياق المرأة للرجل عقاب لها؟ كيف؟ والرجل يشتاق للمرأة، فهل هذا عقاب له أيضاً؟ إن الاشتياق فطرة فطر الله عليها الناس، حتى تتكون الأسرة، ويحصل الود والحب ويحفظ النسل، وليس عقابا كما يقول كاتب سفر التكوين.. إن هذا النص ليس له أدنى نصيب من المعقولية أو المقبولية، ناهيك عن أن يكون له صلة بالوحي الإلهي.

ومن جهة أخرى نسأل عباد المسيح: ألستم تقولون إن الله صالحنا بموت المسيح على الصليب، فلماذا ما زالت المرأة تلد بالأوجاع ـ لدرجة أن البعض منهن يستخدمن المخدر من شدة الألم ـ ولماذا عقاب الاشتياق مازال موجوداً منها ومن الرجل؟ ولماذا مازال عقاب الرب للحية بأن

تمشي على بطنها مستمرا (تكوين ١٤:٣)؟؟ فأين هو عدل الله بحسب إيمانكم؟؟ خاصة وأن المسيح كما تدعون تحمل أوزار البشر وخطاياهم وآلامهم وهو على الصليب!!

وأما عقاب الحية حسب زعم الكتاب المقدس، فإن الرب غضب على الحية لأنها أغوت آدم وحواء فأكلا من الشجرة المحرمة. ولذلك عاقب الله الحية «فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين. ومن التراب تأكلين طوال حياتك، وأثير عداوة دائمة بينك وبين المرأة، وكذلك بين نسليكما هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه» تكوين ١٤:٣. وهذه الرواية تتناقض مع باقي الروايات ـ إذاً المعروف والمسلم به في مواضع أخرى أن الذي أغوى آدم هو إبليس، وليست الحية فكيف تكون للحية القدرة على الاغواء وكيف تستطيع أن تغوي إنساناً؟ فمن غير المعقول أن تكون خرافة الحية هي سبب الإغواء كما يقول سفر التكوين. ومن أجل أن يخرج المسيحيون من هذا المأزق قالوا: إن المقصود بالحية هو الشيطان ولاشك بأن هذا التعليل باطل؛ لأن النص يصور حال الحية على هذه الأرض، بعد أن عوقبت بالسعي على البطن، وأنها ملعونة من بين جميع البهائم والحيوانات، ثم إن الشيطان لا يسعى على بطنه. ولأن النص في تكوين ٢٥:١ يقول: «فخلق الله وحوش الأرض، والبهائم والزواحف، كلاً حسب نوعها. ورأى الله ذلك فاستحسنه» وفي تكوين ٣: ١ ـ ٦ يقول: «وكانت الحية أمكر وحوش البرية التي صنعها الرب الإله».

إذن فبحسب النصوص السابقة، فإن حقيقة العدو الأول الذي تولى إغواء حواء ليس إبليس الشيطان، بل هي الحية التي عملها الله ضمن باقي حيوانات البرية!!

ثانياً: معنى قول الرب للحية: «على بطنك تسعين، وترابا تأكلين، كل أيام حياتك» تكوين ١٤:٣ هو أن الحية لم تكن تسعى على بطنها قبل

العقاب، وأن زحفها على بطنها طرأ بعد العقاب. إذاً كيف كانت تسير الحية قبل العقاب إن لم تكن تسير زاحفة؟! ومن قال إن سعيها على بطنها عقاب لها؟ هناك آلاف الأنواع من الزواحف التي تسير على بطنها، فهل هذا عقاب لها؟!! وإذا كان الجواب بنعم فعلى أي شيء كان العقاب ألا تدعو مثل هذه الخرافات والترهات أصحاب العقل السقيم والفكر العليل، أن يستروا عوراتهم أولا قبل أن يقذفوا من عطن الذوبالات وأوساخ الخرافات حقائق الفطرة وسمو الاعتقاد السماوي؟؟

ونعود إلى خرافة «الحية» ونسأل أصحاب الأحاجي كيف يكون الحيوان غير مسؤول عن عمله أدبياً ثم يعاقب على ما يقترفه من ضرر؟

ويقول الكاتب الخرافي عن «الحية» الخرافية في سفر التكوين: «أثير عداوة دائمة بينك وبين المرأة، وكذلك بين نسليكما. هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه».

ولاشك أن هذا الكلام باطل؛ لأن العداوة التي بين الحية والبشر ليست على العموم. فهناك من يتعامل معها من القدم على اعتبارها مورداً للرزق باستخدام جلدها في المصنوعات الجلدية عالية الجودة. واستخدام لحمها في إعداد الأطباق الشعبية في بعض البلدان كالفلبين والصين.. وهناك من يتعامل معها باستخدام سمها في معالجة بعض الأمراض..

ويقول الكاتب: «هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه» ولاشك أن ضرر الحية لا يقتصر على لدغ قدم الإنسان بل إن البعض منها يقذف بالسم على بعد أمتار وهناك أنواع منها تقوم بخنق فريستها ثم بلعها... وهكذا يكشف لنا الكتاب المقدس عن جهل كاتبه وولعه بالخرافات. وأما ثالثة الأثافي فهي انهيار الحصون والأسوار بالهتافات كما يقول كاتب سفر يشوع ٥:٦: «ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافاً عظيماً، فيسقط سور المدينة في مكانه ويصعد الشعب كل رجل مع وجهه».

هتف بنو إسرائيل فانهار سور أريحا. انهار السور كله حول المدينة عن طريق الهتاف!!!

هذا سلاح جديد لم يسمع به أحد لا من قبل ولا من بعد، ولعله على المدى القريب أو البعيد، نسمع عن رجل يهودي أو مسيحي، أو حتى مسلم يعلو صوته وصوت الملايين معه فيتم هدم أسوار شارون، وأما الوتيمة الأسطورية فهي التي حدثنا عنها العهد القديم.

عندما دشن سليمان الهيكل ذبح سليمان ٢٢ ألفاً من البقر و١٢٠ ألفاً من الغنم (أخبار الأيام الثاني ٥:٧): «وذبح الملك سليمان ذبائح من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة وعشرين ألفاً ودشن الملك وكل الشعب بيت الله».

هل هذا معقول؟ معنى هذا أنه تقريباً ذبح جميع الأبقار والأغنام التي لبني إسرائيل في وقته بخلاف ما ذبحه الشعب. ويفهم من النص أن سليمان شخصياً هو الذي ذبح هذه الذبائح. فهل يستطيع شخص واحد أن يذبح هذه الأعداد في يوم واحد؟! لكن الجواب أنه ربما يكون دعا الإنس والجن للطعام على وليمة لا يجوعون بعدها أبدا.

وعلى درب الخرافة يطالعنا كاتب سفر حزقيال بخرافة حيوان عجيب غريب لم يعرفه ولا تخيله أحد في مملكة الإنسان أو مملكة الحيوان وهي أن حزقيال عند نهر الخابور رأى حيوانا له أربعة أجنحة وله أربعة وجوه هي كالتالي:

وجه إنسان ـ وجه أسد ـ وجه ثور ـ وجه نسر (حزقيال ١: ٤ ـ ١٠): «فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال. بسحابة عظيمة ونار متواصلة، وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار. ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها. لها شبه إنسان. ولكل واحد أربع أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة. وأرجلها أرجل قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول. وأيدي إنسان

تحت أجنحتها على جوابنها الأربعة. ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة. وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه. لم تدر عند سيرها. كل واحد يسير إلى جهة وجهه. أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد لليمين لأربعتها ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر لأربعتها» إلى أن قال في العدد ٢٨: «هذا منظر شبه مجد الرب. ولما رأيته خررت على وجهي. وسمعت صوت متكلم..»

ياأهل الكهنوت، أهذه سيرة وملامح حيوان رآه واحد من أنبياء العهد القديم، ويارب ياخالق الكون ومنزل الكتاب ومرسل الرسل، هل كان يمكن أن يعقل. أن يقول واحد من أنبياء العهد القديم: إن مجد الرب - تعالى الله عما يقول الظالمون - يجيء في هذا الإطار الحيواني الخرافي من أجل أن تنبعث في نفس حزقيال النبوة.

وفي مسلسل الخرافة ونحن نقلب أسفار الكتاب المقدس، تطالعنا أسطورة أخرى، وهي قصة: (الرمح) الذي ما حمل نبي أو رسول مثله: إنه رمح مقدس أو بلغة العصر رمح «ذري» يقول عنه كاتب سفر أخبار الأيام الأول ١١: ١١ عن أحد الأبطال واسمه يشيعام: «هز رمحه على ثلاث مئة قتلهم دفعة واحدة».

هذا غير معقول. كيف يقتل شخص ٣٠٠ شخص برمية رمح واحد؟! لابد أن يكون هؤلاء القتلى مصطفين صفاً مستقيماً واحداً!! ولابد أن يكون طول الرمح حتى يخترقهم جميعاً حوالي مئة وخمسين متراً!! ولابد أن هؤلاء الثلاث مئة بقوا دون حراك عندما رأوا الرمح يخترق الرجل الأول في صفهم!!! ولابد أن تكون قوة رامي الرمح قوة ذرية هائلة بحيث يستطيع رمحه أن يخترق مسافة مئة وخمسين متراً من اللحم والعظم!!!

وهناك رمح أعجب من الرمح الأول، ذلك رمح يوشيب وهو من أحد أبطال داود. يقول عنه الكتاب المقدس: «هو هز رمحه على ثمان مئة قتلهم دفعة واحدة» (صموئيل الثاني ٨: ٢٣).

ولما كنا نعرض لنماذج من الكتاب المقدس نقدمها برهاناعلى عدم إلهامية العهد القديم والجديد على السواء، فإن: المدعو «متّى» يطالعنا بقصة النجم الذي يتمشى في السماء.

لقد ذكر متّى قصة المجوس الذي جاؤوا للمسيح عند ولادته وسجدوا له فقال: «ولما ولد يسوع في بيت لحم في أيام هيرودوس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين. أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له.. ذهبوا إذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء، ووقف فوق حيث كان الصبي. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً..» متى ٢: ١ ـ ١٠.

إن متّى يتحدث عن نجم يمشي، وحركته تشير إلى بعض أزقة أورشليم دون بعض، ثم إلى بيت من بيوتها، حيث يوجد المسيح، فيتوقف وهو في السماء على رغم بعده الهائل الملحوظ على الأرض فكيف مشى، وكيف دلهم على البيت، وكيف وقف؟!! وكيف رأوا ذلك كله؟

والجواب الكهنوتي: إنها المعجزة، لكن السؤال يبقى قائما المعجزة لمن وممن؟

إنه من المستحيل أن يشير نجم يبلغ حجمه أضعاف حجم الشمس بلايين المرات إلى موضع ولادة شخص في حظيرة حيوانات، وهذا يدل على جهل كتبة الإنجيل وعدم معرفتهم بحجم وطبيعة النجم؟

وأما سفر الرؤيا فقد تناول سقوط النجوم على سطح الأرض وعن علامات نهاية الزمان بما يلي:

«ونظرت لما فتح الختم السادس، وإذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم. ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة».

وفي إنجيل متّى ٢٩:٢٤ ينسب الكاتب للمسيح قوله عن علامات نهاية الزمان ما يلي:

«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع».

ومما لا شك فيه أن هذا الكلام الوارد في الإنجيل هو ضرب من الهذيان الذي لا يمكن أن يصدق، ذلك لأن علم الفلك يقدر لنا عدد النجوم ببلايين البلايين، منها نجوم أكبر حجما من الشمس بآلاف الأضعاف، ومجموع حجم هذه النجوم لا يمكن لعقل بشري أن يتخيله.. فكيف يكون هناك مجرد احتمال أن تقع هذه النجوم المتناهية الضخامة على سطح الأرض الذي نسبته لأصغر نجم لا تساوي شيئاً؟؟ فعلى سبيل المثال فهناك نجم اسمه (إبط الجوزاء) يقدر حجمه بحجم شمسنا ٢٥ مليون مرة فما بالك إذا قسناه بحجم الأرض!! فطبقا لعلم الفلك، هناك استحالة مطلقة في إمكانية أن هذه الاجسام تسقط على الأرض.. وتصديق وقوعها على الأرض هو ضربٌ من الهذيان، وإلغاء علم الفلك وقوانينه واكتشافات علمية كثيرة في سلة المهملات، مما يدل على أن كاتب الإنجيل لا يعلم أي شيء عن علم الفلك الذي تقول مفرداته باستحالة أن تقع كل هذه الموجودات على سطح الأرض؛ لأنه لا حاجة لشيء من ذلك.

وأما أسطورة شمشون والثعالب!! فهي من الحكايات التي لا تصلح لخيال الأطفال. فقد جاء في سفر القضاة ٤:١٥:

«وذهب شمشون وأمسك ثلاثة مئة ابن آوى، وأخذ مشاعل وجعل ذنبا إلى ذنب، ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط، ثم أضرم المشاعل نارا وأطلقها بين زروع الفلسطينين، فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون» قضاة ٤:١٥.

والسؤال هو:

كيف تركت الثعالب شمشون بأن يقوم بربط كل ذيلين مع بعضهما البعض؟ وكيف تركوه يشعل النار فيهما؟ لك أن تتخيل أن كل ثعلبين تركاه

يفعل ذلك وانتظر الآخرون دورهم! فلو كل ذيلين مربوطين مع بعضهما لما تحركت الثعالب من مكانها، لأن كلاً منهما يحاول جذب الآخر إلى الاتجاه المعاكس!!

وأما عن رؤية الشمس والقمر! فيقول كاتب سفر الرؤيا ١٢:٦: «ونظرت لما فتح الختم السادس، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، والشمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم».

بما أن الشمس ستصبح سوداء، أي ظلاما دامساً. إذن فالجزء المحيط كفراغ جوي حول الكرة الأرضية سيصبح أسود دامسا حالكا في السواد. فكيف إذاً سنرى الشمس أولاً، ثم كيف يمكننا رؤية القمر ثانياً، ولونه كالدم بحسب زعم النص حال كون الشمس ظلمة أو سوداء؟ خصوصا ونحن نعلم أن القمر إنما يستمد نوره من الشمس فهو كالمرآة يعكس ضوء الشمس، فإذا كانت الشمس سوداء، فكيف للقمر أن يصبح دما أو كالدم؟.

وفي مسلسل الأعاجيب الخرافية والتي لا يمكن أن تدل على إلهام أو وحي أو هداية، ما رآه يوحنا في رؤياه عن التنّين الذي لونه أحمر وله سبعة رؤوس وعشرة قرون!! كما هو عنده: رؤيا يوحنا (٣:١٢).

«وظهرت في السماء آية أخرى: تنّين عظيم أحمر، له سبعة رؤوس، على كل منها تاج، وله عشرة قرون، فسحب بذيله ثلث نجوم السماء وألقاها إلى الأرض. ثم وقف التنّين أمام المرأة وهي تلد، ليبتلع طفلها بعد أن تلده! وولدت المرأة ابنا ذكرا، وهو الذي سيحكم الأمم كلها بعصا من حديد.. ونشبت حرب في السماء، إذ هاجم ميخائيل وملائكته التنّين وملائكته، وحارب التنّين وملائكته، لكنهم انهزموا ولم يبق لهم مكان في السماء إذ طرحوا إلى الأرض. هذا التنّين العظيم هو الحية القديمة، ويسمى إبليس والشيطان الذي يضلل العالم كله».

علماً بأن التنّين هو حيوان أسطوري (خرافي) يجمع بين الزواحف والطير؛ كثر ذكره في الحكايات الشعبية القديمة. كما ذكر ذلك المعجم المحيط. وأيضاً يطالع المرء رؤى يوحنا وهو يحكي رؤيته لوحش يخرج من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون!!

رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٣:١).

«ثم رأيت نفسي واقفا على رمل البحر، وإذا وحش خارج من البحر، له سبعة رؤوس وعشرة قرون، على كل قرن منها تاج، وقد كتب على كل رأس اسم تجديف. وهذا الوحش الذي رأيته يشبه النمر وله قوائم كقوائم دب وفم كفم أسد! وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطة عظيمة، وبدا واحد من رؤوسه كأنه ذبح ذبحاً مميتا، ولكن الجرح المميت شفي، فتعجب سكان الأرض لذلك، وتبعوا الوحش. وسجد الناس للتنين لأنه وهب الوحش سلطته، وعبدوا الوحش وهم يقولون: «من مثل هذا الوحش؟ ومن يجرؤ على محاربته».. ثم رأيت وحشاً آخر خارجاً من الأرض، له قرنان صغيران كقرني خروف، ولكن صوته كصوت تنّين، وقد استمد سلطته من الوحش الأول الذي خرج من البحر ليعمل بها في حضوره، فجعل سكان الأرض يسجدون للوحش الأول الذي شفي من جرحه المميت».

ومن الروايات الأسطورية التي جاءت في الكتاب المقدس:

أسطورة الحوار بين الأشجار على حق الرئاسة!!!

يقول كاتب سفر القضاة ٨:٩:

(ذات مرة ذهبت الأشجار لتنصّب عليها ملكا، فقالت للزيتونة: «املكي علينا». فأجابت الزيتونة: «تعالي أنت واملكي علينا». فأجابت التينة: «أأهجر حلاوتي وتمري الطيب لأصير ملكة على الأشجار». فقالت الأشجار للكرمة: «تعالى أنت واملكي علينا». فأجابتهن الكرمة: «أنبذ خمري الذي يفرح الله والناس لكي أملك على الأشجار؟» ثم قالت جميع الأشجار للعوسج: «تعال أنت وصر علينا ملكا» فقال العوسج: «إن كنتم

حقا تنصبوني عليكم ملكا، فتعالوا واحتموا تحت ظلي، وإلا فإن ناراً تندلع من العوسج وتلتهم أرز لبنان»).

وإن تعجب حواء على مدى التاريخ، فالعجب كل العجب أن تطالع ما في الكتاب المقدس من أساطير ومفتريات، كتلك التي يدعيها كاتب سفر التكوين من أن ولادة البنات تضاعف نجاسة الأمهات، كما هو مكتوب في سفر اللاويين ١٢ : ٢ ـ ٥ :

«إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام.. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين».

هل تختلف أيام الطمث مع المرأة الواحدة باختلاف ما تلد؟!

وهل هذا الكلام منطقي؟ وهل يمكن أن يدخل في دوائر الإيمان أو الوحي أو الإلهام وأما تلك المشاهد المضحكة فهي ما يزعمه الكتاب المقدس وفي أهم أسفاره عندهم وهو سفر التكوين الذي جاء فيه بالحرف:

«فقال الرب الإله للحية، لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، ومن التراب تأكلين طوال حياتك، وأثير عداوة دائمة بينك وبين المرأة، وكذلك بين نسليكما. هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه» تكوين ١٤:٣.

وأما بداية الخلق بحسب الكتاب المقدس فقد جاء فيه ما جعل رجل علم وطب مثل: موريس بركاني يرفض إلهامية الكتاب المقدس، ففي سفر التكوين الإصحاح ١ : ١ ـ ٢ «في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة.. يرف على وجه المياه».

وقد ثبت علمياً أن السموات والأرض كانتا كتلة غازية تفككت بأمر الله سبحانه وتعالى على مدى من ١٠ بلايين من السنين وهو ما يدعى بالانفجار الكبير، ومنذ بضعة بلايين من السنين تكونت المجموعة الشمسية. ووجود الماء في تلك المرحلة مرفوض علميا.

سفر التكوين الإصحاح ١ : ٣ ـ ٥ «وقال الله ليكن نور فكان نور... وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً»

في اليوم الأول لم تخلق النجوم بما في ذلك الشمس فمن أين حصل النور والصباح والمساء واليوم؟ إن الليل والنهار ينتجان عن دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، فمن أين حصل النور والصباح والمساء واليوم؟

ولكي يخرج النصارى من هذا المطب، زعموا انه كانت هناك إشعاعات ضوئية كانت تنير الأرض قبل خلق الشمس!!

ونحن نسأل: أين الدليل وفي أي سفر؟ ثم لو افترضنا كما تدعون أن هناك إشعاعات ضوئية كانت تنير الأرض قبل خلق الشمس، فكيف نتج الليل والنهار؟؟؟ هل كانت الإشعاعات الضوئية تظهر ١٢ ساعة وتختفي ١٢ ساعة؟؟؟ طبعا هذا كلام لا يقول به مجنون فضلا عن عاقل!! والعلم يرفضه.

وأما باقي جوانب الخرافة فنطالعها في سفر التكوين الإصحاح ١ : ٦ ـ ٨ «ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه.. ودعا الجلد سماء».

انقسام الماء إلى كتلتين لا يصح علمياً.

سفر التكوين الإصحاح ١١:١ «وقال الله لتنبت الأرض عشباً».

لا يمكن وجود نبات قبل الشمس!!!

سفر التكوين الإصحاح ١ : ١٤ ـ ١٩ «لتكن أنوار... النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم...».

هذا يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل عناصر النظام الشمسي فقد نتجت الأرض والقمر بأمر الله سبحانه وتعالى من انفصالهما عن الشمس فكيف جاءت الشمس والقمر بعد الأرض؟

سفر التكوين الإصحاح ١ : ٢٠ ـ ٢٣ «لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض... فخلق التنانين.. بهائم ودبابات ووحوش... وخلق الله الإنسان.. ذكراً وأنثى».

نظام ظهور الحيوانات الأرضية والطيور هذا مرفوض علمياً. فقد جاءت الطيور من فئة خاصة من الزواحف عاشت في العصر الثاني، لذا فمن الخطأ ظهور الحيوانات الأرضية بعدها. وقد جاء ذكر الحيوانات الأرضية في اليوم السادس.

وأما ما جاء عن النمل في الكتاب المقدس: فهو العجب العجاب.

يقول كاتب سفر الأمثال ٦:٦ «اذهب إلى النملة أيها الكسول، تمعن في طرقها وكن حكيما، فمع أنها من غير قائد أو مدبر أو حاكم، إلا أنها تخزن طعامها في الصيف، وتجمع مؤونتها في موسم الحصاد».

وفي نص آخر: «اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمل طرقها وكن حكيما. التي ليس لها قائد أو عريف أو متسلط. وتعد في الصيف طعامها وتجمع في الحصاد أكلها».

وشتان بين الحقيقة العلمية والنص أعلاه!!

فإن الأغلبية العظمى للنمل تعيش على شكل مستعمرات وهي عبارة عن عائلات أو مجموعات العائلات المتصلة، كل مستعمرة تتكون من الملكة وأبنائها الكبار، فالنمل أمة كأمة البشر لها قانونها الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي بل والعسكري أيضاً، فالنمل له نظام اقتصادي خاص في التوفير، ورصد الاحتياطي لوقت الحاجة وحفظ المخزون بطريقة معينة حتى لا يفسد.

وفي النظام السياسي من ملوك ورؤساء وقادة، وفي النظام الاجتماعي من أسر وجماعات، وفي النظام العسكري من جيوش وحمايات. بل ثبت أن النمل يقوم بحملات عسكرية على القرى المجاورة من النمل ويأسر

منهم الأسرى ويضعهم في السجون!![١].

ولقد كشف الباحثون في علم وظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية أن النمل يقدم تنظيماً بيولوجياً اجتماعياً معقدا ومجتمعات النمل هي وحدة متكاملة من الترابط الذي ينظم سلوك أفرادها، ولا تستطيع أن تعيش النملة منفصلة عن المجموعة وإذا انفصلت فإنها تهلكMs Encarta .. Encyclopedia

وفي مسلسل الخرافة نطالع مما لا يتصل بوحي أو إلهام، ولا علاقة له بعقل أو إيمان، وأيضاً لا مبرر لتدوينه في كتاب مقدس أو غير مقدس بل ولا حتى لحكايات الأطفال، وهو حديث سفر الرؤيا عن جبل متقد بالنار سيحول ماء البحر إلى دم!!!

يقول سفر الرؤيا ٨:٨: «ثم بوق الملاك الثاني فكان جبلاً عظيماً متقداً بالنار ألقي إلى البحر فصار ثلث البحر دما».

إذا لجأنا إلى العقل والعلم، وحاولنا توضيح دلالة هذه الفقرة، فسنرى أن الملاك الثاني من الملائكة السبعة المذكورين في السفر سيؤدي مهمة، وهي أنه سيبوق، وعندما يبوق سنرى جبلاً عظيماً متقداً ألقي إلى البحر، فصار ثلث ذلك البحر دماً.

ومما لاشك فيه أن هذا يعتبر تصوراً خرافياً في أن إلقاء جبل عظيم متقد بالنار سيحول ماء البحر إلى دم، لأن العلم يخبرنا أن مياه البحر ستطفئ هذا الجبل فورا، كما أن الفقرة لم تخبرنا عن أي بحر سيحدث له هذا، هل البحر الأبيض المتوسط أو البحر الأحمر أو المحيطات؟ وما هو مصير بقية البحار؟ ولكن قبل أية إجابة تطالعنا بها قوائم العبقريات اللاهوتية فإن كاتب سفر الجامعة قد سجل لنا هذه الخرافة التي تتحدث عن الشمس وهي تسرع عائدة إلى المكان الذي تشرق منه!!!

(١) انظر كتابنا: «الإسلام يقينا لا تلقينا»، دار الجيل، بيروت، عام ١٩٧٥م.

يقول كاتب سفر الجامعة ١:٥ :

«الشمس تشرق ثم تغيب، مسرعة إلى موضعها الذي منه طلعت».

إننا لا نعتقد بضرورة شرح هذا الهراء المذكور في الكتاب المقدس فمن الواضح جداً أن الكتاب المقدس مليء بالفساد والتحريف الذي هو من صنع البشر. فمنذ متى كانت الشمس تسرع عائدة إلى المكان الذي تشرق منه؟

هل أدلكم على منجزات علمية تتعلق بكيفية تكون السحاب فلنطالع ما جاء في سفر ناحوم ١:٣ :

«طريق الرب في الزوبعة والعاصفة، والغمام غبار قدميه».

وفي ترجمة الفانديك: «السحاب غبار رجليه»

ونحن نسأل: كيف يقول الكتاب المقدس أن السحاب هو غبار رجلي الرب، في حين أن السحاب ناتج عن تبخرات لمياه البحار والمحيطات؟؟ ثم من الخطأ علميا أن يقال إن السحاب غبار. فهل يوجد من يتدبر؟؟

هل الأرض منبسطة فوق المياه؟!

من الحقائق العلمية الواضحة أن المياه هي التي تغمر الأرض، إلا أن الكتاب المقدس يزعم بأن الأرض منبسطة فوق المياه!! طبقاً لما ورد في مزمور ٦:١٣٦ : «الباسط الأرض على المياه لأن إلى الأبد رحمته»؟!!

وأما إن أورشليم تقع في مركز الأرض!! فهذا بما زاد الطين بلة؟؟ وأنا أدعو صاحب الأدعاء، الأبله، الوجه التلفازي في قناة الموت الذي يدعو أهل الحق أن يتأملوا دعوته أن يتأمل. هو لقد ورد في سفر حزقيال ٥:٥ ما نصه: «هكذا قال السيد الرب هذه أورشليم في وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضي».

لقد ساد الاعتقاد بأن أورشليم تقع في مركز الأرض، وأن كل ما

عداها من بقاع العالم يقع على حفاف المدينة المقدسة، وقد جاء في كتاب السياحة المنسوب إلى القديس «يوحنا منذفيل» في القرون الوسطى أن أورشليم تقع في مركز الأرض. وهذا ما أعلنه أيضاً القديس «جيروم».. وظل هذا الاعتقاد معتبراً عند أغلب الناس. حتى جاء العصر الحديث وأثبت الجغرافيون خطأ ما ورد في الكتاب المقدس. وأن أورشليم لا يمكن أن تقع في مركز الأرض. والمذهل أن الاكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء والذي أعلن في يناير ١٩٧٧ يقول: إن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم، وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي. [الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية، محمد كامل عبد الصمد]. ومع ذلك فإن هذا البرهان العلمي ليس مما يقيم عند المسلمين شيئاً مما يتعلق بأصول الدين أو فروعه.

وفي محاولة إيقاف مسلسل الخرافات التي تمتلئ بها جوانب الكتاب المقدس أريد في الخاتمة هنا جوابا عن الخروف الذي له سبعة قرون وسبعة أعين!!!

يقول كاتب سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٦:٥:

ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح، له سبعة قرون، وسبعة أعين، هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض. كما أني أريد جوابا من ورثة السيد: ميخا وهو من رجال الكتاب المقدس. هل سمعتم عن كتاب يزعم أن الله ينوح ويولول ويمشي عريانا؟ هل رأى الرب - تعالى الله - وهو ينوح ويولول ويمشي عريانا.

جاء في الكتاب المقدس في سفر ميخا ٨:٢: «لهذا أنوح وأولول وأمشي حافياً عرياناً».

هل سمعتم عن كتاب يشبه الله سبحانه وتعالى بأنه (سكير)؟؟؟

يقول كتاب مزمور ٧٨:٦٥ عن الله: «فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر».

هل سمعتم عن إله ينفخ ببوق؟؟

قال كاتب سفر زكريا ٩:١٤: «والسيد الربّ ينفخ في البوق ويسير في زوابع الجنوب».

الكتاب المقدس يتهم نبي الله سلميان الحكيم بالكفر والسجود للأصنام؟

ها ما يحكيه الكتاب المقدس في سفر الملوك الأول ١١: ١ ـ ٦:

«وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات، فضلاً عن ابنة فرعون، فتزوج نساء موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحتيات، وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب بني إسرائيل عن الزواج منهم قائلا لهم: «لا تتزوجوا منهم ولا هم منكم، لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتكم». ولكن سليمان التصق بهن لفرط محبته لهن. فكانت له سبع مئة زوجة. وثلاث مئة محظية، فانحرفن بقلبه عن الرب. فاستطعن في زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة أخرى. فلم يكن قلبه مستقيما مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. وما لبث أن عبد عشتاروث آلهة الصيدونيين، وملكوم إله العمونيين البغيض. وارتكب الشر في عيني الرب، ولم يتبع سبيل الرب بكمال كما فعل أبوه داود».

ولا يفوتنا أن نسأل علماء الكتاب المقدس أليس ما جاء في ملوك ١٢:٣ من قول الله لسليمان: «أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً» يناقض هذا الكفر المنسوب له؟!

هل سمعتم عن النبي الذي كشف عورته للناس بأمر من الله؟!

سفر إشعياء ٢٠:٢:

«تكلم الرب على لسان إشعياء بن آموص قائلاً: «اذهب واخلع المسوح عن حقويك، وانزع حذاءك من قدميك» ففعل كذلك ومشى عاريا حافيا».

هل سمعتم عن إله يقول: ويل لي من أجل سحقي؟؟؟

وهذا طبقاً لما ورد في سفر ارميا ١٧ : ١٠ يقول كاتب السفر:

«لأنه هكذا قال الرب: ويل لي من أجل سحقي. ضربتي عديمة الشفاء، فقلت إنما هذه مصيبة فاحتملها. خيمتي خربت وكل أطنابي قطعت. بني خرجوا عني. ليس من بسيط بعد خيمتي ويقيم شققي».

هل سمعتم عن الرجال الذين يأكلون برازهم ويشربون بولهم!!

انظر (سفر ملوك الثاني ٢٧ : ١٨) و (سفر أشعياء ١٢ : ٣٦).

هل سمعتم عن كتاب يأمر برجم الثور الذي ينطح إنسانا ويميته؟!

انظر سفر الخروج ٢٨ : ٢١.

القمص زكريا والدعوة للإسلام

في الأمثال الشعبية وعلى ألسنة العامة حكمة بسيطة ساذجة، لكنها تحمل دلالة واضحة تحدد مراد القائل وهي: إذا كان بيتك من زجاج فلا تقذف غيرك بالحجارة، ويمكن تحوير هذا المثل فيقال: إذا كنت عريانا وسوءتك مفضوحة فلا تقف في العراء، وترم حصون غيرك بالعواء.

بمثل هذه المشاعر كنت أجلس أمام التلفاز لأشاهد «قسًّا» بملابسه الدينية المعروفة والمكللة بالسواد، يجأر بأعلى ما في عقيرته يستصرخ المسلمين علماء وعامة أن يهبوا ليصحح‍وا ما يدلهم عليه من أخطاء في كتاب الله تعالى وسنة نبي الإسلامﷺ، وأيضاً ليرفعوا عن تاريخهم أخطاء نبيهم ـ حاشاه ـﷺ، ولما تبين لي أن الرجل على الرغم من لهجته المصرية يتهجى لغة، وتتعثر الكلمات في فمه نطقاً، فكنت أجلس أحيانا لأتسلى وأسري عن نفسي، وأضحك من سقم وهزال وركاكة ما يطرح، حتى شاهدت ذات يوم حلقة من مسلسل حبه لإخوانه المسلمين وهو يمسك بيده أكثر من كتاب ليقول إن علماء المسلمين يعترفون بأن عندهم أكثر من قرآن، وحدد العدد بأنه واحد وثلاثون قرآنا، واسترسل: هذا مصحف قالون، وهذا مصحف ورش، وهذا مصحف عاصم وهذا مصحف الدُّوري إلى غير ذلك مما ذكر، والقمص الأعجم زكريا مرقص يجهل ما يعلمه صبيان الكتاتيب من أنه لا توجد مصاحف بهذه الأسماء، إنما هم «قرَّاء» يقرأون القرآن بلغة العرب التي لا يحسن نطق مفرداتها اللغوية، وحتى علماء التنصير وأدواته من جيوش المفكرين والأكاديميين لم يزعم على

امتداد الدنيا أحد منهم أن: ورشاً، أو قالوناً، أو حفصاً أو غيرهم كان نبياً، وأخذ عن نبي، إنما هم علماء لغة قرأوا القرآن في ضوء اللغة التي بهر بها العرب. أقول ما كنت لأفكر حتى بالرد عبر وسائل التعبير العديدة والمتيسرة الآن للعامة قبل العلماء خاصة وأن أصدقاء ومعارف وجيران لنا من نصارى مصر الودعاء الطيبين كانوا يقولون لي: إن الرجل لا يقدم علما ولا رأيا، بل إن عقلاء آباء الكنيسة يرفضون خطابه حتى وقع في يدنا للقمص المذكور زكريا بطرس كتابا عنوانه: «الرقص ورأي الكنيسة».

ولقد شدني الكتاب من عنوانه لأقرأ ما فيه لأعرف ما هو رأي الكنيسة في الرقص، وخصوصاً أن الكنيسة تستخدم الموسيقى في الصلاة وهناك من الرقص عندهم ما هو فردي، وما هو ثنائي وما هو مجموعات بل وهناك من نصوص الكتاب المقدس ما يغني عبر «كورال» والقنوات المعنية تبث من ألوان الرقص ما لا يحصيه إلا راقص أو راقصة، ومن هنا كنت أتوقع الإباحة طبقاً للقول المعروف:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا ـ فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.

ولكن كان الأمر على نقيض ذلك، فلقد فوجئت بأن الرقص مسألة ترفضها الكنيسة، من وجهة نظر القمص زكريا وأنه لا يحل لأحد أن يرقص لا في البيت ولا في غيره قبل أو بعد المراسم الدينية، وأن من يفعل ذلك يقع تحت طائلة القوانين الكنسية.

ولذا سوف نستعرض بعض أجزاء الكتاب هنا، وبالطبع لن نعترض على رأي الكنيسة في منع الرقص، ولكن يدهشنا أسلوب «الإمام» القمص زكريا بطرس ،وتناقضه في استدلاله على التحريم، وكيف يرى حرمته في الحفلات والأعراس، ويصفه بأنه خزي وعار، بينما يجيز الرقص أمام الله والعياذ بالله، بل سوف نستخلص في النهاية أن الرقص في الكتاب المقدس عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الخالق عز وجل.

ولقد قسم القمص الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الرقص والتعاليم الكتابية.

٢ ـ الرقص والقوانين الكنسية.

٣ ـ الرقص والمبادئ الروحية.

وبالطبع هناك مقدمة وخاتمة، ولقد صدر كتابه في صفحة (٥) بإتفاق لرؤساء الكنائس القبطية في المنيا، تشمل كلاً من:

١ ـ الأنبا أرسانيوس أسقف المنيا للأقباط والأشمونيين للأقباط الأرثوذكس.

٢ ـ الأنبا انطونيوس نجيب أسقف المنيا للأقباط الكاثوليك.

٣ ـ القس فايز فارس عن الطائفة الإنجيلية.

يقول القمص زكريا بطرس في صفحة (٥) «وأصدروا قراراً بالبعد عن كل مظاهر اللهو العالمي في موسيقاه، رقصه وأغانيه، سواء في المنزل أو في مكان آخر قبل وبعد المراسيم الدينية. وطلبوا التزام الشعب الكامل بهذا القرار منعاً من الوقوع تحت طائلة القوانين الكنسية ووقعوا بإمضاءاتهم جميعاً حتى لا يتحايل أحد إذ ترفض كنيسة ما تزويجه يمضي إلى كنيسة أخرى!!».. انتهى

ثم أردفه في الصفحة (٦) بقرار للمجمع الأرثوذكسي بلاودكية من القرن الرابع، جاء فيه:

«يجب على المسيحيين أن يجتنبوا في أعراسهم الرقص والتهريج لأن هذا لا يليق بسلوك المسيحيين».

وقد ابتدأ القمص القسم الأول من كتابه الذي خصصه للرقص والتعاليم الكنسية.

واستشهد بعبادة العجل التي ذكرها سفر الخروج كما هو في الإصحاح ٣٢ فقرات ١٤ ـ ٣٠: «فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه، فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيهما، من هنا ومن هنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين، وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه، فقال لموسى صوت قتال في المحلة، فقال ليس صوت صياح النصرة، ولا صوت صياح الكسرة، بل صوت غناء أنا سامع، وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص، فحمى غضب موسى، وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل، ثم أخذ العجل الذي صنعوا، وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً، وذراه على وجه الماء، وسقى إسرائيل.

وعقب قداسته في (ص١٠) على القصة قائلاً: «ماذا كان موقف الله من الرقص أمام ذلك العجل الذهبي؟».

فأجاب قداسته: «لقد أمر الرب بقتل أولئك اللاهين المنحرفين فمات ٣٠٠٠ نفس».

ومن نافلة القول أن ننبه إلى أن هذا استشهاد غريب عجيب، لقد فهم قداسته من النص أن الله عاقب بني إسرائيل لأنهم رقصوا، والمفروض تصحيح السؤال فيقول: ماذا كان موقف الله من عبادة العجل، وليس موقف الله من الرقص أمام العجل؟؟؟

وفي الحقيقة، الكتاب المقدس يقول إن الله غضب عليهم وقتل ٣٠٠٠ شخص لأنهم عبدوا العجل، ولم يذكر أنه غضب بسب الرقص، التكوين ٣٢: ٩، ١٠، ٨، ٧.

«فقال الرب لموسى.. قد فسد شعبك.. زاغوا سريعا.. صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا هذه آلهتك ياإسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر.. فالآن ارتكني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم».

فالكتاب يقول إن الله غضب عليهم لأنهم عبدوا العجل، وسيادة القمص فهم أن غضب الله كان لأجل الرقص!!!

فكيف يشرح لنا قداسته فهمه لهذه النصوص التي نراه قلبها ١٨٠ درجة؟؟؟

وكيف يشرح لنا رقص النبي داود ـ عليه السلام ـ الذي كان يرقص بكل قوته أمام الرب كما في (٢ صمو ١٤:٦)؟؟؟

في الحقيقة لقد تطرق قداسته لرقص داود وغنائه بربابة وعود والكلام هنا يمكن أن يطول ويطول.

قصة مقتل يوحنا المعمدان:

ولقد استشهد قداسته بقصة مقتل النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان)، وهذه هي القصة كما لخصها قداسته: «ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرت هيرودس، من ثم وعد بقسم إنه مهما طلبت يعطيها.. قالت أعطني رأس يوحنا المعمدان.. فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن. فأحضر رأسه ودفعه إلى الصبية فجاءت به إلى أمها (متّى ١٤: ٦ ـ ١١)..».

وهنا العجب كل العجب، دعونا أولاً نستعرض تعليق قداسته عليها، قال في الصفحة (١١):

«وهنا يتضح أن الرقص الذي سر هيرودس قد أدى في النهاية إلى جناية بشعة أخمدت ذلك الصوت الصارخ في البرية. وهكذا الحال في حفلات الرقص تتم جريمة قتل بشعة هي كتم صوت الله الصارخ في أعماقنا قائلاً: لا يحل هذا الرقص»! انتهى.

قلت: ياللعجب!!! هذا من أغرب ما رأيت من استدلال.

وأنا أسأل قداسته: ماذا لو طلبت ابنة هيروديا مثلاً من الملك لقاء رقصها هذا، أن يوزع المال على الفقراء ويساعد المحتاجين ويعين

الضعفاء، هل سيكون الرقص حينئذٍ شيئاً حسناً بذاته وعظيماً ونافعاً، وهل كان سيشجع الشباب على الرقص ويحثهم عليه فضلاً عن أن يبدؤوا هم بأنفسهم معشر القساوسة والرهبان أولاً؟؟؟

فالأمر متوقف على طلب ابنة هيروديا الشريرة، فلو كان طلبها صالحاً، فالرقص حلال ولو كان طلبها طالحا فالرقص حرام.

أتستندون ياقداسة الأب زكريا في التحليل والتحريم على امرأة شريرة قتلت نبيا من أنبياء الله؟ ما لكم كيف تحكمون؟؟

أليس هذا هو التحكم بالهوى؟ وسواء أكان الرقص في الكتاب المقدس حلالا أم حراما فإن هذه المسائل لا يتوقف عليها تعليقنا على ما كتب الحبر الجليل!!، بل نعلق على غرابة الاستدلال.

ولنرى الآن كيف أجاب قداسته عن رقص داود بكل قوته أمام الرب (صموئيل ١٤ : ٦)، وإليك نص كلامه (ص١٢):

«فهل رقص الحفلات هو رقص أمام الرب؟! وللرب؟ أم أنه رقص أمام منصة الديسكو على إيقاع الكؤوس المسكرة، والموسيقى العالمية، والأغاني العابثة؟». انتهى.

قلت: هنا يفرق قداسته بين الرقص أمام منصة الديسكو وبين الرقص أمام ملك الملوك وخالق الكون، فالأول حرام، والآخر حلال بل هو عبادة كما يصرح به الكتاب المقدس في (مزمور ١٥٠):

«سبحوه بصوت الصور، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار».

فهل رأيتم تسبيحاً كهذا؟، تسبيحاً يقوم على الدف والأوتار، والرقص والمزمار؟

والأمر في النهاية مع قداسة العلامة في ضوء ما كتب عن الرقص:

أن الرقص الذي وصفه قداسته بالخزي والعار (ص٢٠)، يُعتبر في الكتاب المقدس عبادة يتم من خلاله تسبيح الله عز وجل، فكيف يرتضي ذو عقل وفهم الرقص أمام الله القدوس وهو لا يرتضيه أصلاً حتى في الأعراس، بل تعافه النفوس وتشمئز منه؟

وأنا أعجب لأمة قلبت المفاهيم والمبادئ، فصار عندها الحق باطلاً والباطل حقاً، والفاحشة معروفا والمعروف منكراً والخزي والعار أصبح تسبيحاً، والتسبيح رقصاً، والقداس يقام عندهم على أنغام الفرق الموسيقية التي يراها الناس في محاريب الكنائس وحتى الواعظة البليغة التي أهدينا لها صفحة من هذا الكتاب هي الأخرى تقف على مسرح القاعة الفسيحة التي تعظ فيها وهي تتمايل وتتلوى وترفع يداً ورجلاً ثم تقف على مقدمة الحذاء وتدور في الهواء وذلك ضرب من الرقص الذي يقابل من الحضور بهتاف وتصفيق ونشوة وهيام.

ولكنا نراجع أنفسنا ونقول ولماذا العجب، أليس من عادة أتباع الكتاب المقدس السير على ديدن كتَّابه ومصنفيه أن ينسبوا إلى الله عز وجل ما لا يليق به، كما وصفوا الله بأنه يبكي ويحزن ويموت ويضرب ويبصق على وجهه وأنه سبحانه عنده جهل وضعف كما جاء في (كور ١:٢٥):

(لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس)، [تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً] وإذا ما رجعنا إلى القمص زكريا فإنا سنجد تعجب قداسته من تبرير البعض برقص داود فقال (ص١٢):

«وأعجب كل العجب من محاولة تبرير الرقص الماجن بحادثة رقص داود النبي أمام تابوت العهد!!! والواقع أنها محاولة ساذجة تشبه تماماً محاولة من يريد أن يبرر خطية الزنا بأنه فعل مماثل لما يتم في الزواج المقدس!!!» انتهى

ونقول لألمعيته: كان من الأولى أن تقول: «بأنها محاولة ساذجة

تشبه تماماً من يريد أن يبرر خطية الزنا بأنه فعل مماثل لزنا داود وغيره من الأنبياء في الكتاب المقدس ـ كما تزعمون ـ، فهنا يكون المثال وجيهاً أكثر من أن تشبهه بالزواج، ولا تعتب على المسيحي الذي يبرر الزنا بهذا الشكل، لأنه إذا كان الأنبياء الذين هم أفضل منه، لم يستطيعوا أن يحصنوا أنفسهم أمام الزنا، فكيف بالإنسان العادي، فلا تلومه، ولكن اللوم على الكتاب الذي زين له هذا العمل واتهم أفضل الخلق بالزنا. برأهم الله وطهرهم مما يقول الظالمون.

وأما القسم الثاني من أقسام كتاب القمص زكريا فهو ما عنون له:

الرقص وقوانين الكنيسة:

وفي هذا القسم يورد لنا أحكام المجامع المسكونية المتعلقة بالرقص، ولن نعلق عليه، ولكن سوف نعطي مثالاً على ما جاء فيها:

«لا يجوز للمسيحيين سواء إكليروسا أو علمانيين أن يقيموا حفلات طرب ورقص وخلاعة».

كل من لا ينفذ هذا القانون ويخضع له إن كان شماساً أو كاهناً فإنه يشلح من كهنوته، وإن كان علمانياً فليقطع من الكنيسة.

«إن المجمع المقدس المسكوني يمنع الرقص وكل من استخف بهذا القانون فليسقط (من رتبته)، إن كان إكليريكيا (كاهناً أو شماساً)، وليقطع (من الكنيسة) إن كان عاميا».

ومن أراد المزيد مما جاء في كتاب القمص زكريا مما يخالف ما جاء في سفر المزامير فعليه به ليقف على حجم تجاوزات المحدثين.

وأما القسم الثالث من كتاب القمص زكريا فهو تحت عنوان: الرقص والمبادئ الروحية، وفيه يعطي قداسته بعض العظات الروحية ثم ينتقل إلى بعض الأمثلة العملية من واقع الحياة كما يصفها، وهي ثلاثة أمثلة، ويهمنا منها الأول والثاني فقط التي في (ص٢٠).

ولقد عنون المثال الأول بـ «الرقص خزي وعار».

وعنون المثال الثاني بـ «الرقص لا يليق بالمؤمنين»

فكما يقول المثل: (المكتوب يقرأ من عنوانه)

فقداسة القمص يرى أن الرقص خزي وعار ولا يليق بالمؤمنين، مع أن الكتاب المقدس يأمر المؤمنين أن يسبّحوا بالدف والرقص (مز ١٥٠)؟

فهل نسى الرجل؟ أم ألحد وما عاد الكتاب المقدس عنده مقدسا، ولذلك شغل نفسه بجملة المفتريات التي يبثها لأحبابه على حد تعبيره لإخوانه المسلمين، فما هذا التناقض المزدوج؟ وكما يبدو فإنه يؤمن أن الرقص المقصود بالمزمور يختص بالعبادة.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، إذا كان الرقص الذي بالمزمور (١٥٠) يختص بالعبادة، فما بالهم لا يقومون به في كنائسهم؟، مع العلم أنهم يستخدمون الآلات الموسيقية في القداس، فلا مانع أن يخصصوا فرقة للرقص في الكنيسة إذن!، وهم الذين إذا قيل لهم إن الموسيقى في القداس بدعة لم يستخدمها المسيح عليه السلام، أجابوا وعللوا ذلك بأن النبي داود كان يستخدم الموسيقى في تسبيحه، فنقول لهم وكذلك النبي داود عليه السلام في ضوء مزاعمهم استخدم الرقص أمام الرب [تعالى الله] فلما لا تفعلوه في الكنائس؟؟؟

فداود كما كان يستخدم الموسيقى كما تقولون، كان يرقص أيضاً، فأخذتم الموسيقى وتركتم الرقص، فما لكم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟؟؟

ألا يحتاج الأمر إلى تدبر ياغبطة القمص أيها الإمام الداعية إلى تنقيح الإسلام؟؟

لكن قبل أن ننهي حوارنا مع كتاب القمص زكريا، والذي حرم فيه الرقص في صالات الديسكو، بينما كان عليه أن يبيحه في ضوء ما يقول الكتاب المقدس في محاريب العبادة، نسأل كل علماء اللاهوت، لماذا لا يرقصون في الكنيسة أثناء القداس مع أن الكتاب المقدس يأمرهم بذلك؟؟

والجواب على ما يبدو أن الكنيسة تخجل أن تنفذ هذا الأمر الإلهي الذي تقول به كتبهم لأنه سيكون مجلبة لسخرية العالم وانتقاداته، بمعنى هل يتصور أن يعبدوا الله على أنغام الأوتار وبالطبل والدف والرقص والمزمار؟

وإذا كان ذلك مقبولا وجائزاً، فهنيئاً لكل راقصات الأفراح والليالي الملاح.

ومن هنا فإن قداسة القمص زكريا يقول في صفحة ٢٣: «فيجب أن نعلم أن الكنيسة لا تستخدم أسلوب الإجبار مع أبنائها، بل تصلي من أجلهم، حتى يصلوا إلى تنفيذ الوصية الإلهية والقوانين الكنيسة بمحض إرادتهم عن حب وليس عن قهر».

والعجيب الغريب في الرجل أنه يقول، إن الكنيسة لا تستخدم معهم أسلوب الإجبار وهي تنذرهم من أن يقعوا تحت طائلة القوانين الكنسية.

وهل نسى قداسته أنه ابتدأ كتابه باتفاقية رؤساء الكنائس القبطية في المنيا، ووقعوا بإمضاءاتهم جميعاً حتى لا يتحايل أحد إذ ترفض كنيسة ما تزويجه يمضي إلى كنيسة أخرى، وهل هناك إجبار بعد هذا الإجبار في أن يحرموا الزواج على من يرقص، أم يسمى هذا صلاة الكنيسة من أجلهم.

وهل نسى أيضاً قرارات المجامع المسكونية التي تنص على أن كل من لا يلتزم بهذه القوانين يقع من الكنيسة إن كان عامياً، أما إن كان إكليريكيا يسقط من رتبته، أم نسى قداسته مصير القديس السكندري، «أريوس» لمجرد إبداء رأيه في أحد المجامع الأمر الذي أوقع به عقوبة الموت على خازوق من حديد محمي دخل من المؤخرة وخرج من أعلى الرأس[١].

---

(١) انظر كتابنا: «الأسفار المقدسة قبل الإسلام»، دار عالم الكتب، بيروت، عام ١٩٨٥م.

جدوى اعتقاد اتحاد الألوهية بالبشرية

هذا الاعتقاد الذي يقول باتحاد وامتزاج الألوهية بالبشرية، ومن ثم امتزاج واتحاد البشرية بالألوهية، تحت المبررات والدواعي التي تقول بها كتب الأناجيل، لم تأت بأثر أو تداعيات تقدم ما يعقله المطالع أو المتأمل لهذا الاتحاد الذي يجعل الرب عبدا، والعبد ربا في وحدة عضوية كما تفيد بذلك الأناجيل، أو وحدة مجازية، خاصة وأن هذه العقيدة ترتبط باعتقاد آخر في الأناجيل يقول بصلب السيد المسيح عيسى بن مريم، وذلك على الرغم من وجود الاتحاد الذي لم ينفع فيه: اللاهوت الناسوت.

ومع أن كلمة ناسوت هذه غير مذكورة بكتبهم ولو مرة واحدة، ومع أن يسوع أيضاً لم يقل إنه ناسوت ولاهوت، فإن القصد من هذه المقولة واضح. فهم يريدون أن يوفقوا بين النصوص الواضحة في كتبهم التي تقول إن يسوع كان يتألم ويجوع ويعطش وينام ويتصرف كبقية البشر، وبين ما يدعونه من ألوهية مزعومة للسيد المسيحعليه السلام، والتي يدللون عليها أحياناً ببعض النصوص التي تتحدث عن معجزات عظيمة قام بها.

ونبدأ مع إنجيل متّى، حيث يحكي لنا متّى يقول إن يسوع نظر شجرة تين، فجاء ليأكل من تينها، ولكن حين وصل إليها تفاجأ أنها غير مثمرة فلعنها!

ولا ندري ما ذنب الشجرة المسكينة حتى يلعنها(إله المحبة) بلا ذنب! ولا ندري أيضاً طالما أنه إله محبة لماذا لم يباركها ويثمرها ليأكل منها الناسوت أفضل من لعنها؟؟؟ أليس هذا سبب مجيئه إليها؟

لكن هذا ليس موضوعنا، فنحن نريد أن نعرف هل كان يسوع ناسوتا أم لاهوتا حين رأى الشجرة؟

لنقرأ النص

متّى الاصحاح ٢١ العدد ١٩

فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقا فقط فقال لها لا يكون هناك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال.

لنقرأ هذا الجزء مرة أخرى.

فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقا فقط.

حتى هنا لا يمكن أن نقول إن يسوع كان لاهوتا؛ لأن الله لا يمكن أن يجهل موسم التين. إذاً فإن يسوع في هذه اللحظة كان مجرد ناسوت أي إنسان فقط.

ولنتابع الجزء الآخر من النص:

فقال لها لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال.

هذا لا يمكن أن نقول إنه مجرد ناسوت.. لماذا؟

لأنهم يدعون أن المعجزات العظيمة التي عملها هي دليل اتحاده باللاهوت! يعني أن اللاهوت هو الذي كان يقوم بهذه المعجزات التي منها إحياء الموتى مثلا، والتي يستدل النصارى عليها في إثبات ألوهية يسوع المزعومة. وهذا بالضبط تفسيرهم لهذا النص من أعمال الرسل الإصحاح ٢.

٢: ٢٢ أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون.

إذا فإن اللاهوت هو الذي يصنع هذه القوات والعجائب والآيات بيد يسوع، فكيف يبست الشجرة من يسوع وهو عاجز تماما عن أن يصنع معجزة واحدة بدون لاهوته المزعوم؟

واضح جداً الخلل في هذا العدد.

إذاً فإن السؤال هو لو كان يسوع إلهاً فكيف يجهل موسم التين؟ ولو كان إنسانا فكيف عمل تلك المعجزة بدون لاهوته.

ومن يتأمل النص هنا يجده يفيض بمشكلات كثيرة، وحتى يتضح لنا أكثر التخبط الذي وقع به كتاب الأناجيل، فحسب متّى فإن الشجرة يبست في الحال (فقال لها لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال).

بينما نقرأ في إنجيل مرقص الإصحاح ١١ العدد ١٣ ـ ٢٠ نقرأ القصة بشكل مختلف تماماً.

١١ : ١٣: فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً، فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقة، لأنه لم يكن وقت التين.

١١ : ١٤: فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد وكان تلاميذه يسمعون.

إلى أن يقول:

١١ : ١٩: ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة

١١ : ٢٠: وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول.

فهل يبست الشجرة في الحال كما يقول متّى أم في صباح اليوم التالي كما يقول مرقص؟؟

لاحظ أنهم لم ينتبهوا أن الشجرة قد يبست إلا في اليوم التالي فلا

يمكن أن تكون يبست في الحال كما قال متّى!

ولن نقف أمام هذا التناقض الواضح والصارخ بين الأناجيل، كما أننا لن نقف، ولن نعلق على الروح القدس (الإله) المتناقض التي من المفترض أنها أوحت.

ونعود لسؤالنا الذي كررناه كثيراً أمام اضطراب المتن الإنجيلي ولنأخذ نصاً آخر من كتابهم. فنفس الخلل نجده في مكان آخر وهو في إنجيل لوقا الإصحاح الرابع العدد٢.

يقول لوقا: إن يسوع كان يجرب من الشيطان في الصحراء لمدة أربعين يوماً وقد كان يسوع طوال تلك الفترة صائما...

٤:٢: أربعين يوما يجرب من إبليس، ولم يأكل شيئا في تلك الأيام ولما تمت جاع أخيراً.

لو سألنا أي نصراني من الذي كان يجربه الشيطان في البرية؟ هل كان يجرب اللاهوت أم الناسوت؟ فأي نصراني عنده علم ولو بسيط بكتابه سيقول إنه الناسوت.. لماذا؟

لأن كتابهم يقول إن الشيطان لا يجرب الله، وإن الله غير مجرب بالشرور!

٤:٧: قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك. وإلى هنا الأمر جيد، بل قد يكون مقبولاً، لأن النص يلهم أن السيد المسيح إنسان عادي يجربه الشيطان.. لكن دعونا نكمل النص..

(ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام ولما تمت جاع أخيراً)

فإذا كان إنسان غير متحد اللاهوت الذي لا يجربه الشيطان، فكيف لإنسان أن يعيش أربعين يوماً دون أن يأكل شيئاً؟ خاصة وأن هذا الشخص نفسه يدعى عليه وهو على الصليب الذي يقولون به جاع وعطش في يوم

واحد. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو لو كان يسوع في البرية إلها فكيف جربه الشيطان؟ ولو كان إنساناً فكيف عاش لمدة أربعين يوما في الصحراء بدون أن يأكل ويشرب؟.

وقبل أن يبدأ أي نصراني بالتبرير واللف والدوران أحب أن ألفت انتباههم أنه ليس الشيطان فقط من جرب هذا الإله المزعوم ولكن الكل تقريباً جربه!!

١٦ : ١ : وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء.

١٩ : ٣: وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب.

٨ : ٦: قالوا هذا ليجربوا لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه. وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض.

لكن ماذا لو قال أحد النصارى إن يسوع في لحظة الجهل بموسم التين ولحظة تجربته من الشيطان أو غيره كان مجرد إنسان وفي لحظة عمله للمعجزات كان إلها!

فإن هذا الرد غير علمي أمام نصوص الأناجيل، وغير دقيق فبالإضافة إلى عدم وجود دليل واحد في كتب الأناجيل يدعمه، فإننا أيضاً نلفت انتباه صديقنا النصراني أنهم يدعون أن الناسوت لم يفارق اللاهوت طرفة عين! فكيف يكون ناسوتا في وقت ولاهوتا في وقت آخر، وذلك على الرغم من عقيدة كتب الأناجيل التي بأيدينا تجعل المؤمنين بها يدعون أنهم لم ينفصلوا عن بعض لحظة واحدة، ويقفون بغير عقل ولا منطق موقف الإنكار وعدم قبول نص القرآن الكريم لهم كما جاء في سورة المائدة من الآية رقم ١٧.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ

فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)

وبغير توسع أو استطراد نواصل تأملاتنا حول ما جاء في عقيدة اتحاد الناسوت باللاهوت، وبيان ما كان يجب أن يترتب أو يتداعى على جملة المعطيات العقدية المسيحية التي تجعل من عقيدة اتحاد اللاهوت بالناسوت جوهر الاعتقاد الإنجيلي، ولنقف على موضوع، أو فلنقل قصة من قصص اتحاد الناسوت باللاهوت، وبيان ما فيها من فساد وغرائب، ومع إنجيل مرقص ومن الإصحاح السابع فقرات ٢٤ ـ ٢٩ يقول مرقص كلاماً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولا يحتاج إلى تأويل أو تفسير من عشاق تأكيد عقيدة الناسوت واللاهوت كلاما لا يقبله من أهل النظر من تأمل وتدبر وعظم المعبود:

ثم قام من هناك ومضى إلى تخوم صور وصيدا ودخل بيتا وهو يريد أن لا يعلم أحد، فلم يقدر أن يختفي.

٧:٢٥: لأن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه.

٧:٢٦: وكانت المرأة أممية، وفي جنسها فينيقية سورية، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها.

٧:٢٧: وأما يسوع فيقول لها دعي البنين أولاً يشبعونه، لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب.

٧:٢٨: فأجابت وقالت له نعم ياسيد. والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين.

---

(١) سورة المائدة، آية ١٧.

٧:٢٩: فقال لها لأجل هذه الكلمة اذهبي، قد خرج الشيطان من ابنتك.

كما نفهم من القصة، فإن يسوع لم يكن يريد أن يعلم أحد عن مكانه وكان يحاول التخفي عن أعين الناس.

٧:٢٤: ثم قام من هناك ومضى إلى تخوم صور وصيدا ودخل بيتا وهو يريد أن لا يعلم أحد، فلم يقدر أن يختفي.

إن عدم القدرة والعجز هي صفات إنسانية، وليست إلهية، فلا يمكن أن نقول إن الله سبحانه وتعالى عاجز وغير قادر عن أن يخفي نفسه خصوصا من امرأة هي نفسها عاجزة!

لذلك وتماشياً مع النصارى في قولهم باتحاد اللاهوت بالناسوت لا يمكن أن نقول أن يسوع كان هنا مجرد إنسان فقط. إنسان عاجز كأي إنسان آخر لا يمتلك أي نوع من القدرات (الإلهية) وإلا لكان استخدمها في تخفيه ولما استطاعت تلك المرأة كشف تخفيه ولما أصبح (غير قادر) كما يقول مرقص!

ولو صح هذا الأمر واعتقد النصارى هذا الرأي فعليهم قراءة بقية النصوص التي تقول:

٧:٢٥: لأن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به، فأتت وخرت عند قدميه.

٧: ٢٦: وكانت المرأة أممية، وفي جنسها فينيفية سورية، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها.

٧: ٢٧: وأما يسوع فقال لها دعي البنين أولاً يشبعون، لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب.

٧: ٢٨: فأجابت وقالت له نعم يا سيد، والكلاب أيضاً تحت المائدة لتأكل من فتات البنين.

واللافت للنظر والذي يجب التنبيه إليه هو جواب السيد المسيح على ضوء ما جاء عند مرقص.

٧:٢٩: فقال لها لأجل هذه الكلمة اذهبي قد خرج الشيطان من ابنتك.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: مع من نتعامل؟؟: مع الناسوت أم اللاهوت، أم معهما معاً كما يقولون، وهل من المعقول أن تكون نتيجة الحوار أن تأتي بمثل هذه الخاتمة التي تخالف كل المقدسات، ثم أبهذه البساطة يخرج يسوع الشيطان من ابنتها بعد أن شتمها ووصفها بالكلبة فقط لأنها أرضت غروره ووصفت اليهود بالسادة والأرباب!

لكن هذا ليس بالأمر المهم الآن. إن سؤالي هو كيف استطاع يسوع أن يخرج الشيطان من ابنتها بهذه السهولة في نفس الوقت الذي عجز فيه عن التخفي؟

إن يسوع لا يستطيع أن يقوم بمعجزة واحدة دون لاهوته، فكيف عجز وفشل هذا (الإله) عن التخفي، واستطاع بنفس الوقت أن يخرج شيطاناً بكلمة واحدة؟؟

والسؤال الذي لابد منه ونوجهه لكل علماء اللاهوت في الدنيا خاصة أولئك الذين يدعون أن معجزات يسوع هي الدليل على ألوهيته!

لو كان يسوع (إلها)، فكيف عجز عن التخفي؟ ولو كان ناسوتاً فكيف أخرج الشيطان بدون لاهوته؟

ثم لابد أيضاً من تتمة للسؤال، وهي لماذا وجّه يسوع اللوم والشتم بحق المرأة المسكينة ووصفها بالكلبة بلا ذنب؟ مع أنه في نهاية الإشكالية حقق لها ما تريد.

وإذا ما ذهبنا نتأمل ما عند مرقص فسيطالعنا مثال آخر يكشف لنا خرافة اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهذا المثال عبارة عن قصة مفبركة وهي

من أوضح الأدلة على عدم معقولية اتحاد الناسوت باللاهوت.

لنقرأ ٥/ ٢٤ ـ ٣٤

٢٤: فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه.

٢٥: وامرأة تنزف دماً منذ اثنتي عشرة سنة.

٢٦: وقد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً بل صارت على حال أردأ.

٢٧: ولما سمعت بيسوع جاءت في الجمع من وراء ومست ثوبه.

٢٨: لأنها قالت إن مست ولو ثيابه شفيت.

٢٩: فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت في جسمها أنها قد برئت من الداء.

٣٠: فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه بالقوة التي خرجت منه وقال من لمس ثوبي.

٣١: فقال له تلاميذه أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسني.

٣٢: وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا.

٣٣: وأما المرأة فجاءت وهي خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرت وقالت له الحق كله.

٣٤: فقال لها يا ابنة إيمانك قد شفاك. اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائك.

لابد أنكم عرفتم مكمن الخلل في هذه القصة أيضاً. نعم فأنتم على حق فإن المشكلة تكمن في هذا العدد.

٣٠: فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه بالقوة التي خرجت منه وقال: من لمس ثيابي.. من لمس ثيابي؟

(إله) تخرج منه قوة يشفي بها المرأة التي تنزف ومع هذا لا يعرف من لمسه؟

حتى إن التلاميذ استغربوا كلماته وقالوا (أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسني).

ولكن حتى الآن فإن هذا الإله لا يعرف من الذي لمسه فأخذ يقلب عينيه ويدور برأسه ليرى الشخص الذي لمسه..!

٣٢: وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا.

وبعد مثل هذه التأملات أسأل وأقول هل يحتاج العقلاء أو حتى البلهاء إلى التعليق أو الشرح لمثل هذه الأمثال؟ إن هذه الرواية التي جاء بها إنجيل مرقص تحتاج للكثير من التعليق، فالكذبة واضحة وضوح الشمس ولكن البداهة قاضية بالسؤال الذي لابد منه وهو:

لو كان يسوع إنساناً فكيف خرجت منه تلك القوة التي شفت المرأة ولو كان إلهاً فكيف جهل الشخص الذي لمسه؟

وفي النهاية يجب أن نتذكر أن النصارى يقولون إن اللاهوت لم يفارق الناسوت طرفة عين ولا أدري كيف بعد كل هذا الجهل المدون عند مرقص وعدم القدرة والعجز لم يفارقه اللاهوت!

مسلسل التناقض والوضع بغير سقف ولاحد

المتأمل في كتب الأناجيل وملحقاتها المعتمدة والمعتبرة متوناً ونصوصاً لا شروحاً ولا تأويلاً، ولا تلفيقاً، يطالعه التحريف في «المتن» أي أن النص الذي كان يجب أن يكون «إلهاما» تراه يتعدل ويتبدل ويحذف منه ويضاف إليه كما هو واضح جلي في نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد على السواء.

ومن هذه النصوص ما نراه عند صموئيل الثاني:

صمويل الثاني ٢٢: ١٠ ـ ١١ طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه. ركب على ركوب وطار، وربي على أجنحة الريح.

He bowed the heavens also, and came down; and darkness was under his feet. And he rode upon a cherub, and did fly: and he was sen upon the wings of the wind.

طأطأ السماوات ونزل، فكانت الغيوم المتجهمة تحت قدميه. امتطى مركبة من ملائكة الكروديم وطار وتجلى على أجنحة الريح.

لنشرح النص أولاً المقصود هنا الرب تعالى الله عما يصفون والكروب الذي سوف يركبه هو الملاك الصغير وجمعها كاروبيم وتنطق باليونانية شاروبيم وفي القاموس الأمريكي يذكر في تعريف هذه الكلمة.

American Heritage Dictionary Cherub One of the second order angels

أي ملاك من الدرجة الثانية وهكذا بخل كتبة الكتاب المقدس على

الرب حتى أن يركب درجة أولى ويطير على أجنحة الريح، والصورة كما ترى صورة سفيهة لا يصدقها طفل صغير. وقد حاول الذين يكتبون الكتاب بأيديهم تعديل هذه الصورة في الطبعة الجديدة فتحول الكروب إلى كاروبيم أي مجموعة، ولم يركب الإله عليهم مباشرة، بل على مركبة يجرها الكاروبيم المساكين ولعل الصورة الجديدة تخفف الحرج قليلاً ولكن السؤال هنا من أين أتى هؤلاء الكتبة بكلمة مركبة الغير موجودة في جميع الطبعات السابقة؟؟

وبغير توسع أو استطراد نكتفي بما ذكرناه من اضطراب وتناقض وتهافت تفيض به جنبات النصوص التي يعتقد أن الأصل فيها أنها من الإلهام الديني، ونذهب مع أتباع الكتاب المقدس نسألهم في ضوء ما يقول الكتاب، عما أضاعوه من كتبهم، ولم يبقوه تحت التحريف والحذف والإضافة، بل أعدموه وذلك على الرغم من النص عليها فيما هو بين أيدينا اليوم لكنه ما عاد مسطوراً متداولاً بين الآباء والأبناء، فمثلا من الأسفار الضائعة التي يتكلم عنها الكتاب المقدس ولم يعد لها وجود في مصادر أتباع الكتاب المقدس ومنها مثلاً:

١ ـ سفر حروب الرب وقد جاء ذكر اسم هذا السفر في (العدد ١٤ : ٢١).

٢ ـ سفر ياشر وقد جاء ذكر اسم هذا السفر في (يشوع ١٣ : ١٠).

٣ ـ سفر أمور سليمان جاء ذكره في (الملوك الأول ٤١ : ١١).

٤ ـ سفر مرثية إرميا على يوشيا ملك أورشليم وجاء ذكر هذه المرثية في (الأيام الثاني ٢٥ : ٣٥).

٥ ـ سفر أمور يوشيا (الأيام الثاني ٢٥ : ٣٥).

٦ ـ سفر مراحم يوشيا (الأيام الثاني ٢٥ : ٣٥).

٧ ـ سفر أخبار ناثان النبي (أخبار الأيام الثاني ٢٩ : ٩).

٨ ـ سفر أخيا النبي الشيلوني (أخبار الأيام الثاني ٢٩:٩).

٩ ـ سفر رؤى يعدو الراني وقد جاء ذكر هذه الأسفار في (أخبار الأيام الثاني ٢٩:٩).

١٠ ـ سفر أخبار جاد الراني وقد جاء ذكره في (أخبار اليوم الأول ٣١:٢٩).

١١ ـ يقول متى ٢٣:٢ «وأتى وسكن في مدينة يُقال لها ناصرة. لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا» فأين كتاب الأنبياء الذي ذكر فيه هذا؟

١٢ ـ «لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكم، وكطفل كنت أقطن، وكطفل كنت أفتكر. ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل. فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجها لوجه. الآن أعرفُ بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت. أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة» كورنثوس الأولى ١٣: ١١ ـ ١٣. من المتكلم الذي كان طفلاً؟ ومن الذي ينظر في المرآة؟

١٣ ـ «إذا من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن. المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا. ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط. ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي. وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله» كورنثوس الأولى ٧: ٣٨ ـ ٤٠.

١٤ ـ «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً» كورنثوس الأولى ٢٥:٧.

١٥ ـ «أوصي إليكم يا أختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسيين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم؛ لأنها صارت مساعدة لكثيرين، ولي أنا أيضاً سلموا

على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع اللذين وضعا عُنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما، بل أيضاً جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما. سلموا على أبينتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائية للمسيح، سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيرا. سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا في المسيح قبلي. سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب. سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح وعلى إسناخيس حبيبي. سلموا على أبلس المزكى في المسيح» رومية ١٦ : ١ ـ ١٠. وأكتفى بهذا لأن الإصحاح كله سلامات.

١٦ ـ «لوقا وحده معي. خذ مرقص وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة. أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس. الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس أحضره متى جئت، والكتب أيضاً ولا سيما الرفوق. إسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله». ثيموثاوس الثانية ٤ : ١١ ـ ١٤.

ولبعض النصارى حول هذه الأسفار المفقودة محاولات وأراجيف من القول لتبرير عدم ضياعها، لا يلتفت إليها.

الكتب غير القانونية (الأبوكريفا):

١ ـ سفر باروخ

٢ ـ سفر يهوذا

٣ ـ سفر طوبيا

٤ ـ سفر المكابيين الأول

٥ ـ سفر المكابيين الثاني

٦ ـ سفر الحكمة

٧ ـ سفر إستير كتب أبوكريفا أخرى في نسخة ال G.N.B:

١ ـ سفر سيراخ

٢ ـ رسالة إرميا

٣ ـ صلاة عزرا وانشودة الفتيان الثلاثة

٤ ـ سفر سوزانا

٥ ـ جرس التنّين

٦ ـ سفر أسدراس الأول

٧ ـ سفر أسدراس الثاني

٨ ـ سفر صلاة مناسي

ذكر الكتاب المقدس للتحريف الذي وقع لكلمة الله:

١ ـ «كيف تدعون أنكم حكماء ولديكم شريعة الرب بينما حولها قلم الكتبة المخادع إلى أكذوبة» إرمياء ٨:٨.

٢ ـ ليس هذا فقط بل إن الكتاب المقدس يتوعد المحرفين:

«وإنني أشهد لكل من يسمع ما جاء في كتاب النبوة هذا: إن زاد أحد شيئاً على ما كتب فيه، يزيده الله من البلايا التي ورد ذكرها، وإن أسقط أحد شيئاً من أقوال كتاب النبوءة هذا، يُسقط الله نصيبه من شجرة الحياة ومن المدينة المقدسة، اللتين جاء ذكرهما في هذا الكتاب» رؤيا يوحنا ٢٢.

٣ ـ (فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب: «خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً

عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض. لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعلمون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم») تثنية ٣١: ٢٤ ـ ٢٩.

٤ ـ (فقال: [قد غرت غيرة للرب إله الجنود، لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي. وهم يطلبون نفسي ليأخذوها]) ملوك الأول ١٠:١٩.

٥ ـ وهذا كلام الله الذي يقدسه نبي الله داود ويفتخر به، يحرفه غير المؤمنين، ويطلبون قتله لأنه يعارضهم ويمنعهم، ولا يبالي إن قتلوه من أجل الحق، فهو متوكل على الله: (الله افتخر بكلامه. على الله توكلت فلا أخاف. ماذا يصنعه بي البشر! اليوم كله يحرفون كلامي على كل أفكارهم بالشر) مزمور ٥٦: ٤ ـ ٥.

٦ ـ «ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون: «من يبصرنا ومن يعرفنا؟» يا لتحريفكم!» إشعياء ٢٩: ١٥ ـ ١٦.

٧ ـ «أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب وكمطرقة تحطم الصخر؟ لذلك هاأنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يسرفون كلمتي بعضهم عن بعض. هاأنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يأخذون لسانهم ويقولون: قال هاأنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب الذين يقصونها ويضلون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم. فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب. وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كان [ما وحي الرب؟] فقل لهم: [أي وحي؟

إني أرفضكم ـ هو قول الرب. فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول: وحي الرب ـ أعاقب ذلك الرجل وبيته. هكذا تقولون الرجل لصاحبه والرجل لأخيه. بماذا أجاب الرب وماذا تكلم به الرب؟ أما وحي الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا» إرميا ٢٣: ٢٩ ـ ٣٦.

٨ ـ انظر إلى اعتراف الكتاب المقدس بالتحريف، ثم ينسبونه لله، والله يتبرأ منه! «وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس» متى ٩: ١٥ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[1]

٩ ـ انظر إلى التحريف الذي كان منتشراً وقتها؟ انظر كم كتاب وكم رسالة قد تم تأليفها على غير المألوف أو المشهور عند لوقا؟ الأمر الذي دفعه لكتابة هذه الرسالة! «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة. رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعتُ كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» لوقا ١: ١ ـ ٤.

١٠ ـ «فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطبي؟» رومية ٧:٣ انظر كيف يتطاول على ذات الله العليا! هل صدق الله ومجده يحتاج إلى كذب بولس ونفاقه؟ هل يعجز الله عن نشر كلمته بالفضيلة والصدق؟ وما حكمة الله أن يوحي إلى كذاب منافق بنشر رسالته وتعاليمه؟ وهل سيحاسبنا الله على الكذب في الدنيا يوم الحساب؟ ألم يكذب هو (سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً) بإعانته هذا الكاذب والوحي إليه؟ وكيف يأمر بما لا يفعله

(١) سورة البقرة: آية ٧٩.

هو؟ أليست هذه حجة عليه؟ أليس هذا من الظلم؟ ألم يقل في الناموس (لا تكذب)؟ فلماذا يعين الكاذب ويوحي إليه؟؟؟

١١ ـ بولس يقول أراءه الشخصية، ثم بعد ذلك تقولون هذا من عند الله؟ «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً. فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر» كورنثوس الأولى ٧: ٢٥ ـ ٢٦.

١٢ ـ هل بولس قد أوحى الله إليه؟ إن قلت لا، فلماذا تعدون رأيه الخاص وحياً من عند الله؟ وإن قلت نعم، فاقرأوا رأيه الشخصي الذي يضعه في رسائله الشخصية: «إذا من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن. المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حيا. ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط. ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي. وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله» كورنثوس الأولى ٧: ٣٨ ـ ٤٠.

١٣ ـ هذا هو بولس الذي لعب بالكل، ليربح الكل ليكون شريكا في الإنجيل «فإني إذ كنت حرا من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس، كأني بلا ناموس ـ مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح ـ لأربي الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه» كورنثوس الأولى ٩: ٢٠ ـ ٢٣، وهو نفس حال المنصرين لليوم: الكذب والنفاق ليربح الكل!!

بالطبع تعرفون أن كلمة إنجيل تعني البشارة (الحسنة)، فما هي بشارة بولس التي بشر بها؟ وما هي بشارة عيسى عليه السلام التي نادى بها؟

إن رسالة عيسى عليه السلام هي اقتراب ملكوت السموات أو ملكوت الله التي تعني خروج شريعة أخرى من عند الله ليست في نسل إسحق:

«وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات. وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» متى ٨: ١١ ـ ١٢.

«هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجا. ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون في ملكوت الله، وهوذا آخرون يكونون أولين، وأولون يكونون آخرين» لوقا ١٣: ٢٨ ـ ٣٠.

«قال لهم يسوع: «أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا؟ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه» متى ٢١: ٤٢ ـ ٤٤.

«فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» متى ٦: ٩ ـ ١٢.

١٤ ـ في أعمال الرسل ٩: ٣ ـ ٩، ٢٢: ٦ ـ ١١، ٢٦: ١٢ ـ ١٧ ذكرت قصة اعتناق بولس المسيحية. لكن انظر إلى التناقضات في سرد هذه القصة التي لو ذكرت أمام عاقل لرفضها من جذورها، ولو أشهد بولس المحكمة على صدق هذه القصة لحبسته بتهمة إزعاج السلطات!

الصوت النور المسافرون مكان تلقى الرسالة

٩ : ٣ ـ ٩ سمعوه لم ينظروه وقفوا صامتين دمشق

٢٢ : ٦ ـ ١١ لم يسمعون نظروه دمشق

٢٦ : ١٢ ـ ١٧ نظروه سقطوا على الأرض تلقاها في الحال مع وعد بإنقاذه من اليهود.

وما هي هذه الرسالة؟ هل هي تعاليم جديدة؟ لا. إلا أن بولس جعلها ديانة تختلف تماما عن تعاليم عيسى عليه السلام. إنها نفس تعاليم موسى النقية دون تدخل أيدي بشرية فيها. أليس هذا بولس اليهودي؟ اقرأ غلاطية ١٥:٢ «نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة» ألم يحاكم تلاميذ المسيح بولس في المعبد؟ مع الأخذ في الاعتبار أن أقدم رسائل بولس ترجع إلى ٣٠ سنة بعد رفع المسيح عليه السلام. أي أن التلاميذ قد ألبسوا قوة من الأعالي، وتكلموا بألسنة مختلفة. فهل مازلتم تقولون عن بولس رسول؟ هل مازلتم تعتقدون أنه من تلاميذ عيسى عليه السلام؟ «وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به. إنه ليس بحسب إنساناً. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته. بل بإعلان يسوع المسيح. فإنكم سمعتم بيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيره في تقليدات آبائي. ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحما ودما ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق» غلاطية ١ : ١١ ـ ١٧.

١٥ ـ لاحظ وجود أناجيل أخرى وانتشار التأليف والتحريف في الإنجيل

عقب اختفاء عيسى مباشرة! وهو نفس الكلام الذي قاله لوقا في إنجيله الإصحاح الأول. (إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن «إناثيما»). غلاطية ١ : ٦ ـ ٨.

١٦ ـ هل تعلم أن بولس هذا أخرج الناس عن تعاليم عيسى عليه السلام، وانفصل عنه برنابا وتركه (أعمال الرسل ١٥:٢٩) وأدانه رئيس التلاميذ يعقوب وأمره بالتطهر والاستغفار، بل وأرسل التلاميذ أناسا من أتباع عيسى عليه السلام السنهدرين لإصلاح هرطقة بولس؟ «فلما سمعوا كانوا يمجدون الرب. وقالوا له: «أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس. وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسلا قائلاً أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد. فإذا ماذا يكون؟ لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت. فافعل هذا الذي نقول لك. عندنا أربعة رجال عليهم نذر. خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضاً حافظا للناموس. وأما من جهة الذين آمنوا من الأمم فأرسلنا نحن إليهم، وحكمنا أن لا يحفظوا شيئاً مثل ذلك سوى أن يحافظوا على أنفسهم مما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا». حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد، وتطهر معهم، ودخل الهيكل مخبراً بكمال أيام التطهير إلى أن يقرب عن كل واحد منهم القربان. ولما قاربت الأيام السبعة أن تتم رآه اليهود الذين من آسيا في الهيكل فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي صارخين: «ياأيها الرجال الإسرائيليون أعينوا! هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان

ضدا للشعب والناموس وهذا الموضع حتى أدخل يونانيين أيضاً إلى الهيكل ودنس هذا الموضع المقدس». لأنهم كانوا قد رأوا معه في المدينة تروفيمس الأفسسي فكانوا يظنون أن بولس أدخله إلى الهيكل. فهاجت المدينة كلها وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجروه خارج الهيكل. وللوقت أغلقت الأبواب. وبينما هم يطلبون أن يقتلوه نما خبر إلى أمير الكتيبة أن أورشليم كلها قد اضطربت. فللوقت أخذ عسكراً وقواد مئات وركض إليهم، فلما رأوا الأمير والعسكر كفوا عن ضرب بولس أعمال الرسل ٢١: ٢٠ ـ ٣٢.

ولم يتركوه يدخل بين الشعب حتى لا يفسد عقيدته «ولما كان بولس يريد أن يدخل بين الشعب لم يدعه التلاميذ» أعمال الرسل ١٩:٣٠، ترى من أهم عندك ومن أكثر معرفة بدين عيسى عليه السلام؟ هل الحواريون (التلاميذ) أم بولس الذي لم يراه؟

كتابات بولس هي رسائل شخصية أرسلها لأناس مختلفة. فمن الذي ادعى أن هذا كلام الله؟ «سلموا على أندرونكوس ويونيياس نسيبي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا في المسيح قبلي. سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب. سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح، وعلى إستاخيس حبيبي. سلموا على أبلس المُزكى في المسيح. سلموا على الذين هم من أهل أرستوبولوس سلموا على هيروديون نسيبي. سلموا على الذين هم من أهل نركسوس الكائنين في الرب. سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب. سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب. سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي. سلموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس وعلى جميع القديسيين الذين معهم. سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة. كنائس المسيح تسلم عليكم». رومية ١٦: ٧ ـ ١٦.

١٧ ـ «أيها الإخوة صلوا لأجلنا. سلموا على الإخوة جميعاً بقبلة مقدسة. أناشدكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الإخوة القديسيين» تسالونيكي الأولى ٥: ٢٥ ـ ٢٧.

١٨ ـ «أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس. الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس أحضره متى جئت، والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق. إسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة. ليجازه الرب حسب أعماله. فاحتفظ منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جداً» تيموثاوس الثانية ٤: ١٢ ـ ١٤.

قارن كل هذه الفقرات بالفقرات الآتية التي تشير إلى عدم تغيير كلمة الرب:

«فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» متّى ١٨:٥.

«السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» متى ٣٥:٢٤، لوقا ٣٣:٢١، مرقس ٣١:١٣.

«مولودين ثانية، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» بطرس الأولى ٢٣:١.

١٩ ـ «لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبي إلى الكاهن. كل واحد يعمل بالكذب» إرميا ١٠:٨. فكيف تتقون بعد ذلك في كلام أنبيائكم وكهنتكم، إذ كان علام الغيوب قد وصفهم بالكذب؟ أي يقولون ما لم يقله الله ويدعون أنه منزل من عنده. أليس هذا دليلاً على التحريف؟ أليس هذا أكبر دليل على سحب الثقة من هذا الكتاب وهؤلاء الأنبياء؟

٢٠ ـ «فأترك شعبي وأنطلق من عندهم. لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين، يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب، لا للحق قووا في الأرض» إرميا ٣:٩.

ألا يذكر هذا النص قرار الله بسحب شريعته من هذا الشعب وعدم جعل النبوة في نسلهم بسبب ما اقترفوه من الزنا والكذب؟ فقد سحب الله ثقته منهم، فكيف تقنعني أنا اليوم بالثقة فيهم وفي كتاباتهم وأقوالهم؟ ولماذا تحذون حذو بني إسرائيل في إنكار في نسل إسماعيل؟

٢١ ـ «فقال الرب لي: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم. برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم» إرميا ١٤ : ١٤.

من هم هؤلاء الأنبياء الكذبة حتى تستثنى كتاباتهم من الكتاب المقدس حتى يكون اسم الكتاب على ما يُسمى؟

هل هي كتابات سليمان الذي عبد الأوثان (الملوك الأول ١١ : ٩ - ١٠)؟

أم هل هي كتابات الزناة من الأنبياء أمثال داود (صموئيل الثاني ١١) ولوط (تكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨) ويهوذا ويعقوب و..و..؟

أم هل هي كتابات نبي الله وأبو الأنبياء الذي يتهمه الكتاب المقدس بالدياثة على زوجته (تكوين ١٢ : ١١ ـ ١٦)؟

أم هل هي كتابات أنبياء لصوص أمثال يعقوب نبي الله الذي يتهمه الكتاب المقدس بالكذب على أبيه وسرقة البركة والنبوة من أخيه (تكوين ٢٧) ولم يكتفِ بذلك بل نهب بهائم وغنيمة سكان عاى قد نهبها لنفسه (حسب قول الرب!!!) (يشوع ٢٧ : ٨). وموسى الذي يتهمه الكتاب المقدس بسرقة ذهب المصريين عند خروجهم من مصر (خروج ٢٢ : ٣) وأيضاً (خروج ١٢ : ٣٥ ـ ٣٦)؟ تعالى الله عما تقولون علواً كبيراً.

٢٢ ـ «لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ. ولكن متى جاء الكامل

فحينئذ يبطل ما هو بعض» كورنثوس الأولى ٩:١٣، فمن هو ذلك الكامل الذي تكون رسالته كاملة لجميع الأمم؟ من هو الذي لم تترك رسالته صغيرة أو كبيرة إلا وتكلم عنها؟ من هو ذلك الكامل الذي شملت رسالته كل الأنبياء السابقين؟ وحتى لو لم يحرفوا كلمة الرب فقد كانت مؤقتة وينتظر النبي الكامل بشريعته التي ستنسخ تعاليم تلك الشريعة. فالعهدان إذاً: كلاهما مؤقت.

٢٣ ـ «فمات شاول بخيانته التي هي خان الرب من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه. وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان للسؤال» أخبار الأيام الأول ١٣:١٠.

الفصل السابع عشر

◄ الأهداف القومية لليهود والسيد المسيح

◄ تحريف سياسي معاصر للعهد الجديد

◄ اللوبي المسيحي الصهيوني

◄ السفارة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل

◄ مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل

الأهداف القومية لليهود والسيد المسيح

سبقت لنا الإشارة في الصفحات السابقة إلى أن اليهود لما تأكد لهم، أن عيسى بن مريم عليه السلام يبشرهم بنزع الملك من بيت داود أن المنتظر من بيت إسماعيل لا من بيت داود، ولذلك فقد حاكوا «المؤامرة» التي رفعوها إلى الوالي الروماني بشأن تهديد المسيح لليهود وللسلطة الرومانية حين نسبوا إليه، كما جاء إشارة وتلميحاً في الأناجيل الأربعة: متّى ولوقا ومرقص ويوحنا، وصراحة وتحديداً عند برنابا بأن الملك القادم الذي يعم فيه البشر النعمة بملكوت الله هو من بيت إسماعيل لا من بيت داود.

ولذلك لما تبين لليهود عقم العنف في تحقيق غاياتهم في السيطرة بمجيء المسيح ورفضه الاستجابة لمطامعهم وأهوائهم، ركنوا إلى الخيال يستلهمونه حل مشكلة الحفاظ على كيانهم المهدد بالزوال، فكان أن بث الأحبار في نفوس اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن العالم يتألف من أشتات الناس مُقدّرا لهم الخضوع لسيطرتهم في نهاية المطاف.

وأخذوا يتشبثون بأهداب الآمال العريضة في مولد ملك من نسل داود يخلصهم من نير الرومان ويتسلط على الأرض، ويمتلكون معه، ويقيموا لهم إمبراطورية كونية قاعدتها أورشليم «بيت المقدس»، ويجعل منهم العنصر الحاكم، وأطلقوا على المخلص المرتقب اسم المسيح، والمسيح لقب ظهر في التوراة يوم مسح شاول بن قيس ملكا على إسرائيل، ففي يوم تتويجه صبوا على رأسه دهناً، ومسحوه به، وبهذا سمي مسيح الله، أي الذي مسحه الله بدهن الابتهاج، كعلامة الرضا والتأييد، وأطلقوا على

المسيح بن مريم المخلص، أي يسوع، وهي كلمة يونانية تفيد معنى: «المخلِص»، وكلمة يسوع مع تحوير بسيط تنطق عند المسلمين: «عيسى» عليه السلام.

ويركن أهل الكتاب إلى نبوءة، وإلى تذكير بهذه النبوءة،أما النبوءة فقد وردت في سفر زكريا: (ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم، هو ذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار، وعلى جحش ابن أتان).

وأما التذكير بهذه النبوءة فهو: (قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان)

ويأتي المسيح عليه السلام فيستنكر هذا كله.

١ ـ أما عن الإمبراطورية الإسرائيلية: فإنه يقوض هذا الزعم بهذه الحقيقة في قوله: «يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين... هو ذا بيتكم يترك خرابا». وقد تم التخريب والتدمير الشامل في عهد الدولة الفارسية الساسانية سنة ٦١٤م.

٢ ـ وأما عن شخصيته، فإنه يقول «مملكتي ليست من هذا العالم لكن خدامي يجاهدون لكيلا أسلم إلى اليهود».

وعندما أرادوا أن يأخذوه بمكر قدموا له ديناراً وسألوه: أنعطي جزية لقيصر؟ فأجابهم: لمن هذه الصورة، ولمن الكتابة؟ قالوا: لقيصر.قال: ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. وبهذا أفحمهم جواباً وحسم الأمر. ولقد أفاض Will Ddurant في هذا الشأن تحت عنوان المسيح والإنجيل في كتابه:

The Story of Civilization, vol. III pp.564-570

شخصية المسيح كما تصورها الأناجيل:

إن الحديث عن شخصية السيد المسيح «عيسى بن مريم» في ضوء ما

تصفه الأناجيل تشير إلى أنه لم يكن من النساك الزاهدين، كما كان الأنبياء والأسينيون خاصة يوحنا المعمدان، بل كان كما يروي عنه متّى الإنجيلي في الإصحاح ١١/١٩: (أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة) كذلك قال عنه يوحنا الإنجيلي في الإصحاح ٢(١ - ١٠): (إنه قدم كثيراً من الخمر في حفل الزواج)، أما لوقا الإنجيلي فقد قال عنه في الإصحاح ٧: ٣٧، ٣٨: (إنه قبل عاهراً تائبة ضمن أتباعه).

وقد بدأ ظهوره وعمله على إثر سجن يوحنا المعمدان، وبعدما أسلم يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل يكرّز ببشارة ملكوت الله، وأخذ يعمل عمل يوحنا المعمدان ويخطب في الناس مبشراً بملكوت الله حتى ظن أتباع يوحنا المعمدان أن يوحنا قد قام من الأموات.

لكن اللافت للنظر هو أن المسيح على ضوء ما تقول الأناجيل قد اختار تلاميذه من طراز يصعب على المتأمل أن يقول إنهم من النوع القيادي الذي يستطيع بشخصيته أن يسهم في اتجاهات عامة، فالأناجيل تظهر من أخلاقهم وتكشف من عيوبهم الشيء الكثير، فهذا بطرس الذي قال لسيده المسيح: (وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك فيك أبداً) ينكر صحبته لسيده المسيح عند محاكمة المسيح، في بيت قيافا رئيس الكهنة: (فأنكر قدام الجميع قائلاً: لست أعرف الرجل)، وهذا يهوذا يخون سيده فيتنبأ عنه المسيح وعن خيانته بقوله: (إن واحداً منكم يسلمني، فأجاب يهوذا مسلمه وقال: هل أنا هو يا سيدي؟ قال له: أنت قلت) وبقبلة خان يهوذا سيده: (فقال له يسوع: يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟!). وهذان هما يوحنا ويعقوب ابنا زبدي لا يخفيان مطامعهما، فيقولان للمسيح: (اعطنا أن نجلس، واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك)، والتلاميذ جميعاً كانت مطامعهم تتفق مع مطامع هذين التلميذين، حتى إن المسيح أراد أن يهدئ من هذه المطامع، فوعدهم بأنهم سيجلسون على اثني عشر كرسياً، يدينون أسباط إسرائيل. لكن المشكلة التي واجهها المسيح هي إدراكه أنه

لن يحقق القومية اليهودية بالصورة التي أرادها اليهود ولهذا قال: (مملكتي ليست من هذا العالم) والواقع أنه لا جديد فيما جاء به المسيح من تعاليم، فإن بشارته بمجيء ملكوت الله قد وقع نظيرها قبل مجيئه بقرن من الزمان، وأن الناموس قد حرص على بث الألفة بين الأفراد بمحبة الفرد للآخر في مثل قوله: (لا تبغض أخاك في قلبك، ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك) (وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالمواطن منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر).

لقد نادى المسيح بشريعة موسى وحث الناس على أن يستعدوا للدخول في ملكوت الله، بأن يحيوا حياة العدالة والرحمة والحق مستنداً إلى ما جاء بسفر هوشع: (وأخطبك لنفسي إلى الأبد. وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب).

ومع ذلك قاوم الأحبار والكهنة المسيح على اختلاف فرقهم، عدا فرقة الأسينيين، فقد هالهم أن يختلط بموظفي الإمبراطورية الرومانية المبغضين، وبالنساء ذوات السمعة السيئة: (وكان جميع العشّارين والخطاة يدنون منه، ليسمعوه فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين: هذا يقبل خطاة ويأكل معهم).

ولهذا كان كهنة الهيكل يرقبون نشاطه بعين الريبة، ويرون في هذا النشاط ما كان يراه هيرودس الملك في نشاط يوحنا المعمدان، وظنوا أنه ستار يخفي تحته ثورة سياسية ضد الإمبراطورية الرومانية، وكانوا في حرصهم على مراكزهم يخشون أن يتهمهم الحاكم الروماني بأنهم يتحللون مما هو مفروض عليهم من تبعات: (وأرسلوا جواسيس يتراؤون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه).

ومما زاد في ارتباطهم فيه قوله: (أما تنظرون جميع هذه.الحق أقول لكم: إنه لا يترك حجر على حجر لا ينقض).على أن المسيح كان يقصد

بقوله هذا انبثاق الإنسان إلى نور الإيمان الكامل وصدق الاستمساك بروح الشريعة عن يقين، لا بطقوسها.

وفي تقرير ذلك وتأكيده فقد كشف وكتب هرمان ريماس Herman Reimarus أستاذ اللغات الشرقية في جامعة كامبردج في القرن الثامن عشر مخطوطات عن حياة المسيح تشتمل على ١٤٠٠ صفحة، حرص على ألا ينشرها في حياته، وتوفي سنة ١٧٦٨م.

وبعد ست سنين من وفاته نشر جتهولد لسنج Gotthold Lessing أجزاء من هذا المخطوط مع معارضة أصدقائه في هذا النشر، وسماه «هتامات ولفنبتل.."Wolfenbuttal Fragments"

ويقول ريمارس Reimarus: إن يسوع المسيح لا يمكن أن يكون مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم، بل يجب أن يفهم على أنها الشخصية النهائية في جماعة المتصوفة اليهود الأسينيين القائلين بالبعث والحساب، ومعنى هذا أن المسيح لم يفكر في إيجاد دين جديد، بل كان يفكر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب، ويوم الحشر الذي يحاسب فيه الله الأرواح على ما قدمت من خير أو شر.

وفي عام ١٧٩٦م. أشار هردر Herder إلى ما بين مسيح متّى ومرقص ولوقا والمسيح في إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها.

وفي الفترة ١٨٣٥ ـ١٨٣٦ قال دافيد ستروس David Strauss إن ما في الأناجيل من خوارق الطبيعة يجب أن يعد من الأساطير الخرافية، وإن حياة المسيح الحقيقية ينبغي أن تعاد كتابتها بعد أن تحذف منها هذه العناصر أياً كان صورها.

وقد أثارت مجلدات ستروس Strauss الضخمة عاصفة قوية من التفكير الألماني، دامت جيلا من الزمان.

من هذا يتبين أن المفكرين أخذوا يتساءلون: هل وجد المسيح حقاً؟

أو أن قصة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزوريس وأتيس وأدنيس، ودونيسيس ومتراس؟

وفي عام ١٨٦٣ م. أخرج إيرنست رينان Ernest Renan كتابه «حياة يسوع» جمع فيه نتائج النقد الألماني، وعرض مشكلة الأناجيل على العالم المثقف.

وبلغت المدرسة الفرنسية صاحبة البحوث الدينية ذروتها في أواخر القرن التاسع عشر على يد الأب لوازي Loisy، الذي حلل نصوص العهد الجديد تحليلاً بلغ من الصرامة حدا اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكية إلى إصدار قرار بحرمانه هو وغيره من العلماء المحدثين.

هذا ما كان في أمر المسيح في إيجاز، أما الأناجيل فليس أمرها بنفس النمط الذي صار عليه الباحثون الناقدون، ذلك لأن الأربعة أناجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني.

وخلاصة الموضوع هنا أن اليهود إذا كانوا قد اختلفوا في إدراك ميراث الأرض، فإن النصارى اختلفوا في إدراك شخصية المسيح عيسى بن مريم.

وفي ظل هذا الاختلاف تضاربت أقوالهم وأصبحوا أمام الأمر الواقع مضطرين أن يدافعوا عن هذا التضارب الذي لا أمل في درئه والتحرر من دواعيه ومقتضياته.

تحريف سياسي معاصر للعهد الجديد

كان من الممكن أن يظل التحريف والاضطراب والتداخل في نصوص كتب العهد الجديد بحيث لا يتجاوز التحريف دائرة فساد النسك، وبطلان بعض العقائد، وسقم بعضها الآخر، مع محاولات رجال اللاهوت الرد على ما يوجه إلى هذه العقائد من اضطراب، أو شرح وتوضيح ما يمكن شرحه، لولا أن التحريف العقدي والسياسي المعاصر يكاد يعصف بما يمكن أن يكون من بقية لدين في ثنايا كتب العهد الجديد، ذلك أن التعانق العقدي الذي قام منذ السبعينيات بين اليمين المسيحي في أمريكا وأوروبا والذي تمثل في إحياء خرافات تاريخية أسهمت في صناعة التاريخ المعاصر فضلاً عن القرار السياسي، أصبح أمراً مقلقاً، ذلك أنه منذ عام ١٩٨٠م، بدأ التحالف بين اليمين المسيحي واليمين الجديد، وأصبح هو الحركة الأكبر تأثيرا على الساحة الأمريكية. إذ وجد اليمين المسيحي طريقه إلى داخل الحزب الجمهوري متحالفا مع اليمين السياسي.

يقول الأستاذ رضا هلال في كتابه «المسيح اليهودي القادم»: وهذه الصلة لم تبدأ عام ١٩٨٠م، فالعلاقة بين القس بيلي جراهام زعيم منظمة «شبان المسيح» والرئيس دوايت أيزنهاور معروفة، كما أن القس جراهام كان يقيم صلوات إفطار في البيت الأبيض أثناء فترة رئاسة نيكسون، ولكن العلاقة وصلت إلى آفاق جديدة مع ترشيح ريجان وخلال رئاسته.

فعقب مؤتمر ترشيحه للرئاسة عام ١٩٨٠م، أعلن ريجان تأييده للأجندة الأخلاقية لليمين المسيحي، في خطاب وجهه إلى اجتماع كهنوتي.

وقامت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» بنشاطات مكثفة لصالح ريجان خلال حملته الانتخابية. وتمكنت «الأغلبية الأخلاقية» التي كانت تمثل القلب المحرك لليمين المسيحي من حشد ثلاثة ملايين ناخب في الانتخابات الرئاسية والتشريعية. وبذلك أصبح اليمين المسيحي قوة مؤثرة في فوز ريجان.

وعين ريجان عدداً من شخصيات اليمين المسيحي في مناصب سياسية مهمة. وفي عام ١٩٨٣م، أيد ريجان في خطابه أمام «الاتحاد الوطني للإذاعيين الدينيين»، قضايا أجندة اليمين المسيحي مثل خفض الضرائب على أولياء أمور تلاميذ مدارس الأبرشيات، وعودة الصلاة إلى المدارس، وأدان ريجان حكم المحكمة العليا بإجازة الإجهاض (دعوى ضد ويد ١٩٧٣م)، وأصبح لليمين المسيحي عُصبة أعضاء موالين في مجلس النواب وممثلين في مجلس الشيوخ، مثل السناتور جيسي هيلمز والسناتور أورن هاتش، للتقدم بتشريعات لحظر الإجهاض، والسماح بالصلاة في المدارس.

وشهدت سنوات الثمانينيات توسع «أجندة» اليمين المسيحي، لتضم إلى جانب القضايا المحلية والأخلاقية، قضايا خارجية مثل زيادة القدرة الدفاعية الأمريكية، ومعارضة التجميد النووي. بل إن اليمين المسيحي انخرط في عمليات خارجية على نحو ما ظهر في فضيحة «إيران ـ كونترا» وإسقاط حكومة ساندنيستا. وفي السلفادور، قادت المنظمات الإيفانجيلية تظاهرات وحملات دعائية لتأييد نظام الحكم العسكري. وفي الفلبين، نظمت تلك المنظمات بعثات تبشيرية بعد انتخاب كورازون أكينو. وفي جنوبي إفريقيا، شارك الإيفانجيليون الأمريكيون في حملات دعائية ضد المؤتمر الوطني الإفريقي لصالح النظام العنصري هناك. كما حشدت منظمة الأغلبية الأخلاقية أعضاءها في «الحملة الصليبية ضد التجميد النووي» ووزع رئيس المنظمة نشرة تحت عنوان «الحرب النووية وعودة المسيح» تربط الحرب النووية مع الاتحاد السوفييتي بالمجيء الثاني للمسيح. وكانت هرمجدون النووية من أجل إسرائيل الرباط المقدس بين اليمين المسيحي الصهيوني والرئيس ريجان.

لقد تأثر ريجان كثيراً بوالدته التي كانت قارئة للكتاب المقدس، متعبدة جداً، مؤمنة بالمسيح والخلاص. ولذا نشأ ريجان على قراءة الكتاب المقدس وزيارة الكنائس.

ويقول ريجان عن نفسه إنه تربى على الكتاب المقدس، وتعلم لمدة طويلة في مدارس الأحد.

كما تأثر ريجان بأصدقاء مقربين يعتقدون في «التدابير الإلهية» مثل القس الإيفانجيلي المبشر بيلي جراهام. ويذكر ريجان أن جراهام زاره خلال إقامته في المستشفى عام ١٩٦٨م، ودار بينهما حديث حول النبوءات المتعلقة بالمجيء الثاني للمسيح وإمكان تحقيقها في ذلك الوقت.

وفي عام ١٩٧٠، وخلال حملة ريجان لولاية ثانية كحاكم لولاية كاليفورنيا، زار ريجان في منزله القس الإيفانجيلي جورج أوتيس، حيث دار حديث طويل عن النبوءات التوراتية ومؤشرات نهاية الزمن.وفي نهاية الحديث، كما قال أوتيس، وقف الجميع مع الحاكم ريجان يؤدون الصلاة وأيديهم متشابكة، وتنبأ أوتيس لريجان بأن يصبح رئيساً للولايات المتحدة.

وفي عام ١٩٧١، طلب الحاكم ريجان من بيلي جراهام أن يلقي خطابا في المجلس التشريعي لكاليفورنيا، فتحدث جراهام عن أن البديل للشيوعية هو الخطة الواردة في الكتاب المقدس بالمجيء الثاني للمسيح.

وفيما ذكره الأستاذ رضا هلال في كتابه «المسيح اليهودي ونهاية العالم» ومن صفحات ١٠٣ ـ ١١٤ أن: جيمس ميلز رئيس مجلس الشيوخ في كاليفورنيا قال في مقال نشره عام١٩٨٥، في مجلة «سان دييجو»، أن ريجان أقام مأدبة عشاء على شرفه عام ١٩٧١، وفي أثنائها سأله ريجان بصورة غير متوقعة عما إذا كان قد قرأ الإصحاحين ٣٨،٣٩ من سفر حزقيال. وقال ريجان إن حزقيال رأى في العهد القديم المذبحة التي ستدمر عصرنا. ثم تحدث بتركيز لاهب عن ليبيا لتحولها إلى الشيوعية، وأصر على أن في ذلك إشارة إلى أن يوم هرمجدون لم يعد بعيداً. وقال ريجان فيما ذكره ونقله الأستاذ رضا هلال.

إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد مرت. ففي الإصحاح ٣٨ من سفر حزقيال أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو كل شئ في مكانه بانتظار هرمجدون والمجيء الثاني للمسيح...إن حزقيال يقول إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الرب. إن ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يدمرون بواسطة السلاح النووي.. ويخبرنا حزقيال أن يأجوج ومأجوج، الأمة التي ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتي من الشمال. إن يأجوج يجب أن تكون روسية. ليس من الأمم القديمة شمالي إسرائيل غير روسيا. لقد أصبحت روسيا شيوعية وملحدة لتضع نفسها ضد الرب والآن تنطبق عليها تماماً موصفات يأجوج. وفي عام ١٩٧٦م، ناقش ريجان حاكم ولاية كاليفورنيا معركة هرمجدون في مقابلة مسجلة مع جورج أوتيس، وقال ريجان إنه ينتظر نبوءة حرب يأجوج ومأجوج «التي تعتبر بأنها غزو روسي لإسرائيل في المستقبل القريب».

وفي حملته للرئاسة عام ١٩٨٠، ذكر ريجان في مقابلة تلفزيونية أجراها معه الواعظ التلفزيوني جيم بيكر: إننا قد نكون الجيل الذي يشهد هرمجدون. وفي العام نفسه، نقل ويليام سافاير معلق صحيفة «نيويورك تايمز»، أن ريجان قال أمام مؤتمر يهودي: «إن إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدون».

وفي مقابلة مع القس جيري فالويل عام ١٩٨١م، كشف فالويل عن أن الرئيس ريجان قال له: إن تدمير العالم يمكن أن يحدث قريباً.

وفي مناسبات ثلاث (١٩٨٢و١٩٨٣و١٩٨٤) خطب ريجان في اتحاد المذيعين الدينيين، مؤكداً اقتناعه بقرب هرمجدون والمجيء الثاني للمسيح وفقاً لمشيئة الرب كما ورد في نبوءات الكتاب المقدس.

وفي عام ١٩٨٦، أصبحت ليبيا العدو الأول لريجان. ونظر إليها

كواحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات، وبالتالي فهي عدوة للرب.. وكان مما قاله: إن أرض إسرائيل ستتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش الأمم الكافرة، وإن ليبيا ستكون من من بين تلك الأمم.. إن يوم هرمجدون لم يعد بعيدا.. ولذلك حاول ريجان رئيس أمريكا الدولة العظمى قتل الرئيس (القذافي) دولة صغيرة (ليبيا) في مخدعه[١].

إن جيمس ميلز في مقاله في مجلة سان دييجو أغسطس عام ١٩٨٥م يستنتج أن ريجان كان ينطلق في سياساته من إيمانه بنبوءات الكتاب المقدس. وأظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تمشياً مع إرادة الرب أي العمل بما يحقق نبوءة الرب انسجاماً مع إرادته السامية حتى يعود المسيح ليحكم الأرض ألف سنة. أي أن ريجان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٥ كان توراتياً أكثر من كونه مسيحياً. ومن ثم فإن توجه ريجان للإنفاق العسكري وتردده إزاء مقترحات نزع السلاح النووي يتفقان مع رؤيته المستمدة من الكتاب المقدس. إذ إنها هرمجدون التي تنبأ بها حزقيال لا يمكن أن تحدث في عالم منزوع السلاح، وقال ميلز أيضاً: إن سياسات ريجان الداخلية والمالية توخت الانسجام مع النبوءات التوراتية سواء من جهة زيادة الإنفاق العام «الدفاعي» وزيادة الدين القومي العام أو من جهة معاداة التدخل الحكومي في الاقتصاد ومعاداة البرامج الاجتماعية لمكافحة الفقر والبطالة.

لقد جاء انخراط اليمين المسيحي في القضايا الخارجية بعدما تبين أن أجندته الداخلية الأخلاقية لم يتبنها الرئيس ريجان، بعكس ما كان منتظرا،

---

(١) الجماهيرية الليبية خيبت آمال ريجان ونبوءاته، وما عاد يوم هرمجدون قريبا في ضوء نبوءات يقولون بها في الغرب، وذلك بسبب إدراك (الجماهيرية) لمخططات الإمبريالية الأمريكية والصهيونية واغتنامهما الخرافات الموروثة في رسم السياسة العالمية ضد من تسميهم بالأعداء، وقامت الجماهيرية بتغيير علاقاتها الدولية بعد سقوط بغداد في إبريل عام ٢٠٠٣م وفوتت على الغرب اتخاذ المواقف المعادية التي تحمل بين جنباتها العدوان.

وبعد فشل تمرير تشريعي حظر الإجهاض وإباحة الصلاة في المدارس، من الكونجرس الذي كانت تسيطر عليه أغلبية ديمقراطية.

ولذلك اتخذ اليمين المسيحي تكتيكات جديدة مثل الاستخدام المتزايد للتظاهر واللجوء إلى العنف تجاه عيادات الإجهاض، إلى جانب زيادة قدرته التنظيمية والتصويتية لدعم مرشحي الرئاسة والكونجرس.

وإلى جانب منظمة «الأغلبية الأخلاقية» ومنظمة «الصوت المسيحي» والشبكات التلفزيونية الدينية، أسس اليمين المسيحي منظمة الائتلاف الأمريكي للقيم التقليدية عام ١٩٨٣م بزعامة القس تيم ليهي لتجميع الأموال وحشد الأصوات.

وأسست زوجة ليهي، بفيرلي منظمة التركيز على المرأة من أجل أمريكا عام ١٩٨٥م، ووصل عدد أعضائها إلى حوالي ستمائة ألف بنهاية الثمانينيات. وفي عام ١٩٨٧م نشأ «ائتلاف الحرية الأمريكية» وقد تورطت منظمتا التركيز على المرأة وائتلاف الحرية في عمليات أمريكا في نيكاراجروا.

بيد أن عام ١٩٨٨م كان عام استعراض القوة بالنسبة لليمين المسيحي، بإعلان بات روبرتسون الواعظ التلفزيوني ورئيس شبكة CBN عزمه على الترشيح للرئاسة عن الحزب الجمهوري.

ولكن فشل روبرتسون في الترشيح لانتخابات الرئاسة، قاده لتأسيس منظمة «الائتلاف المسيحي» في العام نفسه، لتصبح المنظمة القاعدة لليمين المسيحي والقوة المؤثرة في فوز الرئيس جورج بوش «الأب» وعدد من نواب الكونجرس وحكام الولايات في انتخابات سنة ١٩٨٨م ثم التوسع على مستوى الولايات من خلال مجالس المدن ومجالس المدارس.

اللوبي المسيحي الصهيوني

منذ فجر التاريخ الأمريكي، وبتأثير البروتستانتية البيوريتانية «التطهرية» ثم الإيفانجيلية الأصولية، ظل الاعتقاد ببعث الدولة اليهودية قبل المجيء الثاني للمسيح، يشكل جزءاً من مصفوفة التاريخ الفكري الأمريكي.

وهذا الاعتقاد البروتستانتي الأمريكي، القائم على التفسير الحرفي للنبوءات التوراتية، تحول إلى حركة مسيحية صهيونية، سبقت الصهيونية اليهودية في الدعوة إلى قيام وطن قومي لليهود في فلسطين مع مؤتمر بازل ١٨٩٧.

لذلك، ظهر «اللوبي المسيحي الصهيوني» في الولايات المتحدة قبل ظهور «اللوبي اليهودي» بعقود، وليصبح أكثر نفوذاً وتأثيراً في تسعينيات القرن العشرين، بتغلغله داخل الحزب الجمهوري الذي سيطر علي مجلسي الكونجرس منذ سنة ١٩٩٤.

إن جماعات الضغط تلعب دوراً مهما في النظام السياسي الأمريكي، وفي العمليات السياسية بمحاولة التأثير على صانعي القرار في النظام السياسي، من أجل تحقيق أغراضها ومصالحها. فهناك الجماعات التي تعبر عن مصالح الشركات أو نقابات العمال أو المزارعين أو المنظمات المهنية أو التنظيمات العرقية والدينية أو تلك التي تحارب التمييز.

وتستخدم جماعات الضغط وسائل متنوعة في ممارسة نشاطها، منها وسيلة «اللوبي»، إذ يتولى تقديم المعلومات بهدف الإقناع والتأثير في قرارات الآخرين، وبخاصة في المؤسستين التشريعية والتنفيذية، فضلاً عن

التأثير في الجماهير من خلال تأثيرها في اتجاه الفرد ورأيه، ومواقفه السياسية، وكذلك في التنظيمات الجماعية الأخرى، والتأثير لإنجاح تأييد مرشحين في الانتخابات وتقديم المساعدات المالية والمعنوية والإعلامية في سبيل ذلك.

وما يطلق عليه «اللوبي اليهودي» يقصد به أساساً اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة - إيباك - التي تأسست عام ١٩٥٩، ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الذي تأسس في العام نفسه، إضافة إلى لجان العمل السياسي وأهمها اللجنة القومية للعمل السياسي، التي تأسست عام ١٩٨٢. وهناك حوالي ٣٠٠ منظمة يهودية في الولايات المتحدة، تمارس أعمالا إنسانية داخل الوسط اليهودي.

ولكن الانتماء الصهيوني سرى في طريقة الحياة الأمريكية وتخلل نسيجها قبل عقود من ظهور «اللوبي اليهودي». ويفصح عن مدى ذلك التغلغل، ما أظهره الجمهور الأمريكي العريض من تحمس بالغ للانتداب البريطاني على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، ثم إدانته العالية الصوت لسياسة بريطانيا في فترة ما بين الحربين تجاه فلسطين، كلما بدا أن تلك السياسة خرجت عن خط بلفور، بل إن الواقع على الصعيدين التنفيذي والتشريعي، أي الإدارة والكونجرس، أظهر أن الانتماء الصهيوني بات مرادفاً في أذهان كثيرة لكون المرء أمريكيا كما ينبغي أن يكون الأمريكي.

وقد نشطت الحركة المسيحية - الصهيونية الأمريكية في إنشاء منظمات ولجان مسيحية تستخدم اسم فلسطين، وتهدف إلى تعبئة الرأي العام وممارسة الضغط على الإدارة والكونجرس لمصلحة الصهيونية السياسية قبل ظهور اللوبي اليهودي. وكانت من أوائل تلك المنظمات واللجان (منظمة فيدرالية أمريكا الموالية لفلسطين (Pro-Palestine Feder-ation of America) التي أسسها القس تشارلز رسل عام ١٩٣٠م للدفاع عن الوطن القومي لليهود).

وتبنت المنظمة مؤتمرا أسمته «المؤتمر المسيحي الأمريكي»، عقد بمدينة نيويورك في ١٥ ديسمبر ١٩٣٦م، وحضره أكثر من ٢٠٠ شخصية من المسؤولين الحكوميين ومن رجال الدين، وأصدر المؤتمر إعلانا يطالب المجتمعات المحضرة بمساعدة اللاجئين اليهود الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية لدخول فلسطين ملاذهم الطبيعي.

وفي عام ١٩٣٢م، تأسست (اللجنة الفلسطينية الأمريكية American Palestine Committee) بهدف حشد المؤيدين للصهيونية من غير اليهود، وتطوير وعي الرأي العام الأمريكي بالصهيونية وأغراضها وإنجازاتها في فلسطين. وقد ترأس اللجنة عام ١٩٤٢م السناتور روبرت واجنر ومعه زعيم الأقلية تشارلز مكماري، وضمت في عضويتها ٦٨ من أعضاء مجلس الشيوخ وأكثر من ٢٠٠ من أعضاء مجلس النواب وعشرات من رجال الدين.

وفي عام ١٩٤٢م، تشكلت منظمة مسيحية صهيونية هي (المجلس المسيحي الفلسطيني (-Cheristian Council On Palestine

وكان معظم أعضائها من القساوسة البروتستانت، واستهدفت توجيه الاهتمام نحو فلسطين كملجأ وحيد لليهود، وكأرض موعودة ومعتمدة بوعد بلفور «وفيما بعد، اندمجت اللجنة الفلسطينية الأمريكية مع المجلس المسيحي الفلسطيني في منظمة جديدة عُرفت باسم «لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية».

كما شهد عام ١٩٤٢م، تأسيس «الاتحاد الوطني للإيفانجيليين» الذي أصبح فيما بعد معقل المسيحية الصهيونية والإيفانجيلية الأصولية، إذ قام على الاعتقاد بحرفية الكتاب المقدس، بما في ذلك النبوءات التي تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين قبل المجيء الثاني للمسيح. كما أفرز الاتحاد الوطني للإيفانجيليين منظمات وزعامات مسيحية صهيونية حشدت البروتستانتية الأمريكية المحافظة، ولعبت دوراً مهماً في السياسة الأمريكية

داخلياً وخارجياً، يفوق دور «اللوبي اليهودي»، فالإيفانجيلية «الأصولية» انطلاقا من مبدأ عصمة الكتاب المقدس، تحولت لأن تصبح مسيحية صهيونية، تعتقد في النبوءات التوراتية، حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة بعد العودة الثانية للمسيح «معركة هرمجدون» وضرورة تجميع اليهود في الأرض المقدسة قبل عودة المسيح.

لذلك سعت المنظمات والزعامة المسيحية الصهيونية والأصولية في أمريكا، قبيل إنشاء الدولة اليهودية، لدعم الاتجاهات الصهيونية لدى الرأي العام الأمريكي، وممارسة الضغوط السياسية على الإدارة الأمريكية من أجل مصلحة إقامة دولة يهودية في فلسطين، مستخدمة من أجل ذلك كل وسائل النشر المتاحة والندوات والإعلانات والعرائض. وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، اعتبرت الإيفانجيلية الأصولية ذلك الحدث تجسيداً لصحة نبوءات التوراة والاعتقاد بقرب المجيء الثاني للمسيح ليحكم العالم في الألف عام السعيد. وصارت الإيفانجيلية الأصولية ترى في دعم وتثبيت دولة إسرائيل تعجيلاً وتسريعاً ليوم الخلاص بعودة المسيح. وبدلا من تنصير الإسرائيليين قبل مجيء المسيح حسب الاعتقاد الإيفانجيلي، فقد رأت الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية تأجيل هذا الموضوع وركزت جهودها على تأكيد شرعية دولة إسرائيل على أساس الاعتقاد بأنها قامت وفقاً للنبوءات التوراتية، وتأكيد حق إسرائيل في أرض الميعاد بما فيها القدس.

وجاءت حرب يونيو سنة ١٩٦٧والانتصار الإسرائيلي العسكري فيها، و ما نتج عنه من احتلال القدس، لتعطي زخماً للحركة المسيحية الصهيونية والأصولية في أمريكا، إذ كان احتلال القدس أكثر أهمية من إقامة إسرائيل، حيث اعتبرت عودة اليهود إلى القدس تحقيقاً لنبوءات التوراة وتأكيدا لصحتها، ودليلا على قرب مجيء المسيح.

لقد اعتبرت الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية، بعد عام

١٩٦٧م، أن العالم أصبح إزاء الخطوة قبل الأخيرة لنهايته.

وفي عام ١٩٧٠ م، كتب هال لندسي كتابه «كوكب الأرض العظيم الراحل» الذي زعم فيه «أن عودة القدس إلى اليهود تمثل الخطوة قبل الأخيرة قبل نهاية العالم، إذ إن الخطوة الأخيرة هى إعادة بناء المعبد القديم فوق موقعه التاريخي القديم... وهو المكان نفسه الذي تقوم عليه الآن قبة الصخرة».

ومع صعود المسيحية الصهيونية والأصولية الأمريكية في السبعينيات كقوة سياسية مؤثرة، تشكلت منظمات مسيحية صهيونية ممالئة لإسرائيل،ربطت بين بقاء إسرائيل وبقاء أمريكا عظيمة، باعتقاد أن الرب يبارك أمريكا لأنها تدعم إسرائيل. وتشكل تلك المنظمات ما يمكن تسميته «اللوبي المسيحي الصهيوني».

منظمة (الأغلبية الأخلاقية -The Moral Majority):

أسس القس والواعظ التلفزيوني جيري فالويل منظمة «الأغلبية الأخلاقية» عام ١٩٧٩م، لنشر الأخلاق المسيحية التقليدية، ولذلك استهدفت معارضة كلمات الإجهاض والمثلية الجنسية وتقنين حقوق اللواطيين والسحاقيات، والمطالبة بإيقاف الحظر على الصلاة في المدارس. وفي مجال السياسة الخارجية، استهدفت الأغلبية الأخلاقية محاربة الشيوعية وتوفير دفاع قوي للولايات المتحدة ومعارضة التجميد النووي، بزعم أن العالم بانتظار معركة هرمجدون نووية بين قوى الخير والشيطان. وتمثل إسرائيل موقعا بارزاً في برنامج الأغلبية الأخلاقية وخطاب مؤسسها جيري فالويل.

فالبرنامج يتضمن دعم إسرائيل دون شرط. وكما قال فالويل فإن البرنامج ومنظمته وسيلة لحماية وتطوير الموقف بجانب الشعب اليهودي وإسرائيل.. فالرب قد حدد حدود إسرائيل وأيد مطالبها في الأرض...

واليهود لهم حق تاريخي ولاهوتي وقانوني في أرض إسرائيل.

وتعود جذور فكر فالويل الصهيوني إلى معتقداته الإيفانجيلية الأصولية المتهودة، وهو يشير باستمرار إلى ما يسميه «وعد الرب لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام.. سأبارك من يبارك إسرائيل وألعن من يلعنها..» ومن هذا الموقف اللاهوتي، فإن على الولايات المتحدة الأمريكية ألا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى إسرائيل.

ويعتبر فالويل أول سياسي أمريكي يتطرف في القول بأن دعم «الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ليس من أجل مصلحة إسرائيل، ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة نفسها». ويقول أيضا إن «دعمه لإسرائيل غير مشروط، وإن إسرائيل هي خط الدفاع الأمريكي في الشرق الأوسط». ويعتقد أنه «لا مجال للنقاش في كون يهودا والسامرة جزءاً من إسرائيل وكذلك الجولان، وأن القدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل.

وكان لمنظمة الأغلبية الأخلاقية قيادة على المستوى القومي برئاسة فالويل تسمى «القيادة القومية للأغلبية الأخلاقية»، وفروع في كل أنحاء الولايات المتحدة.

وقد تملكت «الأغلبية الأخلاقية» نظاما متطورا للتنظيم والاتصال، فوصل عدد أعضائها إلى ٦،٥ مليون أمريكي، ومدت اتصالاتها البريدية والإلكترونية إلى حوالي ٢٥ مليون أمريكي، علاوة على اتصالاتها بالبيت الأبيض والكونجرس. وسلكت المنظمة مسلك «اللوبي» بما في ذلك تأمين الدعم المالي للمرشحين للمناصب السياسية ممن يؤيدون وجهة نظرها. وتمكنت «الأغلبية الأخلاقية» من مخاطبة الأمريكيين وتوعيتهم من خلال شبكة فالويل الإذاعية والتلفزيونية الدينية، وتعبئة الملايين من غير المهتمين بالعمل السياسي للانخراط فيه وممارسة الحقوق الانتخابية، إضافة إلى أساليب الضغط المكثف في الكونجرس سواء لإنجاح مشروع أو مرشح مؤيد لها، أو إفشال المعارضين.

١ ـ استثمار شخصية المسيح:

لقد أصبحت شخصية عيسى عليه السلام، تثير اهتمام الشبيبة الأمريكية والأوروبية بما تحمله من طابع إنساني كبير... غير أن هذا الاهتمام تلقفته المؤسسات التجارية لاستثماره من أجل الاستغلال التجاري، سواء عن طريق المسارح والسينما والفنون أو التجارة الأخرى كالملابس الخاصة التي كان يرتديها المسيح عليه السلام.

وقد أجرت الصحافة تحقيقاً لهذه الظاهرة، وبواعثها والظروف المحيطة بها، كانت النتيجة أن انقسم المسيحيون بالنسبة لهذه الظاهرة بين مؤيد ومعاد لها، وتفصيل ذلك:

١ ـ العلماء ورجال الدين، وتمثل ذلك بقول (أندريه دوماس) الأستاذ في معهد التيولجيا البروتستانتية في باريس: ـ منبت هذه الموضة هو العالم الأنكلوساكسوني الذي تحتل التوراة مركزاً مرموقاً من تراثه الثقافي العام، وتؤثر فيه أكثر من تأثيرها بالعالم اللاتيني، والتوراة إذ تتطعم بحكاية المسيح، تصبح وسيلة فعالة لمخاطبة جماهير المسارح والسينما والفنون إجمالاً، جعلت هذه الموضة المسيح موضع اهتمام المعاصرين، وصورته تارة ثائراً ضد مجتمع عادل وتارة راهباً يعيش على مجتمع عادل وتارة راهباً يعيش على مجتمع القرن العشرين.

ثم علق على ذلك بقوله، واستغلال يسوع على هذا الشكل ليس بالطبع عملاً صالحاً إذ إنه يبعدنا عن الإصغاء إلى تعاليمه واستيعابها، ويجعله مرآة تعكس غضبنا وشهواتنا، لم يعد المسيح هو الذي يرشدنا بل صار ـ شيئاً ـ نتصرف به حسب أهوائنا.

٢ ـ الشبيبة المسيحية الثائرة التي تقول: إن التيارات المعاصرة لا تمت إلى روح الديانة المسيحية بأي صلة، إنها هروب من معالجة القضايا

الواقعية المطروحة على أبناء العصر بحدة بالغة.

وعزوا ذلك إلى أن هدف ممولي الصحف ووسائل الإعلام التي تواكب هذه الظاهرة وتغذيها، من كبار الصناعيين الأمريكيين هو محاربة أتباع المسيح الثائر، من إلهيين ومؤيدي العنف، المسيح يعلمنا أن نعيش الحب، لكن الحب لا يكون في الهروب من مواجهة معارك واقعية يتعلق بنتائجها مصير الإنسان. والتحقيق كما جاء في صحيفة الصحافة الأسبوعية المغربية، العدد ١٧، ص: ٩. منذ سنتين فقط قال أحد أعضاء فرقة البيتلز ـ أصبحنا مشهورين أكثر من المسيح ـ.

لكن البيتلز اليوم مجبرون على إنشاد أغنية المسيح مثلهم مثل بوب ديلان، وداليدا وسواهما من المغنيين البارزين، وذلك حتى يحافظوا على شهرتهم.

وسبب التمحور الثقافي حول المسيح هو شباب العالم، وشباب أمريكا بنوع خاص، إن شخصية المسيح تصلح كنموذج مثالي يحيطونه بإعجابهم ويحملونه ما فاض عن قلوبهم الفتية من حب وتوق إلى المثل العليا والأحلام العظيمة.

الهيبيون أتباع المسيح:

وينتيجة هذا الاكتشاف بررت ـ ظاهرة المسيح ـ في السنوات الأخيرة بين مجموعات الهيبيين المنتشرين على طول شاطىء المحيط الهادي وفي أرجاء ولاية كاليفورنيا وانتقلت الظاهرة إلى أوروبا، ولكنها لم تبرح أمريكا بل لا تزال تزداد ترسخاً وانتشاراً لهم في جميع الولايات.

يقدر أتباع المسيح ـ الجدد ـ من الأمريكيين وحدهم، بنحو خمسمائة ألف نسمة، وتراهم في الشوارع يرتدون قمصاناً كتب عليها ـ أحب يسوع ـ وتقام باستمرار حفلات عمادة جماعية على طول الشواطىء وضفاف

الأنهر، وكثيرون هم الشباب المدمنون إدماناً مرضياً، والذين أقلعوا عن تناول المخدرات معلنين توبتهم الصادقة بعد انضمامهم لأنصار يسوع.

التجار يستغلون الظاهرة:

وكان لا بد أن تقع الظاهرة في أيدي التجار، والشبان في جميع أنحاء العالم، عنصر استهلاكي يحسب له ألف حساب، دخل التجار الحلبة فزرعوها منشورات مختصة تلاحق تطورات الظاهرة وتنشر أخبارها، وتغذيها بوسائل الإعلام المعروفة.

وأنشئت ـ لأول مرة في تاريخ المسيحية ـ مقاه وملاه ليلية توفر الجو الملائم لاجتماعات ـ أنصار يسوع ـ وتمدهم بوسائل التسلية واللهو الخاصة بهم.

أما باعة ملابس يسوع، من رداء أبيض وصليب تقليدي فقد بلغت تجارتهم قمة الازدهار.

السينما والمسرح والإذاعة:

ولم يفت البرامج الفنية استغلال الظاهرة فامتلأت المسارح والملاهي الليلية بذكر يسوع، وكانت أبرز الأعمال الفنية، خلال العام الماضي، مسرحيتان من نوع الكوميديا الغنائية على ألحان الروك بطل كل منهما هو يسوع، عنوان الأولى «يسوع المسيح سوبر ستار» وعنوان الثانية «مشيئة الله» وبلغ من نجاحهما أن دام عرض الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية أشهراً عدة وأن انتقلت الثانية بعد عرض مديد إلى باريس، حيث لا تزال تجذب جمهوراً ضخماً كل ليلة.

حتى الذين تناولوا الموضوع نفسه بسخرية لاقوا نجاحاً كبيراً، ومنهم جان يان في فيلمه «الجميع يقولون إنه جميل ولطيف»، وألان سكوف في

مسرحية «جيزو فريك» أي «يسوع المال».

وقفزت الكتب التي تتحدث عن المسيح إلى الصفوف الأولى في واجهات المكتبات، وكان كتاب «النجم» والذي تجمع حوله أكبر عدد من الفضوليين، والمعجبين في معرض الكتاب الأخير الذي أقيم في فرانكفورت كتاباً عن سيرة المسيح.

وشاهد الأوروبيون وسمعوا خمساً وعشرين حلقة مذاعة من راديو وتلفزيون لوكسمبورغ تروي قصة يسوع المسيح منذ ولادته في الناصرة إلى صلبه، كاتب الحلقات كان روجيه موج أما منشدو النصوص فشخصيات ومشاهير بينهم جوني هوليداي وشارل أزنفور والجنرال الفرنسي سالان.

استغلال... أعظم النجوم:

وتستعد السينما لتبني الظاهرة مجندة أضخم طاقاتها، وقد أعلن عن قرب انتهاء تصوير مقتبس عن مسرحية «يسوع سوبر ستار» من إخراج هنري هاتاوي، كما باشر المخرج الإيطالي فرانكو زيفرللي تصوير فيلمه «اغتيال المسيح».

ويبدو أن الشركة الألمانية بوهلاند فيلم تعد مشاريع أفلام كثيرة تدور كلها حول السيد يسوع، وستبدأ بتنفيذها حالما يتأكد لها استمرار انتشار الظاهرة ونجاحها.

٢ ـ المؤامرة كما عرفها وليام غاي كار:

لقد عرف المؤامرة كل من بحث بحق، وأراد أن يصل إلى الحقيقة التي غابت عن الناس، وعلى الخصوص أولئك الذين يتعصبون للمسيح عليه السلام، ويذكرون أنهم يسيرون على نهجه وطريقه.

فهذا على سبيل المثال الأميرال «وليم غاي كار» الذي عمل رئيساً «لاتحاد الرجال المسيحيين المتيقظين» وضع في متناول الجماهير كل المعلومات، التي استطاع الحصول عليها، ليلقي الضوء على الأوجه المختلفة للمؤامرة، ونشرت هذه المعلومات في كتابين هما: «أحجار على رقعة الشطرنج» «وضباب فوق أمريكا» بالإضافة إلى المطبوعات الأخرى...[(١)].

ويذكر الأميرال أنه شرع في تأليف «أحجار على رقعة الشطرنج». من سنة ١٩١١ مستهدفاً الوصول إلى كنه السر الخفي، الذي يمنع الجنس البشري من أن يعيش بسلام، ولكنه لم يستطع النفاذ إلى قلب هذا السر، حتى عام ١٩٥٠ حيث عرف أن الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا، والفوضى التي تسيطر على عالمنا، ما هي إلا نتائج مؤامرة شيطانية مستمرة بدأت من ذلك الجزء الذي نسميه «الفردوس»[(٢)].

أ ـ جذور المؤامرة:

يذكر لنا تاريخ الشيطان الديني، كيف كان آدم وزوجه في الجنة، واستزلهما حتى خرج الجميع منها إلى الدنيا. وتقوم عقيدة الشيطان على أن الحق هو القوة، ولا عبرة بوسائل تحقيقها. وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر بالطغيان أو الحكم المطلق[(٣)].

وما هذه التوراة إلا تمثيلاً لقصة الشيطان، حين ساد العالم، وأغرى الأوائل بمجانبة الصواب. وبدأ الشيطان بمحاربة الدستور الإلهي. فكانت حكمته تعالى بإرسال عيسى عليه السلام، ليفضح هذا التآمر ويدل الناس على الطريق السوي بعد أن موهت اليهودية الحقائق[(٤)].

---

(١) جريدة العلم المغربية، ص ٣ بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٧٣.
(٢) أحجار على رقعة الشطرنج، ص: ٢٩.
(٣) أحجار على رقعة الشطرنج، ص: ٧.
(٤) أحجار على رقعة الشطرنج، ص: ٨.

وليس هذا فقط بل أمر أتباعه بالذهاب إلى جميع الأمم والشعوب ليعلموهم حقيقة المؤامرة، ولكن تآمر الكنيس الشيطاني، وإهمال التابعين للمسيح القيام بالواجب كان ذلك السبب في تطور المؤامرة إلى هذه الدرجة.

ب ـ استمرار المؤامرة:

ولا ينسى الأميرال بذكر حلقات هذه المؤامرة المتصلة ببعضها البعض منذ عهد المسيحﷺ، حتى يومنا هذا، متشكلة بأشكال مختلفة في المظهر، متفقة في الجوهر وهو تنفيذ أوامر الشيطان. ففي الماضي كان حاخامي اليهود، يدعون لأنفسهم السلطة المطلقة في تفسير ما يسمونه بالمعاني السرية لكتابات الكتب المقدسة، بواسطة الإلهام الإلهي الخاص، ولتمكينهم من السيطرة تماماً، اجتمع عدد من حاخامات الكنيس اليهودي، وكبار المربين، ورؤوس الأموال اليهودية العالمية، وقرروا تأسيس مجمع سري يعمل على تحقيق غرضهم أطلقوا عليه اسم «المحفل النوراني»[(١)].

حدد عدد أعضاء هذا المحفل بثلاثة عشر عضواً، يعتبرهم الكنيس اليهودي الهيئة التنفيذية للمجلس الأعلى. وما كان هذا العدد إلا ليتذكروا دائماً أن هدفهم الأول هو تدمير الديانة المسيحية.. الديانة التي أتى بها السيد المسيح والحواريون الاثنى عشر.

ولهؤلاء النورانيين طقوس خاصة في غاية من السرية والكتمان، حتى يقضوا على أي احتمال من نوع خيانة يهوذا للمسيح. وتكفل هذه

(١) يقول الأميرال: وقد عرف المسيح كنيس الشيطان، بأنهم الذين يسمون أنفسهم ـ اليهود ـ قائلاً: إنهم كاذبون لا يدينون بأي دين، كما عرف كبار صرافي النقود آنئذ ـ وهم يرادفون كبار أصحاب البنوك الحاليين ـ وفي الفريسيين، عرف فيهم من يسميهم اليهود بالنورانيين.

أحجار على رقعة الشطرنج س: ١٠٥، اشتقت كلمة النوراني من كلمة (لوسفر) وهي اسم الشيطان في الأناجيل اللاتينية. ومعناها الحرفي، حامل النور. والنوراني معناها الشخص الذي يتقي النور.

الطقوس، الخضوع المطلق لرئيس المجلس والاعتراف بمشيئته العليا، التي لا تفوقها أية مشيئة أخرى على الأرض، كائنة ما كانت.

ج ـ نداء الأميرال:

وبصوت مرتفع ممن عرف المؤامرة، مع دراسة طويلة صدر هذا النداء مستنصراً بالمسيحيين كي يقفوا على حقيقة الأمر، ويوقفوه عند حده، ويقيموا حق الله في أرضه، التي دنستها كنيسة الشيطان. . .

أما آن الأوان للعالم المسيحي لكي يستفيق على الخطر الذي يحيق به؟ أما آن الأوان للآباء لكي يمنعوا أطفالهم من أن يصبحوا يوماً ذخيرة في مدافع الصهيونية ومبادئها الشيطانية. ألم يحن الوقت بالنسبة إلينا في الغرب لكي نصبح أخيراً بناة لعالم يسوده الحق الإلهي عوضاً عن أن نبقى كمستمعين فقط للكلام الإلهي والمؤامرة العالمية؟[١].

٣ ـ بروتوكولات حكماء صهيون:

ولعل ما سبق الحديث عنه يؤكد ما جاء في بروتوكول رقم ١٧، الخاص بالأديان والذي ينص: «وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين، من الأمميين ـ غير اليهود ـ في أعين الناس. وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤوداً في طريقنا. وأن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً بعد يوم[٢].

اليوم تسود حرب العقيدة في كل مكان، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً. وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى. على أن مناقشة هذه النقطة أمر سابق جداً لأوانه.

سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جداً من الحياة،

(١) نفس المصدر السابق، ص: ١٠٦.
(٢) انظر كتابنا: التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت طبعة ثالثة عام ١٩٧٥ وعند الحديث عن البروتوكولات.

وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئاً على الناس. حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها. حينما يحين الوقت كي نحطم البلاط البابوي تاماً، فإن يداً مجهولة مشيرة إلى الفاتيكان، ستعطي إشارة الهجوم. وحينما يقذف الناس أثناء هيجانهم بأنفسهم على الفاتيكان، سنظهر كحماة له لوقف المذابح.

وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط، وحينئذٍ لن يكون لقوة على وجه الأرض، أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية. إن ملك إسرائيل سيصير البابا الحق للعالم، وبطريرك الكنيسة الدولية.

ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تعم إعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة، بل سنحاربها عن طريق النقد الذي كان وسيظل بنشر الخلافات بينها.

وبالإجمال ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الأممية الدينية وغيرها، عن طريق كل أنواع المقالات البذيئة لنخزيها ونحط من قدرها إلى مدى بعيد لا تستطيعه إلا أمتنا الحكيمة(١).

٤ ـ المؤامرة كما كشفها القرآن:

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، ص: ٢٩.

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا
مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ
وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ
أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ
﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ
ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٢ ـ ١٦].

السفارة المسيحية الدولية
(International Christian Embassy)

جاءت ولادة هذه المنظمة المسيحية الصهيونية عام ١٩٨٠م، بعد قرار الحكومة الإسرائيلية،اعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل في العام نفسه.

وتضمن المنشور التأسيسي للمنظمة أن «من الواضح أن الرب وحده،هو الذي أنشأ هذه السفارة المسيحية الدولية، وفي هذه الساعات الحرجة من أجل الراحة لصهيون، واستجابة حب جديدة لإسرائيل».

واختصر مؤسس المنظمة ورئيسها جان فان ديرهوفن أهدافها بإعلانه» «إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم، وإن القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام الرب، وإن الرب قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد».

ويرى أعضاء هذه السفارة أنه إذا لم تبق إسرائيل،فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني. ولا تكتفي هذه المنظمة بدعمها وجود إسرائيل، بل تدعم سياساتها التوسعية، بما فيها اعتبار الضفة وغزة حقوقا أعطاها الرب للشعب اليهودي.

وتنظم السفارة احتفالا سنويا بالعيد اليهودي المسمى عيد العريش (Tabernacles) في القدس، وتحشد الآلاف من المسيحيين في جميع أنحاء العالم للمشاركة، كتعبير عن التأييد المسيحي لإسرائيل ولسياستها.

بيد أن أهم أنشطة السفارة المسيحية الدولية هو «المؤتمر المسيحي

الصهيوني» الدوري الذي تعقده في المكان نفسه الذي انعقد فيه أول مؤتمر صهيوني يهودي في مدينة بازل في سويسرا عام ١٨٩٧م.

وفي المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول الذي عقد عام ١٩٨٥م، صدرت عدة قرارات منها دعوة كل الأمم للاعتراف بإسرائيل، واعتبار يهودا والسامرة جزءاً من إسرائيل بالحق التوراتي، والمطالبة بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل، ودعوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وبين أرضه الموعودة وكذلك بالبعد التوراتي لدولة إسرائيل.

وكان البند الأخير في إعلان المؤتمر أن أعضاء المؤتمر يصلون وينظرون بلهفة لليوم الذي تصبح فيه القدس مركز لاهتمام الإنسانية، حينما تصير مملكة الرب حقيقة واقعة.

وفي المؤتمر المسيحي الصهيوني الثاني الذي عقد في القدس عام ١٩٨٨م، بمناسبة الذكرى الأربعين لقيام إسرائيل، أعلن أعضاء المؤتمر في بيانه الختامي: الحب لإسرائيل وللشعب اليهودي.. الحق المقدس لليهود بأن يعيشوا أحراراً في أرض إسرائيل كلها بما فيها يهودا والسامرة.. تشجيع عودة الشعب اليهودي كله من الشتات استجابة لدعوة الرب..حث الدول جميعها على الاعتراف بإسرائيل، وإقامة سفاراتها في القدس.. دعوة الأمم إلى دعم إسرائيل والاستثمار فيها.

وكانت منظمة السفارة المسيحية وراء القرار الأول الذي صدر عن الكونجرس الأمريكي في شهر إبريل عام ١٩٩٠م، والذي دعا الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.

مؤسسة جبل المعبد (Temple Mount Foundation):

ربما تكون مؤسسة جبل المعبد أكثر المنظمات المسيحية الصهيونية الأمريكية صهيونية. ومقر المؤسسة في لوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا،

وهدفها إقامة المعبد في القدس. ويتولى إدارة شؤونها مليونير أمريكي وأحد أقطاب صناعة النفط في ولاية أوكلاهوما يدعى تيري رايزنهوفر.

ويتفرع عن المؤسسة «اللجنة الإيفانجيلية» وتعمل في مدينة القدس، وتترأسها قيادة ثلاثية تضم إضافة إلى رايزنهوفر، رجل أعمال من كاليفورنيا هو تشاك كريجر، ورجل دين بروتستانتي أصولي هو جيمس ديلوش.

وقد دافعت اللجنة عام ١٩٨٣م، عن المعتقلين من الإسرائيليين المتطرفين الذين قاموا بتخريب وإتلاف جزء من المسجد الأقصى.

ويشكل بناء المعبد اليهودي (الهيكل) عند هذه المنظمة الصهيونية واحدة من آخر الإشارات التي تسبق المجيء الثاني للمسيح.

ومن أجل هذه الغاية، تقوم مؤسسة جبل المعبد بتجميع الأموال من المسيحيين الأصوليين الأمريكيين، لشراء الأراضي في القدس، والإنفاق على إعداد عدد من رجال الدين اليهودي وتدريبهم على أنظمة الهيكل وقوانين ذبح القرابين وإحراق البخور. كما ساهمت المؤسسة في مشروع تصميم الهيكل، حيث تم تصميم مجسم له في حجم غرفة كاملة. وبموجب التصميم المعتمد يقوم الهيكل مكان المسجد الأقصى.كما يبين التصميم موقع «قدس الأقداس»، أي المكان الذي يقال إنه كانت فيه الألواح المقدسة التي تضمنت الوصايا الإلهية.

ويتمتع رايزنهوفر ومجموعته بصلات مع المنظمات والقيادات المسيحية والصهيونية الأصولية، وله منافذ سالكة إلى البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية، وكان أحد أفراد القيادة المسيحية الأصولية الذين دعاهم البيت الأبيض في مارس سنة ١٩٨٤م، لكسب تأييدهم لبرنامج الإدارة الأمريكية داخلياً وخارجياً .

وقام رايزنهوفر بشراء أراض في الضفة الغربية وبخاصة في مدينة القدس لمصلحة إسرائيليين، وظل هدفه الأساسي بناء «المعبد الثالث» عند المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل
The National Christian Leadership Conference For Israel

نشأ مؤتمر القيادة المسيحية لأجل إسرائيل عام ١٩٨٠ م،من تجمع عدة جماعات ومنظمات مسيحية صهيونية. ويقول بول فندلي إن الهدف من ذلك التجمع المسيحي الصهيوني الاهتمام ببقاء ودعم إسرائيل ورفاهيتها ويمارس المؤتمر نشاطاته بأشكال وأساليب متعددة منها النشاطات اللاهوتية والمؤتمرات والمسيرات ووسائل الضغط المنظمة والإعلانات.

وتقيم المنظمة مؤتمراً سنوياً في واشنطن العاصمة لخدمة إسرائيل، وعادة يحضره أعضاء من الكونجرس. وقد دعا المؤتمر في يونيو عام ١٩٨٢م، للتظاهر دعماً لغزو إسرائيل للبنان. وبالفعل شملت التظاهرات عدة مدن أمريكية، مطالبة بدعم إسرائيل عسكرياً واقتصادياً، وتفهم حاجة إسرائيل لحماية شعبها ضد الإرهاب! ثم قامت المنظمة بحملة إعلانية في صحيفتي «واشنطن بوست» و «نيويورك تايمز» وعدد آخر من كبريات الصحف الأمريكية، تحت عنوان «مسيحيون متضامنون مع إسرائيل».

وبررت الحملة الإعلانية عملية الغزو الإسرائيلي للبنان، واعتبرتها حماية للمدنيين الإسرائيليين، وتحريراً للشعب اللبناني من منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا.. وحثت الحكومة الأمريكية على مواصلة العمل لتعاون أفضل مع إسرائيل لأنها الحليف الذي يعتمد عليه في الشرق الأوسط.

وفي المؤتمر الذي عقدته المنظمة عام ١٩٨٢م، في واشنطن العاصمة، صدر بيان ختامي، يؤيد إسرائيل واليهود ويؤكد الالتزام بأمن إسرائيل، «وبأن كل الأراضي المقدسة هي ملك للشعب اليهودي، وأن القدس هي العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل، التي لا يجوز تدويلها أو أن تكون محلا للتفاوض أو الحلول الوسط.. وأن الشعب اليهودي في أي مكان سيظل شعب الله المختار الذي يبارك الرب من يباركه ويلعن من يلعنه».

وفي ذكرى مرور أربعين عاماً على انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصدر مؤتمر القيادة المسيحية الوطني من أجل إسرائيل بياناً وجهه إلى جميع المسيحيين ونشره كإعلان في صحيفة نيويورك تايمز، جاء فيه:

«أعطوا اهتماماً خاصاً لمعنى إسرائيل في فكر الشعب اليهودي وعقيدته وحياته خلال تاريخه الطويل.. وارفعوا أصواتكم عالية ضد اللاسامية التي تختفي وراء معاداة الصهيونية...».

واعتبر البيان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بإعلان الصهيونية شكلاً من العنصرية.. فضيحة لا بد من إزالتها من سجل الأمم المتحدة.

ويعمل مؤتمر القيادة المسيحية من أجل إسرائيل، كائتلاف منظمات تعمل لدعم الصهيونية وإسرائيل وسط المجتمع المسيحي الأمريكي، ولذلك يعتبر من أقوى جماعات الضغط المسيحية الصهيونية.

ويضم اللوبي المسيحي الصهيوني في الولايات المتحدة، منظمات أخرى أصغر. فهناك المنظمة المسماة «مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل»، التي نشأت عام ١٩٧٥م بهدف تعزيز الموقف المسيحي الصهيوني ودعم إسرائيل.

إن من الصعب حصر كل المنظمات المسيحية الصهيونية والأصولية

في الولايات المتحدة. ولكن الباحثة جريس هالسل تذكر أنه توجد ٢٥٠ منظمة مسيحية أمريكية مماثلة لإسرائيل تمارس أنشطة مختلفة بدءاً من اجتماعات كنسية للتضامن مع إسرائيل إلى الدعم اللاهوتي وطبع المنشورات وعقد المؤتمرات وتنظيم الأفواج السياحية إلى إسرائيل، إلى الدعم السياسي المباشر بأساليب «اللوبي».

لقد قام اللوبي المسيحي الصهيوني، قبل عقود من نشأة اللوبي اليهودي لتأييد ودعم قيام دولة إسرائيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية، ثم دعم الدولة العبرية بعد قيامها، وتأييد استيلائها على القدس كخطوة قبل أخيرة للمجيء الثاني للمسيح.

ويصل الأمر إلى الاعتقاد بأن دعم أمريكا لإسرائيل، ليس فقط التزاماً سياسياً، وإنما رسالة إلهية بسببها يبارك الرب أمريكا، وأصبح ملايين البروتستانت الأمريكيون يدعمون إسرائيل عن إيمان كامل بأن دعم أمريكا لإسرائيل هو السبيل الأساسي لبقاء أمريكا السياسي والروحي. واستناداً على النص التوراتي «سأبارك من يباركك وألعن من يلعنك» جعلت البروتستانية الصهيونية والأصولية في أمريكا «إسرائيل فوق الجميع» فالرب يبارك من يبارك إسرائيل. وهكذا، أسست منظمات المسيحية الصهيونية والأصولية، الانحياز الأمريكي لإسرائيل على أساس لاهوتي ثقافي قبل الأساس الاستراتيجي.

وذلك الأساس اللاهوتي والثقافي، هو الذي زاد من ضخامة تأثير ونفوذ إسرائيل و «اللوبي اليهودي الصهيوني» في الولايات المتحدة.

وفي خضم وزخم تلك التداعيات الدينية والسياسية نسي أتباع الأناجيل وهم الجمهور الأغلب والأعم في الولايات المتحدة وأوروبا وغيرها معطيات الأناجيل التي تقرر صباح مساء في صلواتهم وأدعياتهم أن دم الإله الذي يقولون به «تعالى الله» في أعناق اليهود وفي رقاب أولادهم إلى يوم القيامة، وهذا هو العجب العجاب! فجوهر الاعتقاد المسيحي

يقول: إن المسيح قد جاء وقد آمن به المسيحيون من اليهود وغيرهم، وأما من لم يؤمن من اليهود فإنه لا يزال في انتظار المسيح الحق الذي يدعونه بدلاً عن المسيح الذي قتلوه.

ولعل وثيقة التبرئة التي قدمت للمجمع المسكوني عام ١٩٦٥م كانت التمهيد أمام ذلك التحريف العصري الذي ركب السياسة واستغلته القوى السياسية لأبعد مدى.

ولعل الفكر الغربي المعاصر وقيادات الكنيسة تدرك الموقف العقدي الذي دافع به البابا بيوس العاشر عندما طلب منه هرتزل أن يبارك المشروع الصهيوني في فلسطين لكي يتنصر اليهود فما كان منه إلا أن قال لهرتزل: إن المسيح عندنا قد جاء وقد آمنا به وآمنا بأنكم معشر اليهود حين جاء قد صلبتموه فلا عهد بيننا وبينكم.

ولا أدري ما الذي أصاب العقل الغربي المتمثل في الأصولية اليهودية المسيحية التي ركبت اليمين المسيحي في الولايات المتحدة وجعلت من العقيدتين اليهودية والمسيحية، ومن الشعبين اليهودي والمسيحي على رغم الفارق الديني والفجوة العقدية التي تجعل من اليهود على مدى التاريخ لعنة، حيث لم يؤمنوا بالمسيح حين جاء، ثم تآمروا كما تقول الكتب المسيحية على صلبه وتحمل وزر قتله.

ليت هذه السطور تصيب في العقل الغربي إدراكاً أو تعقلاً.

الفصل الثامن عشر

- ◄ الناسخ والمنسوخ في الكتاب المقدس
- ◄ هل نسخ القرآن التوارة والإنجيل
- ◄ أهم شبهات النصارى حول القرآن الكريم
- ◄ أحكام الناسخ والمنسوخ والجهل اللاهوتي به
- ◄ النسخ في اصطلاح السلف والمتكلمين
- ◄ حكمة نسخ الشرائع السماوية بعضها لبعض
- ◄ بيان حقيقة النسخ
- ◄ ضروب النسخ في القرآن

الناسخ والمنسوخ في الكتاب المقدس

النسخ في اللغة الإزالة

وفي اصطلاح أهل الإسلام رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي لاحق

هذا ويثير بعض الجهلة من النصارى الشبهات حول هذا الموضوع بسبب قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

وذلك على الرغم من وجود عشرات من أدلة النسخ في كتابهم المقدس.

والنسخ قسمان: قسم يكون في شريعة نبي لاحق، لحكم كان في شريعة نبي سابق، وقسم يكون في شريعة النبي نفسه.

القسم الأول:

هذه أمثلة النسخ الذي يكون في شريعة نبي لاحق لحكم كان في شريعة نبي سابق:

أ ـ تزوج الأخوة بالأخوات في عهد آدم عليه السلام:

تزوج إبراهيم عليه السلام من أخته سارة، كما جاء في سفر الكوين ١٢ : ٢٠ وهي بالتحقيق أختي، إبنة أبي، غير أنها ليست إبنة أمي، فاتخذتها زوجة لي.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٠٦.

ونكاح الأخت محرم في الشريعة الموسوية، ومساو للزنا، والناكح ملعون، وقتل الزوجين واجب، كما جاء في سفر اللاويين ١٨:٩ لا تتزوج أختك بنت أبيك، أو بنت أمك، سواء ولدت في البيت، أو بعيداً عنه، ولا تكشف عورتها.

وفي ١٧ : ٢٠ من السفر نفسه: إذا تزوج رجل أخته، ابنة أبيه أو ابنة أمه، فذلك عار، ويجب أن يستأصلا على مشهد من أبناء شعبه، لأنه قد كشف عورة أخته، ويعاقب بذنبه.

وفي التثنية ٢٢:٢٧ ملعون كل من يضاجع أخته ابنة أمه، أو ابنة أبيه ويقول جميع الشعب آمين.

فلو لم يكن هذا النكاح جائزاً في شريعة آدم وإبراهيم عليهما السلام يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد زنا، والناكحون زناةً، وواجب قتلهما وملعونون، فكيف يظن هذا في حق الأنبياء عليهم السلام؟ فلابد من الاعتراف بأنه كان جائزاً في شريعتهما ثم نسخ.

ب ـ قول الله في خطاب نوح وأولاده:

في سفر التكوين ٩:٣ وليكن كل حي متحرك طعاماً لكم، فتأكلون كل شيء كما تأكلون البقول الخضراء التي أعطيتكم.

فكانت جميع الحيوانات حلالاً في شريعة نوح كالبقولات، وحرمت في الشريعة الموسوية حيوانات كثيرة منها الخنزير كما في اللاويين ١١: ٤ ـ ٨ أما الحيوانات المجترة فقط أو المشقوقة الظلف فقط، فلا تأكلوا منها، فالجمل غير طاهر، لأنه مجتر ولكنه غير مشقوق الظلف، وكذلك الوبر نجس لكم، لأنه مجتر، غير مشقوق الظلف، أما الأرنب فإنه مجتر ولكنه غير مشقوق الظلف، لذلك هو نجس لكم، والخنزير أيضاً نجس لأنه مشقوق الظلف، ولكنه غير مجتر، لا تأكلوا من لحمها ولا تلمسوا جثتها لأنها نجسة لكم. وفي التثنية ١٤: ٧ ـ ٨ «ولكن لا تأكلوا

الحيوانات المجترة غير مشقوقه الظلف، كالجمل والأرنب والوبر، فإنها تجتر لكنها غير مشقوقة الظلف، لذلك هي نجسة لكم والخنزير لأنه مشقوق الظلف ولكنه غير مجتر لذلك فهو نجس لكم فلا تأكلوا من لحم جميع هذه البهائم ولا تلمسوا جثتها».

ت ـ جمع نبي الله يعقوب بين الأختين ليا وراحيل ابنتي خاله لابان:

كما جاء في سفر التكوين ٢٩: ١٥ ـ ٣٥ وقال لابان ليعقوب هل لأنك قريبي تخدمني مجاناً؟ أخبرني ما أجرتك وكان للابان ابنتان اسم الكبرى لينة، واسم الصغرى راحيل، وكانت لينة ضعيفة البصر، وأما راحيل فكانت جميلة الصورة وحسنة المنظر، فأحب يعقوب راحيل وأجاب يعقوب خاله، أخدمك سبع سنين لقاء زواجي براحيل ابنتك الصغرى، فقال لابان أن أزوجها منك خير، من أن أزوجها من رجل آخر، فامكث عندي فخدم يعقوب سبع سنوات ليتزوج من راحيل، بدت في نظره كأيام قليلة، لفرط محبته لها.

ثم قال يعقوب للابان أعطني زوجتي لأن خدمتي قد كملت فأدخل عليها فجمع لابان سائر أهل الناحية، وأقام لهم مأدبة، وعندما حل المساء حمل ابنته لينة وزفها فدخل عليها، ووهب لابان زلفة جاريته لتكون جارية لابنته لينة، وفي الصباح اكتشف يعقوب أنه تزوج بلينة. فقال للابان ماذا فعلت بي؟ ألم أخدمك سبع سنوات لقاء زواجي من راحيل؟ فلماذا خدعتني؟ فأجابه لابان ليس من عادات بلادنا أن تزوج الصغيرة قبل الكبرى، أكمل أسبوع لينة ثم نزوجك من راحيل لقاء خدمتك لي سبع سنين أخر، فوافق يعقوب، وأكمل أسبوع لينة، فأعطاه لابان راحيل ابنته زوجة أيضاً ووهب لابان بلهة جاريته لتكون جارية لابنته راحيل، فدخل يعقوب على راحيل أيضاً وأحب راحيل أكثر من لينة وخدم خاله سبع سنين أخر.

وعندما رأى الرب أن لينة مكروهة جعلها منجبة، أما راحيل فكانت عاقراً، فحملت لينة وأنجبت ابنا دعته راؤبين ومعناه هوذا ابن لأنها قالت

حقا قد نظر الرب إلى مذلتي، فالآن يحبني زوجي، وحملت مرة أخرى وأنجبت ابنا فقالت لأن الرب سمع أنني كنت مكروهة رزقني هذا الابن أيضاً فدعته شمعون ومعناه سميع، ثم حملت مرة ثالثة وأنجبت ابنا فقالت الآن في هذه المرة يتحد بي زوجي لأنني أنجبت له ثلاثة بنين، لذلك دُعي اسمه لاوي ومعناه متحد وحبلت مرة رابعة وأنجبت ابنا فقالت في هذه المرة أحمد الرب لذلك دعته يهودا ومعناه حمد ثم توقفت عن الولادة.

وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية كما جاء في اللاويين ١٨:١٨ لا تتزوج امرأة على أختها لتكون ضرة معها في أثناء حياة زوجتك.

ث ـ تزوج عمران من عمته:

كما جاء في الخروج ٦:٢٠ تزوج عمران عمته يوكابد فأنجبت له هارون وموسى، وقد عاش عمران مئة وسبعا وثلاثين سنة.

بدليل أن عمران بن فهات بن لاوي، يوكابد بنت لاوي فهي أخت قهات وعمة عمران كما هو مذكور في سفر العدد ٢٦:٥٩ اسم امرأة عمران يوكابد بنت لاوي، التي ولدت في مصر وأنجبت لعمران هارون وموسى ومريم أختهما.

وهذا النكاح حرام في الشريعة الموسوية كما ورد في اللاويين ١٨:١٢ لا تتزوج أخت أبيك إنها عمتك.

وفي اللاويين ٢٠:١٩ إذا عاشر رجل عمته أو خالته، يعاقب كلاهما بذنبيهما.

فلو لم يكن هذا النكاح جائزاً قبل شريعة موسى لزم أن يكون موسى وهارون ومريم أختهما من أولاد الزنا، والعياذ بالله، ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب إلى عشرة أجيال، كما هو مصرح به في التثنية ٢:٢٣ لا يدخل ابن زنى ولا أحد من ذريته حتى الجيل العاشر في جماعة الرب.

ج ـ يقول أرمياء ٣١: ٣١ ـ ٣٢:

ها أيام مقبلة، يقول الرب أقطع فيها عهداً جديداً مع ذرية إسرائيل ويهوذا، لا كالعهد الذي أبرمته مع آبائهم، يوم أخذتهم بيدهم لأخرجهم من ديار مصر، فنقضوا عهدي لذلك أهملتهم.

والمراد من العهد الجديد الشريعة الجديدة، فيفهم أن هذه الشريعة الجديدة تكون ناسخة للشريعة الموسوية.

وادعى بولس أن هذه الشريعة، شريعة عيسى في رسالته إلى العبرانيين ٨: ٧ ـ ١٣ فلو كان العهد السابق بلا عيب، لما ظهرت الحاجة إلى عهد آخر يحل محله، والواقع أن الله نفسه عندهم يعبر عن عجز العهد السابق وهذا واضح في قول أحد الأنبياء قديماً:

لابد أن تأتي أيام يقول الرب، أبرم فيها عهداً جديداً مع بني إسرائيل وبني يهودا، هذا العهد الجديد ليس كالعهد الذي أبرمته مع آبائهم، حين أمسكت بأيديهم وأخرجتهم من أرض مصر، فبما أنهم خرقوا ذلك العهد، يقول الرب، أصبح من حقي أن ألغيه، فهذا هو العهد الذي أبرمته من بني إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: أضع شرائعي داخل ضمائرهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها، وهم يكونون لي شعباً بعد ذلك، لا يعلم أحد منهم أين وطنه، ولا أخاه، قائلا تعرف بالرب ذلك لأن الجميع سوف يعرفونني حق المعرفة، من الصغير فيهم إلى العظيم، لأني سأصفح عن آثامهم، ولا أعود أبداً إلى تذكر خطاياهم ومخالفاتهم، وهكذا نلاحظ أن الله بكلامه عن عهد جديد، جعل العهد السابق عتيقاً، وطبيعي أن كل ما عتق وشاخ، يكون في طريقه إلى الزوال!

أي أنه نسخ شريعة موسى بشريعة عيسى عليهما السلام.

ح ـ يجوز في الشريعة الموسوية أن يطلق الزوج زوجته لأي سبب، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة.

كما في التثنية ٢٤: ١ ـ ٣ إذا تزوج رجل من فتاة ولم ترق له بعد ذلك لأنه اكتشف فيها عيباً ما، وأعطاها كتاب طلاق وصرفها من بيته، فتزوجت من رجل آخر بعد أن أصبحت طليقة ثم كرهها الزوج الثاني وسلمها كتاب طلاق وصرفها من بيته أو إذا مات هذا الزوج.

ولا يجوز الطلاق في الشريعة الموسوية إلا بعلة الزنا.

وكذا لا يجوز لرجل آخر أن يتزوج مطلقة بل هو بمنزلة الزنا، كما في مَتَّى ٣١:٥ وقيل أيضاً: من طلق زوجته، فليعطها وثيقة طلاق، أما أنا فأقول لكم كل من طلق زوجته لغير علة الزنى، فهو يجعلها ترتكب الزنى ومن تزوج بمطلقة فهو يرتكب الزنى.

وفي متَّى ٣:١٩ وتقدم إليه بعض الفريسيين يجربونه فسألوه: هل يحل للرجل أن يطلق زوجته لأي سبب؟ فأجابهم قائلاً: ألم تقرأوا أن الخالق جعل الإنسان منذ البدء ذكراً وأنثى، وقال لذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويتحد زوجته، فيصير الاثنان جسداً واحداً؟ فليسا في ما بعد اثنين، بل جسد واحد، فلا يفرقن الإنسان ما قد قرنه الله، فسألوه: لماذا أوصى موسى بأن تعطى الزوجة وثيقة طلاق فتطلق؟

ولما اعترض الفريسيون عليه قال في متَّى ١٩: ٨ ـ ٩ أجاب: بسبب قساوة قلوبكم، سمح لكم موسى بتطليق زوجاتكم ولكن الأمر لم يكن هكذا منذ البدء، ولكني أقول لكم إن الذي يطلق زوجته لغير علة الزنا، ويتزوج بغيرها، فإنه يرتكب الزنى والذي يتزوج بمطلقة يرتكب الزنى.

وفي متّى ٥: ٣١ ـ ٣٢ وقيل أيضاً من طلق زوجته فليعطها وثيقة طلاق، أما أنا فأقول لكم كل من طلق زوجته لغير علة الزنى فهو يجعلها ترتكب الزنى ومن تزوج بمطلقة فهو يرتكب الزنى.

وبذلك يثبت النسخ مرتين مرة في الشريعة الموسوية ومرة في شريعته ويفهم هذا من قوله إن موسى ما جوز لكم طلاق نسائكم إلا لقساوة قلوبكم وأما من قبل فإنه لم يكن كذلك.

فكأن الطلاق كان محرماً فنسخت شريعة موسى حرمته، وصار مباحاً ثم نسخت شريعة عيسى الإباحة مرة أخرى، ورجع حكم الطلاق إلى التحريم.

خ ـ كانت حيوانات كثيرة محرمة في شريعة موسى ونسخت حرمتها في شريعة عيسى. وثبتت الإباحة العامة بفتوى بولس.

فقد جاء في رسالته إلى أهل رومية ١٤:١٤ فأنا عالم، بل مقتنع من الرب يسوع، أنه لا شيء نجس في ذاته، أما إن اعتبر أحد شيئاً ما نجسا، فهو نجس في نظره.

وفي رسالته إلى تيطس ١:١٥ عند الطاهرين، كل شيء طاهر أما عند النجسين وغير المؤمنين، فما من شيء طاهر، بل إن عقولهم وضمائرهم أيضاً قد صارت نجسة.

يبدو أن بولس كان ذكياً وحكيماً فعلم أن اليهود أنجاس فلم يحصلوا على هذه الإباحة العامة على عكس رأيه في النصارى.

وقد أكد على ذلك في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٤: ٤ ـ ٦ فإن كل ما خلقه الله جيد، ولا شيء منه يرفض إذا تناوله الإنسان شاكراً، لأنه يصير مقدساً بكلمة الله والصلاة، إن بسطت هذه الأمور أمام الإخوة كنت خادماً صالحاً للمسيح يسوع، متغذيا بكلام الإيمان والتعليم الصالح الذي اتبعته تماماً.

د ـ أحكام الأعياد:

التي فصلت في اللاويين ١٤:٢٣ لا تأكلوا من الغلة الجديدة، لا دقيقاً مخبوزاً ولا فريكاً، ولا سويقاً إلى اليوم الذي تحضرون فيه قربان آلهتكم، فتكون هذه عليكم فريضة دائمة، جيلاً بعد جيل.

وفي اللاويين ٢١:٢٣ إياكم القيام بعمل ما، إنها فريضة دائمة عليكم جيلاً، بعد جيل حيث تقيمون، إنه سبت راحة لكم تتذللون فيه، فتستريحون من مساء اليوم التاسع حتى مساء اليوم التالي.

وفي اللاويين ٤١:٢٣ أربعة أيام في السنة من الشهر السابع تحتفلون به عيداً للرب، ويكون هذا فريضة دائمة عليكم جيلاً بعد جيل.

تدل على كونها أحكاماً أبدية.

ذ ـ كان تعظيم السبت حكماً أبدياً في الشريعة الموسوية وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل، وكان من عمل فيه عملاً ومن لم يحافظ عليه واجب القتل، وقد تكرر بيان هذا الحكم والتأكيد عليه.

في التكوين ٣:٢ وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق.

وفي الخروج ٢٠: ٨ ـ ١١ اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك، أما اليوم السابع فتجعله سبتا للرب إلهك، فلا تقم فيه بأي عمل أنت، أو ابنتك، أو عبدك، أو أمتك، أو بهيمتك، أو النزيل المقيم داخل أبوابك، لأن الرب قد صنع السماء، والأرض، والبحر، وكل ما فيها في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، لهذا بارك الرب يوم السبت وجعله مقدساً.

وفي الخروج ١٢:٢٣ اعمل ستة أيام فقط وفي اليوم السابع تستريح لكي يستريح أيضاً ثورك، وحمارك، وينتعش ابن أمتك، والغريب.

وفي الخروج ٢١:٣٤ في ستة أيام تعمل، وفي اليوم السابع تستريح، حتى لو كان ذلك في مواسم الفلاحة والحصاد.

وفي اللاويين ٣:٢٣ ستة أيام تعملون، أما اليوم السابع فهو سبت راحة ومحفل مقدس، لا تقوموا فيه بأي عمل، بل يكون سبت راحة للرب حيث تقيمون.

وفي اللاويين ٣:١٩ ليوفر كل إنسان أمه، وأباه، وراعوا سبوتي فأنا الرب إلهكم.

وفي التثنية ٥: ١٢ ـ ١٥ احفظ يوم السبت مقدساً كما أوصاك الرب إلهك، ستة أيام تشتغل وتقوم بجميع أعمالك، وأما اليوم السابع فيكون يوم راحة للرب إلهك، لا تقوم فيه بأي عمل أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك، وكل بهائمك، والأجنبي المقيم داخل أبوابك، ليستريح عبدك وأمتك مثلك، وتذكر أنك كنت عبداً في ديار مصر، فأطلقك الرب من هناك بقدرة فائقة، وقوة شديدة، لهذا أوصاك الرب إلهك أن ترتاح في يوم السبت.

وفي إرمياء ١٧: ٢٢ ـ ٢٧ ولا تنقلوا حملاً إلى خارج بيوتكم في يوم السبت، ولا تقوموا بأي عمل، إنما قدسوا يوم السبت، كما أوصيت آباءكم، مع ذلك لم يطيعوا ولم يصغوا، بل قست قلوبهم لئلا يسمعوا ولئلا يقبلوا التأديب، ولكن إن استمعتم أنتم، يقول الرب، ولم تدخلوا أحمالاً في بوابات أورشليم في يوم السبت، بل قدستموه، ولم تقوموا بأي عمل فيه، عندئذ يدخل من بوابات هذه المدينة ملوك ورؤساء، ممن يجلسون على عرش داود، راكبين في عربات، وعلى صهوات الجياد مع رؤسائهم، يواكبهم سكان يهودا، وأهل أورشليم، وتعمر هذه المدينة إلى الأبد بالسكان، ويقبل الناس من مدن يهودا ومن حول أورشليم، ومن أرض بنيامين ومن السهل والجبل، ومن النقب، حاملين محرقات وذبائح وتقدمات وبخوراً معطراً، وقرابين شكر إلى هيكل الرب، ولكن إن لم تستمعوا لي لتقدسوا يوم السبت، وثابرتم على حمل أثقال فيه لتدخلوها من بوابات أورشليم، فإني أضرم بواباتها بالنار فتقتلتهم قصور أورشليم، ولا تنطفيء.

وفي إشعياء ٤:٥٦ لأن هذا ما يقوله الرب للخصيان الذين يحافظون على سبوتي، ويختارون ما يسرني ويتشبهون بعهدي.

وفي إشعياء ١٣:٥٨ إن كففت قدمك عن نقض يوم السبت، وعن السعي وراء مرامك في يومي المقدس، ودعوت يوم السبت يوم مسرة

للرب، وجعلته يوماً مكرما لله، إن أكرمته ولم تسلك حسب أهوائك أو تلتمس قضاء مصالحك، أو تنفقه في لغو الكلام، عندئذ تبتهج بالرب، وأجعلك تمتطي مرتفعات الأرض، وأنعم عليك بميراث يعقوب أبيك، لأن فم الرب قد تكلم.

وفي نحميا ٩:١٤ ولقنتهم حفظ سبتك المقدس، وأمرتهم بممارسة وصايا وفرائض وشرائع على لسان موسى عبدك.

وفي حزقيال ٢٠:١٢ وأعطيتهم كذلك سبوتي لتكون علامة بيني وبينهم ليدركوا أني أنا الرب الذي أقدسهم.

الخروج ٣١: ١٣ ـ ١٧ قل لبني إسرائيل احفظوا أيام سبوتي لأنها علامة العهد الذي بيني وبينكم، على مر الأجيال، لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم، احفظوا يوم السبت لأنه مقدس لكم، من يدنسه حتما يمت فكل من يقوم فيه بعمل، تستأصل تلك النفس من بين قومها، في ستة أيام تعملون، أما يوم السبت فهو يوم عطلة مقدس للرب كل من يقوم بعمل في يوم السبت يُقتل حتما، ليحفظ بنو إسرائيل السبت، ويحتفلوا به في كل أجيالهم عهدا أبدياً، هو بيني وبين بني إسرائيل علامة عهد إلى الأبد، لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع فرغ من العمل واستراح.

الخروج ٣٥: ٢ ـ ٣ ستة أيام تنصرفون فيها إلى أعمالكم أما السابع فيكون يوم راحة لكم، مقدساً لعبادة الرب، كل من يقوم فيه بأي عمل يُقتل، لا توقدوا نارا في بيوتكم في يوم السبت.

العدد ١٥ : ٣٢ ـ ٣٦ وفي أثناء إقامة بني إسرائيل في الصحراء وجدوا رجلاً يجمع حطباً في يوم السبت، فاقتادوه إلى موسى وهارون وبقية الجماعة، وزجوه في السجن لأنه لم يكن واضحاً بعد ما يتوجب عليهم أن يفعلوا به، فقال الرب لموسى لترجمه الجماعة كلها بالحجارة

خارج المخيم، لأن عقابه القتل حتما، فأخذه الشعب إلى خارج المخيم ورجموه بالحجارة حتى مات، كما أمر الرب موسى.

وكان اليهود المعاصرون للمسيحعليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لأجل عدم تعظيم السبت، وكان هذا أيضاً من أدلة إنكارهم لنبوته.

جاء في يوحنا ١٦:٥ فأخذ اليهود يضايقون يسوع لأنه كان يعمل هذه الأعمال يوم السبت.

وفي يوحنا ١٦:٩ فقال بعض الفريسيين لا يمكن أن يكون هذا الرجل من الله، لأنه يخالف سنة السبت، ولكن بعضهم قالوا كيف يقدر رجل خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات؟ فوقع الخلاف بينهم.

ثم نسخ بولس هذه الأحكام كما ورد في رسائله إلى كولوسي ٢: ١٦ ـ ١٧ فلا يحكم عليكم أحد في قضية الأكل والشرب، أو في القضايا المتعلقة بالأعياد ورؤوس الشهور، والسبوت؛ فهذه كانت ظلالاً لما سيأتي، أي للحقيقة التي هي المسيح.

ر ـ حكم الختان كان أبدياً في شريعة إبراهيمعليه السلام:

كما هو مصرح في التكوين ١٧: ٩ ـ ١٤ وقال الرب لإبراهيم أما أنت فاحفظ عهدي، أنت وذريتك من بعدك مدى أجيالهم، هذا هو عهدي الذي بيني وبينك، وبين ذريتك، من بعدك، الذي عليكم أن تحفظوه أن يختتن كل ذكر منكم، تختتنون رأس قلفة غرلتكم، فتكون علامة العهد الذي بيني وبينكم، تختتنون على مدى أجيالكم، كل ذكر فيكم ابن ثمانية أيام، سواء كان المولود من ذريتك أم كان ابناً لغريب مشترى بمالك ممن ليس من نسلك، فعلى كل وليد سواء في بيتك أم اشتري بمال أن يختتن، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، أما الذكر الأغلف الذي لم يختتن، يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدي.

ولذلك بقى الحكم في أولاد إسماعيل وإسحق عليهما السلام وبقي

في شريعة موسىعليه السلام كما في اللاويين ١٢:٣ وفي اليوم الثامن يجرى ختان الطفل.

وخُتن عيسىعليه السلام أيضاً كما في لوقا ٢١:٢ ولما تمت ثمانية أيام ليختن الطفل، سُمي يسوع، كما كان قد سمي بلسان الملاك قبل أن يحبل به في البطن.

ثم نسخ بولس الختان كما في غلاطية ٥: ٢ ـ ٦ ها أنا بولس أقول لكم إن ختنتم، لا ينفعكم المسيح شيئاً، وأشهد مرة أخرى لكل مختون بأنه ملتزم أن يعمل بالشريعة كلها، يامن تريدون التبرير عن طريق الشريعة، قد حرمتم المسيح وسقطتم من النعمة، فإننا بالروح وعلى أساس الإيمان، ننتظر الرجاء الذي ينتجه البر، ففي المسيح يسوع، لا نفع للختان ولا لعدم الختان، بل للإيمان العامل بالمحبة.

وفي غلاطية ١٥:٦ ليس الختان بشيء، ولا عدم الختان بشيء، وإنما المهم أن يصير الإنسان خليقة جديدة.

ز ـ الأحكام الكثيرة المختصة بآل هارون من الكهانة واللباس ووقت الحضور للخدمة وغيرها كانت أبدية، وقد نسخت كلها في الشريعة العيسوية على يد بولس فقد أبطل جميع أحكام التوراة.

رغم أن المسيحعليه السلام قال في إنجيل متى الإصحاح ١٧:٥ ما جئت لأنقض بل لأكمل.

س ـ نسخ بولس وأتباعه جميع الأحكام العملية للتوراة إلا أربعة ذبيحة الصنم، والدم، والمخنوق، والزنا، فأبقوا على حرمتها.

كما في أعمال الرسل ١٥: ٢٤ ـ ٢٩ علمنا أن بعض الأشخاص ذهبوا من عندنا إليكم دون تفويض منا فأثاروا بكلامهم الاضطراب بينكم وأقلقوا أفكاركم، فأجمعنا برأي واحد على أن نختار رجلين قد كرسا حياتهما لاسم ربنا يسوع المسيح نرسلهما إليكم مع أخوينا الحبيبين برنابا

وبولس، فأرسلنا يهودا وسيلا، ليبلغاكم الرسالة نفسها شفاها، فقد رأى الروح القدس ونحن، أن لا نحملكم أي عبء فوق ما يتوجب عليكم، إنما عليكم أن تمتنعوا عن الأكل من الذبائح المقربة للأصنام، وعن تناول الدم ولحوم الحيوانات المخلوقة، وعن ارتكاب الزنى، وتحسنون عملاً إن حفظتم أنفسكم من هذه الأمور عافاكم الله.

وقد أبقوا على حرمة تلك الأربعة لئلا ينفر اليهود الذين اعتنقوا النصرانية حديثاً وكانوا يحبون أحكام التوراة، ثم لما رأى بولس أن هذه الرعاية لم تعد ضرورية نسخها إلا حرمة الزنا كما في بولس رومية ١٤ : ١٤ «فأنا عالم، بل مقتنع من الرب يسوع، أنه لا شيء نجس في ذاته، أما إن اعتبر أحد شيئاً ما نجسا، فهو نجس في نظره».

ولما لم يكن في الشريعة العيسوية حد فالزنا منسوخ أيضاً.

ش ـ رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢: ٢٠ ـ ٢١:

مع المسيح صلبت، وفيما بعد لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ، أما الحياة التي أحياها الآن في الجسد، فإنما أحياها بالإيمان في ابن الله، الذي أحبني وبذل نفسه عني، إني لا أبطل فعالية نعمة الله، إذ لو كان البر بالشريعة، فكان موت المسيح عملاً لا داعي له.

أي أن أحكام موسى غير ضرورية لأنها تجعل إنجيل المسيح كأنه بلا فائدة.

ص ـ رسالة بولس إلى غلاطية ٣: ١٠ ـ ١٣:

أما جميع الذين على مبدأ أعمال الشريعة، فإنهم تحت اللعنة، لأنه قد كتب ملعون كل من لا يثبت على العمل بكل ما هو مكتوب في كتابة الشريعة، أما أن أحداً لا يتبرر عند الله بفضل الشريعة، فذلك واضح لأن من تبرر بالإيمان، فبالإيمان يحيا، ولكن الشريعة لا تراعي مبدأ الإيمان، بل من عمل بهذه الوصايا يحيا بها.

إن المسيح حررنا بالفداء من لعنة الشريعة، إذ صار لعنه عوضاً لأنه قد كتب ملعون كل من علق على خشبة أي أن شريعة موسى أصبحت بلا فائدة بصلب المسيح عليه السلام.

ض ـ رسالة بولس إلى غلاطية ٣: ٢٣ ـ ٢٥: ـ

فقبل مجيء الإيمان، كنا تحت حراسة الشريعة، محتجزين إلى أن يعلن الذي كان إعلانه منتظراً، إذن كانت الشريعة هي مؤدبنا حتى مجيء المسيح، لكي نبرر على أساس الإيمان، ولكن بعدما جاء الإيمان تحررنا من سلطة المؤدب.

أي نسخت الشريعة بموت عيسى وشيوع إنجيله.

أقول: وأين إنجيله؟

ط ـ رسالة بولس إلى أهل إفسس ٢: ١٥: ـ

أي العداء إذ أبطل بجسده شريعة الوصايا ذات القرائض، لكي يكون من الفريقين إنساناً واحداً جديداً، إذ أحل السلام بينهما.

ظ ـ العبرانيين ١٢:٧: ـ

وحين يحدث أي تغير في الكهنوت، فمن الضروري أن يقابله تغير مماثل في شريعة الكهنوت.

أي إثبات التلازم بين تبدل الإمامة، وتبدل الشريعة، فإن قال المسلمون أيضاً نظراً إلى هذا التلازم بنسخ الشريعة العيسوية فهم مصيبون في قولهم لا مخطئون.

ع ـ العبرانيين ١٨:٧: ـ

هكذا، يتبين أن نظام الكهنوت القديم قد ألغي، لأنه عاجز، وغير نافع أي أن التوراة نسخت لضعفها.

غ ـ العبرانيين ٨: ١٣ ـ ٧: ـ

فلو كان العهد السابق بلا عيب، لما ظهرت الحاجة إلى عهد آخر يحل محله، والواقع أن الله نفسه يعبر عن عجز العهد السابق وهذا واضح في قول أحد الأنبياء قديماً:

لابد أن تأتي أيام، يقول الرب، أبرم فيها عهداً جديداً مع بني إسرائيل وبني يهودا، هذا العهد الجديد ليس كالعهد الذي أبرمته مع آبائهم حين أمسكت بأيديهم وأخرجتهم من أرض مصر فبما أنهم خرقوا ذلك العهد، يقول الرب، أصبح من حقي أن ألغيه، فهذا هو العهد الذي أبرمه مع بني إسرائيل، بعد تلك الأيام، يقول الرب أضع شرائعي داخل ضمائرهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها، وهم يكونون لي شعباً بعد ذلك، لا يعلم أحد منهم أين وطنه، ولا أخاه قائلاً: تعرف بالرب ذلك لأن الجميع سوف يعرفونني حق المعرفة، من الصغير فيهم إلى العظيم، لأني سأصفح عن آثامهم، ولا أعود أبداً إلى تذكر خطاياهم، ومخالفاتهم، وهكذا نلاحظ أن الله بكلامه عن عهد جديد، جعل العهد السابق عتيقاً وطبيعي أن كل ما عتق وشاخ يكون في طريقه إلى الزوال!

وبهذا يظهر أن الله تعالى ينسخ القديم بالجديد.

ف ـ العبرانيين ١٠: ٩ ـ ١٠: ـ

أضاف قائلاً ها أنا آتي لأعمل إرادتك، فهو إذن يلغي النظام السابق، ليضع محله نظاماً جديداً ينسجم مع إرادة الله، بموجب هذه الآية الإلهية صبرنا مقدسين إذ قرب يسوع المسيح مرة واحدة جسده عوضاً عنا!

أي أن ذبائح اليهود غير كافية، ولذا تحمل المسيح على نفسه الموت ليجبر نقصانها، ونسخ بفعل أحدهما استعمال الآخر.

أقول ألا يمكن جبرها بمزيد من الذبائح؟ هل يعني هذا أن المسيح عليه السلام أنقذ حياة الحيوانات وفداها بنفسه؟

ق ـ حكم القسم والحلف كان محللاً في شريعة موسى حتى تم نسخها تماما من قبل المسيح عليه السلام وإبدالها بعدم الحلف والقسم ألبتة.

متى ٥:٣٣ أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تحنث بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا ألبتة إلا بالسماء لأنها كرسي الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم، ولا تحلف برأسك، لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء، أو سوداء بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

ك ـ العين بالعين والسن بالسن قاعدة مشروعة في العهد القديم:

التثنية ١٩:٢١ لا تشفق عينك، نفس بنفس، عين بعين، سن بسن، يد بيد، رجل برجل.

حتى جاء المسيح عليه السلام ونسخها في العهد الجديد متى ٥:٣٨ سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين، من سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

أي أن هذه الشريعة قد حللها الرب في العهد القديم، حتى جاء المسيح ونسخها بشريعة إدارة الخد الآخر، إذا لطم الخد الأيمن، وعدم مقاومة الشر.

القسم الثاني:

وهذه أمثلة القسم الثاني أي النسخ الذي يكون في شريعة نبي لحكم آخر من شريعة النبي نفسه فالناسخ والمنسوخ في الشريعة الواحدة مثل:

أ ـ أن الله أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسحق، كما جاء في التكوين ٢٢: ١ ـ ١٤ ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل:

وبعد هذا امتحن الله إبراهيم فناداه ياإبراهيم فأجابه لبيك، فقال له خذ ابنك وحيدك، إسحق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا، وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه، فاستيقظ إبراهيم مبكراً في الصباح التالي، وأسرج حماره، وأخذ اثنين من غلمانه، وابنه إسحق، وجهز حطباً لمحرقة، وانطلق ماضياً إلى الموضع الذي قال له الله عنه، وفي اليوم الثالث تطلع إبراهيم، فشاهد المكان من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه امكثا هنا مع الحمار، ريثما أصعد أنا والصبي إلى هناك لنتعبد لله، ثم نعود إليكما، فحمل إبراهيم إسحق حطب المحرقة، وأخذ هو بيده النار والسكين وذهبا كلاهما معاً، وقال إسحق لإبراهيم أبيه، ياأبي فأجابه نعم يابني فسأله ها هي النار والحطب، ولكن أين خروف المحرقة؟ فرد عليه إبراهيم إن الله يدبر لنفسه الخروف للمحرقة يابني، وتابعا مسيرهما معاً.

ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شيد إبراهيم مذبحا هناك، ونضد الحطب، ثم أوثق إسحق إبنه، ووضعه على المذبح فوق الحطب، ومد إبراهيم يده، وتناول السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً إبراهيم، إبراهيم، فأجاب نعم، فقال لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضراً لأني علمت أنك تخاف الله، ولم تمنع ابنك وحيدك عني، وإذ تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً قد علق بفروع أشجار الغابة، فذهب وأحضره وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه، ودعا إبراهيم اسم ذلك المكان يهوه يراه ومعناه الرب يدبر ولذلك يقال حتى اليوم في جبل الرب الإله يرى.

ب ـ جاء في صموئيل الأول ٢: ٣٠ ـ ٣٥:

لذلك يقول الرب إله إسرائيل لقد وعدت أن يظل بيتك وبيت أبيك يخدمون في محضري إلى الأبد، أما الآن، يقول الرب فحاشا لي أن أفعل ذلك، لأنني أكرم الذين يكرمونني، أما الذين يحتقرونني فيصغرون، ها هي أيام مقبلة يخطف فيها الموت رجالكم فلا يبقى شيخ في بيتك، وتشهد

ضيفاً في مسكني، بينما ينعم الإسرائيليون بالرفاهية، ويخلو بيتك من الشيوخ كل الأيام، ويكون من أستحييه من ذريتك لخدمة مذبحي سبباً في إغشاء عينيك بالدموع، وإذابة قلبك بالحزن، وبقية ذريتك يموتون شبانا، وتصديقا لقولي أعطيك علامة تصيب ابنيك حفنى وفينحاس، إنهما في يوم واحد يموتان كلاهما، فأختار لنفسي كاهنا مخلصا يعمل بمقتضى ما بقلبي ونفسي فأقيم له بيتا أمينا، ويصير كاهنا للملك الذي أختاره.

أي أن الله وعد ببقاء منصب الكهانة في بيت عالي الكاهن وبيت أبيه ثم أخلف وعده ونسخه وأقام آخر.

فوقع الخلف في وعد الله مرتين إلى زمان بقاء الشريعة الموسوية

وأما الخلف الذي وقع في باب الكهانة عند ظهور الشريعة العيسوية مرة ثالثة فهذا لم يبق أثراً ما لهذا المنصب لا في أولاد العازار ولا في أولاد أيثامار، والوعد الذي كان لألعازار مصرح به في العدد ٢٥: ١٢ - ١٣، لذلك قل له هأنذا أقطع معه ميثاق سلام، فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي، لأنه غار لله وكفر عن الإسرائيليين.

يقول داودﷺ في المزمور ٨٩:٣٩ «وتنكرت لعهدك مع عبدك، لطخت تاجه بالتراب».

وفي التكوين ٦: ٦ - ٧ فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان وقال الرب: «أمحو الإنسان الذي خلقته عن وجه الأرض مع سائر الناس والحيوانات والزواحف وطيور السماء لأني حزنت أني خلقته».

وفي صموئيل الأول ١١:١٥ «لقد ندمت لأني جعلت شاول ملكا، فقد ارتد عن اتباعي ولم يطع أمري» فحزن صموئيل وصلى إلى الرب الليل كله.

وفي صموئيل الأول ١٥:٣٥ «وامتنع صموئيل عن رؤية شاول إلى

يوم وفاته، مع أن قلبه تمزق أسى عليه، أما الرب فقد أسف لأنه أقام شاول ملكا على إسرائيل».

وهنا لابد من ملاحظة: إذا كانت الندامة قد ثبتت في حق الله ـ تعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ وثبت أنه ندم على خلق الإنسان، وعلى جعل شاول ملكا، فيجوز أنه قد ندم على إرسال المسيحﷺ بعدما أظهر دعوى الألوهية بزعم أهل التثليث، لأن هذه الدعوى من البشر أعظم جرماً من عدم إطاعة شاول أمر الرب، وكما لم يكن الله عالماً على أن شاول سيعصي أمره فكذا يجوز ـ تعالى الله أنه لم يكن عالما بأن المسيحﷺ سيدعي الألوهية.

ت ـ حزقيال ٤ : ١٠ ـ ١٣ «ويكون وزن كمية الطعام التي تأكلها في كل يوم تعادل عشرين شاقيلا (نحو مئتين وأربعين جراما) تأكل وجبة واحدة في اليوم، وتشرب الماء بالكيل، فلا يزيد عن سدس الهين (نحو ثلثي لتر) تشرب منه بين حين وآخر، وتأكله ككعك الشعير، بعد أن تخبزه على مشهد منهم فوق براز الإنسان، لأنه هكذا سيأكل أبناء إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أجلبهم إليهم».

ثم لما استغاث حزقيالﷺ نسخ هذا الحكم قبل العمل فقال: ولكني قلت: «آه أيها السيد الرب، أنا لم أنجس نفسي أبداً فمنذ حداثتي حتى الآن لم آكل ميتة أو فريسة، ولم يدخل فمي لحم نجس» فقال: «انظر ها أنا أعطيك بعر البقر لتستعيض به عن براز الإنسان لتصنع عليه خبزك، ياابن آدم، ها أنا أبيد مؤونة الخبز في أورشليم، فيأكلون الخبز بالوزن معجونا بالغم، ويشربون الماء بالكيل ممزوجاً بالحيرة، إذ يعوزهم الخبز والماء، ويلجأ الواحد إلى أخيه وقد أعثرتهم الحيرة فيفنون جميعاً بإثمهم».

ث ـ اللاويين ١٧ : ٣ ـ ٤ «أي إسرائيلي يذبح قرباناً بقراً، أو غنما أو معزى في المخيم أو خارج المخيم، وليس عند مدخل خيمة الاجتماع حيث يتوجب عليه تقديمه أمام مسكن الرب، يعتبر قاتلاً قد سفك دماً،

ويجب أن يستأصل ذلك الإنسان من بين شعبه».

وجوب الذبح في المذبح المخصص عند قبة الزمان (خيمة الاجتماع)

وفي التثنية ١٢: ١٥ ـ ٢٢ «اذبحوا في أي من مدنكم أيا من الحيوانات، وكلوا من لحومها بقدر ما تشاؤون كالظبي والإبل حسب بركة الرب إلهكم. يأكل منها الإنسان الطاهر، والنجس، على حد سواء، وأما الدم فلا تأكلوه، بل اسكبوه على الأرض كما تسكبون الماء، احذروا أن تأكلوا في مدنكم عشور حنطتكم، وخمركم، وزينتكم، ولا أبكار بقركم وغنمكم، ولا شيئا من نذوركم، أو قرابينكم الطوعية، وتقدمات أيديكم، بل تأكلونها أنتم وأبناؤكم وبناتكم وعبيدكم وإماؤكم واللاويون المقيمون في جواركم لدى الرب إلهكم، في المكان الذي يختاره الرب إلهكم، وتحتفلون أمامه بكل ما تمتلكه أيديكم، إياكم إهمال اللاويين طوال بقائكم على أرضكم.

وإذا وسع الرب إلهكم حدود أرضكم كما وعدكم، واشتهت أنفسكم اللحم، وقلتم نود أكل اللحم، فمن كل ما تشتهيه أنفسكم من اللحم حلواً، وإذا كان الموضع الذي يختاره الرب إلهكم ليضع فيه اسمه بعيداً عن مكان سكنى بعضكم، فاذبحوا من بقركم وغنمكم التي أنعم الرب عليكم كما أوصيتكم، وكلوا في مدنكم من كل ما اشتهته أنفسكم، كلوه كما يؤكل الظبي والإبل. يأكل منه الإنسان الطاهر والنجس على حد سواء».

أي جواز الذبح في كل مكان.

أي أن موسى عليه السلام نسخ حكم اللاويين بحكم الأحبار، وبذلك فإن الشريعة الموسوية كانت تزداد وتنقص، وفقا لأحوال بني إسرائيل، فالعجب من أهل الكتاب في اعتراضهم على مثل هذه الزيادة والنقصان في شريعة أخرى ويقولون على الله ما لا يليق بعظمته وحكمته.

ج ـ يقول سفر العدد ٤:٣ «من ابن ثلاثين سنة حتى ابن خمسين، من المتجندين لخدمة خيمة الاجتماع».

وكذلك في العدد ٤ : ٢٣ «من ابن ثلاثين سنة فما فوق حتى ابن خمسين من المتجندين في خدمة خيمة الاجتماع».

وفي العدد ٤:٣٠ «من ابن ثلاثين سنة فما فوق حتى ابن خمسين من المتجندين في خدمة خيمة الاجتماع».

وفي العدد ٤:٣٥ «من ابن ثلاثين سنة فما فوق إلى ابن خمسين سنة، من المتجندين في خدمة خيمة الاجتماع».

وفي العدد ٤:٣٩ «من ابن ثلاثين سنة فما فوق إلى ابن خمسين سنة، من المتجندين في خدمة خيمة الاجتماع».

وفي العدد ٤:٤٧ «من ابن ثلاثين سنة فما فوق إلى ابن خمسين سنة، المجندين في عمل الخدمة في خيمة الاجتماع وفي خدمة نقلها».

أي أن عمر خادم قبة العهد يجب أن يكون أكثر من ثلاثين عاماً وأقل من خمسين عاماً.

لكنه في العدد الإصحاح ٨: ٢٤ ـ ٢٥ «هذه هي شريعة اللاويين: كل لاوي عمره خمس وعشرون سنة فما فوق، يجند في خدمة خيمة الاجتماع. ولكنهم يتقاعدون عن الخدمة عند بلوغهم الخمسين من العمر».

ح ـ اللاويين ٤: ١٣ ـ ٢١ «وإن أخطأ شعب إسرائيل كله سهوا، واقترفوا إحدى نواهي الرب التي لا ينبغي اقترافها، وأثموا، وكان المجمع غافلاً عن الأمر، ثم اكتشف المجمع الخطيئة المرتكبة، عندئذ يقرب المجمع ثوراً ذبيحة خطيئة، يحضرونه أمام الرب عند خيمة الاجتماع، ويضع شيوخ الشعب أيديهم على رأس الثور في حضرة الرب، ويذبحونه هناك، ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور ويدخل به إلى خيمة الاجتماع، ثم يغمس أصبعه في الدم ويرش منه سبع مرات أمام الرب عند حجاب «القدس» وكذلك يضع بعض الدم على قرون مذبح البخور العطر الذي في داخل «القدس» في حضرة الرب، أما بقية الدم فيصيبه عند قاعدة

مذبح المحرقة القائم عند مدخل خيمة الاجتماع، وينزع الكاهن جميع شحمه ويحرقه على المذبح، ويفعل بالثور كما فعل بثور الخطيئة، فيكفر عنهم الكاهن ويغفر الله لهم، ثم يحمل بقية الثور إلى خارج المخيم ويحرقه كما أحرق الثور الأول فيكون ذبيحة خطيئة عن كل الشعب».

أي أن فداء خطأ الجماعة ثور واحد.

أما في العدد ١٥ : ٢٢ ـ ٢٦ «وإذا سهوتم ولم تنفذوا جميع هذه الوصايا التي أبلغتها لموسى، والتي أمرتكم بممارستها على مدى أجيالكم، منذ أن أصدرتها إليكم على لسان موسى، وإن حدث هذا سهوا وعن غير علم الجماعة، فعلى كل الجماعة أن تقرب ثوراً محرقة رائحة سروراً للرب مع تقدمه من الدقيق وسكيبه من الخمر، طبقاً للشعائر، وتيساً واحدة ذبيحة خطيئة، فيكفر الكاهن عن جميع شعب إسرائيل، فأصفح عنهم، لأن الأمر صدر سهواً عنهم، فأصفح عن الشعب كله، والغريب المقيم بينكم، لأن الأمر صدر سهوا عن الشعب جميعه».

فإنه ثور مع لوازمه وجدي.

ج ـ التكوين ٦ : ١٩ ـ ٢٠ «وتأخذ معك في الفلك زوجين، ذكراً وأنثى، من كل كائن حي ذي جسد، لاستبقائها معك. تدخل معك اثنين من كل صنف من أصناف الطيور والبهائم والزواحف على الأرض، حفاظا على استمرار بقائها».

أي إدخال اثنين اثنين من كل جنس الحيوانات في الفلك.

أما في الإصحاح ٧: ٢ ـ ٣ «خذ معك من كل نوع من الحيوانات الطاهرة سبعة ذكور وسبع إناث، وزوجين ذكراً وأنثى من كل نوع من الحيوانات الأخرى غير الطاهرة، وخذ معك أيضاً من كل نوع من الطيور سبعة ذكور وسبع إناث لاستبقاء نسلها على وجه كل الأرض».

هنا يدخل نوح عليه السلام سبعاً سبعاً ذكراً وأنثى من البهائم الطاهرة ومن

الطيور مطلقاً، ومن البهائم غير الطاهرة اثنين اثنين.

وفي الإصحاح ٧: ٨ ـ ٩ «وكذلك الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة والطيور والزواحف، دخلت مع نوح إلى الفلك زوجين زوجين، ذكراً وأنثى، كما أمر الله نوحا».

أي أن الحكم نسخ مرتين.

د ـ سفر الملوك الثاني ٢٠: ١ ـ ٦ «ومرض حزقيا في تلك الأيام حتى أشرف على الموت، فجاء إليه إشعياء بن آموص قائلاً: هذا ما يقوله الرب: «نظم شؤون بيتك لأنك لن تبرأ حتما تموت»، فأشاح بوجهه نحو الحائط وصلى قائلاً: «آه يارب، اذكر كيف سلكت أمامك بأمانة وإخلاص قلب، وصنعت ما يرضيك»، وبكى حزقيا بكاء مراً، وقبل أن يبلغ إشعياء فناء القصر الأوسط خاطبه الرب قائلاً: «ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي: هذا ما يقوله الرب إله داود أبيك: قد سمعت صلاتك، ورأيت دموعك، وها أنا أبرئك، فتذهب في اليوم الثالث للصلاة في هيكل الرب. وأضيف على سنى حياتك خمسة عشر عاما وأنقذك أنت وهذه المدينة من ملك أشور، وأدافع عنها من أجل نفسي وإكراما لعبدي داود».

ذ ـ متَّى ١٠: ٥ ـ ٦ «هؤلاء الاثنا عشر رسولا، أرسلهم يسوع وقد أوصاهم قائلاً: «لا تسلكوا طريقا إلى الأمم، ولا تدخلوا مدينة سامرية، اذهبوا بالأحرى إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل».

متَّى ١٥:٢٤ فأجاب: «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل!».

لكنه يقول في مرقص ١٥:١٦ وقال لهم: «اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا الخليقة كلها بالإنجيل».

وبذلك نسخ الحكم الأول.

ر ـ متَّى ٢٣: ١ ـ ٣ عندئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه، وقال:

«اعتلى الكتبة والفريسيون كرسي موسى: فافعلوا كل ما يقولونه لكم واعملوا به. ولكن لا تعملوا مثل ما يعملون: لأنهم يقولون ولا يفعلون».

ز ـ لوقا ٩:٥٦ «لأن ابن الإنسان أتى لا ليهلك نفوس الناس، بل ليخلصها ثم ذهبوا إلى قرية أخرى».

وأيضا في يوحنا ٣:١٧ «فإن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص العالم به».

وفي يوحنا ١٢:٤٧ «وإذا سمع أحد كلامي ولم يؤمن به، فأنا لا أحكم عليه، فقد جئت لا لأحكم على العالم، بل لأخلص العالم».

أي أن المسيح عليه السلام جاء ليخلص الناس وليس ليدينهم.

أما الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢:٨ «عندئذ سيظهر الإنسان المتمرد ظهوراً جلياً فيبيده الرب يسوع بنفخة فمه، ويلاشيه ببهاء ظهوره عند عودته».

القول الثاني يلغي الأول.

وبتلك الأمثلة نستنتج أن عيسى عليه السلام نسخ بعض حكمه بحكم آخر، ونسخ الحواريون بعض أحكام عيسى عليه السلام بأحكامهم.

ونسخ بولس بعض أحكام الحواريين بل بعض قول عيسى عليه السلام.

وبذلك نفهم أن قول المسيح عليه السلام في متَّى ٢٤:٣٥ «إن السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول أبداً».

وفي لوقا ٢١:٣٣ «إن السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول أبداً».

ليس المراد بهذا أن أقوال المسيح عليه السلام وأحكامه لا تنسخ ـ وإلا يلزم تكذيب إنجيلهم ـ وإنما يُراد به التنبوءات التي وردت قبل قوله هذا في متَّى ٢٤: ٢ ـ ٣٢ «فقال لهم: «أما ترون هذه المباني كلها؟ الحق أقول لكم: لن يترك هنا حجر فوق حجر إلا ويهدم!»».

وبينما كان جالساً على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد وقالوا له: «أخبرنا متى يحدث هذا، وما هي علامة رجوعك وانتهاء الزمن؟» فأجاب يسوع: «انتبهوا لا يضللكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو المسيح، فيضللون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، فإياكم أن ترتعبوا فلابد أن يحدث هذا كله، ولكن ليست النهاية بعد. فسوف تنقلب أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في عدة أماكن. ولكن هذه كلها ليست إلا أول المخاض. عندئذ يسلمكم الناس إلى العذاب، ويقتلونكم، وتكونون مكروهين لدى جميع الأمم من أجل اسمي؛ فيرتد كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضا، ويظهر كثيرون من الأنبياء الدجالين ويضللون كثيرين. وإذ يعم الإثم، تبرد المحبة لدى الكثيرين. ولكن الذي يثبت حتى النهاية فهو يخلص. فسوف ينادى ببشارة الملكوت هذه في العالم كله، شهادة لي لدى الأمم جميعا، وبعد ذلك تأتي النهاية.

فعندما ترون رجاسة الخراب، التي قيل عنها بلسان دانيال النبي، قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارئ عندئذ ليهرب الذين في منطقة اليهودية إلى الجبال، ومن كان على السطح فلا ينزل ليأخذ ما في بيته، ومن كان في الحقل، فلا يرجع ليأخذ ثوبه، والويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام، فصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء أو في سبت. فسوف تحدث عندئذ ضيقة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن، ولن يحدث. ولولا أن تلك الأيام ستختصر، لما كان أحد من البشر ينجو، ولكن من أجل المختارين سنختصر تلك الأيام، فإن قال لكم أحد عندئذ: ها إن المسيح هنا، أو هناك، فلا تصدقوا فسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال، ويقدمون آيات عظيمة وأعاجيب، ليضللوا حتى المختارين، لو استطاعوا. ها أنا قد أخبرتكم بالأمر قبل حدوثه، فإذا قال لكم الناس: ها هو المسيح في البرية! فلا تخرجوا إليها؛ أو: ها هو في الغرف الداخلية! فلا تصدقوا. فكما أن البرق يومض من الشرق فيضيء في الغرب. هكذا

يكون رجوع ابن الإنسان. فحيث توجد الجيفة، تتجمع النسور!.

وحالاً بعد الضيقة في تلك الأيام، تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه، وتتهاوى النجوم من السماء، وتتزعزع قوات السماوات. وعندئذ تظهر آية ابن الإنسان في السماء، فتنتحب قبائل الأرض كلها، ويرون ابن الإنسان آتياً على سحب السماء بقدرة ومجد عظيم. ويرسل ملائكته بصوت بوق عظيم ليجمعوا مختاريه من الجهات الأربع، من أقاصي السماوات إلى أقاصيها.

«وتعلموا هذا المثل من شجرة التين: عندما تلين أغصانها، وتطلع زرقا، تعرفون أن الصيف قريب».

وفي لوقا ٢١: ٥ ـ ٣١ وإذ تحدث بعضهم عن الهيكل بأنه مزين بالحجارة الجميلة وتحف النذور، قال: «إن هذا الذي ترونه، ستأتي أيام لا يبقى فيها حجر منه فوق حجر إلا ويهدم». فسألوه قائلين: «يامعلم، متى يحدث هذا؟ وما هي العلامة التي تظهر حين يقترب وقوعه؟» فقال: «انتبهوا لا تضلوا فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو، وإن الزمان قد اقترب: فلا تتبعوهم وعندما تسمعون بالحروب والاضطرابات، فلا ترتعبوا، لأن هذه الأمور لابد من حدوثها أولاً، ولكن النهاية لا تأتي حالا بعدها!».

ثم قال لهم: «ستنقلب أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتحدث في عدة أماكن زلازل شديدة ومجاعات وأوبئة، وتظهر علامات مخيفة وآيات عظيمة من السماء، ولكن قبل هذه الأمور كلها يمد الناس أيديهم إليكم ويضطهدونكم، فيسلمونكم إلى المجامع والسجون، ويسوقونكم للمثول أمام الملوك والحكام، من أجل اسمي. ولكن ذلك سيتيح لكم فرصة للشهادة. فضعوا في قلوبكم ألا تعدوا دفاعكم مسبقاً. لأني سوف أعطيكم كلاما وحكمة لا يقدر جميع مقاوميكم أن يردوها أو يناقضوها. وسوف يسلمكم حتى الوالدون والإخوة والأقرباء والأصدقاء، ويقتلون بعضاً منكم،

وتكونون مكروهين لدى الجميع من أجل اسمي، ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك ألبتة. فباحتمالكم تربحون أنفسكم!.

وعندما ترون أورشليم محاصرة بالجيوش، فاعلموا أن خرابها قد اقترب. عندئذ، ليهرب الذين في منطقة اليهودية إلى الجبال، وليرحل من المدينة من هم فيها ولا يدخلها من هم في الأرياف، فإن هذه الأيام أيام انتقام يتم فيها كل ما قد كتب. ولكن الويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام، لأن ضيقة عظيمة سوف تقع على الأرض وغضباً شديداً سينزل بهذا الشعب، فيسقطون بحد السيف ويساقون أسرى إلى جميع الأمم، وتبقى أورشليم تدوسها الأمم إلى أن تكتمل أزمنة الأمم.

وستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم، وتكون على الأرض ضيقة على الأمم الواقعة في حيرة، لأن البحر والأمواج تعج وتجيش، ويغمى على الناس من الرعب، ومن توقع ما سوف يجتاح المسكونة، إذ تتزعزع قوات السماوات، عندئذ يرون ابن الإنسان آتيا في السحاب بقوة ومجد عظيم. ولكن عندما تبدأ هذه الأمور تحدث فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن فداءكم يقترب». وضرب لهم مثلا: «انظروا إلى التينة وباقي الأشجار عندما ترونها قد أورقت تعلمون من تلقاء أنفسكم أن الصيف بات قريبا. فهكذا أنتم أيضاً، عندما ترون هذه الأمور حادثة، فاعلموا أن ملكوت الله بات قريباً. الحق أقول لكم: لا يزول هذا الجيل أبدا حتى تحدث هذه كلها. إن السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول أبدا».

وفي مرقص ١٣: ٢ ـ ٣٠ فأجابه يسوع: «أترى هذه المباني العظيمة؟ لن يترك منها حجر فوق حجر إلا ويهدم» وفيما هو جالس على جبل الزيتون مقابل الهيكل. سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد: «أخبرنا متى يحدث هذا، وما هي العلامة عندما توشك هذه الأمور أن تتم؟» فأخذ يسوع يجيبهم قائلاً: «انتبهوا لا يضلكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين، إني أنا هو، ويضللون كثيرين. ولكن، عندما

تسمعون بالحروب وأخبار الحروب لا ترتعبوا؛ فإن ذلك لابد أن يحدث، ولكن ليست النهاية بعد. فسوف تنقلب أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث زلازل في عدة أماكن، كما تحدث مجاعات ولكن هذا أول المخاض، فانتبهوا لأنفسكم، لأنهم سوف يسلمونكم إلى المحاكم والمجامع، فتضربون وتمثلون أمام حكام وملوك من أجلي، شهادة عندهم. ويجب أن يبشر أولاً بالإنجيل في جميع الأمم. فعندما يسوقونكم ليسلموكم، لا تنشغلوا مسبقا بما تقولون: وإنما كل ما تلهمون في تلك الساعة، فيه تكلموا، لأنكم لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس. وسوف يسلم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ولده، وينقلب الأولاد على والديهم ويقتلونهم، وتكونون مكروهين لدى الجميع من أجل اسمي، ولكن الذي يثبت حتى النهاية فهو يخلص.

فعندما ترون رجاسة الخراب قائمة حيث لا ينبغي، ليفهم القارئ عندئذٍ يهرب الذين في منطقة اليهودية إلى الجبال. ومن كان على السطح فلا ينزل إلى البيت ولا يدخل ليأخذ ما في بيته. ومن كان في الحقل، فلا يرجع ليأخذ ثوبه. والويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام! فصلوا لكي لا يقع ذلك في شتاء. فسوف تحدث في تلك الأيام ضيقة لم يحدث مثلها منذ بدء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن ولن يحدث. ولولا أن الرب قد اختصر لتك الأيام، لما كان أحد من البشر ينجو. ولكنه لأجل المختارين الذين اختارهم، قد اختصر تلك الأيام. فإن قال لكم أحد عندئذ: ها إن المسيح هنا! أو: ها هو هناك! فلا تصدقوا، فسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال، ويقدمون آيات وأعاجيب، ليضللوا حتى المختارين، لو استطاعوا. فانتبهوا إذن! ها أنا قد أخبرتكم بالأمور كلها قبل حدوثها.

ولكن في تلك الأيام بعد تلك الضيقة، تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه، وتتهاوى نجوم السماء وتتزعزع القوات التي في السماوات. وعندئذ سوف يبصرون ابن الإنسان آتيا في السحب بقدر عظيمة ومجد، فيرسل

عندئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الجهات الأربع، من أقصى الأرض إلى أقصى السماء.

فمن شجرة التين تعلموا هذا المثل: عندما تلين أغصانها وتطلع أوراقها، تعلمون أن الصيف قريب. فكذلك أنتم أيضاً، حينما ترون هذه الأمور تحدث، فاعلموا أنه قريب، بل على الأبواب، ألحق أقول لكم: لا يزول هذا الجيل أبدا حتى تحدث هذه الأمور كلها. إن السماء والأرض تزولان».

وكما نرى أنها جميعاً تخبر عن حوادث مؤلمة ستقع بعده ونبوءات عن خراب الهيكل، وأورشليم وظهور أنبياء كذبة، وأكد المسيحعليه السلام وقوع ما أخبر به، لذلك وقعت مباشرة بعد كلامه في الأناجيل الثلاثة هاتان الفقرتان.

وهما في متَّى ٢٤: ٣٤ ـ ٣٥ «ألحق أقول لكم: لا يزول هذا الجيل أبداً، حتى تحدث هذه الأمور كلها، إن السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول أبداً».

وفي مرقص ١٣: ٣٠ ـ ٣١ «ألحق أقول لكم: لا يزول هذا الجيل أبداً، حتى تحدث هذه الأمور كلها، إن السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول أبداً».

وفي لوقا ٢١: ٣٢ ـ ٣٣ «ألحق أقول لكم: لا يزول هذا الجيل أبداً، حتى تحدث هذه الأمور كلها، إن السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول أبداً».

فلا علاقة لهذه الفقرة بالنسخ لا من قريب ولا من بعيد، بل هي تأكيد وقوع إخبارات المسيح المستقبلية المؤلمة، ولذلك وقع بعدها في إنجيل لوقا ٢١:٣٤ «ولكن احذروا لأنفسكم لئلا تتنقل قلوبكم بالإنغماس في اللذات وبالسكر، وهموم الحياة، فيدهمكم ذلك اليوم فجأة».

كما أن بعض الأحكام تكون في مقدور المكلفين في بعض الأوقات ولا تكون في أوقات أخرى، ويكون البعض مناسباً لبعض المكلفين دون بعض، ألا ترى أن المسيحﷺ قال مخاطبا للحواريين في يوحنا ١٦: ١٢ ـ ١٣ «مازال عندي أمور كثيرة أقولها لكم، ولكنكم الآن تعجزون عن احتمالها. ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يقول شيئا من عنده، بل يخبركم بما يسمعه، ويطلعكم على ما سوف يحدث».

وقال للأبرص الذي شفاه في متَّى ٨:٤ وقال له يسوع: «انتبه لا تخبر أحدا، بل اذهب واعرض نفسك على الكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى، فيكون ذلك شهادة لهم!».

وقال للأعميين في متى ٩:٣٠ «فانفتحت أعينهما، وأنذرهما يسوع بشدة قائلاً: انتبها لا تخبر أحداً».

وقال لأبوي الصبية التي أحياها في لوقا ٨:٥٦ «فدهش والدها؛ ولكنه أوصاهما ألا يخبرا أحدا بما جرى».

وأمر الذي أخرج الشياطين منه بالعودة إلى بيته وإعلان ما حدث كما لوقا في ٨:٣٩ «ارجع إلى بيتك، وحدث بما عمله الله بك فمضى سائراً في المدينة كلها، وهو ينادي بما عمله به يسوع».

شهادة الأناجيل على بطلان ألوهية المسيح

١ ـ جاء في إنجيل يوحنا ١٧:٣ أن المسيح عليه السلام توجه ببصره نحو السماء قائلا لله وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.

إذا كان النصارى يقولون إن الله قد تجسد في جسد المسيح يسوع، فمن هو الإله الذي كان يخاطبه يسوع؟

ومن ناحية أخرى ألم يلاحظ النصارى تلك الكلمات ويسوع المسيح الذي أرسلته، ألا تدل تلك الكلمات على أن يسوع المسيح هو رسول تم إرساله من قبل الله؟

ولاشك أن المرسل غير المُرسل إليه، وإذا أمعن النصارى التفكير ألا يجدون أن هذا الكلام يتفق مع كلام الذي أسموه الهرطوقي أريوس الذي كان يقول بأن المسيح ما هو إلا وسيط بين الله والبشر؟

لقد شهد المسيح أن الحياة الأبدية هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله وهو عين ما يؤمن به المسلمون جميعا.

وحيث أن الحياة الأبدية حسب قول المسيح هي التوحيد الحقيقي فيكون التثليث الحقيقي هو الموت الأبدي والضلال.

إن النص السابق من إنجيل يوحنا يبرهن لنا الآتي:

أولاً: أنه يوجد إله حقيقي واحد وأن يسوع لا يعرف شيئاً عن التثليث، أو الأقانيم، بقوله أنت الإله الحقيقي وحدك. وأن هذا الكلام عند يوحنا بقية من وحي لم تنله الأيدي.

ثانياً: إن يسوع المسيح لم يدع الألوهية لأنه أشار إلى الإله الحقيقي بقوله أنت الإله الحقيقي لا إلى ذاته.

ثالثاً: لقد شهد يسوع المسيح بأنه رسول الله فحسب بقوله ويسوع المسيح الذي أرسلته.

إن المسيح لم يقل إن الحياة الأبدية أن يعرفوكم أنكم ثلاثة أقانيم وأنكم جميعا واحد.

وإن المسيح لم يقل إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله المكون من ثلاثة أقانيم الأب، والابن، والروح القدس، بل لقد شهد المسيح أن الحياة الأبدية هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله.

٢ ـ كتب لوقا في ٤:١٨ ما نصه وعاد يسوع إلى منطقة الجيل بقدرة الروح؛ وذاع صيته في القرى المجاورة كلها وكان يعلم في مجامع اليهود إلى أن قال، ووقف ليقرأ فقدم إليه كتاب النبي إشعياء، فلما فتحه وجد المكان الذي كتب فيه روح الرب عليَّ، لأنه مسحتي لأبشر الفقراء؛ أرسلني لأنادي للمأسورين بالإطلاق.

إذا كانت هذه النبوءة التي جاءت على لسان النبي إشعياء هي نبوءة عن المسيح فإنها تقول روح الرب أي وحي الله وأنه لم يقل روح الرب هي ذاتي أو أقنومي أو جزئي أو نفسي وقد وجد في الكتاب المقدس أن روح الرب حلت على ألداد وميداد كما في سفر العدد ١١:٢٦ وعلى صموئيل كما في الإصحاح العاشر الفقرة السادسة من سفر صموئيل وقد قالها النبي حزقيال عن نفسه في سفره كما في الإصحاح الحادي عشر الفقرة الخامسة يقول حزقيال وحل عليَّ روح الرب.

ثم إن قوله أرسلتني لأنادي للمأسورين بالإطلاق هو دليل على أنه نبي مرسل وليس هو الرب النازل إلى البشر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثم إن ما جاء في إنجيل لوقا ٤:٣٤ من قول المسيح لابد لي أن

أبشر المدن الأخرى بملكوت الله لأني لهذا أرسلت لهو نص واضح على أن المسيح رسول مرسل من الله ليس إلا وأن الله لم يأت بنفسه جل جلاله.

٣ ـ جاء في إنجيل لوقا ٧:١٦ إن المسيح بعدما أحيا الميت الذي هو ابن وحيد لامرأة أرملة، حدث أن جميع الناس الحاضرين مجدوا الله قائلين: قد قام نبي عظيم، وتفقد الله شعبه، وذاع هذا الخبر في منطقة اليهودية وفي جميع النواحي المجاورة.

إن هذا الدليل صريح على بشرية المسيح، وأنه عبد رسول، ليس إلا، فإنه بعد أن أحيا هذا الميت، استطاع جميع الحاضرين أن يفرقوا بين الله وبين المسيح فمجدوا الله، وشهدوا للمسيح بالنبوة، وشكروا الله إذ أرسل في بني إسرائيل نبياً، ويسمون أنفسهم شعب الله، إذ أن الله تفقده أي اهتم به، وأرسل فيهم نبيا جديداً، ولنتأمل قول الإنجيل قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه، وتأمل كيف أن المسيح أقرهم على هذا القول ولم ينكره عليهم وكيف ذاع ذلك في كل مكان.

٤ ـ وإذا قرأنا رواية لوقا ٧:٣٩ نجده يذكر أن الفريسي بعدما رأى المرأة تبكي وتمسح قدمي المسيح، بشعرها قال في نفسه: لو كان هذا نبيا، لعرف من هي هذه المرأة التي تلمسه.

فإن قول الفريسي هذا يدل على أنه داخله الشك في نبوة المسيح، وهذه الرواية تثبت بالبداهة أن المسيحﷺ كان معروفاً بالنبوة ومشتهرا بها، ويدعيها لنفسه، لأن الفريسي داخله الشك فيما هو معروف له، والمشهور بادعائه، وإلا لكان قال: لو كان هذا هو الله لعرف من هي هذه المرأة التي تلمسه. وهذا أمر ظاهر عند كل من لديه مسحة عقل من المسيحيين.

وهنا أود أن أسرد الأدلة الدامغة من الأناجيل التي تثبت أن المسيحﷺ لم يكن معروفا إلا بالنبوة، وسيتضح من هذه الأدلة أن المسيح والمؤمنين به وأعداءَهُ اتفقت كلمتهم على صفة النبوة إثباتا له من نفسه

والمؤمنين، به أو إنكارا له من جانب أعدائه.

أولاً: ورد بإنجيل لوقا ١٩:٢٤ أن تلميذين من تلاميذ المسيح وصفوه بالنبوة وهو يخاطبهم ولم ينكر عليهم هذا الوصف فكانا يقولان يسوع الناصري الذي كان إنسانا نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب.

ثانياً: ورد بإنجيل يوحنا ١٧:٩ قول الرجل الأعمى.

قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك فقال إنه نبي،

ثالثاً: وفي رسالة أعمال الرسل ٢٢:٣ حمل بطرس قول موسى عليه السلام الوارد في العهد القديم عن المسيح قوله إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم.

فموسى عليه السلام صرح بأن الله سبحانه وتعالى سيقيم لهم نبياً ولم يقل سينزل لهم الرب.

رابعاً: ورد بإنجيل متَّى ٢١ ١٠ ـ ١١ إن المسيح لما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها وسألت من هذا؟ فكانت الإجابة من الجموع الغفيرة من المؤمنين والتلاميذ الذين دخلوا مع المسيح مدينة القدس هي هذا يسوع النبي من ناصر الجليل.

كل الجموع تسأل، وكل المؤمنين يجيبون وعلى رأسهم تلاميذ المسيح قائلين هذا يسوع النبي.

فهل هناك أعظم من هذه الشهادة التي شهد بها كل المؤمنين وسمع بها الجموع الغفيرة في أورشليم؟ وتفرق الجمع بعد ذلك على معرفة هذه الحقيقة وهي أن المسيح نبي كريم وليس إلها.

خامساً: ورد بإنجيل يوحنا ١٤:٦ إن الناس الذين رأوا معجزة تكثير

الطعام التي صنعها المسيح فآمنوا بها، قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، فأقرهم المسيح، ولم ينكر عليهم وصفهم له بالنبوة، وكانوا جمعاً كثيراً بنحو ٥ آلاف رجل، فدل هذا على أن المسيح لم يدَّعِ الألوهيةَ، ولم يكن يعرف عن ألوهيته المزعومة شيئاً.

سادساً: جاء في إنجيل متَّى ١٣:٥٧ إن المسيح لما رأى أهل الناصرة، يحاربونه وينكرون معجزاته، رد عليهم قائلاً: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته، فالمسيح لم يقل لهم إني إله، وإنما قال لهم فقط إنني نبي، ولا كرامة لنبي في بلده، فالألوهية لم تكن تخطر ببال المسيح عليه السلام مطلقاً.

سابعاً: وفي إنجيل لوقا ١٣:٣٣ يتكلم المسيح وهو يعرض نفسه قائلا: لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن أورشليم.

فهذا إقرار من المسيح عليه السلام بأنه نبي من جملة الأنبياء، وليس للأنبياء كلهم إلا طبيعة واحدة وهي الطبيعة الآدمية فتأمل.

ثامناً: ونستنتج من كلام أعداء المسيح النافين لنبوة المسيح الوارد في لوقا ٧:٢٥ أن المسيح كان مشتهراً بالنبوة، ولم يدَّعِ الألوهية لذلك فهم ينفون نبوته قائلين إنه لم يقم نبي من الجليل.

وخلاصة ما تقدم من أدلة:

أنه إذا كان المؤمنون بالمسيح وأعدائه، والمسيح نفسه كلامهم لا يتعدى نبوة المسيح إثباتاً ونفياً فهل يجوز لأحد بعد ذلك أن يرفض تلك الأقوال جميعها في صراحتها ويذهب إلى القول بأنه إله؟

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١].

(١) سورة مريم، الآيتان ٣٤،٣٥.

٥ ـ جاء في إنجيل متى في الإصحاح الخامس قول المسيح: لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ما جئت لألغي بل لأكمل.

إن هذا لهو نص واضح لكل ذي عينين بأن المسيح رسول قد مضت من قبله الرسل، وأنه واحد ممن سبقوه، وليس رباً أو إلهاً، وأنه ما جاء إلا ليعمل بالشريعة التي سبقته، وهي شريعة موسى، ويكمل ما بناه الأنبياء قبله ولو كان المسيح هو رب العالمين، حسبما يؤمن المسيحيون، ما كان ليصح بتاتاً أن يقول لهم: ما جئت لألغي بل لأكمل، فلاشك أن المسيح حلقة في سلسلة الأنبياء والمرسلين، وليس هو رب العالمين كما يعتقد المسيحيون.

وقد جاءت نصوص واضحة الدلالة على أن المسيح عليه السلام عندما كان يدعو تلاميذه، ويعلمهم لم يكن يدعوهم إلا على أنه رسول من الله سبحانه وتعالى وأنه كان يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته، انظر إلى قوله في يوحنا في ١٢:٤٩ لم أتكلم من نفسي، لكن الأب الذي أرسلني، هو أعطاني وصية ماذا أقول، وبماذا أتكلم.

ونجده يقول للتلاميذ في متّى ٥:١٦ هكذا فليضيء نوركم أمام الناس ليروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات.

ويقول لهم في إنجيل متّى ٧:١١ أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه، ويقول في الفقرة ٢١ من نفس الإصحاح: ما كل من يقول لي يارب يدخل في ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات، وغيرها من النصوص.

٦ ـ ذكر لوقا في ٢٢:٤٣ أن المسيح بعدما وصل وتلامذته إلى جبل الزيتون واشتد عليه الحزن والضيق، حتى أن عرقه صار يتصبب كقطرات دم نازلة ظهر له ملاك من السماء يقويه.

ونحن نسأل: كيف يحتاج ابن الله المتحد مع الله إلى ملاك من السماء ليقويه؟

ألستم تزعمون أن للمسيح طبيعة لاهوتية؟

فهل هذا الملك أقوى من الله؟

ومن المعلوم أن الملاك مخلوق وأنتم تدعون أن المسيح خالق فكيف يقوِّي المخلوق خالقه؟

أين كان لاهوت المسيح؟

أما كان الأولى به أن يظهر طبيعته اللاهوتية المزعومة، بدلاً من أن يكتئب، ويحزن، ويشتد عليه الضيق والخوف، ويظهر بمظهر الجبناء؟

أم أن الأمر ليس ألوهية، ولا أقنومية، وأن المسيح هو رسول من رسل الله يحتاج إلى المعونة، والمدد من الله؟

٧ ـ يحدثنا متَّى في ١٤:١٥ عن معجزة إشباع الآلاف من الجياع بخمسة أرغفة وسمكتين فيقول: وأمر الجموع أن يجلسوا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره إلى السماء وبارك وكسر الأرغفة، وأعطاها للتلاميذ، فوزعوها على الجموع فأكل الجميع وشبعوا.

لقد قام المسيح برفع نظره نحو السماء قبل أن يقوم بالمعجزة، وقبل أن يبارك، ويحق لنا أن نتساءل.

لماذا رفع المسيح نظره إلى السماء؟ ولمن يتجه، ويطلب إذا كان الآب متحدا به؟ أم أن المسألة واضحة وهي أنه كان يدعو خالق السموات والأرض ليمنحه القوة على تحقيق المعجزة؟!

وقد تكرر منه هذا الفعل حينما أحيا لعازر، فإنه ورد بإنجيل يوحنا ٤١:١١ عنه الآتي: ورفع يسوع عينيه إلى السماء وقال أيها الآب، أشكرك

لأنك سمعت لي، وقد علمت أنك دوماً تسمع لي، ولكني قلت هذا لأجل الجمع الواقف حولي، ليؤمنوا أنك أنت أرسلتني.

إن قيام المسيح بأن رفع نظره نحو السماء هو فعل منافٍ للألوهية لأن هذا الفعل يأتيه الإنسان عادة عندما يطلب الإمداد السماوي من الله وهذا لا يتفق مع كون المسيح صورة الله، وأن الآب حال فيه كما يزعم المسيحيون.

فالهدف من عمل هذه المعجزة هي أن يعلم الجميع أن المسيح رسول الله وقد كانت الجموع حوله تنتظر هذه المعجزة، وأن كل ما طلبه المسيح هو أن يشهدوا له بالرسالة فقط.

٨ ـ جاء في مرقص ١٣:٣٢ إن المسيح بعدما سئل عن موعد الساعة قال: وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد، لا الملائكة الذين في السماء ولا الابن، إلا الآب.

ونحن نسأل: إذا كان الإبن هو الأقنوم الثاني من الثالوث حسبما يعتقد المسيحيون فكيف ينفي الابن عن نفسه العلم بموعد الساعة ويثبته للآب فقط؟

ولا يصح أن يقال أن هذا من جهة ناسوته، لأن النفي جاء عن الابن مطلقا. وأثبت العلم بالموعد للآب فقط.

وأن تخصيص العلم بموعد الساعة للآب فقط، هو دليل على بطلان ألوهية الروح القدس، وأن لا مساواة بين الأقانيم المزعومة.

٩ ـ قال المسيح في يوحنا ١:٥١ الحق أقول لكم من الآن سترون السماء مفتوحة، وملائكة الله صاعدين نازلين على ابن الإنسان.

ونحن نسأل: إذا كان المسيح يصرح بأن ملائكة الله سوف تنزل عليه من السماء بالأوامر الإلهية ولتأييده فأين هو إذن الإله خالق الملائكة الذي حل بالمسيح والمتحد معه؟

١٠ ـ كتب لوقا في ٢٣:٣ ما نصه: ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة.

إن المسيح كما يذكر لوقا لما بدأ دعوته كان عمره ثلاثين سنة والسؤال الذي يطرح نفسه هو أنه إذا كان المسيح هو رب العالمين المتجسد، فماذا كان يفعل الإله رب العالمين قبل تلك الفترة وطوال الثلاثين سنة؟

١١ ـ كتب متّى في ١٣:٣ ما نصه:

حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن اعتمد منك، وأنت تأتي إلي؟ فأجاب يسوع، وقال له: أسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برٍّ، حينئذ سمح له، فلما اعتمد يسوع، صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة، وآتيا عليه، وصوت من السماوات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

من البدهي أنه لو كان المسيح هو الله نفسه الذي تجسد ونزل لعالم الدنيا ـ كما يدعون ـ لكانت رسالته مبتدئة منذ ولادته، ولكان روح القدس ملازماً له باعتباره جزء اللاهوت الذي لا يتجزأ ـ كما يدعون ـ ولما احتاج إلى من ينزل عليه بالوحي أو بالرسالة، ولم يكن هناك أي معنى أصلاً لابتداء بعثته بهبوط روح القدس عليه وابتداء هبوط الملائكة صاعدين نازلين بالوحي والرسائل عندما بلغ الثلاثين من العمر واعتمد على يد يوحنا النبي فهذا النص والنصوص الأخرى التي تبين كيفية بدء البعثة النبوية للمسيح، لأكبر وأوضح دليل ـ عند ذوي التجرد والإنصاف ـ على بشرية المسيح المحضة وعدم ألوهيته وأنه ليس الله المتجسد بل عبدٌ رسولٌ ونبيٌ مبعوثٌ برسالة من الله كسائر الأنبياء والرسل وحسب.

ولنستمع إلى ما ذكره لوقا في ٢١:٣ عن بدء بعثة المسيح بنزول روح القدس عليه:

ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية، مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلاً: أنت ابني الحبيب، بك سررت، وكان يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمره، ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلئ من الروح القدس.

ونحن نسأل أصحاب التثليث أليس هذا النص أوضح دليل على نفي ألوهية المسيح ونفي التثليث؟

فأولاً: لو كان المسيح إلها متجسداً لما احتاج لروح القدس ليهبط عليه.

ثانيا: لو كان التثليث حقا لكان المسيح متحداً دائماً، وأزلا، مع روح القدس، لأن الثلاثة واحد فما احتاج أن يهبط عليه كحمامة.

وكيف ينادي الله عند اعتماد المسيح وابتداء بعثته قائلاً هذا ابني الحبيب، مع أنه من المفروض أن اللاهوت متحد به من البداية ولأن الله لا يمكن أن تنفصل عنه إحدى صفاته.

ثالثاً: أليس ما كتبه متَّى ولوقا يبطل زعمكم أن الثلاثة واحد فالروح المقدس منفصل عن الذات، وهو نازل بين السماء والأرض، والابن صاعد من الماء.

أليس هذا دليلا على أن الوحدة المزعومة بين الأقانيم لا وجود لها؟

هل المسيح وحده الذي امتلأ من الروح القدس كما كتب لوقا أم شاركه آخرون مما تنفض معه الخصوصية؟

الجواب: هناك آخرون امتلأوا من الروح القدس وهم كثيرون طبقاً للآتي:

ورد بسفر أعمال الرسل ٥:٦ عن استفانوس ما نصه: فاختاروا استفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس.

وورد في إنجيل لوقا ١٥:١ عن يوحنا المعمدان ما نصه: ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس.

وكذلك امتلأ زكريا والد يوحنا المعمدان من الروح القدس، طبقاً لما ذكره لوقا في الإصحاح الثامن وغيرهم مما لا يسع المقام لذكرهم.

١٢ ـ جاء في إنجيل متّى ٦:٤ أن الشيطان بعدما أخذ المسيح إلى المدينة المقدسة وأوقفه على حافة سطح الهيكل قال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه قد كتب يوصي ملائكته بك، فيحعلونك على أيديهم لكي لا تصدم قدمك حجر.

في هذا النص إقرار من المسيح للشيطان بأنه قد كتب عنه في العهد القديم أن الله يوصي ملائكته به ليحملونه ويحفظونه ونجد أن هذا ثابت بالمزمور الواحد والتسعين.

والسؤال الآن هو:

إذا كان المسيح هو رب العالمين، وأن الآب متحد معه وحال فيه فكيف يوصي الله ملائكته به لكي يحفظونه؟.

فهل رب العالمين الذي ظهر في الجسد بحاجة إلى ملائكة تكون حفظا وحماية له؟

أليس هذا دليلاً من الأدلة الدالة على فساد معتقد المسيحيين في ألوهية المسيح بن مريم عليه السلام؟

١٣ ـ جاء في إنجيل مرقص ١٢:١ أن المسيح أتم أربعين يوماً يجرب من الشيطان يقول النص:

وفي الحال اقتاد الروح يسوع إلى البرية، فقضى فيها أربعين يوماً والشيطان يجربه وكان بين الوحوش وملائكة تخدمه.

ونحن نقول:

إذا كان المسيح هو رب العالمين حسبما يعتقد المسيحيون فهل يعقل أو يتصور أن الشيطان الرجيم تسلط على رب العالمين طوال أربعين يوماً؟

وقد يقول المسيحيون حسبما يعتقدون في لاهوت وناسوت المسيح بأن الشيطان جربه كإنسان ولم يجربه كإله.

فنقول إن النص الوارد في متَّى ٣:٤ يثبت حسب اعتقادكم أن الشيطان جربه كإله، يقول النص: فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تتحول إلى خبز ولم يقل له إن كنت ابن الانسان.

ونقول أيضاً: لو أن إبليس كان يقصد ناسوت المسيح فقط لخاطب نصفه، ولم يخاطبه كله، كما جاء في رواية متَّى وقد كتب متَّى في ٨:٤: إن إبليس أخذ المسيح إلى قمة جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم، وقال له: أعطيك هذه كلها إن جثوت وسجدت لي.

ونحن نسأل: كيف يطمع إبليس في أن يسجد له وأن يخضع له من فيه روح اللاهوت؟

ومن العجب أن الشيطان لا يبقى ويثبت مع وجود الملك، فكيف يطمع ويثبت فيمن يعتقد ربوبيته وأنه صورة الله؟

ماذا يقول المسيحيون وهم يقرأون هذا الكلام؟ هل يعتقدون أن من فيه اللاهوت والربوبية قد صحبه إبليس، وعرض عليه السجود له مقابل أن يملكه الدنيا؟! هل هذا معقول.

١٤ ـ وقد كتب متى في الإصحاح الأول ابتداء من الفقرة الأولى حول تجربة إبليس للمسيح أن إبليس كان يقود المسيح إلى حيث شاء فينقاد له، فتارة يقوده إلى المدينة المقدسة، ويوقفه على جناح الهيكل، وتارة يأخذه إلى جبل عال جداً.

ونحن نسأل كيف يمكن لعاقل بعد هذا الكلام أن يقول إن رب العالمين كان في جسد المسيح وكان هذا الجسد بهذه الحالة مع إبليس؟

لقد حكمتم يانصارى بإيمانكم هذا بأن الإله الخالق الحال في الجسد قد سحبه الشيطان، ورده وجرت عليه أحكامه.

١٥ ـ كتب متَّى في ١٤ : ١٢ ومرقص في ٣ : ٦ أن الفريسيين تشاوروا على المسيح لكي يقتلوه، فلما عاد يسوع انصرف من مكانه وكتب يوحنا في ٥٣ : ١١ أن اليهود لما قرروا قتل المسيح فمن ذلك اليوم لم يعد المسيح يتجول بينهم جهاراً، بل ذهب إلى مدينة اسمها أفرايم.

ولا يخفى علينا من خلال هذين النصين أن انصراف المسيح كان هرباً من اليهود، وأن رب العالمين حسب اعتقاد المسيحيين كان في جسد المسيح، فكيف يتصور ويعقل أن رب العالمين كان في جسد وكان هذا الجسد يتجنب اليهود من مدينة إلى مدينة هرباً منهم.

كيف يمكن لعاقل أن يصور رب العالمين بهذه الصورة ويعبد إلها كانت هذه أحواله مع هذا الجسد؟

١٦ ـ كتب متَّى في ٦٧ : ٢٦ أن اليهود عذبوا المسيح وبصقوا في وجهه وضربوه وهذا نص ما كتب: فبصقوا في وجه يسوع ولطموه، ومنهم من لكمه، وجاء في إنجيل لوقا في ٦٣ : ٢٢ وأخذ الذين يحرسون يسوع يستهزؤون به ويضربونه ويغطون وجهه ويسألونه من ضربك؟ تنبأ وزادوا على ذلك كثيرا من الشتائم.

إننا نجد من خلال هذه النصوص أن اليهود اتخذوا المسيح لعبة يلعبون بها إهانة له وتحقيرا لشأنه، وليت شعري ألم يكن في زمن المسيح من هو ذا شهامة ومروءة، يدافع عنه؟

أين كان هؤلاء الألوف الذين حكت عنهم الأناجيل بأنهم آمنوا به، وشفي كثيراً من أمراضهم المزمنة، أين تلك الجموع الغفيرة التي خرجت لملاقاته، حين دخوله أورشليم، وهو راكب الجحش والأتان معاً.

ويح أمة اتخذت نبيهاً إلهاً، ووصفته بأنه جبار السموات والأرض،

ثم تصفه بالذل والهوان والضعف والاستسلام لأضعف خلقه، وهم اليهود، فأصبح هذا الإله الذي خلق الكون بما فيه وخلق كل البشر أسيراً ومهاناً بأيديهم وأي إهانة أعظم من أن يضرب هذا الإله؟

فهل يرضى عاقل أن يكون له رباً كهذا يعامل معاملة المجرمين الخارجين عن القانون على أيدي اليهود؟

وهل يرضى عقلاء المسيحيين أن يكون لهم ربا نزل إلى الأرض ليدخل في بطن أمه، ويتغذى جنينا تسعة أشهر، ويخرج مولوداً ملطخاً بالدماء وتمر عليه سائر أطوار ومستلزمات الطفولة؟

ثم إن ما حكته الأناجيل من أن اليهود عذبوا المسيح فبصقوا، في وجهه وضربوه، ولكموه، وجلدوه، هو أمر مناقض لما ذكره متَّى في ٤ : ٥ في حق المسيح من أن الله سبحانه يوصي ملائكته به فيحملونه على أيديهم لكي لا تصدم قدمه بحجر.

ونحن نسأل: هل ينزل رب العالمين من عليائه ويحل في جسد بشري وأن هذا الجسد يساق من قبل اليهود، ليحاكم، ويلاقي أشد أنواع الإهانة والتحقير، من ضرب، وجلد، وبصق، واستهزاء، كل هذا ورب العالمين مالك الملك في هذا الجسد حسبما يؤمن المسيحيون؟

هل يليق بخالق السموات والأرض ومن له الكمال المطلق أن تكون هذه حاله؟

سبحانك ربنا لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، ونعتذر لك عن كل ما لا يليق بك.

١٧ ـ جاء في إنجيل متَّى ١١ : ٧ قول المسيح أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه.

ويقول المسيح في الفقرة الحادية والعشرين من نفس الإصحاح: ما

كل من يقول لي يارب يدخل في ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات.

ويقول أيضاً في ٥:١٢ من إنجيل متَّى: من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.

وجاء أيضاً في إنجيل متَّى ١٧:١٦ قول المسيح لبطرس: طوبى لك ياسمعان فما أعلن لك هذا لحم ودم، بل أبي الذي في السموات.

والمتأمل في كلام المسيح لسمعان يجده بأنه لم يقل له طوبى لك فإنني أنا الذي أعلنت لك هذا أو الآب المتجسد هو أعلن لك هذا، وإنما قال له أبي الذي في السموات هو أعلن لك هذا.

لقد صرح المسيح مراراً وتكراراً بأن الآب موجود في السموات، والسؤال الذي نوجهه للمسيحيين هو:

كيف يصرح المسيح بأن الآب موجود في السماء مع أنكم تدعون أن الآب متجسد فيه ومتحد معه؟

فلو كان الآب متحداً معه وهو صورة هذا الآب لامتنع أن يشير إليه في السماء.

وبمعنى آخر لو كان المسيح هو الإله، لامتنع أن يشير إلى إله آخر في السموات.

وإذا قلتم إن أقنوم الابن يشير إلى أقنوم الآب، نقول لكم أن هذا يمنع الوحدة ما بين الأقانيم المزعومة ويؤكد انفصالها واستقلالها.

١٨ ـ كتب يوحنا في ١٧ : ٢٠ أن المسيح قال لمريم المجدلية: قولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.

ونحن نسأل: إذا كان المسيح هو صورة الله على الأرض، وأن الآب متجسد فيه، فمن هو ياترى هذا الإله الذي سوف يصعد إليه المسيح؟

إذا قلتم: إن أقنوم الابن سوف يصعد إلى أقنوم الآب، فثبت امتناع الوحدة بين هذه الأقانيم المزعومة، وثبت الانفصال بينها وأنه إله على الأرض وإله في السماء وهذا هو الشرك بأم عينه.

وقد قال المسيح في إنجيل يوحنا ١٤:٢٨: أبي أعظم مني

وإننا نعجب كيف يكون الآب أعظم من الابن، وهما شيء واحد وجوهر واحد لذات واحدة، وقدرة واحدة، حسب ما يؤمن به المسيحيون؟

فلو كان الابن هو جوهر واحد مع الآب، لما فرق الابن بينه وبين الآب.

١٩ ـ كتب بولس في الرسالة الأولى لكورنثوس ١٥:٢٨ ما نصه:

وعندما يتم إخضاع كل شيء للإبن فإن الابن نفسه سيخضع للذي أخضع له كل شيء لكي يكون الله هو كل شيء في كل شيء.

لقد بين بولس أن المسيح سيخضع في النهاية لله، وهذا بحد ذاته من أوضح الأدلة على عدم ألوهية المسيح لأن الإله لا يخضع لأحد، كما أن في قوله: فإن الابن نفسه سيخضع للذي أخضع له كل شيء دلالة أخرى على عدم ألوهية المسيح لأن مفاد هذا النص أن الله تعالى هو الذي كان قد أخضع للمسيح كل شيء، مما يعني أن المسيح لم يكن يستطع، بذاته ومستقلاً عن الله، أن يسخر ويخضع الأشياء فهل مثل هذا يكون إلها؟

ومن جهة أخرى: نقول لأصحاب التثليث: لاشك أن الخاضع هو غير المخضوع له، فأين الوحدة والمساواة بين الأقانيم عندما يخضع الابن للآب؟

ثم كيف يخضع الابن للآب مع أنكم تدعون أن الآب والابن إله واحد لجوهر واحد وقدرة واحدة، وأن الآب هو عين الإبن والإبن هو عين الآب وهما شيء واحد أم أنكم تؤمنون بتعدد الآلهة وأن لله شريكاً في الملك سيخضع له في النهاية؟

٢٠ ـ جاء في إنجيل متّى ٩:٢٣ أن المسيح قال لأتباعه:

ولا تدعوا لكم آباً على الأرض لأن آباكم واحد الذي في السموات، ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد المسيح.

من المعروف أنه في لغة الإنجيل، كثيراً ما يعبر عن الله بالآب، وهنا كذلك، فقول عيسى لأتباعه: لا تدعوا لكم آبا على الأرض لأن آباكم واحد الذي في السموات، يعني ليس لكم إله إلا الله وحده الذي في السموات، وهذا صريح في نفي ألوهية كل واحد ممن هو على الأرض، ويدخل في هذا النفي المسيح كذلك لكونه على الأرض لقد سمي المسيح نفسه معلما في الأرض لهم، وشهد أن إلههم في السماء واحد.

فهل يفقه المسيحيون هذه النصوص أم على قلوب أقفالها؟

٢١ ـ كتب متّى في ٢١: ١٨ ـ ١٩ ومرقص ١١: ٤:١١ ما نصه:

فدخل يسوع أورشليم، وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقا لأنه لم يكن وقت التين فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد.

إن هذا النص يبين أن المسيح لما رأى الشجرة من بعد، لم يدر ولم يعلم أنها في الواقع غير مثمرة، بل توقع لأول وهلة أن تكون مثمرة، لذلك ذهب باتجاهها، لكن لما اقترب منها ظهر له أنها غير مثمرة فعند ذلك غضب عليها ولعنها.

وفي هذه القصة سنجد عدة دلائل واضحة على نفي لاهوت يسوع المسيح.

فأولاً: عدم علمه منذ البداية بخلو الشجرة من الثمر يؤكد بشريته المحضة لأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وثانياً: كونه جاع تأكيد آخر على أنه بشر محض يحتاج للغذاء للإبقاء على حياته.

فإن قالوا بأنه جاع بحسب ناسوته، قلنا أفلم يكن لاهوته قادراً على إمداد ذلك الناسوت أي الجسد؟ خاصة أنكم تدعون أن اللاهوت طبيعة دائمة له وحاضرة لا تنفك عنه.

وثالثاً: أنه لما وجد الشجرة غير مثمرة لعنها وبقي جائعا ولو كان إلها لكان عوضا عن أن يلعنها ويبقى جائعا، يأمرها أمراً تكوينياً أن تخرج ثمرها على الفور، لأن الله لا يعجزه شيء بل يقول للشيء كن فيكون، فكيف يصرفون عن هذه الدلائل الواضحات والآيات البينات وهل بعد الحق إلا الضلال؟

٢٢ ـ كتب يوحنا في ٢٣:١٠ ما نصه: كان يسوع يتمشى في الهيكل في قاعة سليمان فتجمع حوله اليهود وقالوا له حتى متى تبقينا حائرين بشأنك؟ إن كنت أنت المسيح حقا، فقل لنا صراحة فأجابهم يسوع قلت لكم، ولكنكم لا تصدقون والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي.

وعلينا أن نتأمل في: قول اليهود للمسيح: إن كنت أنت المسيح حقا، فقل لنا صراحة فإنهم لم يقولوا له إن كنت الله أو ابن الله، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك، ولا اختلاف عند اليهود أن الذي انتظروه هو إنسان نبي مرسل، ليس بإنسان إله كما يزعمون فتأمل.

٢٣ ـ وإذا تأملنا في سؤال يوحنا المعمدان للمسيح عندما أرسل للمسيح من يسأله أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر. متّى ٢:١١ سنجد أن هذا السؤال من يوحنا المعمدان يدل على أن المسيح نبي مرسل وهو المسيح الذي بشرت به التوراة، ولا يوجد نص واحد في التوراة يقول إن الله سيأتي بنفسه إلى الأرض. فتأمل

٢٤ ـ لقد جاء في إنجيل يوحنا ٣١:١٠ نص واضح يسقط تماماً

ادعاء المسيحيين من أن رب العالمين حل في جسد المسيح وذلك عندما قال المسيح لليهود في الفقرة الثلاثين من الإصحاح العاشر أنا والآب واحد، أنكر عليه اليهود هذا القول، وسارعوا لرجمه بالحجارة، فعرفهم المسيح ووجه خطأهم في الفهم، بأن هذه العبارة لا تقتضي ألوهيته وبين لهم أن استعمال اللفظ على سبيل المجاز، وليس على حقيقته، وإلا لزم منهم أن يكونوا كلهم آلهة.

وعلينا أن نتأمل في نص المحاورة بين المسيح واليهود بعد أن قال لهم أنا والآب واحد.

فتناول اليهود أيضاً الحجارة ليرجموه، فقال لهم يسوع، أريتكم أعمالا صالحة كثيرة من عند أبي، فبسبب أي عمل منها ترجمونني؟ فأجابه اليهود قائلين: ليس من أجل الأعمال الحسنة نرجمك، ولكن لأجل التجديف، وإذ أنت إنسان تجعل نفسك إلهاً، فقال لهم يسوع: أليس مكتوباً في شريعتكم أنا قلت إنكم آلهة؟ فإذا كانت الشريعة تدعو أولئك الذين نزلت إليهم كلمة الله آلهة والكتاب لا يمكن أن ينقض فهل تقولون لمن قدسه الآب وبعثه إلى العالم أنت تجدف، لأني قلت أنا ابن الله؟

لاشك أن معنى هذه المحاورة أن اليهود فهموا خطأ من قول المسيح أنا والآب واحد، أنه يدعي الألوهية فأرادوا لذلك أن ينتقموا منه، ويرجموه، فرد عليهم المسيح خطأهم، وسوء فهمهم بأن هذه العبارة لا تستدعي ألوهيته، لأن آساف قديما أطلق على القضاة أنهم آلهة، بقوله الثابت في المزمور الثاني والثمانين الفقرة السادسة ٦:٨٢ أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم.

ولم يفهم أحد من هذه العبارة تأليه هؤلاء القضاة، ولكن المعنى المسوغ لإطلاق لفظ آلهة عليهم أنهم أعطوا سلطانا أن يأمروا ويتحكموا ويقضوا باسم الله.

وبموجب هذا المنطق السهل الذي شرحه المسيح لليهود، ساغ للمسيح أن يعبر عن نفسه بمثل ما عبر به آساف عن أولئك القضاة الذين صارت إليهم كلمة الله.

ولا يقتضي كل من التعبيرين أن في المسيح، أو أن في القضاة لاهوتاً حسبما فهمه اليهود خطأ.

هذا ولو لم يكن ما ضربه المسيح لهم من التمثيل جوابا قاطعاً لما تخيلوه من إرادة ظاهر اللفظ، لكان ذلك مغالطة منه وغشاً في المعتقدات المفضي الجهل بها إلى سخط الله، وهذا لا يليق بالأنبياء المرسلين الهادين إلى الحق.

فإن كان المسيح هو رب العالمين الذي يجب أن يعبد، وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم المثل، فيكون قد أمرهم بعبادة غيره، وصرفهم عن عبادته، والتقدير أنه هو الإله الذي يعبد، فيكون ذلك غشاً وضلالة من المسيح لهم وهذا لا يليق بالأنبياء والمرسلين فضلاً ممن يدعي فيه الألوهية.

هذا وقد أطلق الكتاب المقدس لفظ الله على كثيرين ولم يقل أحد إن فيهم طبيعة لاهوتية طبقاً للآتي:

١ ـ ورد في سفر القضاة ١٣: ٢١ ـ ٢٢ إطلاق لفظ الله على الملك، يقول النص: ولم يتجل ملاك الرب ثانية لمنوح وزوجته عندئذ أدرك منوح أنه ملاك الرب، فقال منوح لإمرأته: نموت موتاً، لأننا قد رأينا الله. وواضح أن الذي تراءى لمنوح وامرأته كان الملك.

٢ ـ ورد في سفر الخروج ٨:٢٢ إطلاق لفظ الله على القاضي يقول النص: وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم، هل يمد يده إلى ملك صاحبه. فقوله إلى الله، أي إلى القاضي.

٣ ـ وكذلك أيضاً جاء في سفر الخروج ٩:٢٢ إطلاق لفظ الله على

القاضي يقول النص: في كل دعوى جنائية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما، يقال: إن هذا هو، تقدم إلى الله دعواها، فالذي يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين. فقوله إلى الله، أي إلى القاضي نائب الله.

٤ ـ كما أطلق الكتاب المقدس لفظ إله على القاضي فقد ورد في المزمور ١ :٨٢ الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي.

٥ ـ وأطلق الكتاب المقدس لفظ الآلهة على الأشراف فقد ورد في المزمور ١ :١٣٨ قول داود عليه السلام: أحمدك من كل قلبي، قدام الآلهة أعزف لك.

٦ ـ وأطلقه على الأنبياء كموسى في سفر الخروج ١ :٧.

يقول النص: قال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك.

والخلاصة:

لو كان إطلاق كلمة الله أو إله على المخلوق يقتضي أن اللاهوت حل فيه، للزم بناء على النصوص السابقة أن يكون الملك والقاضي والأشراف يكونون آلهة، وهذا لم يقل به أحد.

ولكن بالنظر لكون الملائكة والقضاة نوابا عن الله أطلق عليهم كلمة الله، وبالنظر إلى أن أولئك الأشراف فيهم صفتا المجد والقوة اللتان يوصف بهما الله، أطلق عليهم لفظ الله مجازا.

وبعد كل ما قد ذكرناه نقول إن الواجب فهمه من قول المسيح: أنا والآب واحد، إنما يريد أن قبولكم لأمري هو قبولكم لأمر الله، كما يقول رسول الرجل أنا ومن أرسلني واحد، ويقول الوكيل، أنا ومن وكلني واحد، لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدي عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته، ويطالب له بحقوقه وكذلك قول المسيح: من رآني فقد رأى الآب، يريد

بذلك أن من رأى هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأى أفعال أبي وهذا ما يقتضيه السياق الذي جاءت به هذه الفقرات لأن أسفار العهد الجديد اتفقت على عدم إمكان رؤية الله طبقاً للآتي:

ورد في إنجيل يوحنا ١٨:١: الله لم يره أحد قط.

ما ورد في إنجيل يوحنا ٣٧:٥: والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته.

ما ورد في رسالة يوحنا الأولى ١٢:٤: الله لم ينظره أحد قط.

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ١٦:٦ عن الله: الذي لم يره أحد ولا يقدر أن يراه.

فإذا تقرر ذلك فليس معنى قول المسيح الذي رآني فقد رأى الآب، إن الذي يرى المسيح يرى الله لأن ذلك طبقاً للأدلة السابقة من المحال فلابد من المصير إلى مجاز منطقي، يقبله العقل، وتساعد عليه النصوص الإنجيلية المماثلة الأخرى.

وبمراجعة بسيطة للأناجيل نجد أن مثل هذا التعبير جاء مرات عديدة، دون أن يقصد به قطعا أي تطابق وعينية حقيقية بين المفعولين.

مثلا في إنجيل لوقا ١٦:١٠ يقول المسيح لتلاميذه السبعون الذي أرسلهم اثنين اثنين إلى البلاد للتبشير: الذي يسمع منكم يسمعني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني

ولا يوجد حتى أحمق فضلاً عن عاقل يستدل بقوله من يسمعكم يسمعني، على أن المسيح حالٌ بالتلاميذ أو أنهم المسيح ذاته.

وكذلك جاء في إنجيل متّى ٤٠:١٠ أن المسيح قال لتلاميذه: من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني.

ومثله ما جاء في إنجيل لوقا ٤٨:٩ من قول المسيح في حق الولد

الصغير: من قبل هذا الولد الصغير باسمي يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني.

ووجه هذا المجاز واضح وهو أن شخصاً ما إذا أرسل رسولاً أو مبعوثا أو ممثلا عن نفسه فكل ما يعامل به هذا الرسول يعتبر في الحقيقة معاملة للشخص المرسل أيضاً.

وإذا عدنا للعبارة وللنص الذي جاءت فيه، سنرى أن الكلام كان عن المكان الذي سيذهب إليه المسيح، وأنه ذاهب إلى ربه، ثم سؤال توما عن الطريق إلى الله، فأجابه المسيح أنه هو الطريق، أي أن حياته وأفعاله وأقواله وتعاليمه هي طريق السير والوصول إلى الله، وهذا لا شك فيه فكل قوم يكون نبيهم ورسولهم طريقا لهم الله، ثم يطلب فيليبس من المسيح أن يريه الله، فيقول له متعجباً كل هذه المدة أنا معكم ومازلت تريد رؤية الله، ومعلوم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا، فمن رأى المسيح ومعجزاته وأخلاقه وتعاليمه التي تجلى فيها الله تبارك وتعالى بعلمه ورحمته أعظم تجل، فكأنه رأى الله فالرؤيا رؤيا معنوية.

وجاء نحو هذا المجاز أيضاً، في القرآن الكريم كثيراً كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1] أو قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] أوقوله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3].

ولقد ورد في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢٨:٣ قوله: لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع.

(١) سورة الأنفال، آية ١٧.

(٢) سورة الفتح، آية ١٠.

(٣) سورة النساء، آية ٨٠.

ونحن نسأل هل يعني هذا القول أن أهالي غلاطية متحدون في الجوهر والقوة وسائر الصفات، أو أنهم متحدون في الإيمان بالمسيح وفي شرف متابعته وهذا هو الأقرب للفهم والعقل.

لقد ورد بإنجيل يوحنا ١١:١٧ القول المنسوب للمسيح في صلاته لتلاميذه.

أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن.

فهل يفهم أن هذا الاتحاد بين التلاميذ هو اتحاد في الجوهر والذات وسائر الصفات.

لاشك أن هذا الفهم محال إذ لابد أن يكون المقصود أن يكونوا جميعاً واحداً في حب الخير وأن تكون غايتهم ورغباتهم واحدة نظير الاتحاد الذي بين المسيح وبين الله في إرادة الخير والمحبة للمؤمنين وهذا ما يفيده قول المسيح الوارد في إنجيل يوحنا الإصحاح السابع عشر الفقرة الثانية والعشرين، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد.

هل نسخ القرآن التوراة والإنجيل

في إطار تأملاتنا لنصوص كتب الأناجيل وموضوعاتها، ووقوفنا على الكثير من تهافت وتناقض القضايا والمعتقدات التي طرحتها، مع بيان ما طرأ عليها من خلل واضطراب وفساد، والأصل فيها كما نؤمن أنها كانت وحياً من الله لعبده ورسوله عيسى بن مريم، ثم طرأ عليها النسخ والتغيير والتبديل والتحريف وغير ذلك. فإن موضوع نسخ، القرآن للتوراة والإنجيل يأتي متمماً ومكملاً لتأملاتنا في كتب الأناجيل.

وبادئ ذي بدء فإن علينا أن نبسط هذا الموضوع ونتعرف على النسخ وما هو؟ وكيف يكون، وعليه نقول: إن النَّسْخ، عند العلماء، هو عبارة عن انقضاء المدة المعينة، في عِلْمِ الله تعالى، لإجراء تلك الأحكام، ولا يطرأ النسخُ على الأدعية كالزبور، والإقرار بوجود صانع العالم، ولا على الأمور الحسية، كضوء النهار وظلمة الليل، ولا الأحكام الواجبة على كلِّ مُكَلّفٍ من البشر، كآمِنْوا بالله، ولا تُشْرِكوا، ولا على القصص والأخبار التي قصها الله تعالى في كتبه المنزلة على الأنبياء الماضية، وما سيكون في الآتية، كقول عيسى عليه السلام: يأتيكم فارقليطٌ آخر، أي رسولٌ آخر غيره، ولا على الوعد والوعيد في الآخرة، ولا على الأحكام المؤبدة، ولا على آيات توحيد الرب سبحانه، وكذلك ولا على آيات إفراده وحده بالعبودية ووصفه سبحانه بصفاته التي تليق بجلاله. ثم إن النّسْخ لا يُخِلُّ بشرف الكتب المقدسة، لأن الناسخ والمنسوخ كلام الله، حتى إنه على الراجح يوجد في الآيات القرآنية ما هو منسوخ بآيات أخر، وهو كتابٌ واحد، فإذا عرفنا

هذا، فعلينا أن نعلم أن القرآن الكريم لم يَنْسَخْ كافة ما في الكتب المُقدسة، بل كَذَّبَ بعض الآيات التي دَلَّستها الخَلَسة، وصدّق البعضَ الصحيح، ونسخ بعضاً من الأحكام غير المؤبدة، وذلك بمقتضى حكمة الله وسُنَّته الجارية بين الخليقة، ومراعاة للزمان والمكان، كما هو مُسلّم، ولا نِزاعَ بذلك بين كافة العقلاء والمؤمنين.

وأما الآيات الدالة على النسخ، كقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ وفي سورة آل عمران: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ وفيها أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ [آل عمران] وفي سورة سبأ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا﴾ وفي سورة الأعراف: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ وفي سورة النمل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وفي سورة الكهف: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ الآيات الدالة على النسخ.

وهناك في كتاب الله تعالى «القرآن الكريم» آياتٌ صريحة ظاهرة للعين، بأن الخليقة كلها مجبورةٌ على اتِّباع القرآن، والله قد أخبر بأنه لا يقبلُ من أحدٍ إلا أن يؤمن بالنبي محمد ﷺ ويخضع لأحكام القرآن، أيصِحُّ بعد كل هذا وعبر قنوات البث الفضائي أن يجيء من يموه على ضَعَفَةِ العقول، وينادي بأن القرآن لم ينسخ الكتب، بل أمر المسلمين باتباع التوراة والأناجيل على ما في متنهما الذي بأيدي الناس اليوم ومنذ مئات السنين من فساد واضطراب.

ولنذكر هنا الآيات التي استند عليها بعض مزوري الفكر من رجال اللاهوت حين يجلسون أمام عدسات التلفاز، ليبثوا فكراً مشوهاً ممسوخاً لا يحمل ملامح دين ولا ينتمي لمنهج، ولا يتفق والفطرة، إنما يريد أن يختلسَ عقولاً ضعيفة الإدراك، قليلة البضاعة في سوق العلم والمعرفة. يقول الله تعالى في سورة البقرة مخاطباً لبني إسرائيل: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ وفيها أيضاً: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة] وفي سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وفي سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ وفي سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وفي سورة المائدة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ وفيها أيضاً ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة]. وهذه الآيات المحكمة في القرآن يصعب بل يستحيل على المعدمين من زاد الحقائق الأساسية لفهم القرآن وتدبر معانيه، لغة وأسباب نزول وفقه الآيات وعلاقتها ببعضها أن يستوعبوها أو أن يقفوا على ما تلهمه آيات القرآن الكريم، وما تقول به، ومن الواجب على كل مسلم يؤمن ويصدق بما تذكره صراحة آيات الذكر الحكيم في تقرير وتأكيد أن الأصل في التوراة والإنجيل أنهما منَ كلام الله، ومن يكذبهما ويجحدهما فهو من الكافرين، ولا يتردد في هذا فردٌ من أفراد المسلمين. لكن هذه الآيات لا تنصرف إلى المتون والنصوص التي تضمنتها كتب العهد الجديد التي بأيدي الناس اليوم، والتي يضرب بعضها بعضاً كما بيناه. إنما هي تتحدث عن الكتابين المنزلين على موسى وعيسى عليهما السلام، التوراة والإنجيل.

ومعنى قوله ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة] أي رقيباً وشاهداً عليه، وهو

كذلك، فإن القرآن لم يترك حرفاً واحداً من خفايا دسائسهم وملاعيبهم، في كتبهم، إلا وشهد عليهم بها، وأظهرها، فكان أيَّ رقيب على كتبهم، ولا يلزمُ من تصديق القرآنِ الكتبَ المنزلة قبله براءةُ هذه التوراة والأناجيل الأربعة والرسائل الموجودة الآن بأيديهم، من التحريف والتبديل والنسخ، ولا يلزم أيضاً وجوب اتباعها.

والحق أن المفهوم، من سياق هذه الآيات السابق ذكرها، أن التصديق كان لثبوت صحة نزولها من الله تعالى فقط، لا لبراءة هذه الكتب الموجودة من التحريف والتبديل والنسخ.

أهم شبهات النصارى حول القرآن الكريم

لبعض أساقفة البرتستنت رسالة مسماة «بالأقاويل القرآنية في كتب المسيحية» وخلاصتها: كما يدعي المؤلف أنه يستند بآياتٍ من القرآن على سلامة التوراة والأناجيل من التحريف، وأن الإنجيل لم يكن مفقوداً، في عصر النبي محمدﷺ وأن المسلمين مجبورون على اتِّباعِ أحكام التوراة والأناجيل الموجودة بأيدي النصارى اليوم، وأن المسيح قدم جسده فداء عن خطايا كافة الناس، وأن العبادات الروحية انكشفت لهم في الزبور والإنجيل، وأن التوراة لم ينسخها الإنجيلُ ولا كتابٌ آخر، بل أيَّدها. وهكذا أطال في أبحاثه إلى آخر ما قاله من مفتريات.

واللافت للنظر أنه يزعمُ أنه قد أثبت بها دعاويه، حال كون أسانيده داحضة لأقاويله. وأظن أن الضرورة ألجأته لمراجعةِ القرآن الكريم، وذلك لعدم وجود سندٍ ودليل على إثبات رسالة عيسى ونبوته، والمؤلفون من النصارى في هذا الموضوع، القدماء منهم والذين يطالعوننا اليوم عبر قنوات البث الفضائي وبعضهم عرب لا يحسنون نطق المفردة اللغوية، لا قرآنا ولا إنجيلاً يعتذرون عن عدم كون الأناجيل وحيا، لأن تصوير عقيدتهم، كما قالوا، خارجة عن الإدراك، فلذلك صاروا يخبطون بفهم آيات من القرآن، وهي تشهدُ عليهم لا لهم، وزعموا أن تشبثهم بهذه الآيات بلا إيمان بها، وبالتوراة قولاً بلا عمل بها، يقنع عوام اليهود والعامة من المسلمين، والعاقل يدرك تماما أنه شتان بين عقيدتهم وعقيدة الإسلام، بل ولا حتى عقيدة اليهود، لا سيما في تنزيهِ الله عن الشريك والنواقص.

ولو قيل لمؤلف الأقاويل: ما دمتَ اعترفتَ بأن التوراة ليست منسوخة بالإنجيل، واليهود أيضاً تقول كما قلت، ورئيس فرقة البرتستنت (لوطر) قال كذلك في كتابه، ونصه: «إن الحواري ليس له أن يعين حكماً شرعياً، من جانب نفسه، لأن هذا المنصب كان لعيسى فقط[(1)]» والمسيح أيضاً قال: «ما جئتُ لأنقض التوراة، بل لأكملها». وقال أيضاً: «ما أُرسلت إلا إلى خراف إسرائيل الضالة»، وهو والتلاميذ، إلى أن ارتفع وانقرضوا، كانوا يتعبَّدون بالتوراة، ويحرِّمونَ حرامها. فبعد هذه البراهين القاطعة والدلائل المتضافرة المؤيدة بعضها لبعض، فمن حَلَّلَ لك إتيانَ المرأة وهي حائض، وعدم الغسل من الجنابة، وإبطال الختان، وكسر السبت، وتحريم الطلاق؟ ومن حرم تعدد الزوجات، ومَنْ حَوَّلَ القبلة إلى مطلع الشمس، ومَنْ جَوَّزَ السجودَ للصور وللصليب، والخمرة والخمير، ومَن دَلَّكَ على هذه العقيدة الروحية، وما هي الروحية، وبأيِّ إصحاحٍ ذكرت فيه العبادات الروحية ولا أظنك تُجيبُ إلا بافتراء لوقا في تأليفه أعمال الرسل، حيث زعم فيه أن بولس وبعضاً من التلاميذ اتفقوا على إبطالِ التوارة، وهذا إنْ صَحَّ فهو باطلٌ، لأنه قولٌ مجرد عن الدليل.

والحق أن الإنجيل لم ينسخ التوراة، بل أكملها، وأما النصارى فإنهم خالفوا قول المسيحﷺ والإنجيل وقول علمائهم، ورفضوا أحكام التوراة والزبور، وأسفار أنبيائهم، صلوات الله عليهم أجمعين، فكأنهم جحدوها، وابتدعوا عقيدةً لم تكن فيها سنة واحدة من السنن التي سنها الله في عباده،

---

(١) راجع هذه المصادر

(1) Shereshevsky, EZRA: The use preposition and conjuctions in Rashi's commentary. J.Q.R. Vol. LVII.

(2). Shereshevsky, EZRA: Rashis and Christian Interpretations. J.Q.R. Vol. LXI. July 1970.

(3). Marc Lods ; Précis d'histoire de la theologie chretienne du 11e au début du IVe Siecle. Editions Delachaux et Niestilé. Neuchatel. p. 41 - 42.

من بدء الخليقة إلى يومنا هذا، كالإقرار بوحدانية الواحد الصانع لكل موجود، بدونِ اشتراكٍ مع اسمه، ولا معادلٍ له، ولا اتحاد به، ولا مثيل له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. لا يحولُ، ولا يزولُ، ولا يموت.

ومن هنا فإنه من الواجب على كل لاهوتي قبل أن يستشهد بالقرآن، أو أن يتناول أحكامه أن يدقق أولاً في تناقضات الكتاب المقدس بعهديه أي بين تثليث الإنجيل والتوحيد المتبقي بعض دلائله في العهد القديم.

ونحن نقول لصاحب كتاب: («الأقاويل القرآنية في كتب المسيحية»: إن القرآن لم ينسخ التوراة والإنجيل، بمعنى أنهما ليسا كلام الله، ولم يقل بأن جميع أحكامهما منسوخة، وإنما جاء القرآنُ بنسخ البعض منها، وإقرار البعض على حاله، ولم يتعرض للأحكام المؤبدة أبداً، بل أيدها. وعلى ذلك فيجب التنبه إلى أن القرآن الكريم لم ينسخ الخبر الذي لم تتم نبوآته، بل أيده، ولما كان هذا خبر الله، والأخبار لا تنسخ، فلابد من وقوعه، وقد وقعت البشارات التي جاءت في الأناجيل عن النبي محمد وبعثه).

ومن اللافت للنظر أن مؤلف الأقاويل القرآنية صرح بالحق، من حيثُ لا يشعر، ولا يهدف لأنه أقرّ بدعوى الخصم، وأثبت أن النصارى ينتظرون نبياً، في سياق كلامه وهو لا يدري، وهو لاشك، الفارقليطُ المنعوت عندهم في الإنجيل مكرراً، ولا نزاعَ بيننا بذلك، بل نصادقهم بوعد المسيح المسطور في كتابهم، ونقول: إنه هو أحمد الذي وضع قواعد البذل والعدل والوسطية بين الناس جميعاً، بعدما كانت الدنيا مملوءة جَوراً وظلماً، ونادى بإعلاء كلمة الله، وشهد للمسيح، وذكّرهم بأقواله ووعده، وبَكَّتَ العالم، كما قال عيسى عليه السلام، وتمت النبوات المذكورة، في العهدين، بخاتم الأنبياء، وهم ينكرونه عناداً، وإلى الآن ينتظرون غيره كاليهود، فإنهم للآن وهم ينتظرون المسيح وبعده إيلياء، وينكرون عيسى ومحمد، صلواتُ الله

عليهما عناداً، فإنْ قلت: إن النصارى أصابت بإنكارهم وانتظارهم.: فحينئذٍ يكون قولُ اليهود أقربَ للعقل من قولهم، لأنهم ينتظرون رسولَيْنِ مُوحِّدَيْنِ عبدين لله طِبقَ الأوصاف المذكورة في التوراة والأسفار، وعندهم أن عيسى ومحمد، صلواتُ الله عليهما، لم يكونا موصوفين بهذه الأوصاف، لأن الأول، على زَعْم اليهود والنصارى، ادَّعى النبوة والألوهية والبنوة معاً، وقد اتفقت هاتان الفرقتان كذلك على أن قيافا رئيس الكهنة كان نبياً مُلْهَماً من الله، حكمَ بكفرِ عيسى وإهانته وصلبه وقتله حَدّاً، بالإلهام، والثاني كذّب الفرقتين، وشهد بأن عيسى لم يّدَّعِ الألوهية، وأنه عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، وأنه مؤيد للتوراة، وكانَ يحيي الموتى بإذن الله، وصعد للسماء بقوة الله، وهو مخلوق كآدم، بكلمة الله، أي: بأمر الله من دونَ أب، والمصلوب يقينا بالعقل والنقل كما سبق بيانه والتدليل عليه في الفصول الماضية غيرهﷺ باعتباره نبياً رسولا.

ومن حيث إن دعوى الألوهية، من عيسى، وصلبه، ثابتة عند الفريقين اليهود والنصارى، كيف يصدقون القرآن، وهو شَهِدَ بخلافِ زعمهم؟ فمنه تبين أن الأساقفة الذين ابتدعوا هذه العقيدة، صاروا سبباً مستقلاً لنفرةِ اليهودِ عن اتّباع المسيح، لا سيما الأوروبيين عن الدخول في سلك الكتابيين. والحق أن عيسى لم يدّعِ الألوهية، بل الرسالة، كما صَدَّقَهُ القرآنُ، ولَعَمرُ الله لقد مضى كل هذا التاريخ، وهاتان الفرقتان تنتظران رسولين، بعدما كانت رُسُلُهم تترا في كل قرن وزمان، فما بالهم انقطعوا بعد هذه البراهين الساطعة والقرائن القاطعة إنكاراً وعناداً؟!.

ونستطيع أن نقول وبتجرد لمؤلف كتاب الأقاويل القرآنية في كتب المسيحية: إنكم إذا لم تتمسكوا بشهادة القرآن الكريم، فبأيِّ سندٍ تناضلون أضدادكم؟ ولو اعترض عليهم يهودي أو جاحد قائلاً: كما أن ألوهية المسيح افتراء، فكونه من روحِ القدس كذلك كَذِبٌ، بل هو ابن يوسف النجار، وله إخوةٌ وأخوات منه، كما هو ثابت بإقراركم في أناجيلكم،

ورسالته ومعجزاته أيضاً مصطنعة، وحتى إنه بعد صلبه أتت مريم المجدلية وبعض من التلاميذ ليلاً، وسرقوا الجسد من القبر، ونادوا برفعه إلى السماء افتراء، كما صرح بتفصيل ذلك الإنجيل. ولو قال لكم أعداؤكم من اليهود ـ الأصل أنهم أعداء ـ أناجيلكم هذه لم تكن إلهامية، بل مصطنعة، فإنكم في كل طبع تُبَدِّلون وتغيرون، وتَزيدون وتُنْقِصُون، كما تشهد عليهم النسخ المطبوعة في لندن سنة ١٨٤٨ م وغيرها لأنها لو تطابقت على النسخ المطبوعة حديثاً في بيروت، لبان صريحاً فسادها، وظهر بأنها مكذوبة مصطنعة من رؤسائها.

ويكذب كتابكم قولكم: إنه إنجيلٌ واحد، ونرى بأيديكم أربعة، ينقضُ بعضُها بعضاً، وهي تنقضُ عقائدكم على اختلاف مذاهبها، وليت شعري ماذا تجيب علماؤكم على هذا المعترض، فهل يوجد عندكم سندٌ غير القرآن، تَستندون إليه على رد الملحدين بعقائدكم؟ فإن قيل: روايات الأناجيل المتناقضة تغنيهم عن القرآن، قلنا: كيف تقومُ الحجةُ بها، وفسادها أظهرُ من الشمس؟ على أن كثيراً من النصوص المدسوسة في الأناجيل تؤيد المعترض، ومع هذا، فالعقلُ لا يجوِّزُ الاستدلالَ بخلاف المحسوس كما هو معروف.

واللافت للنظر أن مؤلف الأقاويل كانت تنقصه الفطنة والذكاء فلم يخجل حين أسمى كتابه بالأقاويل القرآنية، وهو الكتاب الذي أخرس، عند نُطْقِه، الفُصحاءَ وفحولَ العلماء، وطأطأت لبلاغته رؤوس العظماء والخطباء، وختمت بصاحبه الرسل والأنبياء، أيكون هذا القرآن أقاويل؟!. وإذا كان القرآن الكريم سنداً ومتناً أقاويل، فما الذي يقال في نصوص فيها فتنة وأصحابها مجهولون لا يعرف نسبهم ولا تاريخهم ولا رسائلهم وكلام يضرب بعضه بعضا، وقد كانوا فوق المائة أصبحوا أربعة ومع ذلك فلابد من استواء واستقامة وبلاغة هذا القرآن العربي، لا سيما في حق المسيح، من المدائح، ولكم من النصائح، بعد ذِكْرِ ما تنسبُ أنتَ للمسيح من

القبائح، وفي الإنجيل من الافتراء والفضائح، وهاكَ ما أتلوهُ عليك أولاً، من ما في كتبكم وما تقول به عقيدتكم وما قالت أَوْحياؤُكم في أناجيلكم، منها ما قال متَّى في ص ٢٨ ـ ف١٥ ونصه: «فأخذوا الفضة، وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم» وهذه الجملة صريحة بأنها لم تكن من الوحي، ولا من كلام المسيح عليه السلام، بل هي مرتبة من الأساقفة، بعد رفع المسيح بمدة، بدلالة قوله في آخر الجملة! فشاعَ هذا الخبرُ عند اليهودِ إلى هذا اليوم. فكل ذي عقل يحكمُ بأنها مزورة.

ومنها قول مرقص في آخر إنجيله، ونصه: «وهذه الآيات تتبع المؤمنين، يُخْرِجُونَ الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حَيَّات، وإن شربوا شيئاً مُمِيتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المَرْضى فيبرؤون»[1] أقول: إن هذه الجملة أيضاً ظاهرة البطلان، لأنه لم نسمع عنهم ولا منهم إلى يومنا هذا بأنهم أبرأوا مريضاً، بل نسمع عنهم أنهم مات منهم كثيرون من لسعِ الأفاعي، ومنهم مَنْ مات منتحراً بالسم، فهذان الشاهدان العادلان كافيان لتكذيب الرواية.

ومنها ما قاله لوقا في أول إنجيله، ونصه: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخُدَّاماً للكلمة، رأيتُ أنا أيضاً، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أنْ أكتبَ على التوالي إليكَ أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به[2]» أقول: إن لوقا حكى الحق، وأقرّ بأنه كتبَ مكاتيبَ إلى هذا العزيز، يخبره عما سمعه من سيرِ المسيح عليه السلام، ولم يَدَّعِ الإلهام، وهذا ظاهرٌ لا غبار عليه.

ومنها ما قاله يوحنا في آخر إنجيله ما نصه: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق، وأشياء أخر كثيرة صنعها

(١) انجيل مرقص الإصحاح السادس عشر فقرة ١٨.
(٢) انجيل لوقا الإصحاح الأول فقرات ١ ـ ٤.

يسوع، إن كُتبت واحدً واحدةُ، فلست أظن أن العالم نفسه يَسَعُ الكُتُبَ المكتوبة آمين[١]» انتهى.

والبداهة قاضية بأن هذا الكلام كذب فاحش وافتراء بين يضحكُ منه العاقل، ويكذبه حتى الجاهل، ويجل الوحي عن التكلم به، ولست أظن وِزْرَ العالِم يقابلُ وِزر مُبْتَدِعها. ليتَ شعري فأي أشياء كثيرة صنعها يسوع، ولم تكتبَ، في مدته القليلة التي مكثها ولو فرضنا أن الآيات تقع منه في كل يوم من أيام دعوته ألف واحدة، فإنها لا تزيدُ في مدته على ألف ألف آية، وهي إذا كتبت واحدة واحدة، تملأ كتاباً واحداً لا غير، فضلاً عن أن تملأ بيتاً من دار، في بلدة، من قطر، في زاويةٍ من الأرض، فكيف تملأ الدنيا، هل يتكلمُ الوحيُ بمثل هذا الهذيان، ومع ذلك، فإن هذه الآية تدل دلالةً صريحةَ اللفظِ والمعنى على أنها ليست من قولِ يوحنا، بل هي قولُ رجلٍ آخر، بدلالة قوله: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلَم أن شهادته حق» فدلَّ أن المتكلمَ غير يوحنا ألبتة، ومَنْ تَصدَّى وتحامل للجواب عما أوردناه على هذه الجمل الأربعة المار ذكرها، فليبرزْ غير ناكصٍ، فإنْ الحقَّ يقطعه، والزور يفضحه.

وفي كتب تفاسيركم قالوا ما مضمونه: إن الله نزل عن كرسيِّ عرشِ عظمته، ودخلَ في مريم، ثم خرجَ منها، وبعد أن ترعرع، وتعلم في مدارس اليهود، زعموا أنه ادَّعى الألوهية، فعند ذلك بزقت بوجهه أسفالُ اليهود، ولطم وجهه الكافر العنود، وبعد أن ألبسوه تاج الشوك، وهزأت به الفجار، وهلست لحيته الأشرار، وبعد هذا وهذا، صلبوه بين لصين عُنوةً، ودخل الجحيم، بعد أن صار لعنة؛ وكُلُّ هذا لأجلِ أن يغفرَ خطايا فرعون وهامان وعَبَدةِ الأوثان، وأهرق دمه عن دم التيوس والثيران، ثم بعد هذا القدح والتحقير كله، قالوا بأنه جلس على كرسي الربوبية في السماء، يدبر الأمر كيفما يشاء.

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي والعشرون فقرة ٢٤.

هذا هو ما عند النصارى في الأناجيل والنبوات والتفاسير وأقوال أهل العلم عندهم عن إله امتزجت الوهيته ببشرية ابنه حتى عندما علق على الصليب.

وأما ما جاء به القرآن الكريم المنزل من الرحمن الرحيم، قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وفي سورة مريم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾ وقال فيها أيضاً ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ [مريم].

وفي سورة الصف: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ وفي آخر سورة التحريم: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾

وفي سورة المائدة: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ إلى آخر السورة.

وفي سورة البقرة: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ وفي سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران].

وفي سورة المائدة: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ وفي سورة المائدة أيضاً: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وفيها أيضاً: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وفيها أيضاً: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ انتهى.

وفي ضوء هذه الآيات القرآنية الكريمة وغيرها بشأن اليهود والنصارى

كثير مثبت في القرآن، يجيء جاهل بالعلم وأصوله وقواعده مُعطل لقواعد الحوار، وأدب التعامل مع الآخر ويقول: الأقاويل القرآنية في كتب المسيحية، مع أن جهله أنساه أن القرآن نفسه أنكر أن يكون في القرآن أقاويل، فقال سبحانه لنبيه محمدﷺ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [سورة الحاقة]، ومن اللافت للنظر أن المؤلف لم يقرأ قرآنا ولم يفهم إنجيلا فيقول في كتابه في الفصل الثاني، من القسم الأول، ما مُلَخّصُه «إن المسلمين لما ظهر لهم بطلانُ قولهم في نَسْخِ الكتاب المقدس، قالوا: إنَّ الإنجيلَ الحقيقيَّ مفقود، والموجود ليس أصلياً، فإن هذه الدعوى، لو صدرت من المسلمين، واهيةٌ، لا دليلَ لهم عليها. وإلى الآن لم يأتِ أحدهم ببرهانٍ على ذلك، واستند مؤلف الأقاويل في مفترياته على الإسلام والمسلمين بآياتٍ كريمات من القرآن العظيم، بأنها تُنْبِيءُ أن الإنجيل كان موجوداً في زمن خاتم الأنبياء، ولم يزل باقياً إلى اليوم، ولو كان الإنجيل مفقوداً، لما أمر القرآن أهل الكتاب باتباعه والعمل به[1]» انتهى قول المؤلف. وسقم وسفاهة مثل هذه الترهات كان يجب عدم الرد عليها، لكن كلمة الحق في وجه الباطل لابد أن بجأر بها من يلم بها ويستوعبها لقد أعلن هذا المؤلف عن فساد رأيه، بقوله: إن المسلمين لما ظهرَ لهم بطلانُ قولهم في نسخ الكتاب المقدس، قالوا: إن الإنجيل الحقيقي مفقود، إلى آخر ما قاله من الافتراء. ليت شعري أي شيء ظهر على بطلان النسخ، هل تَبَدَّلَ القرآنُ أو فُقد، أو الموجود بأيدينا جمعته الخلسة، فأبطلوا منه النسخ، كما فعلت اليهود بتوراتهم، والنصارى بأناجيلهم؟ إن القرآن كما هو معلوم ومعروف جمع تحت سلطان الدولة التي تؤمن به وتطبقه وتعمل به[2].

---

(١) انظر: عبد الرحمن باجه جى زاده . الفارق بين المخلوق والخالق دار عمار صفحة ٦٩٣، ٦٩٤.

(٢) انظر كتابنا: هذا القرآن تدويناً وتفكيراً، دار الجيل، بيروت عام ١٩٨٤.

إن القول بأن الإنجيل فُقد كلام سقيم لا يقول به المسلمون، ولكن الدعوى التي يقيمها عقل علماء المسلمين بعد نبأ كتاب ربهم هي أن الأناجيل متكاذبة متناقضة مضطرب متنها، منقطع سندها، وفي هذه القضية قضية تحريف الإنجيل إذا ما أضيف إلى عقل علماء المسلمين نبأ كتاب ربهم ثم تجيء أقوال صفوة من علماء الغرب اتضح المراد وسد قول المدافعين عن صحة الأناجيل.

إن مؤلف الأقاويل من البروستنانت ومعظمهم كما يقول سبينوزا متفقون على فقدانِ التوارة من الدنيا، في وقتٍ ما، وأنهم جمعوها بعد مدة من الأفواه، وأصابوا في جمعِ البعض منه، وأخطؤوا في البعض[١]، وضم عليه تحريفهم عناداً عند ظهور المسيح وأحمد صلى الله عليهما وسلم، وكذلك فقدان الإنجيل الأصلي العبراني المنسوب إلى متَّى الحواري من مكتبة الإسكندرية، والموجود في زماننا ترجمة ذلك المفقود، وإلى الآن وهم مختلفون في تعيين المترجم مَنْ هو، والقرائنُ القطعية تدلُّكَ على أن أصل الإنجيل عبراني، وما عداه فهو منقولٌ منه، أو ترجمة عليه، لأن أصل الإنجيل واحد، ليس أربعة ولا خمسة ولا سبعين، كما كانت في صدور النصرانية.

وقال بعض ضَعَفَةِ العقول من الأساقفة المتقدمين: إن أصل الإنجيل روماني، والبعض منهم قال بأنه سرياني، والبعض بغير لغة، وهو قول ضعيفٌ جداً ظاهر البطلان، وكل هذه الادعاءات كذب وباطل عقلاً ونقلاً، كما أن كافة علمائهم، من المتقدمين، وجمهوراً من المتأخرين أجمعوا على أن الإنجيل الأصلي عبراني، وهو المنسوب إلى متَّى، وما عداه فرعٌ منه، ويشهد لهم المحسوس، وبداهة العقل تحكم بأن الإنجيل عبراني، لأن الكتب السماوية نزلت بلسان القوم، وعيسى عبراني من أشراف بني إسرائيل، وهو القائلُ بنص الإنجيل: «لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل

(١) انظر كتابنا: التراث الإسرائيلي في العهد القديم مرجع سابق.

الضالة» فهل يعقل أن يأتي بإنجيل روماني أو هندي أو عربي، إلى قوم لا يعرفون إلا اللغة العبرانية؟ كما أن التوراة والزبور والأسفار عبرانية، والأناجيل الأربعة الموجودة في زماننا، كلها مترجمة عن السريانية، أو من الرومانية، ولم يكن فيها نسخة عبرانية أصلية، حتى تكون مأخذاً ومداراً للتطبيق.

المطالع في التراث اللاهوتي، سواء كانت نصوصاً أو شروحاً سيجد كتبا كثيرة باللغة العربية وبغيرها تتناول عقيدة المسلمين وكتاب ربهم القرآن الكريم بنوع من التجريح والنقد والمغالطة بخطاب ومفردات وقضايا لا تمت للعلم ولا للحقيقة بأدنى صلة، ومن هذه الكتب كتاب في دار الكتب المصرية طبع في مطلع القرن العشرين عام ١٩٠١م واسمه: «أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين» لمؤلفه: نيقولا يعقوب غبريل، وهو كتاب اشتمل على تسعة مباحث وفصول استشهد فيها المؤلف نيقولا بالآيات الكريمة من القرآن والأحاديث النبوية، وزعم أنها تدل على عَدَمِ تحريف التوراة والإنجيل، ويأمر المسلمين باتباع أحكامها، وبذلك يريدَ أن يدَلس على ضَعَفة العقول، ويزعم فيقول بعد هذا التاريخ منذ ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم أنه أتى بعلمه واجتهاده المزعومين بأمرٍ عظيم، لم يدركه المتقدمون وبأبسط نظر، وأقل تدبر يرى الباحث وبغير مشقة أن هذا المؤلف نيقولا قد افترى في رسالته على كتب الله المقدسة، وعلى أبناء جِلْدَتِه، فلذلك أعمى اللهُ بصيرته، فَعثَرَ في أول شاهد من شواهده، فقال في إيراده العقيدة النصرانية ونصه: «لما كان الكتاب المقدس التوراة والإنجيل ركن عقائد الدين المسيحي وأساسه، والحكم الوحيد الذي يرجع إليه المسيحيون»[1] انتهى بحروفه.

أقول: إنَّ الإنجيلَ والقرآن وأحاديث النبي محمدﷺ تشهد بأن التوراة

(١) نقولا يعقوب غبريل. أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصاري والمسلمين. القاهرة عام ١٩٠١م صفحة ١٢٠.

كانت أساسَ دينِ النصرانية، وهم كانوا ملازمين للعمل بأحكامها، فليت شعري هل تصادقه الطوائف النصرانية على ذلك، وهو قد هدم أركانَ التثليث، وكفَّرهم، وأبطلَ عقائدهم؟، ولعل هذا المؤلف يهودي أو نصراني على فطرة الحواريين، أو أراد من قرن التوراة بالإنجيل ستر فضائح أناجيلهم، عند المناظرة، ويصدق على هذا المؤلف ما قيل لرجل: ماذا تملك من قطيع هذه الغنم؟ فقال: لي ولابن أخي ستون نعجة، فقالوا له: ما نسألُك عن ملكية ابن أخيك، بل عما تملكه أنت، فقال: لي نعجة واحدة، وهي عاقرٌ. وكذلك هذا المؤلف.

فموضوعُ البحث بين المسلمين والمسيحيين منحصرٌ في الأناجيل والرسائل التي يزعمون أنها كتبٌ مقدسة سماوية، ومنزَّهةٌ عن الزلل والخلل فقط، وليس لنا حاجة الآن في البحث عن حالِ التوراة واليهود وعقائدهم، وإن أصررتَ وتشبَّثْتَ بأذيالهم، فيلزمك أولاً أن تختتن، وتحافظ على السبت، وتفعل كما يفعلون في الصلوات والصيام وأعيادهم، وتحرم لحمَ الخنزير والإبلِ والمحرمات، وتجتنب الحائض، وتغتسل من الجنابة، وتقبل تكليفاتهم، وأن لا تسجدَ للصليب ولا للخمرة والخميرة، ولا لمطلع الشمس، بل تجعل قبلتك بيتَ المقدس كما كان يفعل المسيح والحواريون في الهيكل، فحينئذٍ يسوغُ لك أن تجعلَ التوراةَ أساسَ دينك وركن عقيدتك، والحكمَ الوحيد الذي يرجع إليه المسيحيون، فكيف وأنت جعلت أوامرَ الإنجيل أحذيةً، وعيسى لعنةً، والذي يعملُ بالتوراة، يكون تحتَ لعنةٍ، وجعلت حروفها عتيقة لا تصلحُ لشيء، ورفضت كافةَ أحكامها، وأحللتَ حرامها، وجعلت قبلتها وراء ظهرك، وسجدتَ لغير الله، فكيف يسوغُ لك أن تتشبث بها، وتجعلها ستراً لضلالك، وأنت قد برّأت نفسك من أحكامها قولاً وفعلاً، وأبناء جلدتك في كل سنة يهرقون دماء ألوف مؤلفة من الذين يتعبدون بها.

وعلى السيد نيقولا يعقوب غبريل مؤلف رسالة: «أبحاث المجتهدين»

أن يفهم أن الرد على مفترياته ومغالطاته، لا يراد به الهزيمة لفكر ضال فقط بل المراد إحقاق الحق ودحض الباطل.

فعلى هذا المؤلف النصراني وأمثاله من القدماء والمحدثين أن يدركوا أننا لا نريد مناظرة أو مراءاً لتحقيق موقف، أو تحقيق هزيمة في مناظرة أو جدل، بل القرآن الكريم أخبر بأنكم أقربُ مودة للإسلام، وصَرَّحَ بشدةِ عداوتهم لنا، وبُغضهم وقتلهم الأنبياء بغير حق، كما صرح بتحريفهم للتوراة عناداً وكفراً، ولذلك لعنهم بصراحة القرآن الكريم، وكيف لا وهذا كتاب «إظهار الحق» قدس الله روح مؤلفه الشيخ رحمت الله بن خليل الهندي في مناظرته للقس بفندر وضح مكنوناتهم ودسِّهم وتحريفهم وفضائحهم بحق الرسل والأنبياء، عليهم السلام، كقولهم على هارون، عليه السلام، أنه صنع العجل، وكفّر بني إسرائيل، وعن داود النبي عليه السلام، انه زنى بزوجة رئيس جيشه «أوريا» وهو غائبٌ، ثم قتله ظلماً، وعن يهوذا عليه السلام بأنه زنى بكنته تامار، وعن لوط عليه السلام بأنه سَكِر وزنى في بناته، وتناسلَ منهما ذريةً طيبة، وهلم جراً، مِنْ نِسبِة التهتك إلى أنبياء الله العظام، حال كون هذا الفعل ليس الفجار والأشرار يأنفون منه فقط، بل البعض من الوحوش أيضاً، لا تَنْزُو على بناتها، ومنهم الجاموس.

فيا أيها العاقل البصير، أسألك بشرفِ الأنبياء، عليهم السلام، هل تقبل وتصدق أنَّ ما نقلناه آنفاً، من التوراة، هو منزلٌ من الله تعالى، فإن أصررتَ على غيِّكِ فابكِ على عقلك قبل دينك. وهذا البحثُ طويل، فإن أردتَ استقصاءه فراجع «إظهار الحق» ترى فيه ما يُغْنِيكَ عن السؤال وعن القِيلِ والقال، وقد كان مناظرة قام بها الشيخ رحمت الله بن خليل الهندي أمام لاهوتي أعلم منك وأبصر إنه القس بفندر .

ومن افتراء المصنف على القرآن الكريم أيضاً زعمه أنه صَرَّحَ ببراءة التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل، وأنه يحرّض المسلمين على اتّباعهما، إلى آخر ما قاله. فمنها استناده إلى قوله في سورة آل عمران:

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وهـذه الآيـةُ صـريـحـة المعنى بأن التوراة والزبور والأسفار والإنجيل التي كانت نازلةً على الأنبياء، قبل تحريفها، نورٌ يُهتدى بها، قبل القرآن، ولا يفهم من الآية أن القصدَ منها هذه الكتبُ الموجودةُ بأيديهم، الثابت تحريفها، لأن الآية بنفسها فسرت نفسها، بقوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [آل عمران] ولا حاجةَ للبيانِ من ذلك.

ثم قال المؤلف، من سورة المائدة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ والمفهومُ من هذه الآية أن الله يأمرهم باتباعها، واتباع القرآن معهما، لأنه قال تعالى في آخر الآية ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وهو القرآنُ، وهذا صريح، لا غبارَ عليه. وهم إنْ آمنوا بالقرآن كما آمنوا بكتبهم، فيكونوا مسلمين.

ولعل المؤلف يعترض بأنه لم ينقل آخر الآية في رسالته؛ فأقول: إني لم أزد شيئاً على الآية، من عندي، بل أكملتُ ما نقصه المصنف، وأظهرتُ ما اختلسَهُ المؤلف، وكيف أسكتُ عنها، ومدارُ الحكم على إثبات تصنيعه فيها. وتكذيب المؤلف متوقفٌ على ذِكْرِها.

ثم لا يخفى أن التوراة والإنجيل المذكورين في الآية الكريمة معرّفة بلام التعريف التي معناها هنا العهد الخارج، فيكون المعنى: حتى تُقِيمُوا التوراةَ والإنجيل المعروفَيْنِ المعهودين المنزلين على موسى وعيسى عليهما السلام، السالمين من التحريف والتبديل، لا الذي أثبتنا تحريفهما بالأدلة القطعية، كما ذكره فحولُ علمائنا في كتب الردود وهي أكثر من أن تحصى ولعل من أهمها: الرد الجميل على القائلين بألوهية عيسى - الإمام أبو حامد الغزالي، والاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للإمام القرطبي، ومقامع هامات الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم وغيرهم كثيرون.

هذا ويفهم من هذه الآية أن الأمرَ باتباع التوراة والإنجيل، إنما هو اتباع أوامرهما، والعمل بما صَرَّحت به، من توحيد الله، وتنزيهه من الشريك والولد والتثليث.

فمنها قول المسيحﷺ في الإصحاح ١٧ ـ ف٣ من إنجيل يوحنا، ونصه: «وهذه هي الحياةُ الأبدية، أن يعرفوك أنتَ الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» وفي غير موضع من الإنجيل قال: «لا تتخذوا إلهاً على الأرض، فإن إلهكم واحد، وهو في السماء» ويأمرهم فيهما أيضاً بالإيمان بعيسى وأحمد، صلوات الله عليهما، المكتوب في التوراة وأسفار الأنبياء والإنجيل نَعْتُهما وأوصافهما وزمانهما ومحلهما وأفعالهما، ولا سيما ذكر أحمدﷺ.

ومن حلقات التحريف والتزييف والوضع تطالعنا الصفحة الخامسة من «أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين» والتي يقول فيها المؤلف: «إن في سورة النساء آيات تدل على وجوب العمل بالتوراة والإنجيل حتى بعد ظهور الإسلام وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ وفي سورة المائدة ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ وقد استشهد أيضاً بالآيات الآتية على سلامة التوراة والإنجيل من التحريف، فقال في صحيفة (٨) من سورة الكهف: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ وفي سورة الأنعام: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ وفي سورة يونس: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ وفي سورة الفتح: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وفي سورة فصلت: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ وفي سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وهنا على صاحب العقل والنظر أن يتأمل تدليساتِ هذا المؤلف وتمويهاته، فإنه يريدُ أن يقنع ضَعَفةَ العقولِ بأن التوراة والإنجيل الثابت تحريفهما في القرآن بريئةٌ من التحريف، بشهادة القرآن فكيف تكون هذه الجراءة، وكل هذا التطاول، حتى يغير شهادة القرآن، فإن كل صاحب عقل مسلماً كان أو غير مسلم، يتدبر نصوص التوراة والإنجيل، فسيجد فيها من التناقض والاضطراب، وانعدام البعد العقدي، وافتقاد الجانب الإيماني، ما لا يخفى ثم إن البداهة قاضية بأنه لا توجد في هذه الآيات أدلة، لا صراحةٌ ولا إشارة على براءتهما، والمؤلف لم يكتفِ بافترائه على معاني القرآن ومقاصده، بل صار يُسْقِطُ بعضَ جُمَلٍ من آياته، ويُلَفِّقُ بأقوال المفسرين آراء من عندياته، ويزيد وينقص لأجل ترويج تصنيعاته حال كون هذه الآيات كلها تنادي أهل الكتاب أن يؤمنوا بأن الله هو الإله وحده، لا ابن ولا تثليث ولا شريك له، وأن الملائكة والرسل الذين هم خيرة خلق الله حق، وأنَّ الكُتبَ المنزلة من الله السالمة من التحريف والتبديل حَقٌّ، ونور للناس في الدنيا وفي الآخرة، فإذا اعتقدوا ذلك، وعملوا به، وصدقوا بما هنالك يكونون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فلينتبه أصحاب العقول أن هذه الآيات آمرةٌ بالإيمان فقط، ولا يُفْهَمُ منها تصريحاً ولا تلويحاً الأمرُ للمسلمين باتباع أحكام التوراة والإنجيل.

ومن تمويهات مؤلف أبحاث المجتهدين أنه تضليلاً وتمويهاً يحاول الإيهام بأن الإنحيل واحد، حال كونه أربعة، ورسائل أعمال الرسل، ورؤيا، ولو قيل لصاحب الرسالة: أنت تدعو الناس أن يخضعوا للتوراة والإنجيل، وهي أناجيل كثيرة، فأي إنجيل منهم صَحَّ عندكَ، لكي يَتَّبِعُوه؟ ماذا يجيب؟ ولعله يقول: الأربعة أناجيل والأعمال والرسائل والرؤيا، كلها إنجيلٌ واحد، ولا غرابة في ذلك فهو وغيره ممن هم على شاكلته يدعون أن الثلاثةَ إلَهٌ واحد، فحينئذٍ يقالُ له: إن هذه الكتب تكذب بعضها بعضاً، فأيّ قولٍ وحكمٍ منها كلامُ الله، حتى يتبعوه؟ فَيُبْهَتُ عن الجواب، ويفقد

الإدراك بعد أن عطل العقل، والنقل، والدليل، والبرهان، وهو لم يكتف بهذا الافتراء، بل يَحُثُّ الموحَّدين أهل القرآن للخضوع بأحكام التوراة والأناجيل، وكيف يكون هذا، والتوراة تكفّر مَنْ يقول: إنَّ من البشر إلهاً؟ كافتراء النصارى على الأناجيل بأنها تكفر مَنْ يجحد ألوهيةَ المسيح، وعلى هذا يلزم أن يكون الخاضعُ لهما قد كَفَرَ مرتين. وعلى كلٌ، فلا تصح دعوى المؤلف إلا بعد أن يوفقهما على وجه واحدٍ ألبتة، أو يكذب أحدهما، وهذا صريح لا غبار عليه.

ومن تمويهات علمائهم على أغبيائهم قولُهم لهم: إنْ وجدتم أحداً من المسلمين، يطعنُ في الأناجيل، بأنها مُبَدَّلةٌ أو محرفة، أو أن الأصل مفقود، فقولوا له: فَأْتِنَا بإنجيلٍ حقيقيَّ لكي نَتَّبعه، إنْ كنتَ من الصادقين، ونعتقد أن من اطلع على صفحات هذه الدراسة التي نقدمها لعلماء اللاهوت قبل غيرهم، سيدرك أن القول بأن هناك إنجيل مفقود فرية لم يقل بها أحد من علماء الإسلام، بل أن الذي قالوه وقلناه أن النصوص الأربعة للأناجيل هي التي تقول بفقدان إنجيل الله لعبده عيسى بن مريم.

ومع ذلك نقول للمؤلف المجتهد وهو الذي لا يميز ما بين النصوص من تضارب إن هذا تَمحُّلٌ ومغالطة من علمائكم وغشٌ صريح لأبناء جلدتهم والغبيٌ المسكين لا يتعقل بأن الأناجيل الموجودة أربعة، بعدما كان واحداً عبرانياً، ينادي به المسيحُ في الهيكل، بين بني إسرائيل، كما صرحت به فلتات من نصوص أناجيلهم الموجودة، ثم بعد مدة اختلسوه وأضاعوه، وأظهروا تراجمَ متعددة، بلغاتٍ مختلفة.

والموجود الآن أربعة، ينقضُ بعضها بعضاً، ورسائل تنسخها، فهل من العقل طلبُ أصلِ الإنجيل من قومٍ، ظهروا بعد نزولهِ بستةِ أجيال، وقد مَزَّقته عواصفُ الأغراض؟! ولو أنهم طلبوا أصله من اليهود، لجاز طلبهم، لأن الإنجيل الحقيقي كان ينادي به المسيح وتلاميذه بينهم، ويحتمل أنهم حفظوا أصله عندهم، وهذا أيضاً محال، لأنه على فرض وجود الأصل عندهم، فإخراجه من اليهود أبعد من المحال، كما لا يخفى، وكيف يشهد

القرآن بصحتهما، وآياتهُ تُصَرِّحُ بتحريفهما وتبديلهما، على أن الحسَّ أيضاً يشهد بذلك التحريف فضلاً عن الدراسة والمقارنة والتحقيق بين النصوص، ولعلنا هنا نسأل المؤلف المجتهد: أتُنكِرُ تلَفَ التوراة ومحوها من الدنيا، وبعد مدة من الزمان جمعت من أفواه الناس، وتم الافتراء فيها على الأنبياء. ونقول له: إنه لا خلاف في أن الإنجيل واحد، وقد صيرتموه أربعة، ينقض بعضها بعضاً، بل كل إنجيل منها بنفسه يُكَذِّبُ نفسه، وكيف تزعم أيها المجتهد اللاهوتي أن يشهد القرآن بصحتها، وفي سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وفيها قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] وفيها أيضاً: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وفي سورة المائدة: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وفيها أيضاً: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة] وآيات التحريف كثيرة، والذي ذكرناه كاف للاستدلال.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة] أي كيف يحكِّمون القرآنَ عليهم، وهم يجحدون نُزولَهُ من الله، ولا يصدقون بنبوة محمدﷺ وكيف يتركون أحكام التوراة، والأصل أنه كان فيها حكم الله، واعتقادهم أنه لم يتغير منها حرف واحد، ولا يقبلون نسخها، فإن الحقيقة العلمية التي قالها في هذا الأمر رجال حتى من علماء النصارى أمثال سبينورا في كتابه: اللاهوت والسياسة، وجيمس فريزر في كتابه: الفولكولور في العهد القديم وموريس بوكاي في كتابه: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة تقول بالنسخ والتحريف بل بعضهم يقول عنها أن كثيراً من أحكامها منسوخٌ بالقرآن، والبعض مُحَرَّفٌ، ويستحيلُ التمييزُ بين السالم والمحرف. ومن ثم يندر العمل بما تبقى من أحكامها.

ولعل المؤلف المجتهد يقبل الحق ويعتقد بثبوت التحريف ووقوع الفساد في التوراة والإنجيل، ومن ثم يبطل الاستدلال بهما والعمل بمضمونهما وأحكامهما، وهذه القاعدةُ أساسٌ لكافة الأديان، ولا يختلف اثنان في أنه لا حجةَ مع الاحتمالِ، فعليه، كيف يجوز التعبُّدُ بما فيهما واتباع أحكامهما، فضلاً عن نسخ البعض منها بالقرآن الكريم؟.

وأما ما استشهد به المؤلف، على عدم تبديلِ كلام كُتُبِ الله كافة، من الآيات التي تقدم نقلها، فمردودٌ من وجوه كثيرة، منها:

أن هذه الآيات ليس فيها صراحةٌ ولا إشارةٌ إلى التوراة والأناجيل، بل سياقُ البحث يدلك أن المراد منه القرآن، لا غيره، ومع هذا، فلا يفهم من قوله: «لا مُبَدِّلَ لكلماتِ الله» عدم تبديلِ الحروفِ المكتوبةِ في القراطيس، بل المرادُ لا تبديلَ لأوامرِ الله وأحكامهِ المُبْرَمة والمَسْنونة في خَلْقه، من آدم وإبراهيم وموسى وعيسى إلى خاتم الرسل، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، كالإقرار بواجب الوجود، وأنه لا شريكَ له، ولا تثليثَ، وكالوعد والوعيد، والعيش الرغيد، والعذاب الشديد في الآخرة، وأمثالها، فهذه أحكامٌ يُعَبَّرُ عنها بالكلمات، لا تتبدلُ ولا تتحوَّلُ ولا تتغير ولا تُنْسَخُ، ونحن معاشرَ المسلمين لا نستدل من هذه الآيات على حِفْظِ ألفاظ القرآن من التبديل والتغيير، بل استدلالنا على حفظه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر] ومن قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ والمرادُ من هاتين الآيتين القرآن فقط، وهو صريحٌ فيه، لا يشملُ غيره، لأن ظاهر الآيتين وباطنهما، وسياق البحث، يفيدُ قصدَ القرآن بمفرده، لا كافةَ الكُتُبِ المنزلة قبله. والحكم لا يشملُ ما قبلَهُ، ومع ذلك، فالضميرُ الذي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ مفرد، وكذا الضمير الذي في قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ ضمير مفرد، والسياقُ في بحثِ القرآن وذكره فقط، فتبين أن كلاً من الضميرين المفردين، في الآيتين المذكورتين،

راجعٌ للقرآن ألبتة، ولو كان راجعاً لكافةِ كتبِ الله المنزلة قبل القرآن، لكان بحسب النظم العربي أن يقول: إنا نزلنا الذِّكْرَ وإنها لها لحافظون، وفي الثانية أن يقول: لا يأتيها الباطلُ من بين يديها ولا من خَلْفِها. وفي ضوء ذلك الفقه لدلالة النصوص نستطيع أن نقول: هل فهمت أيها المؤلف المجتهد المحرف حتى لقواعد البحث العلمي في التعامل مع النصوص بحيث لا تفرق بين المفرد والجمع والقطعي الدلالة والظني.

ولعلك تقول: لأيِّ علة حُفظ القرآن، ولم تُحفظ باقي الكتب، والكل إلهية؟

والحكمةُ ظاهرة، جلية لا تحتاج إلى تدليل ولا إلى برهان، لأن الكتب والأنبياء كانت تترادفُ، وتُصْلِحُ ما فسد بينها، ولكون محمد خاتم الرسل والقرآن الكريم خاتم الكتب وآخرها وهو كتاب رب الأرباب، وهو فصل الخطاب، إلى أن تقوم الساعة عليه، ولا يأتي بعد محمدﷺ رسول ولا بعد القرآن الكريم كتاب، لكي يصلح ما يفسد من أحكامهما، فتعهَّدَ بحفظ القرآن المنزل على سيد الأكوان، وهو القرآن والنبي أصدق شاهدٍ وأعدل حاكم على الأمم في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وقوله في غير موضع: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران].

ولقد تبين مما تقدم أن المراد من قوله: «لا مبدل لكلمات الله» أي: لأوامر الله، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وقوله تعالى في سورة الأنفال:

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وقوله تعالى أيضاً في غير موضع ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر]. فقد تَبيَّنَ من صراحة هذه الآيات الكريمات أن معنى الكلمة والكلمات: الأمر والأوامر، فقد ثَبتَ ببداهةِ العقل والنقل أن هذه الأبحاث كلها على القرآن، لا على التوراة والإنجيل.

وحتى إن التوراة مشحونة من الآيات التي فيها قوله «الكلمة مع فلان» و«الكلمة كانت لفلان» و«الكلمة عند فلان» والقصد: أمرُ اللهِ صارَ عند فلانٍ، أو مع فلان، ليس القصد منه الكلمة اللغوية، وهذا ظاهر، وذهبت إليه كافةُ المفسرين، منهم النصرانية والمسلمون وحتى في أول كلمات مرقص ما نصه «فكان يخطابهم بالكلمة» أي المسيحُ كان يخاطبُ الجُموعَ بأمر الله. ولا يقال: إنه كان يخاطبهم بالكلمة اللغوية، وهذا صريحٌ لا غبار عليه. وإن كنت أيها المؤلف المجتهد في ريب مما شرحناه لأمثالك ممن جاؤوا بعدك، ونهجوا نهجك، وجلسوا عبر قنوات البث الفضائي المدعومة يجترون هذا اللغو بغير عقل ولا تدبر، فكتب التفسير تغني وتُشفي وتورد الدليل والبرهان وتشرح العام والخاص والمطلق والمقيد، فضلاً عما فيها من فقه الدلالات.

لكن اللافت للنظر أن المؤلف قد ذهب يدعي صحة التوراة والإنجيل، وبراءتهما من التحريف بقوله: «إنه يوجد في خزائن الملوك نسخ من التوراة والإناجيل، تاريخها قبل الهجرة بـ٢٥٠ سنة، لا تختلفُ عن النسخ المتداولة في زماننا بحرف واحد». ولم يقل لنا أين هي هذه الخزائن وعند من من الملوك؟ وكيف غاب تحقيق هذا الزعم من بحوث علماء وثقات وباحثين معتبرين أتينا على ذكر منهجهم ودلائلهم ولم يقل واحد منهم بمثل هذا الافتراء؟ وقوله: «لا تختلف عن النسخ» الموجودة الآن بأيديهم محال، لأن التحريف وقع وجرى بعد انقراض الحواريين، وانتهى الأمر بينهم في القرن الثالث، على هذه الأربعة أناجيل المتناقضة، على أنَّ

أعمالَ الرسل ورسائلهم نَسخَتْ أحكامَ هذه الأناجيل أيضاً، وذلك بعد ما كانت ستين أو سبعين إنجيلاً، ولم ينتهِ الأمرُ على هذه الأربعة أناجيل إلا بعد إهراقِ ألوفٍ من دماء الفقراء والمساكين، فأي فائدة تحصلُ من وجود نسخ قديمة منسوخة، بعد تحريفها، أي: بأن نسخت بعد قسطنطين الرومي.

ولو قال: يوجد نسخة منسوخة بخط بطرس لأمكنه الاحتجاجُ بها، وعلى فرض وجودها أيضاً، لا تطابق هذه النسخ المتداولة الآن بأياديهم، ولا النسخة القديمة الموجودة في خزائن الملوك تطابق هذه الأناجيل والتوراة البتة.

ولعل المؤلف المجتهد ومن سار على دربه يعتذرون بعدم الاقتدار على إحضار هذه النسخة من خزائن الملوك، فنحنُ نتنازلُ، ونعفيه منها، ونقبلُ منه تطبيقَ النسخةِ المطبوعةِ سنة ١٨٤٨ في لندن، مع النسخ المطبوعة حديثاً في بيروت، فإنْ سَلِمَتْ من التغايرِ والاختلافِ والتناقضِ والزيادة والنقصان، في الجمل والآيات، واختلافِ الضمائر، فحينئذٍ نُسَلِّمُ له بأن النسخة المحفوظة في خزائن الملوك مطابقةٌ بدون تطبيق، وإلا، فما الفائدةُ من دعواه؟ وهي ظاهرةُ البطلان[١].

(١) الحجر، آية ٩.

(٢) انظر: أطروحتنا للدكتوراه: التراث الإسرائيلي في العهد القديم، دار الجيل، بيروت عام ١٩٧٩م.

أحكام الناسخ والمنسوخ والجهل اللاهوتي به

معظم أهل الكتاب، اليهود والنصارى، من القدماء والمحدثين إذا ما تناولوا شيئاً مما يتعلق بالإسلام: عقيدة وشريعة، أو نبياً وكتاباً وسنة يقعون في أخطاء جسيمة، ومبالغات وخيمة، وتعبيرات نقدية لا تصيب هدفاً ولا تحقق غاية ولا تقيم دليلاً، ومن هذا القبيل المقالات والكتابات والحوارات التلفازية في القنوات التبشيرية التنصيرية التي تستضيف رجال لاهوت، يجلس الواحد منهم في الاستديو، وأمامه المذيع أو المحاور بغير مداخلة، أو مشاركة أو تعليق، وكان آخر ما نقل إلينا، واضطررنا لمتابعته عندما يعاد بثه حديث أحد رجالات اللاهوت عن: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وأمسك بين يديه بكتاب: الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، وذهب يقرأ على المشاهدين أسماء العلماء الذين ذكرهم النحاس ممن كتبوا عن الناسخ والمنسوخ موهماً نفسه والمشاهدين على أن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم هو من قبيل التحريف والتبديل، والتغيير والحذف، والإضافة التي تعرضت لها الأناجيل.

ولما كانت الكتابات اللاهوتية التي تناولت هذا الموضوع ـ سلفاً ـ تنطوي على جهل وعدم فهم، فإن التزوير والتحريف والتدليس، بل والتضليل الذي يبث عبر القنوات الفضائية ويشاهده الملايين من العامة والخاصة، والمؤمنون، والملحدون، والكافرون وغيرهم، أقول فإن التأثيرات السلبية والشكوك المسمومة قد تنال من الناس شيئاً، ومن هنا رغبنا أن نتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل، إحقاقاً للحق ودحضاً للباطل، وكشفاً لبيان الحقيقة العلمية والعقدية التي ترتبط بهذا الموضوع.

وقد كنا نأمل أن تكون تأملاتنا في كتب العهد الجديد، مقتصرة على كتب الأناجيل الأربعة وبيان ما فيها من زيف وتحريف وتضارب وتناقض وتكاذب على عبد الله ورسوله سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، لكن التضليل الذي يمارسه بعض رجال اللاهوت، بعد الفشل والخيبة وسوء العاقبة التي منوا بها عندما حاولوا الاقتراب من نصوص الذكر الحكيم وآياته، بأمل أن يقفوا على آية أو بعض آية تذهب أو تدل على نقيض ما تذهب إليه آية أخرى من القرآن الكريم، فذهب بعضهم إلى موضوع الناسخ والمنسوخ بزعم أن يدخلوا منه إلى توهمهم. وهو أن ما تعرض له الإنجيل المنزل من السماء وأصبح أناجيل أقلها أربعة، وقد يصل عددها بالبحث العلمي إلى ما بعد المائة، خاصة وأن غير الأربعة قد ابتدأ يخرج من ركام التاريخ وزحامه. وفي إيجاز غير مخل وتفصيل غير ممل إن شاء الله، فما هو النسخ وأي شيء يكون الناسخ والمنسوخ، وما الذي يقوله علماء وأئمة المسلمين بشأنه، وهل: النسخ قضية خلافية فيها الراجح والمرجوح، أم أن نقلته على ضوء ما فهمت من كتاب ربها وسنة نبيها بسلامة منهج، وسلامة تلقي، وسلامة موضوع، واستقامة فهم، وتحديد المواضيع وبيانها. ومعرفة عناصرها ومفرداتها، زماناً ومكاناً وحكماً وأحكاما، ومنسوخاً وناسخاً، قد أضافت إلى بيان ووضوح المفردة اللغوية في كتاب الله ما يعين على الفهم والتدبر، والوقوف على حكمة التدرج التشريعي في القرآن الكريم.

وحول هذا الموضوع الجليل والبسيط، الواضح الجلي لكل ذي علم وفهم وفقه باللغة، وأسباب التنزيل، ودلالات العام والخاص، والمطلق والمقيد وغير ذلك نأتي بما يحقق المراد ويوضح المشكل الذي أثاره دعاة التحريف إن شاء الله تعالى.

تعريف النسخ لغة واصطلاحا:

من الواجب العلمي أن نعرف الأجيال المؤمنة بمعنى النسخ الذي ذكره القرآن الكريم وشغل به علماء الإسلام منذ القرن الثاني الهجري كعلم

له ضوابطه وقواعده الشرعية وموضوعاته ومفرداته وقضاياه، مما لا يتسع له الجهل بعلوم القرآن الكريم ومعرفة أسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ بعيداً عن لغط المحرفين، وتمويه الضالين فارغي الأيدي من بضاعة العلم في الإسلام حتى لا يجلسوا أمام عدسات التلفاز يدعون بغير علم ويفتون بغير دليل ولا برهان، وإحقاقاً للحق ودحضاً للباطل نضع في خاتمة بحثنا عن تضارب كتب العهد الجديد وانقطاع سندها وتكاذب مروياتها هذا الموضوع، فما هو تعريف النسخ لغة واصطلاحا في ضوء ما قرره علماء الإسلام بأثر من فقههم لكتاب الله وسنة رسولهﷺ.

أولاً: تعريفه في اللغة:

النسخ في اللغة يطلق على معنيين:

١ ـ أحدهما: الرفع والإزالة. يقال: «نسخت الشمس الظل» أي: أزالته وحلت مكانه، و«نسخ الشيب الشباب» أي: أزاله وحل مكانه.
ويقال: «نسخت الريح الآثار» أي: أزالتها، من غير أن يحل مكانها شيء.
ومن استعمال القرآن الكريم لفظ النسخ لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [سورة الحج، آية: ٥٢].
وقوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٠٦]. فالناسخ والمنسوخ في القرآن مأخوذ من هذا المعنى. وهذا قول الجمهور.

٢ ـ الثاني: نقل الشيء من مكان إلى مكان مع بقاء الأول، ومنه: نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه إلى مكان آخر، وليس المراد به إعدام ما فيه. ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية، آية: ٢٩]. وقوله

تعالى: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٥٤].

ويرى بعض العلماء كالطبري وأبي جعفر النحاس أن النسخ في القرآن مشتق من هذا المعنى، مع اختلاف بينهما في ذلك.

ويطلق أيضاً على نقل الشيء وتحويله من مكان إلى مكان، مع عدم بقاء الأول. قال السجستاني: «النسخ أن تحول ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى، ومنه تناسخ المواريث، لانتقالها من قوم إلى قوم»[1].

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» ٥: ٤٢٤ ـ ٤٢٥، «أساس البلاغة» ص٦٢٩، «لسان العرب» ٣:٦١، «القاموس المحيط» ١:٢٧١. وانظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٧٢: «معرفة الناسخ والمنسوخ» لابي حزم ص٣١٠، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ١٨٠ و«الإيضاح» لمكي ص٤١، «المعتمد» ١:٣٩٤، «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم ٤/٥٦٦، «العدة في أصول الفقه» ٣/ ٧٦٨، ٧٧٨، «الفقيه والمتفقه» ١/ ٨٠، «البرهان في أصول الفقه» ٢/ ١٢٩٣، «أصول السرخسي» ٢/ ٥٣، «المستصفى» ١/ ١٠٧، «تفسير البغوي» ١/ ١٠٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٥، «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» ص٨، «المحصول» ج ـ ١ ق٣/ ٤١٩، «التفسير الكبير» ٣/ ٢٢٦، «روضة الناظر» ص٣٦، «الإحكام في أصول الأحكام للآمدي» ٣: ١٤٦ ـ ١٥٠، «مختصر المنتهى» ٢/ ١٨٥، «كشف الأسرار» ٣: ١٥٤ ـ ١٥٥، «الإبهاج في شرح المنهاج» ٢/ ٢٤٧، «غاية الوصول» ص٨٧، «شرح الكوكب المنير» ٣/ ٥٢٥، «إرشاد الفحول» ص١٨٣ ـ ١٨٤.

النسخ في اصطلاح السلف والمتقدمين

لم يكن النسخ عند السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ـ على وجه التقريب ـ مميزاً عن غيره من أساليب البيان، فقد كانوا يطلقون النسخ على تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتفصيل المجمل، وإيضاح المبهم، ونحو ذلك، كما كانوا يطلقونه على النسخ بمعناه المعروف عند الأصوليين، بعد تحديد المصطلحات العلمية.

ولقد سجل هذه الظاهرة كثير من العلماء.

قال ابن تيمية: «والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف ـ العام ـ كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح، كتخصيص العام، وتقييد المطلق»(١).

وقال أيضاً: «إن لفظ النسخ مجمل، فالسلف كانوا يستعملونه فيما يظن دلالة الآية عليه، من عموم أو إطلاق أو غير ذلك»(٢).

وقال ابن القيم: «ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة، وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة إما بتخصيص أو تقييد، أو حمل مطلق على مقيد، وتفسيره وتبيينه، حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا، لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر، وبيان المراد، فالنسخ عندهم وفي لسانهم، هو بيان

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٣/ ٢٧٢، وانظر ص٢٩.

(٢) المصدر السابق ١٤/ ١٠١.

المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه. ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر»[1].

وقال الشاطبي: «الذي يظهر من كلام المتقدمين - أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخا، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخا، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخا، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخا، لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جئ به آخرا، فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به.

وهذا المعنى جار في تقييد المطلق، فإن المطلق متروك الظاهر مع مقيده فلا إعمال له في إطلاقه، بل المعمل هو المقيد، فكأن المطلق لم يفد مع مقيده شيئا فصار مثل الناسخ والمنسوخ، وكذلك العام مع الخاص إذا كان ظاهر العام يقتضي شمول الحكم لجميع ما يتناوله اللفظ، فلما جاء الخاص أخرج حكم ظاهر العام عن الاعتبار، فأشبه الناسخ والمنسوخ، إلا أن اللفظ العام لم يهمل مدلوله جملة، وإنما أهمل منه ما دل عليه الخاص، وبقي السائر على الحكم الأول».

والمبين مع المبهم كالمقيد مع المطلق، فما كان كذلك استسهل إطلاق لفظ النسخ في جملة هذه المعاني لرجوعها إلى شيء واحد.

ثم ذكر الشاطبي نحو عشرين مثالا، فيها إطلاق السلف النسخ على التقييد والاستثناء والبيان والتخصيص، ونحو ذلك - وجلها مما جاء في كتاب النَّحاس - ثم قال: «والأمثلة هنا كثيرة توضح لك أن مقصود

---

(١) «إعلام الموقعين» ١ : ٣٥.

المتقدمين باطلاق لفظ النسخ بيان ما في تلقي الأحكام من مجرد ظاهرة إشكال وإبهام لمعنى غير مقصود للشارع، فهو أعم من إطلاق الأصوليين، فليفهم هذا وبالله التوفيق»[1].

ويعد الشافعي أول من ميز بين النسخ وبين هذه الأساليب، فقد أطلق في كتابه «الرسالة»[2] على النسخ معانٍ عدة تميزه في الحقيقة عن غيره كلفظ التبديل والإزالة والمحو، وهذه المعاني لا توجد، في التخصيص والتقييد ونحوهما من أساليب البيان، كما ذكر أيضاً أن من لازم النسخ وجوب ترك العمل بالمنسوخ ووجوب الأخذ بالناسخ.

قال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «الشافعي حياته وعصره»[3]: «إن الشافعي في رسالته قد حرر معنى النسخ فيما ساق من أدلة وأمثلة فميزه عن تقييد المطلق، وتخصيص العام، وجعلهما من نوع البيان، وكثير من المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا يسمون تقييد المطلق نسخا، وتخصيص العام نسخا، حتى كان منهم من يجعل الاستثناء نسخا، وهكذا فلما جاء الشافعي حرر معنى النسخ، وميزه من بين تلك الإطلاقات الواسعة التي كان بإدماجها فيه غير متميز، وجعل التخصيص والتقييد من باب بيان المراد بالنص، وأما النسخ فهو رفع حكم النص بعد أن يكون ثابتا».

ومنذ عهد الشافعي، وأساليب البيان بجملتها أخذت تتميز عن النسخ لدى العلماء.

فقد جاء في عبارات ابن جرير الطبري ـ وإن كان بينه وبين الشافعي

(١) «الموافقات» ٣: ١٠٨ ـ ١١٧.
(٢) انظر: ص١٠٦ ـ ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٢٢، ١٤٣.
وانظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٠/ ٤٠٣.
(٣) ص ١٦٥، ١٦٦، وانظر: «أصول الفقه» لأبي زهرة ص١٤٦.

فترة ليست بالقصيرة - في مواضع عدة من تفسيره، ما يدل على هذا التمييز.

من ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة، آية:١١٥]. قال: «وقد دللنا في كتابنا: «كتاب البيان عن أصول الأحكام» على أن لا ناسخ من آي القرآن، وأخبار رسول الله -ﷺ- إلا ما نفى حكماً ثابتاً وألزم العباد فرضه، غير محتمل بظاهره وباطنه غير ذلك فأما إذا احتمل غير ذلك من أن يكون بمعنى الاستثناء، أو الخصوص والعموم، أو المجمل والمفسر فمن الناسخ والمنسوخ بمعزل، بما أغنى عن تكريره في هذا الموضع، ولا منسوخ إلا الحكم الذي قد ثبت حكمه وفرضه»(١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة، الآية:٢٥٦] - بعد أن رجح قول من قال: إن هذه الآية نزلت في خاص من الناس، وأنكر أن يكون شيء منها منسوخاً - قال: «وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا «كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام» من أن الناسخ غير كائن ناسخا إلا ما نفى حكم المنسوخ، فلم يجز اجتماعهما، فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل»(٢).

ويأتي بعد الطبري أبو جعفر النَّحاس فيناقش ويرد دعوى النسخ في كثير من الآيات معللا لذلك بعدم التنافي والتضاد بين الآيتين المدعى أن إحداهما ناسخة للأخرى، ومبينا أن من لازم النسخ أن تكون الآية الناسخة رافعة ومزيلة للآية المنسوخة، وفي ذكر هذه المعاني تحديد لمعنى النسخ وتمييز له، لأنها لا توجد في أساليب البيان كالتخصيص والاستثناء ونحوها.

---

(١) «تفسير الطبري» ٢:/ ٥٣٥.

(٢) «تفسير الطبري» ٥: ٤١٤، وانظر: ٤/ ٣٦٥.

كما نراه يرد دعوى النسخ في بعض الآيات لأن ما بين الآيتين المدعى أن إحداهما ناسخة للأخرى إنما هو الاستثناء أو البيان[١].

ويصرح في مواضع عدة بأن ما كان محتملا للمجمل والمفسر والخصوص، والعموم، والاستثناء، ونحوه فعن النسخ بمعزل، كما جاء في نهاية كلامه عن الآية (١١٥البقرة)، وهي الآنفة الذكر ـ وإن كان يظهر أنه استفاد ذلك من كلام الطبري المتقدم ـ قال النحاس: «والصواب أن يقال: ليست الآية ناسخة ولا منسوخة، لأن العلماء قد تنازعوا القول فيها، وهي محتملة لغير النسخ، وما كان محتملاً لغير النسخ لم يقل فيه ناسخ ولا منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها، فأما ما كان يحتمل المجمل والمفسر، والعموم والخصوص، فعن النسخ بمعزل...»[٢].

وفي نهاية كلامه على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات، الآية:١٠٢]: ذكر أن البيان والتخصيص، والاستثناء، كل منها لا يسمى نسخا[٣].

وينقل أبو عبد الله محمد بن حزم المتوفى سنة ٣٢٠هـ تقريباً في كتابه «معرفة الناسخ والمنسوخ»[٤] ثلاثة تعاريف عمن سبقه، فيها محاولة تحديد معنى النسخ الاصطلاحي وتمييزه عن غيره..

وهكذا أخذت أساليب البيان كلها منذ عهد الشافعي، وعلى امتداد القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع، تتميز عن النسخ، وأصبح من السهل التفريق بينها وتمييز بعضها عن بعض، وكان هذا نواة اعتمدت عليه المدارس الأصولية في وضع التعاريف الاصطلاحية، والمصطلحات العلمية للنسخ ولغيره من أساليب البيان.

(١) نجد أمثلة لهذا في الكلام عن منهج النحاس في مناقشة دعاوى النسخ.

(٢) انظر: ٢/ ٦٠٤.

(٣) ص ٢٦٥، ٢٦٦ وانظر: «أصول الفقه» لأبي زهرة ص١٤٦.

(٤) انظر: ص٣١١.

معنى النسخ في اصطلاح الأصوليين

حاول العلماء منذ أن تميز النسخ عندهم عن أساليب البيان، كالتخصيص والاستثناء، أن يضعوا تعريفا للنسخ يحدده بأركانه وشروطه وسائر محترزاته عن هذه الأساليب، كما حاولوا أيضاً أن يضعوا تعاريف لتلك الأساليب تميزها عنه، فمنذ القرن الثالث، وعلى امتداد القرون وكل قرن يجود لنا بعدد من العلماء يقدم كل منهم تعريفاً جديداً للنسخ.

ومن أقدم ما وصل إلينا من هذه التعاريف ما ذكره أبو عبد الله محمد ابن حزم في كتابه «معرفة الناسخ والمنسوخ»(١) عمن سبقه من العلماء، قال أبو عبد الله: «وأما حده فمنهم من قال: إنه بيان انتهاء مدة العبادة، وقيل انقضاء العبادة التي ظاهرها الدوام، وقال بعضهم: إنه رفع الحكم بعد ثبوته».

وعرفه أبو بكر الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠هـ بقوله: «بيان مدة الحكم والتلاوة»(٢).

وعرفه القاضي الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ بقوله: «هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه».

ذكره الحازمي وصححه(٣). واختاره الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، وابن عطية المتوفى سنة ٥٤٦هـ(٤).

---

(١) انظر: ص٣١١.

(٢) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٥٩.

(٣) انظر: «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» للحازمي ص٨.

(٤) انظر: «الفقيه والمتفقه» ١/ ٨٠، «المستصفى» ١/ ١٠٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٥.

واختار عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ بأنه بيان انتهاء مدة التعبد[١].

وعرفه أبو الحسين البصري المعتزلي المتوفى سنة ٤٣٦هـ بأنه «إزالة مثل الحكم الثابت، بقول منقول عن الله أو رسوله ـ ﷺ ـ أو فعل منقول عن رسوله، مع تراخيه، على وجه لولاه لكان ثابتا»[٢].

وعرفه مكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٨هـ بقوله «إزالة حكم المنسوخ كله، بغير حرف متوسط، ببدل حكم آخر أو بغير بدل، في وقت معين، فهو بيان الأزمان التي انتهى إليها العمل بالفرض الأول ومنها ابتدأ الفرض الثاني الناسخ للأول»[٣].

وعرفه ابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ بقوله: «النسخ بيان انتهاء زمان الأمر فيما لا يتكرر»[٤].

وعرفه القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨هـ بقوله: «وفي الشرع: عبارة عن إخراج ما لم يرد باللفظ العام في الأزمان، مع تراخيه عنه»[٥].

وعرفه الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ بقوله: «هو اللفظ الدال على ظهور انتفاء شرط دوام الحكم الأول»[٦].

وعرفه الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ بقوله: «طريق شرعي يدل على أن مثل الحكم الذي كان ثابتاً بطريق لا يوجد بعد ذلك، مع تراخيه عنه، على

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لعبد القاهر، ورقة (٣) مخطوط.
(٢) «المعتمد في أصول الفقه» ١/ ٣٩٧.
(٣) «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٧٤.
(٤) «الإحكام في أصول الأحكام» ٤/ ٥٤٦.
(٥) «العدة في أصول الفقه» ٣/ ٧٧٨.
(٦) «البرهان» ٢/ ١٢٩٧.

وجه لولاه كان ثابتاً»[١].

وقال ابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠هـ: «حده: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم، بخطاب متراخ عنه»[٢].

وقال الآمدي المتوفى سنة ٦٣١هـ: «النسخ عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق»[٣].

وعرفه ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ بقوله: «رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر»[٤].

واختاره الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ، والفتوحي المتوفى سنة ٩٧٢هـ، والشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ[٥] وغيرهم[٦].

وعرفه القاضي البيضاوي المتوفى سنة ٦٧٥هـ بقوله: «وهو بيان انتهاء حكم شرعي، بطريق شرعي متراخ عنه»[٧].

واختار القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ بأنه: «بيان لانتهاء مدة الحكم»[٨].

---

(١) «المحصول» ج ـ ١ ق٣/ ٤٢٨.

(٢) «روضة الناظر» ص٣٦.

(٣) «الإحكام في أصول الأحكام» ٣/ ١٥٥.

(٤) «مختصر المنتهى مع شرحه للعضد» ٢/ ١٥٨.

(٥) «الموافقات» ٣/ ١٠٧، «شرح الكوكب المنير» ٣/ ٥٢٦، «إرشاد الفحول» ص١٨٤ ـ ١٨٥.

(٦) اختاره من المتأخرين الدكتور مصطفى زيد، والدكتور بدران أبو العينين بدران، والدكتورة نادية شريف العمري.
انظر: «النسخ في القرآن الكريم» ٢/ ١٠٥، «أدلة التشريع المتعارضة» ص٣٩، «النسخ في دراسات الأصوليين» ص٥٢ ـ ٥٣.

(٧) «منهاج الوصول» ص٣٩.

(٨) «شرح تنقيح الفصول» ص٣٠٢.

وقال صدر الشريعة المتوفى سنة ٧٤٧هـ في تعريفه: «أن يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي مقتضيا خلاف حكمه»[١].

واختار تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ «بأنه رفع الحكم الشرعي بخطاب»[٢].

واختار الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ أنه «بيان مدة الحكم»[٣].
واختار أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي المتوفى سنة ٩٢٦هـ أنه: «رفع حكم شرعي بدليل شرعي»[٤].

وهو نفس تعريف ابن الحاجب، دون كلمة «متأخر». واختار هذا التعريف محمد عبد العظيم الزرقاني[٥].

هذه مجموعة من تعاريف النسخ، منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، وسأكتفي بمناقشة تعريف ابن الحاجب، الذي صححه واختاره كثير من العلماء، منهم الشاطبي والفتوحي والشوكاني، واختاره من المتأخرين الدكتور مصطفى زيد والدكتور بدران أبو العينين بدران، والدكتورة نادية شريف العمري. وهو» أن النسخ: «رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر».

وسيتبين من خلال مناقشة هذا التعريف وبيان ما عليه من مآخذ ومن خلال ذكر التعريف الصحيح المختار للنسخ، وشرح محترزاته أنه يوضح الشكل الذي أثاره بعض من لا علاقة لهم بالعلم الشرعي من غير المسلمين.

---

(١) «التوضح على التنقيح» ٢/ ٣١.
(٢) «شرح جمع الجوامع مع حاشية البناني» ٢: ٧٤ ـ ٧٥.
(٣) «البرهان» ٢/ ٣٠.
(٤) «غاية الوصول» ص٨٧.
(٥) «مناهل العرفان» ٢/ ٧٢.

وقد بالغ الدكتور مصطفى زيد في تقرير صحة هذا التعريف، وشموله وسلامته من المآخذ والاعتراضات، وذكر أن هذا التعريف تميز بخمس ظواهر، وذكرها مفصلة عنده[1].

والذي يترجح عندنا من تعاريف النسخ وبيان القول الفصل فيه تعريف أبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي للنسخ بأنه «رفع حكم شرعي بدليل شرعي» دون كلمة متأخر والذي اختاره الزرقاني يعد أسلم[2].

بقى أن أقول: إن التعريف الاصطلاحي للنسخ، الذي يعد أصح من جميع التعاريف السابقة وغيرها، والذي هو بمنتهى السهولة والوضوح والبيان، والذي لا اعتراض عليه ـ فيما أرى ـ بوجه من الوجوه: هو ما ذكره فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتابه «الأصول في علم الأصول»[3] بقوله: «واصطلاحا: رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه، بدليل من الكتاب والسنة».

فهذا التعريف مع كونه مختصرا، فهو جامع مانع، سالم من المآخذ والاعتراضات الواردة على غيره.

فقوله (رفع حكم) تعريف للنسخ على أنه فعل الشارع، خلافا للذين عرفوه بأنه الخطاب أو اللفظ أو الطريق، فهؤلاء عرفوا النسخ بدليله.

وتقييد الحكم بأنه «حكم دليل شرعي» مخرج لرفع حكم البراءة الأصلية، فلا يسمى نسخا.

(١) «النسخ في القرآن الكريم» ٢/ ١٠٥.

(٢) اختار الأستاذ عبد الله الحجي في الدراسة التي قدم بها لتحقيق كتاب «قلائد المرجان» لمرعي بن يوسف الكرمي ص٦٦ ـ أن النسخ: رفع حكم شرعي بحكم شرعي قال: «وهو نفس تعريف ابن الحاجب بعد تنقيحه.

(٣) انظر ص٣٥.

وقوله «أو لفظه» جيء به ليشمل التعريف نسخ لفظ التلاوة لأن النسخ إما أن يكون للحكم أو للفظ أو لهما معا.

وقوله (بدليل) يخرج رفع الحكم بالموت والجنون ونحوهما.

وتقييد الدليل بكونه من الكتاب والسنة، ليخرج ما عداهما من الأدلة كالإجماع والقياس فلا ينسخ بهما.

حكمة نسخ الشرائع السماوية بعضها بعضا

وضع الله - جل وعلا - جميع الشرائع السماوية لمصالح العباد في العاجل، والآجل، مع ما فيها من الابتلاء والاختبار.

ولهذا جاءت مشتملة على الدعوة إلى كل خير، والتحذير من كل شر، متناسبة مع حال الأمم المكلفة بتلك الشرائع، ولم يكن فيها مالا قدرة للمكلف عليه.

وتتفق جميع هذه الشرائع السماوية منذ أن أُهبط آدم إلى الأرض، وإلى أن ختمت الرسالات برسالة محمدﷺ (على أصول عامة، لا يقع فيها النسخ، كالدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، وحده لا شريك له).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل، آية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء، آية ٢٥].

كما تتفق هذه الشرائع أيضاً على الدعوة إلى الإصلاح، والنهي عن الفساد، والحث على فعل الفضائل، والنهي عن الرذائل، والتوجيه لكل صالح نافع، والنهي عن كل ضار، وكل ذلك مما لا يقع فيه النسخ.

وتختلف هذه الشرائع فيما بينها في كثير من الأحكام التفصيلية والتفريعات، في العبادات والمعاملات، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ

جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة، آية٤٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية، آية: ١٨].

وكان من أهم أسباب هذا الاختلاف بين الشرائع، اختلاف الأمم والطوائف، فما يصلح لأمة لا يصلح لغيرها، وما يناسب طائفة لا يناسب سواها، فكان هذا الاختلاف مقتضياً للاختلاف في الشرائع، مراعاة لمصالح العباد، وتناسب كل دعوة مع المكلفين بها.

وكان من أسباب ذلك أيضاً ما أراد الله ـ عز وجل ـ من الارتقاء والتدرج في التشريع، حتى يبلغ الكمال.

وقد اقتضى ذلك كله وقوع النسخ بين الأديان.

قال مكي بن أبي طالب في باب بيان معنى النسخ، وكيفيته، ومن أين جاز ذلك:[١].

«وذلك منه ـ تعالى ـ لما فيه من الصلاح لعباده، فهو يأمرهم بأمر في وقت لما فيه من صلاحهم في ذلك الوقت، وقد علم أنه يزيلهم عن ذلك في وقت آخر، لما علم فيه من صلاحهم، في ذلك الوقت الثاني».

وفي ذلك أيضاً ابتلاء واختبار من الله ـ جل وعلا ـ لعباده، لمعرفة مدى استعدادهم للانتقال من حكم إلى حكم آخر، ومدى قبولهم وتسليمهم، وانقيادهم ورضاهم بذلك، وهل يقومون بشكر الله عليهم، إذا كان النسخ إلى الأخف، وبالصبر إذا كان النسخ إلى أثقل[٢].

وقد ختمت الشرائع السماوية كلها بشريعة الإسلام، وختمت النبوات بمحمدﷺ ونسخ الله بهذا الدين جميع ما سبقه من الشرائع، قال تعالى:

---

(١) «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٤٩.

(٢) انظر: «الأصول في علم الأصول» ص٣٩.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران، آية٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران، آية١٩].

وتتجلى حكمة نسخ الشرائع السابقة بهذا الدين، لأنه أكمل الأديان، وأتمها، وأشملها ولهذا جاء وافيا بجميع متطلبات الإنسان المادية والمعنوية، متطلبات النفس والجسد، والعقل والفكر، شريعته صالحة لكل زمان ولكل مكان ولكل أمة، لتبقى هذه الشريعة خالدة على مر العصور وتتابع الدهور، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

حكمة وقوع النسخ في أحكام الشريعة الإسلامية بعضها بعضا:

تميزت الشريعة الإسلامية عن جميع الشرائع السماوية السابقة بأن أحكامها جاءت ميسرة سهلة، لا آصار فيها ولا أغلال. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ﴾ [الأعراف، آية ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨].

وكما وقع النسخ في الشرائع السماوية السابقة، وبين بعضها، ونسخت جميعا بشريعة الإسلام، فقد وقع النسخ أيضاً في بعض أحكام الشريعة الإسلامية.

فمن بين أحكامها ما نسخ ببدل منه، ومن بينها ما نسخ بغير بدل.

أما ما نسخ بغير بدل: فإن كان النسخ للحكم فقط ففي ذلك تخفيف عن الأمة في الأحكام والتكاليف، كما في نسخ وجوب قيام الليل إلى

عدمه، قال تعالى مبينا الحكمة في ذلك: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل، آية: ٢٠].

وإن كان النسخ للتلاوة فقط ففي ذلك تخفيف على الأمة في حفظ القرآن وتلاوته وتدبره.

وإن كان النسخ للتلاوة والحكم معا فيجتمع الأمران:

التخفيف على الأمة في الأحكام، وفي حفظ القرآن وتلاوته وتدبره.

وإن كان النسخ إلى بدل فلا يخلو أن يكون إلى بدل أخف أو أثقل أو مساو.

فالحكمة في نسخ الأثقل بالأخف، والأصعب بما هو أسهل منه تبدو واضحة في التخفيف على الناس، والتيسير عليهم والرفق بهم، كما في نسخ وجوب مصابرة الواحد للعشرة في القتال بوجوب مصابرة الواحدة للاثنين قال تعالى مبيناً الحكمة في ذلك: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال، آية٦٦].

كما يتجلى في هذا النوع من النسخ فضل الله ـ عز وجل ـ على عباده ورحمته بهم، ليشكروه ولا يكفروه.

أما حكمة نسخ الأخف بالأثقل: فتتمثل في مضاعفة الأجر وزيادة الثواب، وفي الابتلاء والاختبار من الله ـ جل وعلا ـ لعباده ليتميز الصابر المحتسب من غيره.

كما تتمثل أيضاً في التدرج والترقي بالتشريع شيئاً فشيئاً سياسة للأمة، وترويضاً لها على الالتزام بأحكام هذا الدين، ونبذ ما لديها من عقائد وعادات باطلة.

ولقد كان العرب الذين خاطبهم رسول الله بهذا الدين، من أشد

الأمم تمسكا بعقائدهم، وما وجدوا عليه آباءهم من عادات وتقاليد، سواء كانت سيئة أو حميدة، كما حكى القرآن ذلك عنهم في مواضع كثيرة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة، آية: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف، آية: ٢٢].

ولقد عبر عن هذا أبو طالب حين قال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا[1]

وحيث كان العرب بهذه المثابة فإن من الصعب نقلهم مما هم عيه نقلة واحدة، كما أن من الصعب استجابتهم لو خوطبوا أولا بالتكاليف الشاقة قبل أن يفهموا روح هذا الدين، ويعرفوا سمو مبادئه وأحكامه ويرتاضوا عليها.

وتظهر حكمة التدرج والترقي بالأمة شيئاً فشيئاً، وتزهيدها في عاداتها الباطلة، ونقلها منها رويدا رويدا، في التدرج في تحريم الخمر، الذي كان شربه عند العرب عادة متأصلة في نفوسهم، على اختلاف طبقاتهم. فلم يفاجئهم القرآن بالتحريم القاطع مرة واحدة، وإنما تدرج بهم على ثلاث مراحل.

ففي المرحلة الأولى بين لهم أن في الخمر إثما كبيرا يفوق ما فيه من منفعة، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة، آية: ٢١٩].

وفي المرحلة الثانية نهاهم عن قربان الصلاة وهم سكارى، حتى

(١) «ديوان أبي طالب» مخطوط ـ دار الكتب المصرية ٣٨/ ش.

يعلموا ما يقولون، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء، آية٤٣].

ولا شك أن في هذا النهي تقليلاً من شربها، لأن أوقات الصلاة أكثرها متقاربة، كالظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلو شربوها بعد صلاة الظهر أو العصر لجاء وقت الصلاة الأخرى، وهو لم يصح، لهذا كانوا لا يشربونها في الغالب بعد نزول هذه الآية بعد صلاة العشاء الآخرة، لأجل أن يصحوا قبل وقت صلاة الفجر.

ثم جاءت المرحلة الثالثة فيها التحريم القاطع، والزجر الشديد، والنهي الأكيد، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة، الآيتان ٩١، ٩٠].

ولقد اشتملت هاتان الآيتان على ما لا يزيد عليه من تقبيح الخمر والميسر، والإطناب في ذكر علل تحريمهما، ولهذا قال عمر ـ رضي الله عنه ـ لما تليت عليه: «انتهينا انتهينا».

وإن البون شاسع والفرق بعيد جداً بين أسلوب آيتي المائدة وبين كل من آية البقرة وآية النساء، فحين كانت آيتا المائدة في منتهى الشدة كانت آية البقرة في منتهى اللين بينما كانت آية النساء وسطا بينهما.

أما حكمة نسخ الحكم بما يساويه، من حيث صعوبته وسهولته، كما في نسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة، قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة، آية ١٤٤]، فهي الابتلاء، والاختبار من الله للمكلفين، ومعرفة من ينقاد ويسلم، ممن يعاند، ليميز الله الخبيث من الطيب.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة، آية١٤٣].

إضافة إلى الحكمة الملحوظة في الأمر الجديد الناسخ، فالتوجه إلى الكعبة فيه تميُّز عن اليهود، وبيان تولي الأمة المحمدية توجيه البشرية وقيادتها، ونزع القيادة من بني إسرائيل.

وكما تقدم أن النسخ إلى غير بدل، قد يكون للحكم، أو للتلاوة أو لهما معا، ولكل من هذه الأقسام حكمته، فكذلك النسخ إلى بدل، قد يكون للحكم، وقد يكون للتلاوة والحكم، وقد يكون للتلاوة فقط ولكل أقسامه وحكمته.

فحكمة نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ـ وهو الضرب المتفق بين الأمة على وجوده في القرآن الكريم ـ تتجلى في إبقاء ثواب التلاوة، وتذكير الأمة بحكمة النسخ في الشريعة الإسلامية، كما أن في ذلك تذكيرا بنعمة الله على خلقه، إذا كان النسخ إلى أخف بتجدد ذلك التذكير عند المسلم كلما قرأ تلك الآية المنسوخ حكمها الباقية تلاوتها.

أما حكمة نسخ التلاوة والحكم، فمنها التدرج والترقي في التشريع، والتخفيف عن الأمة في الأحكام، وفي حفظ القرآن عندما يؤمر المسلمون بتدوينه بعد أن كان النبي يأمرهم بكتابته وحده دون غيره، كما هو في حديث أبي شاة.

وأما حكمة نسخ التلاوة دون الحكم، فتظهر في اختبار الأمة في العمل بما لا يجدون لفظه متلوا في القرآن، وتحقيق إيمانهم بما أنزل الله ـ تعالى ـ عكس حال اليهود، الذين حاولوا كتم نص الرجم في التوراة.

قال الزرقاني: «أما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، فحكمته تظهر في كل آية بما يناسبها، وإنها لتبدو لنا حكمة رائعة، في مثال مشهور من هذا النوع، ذلك أنه صح في الرواية عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب أنهما قالا: كان فيما أنزل من القرآن «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما

ألبتة»، أي كان هذا النص آية تتلى، ثم نسخت تلاوتها، وبقى حكمها معمولاً به، والسر في ذلك أنها كانت تتلى أولاً لتقرير حكمها، ردعا لمن تحدثه نفسه أن يتلطخ بهذا العار الفاحش، من شيوخ وشيخات حتى إذا ما تقرر هذا الحكم في النفوس، نسخ الله تلاوته لحكمة أخرى، وهي الإشارة إلى شناعة هذه الفاحشة، وبشاعة صدورها من شيخ أو شيخة، حيث سلكها مسلك ما لا يليق أن يذكر، فضلاً عن أن يفعل، وسار بها في طريق يشبه طريق المستحيل، الذي لا يقع كأنه قال: نزهوا الأسماع عن سماعها، والألسنة عن ذكرها، فضلاً عن الفرار منها، ومن التلوث برجسها»[(١)].

هذا هو فقه وفهم علماء الإسلام لقضية النسخ في القرآن الكريم، لا كما يدعي المتفهيقون بما لا علم لهم به سوى عرض التزييف والافتراء، على توهم منهم وكأنهم يقولون: إن وقع عندنا وضع وتحريف، فالأمر كذلك عند غيرنا، لعل هذه الصفحات الموجزة تلقى آذانا لمن كان به سمع.

أهمية معرفة علم الناسخ والمنسوخ:

يأتي علم الناسخ والمنسوخ في المرتبة الأولى بين سائر علوم القرآن الكريم، فلا يجوز لأحد أن يفسر القرآن، بل ولا أن يفتي إلا وهو يعرف الناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة، إذ يتوقف على معرفة ذلك معرفة الحلال والحرام، وكثير من الأحكام.

ولقد كان السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ يستعظمون، بل ويمنعون أن يفتي الناس أو يحدثهم من لا يعرف الناسخ والمنسوخ.

---

(١) انظر: «مناهل العرفان» ٢/ ٩٢.
وانظر أيضاً: في ذكر الحكمة العامة: «المصدر السابق» ١/ ٩١، «الرسالة» ص١٠٦، «الإيضاح» لمكي ص٤٩ ـ ٥٢، «أصول السرخسي» ٢/ ٦٢، «الوصول إلى علم الأصول» ٢: ٢٢، ٢٦، «روضة الناظر» ص٤٣، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢١٧، «الموافقات» ٣/ ١٠٤، «إرشاد الفحول» ص١٨٦، «أصول الفقه» لأبي زهرة ص١٤٩، «الأصول من علم الأصول» ص٣٨.

فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «انتهى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى رجل يقص فقال: أعلمت الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت».

وعن الضحاك بن مزاحم قال: «مر ابن عباس بقاص يقص فركله برجله وقال: أتدري ما الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت».

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: «إنما يفتي الناس أحد ثلاثة: رجل تعلم منسوخ القرآن، وذاك عمر، ورجل قاض لا يجد من القضاء بدا، ورجل متكلف فلست بالرجلين الماضيين، وأكره أن أكون الثالث».

وقد أخرج الخطيب البغدادي في كتاب «الفقيه والمتفقه» عن الشافعي قال: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب الله بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله، وتنزيله، ومكيه ومدنيه وما أريد به وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن».

وليست أهمية علم الناسخ والمنسوخ مقصورة على من يتعرض لتفسير القرآن، أو يتصدر للفتوى فقط، بل عن هذا العلم في الحقيقة يأتي في مقدمة العلوم التي يجب على المسلم معرفتها وتعلمها، إذ تتوقف معرفة المسلم لكثير من أمور دينه، على معرفة الناسخ والمنسوخ، لأنه إذا كان الكتاب والسنة يشتمل كل منهما على نصوص قد نسخت أحكامها وبقيت نصوصها، فإنه يتعذر أن يعبد المسلم ربه على بصيرة من أمر دينه، ما لم يعرف المحكم من المنسوخ من هذه النصوص. إذ كيف يكون موقفه - وهو مكلف بالعمل - حين يواجه نصين أحدهما يوجب والآخر يرفع الوجوب، أو أحدهما يحرم، والآخر يبيح وهكذا؟.

قال ابن عبد البر ذكر محمد بن الحسن النقاش قال: حدثنا عبد الله ابن محمد قال: سمعت يحيى بن أكثم يقول: «ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء، وعلى المتعلمين، وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضا، والعمل به واجب لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به، ولا ينتهي إليه، فالواجب على كل عالم علْمُ ذلك، لئلا يوجب على نفسه وعلى عباد الله أمرا لم يوجبه الله، أو يضع عنهم فرضا أوجبه الله»[١].

ولذا حفظ العلماء لهذا العلم مكانته، فأولوه اهتماما كبيرا وعناية فائقة، وتناولوه بالبحث والتأليف، فتناوله بالدراسة جل الذين ألفوا في التفسير، وأفرده بالتصنيف خلق لا يحصون كثرة، إلا أن مما يؤسف له أن الكتب التي أفردت هذا العلم بالتنصيف مازال معظمها مخطوطاً.

وقد ذكر مكي عناية العلماء بهذا الفن، وأهميته، فقال: «وإن من أكبر ما عني أهل العلم والقرآن بفهمه وحفظه والنظر فيه من علوم القرآن وسارعوا إلى البحث عن فهمه وعلمه وأصوله علم ناسخ القرآن ومنسوخه، فهو علم لا يسع كل من تعلق بأدنى علم من علوم الديانة جهله»[٢].

وقال القرطبي: «معرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهالة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام»[٣].

ولقد نبه العلماء على أن المعرفة التامة في هذا العلم ليست بالشيء اليسير السهل.

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» ص٢٧٥.

(٢) انظر: «الإيضاح» ص٣٩.

(٣) «تفسير القرطبي» ٢/ ٦٢.

من ذلك ما أخرجه ابن الجوزي عن محمد بن سيرين قال: «جهدت أن أعلم الناسخ والمنسوخ فلم أعلمه»[١].

وقال ابن حزم: «إعلم أن هذا الفن من العلم من تتمات الاجتهاد، إذ الركن الأعظم في باب الاجتهاد معرفة النقل، ومن فوائد النقل معرفة الناسخ والمنسوخ»[٢].

كما حذر العلماء من الخوض فيه بلا علم، وحرموا القول فيه بلا يقين.

قال ابن حزم الظاهري: «لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء من القرآن والسنة هذا منسوخ إلا بيقين لأن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ فكل ما أنزله الله ـ تعالى ـ في القرآن وعلى لسان نبيه ففرض اتباعه، فمن قال في شيء من ذلك إنه منسوخ فقد أوجب ألا يطاع ذلك الأمر، وأسقط لزوم اتباعه وهذه معصية لله ـ تعالى ـ مجردة، وخلاف مكشوف، إلا أن يقوم برهان على صحة قوله، وإلا فهو مفتر باطل، ومن استجاز خلاف ما قلنا فقوله يؤول إلى إبطال الشريعة كلها، لأنه لا فرق بين دعواه النسخ في آية ما، وحدث ما، وبين دعوى غيره النسخ في آية أخرى، وحديث آخر، فعلى هذا لا يصح شيء في القرآن والسنة، وهذا خروج على الإسلام، وكل ما ثبت بيقين فلا يبطل بالظنون، ولا يجوز أن نسقط طاعة أمر أمرنا به الله ـ تعالى ـ ورسوله إلا بيقين نسخ لا شك فيه»[٣].

وقال الشاطبي: «إن الأحكام إذا ثبتت على المكلف فادعاء النسخ فيها لا يكون إلا بأمر محقق، لأن ثبوتها على المكلف أولا محقق، فرفعها

(١) «نواسخ القرآن» ص١١٠.
(٢) «معرفة الناسخ والمنسوخ» ص٣٠٨، وانظر « الاعتبار» لابن حازم ص٥ ـ ٦.
(٣) «الإحكام في أصول الأحكام» ٤/ ٥٩٠/ ٥٩١.

بعد العلم بثبوتها لا يكون إلا بأمر محقق، ولذلك أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن، ولا الخبر المتواتر، لأنه رفع للمقطوع به بالمظنون»[١].

قال الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الذي ولد عام ٧٤٥هـ بالقاهرة في كتابه: «البرهان في علوم القرآن» ومن المجلد الثاني صفحات ٢٨ ـ ٤٨ عن هذا العلم «الناسخ والمنسوخ»: «... أنه عظيم الشأن، وقد صنف فيه جماعة منهم قتادة بن دعامة[٢] السَّدوسي، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم[٣]، وأبو داود السجستاني[٤]، وأبو جعفر[٥] النحاس، وهبة الله بن سلاَّم[٦] الضرير، وابن العربي[٧]، وابن الجوزي[٨]، وابن

(١) «الموافقات» ٣: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) أحد التابعين بالبصرة؛ وممن روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وعبد الله ابن سرجس وغيرهم، توفي سنة ١١٨. تذكرة الحفظ ١/ ١١٥.

(٣) توفي سنة ٢٢٣هـ، وانظر ترجمته وأخباره في إنباه الرواة ٣/ ١٢.

(٤) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو داود السجستاني، صاحب السنن، توفي سنة ٢٧٥، ابن خلكان ١/ ٢١٤.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي أبو جعفر النحاس، أحد أئمة العلم واللغة بمصر، وكتابه الناسخ والمنسوخ، ذكره القفطي وأثنى عليه، طبع بمصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٣، توفي سنة ٣٣٨هـ، وانظر إنباه الرواة ١/ ١٠١.

(٦) طبع كتابه بمصر بمطبعة هندية سنة ١٣١٥هـ (بحاشيته أسباب النزول للواحدي)، ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية. وهو هبة الله بن سلامة بن أبي القاسم البغدادي؛ ذكره ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٤١٠هـ من كتاب شذرات الذهب.

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي: صاحب كتاب أحكام القرآن: توفي على مرحلة من فاس، سنة ٤٦هـ.

(٨) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، الفقيه الحنبلي المتوفي سنة ٥٩٧ واسم كتابه: أخبار الرسوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ؛ طبع مع كتاب مراتب المدلسين لابن حجر بمصر سنة ١٣٢٢، وانظر معجم المطبوعات ٦٧، ٨١.

الأنباري[١]، ومكّيّ[٢]، وغيرهم.

ومن ظريف ما حكى في كتاب هبة الله أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٣] منسوخ من هذه الجملة ﴿وَأَسِيرًا﴾، والمراد بذلك أسير المشركين، فقرىء الكتاب عليه وابنته تسمع، فلما انتهى إلى هذا الموضع قالت: أخطأت ياأبت في هذا الكتاب فقال لها: وكيف يابنية؟ قالت: أجمع المسلمون على أنّ الأسيرَ يُطْعَم ولا يقتل جوعا.

قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسّر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال عليّ بن أبي طالب لقاصّ: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم، قال: هلكت وأهلكت.

والنسخُ يأتي بمعنى الإزالة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٤].

ويأتي بمعنى التبديل كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾[٥].

وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث ـ بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الأنباري، صاحب كتاب الوقف والابتداء؛ المتوفي سنة ٣٢٨هـ.

(٢) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرىء، المتوفي سنة ٣١٣؛ أورد القفطي في إنباه الرواة ٣/ ٣١٥ ثبتاً بمصنفاته، ومنها كتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، في ثلاثة أجزاء، وكتاب الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه، في جزء.

(٣) سورة الإنسان: ٨.

(٤) سورة الحج: ٥٢.

(٥) سورة النحل، ١٠١.

ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه: «نسخت الكتاب» إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه. قال مكيّ: وهذا الوجه لا يصح أن يكون في القرآن، وأنكر على النحاس إجازته ذلك، محتجاً بأن النّاسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ، وإنما يأتي بلفظ آخر. وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن بركات السعدي: يشهد[1] لما قاله النحاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[3]، ومعلوم أنّ ما نزل من الوحي نجوماً جميعُه في أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ كما قال: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[4].

ثم اختلف العلماء، فقيل: المنسوخ ما رُفع تلاوةُ تنزيله، كما رفع العمل به، ورُدّ بما نسخ الله من التوراة بالقرآن والإنجيل وهما متلوان.

وقيل: إن الله تعالى نسخ القرآن من اللوح المحفوظ الذي هو أمّ الكتاب، فأنزله على نبيّه، والنسخ لا يكون إلا من أصلٍ.

والصحيح جواز النسخ، ووقوعه سمعا وعقلا.

ثم اختلفوا فقيل: لا يُنسخ قرآن إلا بقرآن لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[5]، قالوا: ولا يكُونُ مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن.

(١) ذكر السيوطي في البغية ٢٤ أن لمحمد بن بركات كتاباً في الناسخ والمنسوخ سماه الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ، ألفه للأفضل بن أمير الجيوش.

(٢) سورة الجاثية، ٢٩.

(٣) سورة الزخرف، ٤.

(٤) سورة الواقعة، ٧٨،٧٩.

(٥) سورة البقرة: ١٠٦.

وقيل: بل السنة لا تنسخ السنة.

وقيل: السّنة إذا كانت بأمر الله من طريق الوحي نسخت، وإن كانت باجتهاد فلا تنسخه، حكاه ابن حبيب النيسابوري في تفسيره.

وقيل: بل إحداهما تنسخ الأخرى، ثم اختلفوا فقيل: الآيتان إذا أوجبتا حكمين مختلفين، وكانت إحداهما متقدمة الأخرى، فالمتأخرة ناسخة للأولى، كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١] ثم قال بعد ذلك: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾[٢]، وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾[٣] قالوا: فهذه ناسخة للأولى، ولا يجوز أن يكون لهما الوصية والميراث.

وقيل: بل ذلك جائز، وليس فيهما ناسخ ولا منسوخ، وإنما نسخ الوصية للوارث بقوله ﷺ: «لا وصِيّة لوارث». وقيل: ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة.

ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخا، وذلك كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[٤]، نسخها بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٥]، ثم نسخ هذه أيضاً بقوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾[٦] وقوله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[٧] وناسخه قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

(١) سورة البقرة: ١٨٠.
(٢) سورة النساء: ١١.
(٣) سورة النساء: ١١.
(٤) سورة الكافرون، ٦.
(٥) سورة التوبة، ٥.
(٦) سورة التوبة، ٢٩.
(٧) سورة البقرة، ١٠٩.

ثم نسخها: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾.

ولا خلاف في جواز نسخ الكتاب بالكتاب، قال الله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[١] وقال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾[٢]، ولذلك نسخ السنة بالكتاب كالقصّة في صوم عاشوراء برمضان وغيره.

واختلف في نسخ الكتاب بالسنة، قال ابن عطية، حُذّاق الأمة على الجواز، وذلك موجود في قوله ﷺ: «لا وصيّةَ لوارث»، وأبى الشافعي ذلك[٣]، والحجة عليه من قوله في إسقاط الجَلْد في حدّ الزنا عن الثيّب الذي رجم، فإنه لا مسقط لذلك إلا السنة فعل النبي ﷺ.

قلنا: أما آيةُ الوصية فقد ذكرنا أنَّ ناسخها القرآن، وأما ما نقل عن الشافعي فقد اشتهر ذلك لظاهر لفظ ذكره في الرسالة[٤]، وإنما مراد الشافعي أن الكتابَ والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله ناسخ له، وهذا تعظيم لقدر الوجهين وإبانة تعاضدهما وتوافقهما؛ وكل من تكلم على هذه المسألة لم يفهم مرادَه.

وأما النسخ بالآية فليس بنسخ بل تخصيص، ثم إنه ثابت بالقرآن الذي نسخت تلاوته، لأنه لم يكن مدوناً لا في عهد النبي ولا في عهد الصحابة وهو: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما»[٥]

(١) سورة البقرة: ١٠٦.

(٢) سورة النحل: ١٠١.

(٣) انظر الرسالة، ص١٣٧ ـ ١٤٦.

(٤) انظر الرسالة، ص١٣٧ ـ ١٤٦.

(٥) انظر فتح الباري، ١٢/ ١٢٧.

جواز النسخ والفرق بينه وبين البَداء[1]

اتفق جمهور علماء الأمة على جواز النسخ عقلاً وشرعاً، وانقسم اليهود في ذلك ثلاثة أقسام:

فالقسم الأول قالوا: لا يجوز عقلاً ولا شرعاً، وزعموا أن النسخ هو عين الْبَدَاء.

والقسم الثاني قالوا: يجوز عقلاً وإنما منع الشرع من ذلك، وزعموا أن موسى عليه السلام قال: إن شريعته لا تنسخ من بعده، وإن ذلك في التوراة. ومن هؤلاء من قال: لا نسخ إلا في موضع واحد، وهو أنه يجوز نسخ عبادة أمر الله بها، بما هو أثقل على سبيل العقوبة لا غير.

والقسم الثالث قالوا: يجوز شرعاً لا عقلاً. واختلف هؤلاء في عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم: فمنهم من قال: لم يكونا نبيين لأنهما لم يأتيا بمعجزة، وإنما أتيا بما هو من جنس الشعبذة[2]. ومنهم من قال: كانا نبيين صادقين غير أنهما لم يبعثا بنسخ شريعة موسى، ولا بُعثا إلى بني إسرائيل، إنما بُعثا إلى العرب والأميين.

وأما الدليل على جواز النسخ عقلاً فهو أن التكليف لا يخلو أن يكون موقوفاً على مشيئة المكلِّف، أو على مصلحة المكلَّف، فإن كان الأول فلا يمتنع الثاني فجائز أن تكون المصلحة للعباد في فعل عبادةٍ زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ.

---

(١) البداء ـ بفتح الموحدة ـ: قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص:١١: «وأما البداء فهو ترك ما عزم عليه» وقال مكي بن أبي طالب: «ظهور رأي محدث لم يظهر قبل» انظر الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص:٩٨، وأما ابن حزم فعرف البداء بأنه الأمر لا يدري آمره ما يؤول إليه الحال. «الإحكام في أصول الأحكام» ٤/ ٥٧٤، والمصفى بألف أهل الرسوخ، وانظر لسان العرب ١٤/ ٦٦. وغيره من كتب اللغة مادة «ب د ي» وسيفصل المصنف الفرق بينهما ص:١٠٧.

(٢) الشعبذة، والشعوذة بمعنى. والمشعبذ: الهازي. وقال الخليل: «الشعوذة ليست من كلام أهل البادية، وهي خفة في اليدين، وأُخْذَةٌ كالسحر».

ويوضح هذا أنه قد جاز في العقل تكليف عبادة متناهية كصوم يوم، وهذا تكليف انقضى بانقضاء زمان، ثم ثبت أن الله تعالى ينقل من الفقر إلى الغنى، ومن الصحة إلى السقم، وقد رتب الحر والبرد، والليل والنهار، وهو أعلم بالمصالح، والحكم.

والدليل على جواز النسخ شرعاً أنه قد ثبت أن من دين آدم ـ عليه السلام ـ وطائفةٍ من أولاده جواز نكاح الأخوات[١]، وذوات المحارم، والعمل في يوم السبت، ثم نسخ ذلك في شريعة موسى. وكذلك الشحوم كانت مباحة ثم حرمت في دين موسى[٢]، فإن ادعوا أن هذا ليس بنسخ، فقد خالفوا في اللفظ دون المعنى.

وأما قول مَنْ قال: لا يجوز النسخ إلا على وجه العقوبة فليس بشيء، لأنه إذا جاز النسخ في الجملة، جاز أن يكون للرفق بالمكلف كما جاز التشديد عليه.

وأما دعوى من ادعى أن موسى أخبر أن شريعته لا تنسخ فمحال. ويقال: إن ابن الراوندي[٣] علمهم أن يقولوا: أنَّ مُوسَى قَالَ: لاَ نَبِيَّ بَعْدِي.

(١) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٨٨ ـ ١٨٩، وابن كثير ٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣، والدر المنثور ٢/ ٢٧٣.

(٢) يعني بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(٣) ابن الراوندي هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين قال ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٩٩: «الملحد، الزنديق، وإنما ذكرته ليعرف قدر كفره، فإنه معتمد الملاحدة والزنادقة، ويذكر أن أباه كان يهودياً. وأسلم هو فكان بعض اليهود يقول للمسلمين: لا يفسد عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة.
فعلم أبو الحسن اليهود وقال: قولوا عن موسى أنه قال: «لا نبي بعدي...». =

ويدل على ما قلنا أنه لو صح قولهم، لما ظهرت المعجزات على يد عيسى، لأن الله تعالى لا يصدق بالمعجزة من كذب موسى، فإن أنكروا معجزة عيسى، لزمهم ذلك في معجزة موسى، فإن اعترفوا ببعض معجزاته، لزمهم تكذيب من نقل عن موسى لأنه قال: لاَ نَبِيَّ بَعْدِي.

ومما يدل على كذبهم فيما ادعوا: أن اليهود كانوا يحتجون على نبينا محمدﷺ بكل شيء، وكان نبينا مصدقاً لموسى، وحكم عليهم بالرجم عملاً بما في شريعة موسى عليه السلام[1] فهلا احتجوا عليه بذلك؟ ولو احتجوا،

= وقال: «كان ابن الراوندي يلازم الرافضة وأهل الإلحاد، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر...».

وقال: «وأما ابن الراوندي فإنه هرب ـ عندما طلبه السلطان ـ إلى ابن لاوى اليهودي ووضع له كتاب «الدامغ» في الطعن على محمد ﷺ وعلى القرآن، ثم لم يلبث أياماً يسيرة حتى مرض ومات».

وقال ابن الجوزي أيضاً ٦/ ١٠٥: «ورأيت بخط ابن عقيل أنه صلبه بعض السلاطين والله أعلم. وقال ابن عقيل: ووجدت في تعليق محقق من أهل العلم أن ابن الراوندي مات وهو ابن ست وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازي...». وانظر ابن خلكان ١/ ٩٤ ـ ٩٥، وشذور الذهب ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، والفهرست:١٠٨، والبداية لابن كثير ١١/ ١١٢ ـ ١١٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٧٥، ولسان الميزان ١/ ٣٢٣، ومعاهد التنصيص. وانظر الأعلام ١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ فعنده مصادر أخرى لترجمته.

(١) وقد جاء ذلك في حديث ابن عمر الذي أخرجه مالك في الحدود (١) باب: ما جاء في الرجم، وأحمد ٢/ ٥، والبخاري في الجنائز (١٣٢٩) باب: الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد، وفي الأنبياء (٣٦٣٥)، وفي التفسير (٤٥٥٦)، وفي المحاربين (٦٨١٩/ ٦٨٤١)، وفي التوحيد (٧٢٣٢/ ٧٥٤٣)، ومسلم في الحدود (١٦٩٩) باب: رجم اليهود ـ أهل الذمة ـ بالزنى، وأبو داود في الحدود (٤٤٤٦،٤٤٤٩) باب في رجم اليهوديين، والترمذي في الحدود (١٤٣٦) باب: ما جاء في رجم أهل الكتاب، وابن ماجه في الحدود (٢٥٥٦) باب: رجم اليهودي، واليهودية، والدارمي في الحدود ٢/ ١٧٨ باب: في الحكم بين أهل الكتابين إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين. في حديث جابر أيضاً وقد استوفيت تخريجه في صحيح ابن حبان برقم (٤٤٣٠).

لشاع نقل ذلك، فدل على أنه قول ابتدع بعد نبينا محمدﷺ.

وأما قول من قال: إن عيسى ومحمداً كانا نبيين، لكنهما لم يبعثا إلى بني إسرائيل، فَتَغْفيلٌ مِن قائله، لأنه إذا أقرَّ بنبوة نبي، فقد أقر بصدقه، لأن النبي لا يكذب. وقد كان عيسى يخاطب بني إسرائيل، ونبينا يقول: «بُعِثْتُ إِلَى النَّاس كَافَّةً»[1]، ويكاتب ملوك الأعاجم.

فأما الفرق بين النسخ والبداء، فذلك من وجهين:

أحدهما: أن النسخ تغيير عبادة أمر بها المكلف، وقد علم الآمر أن لتكليف المكلف بها غاية ينتهي الإيجاب إليها ثم يرتفع بنسخها.

والبداء: أن ينتقل الآمر على ما أمر به وأراده دائماً بأمر حادث لا بعلم سابق.

والثاني: أن سبب النسخ لا يوجب إفساد الموجب لصحة الخطاب الأول. والبداء يكون سببه دالاً على إفساد الموجب لصحة الأمر الأول، مثل أن يأمره بعمل يقصد به مطلوباً، فيتبين أن المطلوب لا يحصل بذلك الفعل، فيبدو له ما يوجب الرجوع عنه. وكلا الأمرين يدل على قصوره في العلم، والحق ـ عزَّ وجلَّ ـ منزَّه عن ذلك.

هل في القرآن منسوخ

انعقد إجماع العلماء على هذا، إلا أنه قد شذ من لا يلتفت إليه، فحكى أبو جعفر النحاس[2] أن قوماً قالوا: ليس في القرآن ناسخ ولا

---

(١) هو جزء من حديث جابر الذي أخرجه أحمد ٣/ ٣٠٤، والبخاري في التيمم (٣٣٥)، وفي الصلاة (٤٣٨) باب: قول النبي (: «جعلت لي الأرض مسجداً طهوراً». وفي فرض الخمس (٣١٢٢) باب: قول النبي (: «أحلت لكم الغنائم» ومسلم في المساجد (٥٢١)، والنسائي في الغسل (٤٣٢) باب: التيمم بالصعيد، والدارمي في الصلاة ١/ ٣٢٢ باب: الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٣١٦، وانظر «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين» بتحقيق الأستاذ محمود الأرناؤوط.

(٢) أبو جعفر النحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل من أهل مصر، رحل إلى =

منسوخ[1]، وهؤلاء قوم لا يعدون لأنهم خالفوا نص الكتاب، وإجماع الأمة:

قال الله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[2].

= بغداد فأخذ عن المبرد، والأخفش، والزجاج، ونفطويه، وغيرهم، وهو صاحب الفضل الشائع، والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته عن الإطناب في صفته، له عدد من المصنفات منها «الناسخ والمنسوخ» و «إعراب القرآن». توفي سنة (٣٣٨) وقيل سنة (٣٣٧). انظر معجم الأدباء ٤/ ٢٢٤ ـ ٢٣٠، ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٩٩ ـ ١٠٠، أنباه الرواة ١/ ١٠١، وبغية الدعاة: ١٥٧، والعبر للذهبي ٢/ ٢٤٦، والشذرات ٢/ ٣٤٦، وروضان الجنان: ٦٠، والزبيدي: ٢٣٩، ونزهة الألباء: ٢٠١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٠، والبداية لابن كثير ١١/ ٢٢٢، وآداب اللغة ٢/ ١٨٢، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ٣٦٤، وذكر الأستاذ كحالة في الكتب المخطوطة التي ترجمت له: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٩، وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٢/ ٨١، والوافي للصفدي ٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠.

(١) ونص النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص: ٣ ـ ٤: «فمن المتأخرين من قال: ليس في كتاب الله عز وجل ناسخ ولا منسوخ، وكابر العيان واتبع غير سبيل المؤمنين».

(٢) لتمام الفائدة نرى أن ننقل تفسيره لآية البقرة (١٠٦) والقراءات الواردة من زاد المسير ١/ ١٢٧ ـ ١٢٨ يقول: «قوله تعالى: (ما ننسخ من آية):

سبب نزولها أن اليهود قالت لما نسخت القبلة: إن محمداً يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء. فنزلت هذه الآية.

قال الزجاج: النسخ في اللغة إبطال شيء وإقامةُ آخر مقامه. تقول العرب: نسخت الشمس الظل إذا أذهبته وحلت محله. وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال:

أحدها: رفع اللفظ والحكم.

والثاني: تبديل الآية بغيرها، رويا عن ابن عباس. والأول قول السدي، والثاني قول مقاتل.

والثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية.

وقرأ ابن عامر: (ما نُنْسِخ) بضم النون وكسر السين. قال أبو علي: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحمد فلاناً أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنسخه إياه.

قوله تعالى: (أو ننسها) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (ننسأها) بفتح النون مع الهمزة، والمعنى: نؤرخها. قال أبو زيد: نسأت الإبل عن الحوض، فأنسأها إذا =

وأخبرنا المبارك بن علي، أخبرنا أحمد بن قريش قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس الوراق، قال: أنبأنا عبد الله بن أبي داود، قال: حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم، عن أبيه، عن نهشل بن سعيد، عن الضحاك، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، قال: في الناسخ والمنسوخ(١).

قال ابن أبي داود: وحدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا أبو صالح

= أخرتها، ومنه النسيئة في البيع.
وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال:
أحدها: نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها. قاله الفراء.
والثاني: نؤخرُ إنزالها فلا ننزلها ألبتة.
والثالث: نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها. حكاها أبو علي الفارسي.
وقرأ سعد بن أبي وقاص «تَنْسِهَا» بتاء مفتوحة ونون.
وقرأ سعيد بن جبير والضحاك «تَنْسَهَا» بتاء مفتوحة ونو.
وقرأ نافع «أو نُنْسِهَا» بنونين: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، اراد: أو نُنْسِكَهَا، من النسيان.
وانظر الحجة لأبي علي الفارسي ٢/١٨٦ ـ ٢٠٢ نشر دار المأمون للتراث، وحجة القراءات لابن زنجلة ص: ١٠٩ ـ ١١٠، بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ١/٢٥٧ ـ ٢٦٠، والخازن ١/٣٧ ـ ٧٤، والمصاحف لابن أبي داود ص٩٦ ـ ٧٩، وتفسير الطبري ١/٤٧٦ ـ ٤٧٨، والدر المنثور ١/١٠٤ ـ ١٠٥.

(١) إسناده ضعيف جداً، نهشل بن سعيد متروك الحديث، وكذبه إسحاق بن راهويه وغيره، والضحاك هو ابن مزاحم.
وقوله: (ويُثْبِتُ) قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم بالتخفيف من: «أثبت، يثبت، إثباتاً، فهو مثبت» إذا كتب.
وقرأ الباقون: (يُثَبِّتُ) بالتشديد، أي: يقر الله ما قد كتبه فيتركه على حاله، وانظر الطبري ١٣/١٧٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٢٣، وحجة القراءات =

قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: يبدل الله ما يشاء من القرآن، ويثبت ما يشاء فلا يبدله، وكل ذلك في كتاب(١).

قال ابن أبي داود: وحدثنا يونس بن حبيب قال: حدثنا أبو داود.

= لابن زنجلة ص٣٧٤.
وقوله: (يمحو الله ما يشاء...) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨:
«واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال:
أحدهما: أنه عام في الرزق والأجل، والسعادة والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل، والضحاك، وابن جريج.
والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ ويثبت الناسخ. روى هذا المعنى على بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، والقرظي، وابن زيد.
وقال ابن قتيبة، (يمحو الله ما يشاء) أي: ينسخ من القرآن ما يشاء. (ويثبت)، أي: يدعه ثابتاً لا ينسخه وهو المحكم.
والثالث: أنه يمحو ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت. رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس.
والرابع: يمحو ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيران. قاله مجاهد.
والخامس: يمحو من جاء أجله، ويثبت من لم يجيء أجله، قاله الحسن.
والسادس: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها، روي عن سعيد بن جبير.
والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، قال عكرمة.
والثامن: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب. قاله الضحاك، وأبو صالح...».
وقد رجح الطبري القول الخامس، وهو قول الحسن، وانظر الطبري ١٣/ ١٦٥ ـ ١٧٢.

(١) إسناد ضعيف، أبو صالح هو عبد الله بن صالح، نعم صدوق، غير أنه كثير الغلط وكانت فيه غفلة، وعلى بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس ولم يسمع عنه.
وأخرجه الطبري ١٣/ ١٦٩ من طريق المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح أبو صالح، بهذا الإسناد.
ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٦٧ إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في المدخل.

وقال: حدثنا همام، عن قتادة. عن كرمة في قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: ينسخ الآية بالآية فترفع، : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ أصل الكتاب(١).

قال: وحدثنا علي بن حرب، ومصعب بن محمد، ويعقوب بن سفيان قالوا: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب في قوله - عز وجل - ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ قال: نزلت في الناسخ والمنسوخ(٢).

وقال حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا كثير بن يحيى قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا يونس بن عبيد، وهشام بن حسان، جميعاً عن محمد بن سيرين: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: يرفعه، ويثبت ما يشاء فيدعه مقراً له(٣).

قال: وحدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا شيبان، عن قتادة: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]، قال: المحكمات: الناسخ الذي يعمل به(٤).

قال: وحدثنا ...﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]، قال: لم

(١) أبو داود وهو الطيالسي، والأثر موقوف على عكرمة، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٧ إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وانظر ما قبله وما بعده.

(٢) إسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي، وانظر تعليقنا على حديث ابن عباس السابق.

(٣) إسناد ضعيف، يحيى بن كثير أبو النضر قال ابن معين: ضعيف. وقال أبو حاتم، وأبو زرعة: «ضعيف الحديث». وقال أبو حاتم: «ضعيف الحديث، ذاهب الحديث جداً». الجرح والتعديل ٩/ ١٨٢ - ١٨٣.

(٤) إسناده صحيح إلى قتادة وهو موقوف عليه. موسى بن هارون هو الطوسي، وحسين هو ابن محمد المؤدب، وشيبان هو ابن عبد الرحمن النحوي.

(٥) هذا الإسناد فيه سقط كثير كما ترى. وانظر ما بعده، وانظر تفسير الطبري ١/ ٤٧٧.

تنسخ[١].

ورواه سفيان، عن سلمة، عن الضحاك قال: المحكمات: الناسخ[٢].

أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا (أبو الفضل البقال، قال: أخبرنا ابن بشران) قال: أخبرنا إسحاق بن أحمد الكاذي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثني أبي قال: حدثنا وكيع، عن سلمة ابن نبيط.عن الضحاك قال: المتشابه ما قد نسخ. والمحكمات ما لم ينسخ[٣].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «أُبَيٌّ أَعْلَمُنَا بِالْمَنْسُوخِ»[٤].

---

(١) إسناده صحيح إلى الضحاك وهو موقوف عليه، وسلمة هو ابن نبيط.
وأخرجه الطبري في التفسير ٣/ ١٧٣ من طريق ابن وكيع قال: حدثني أبي، عن سلمة بن نبيط، بهذا الإسناد. ولفظه: «المحكم ما لم ينسخ، وما تشابه منه ما نسخ». وابن وكيع ساقط الحديث.
ولكنه أخرجه أيضاً ٣/ ١٧٣ من طريق أحمد بن حازم قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سلمة، به. وانظر الأثر التالي.

(٢) إسناده صحيح إلى الضحاك، وانظر سابقه، وزاد المسير ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١١٣، والبخاري في التفسير (٤٤٨١) باب: قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾، وفي فضائل القرآن (٥٠٠٥) باب: القراء من أصحاب النبيﷺ، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» ٢/ ٤٨١، والحاكم ٣/ ٣٠٥ من طريق سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال عمر: «أقرؤنا أبي، وأقضانا عليّ، وإنا لندع من قول أبي، وذاك أن أبياً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول اللهﷺ وقد قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾.
وقال الحافظ في الفتح ٨/ ١٦٧: «واستدل بالآية المذكورة على وقوع النسخ خلافاً لمن شذ فمنعه، وتعقب بأنها قضية شرطية لا تستلزم الوقوع».
وانظر «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٩١ بتحقيقي مع الشيخ شعيب الأرناؤوط.

بيان حقيقة النسخ

سبقت الإشارة إلى أن النسخ يأتي في اللغة على معنيين:

أحدهما: الرفع والإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل إذا رفعت ظل الغداة بطلوعها وخلفه ضوؤها. ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ [الحج: ٥٢].

والثاني: تصوير مثل المكتوب في محل آخر، يقولون: نسخت الكتاب. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] [الجاثية: ٢٩].

وإذا أطلق النسخ في الشريعة أريد به المعنى الأول، لأنه رفع الحكم الذي ثبت تكليفه للعباد، إما بإسقاطه إلى غير بدل، أو إلى بدل.

يقول الإمام الشيخ ابن عبيد الله[2]: الخطاب التكليف على ضربين: أمر، ونهي.

---

(١) وازن ما كتبه هنا مع ما قاله في زاد المسير ١/ ١٢٧.

(٢) علي بن عبيد الله هو ابن نصر أبو الحسن بن الزاغوني، شيخ الحنابلة وواعظهم، وأحد أعيانهم، قرأ القرآن بالروايات، وطلب الحديث، وكان متفننا في علوم شتى من الأصول والفروع والوعظ والحديث. وصنف في ذلك كله، وقال الحافظ ابن رجب: كان ثقة، صحيح السماع، صدوقاً، توفي سنة (٥٢٧).

وانظر المنتظم ١٠/ ٣٢، والعبر ٤/ ٧٢، والكامل لابن الأثير ١١/ ٩، مشيخة ابن الجوزي ص: ٧٩ ـ ٨٠، ومناقب الإمام أحمد ص٥٢٩، والبداية والنهاية =

فالأمر: استدعاء الفعل، والنهي: استدعاء الترك.

واستدعاء الفعل يقع على ثلاثة أضرب:

أحدها: ما يكون على سبيل الإلزام والانحتام إما بكونه فرضاً، أو واجباً، ونسخ ذلك يقع على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يخرج من الوجوب إلى المنع، مثلما كان التوجه إلى بيت المقدس واجباً ثم نسخ بالمنع منه(١).

والثاني: أن ينسخ من الوجوب إلى الاستحباب، مثل نسخة وجوب الوضوء لكل صلاة، إلى أن جعل مستحباً(٢).

والثالث: أن ينسخ من الوجوب إلى الإباحة، مثل نسخ وجوب الوضوء، مما غيرت النار إلى الجواز، فصار الوضوء منه جائزاً(٣).

والضرب الثاني: استدعاء على سبيل الاستحباب، فهذا ينتقل إلى

= ١٢/ ٢٠٤، وشذرات الذهب ٤/ ٨٠ ـ ٨١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢١٦، واللباب ٢/ ٥٣، والأعلام ٤/ ٣١٠، ومعجم المؤلفين لكحالة ٧/ ١٤٤ وفيهما عدد من المصادر التي ترجمته

(١) انظر الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥] القادمة..

(٢) انظر حديث بريدة الذي أخرجه أحمد ٥/ ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٨، ومسلم في الطهارة (٢٧٧) باب: جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، وأبو داود في الطهارة (١٧٢) باب: الرجل يصلي الصلوات بوضوء واحد، والترمذي في الطهارة (٦١) باب: ما جاء أنه يصلي الصلوات بوضوء واحد، والنسائي في الطهارة ١/ ٨٦ باب: الوضوء لكل صلاة.
ولفظه عند مسلم: «أن النبيﷺ صلَّى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد، ومسح على خفيه. فقال له عمر: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه؟ قال: «عمداً صنعته يا عمر».

(٣) وقد روى هذا أكثر من صحابي: منهم جابر، وحديثه في مسند أبي يعلي الموصلي ٤/ ١٤.
ومنهم ابن عباس، وابن مسعود وكلاهما في مسند أبي يعلى.

ثلاثة أوجه أيضاً:

أحدها: أنْ ينتقل من الاستحباب إلى الوجوب، وذلك مثل الصوم في رمضان، كان مستحباً فإن تركه وافتدى جاز، ثم نسخ ذلك بانحتامه في حق الصحيح المقيم.

والثاني: أن ينسخ من الاستحباب إلى التحريم، مثل نسخ اللطف بالمشركين وقول الحسنى لهم، فإنه نسخ إلى الأمر بقتالهم.

والثالث: أن ينسخ من الاستحباب إلى الإباحة، مثل نسخ استحباب الوصية للوالدين[١] بالإباحة.

والضرب الثالث: المباح. وقد اختلف فيه العلماء: هل هو مأمور به، والصحيح أنه مأذون فيه، غير مأمور به؟ ويجوز أن يدخله النسخ عن وجه واحد، وهو النسخ إلى التحريم. مثاله: أن الخمر كانت مباحة ثم حرمت[٢].

وأما نسخ الإباحة إلى الكراهة فلا يوجد، لأنه لا تناقض. فأما انتقال المباح إلى كونه واجباً فليس بنسخ، لأن إيجاب المباح إبقاء تكليف لا نسخ.

وأما القسم الثاني من الخطاب وهو النهي، فهو يقع على ضربين:

أحدهما: على سبيل التحريم، فهذا قد ينسخ بالإباحة مثل تحريم الأكل على الصائم في الليل بعد النوم والجماع[٣].

والثاني: على سبيل الكراهية، لم يذكر له مثال.

(١) انظر حديث «لا وصية لوارث».
(٢) انظر آية البقرة (٢١٩).
(٣) انظر آية البقرة (١٨٣).

فأما الأخبار فهي على ضربين:

أحدهما: ما كان لفظه لفظ الخبر، ومعناه معنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، فهذا لاحق بخطاب التكليف في جواز النسخ عليه.

والثاني: الخبر الخالص، فلا يجوز عليه، لأنه يؤدي إلى الكذب، وذلك محال، وقد حكى جواز ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والسدي، وليس بشيء يعول عليه.

وقال أبو جعفر النحاس: «وهذا القول عظيم جداً يؤول إلى الكفر، لأن قائلاً لو قال: قام فلان، ثم قال: لم يقم. فقال: نسخته، لكان كاذباً».

وقال ابن عقيل «الأخبار لا يدخلها النسخ، لأن نسخ الأخبار كذب، وَحُوشِيَ القرآنُ من ذلك».

ضروب النسخ في القرآن الكريم

النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب:

الأول: ما نسخ تلاوته وبقى حكمُه فيعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول، كما روى أنه كان يقال في سورة النور: «الشيخُ والشيخة إذا زنيا فارجمُوهما البتة نكالا من الله» ولهذا قال عمر: لولا أن يقول الناس: زاد عمَر في كتاب الله، لكتبتها بيدي. رواه البخاري في صحيحه معلقاً[1].

وأخرج ابن حبَّان في صحيحه عن أبيّ بن كعب قال: كانت سورة الأحزاب تُوازي سورة النور، فكان فيها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما».

وفي هذا سؤالان: الأول: ما الفائدة في ذكر الشيخ والشيخة؟ وهلا قال: المحصَن والمحصَنة؟

وأجاب ابنُ الحاجب في أماليه عن هذا بأنّه من البديع في المبالغة؛ وهو أن يعبّر عن الجنس في باب الذم بالأنقص فالأنقص؛ وفي باب المدح بالأكثَر والأعلى، فيقال: لعن الله السارق يسرق ربع دينار فتقطع يده، والمراد: يسرق ربع دينار فصاعدا إلى أعلى ما يسرق. وقد يبالغ فيذكر مالا تقطع به؛ كما جاء في الحديث: «لعن اللهُ السارق يسرق البيضة فتقطع يده»[2] وقد علم أنه لا تقطع في البيضة، وتأويلُ من أوَّله بيضة الحرب تأباه الفصاحة.

الثاني: أنّ ظاهر قوله: «لولا أن يقول الناس...» الخ أن كتابتها

---

(١) نقله الحافظ ابن كثير في التفسير ٣/ ٢٦١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الحدود ٤/ ١٧٢.

جائزة، وإنما منعه قول الناس» والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه، وإذا كانت جائزة، لزم أن تكون ثابتة، لأنَّ هذا شأن المكتوب. وقد يقال: لو كانت التلاوة باقية لبادَر عمر رضي الله عنه ولم يعرِّج على مقال الناس؛ لأن مقال الناس لا يصلح مانعا.

وبالجملة فهذه الملازمة مشكلة، ولعلّه كان يعتقد أنه خبر واحد، والقرآن لا يثبت به، وإن ثبت الحكم، ومن هنا أنكر ابن ظَفَر في «الينبوع»[١] عدّ هذا مما نسخ تلاوته، قال: لأنّ خبر الواحد لا يُثبت القرآن. قال: وإنما هذا من المنسأ لا النسخ، وهما مما يلتبسان. والفرق بينهما أن المنسأ لفظه قد يعلم حكمه ويثبت أيضاً وكذا قاله في غيره القراءات الشاذة، كما يجاب التتابع في صوم كفارة اليمين ونحوه أنهما كانت قرآنا فنسخت تلاوتُها؛ لكن في العمل بها الخلافُ المشهور في القراءة الشاذة.

ومنهم مَنْ أجاب عن ذلك بأن هذا كان مستفيضاً عندهم، وأنه كان متلواً من القرآن، فأثبتنا الحكم بالاستفاضة، وتلاوتُه غير ثابتة بالاستفاضة. ومن هذا الضرب ما رواه مُسلم في صحيحه[٢] عن أبي موسى الأشعري: إنّا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتُها، غير أني أحفظ منها؛ «لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لَابتغَي واديا ثالثا، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب». وكنَّا نقرأ سورة نشبِّهها بإحدى المسبِّحات[٣] فأنسيتها؛ غير أني حفظت منها: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.

(١) كتاب الينبوع في التفسير لأبي عبد الله بن ظفر محمد بن محمد الصقلي المتوفى سنة ٥٦٨، ومنه أجزاء متفرقة من نسخة خطبة بدار الكتب المصرية برقم ٣١٠ تفسير.

(٢) كتاب الزكاة، ٢/ ٧٢٦

(٣) المسبحات من السور: ما افتتح بسبحان، وسبح، ويسبح، وسبح اسم ربك.

وذكر الإمام المحدّث أبو الحسين أحمد بن جعفر[١] المنادي في كتابه «النّاسخ والمنسوخ» ممّا رُفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظُه سورتا القنوت في الوتر، قال: ولا خلافَ بين الماضين والغابرين أنّهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلى أبيّ بن كعب، وأنّه ذكر عن النبي ﷺ أنه أقرأه إياهما، وتسمى سورتي الخلْع والحفد.

هنا سؤال؛ وهو أن يقال: ما الحكمةُ في رفع التلاوة مع بقاء الحكم؟ وهلاّ أبُقيتِ التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها؟ وأجاب صاحب «الفُنون»[٢] فقال: إنما كان كذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن، من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به، فيسرعون بأيْسَر شيء، كما سَارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام، والمنام أدنى طرُق الوحي.

الضرب الثاني: ما نُسخ حكمه وبقى تلاوته، وهو في ثلاث وستين سورة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾[٣] الآية، فكانت المرأة إذا ماتَ زوجُها لزمت التربّص بعد انقضاء العِدّة حَوْلا كاملا، ونفقتها في مال الزوج، ولا ميراث لها، وهذا معنى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾[٤] الآية، فنسخ الله ذلك بقوله: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾[٥]، وهذا الناسخ مقدم في النظم على المنسوخ.

قال القاضي أبو المعالي: وليس في القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ، إلا في موضعين، هذا أحدهما، والثاني قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ

(١) ذكره صاحب كشف الظنون ١٩٢١، وقال: إنه توفى سنة ٣٣٤.
(٢) هو كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي؛ ومنه نسخة غير كاملة في المكتبة التيمورية ـ ٢٢٢ تفسير.
(٣) سورة البقرة، آية٢٣٤.
(٤) سورة البقرة، آية ٢٤٠.
(٥) سورة البقرة، آية٢٣٤.

﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾[١] الآية؛ فإنها ناسخة لقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾[٢].

قلت: وذكر بعضهم موضعاً آخر، وهو قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾[٣] هي متقدمة في التلاوة، ولكنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٤].

وقيل: في تقديم الناسخة فائدة، وهي أن تعتقد حكم المنسوخة قبل العلم بنسخها. ويجيء موضع رابع وهو آية الحشر في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[٥] الآية؛ فإنه لم يذكر فيها شيء للغانمين، ورأى الشافعي أنها منسوخة بآية الأنفال، وهي قوله: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[٦].

واعلم أن هذا الضرب ينقسم إلى ما يحرم العمل به ولا يمتنع كقوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ ثم نسخ الوجوب.

ومنه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٧] قيل: منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾[٨].

---

(١) سورة الأحزاب، ٥٠.
(٢) سورة الأحزاب، ٥٢.
(٣) سورة البقرة، ١٤٢
(٤) سورة البقرة، ١٤٤.
(٥) سورة الحشر، ٧.
(٦) سورة الأنفال، ٤١.
(٧) سورة البقرة، ١٩٠.
(٨) سورة البقرة، ١٩٤.

وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[1] نسخها آيات القيامة والكتاب والحساب.

وهنا سؤال، وهو أن يُسْأَل: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟

والجواب من وجهين: أحدهما أن القرآن كما يتلى ليُعْرَف الحكم منه، والعمل به، فيتلى لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه، فتركت التلاوة لهذه الحكمة.

وثانيهما: أن النَّسخ غالبا يكون للتخفيف، فأُبْقِيت التلاوة تذكيراً بالنعمة ورفع الشقة، وأما حكمة النَّسخ قبل العمل، كالصدقة عند النجوى فيثاب على الإيمان به وعلى نية طاعة الأمر.

الثالث: نسخهما جميعاً، فلا تجوز قراءته ولا العمل به، كآية التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس؛ قالت عائشة: كان مما أنزل عشر رضَعات معلومات، فُنسخن بخمس معلومات، فتوفِّي رسول الله ﷺ وهي مما يقرأ في القرآن. رواه مسلم. لكن علينا أن ندرك أن آية الرضاع الناسخ فيها والمنسوخ لم يكن من القرآن الذي كتب ودون في عهد النبي ﷺ كما هو معروف.

وقد تكلموا في قولها: «وهي مما يقرأ» فإنَّ ظاهره بقاء التلاوة؛ وليس كذلك، فمنهم من أجابَ بأنَّ المراد قارب الوفاة، والأظهر أن التلاوة نسخت أيضاً ولم يبلغ ذلك كلَّ الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتوفى وبعض الناس يقرؤها.

وقال أبو موسى الأشعريّ: نزلت ثم رفعت.

وجعل الواحديّ من هذا ما روى عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنا نقرأ: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر»[2] وفيه نظر.

---

(١) سورة الأحقاف، ٩.

(٢) أنظر أحكام القرآن ج١/ ٣٣٨

وحكى القاضي أبو بكر في «الانتصار» عن قوم إنكار هذا القسم، لأنّ الأخبار، فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها.

وقال أبو بكر الرازيّ: نسخ الرّسم والتلاوة إنما يكون بأن يُنسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم، ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[1]، ولا يُعرف اليوم منها شيء. ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمن النبيﷺ حتى إذا تُوُفِّي لا يكون متلوا في القرآن؛ أو يموت وهو متلوّ موجود في الرسم، ثم ينسيه الله ويرفعه من أذهانهم، وغيرُ جائز نسخُ شيء من القرآن بعد وفاة النبيﷺ.

قال ابن العربي[2]: ومن أغرب آية في النسخ قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3]، أولها وآخرها منسوخان، ووسطها محكم.

وقسمه الواحدي أيضاً إلى نَسْخ ما ليس بثابت التلاوة كعشر رضعات، وإلى نسخ ما هو ثابت التلاوة بما ليس بثابت التلاوة كنسخ الجَلْد في حق المحصنين بالرجم، والرجم غير متلوّ الآن، وإنه كان يتلَى على عهد رسول اللهﷺ فالحكم ثبت والقراءة لا تثبت، كما يجوز أن تثبت التلاوة في بعض ولا يثبت الحكم. وإذا جاز أن يكون قرآناً يعمل به ولا يتلى، وذلك أن الله عز وجل أعلم بمصالحنا، وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا تعلق العمل بهذا الوجه.

---

(١) سورة الأعلى: ١٨، ١٩.

(٢) انظر أحكام القرآن، ١/ ٣٣٨.

(٣) سورة الأعراف، ١٩٩.

هذا وقد قسم بعضهم النسخ من وجه آخر إلى ثلاثة أضرب:

الأول: نسخ المأمور به قبل امتثاله، وهذا الضرب هو النسخ على الحقيقة، كأمر الخليل بذبح ولده. وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾[(١)] ثم نسخه سبحانه بقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ الآية.

الثاني: ويسمى نسخاً تجوّزاً، وهو ما أوجبه الله على مَنْ قبْلنا كحّم القِصاص[(٢)]، وذلك عقب تشريع الديّة ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾[(٣)].

وكذلك ما أمرنا الله به أمراً إجماليّا ثم نسخ، كنسخه التوجُّه إلى بيت المقدس بالكعبة، فإنَّ ذلك كان واجباً علينا من قضية أمره باتباع الأنبياء قبله، وكنسخ صوم يوم عاشوراء برمضان.

الثالث: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب؛ كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والمغفرة للذين يرجون[(٤)] لقاء الله ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوهما، ثم نسخه إيجاب ذلك. وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسء، كما قال تعالى: ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾[(٥)] فالمُنْسَأ هو الأمر بالقتال، إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى.

وبهذا التحقيق تبيّن ضعفُ ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنّها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك بل هي

---

(١) سورة المجادلة: ١٢، ١٣.

(٢) وهو قوله تعالى في سورة البقرة ١٧٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ الآية.

(٣) سورة البقرة، ٧٨.

(٤) إشارة إلى الآية ١٤ من سورة الجاثية.

(٥) سورة البقرة: ١٠٦.

من النسأ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقتٍ ما لعلّة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدا. وإلى هذا أشار الشافعي في «الرسالة» إلى النهي عن ادّخار لحوم الأضاحي من أجل الرأفة، ثم ورد الأذنُ فيه فلم يجعله منسوخاً، بل من باب زوال الحكم لزوال علّته؛ حتى لو فجأ أهْلَ ناحية جماعة مَضْرُورون تعلق بأهلها النهي.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[1] الآية، كان ذلك في ابتداء الأمر، فلما قوى الحال وجب الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبرَ النبيﷺ في قوله: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» عاد الحكم؛ وقالﷺ: «فإذا رأيت هوىً متبعا وشحاً مطاعا وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك».

وهو سبحانه وتعالى حكيم أنزل على نبيهﷺ حين ضعفه ما يليق بتلك الحال رأفةً بمن تبعه ورحمة، إذا لو وَجَب لأورث حَرجا ومشقة؛ فلما أعز الله الإسلام وأظهره ونصره، أنزل عليه من الخطاب ما يكافئ تلك الحالة من مطالبة الكفّار بالإسلام أو بأداء الجزية ـ إن كانوا أهلَ كتاب ـ أو الإسلام أو القتل إن لم يكونوا أهل كتاب.

ويعود هذان الحكمان ـ أعني المسألة عند الضعف والمسايفة عند القوة يعود سببهما، وليس حكم المسايفة ناسخاً لحكم المسألة، بل كلٌّ منهما يجب امتثاله في وقته.

قيل في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾[2] ولم يقل «من

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

(٢) سورة البقرة: ١٠٦.

القرآن»؛ لأن القرآن ناسخ مهيمن على كل الكتب، وليس يأتي بعده ناسخ له، وما فيه من ناسخ ومنسوخ فمعلوم وهو قليل؛ بين الله ناسخه عند منسوخه، كنسخ الصدقة عند مناجاة الرسول، والعدّة والفرار في الجهاد ونحوه؛ وأما غير ذلك فمن تحقق علماً بالنسخ علم أن غالبَ ذلك من المنسأ، ومنه ما يرجع لبيان الحكم المجمل، كالسبيل في حق الآتية بالفاحشة، فبيّنته السنة، وكلّ ما في القرآن مما يدعى نسخه بالسنة عند من يراه فهو بيان لحكم القرآن، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾[1]، وأما بالقرآن على ما ظنه كثير من المفسرين فليس لنسخ؛ وإنما هو نسأ وتأخير، أو مجمل أخِّر بيانه لوقت الحاجة، أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره؛ أو مخصوص من عموم، أو حكم عام لخاصّ أو لمداخلة معنى في معنى. وأنواع الخطاب كثيرة فظنوا ذلك نسخا وليس به، وأنه الكتاب المهيمن على غيره، وهو في نفسه متعاضد، وقد تولى الله حفظه فقال تعالى: ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2].

أقول لعل في هذه الصفحات التي أتينا عليها من مصادر علوم القرآن وتفسيره بأقلام علماء الإسلام وأئمته الفاهمين العارفين بالقول الفصل فيما تفضل الله به على عباده حين يسر عليهم وخفف عنهم وشرع لهم في عهد نبيه وعلى يديه الناسخ والمنسوخ مما يتعلق ببعض العبادات وبعض الأحكام؟ ما يضيء ظلم الظلمات ولعل أبواق الدعاية والإثارة، ومحاولات التزييف والعدوان على كتاب الله تعالى تنكفئ على نفسها لتسكت إلى الأبد فتُريح وتستريح، ويهنأ الناس بالأخوة الإنسانية، بديلاً عن تحريف العقائد، انتهى.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) سورة الحجر: ٩.

المصادر والمراجع
التي اعتمدنا عليها إجمالا

أ ـ المراجع العربية

١ ـ الآباء الرسوليون، عرَّبه عن اليونانية: إلياس معوض ـ منشورات النور بالاشتراك مع رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، ١٩٧٠م.

٢ ـ أبحاث الفكر اليهودي، للدكتور حسن ظاظا ـ دار القلم ـ بيروت، دمشق ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ هـ.

٣ ـ إبراهيم السائح الروحي، لمنيس عبد النور ـ دار الثقافة المسيحية بالقاهرة ـ بدون تاريخ.

٤ ـ إثبات صدق الإنجيل عن طريق القياس والبرهان، ليحيى بن عَدِي اليعقوب ـ نشر بولس سباط ـ ١٩٢٩م.

٥ ـ أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية، للدكتور جميل عبد الله المصري ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩م.

٦ ـ أثناسيوس الرسولي (القديس)، للأب متَّى المسكين ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون ـ القاهرة ١٩٨١م.

٧ ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، لأحمد بن إدريس

الصنهاجي القرافي ـ مصورة عن مخطوط مكتبة أحمد الفاتح بتركيا، برقم ٤٠٤ قسم المخطوطات ـ جامعة الإمام.

٨ ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي (أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٩ ـ أخبار بطاركة كرسي الشرق من كتاب المجدل، لعمرو بن متَّى ـ طبعة روما ـ مكتبة المثنى.

١٠ ـ اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، لِلّواء أحمد عبد الوهاب ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى.

١١ ـ اختلاف لفظ الأناجيل ومعانيها، ليحيى بن عَدِي اليعقوبي. نشر بولس سباط ـ ١٩٢٩م.

١٢ ـ الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، للدكتور عزت زكي ـ دار النشر والتأليف للكنيسة الأسقفية ـ ١٩٧٤م.

١٣ ـ الأدب الجدلي والدفاعي في اللغة العربية بين المسلمين والنصارى واليهود، للمستشرق الألماني: مورتز شتاينشنيدر (باللغة الألمانية) ـ طبع لاينبرج ١٩٧٧ م ـ وأعيد طبعه عام ١٩٦٦ م، بغسيبادن ـ ألمانيا.

١٤ ـ أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، للإمام أحمد بن إدريس القرافي ـ تحقيق عبد الرحمن دمشقية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥ ـ أدلة اليقين في الرَّدِّ على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين، لعبد الرحمن الجزيري ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ مطبعة الإرشاد ـ ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤م.

١٦ ـ الأديان في القرآن، لمحمود بن الشريف، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

١٧ ـ أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبي ـ الطبعة الخامسة.

١٨ ـ الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، للدكتور محمد وصفي ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ـ ١٩٦٥م.

١٩ ـ الأرجوزة الفارجية في الوصايا الإلهية، للدكتور هلال الفارجي ـ مطبعة روبرتو موسكو فيننش بمصر ـ ١٩١٤م.

٢٠ ـ استحالة تحريف الكتاب المقدس، لوهيب عزيز خليل ـ الطبعة الثانية.

٢١ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣م.

٢٢ ـ إسرائيل حَرَّفت الأناجيل والأسفار المقدسة، للمهندس أحمد عبد الوهاب ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٧٢م.

٢٣ ـ أسرار الكنيسة السبعية، للأرشيد ياكون حبيب جرجس ـ الطبعة السادسة ـ مكتبة المحبة ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م.

٢٤ ـ الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت، الإسكندرية ١٩٥٦م.

٢٥ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، للدكتور علي عبد الواحد وافي ـ طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة.

٢٦ ـ الأصول والفروع، لابن حزم (الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ـ ت ٤٥٦ هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٧ ـ أطلس الكتاب المقدس، لرولي.

٢٨ ـ إظهار الحق، للشيخ رحمة الله الهندي العثماني ـ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ـ طبعة دار التراث، أيضاً: الطبعة القطرية.

٢٩ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي - مراجعة علي سامي النشار ـ مكتبة الباز ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٠ ـ أعظم الرجال في الكتاب المقدس، للدكتور ماكرتنى - تعريب واصف عبد الملك ـ لجنة خلاص النفوس للنشر ـ ١٩٧٣م.

٣١ ـ الأعلام، للأستاذ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الخامسة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٠م.

٣٢ ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة سيِّدنا محمد عليه الصلاة والسلام، للقرطبي المفسر ـ نشرة دار التراث العربي ـ بالقاهرة - ١٩٧٩م.

٣٣ ـ أعلام النبوة، للماوردي ـ طبع ونشر مكتبة الكليات الأزهرية - بمصر ـ ١٩٧١م.

٣٤ ـ إفحام اليهود، للسموأل بن يحيى المغربي ـ تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ـ دار الهداية ـ بالقاهرة ـ ١٩٨٦م.

٣٥ ـ أقانيم النصارى، للدكتور أحمد حجازي السقا ـ الطبعة الأولى - دار الأنصار ـ القاهرة.

٣٦ ـ الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٣٧ ـ ألقاب المسيح، للقس منير عبد النور ـ دار الثقافة المسيحية، بالتعاون مع مجمع كنائس الشرق الأدنى، الطبعة الأولى ـ بدون تاريخ.

٣٨ ـ الله واحد في الثالوث المقدس، للقمص زكريا إبراهيم ـ الطبعة الرابعة ـ مركز العبية ـ السويس ـ مصر.

٣٩ ـ الأناجيل الأربعة، ترجمة صبحي حموي ويوسف قوشاقجي ـ طبعة بيروت ١٩٧٠م.

٤٠ ـ الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، لنجم الدين الطوفي (سليمان بن عبد القوى الطوفي الصرصري ـ ت: ٧١٦هـ) ـ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ـ مطبعة دار البيان ـ مصر.

٤١ ـ الأنبياء الأقدمون يتكلمون، لحبيب سعيد ـ دار الشرق والغرب للتأليف والنشر ـ القاهرة، بدون تاريخ.

٤٢ ـ إنجيل برنابا، تحقيق سيف الله أحمد فاضل ـ الطبعة الثانية ـ دار القلم ـ الكويت ـ ١٤٠٣ هـ.

٤٣ ـ إنجيل برنابا، ترجمة الدكتور خليل سعادة ـ نشر السيد محمد رشيد رضا ـ طبع مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ـ القاهرة ١٩٥٨م.

٤٤ ـ إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية، لمحمد يوسف كريت ـ رسالة دكتوراه ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

٤٥ ـ إنجيل برنابا في ضوء التاريخ والعقل والدين، لعوض سمعان ـ الطبعة الخامسة ـ نشر مكتبة المحبة ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م.

٤٦ ـ إنجيلك نور لحياتي، إصدار الكنيسة القبطية ـ القاهرة.

٤٧ ـ إنجيل يوحنا تاريخياً وموضوعياً، لمحمد علي زهران ـ رسالة دكتوراه ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

٤٨ ـ الإنجيل والصليب، لعبد الأحد داود الآشوري العراقي (مسيحي أسلم) طبعة القاهرة ـ ١٣٥١ هـ.

٤٩ ـ إن لم يكن المسيح إلهاً فديانته تكون باطلة، للقس سرجيوس ـ الجزء الأول ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

٥٠ ـ أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، للدكتور قاسم عبده

قاسم ـ الطبعة الأولى ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م.

٥١ ـ إيماني، أو قضايا المسيحية الكبرى ـ لإلياس مقار ـ دار الثقافة المسيحية بمصر ـ ١٩٧٣م.

(ب)

٥٢ ـ الباراكليت الروح القدس في حياة الناس، للأب متَّى المسكين ـ طبعة ١٩٧٣ م ـ مطبعة دار العالم العربي.

٥٣ ـ البداية والنهاية، لابن كثير ـ نشرة مكتبة الصلاح بالرياض.

٥٤ ـ بذل الجهود في إفحام اليهود، لشموئيل بن يهوذا ـ تقديم الشيخ محمد أحمد الشامي ـ مطبعة الفجالة الجديدة ـ مصر.

٥٥ ـ البراهين على صحة الإنجيل، لأيشوعاب بن ملكون مطران نصيبين ـ نشرة بول سباط، ١٩٢٩م.

٥٦ ـ برهان يتطلب قراراً، لجوس مكدويل ـ ترجمة القس منير عبد النور، طبعة دار الجيل.

٥٧ ـ البرهان في عقائد أهل الأديان، للسككي الحنبلي (العلامة أبي الفضل عباس بن منصور التريني ت ٦٨٣ هـ) ـ (تحقيق الدكتور بسام علي العموش ـ ط ١١) ـ المنار ـ الأردن ـ ١٩٨٧م.

(ت)

٥٨ ـ تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ـ عالم الكتب بالرياض، ١٩٨٢م.

٥٩ ـ تأملات في سفر نشيد الإنشاد، لواتشمان تي ـ ترجمة فؤاد حبيب ـ طبعة لجنة خلاص النفوس للنشر ـ ١٩٧٦م.

٦٠ ـ تاريخ الأرطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة، للقديس الفونسوس ماريا دي ليكورى ـ ترجمه من الإيطالية الخوري

يوسف إلياس الدبس الماروني سنة ١٨٥٢ م ـ مطبعة الرهبنة اللبنانية في دير سيدة طاميش في مقاطعة كسروان ١٨٦٤م.

٦١ ـ تاريخ الإسرائيليين، لشاهين مكاريوس ـ مطبعة المقتطف ـ مصر ١٩٠٤م.

٦٢ ـ تاريخ الأقباط، لزكي شنودة ـ جمعية التوفيق القبطية بمصر ١٩٦٢ ـ مطبعة فايقة محفوظ للتدريب المهني.

٦٣ ـ تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري (الإمام محمد بن جرير الطبري) ـ الطبعة الرابعة ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

٦٤ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي الخطيبات ٤٦٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٥ ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، لمحمد عزة دروزه ـ المكتبة العصرية ـ صيدا، بيروت ـ ١٩٦٩م.

٦٦ ـ تاريخ التمدن الإسلامي، لجورجي زيدان، طبعة دار الهلال بمصر.

٦٧ ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر (الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ت ٥٧١ هـ) صورة مخطوطة بمكتبة الظاهرية بدمشق ـ نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤٠٧ هـ.

٦٨ ـ تاريخ العرب المطول، للدكتور فيليب حتى والدكتور إدوار وجورجي والدكتور جبرائيل جبور ـ طبعة دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٥٨م.

٦٩ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ بيروت ـ دمشق ١٤٠٧ هـ.

٧٠ ـ تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر الميلادي، لأبي

المكارم، إعداد وتعليق الراهب صموئيل السرياني.

٧١ ـ تاريخ الكنيسة، ليوسابيوس القيصري، ترجمة القس مرقص داود، مكتبة المحبة ـ القاهرة، ١٩٧٩م.

٧٢ ـ تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، ليوحنا موسهيم ـ بدون تاريخ.

٧٣ ـ تاريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى)، لجاد المنفلوطي ـ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ـ القاهرة.

٧٤ ـ تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ـ لحبيب سعيد، طبعة دار الجيل.

٧٥ ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لابن البطريق (سعيد أفنشيوس بطريك الإسكندرية سنة ٣٢١ هـ) ـ نشر بعناية الأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين، لبنان ـ ١٩٠٥م.

٧٦ ـ التاريخ مِمَّا تقدَّم عن الآباء ترتيب الشيخ أبي الفتح بن أبي الحسن السامري ـ طبع جوتا بألمانيا ١٨٦٥ م، وله أصل ألماني ومقدمته باللاتينية وملاحظات باللغة العبرية للمسيو إدوارد دلمار.

٧٧ ـ تاريخ يوسيقوس اليهودي، المطبعة العلمية في بيروت ـ بدون تاريخ.

٧٨ ـ التبصُّر في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني ت ٤٧١ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت ـ الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

٧٩ ـ تثبيت دلائل النبوَّة، للقاضي عبد الجبار (عبد الجبار بن أحمد الهمذاني). تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ـ دار العربية ـ بيروت.

٨٠ ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لأبي محمد عبد الله الترجماني الميروفي، ت ٨٣٢ هـ ـ تحقيق عمر وفيق الداعون ـ الطبعة الأولى ـ دار البناء الإسلامية، بيروت ١٤٠٨ هـ.

٨١ ـ ترانيم ومدائح منتخبة، مكتبة المحبة، القاهرة.

٨٢ ـ التربية الدينية المسيحية، طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر ١٩٧٣م.

٨٣ ـ الترجمة التفسيرية للكتاب المقدس، توزيع دار الثقافة بمصر ـ ١٩٨٣م.

٨٤ ـ تطور الفكر والدين في مصر القديمة، لهنري بريستد ـ ترجمة زكي سوس ـ دار الكرنك بالقاهرة ـ ١٩٦١م.

٨٥ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ، طبعة دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦م.

٨٦ ـ تعريب الأناجيل وأعمال الرسل، للأب يوسف قوشاقجي ـ طبع بيروت بالمطبعة الكاثوليكية ١٩٦٤م.

٨٧ ـ تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير ـ نشرة دار الشعب ـ القاهرة.

٨٨ ـ تفسير إنجيل لوقا، للقس الدكتور إبراهيم سعيد.

٨٩ ـ تفسير إنجيل متَّى، لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس ـ مكتبة النيل المسيحية.

٩٠ ـ تفسير إنجيل متَّى، لمتَّى هنري (من البروتستانت) ـ ترجمة القس مرقص داود ـ طبع مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة ـ ١٩٦٧م.

٩١ ـ تفسير إنجيل مرقص، لوليم باركلي ـ تعريف الدكتور فهيم عزيز ـ طبعة دار الجيل ـ بيروت.

٩٢ ـ تفسير إنجيل يوحَنَّا، جمع وتقديم هلال أمين موسى ـ ١٩٧٠م.

٩٣ ـ تفسير إنجيل يوحنَّا، لمتَّى هنري.

٩٤ ـ تفسير رسالتي بولس الرسول الأولى والثانية، لمتَّى هنري ـ مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ ١٩٧٥م.

٩٥ ـ تفسير سفر أرميا، للقس الفريد نلسون الدانمركي ـ تنقيح حبيب سعيد ـ دار النشر والتأليف للكنيسة الأسقفية بمصر ـ بدون تاريخ.

٩٦ ـ تفسير سفر استير، لمتَّى هنري ـ تعريب القس مرقص داود ـ مكتبة المحبة، القاهرة ـ بدون تاريخ.

٩٧ ـ تفسير سفر اشعيا.

٩٨ ـ تفسير سفر عاموس، لمتَّى هنري ـ ترجمة القس مرقص داود ـ مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة ـ بدون تاريخ.

٩٩ ـ تفسير العهد الجديد، لوليم باركلي، الرسائل إلى فيليبي وكولوسي وتسالونيكي ـ تعريب القس جرجس هابيل ـ طبعة دار العلوم ـ الطبعة الثانية.

١٠٠ ـ تفسير الكتاب المقدس، تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسي ماندس ـ (ط) بيروت ـ ١٩٦٣م.

١٠١ ـ تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، لسعد بن منصور بن كمونة الإسرائيلي البغدادي ـ نشر موسى بروكلمان ـ من مطبوعات جامعة كاليفورنيا ـ ١٩٦٧م.

١٠٢ ـ التوراة عرض وتحليل، للدكتور فؤاد حسنين علي، مطبعة دار المستقبل بمصر، ١٩٤٦م.

١٠٣ ـ التوراة السامرية، ترجمة الصوري، وخط أبي البركات.

١٠٤ ـ التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق

الصوري ـ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ـ الطبعة الأولى ـ دار الأنصار ـ القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

١٠٥ ـ التوراة بالخط العبراني.

(جـ)

١٠٦ ـ الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، لابن تيمية ـ مطبعة المدني ـ مصر.

١٠٧ ـ الجواب الفصيح لما لفَّقه عبد المسيح، للآلوسي ـ مطبعة لاهور ـ الجزء الأول والثاني.

١٠٨ ـ جواب القاضي الباجي على رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله، للقاضي أبي وليد الباجي ـ تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ـ الطبعة الثانية ـ دار الصحوة بالقاهرة.

(ح)

١٠٩ ـ حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ـ دار الثقافة المسيحية ـ بدون تاريخ.

١١٠ ـ حل مشاكل الكتاب المقدس، للقس منسى يوحنا ـ مكتبة المحبة ـ القاهرة.

١١١ ـ حول أسطورة تجسد الإله، لعبد الصمد شرف الدين ـ طبعة جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٨ هـ.

١١٢ ـ حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، (ل) م. ص. سيجال ـ ترجمة الدكتور حسن ظاظا ـ نشر جامعة بيروت العربية ـ ١٩٦٧م.

١١٣ ـ حياة إبراهيم، لـ: ق.ب.ماير ـ ترجمة القس مرقص داود ـ القاهرة ١٩٦٠م.

١١٤ ـ حياة إيليا، لـ: ق.ب. ماير ـ ترجمة القس مرقص داود ـ القاهرة ١٩٦٧م.

١١٥ ـ حياة داود، لـ: ق.ب. ماير ـ ترجمة القس مرقص داود ـ القاهرة ١٩٦٧م.

١١٦ ـ حياة صموئيل، لـ: ق.ب. ماير، ترجمة القس مرقص داود ـ القاهرة ١٩٦٧م.

١١٧ ـ حياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس القيصر، ترجمة القمص مرقص داود ـ مكتبة المحبة ـ القاهرة، ١٩٧٠م.

١١٨ ـ حياة مريم أم يسوع، للأب فرنسيس فندلا اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ـ كلية القديس يوسف في بيروت ـ ١٩٤٩.

١١٩ ـ حياة المسيح، للدكتور فردريك، تعريب الدكتور جورجي يوسف عقداوي ـ مطبعة النيل بالمنصورة، ١٩٤٩م.

١٢٠ ـ حياة المسيح، للفيلسوف الإيطالي جيوفاني بابيني ـ ترجمه عن الإنجليزية الأرشمدنيت أنطونيوس بشير ـ مطبعة العرب للبستاني بمصر سنة ١٩٢٩م.

١٢١ ـ حياة يعقوب، لـ: ق.ب. ماير ـ ترجمة القس مرقص داود ـ القاهرة ١٩٦٢م.

١٢٢ ـ حياة يوسف، لـ: ق.ب. ماير ـ ترجمة القس مرقص داود ـ الطبعة الثانية ١٩٥٨م.

(خ)

١٢٣ ـ خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، لحبيب جرجس ـ الكتاب الثالث ـ طبعة وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٢٩ م ـ مطبعة عين شمس.

١٢٤ ـ الخلاص بين الوحي والمفاهيم البشرية، لعوض سمعان ـ مكتبة

كنيسة الأخوة ـ جزيرة بدران ـ القاهرة، بدون تاريخ.

١٢٥ ـ خلاص المسيح كما هو معلن في الكتاب المقدس، لوسلي جورجي ـ مكتبة الأخوة ـ ١٩٧٠م.

(د)

١٢٦ ـ دائرة المعارف الأمريكية، مادة Biple

١٢٧ ـ دائرة المعارف البريطانية، مادة Biple

١٢٨ ـ دائرة المعارف الأمريكية، طبعة ١٩٥٩.

١٢٩ ـ دائرة المعارف البريطانية، الطبعة (١٥) ـ ١٩٨٣م.

١٣٠ ـ دائرة معارف العشرين، لمحمد فريد وجدي ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعرفة ـ بيروت، ١٩٧١م.

١٣١ ـ دائرة المعارف اليهودية، أورشليم، إسرائيل ١٩٧٨م.

١٣٢ ـ دائرة تحليلية لإنجيل مرقص تاريخياً وموضوعياً، للدكتور محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الجبلاوي ـ القاهرة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

١٣٣ ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكامي ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف بمصر.

١٣٤ ـ دراسات من سفر أرميا، لـ: كلايدت ـ فرنسيسكو، ترجمة أديب عرنوتي ـ منشورات المعمدانية، ١٩٦٣م.

١٣٥ ـ دراسات في سفر الأمثال، لـ: هـ أ. برتسيد، ترجمة وتقديم فخري عطية ـ مكتبة الأخوة بجزيرة بدران، بدون تاريخ.

١٣٦ ـ دراسات في سفر المزامير، لفخري عطية ـ الجزء الأول ـ مطبعة الفجالة بدون تاريخ.

١٣٧ ـ دراسات في صور من حياة المسيح، للدكتور جورج مائيسون ـ

تعريب عزت زكي ـ مطبعة النيل المسيحية، بمصر ـ ١٩٥٨م.

١٣٨ ـ دراسات في الكتاب المقدس، إنجيل متَّى، للأنبا أثناسيوس ـ من الأرثوذكس لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف ـ مطبعة العالم العربي ١٩٧٢ بمصر.

١٣٩ ـ دراسات في الكتاب المقدس، سفر يشوع، للقس سدراك إبراهيم.

١٤٠ ـ دروس من سفر أرميا، لكلايد، ت. فرنسيسكو ـ تعريب أديب غرزوزي ـ المعمدانية الطبعة الأولى ـ ١٩٧٠م.

١٤١ ـ دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام، لمنصور حسين عبد العزيز ـ مطبعة دار الاعتصام.

١٤٢ ـ دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين، لموسى بن ميمون ـ طبعة أنقرة ١٩٧٣ م ـ بتحقيق الدكتور حسين أتاي.

١٤٣ ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور، للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الأولى ـ مكة المكرمة، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

١٤٤ ـ الدين والدولة في إثبات نبوة محمدﷺ، لعلي بن زين الطبري ت ٢٤٧ هـ، تحقيق عادل نويهض ـ الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٧٩م.

(ذ)

١٤٥ ـ ذيل مرآة الزمان، لليونيني البعلبكي (قطب الدين أبي الفتح موسى ابن محمد اليونيني ت ٧٢٦ هـ) ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن. الهند ـ ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤م.

(ر)

١٤٦ ـ رحلة بنيامين: الرحالة العربي بنيامين بن بونة التطيلي النباري الأندلس، (٥٦١ ـ ٥٦٩ هـ) ـ ترجمها عن الأصل العبري وعلّق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد، طبع المطبعة الشرقية ببغداد ١٩٤٥م.

١٤٧ ـ الرد الجميل لإلهية عيسى بتصريح الإنجيل، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ـ تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ـ الطبعة الثانية ـ دار الهداية بالقاهرة ـ ١٩٨٦م.

١٤٨ ـ الرد على ابن النغريلة اليهوديّ ورسائل أخرى، لابن حزم ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ نشر دار العروبة بمصر، ١٩٦٠م.

١٤٩ ـ الرد على النصارى، لصالح بن الحسين الجعفري ـ مخطوطة بمكتبة أيا صوفيا تحت رقم ٢٢٤٦ بتركيا.

١٥٠ ـ الرد على النصارى، لصالح بن الحسين الجعفري ـ تحقيق الدكتور محمد محمد حسانين ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٤٠٩ هـ.

١٥١ ـ رسالة التثليث والتوحيد، لِيَسَّ منصور ـ بدون تاريخ.

١٥٢ ـ الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، للمهتدى الحبر إسرائيل ابن شموئيل الأورشليمي ـ تحقيق عبد الوهاب طويلة ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩م.

١٥٣ ـ رسالة في اللاهوت والسياسة، لـ: سبينوزا ـ ترجمة الدكتور حسن حنفي ـ نشر الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٧٢م.

١٥٤ ـ رسالة في اللاهوت والسياسة، لـ: سبينوزا ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ١٩٧١م.

١٥٥ ـ الروح القدس أو قوة من الأعالي، للدكتور أ.ب. سمبسون ـ

نقله إلى العربية يوسف اسطنان ـ مطبعة العاصمة ـ عمان.

١٥٦ ـ ريحانة النفوس في أصول المعتقدات والطقوس، للقس بنيامين شنيدر ـ ترجمة لجنة ـ بدون تاريخ.

(س)

١٥٧ ـ السامريون واليهود، للدكتور سيد فراج سيد، دار المريخ للنشر ـ الرياض.

١٥٨ ـ سفر التكوين باللغة المصرية العامة، طبع بنفقة الجمعية البريطانية والأجنبية لانتشار الكتب المقدسة، ١٩٤٩م.

١٥٩ ـ السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، للقس وليم مارش ـ صادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م.

(ش)

١٦٠ ـ الشامل في أصول الدين، لإمام الحرمين الجويني.

١٦١ ـ شرح سفر أعمال الرسل، للدكترر لورانس براون ـ نقله إلى العربية حبيب سعد، صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية.

١٦٢ ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، لإمام الحرمين الجويني (أبو المعالي عبد الملك) ـ نشرة أحمد السقا ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية ـ الرياض، ١٤٠٣ هـ.

١٦٣ ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، لإمام الحرمين الجويني. تحقيق الدكتور أحمد السقا ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

(ص)

١٦٤ ـ صلب المسيح وموقف الغنوسيين إزاءه، لعوض سمعان ـ صادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ـ القاهرة ١٩٧١م.

١٦٥ ـ الصليب في الإسلام، لحبيب زيات، مطبعة القديس بولس في حريصا ـ ١٩٣٥م.
١٦٦ ـ صموئيل الثاني، للقس ايرل هولي ـ تعريب بطرس سلطان ـ مطبعة دار العالم العربي ـ بدون تاريخ.
١٦٧ ـ الصهيونية والماسونية، لعبد الرحمن سامي عصمت ـ مطبعة رمسيس بالإسكندرية ١٩٥٠م.

(ض)

١٦٨ ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، لعبد الرحمن الميداني ـ الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.

(ع)

١٦٩ ـ العبادات المسيحية، للأرشمندريت إلياس ـ القاهرة ١٩٨١م.
١٧٠ ـ عبقرية المسيح، للأستاذ عباس محمود العقاد، طبعة كتاب اليوم بمصر ـ ١٩٥٣م.
١٧١ ـ عشاء الرب، للقس لبيب ميخائيل ـ مطبوعات الصوت المعمداني ـ الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
١٧٢ ـ العشاء الرباني، لعوض سمعان ـ دار الثقافة المسيحية ـ القاهرة، بدون تاريخ.
١٧٣ ـ عصمة الكتاب المقدس، ليسَّ منصور ـ مطبعة الإسكندرية بمحرم بك ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٨م.
١٧٤ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد طاهر التنير (ت ١٣٥٢)، تحقيق محمد بن إبراهيم الشيباني ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة ابن تيمية ـ الكويت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

١٧٥ ـ علاقة الإسلام باليهودية، للدكتور محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر ـ القاهرة ١٩٨٨م.

١٧٦ ـ عنوان المزامير، لفخري عطية ـ مطبعة الفجالة بالقاهرة ـ ١٩٤٧م.

(غ)

١٧٧ ـ الغفران في المسيحية، لعوض سمعان ـ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ـ القاهرة ١٩٧٠م.

(ف)

١٧٨ ـ الفارق بين المخلوق والخالق، لباجه جي زاده، مطبوعات الموسوعات بمصر.

١٧٩ ـ فتاوى ابن تيمية، للإمام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ـ مطابع الرياض.

١٨٠ ـ فتح المنان في نسخ القرآن، لعلي حسن العريفي ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٣م.

١٨١ ـ فجر الضمير، لهنري بريستد، ترجمة سليم حسن، سلسلة الألف كتاب ـ القاهرة ١٩٦١م.

١٨٢ ـ الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل، لابن حزم ـ المطبعة الأميرية، مصر ـ ١٣١٧ هـ.

١٨٣ ـ الفِصَل في المِلَل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري ـ تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، والدكتور عبد الرحمن عميرة ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

١٨٤ ـ الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، للدكتور حسن ظاظا ـ طبعة معهد البحوث والدراسات العربية المالي ـ جامعة الدول العربية ـ الطبعة الأولى ١٩٧١م.

١٨٥ ـ الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، لهنترميد ـ ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، الطبعة الثالثة، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة.

١٨٦ ـ فلسفة الغفران في المسيحية، لعوض سمعان ـ المطبعة التجارية الحديثة ـ ١٩٧٢م.

١٨٧ ـ فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، للويس عرديه وجورج قنواتي ـ ترجمة صبحي الصالح والدكتور فريد جبر ـ الطبعة الأولى، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٦٧م.

١٨٨ ـ فهرس الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست، الطبعة الخامسة مكتبة المشعل، بيروت.

١٨٩ ـ في سر القربان المقدس، للقس باخوم عطا الله المحرقي ـ منشورات الكلية الأكليليريكية بالقاهرة للكرازة المرقسية ـ ١٩٦٩م.

(ق)

١٩٠ ـ قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية (بالإنجليزية).

١٩١ ـ القاموس الجديد العالمي للكنيسة المسيحية (بالإنجليزية).

١٩٢ ـ قاموس الكتاب المقدس، لجيمس هاستنج (باللغة الإنجليزية) ـ طبعة ريدنبرج ـ بريطانيا ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٣م.

١٩٣ ـ قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ الطبعة الثانية.

١٩٤ ـ قاموس الكتاب المقدس، للدكتور بطرس عبد الملك وآخرين ـ بيروت ١٩٦٤م.

١٩٥ ـ قاموس الكتاب المقدس، لجورج بوست، طبع في بيروت، المطبعة الأمريكية ١٩٠١م.

١٩٦ ـ القرآن الكريم التوراة والإنجيل والعلم، للدكتور موريس بوكاي ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة.

١٩٧ ـ القراءات اليومية في الكتب السماوية، للقس مرقص داود ـ مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

١٩٨ ـ قصص الأنبياء، لابن كثير ـ تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ـ طبعة القاهرة.

١٩٩ ـ قصص الأنبياء، للأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ـ مؤسسة الحلبي بمصر ١٩٦٦م.

٢٠٠ ـ قصص الأنبياء، للثعلبي.

٢٠١ ـ قصة الحضارة، لـ: ول ديورانت ـ ترجمة محمد بدران ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م.

٢٠٢ ـ قصة عيد الفِصْح، جمعية الإخوان القرائين بمصر ١٩٤٥ م، مطبعة أولمبيا.

٢٠٣ ـ قصة الكنيسة القبطية (تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية)، لإيريس حبيب المصري ـ الطبعة الخامسة، مطبعة الكرنك ـ الإسكندرية ١٩٨٤م.

٢٠٤ ـ قطوف من سفر يونان النَّبِي، من كتابه راعوت استيريونان، لفخري عطية ـ سلسلة كتب: تأمل معي ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

٢٠٥ ـ قيامة المسيح والأدلة على صدقها، لعوض سمعان ـ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ـ القاهرة ١٩٧٢م.

(ك)

٢٠٦ ـ الكتاب المقدس، طبعة جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى ـ بيروت، صاحبة النجمة ١٩٦٦م.

٢٠٧ ـ الكتاب المقدس، ترجمة البروتستانت، طبع مصر ١٩٧٠م.

٢٠٨ ـ الكتاب المقدس، ترجمة الآباء اليسوعيين الكاثوليك ـ طبع بيروت ١٩٦٨م.

٢٠٩ ـ الكتاب المقدس في اللغة العربية، لجميل حناطرانجان ـ مطبعة النيل المسيحية بالمناخ ـ القاهرة ١٩٣٦م.

٢١٠٠ ـ الكتاب المقدس، ترجمة تفسيرية، الطبعة الثانية، طبعة جي، س سنتر ـ القاهرة.

٢١١ ـ الكتاب المقدس، منشورات دار الشرق، بيروت ١٩٨٣م.

٢١٢ ـ الكتاب المقدس: الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت، تقديم الدكتور مراد كامل والأستاذ يسّى منصور ـ مطبعة الكرنك بالإسكندرية.

٢١٣ ـ الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي ـ ترجمة ونشر دار المعارف بمصر.

٢١٤ ـ الكنز الجليل في تفسير الإنجيل؛ مبنى على آراء أفاضل اللاهوتيين، للدكتور وليم إدي الأميركاني، طبعة بيروت في المطبعة الأميركانية ١٨٩٠م.

٢١٥ ـ الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، للدكتور وليم إدي ـ طبع ونشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧٣م.

٢١٦ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود، للدكتور روهلنج ـ ترجمة الدكتور يوسف نصر اللّه ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ بيروت، دمشق. ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م.

٢١٧ ـ الكنيسة المسيحية، للأنبابولس ـ مطبعة دار العالم العربي ـ ١٩٧٠م.

(ل)

٢١٨ ـ اللآلىء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، الجزء الثاني ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٥م ـ القاهرة.

٢١٩ ـ لاهوت عمانوئيل، للقس برسوم شحاته ـ القاهرة ١٩٧٣م.

٢٢٠ ـ الله واحد في الثالوث القدوس، للقمص زكريا إبراهيم ـ الطبعة الرابعة ـ مركز العيية، السويس، مصر.

(م)

٢٢١ ـ ما أصل الإنسان.. في ضوء إجابات الكتب المقدسة والعلم، لموريس بوكاي ـ ترجمة ونشر مكتب التربية للخليج العربي ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٢٢ ـ ما هي النصرانية، للشيخ محمد تقي العثماني ـ مكتب دار العلوم ـ كراتشي.

٢٢٣ ـ مباحث دينية فلسفية لبعض القدماء من علماء النصرانية، للأب بولس سباط ـ ١٩٢٩م.

٢٢٤ ـ مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ الطبعة (١٢).

٢٢٥ ـ المجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩ م، لرياض سوريال ـ مكتبة المحبة ـ القاهرة.

٢٢٦ ـ مجد الله، لـ: ت.أ. ويشوك ـ تعريب صبيح واصف عبد الملك ـ صادر عن لجنة خلاص النفوس للنشر ـ ١٩٧٢م.

٢٢٧ ـ مجموعة الشرع الكنسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة)، جمع وترتيب الأرشمندريت حنانيا إلياس كاب ـ مطبعة النور ـ بيروت ـ ١٩٧٥م.

٢٢٨ ـ المجيء الثاني للمسيح والأحداث العالمية القادمة، للقس لبيب ميخائيل. المطبعة التجارية الحديثة بمصر.

٢٢٩ ـ مجيء المسيح ثانية، لفايز فارس ـ صادر عن دار الثقافة المسيحية ـ القاهرة ١٩٦٩م.

٢٣٠ ـ محاضرات في تاريخ العلوم، للدكتور فؤاد سزكين ـ طبعة جامعة الإمام بالرياض ١٩٧٩م.

٢٣١ ـ محاضرات في النصرانية، للأستاذ محمد أبو زهرة ـ الطبعة الثالثة ـ دار الكتاب الحديث ـ الكويت.

٢٣٢ ـ محمد رسول الله هكذا بشَّرت به الأناجيل، لبشرى زخارى ميخائيل ـ الطبعة الثالثة ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٢٣٣ ـ محمد في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، لإبراهيم خليل أحمد: «إبراهيم فيلبس سابقاً» ـ الطبعة الخامسة ـ دار الوعي العربي بالقاهرة.

٢٣٤ ـ محمد في الكتاب المقدس، للبروفيسور عبد الأحد داود ـ ترجمة من الإنجليزية فهمي شما ـ نشرة قطر ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٣٥ ـ محمد نبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، للأستاذ محمد عزت الطهطاوي ـ مطبعة التقدم ـ القاهرة.

٢٣٦ ـ المختار في الرّد على النصارى، للجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ـ تقديم وتحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ـ دار الصحوة بالقاهرة ـ ١٩٨٤م.

٢٣٧ ـ مختصر تاريخ الدول، لابن العبري، بتحقيق الأب أنطوان الصالحاني ـ نشرة دار الرائد ـ بيروت ـ طبعة ثانية.

٢٣٨ ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام ابن قيم الجوزية ـ اختصره الشيخ محمد بن الموصلي ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة.

٢٣٩ ـ مختصر علم اللاهوت، فرنسيس أيوب ـ رئيس أساقفة حلب ـ منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت.

٢٤٠ ـ مخطوطات البحر الميت وجزيرة قبران، للدكتور أسد رستم،

مؤرخ الكرسي البطريركي ـ هدية المسرة السنوية ١٩٥٩م.

٢٤١ ـ مخطوطات البحر الميت، لباول ديفيز ـ ترجمة الدكتور على عبد الجليل راضي. طبعة القاهرة.

٢٤٢ ـ المدخل إلى الكتاب المقدس، لحبيب سعيد، نشر دار التأليف والنشر للكنيسة.

٢٤٣ ـ مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ـ بدون مؤلف ـ طبع في بيروت في المطبعة الأميركانية أولاً سنة ١٨٦٩ م، ثم سادسة سنة ١٩٠٩م.

٢٤٤ ـ مريم العذراء في التاريخ والطقس والعقيدة، للقس سيداروس عبد المسيح سيداروس ـ مطرانية كرسي المنوفية للأقباط الأرثوذكس بشبين الكوم بمصر ـ ١٩٧٣م.

٢٤٥ ـ مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، لأحمد ديدات ـ ترجمة علي الجوهري ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

٢٤٦ ـ المسيحية، نشأتها وتطورها، لشارل جنيبر ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ـ المكتبة العصرية ـ صيدا.

٢٤٧ ـ المسيح إله أم إنسان، للأستاذ محمد مجدي مرجان (مسيحي أسلم) ـ دار النهضة العربية ١٩٧٠م.

٢٤٨ ـ المسيح إنسان أم إله، لمحمد مجدي مرجان ـ طبعة المطبعة العربية الحديثة.

٢٤٩ ـ المسيح في أشعياء، للدكتور ق.ب. ماير ـ تعريب القس مرقص داود ـ مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة ـ بدون تاريخ.

٢٥٠ ـ المسيح في جميع الكتب، لـ: أ.م. هودجكن ـ مطبعة النيل المسيحية، بيروت ١٩٧٢م.

٢٥١ ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، لعبد الكريم الخطيب ـ

الطبعة الثانية ـ دار المعرفة للطباعة ـ بيروت.

٢٥٢ ـ المسيح في مصادر العقائد المسيحية، لأحمد عبد الوهاب ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٢م.

٢٥٣ ـ المسيحية، للدكتور أحمد شلبي ـ الطبعة السادسة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م.

٢٥٤ ـ المسيح يصلى لأجل خاصَّته، لمرقص ونيسفورد ـ تعريب الدكتور ماهر فهمي ـ نشر لجنة خلاص النفوس للنشر ١٩٦٧م.

٢٥٥ ـ المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، لأبي الفضل المالكي السعودي ـ مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث، تحت رقم (١٧٦٥) بتركيا، ومصورة ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، تحت رقم ٦٨/ ١٥ عقيدة).

٢٥٦ ـ المنتخب الجليل من تخجيل مَنْ حَرَّف الإنجيل، لأبي الفضل المالكي ـ مكتبة أحمد المليجي، مصر ١٣٢٢ هـ.

٢٥٧ ـ المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة ٢٧ ـ المكتبة الشرقية ـ بيروت.

٢٥٨ ـ من دحرج الحجر، لفرانك موريسون (باللغة الإنجليزية) ـ طبع فايبر أند فليبر، لندن. Who moved the stone? Frank Morison. .P.B. Faber and Faber, London

٢٥٩ ـ مؤامرة اليهود على المسيحية، لإميل الخوري ـ بيروت ١٩٤٧م.

٢٦٠ ـ موجز تاريخ المسيحية، للقمص بسطس الدويري ـ مطبعة ملجأ الأيتام القبطي الخيري بمصر ـ ١٩٤٩.

٢٦١ ـ موجز الكمال المسيحي، للأب جيوفاني روستي ـ القاهرة ـ ١٩٤٧م.

٢٦٢ ـ الموسوعة الإسلامية (توحيد وأنبياء)، لعباس محمود العقاد ـ الطبعة الأولى.

٢٦٣ ـ موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، لزكي شنودة ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م.

٢٦٤ ـ موسوعة التراث الشعبي.

٢٦٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٦٦ ـ الموضوعات لابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت ٥٩٧ هـ) ـ من منشورات المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ ١٣٦٠ هـ.

٢٦٧ ـ ميزان الحق: لم يكتب اسم المؤلف على الكتاب، وقد نقل عنه صاحب إظهار الحق وصاحب أدلة اليقين من طبعات مختلفة، وقالا: إن اسمه القسيس: بفندر ـ ورقم إيداعه في دار الكتب المصرية ٨٨ لاهوت.

٢٦٨ ـ مشتهى كل الأمم ـ دروس في مجيء المسيح، للقس عبد الله صايغ ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

٢٦٩ ـ معركة الوجود بين القرآن والتلمود، للدكتور عبد الستار سعيد ـ نشرة القاهرة ـ بدون تاريخ.

٢٧٠ ـ مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، لمتّى بهنام ـ مكتبة الأخوة ـ جزيرة بدران بمصر ـ الطبعة الثانية.

٢٧١ ـ مقارنة الأديان (اليهودية ـ المسيحية)، للدكتور أحمد شلبي ـ الطبعة السابعة ـ مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٨٣م.

٢٧٢ ـ مقامع هامات الصلبان، للخزرجي، نشرة الدكتور محمد شامة، تحت عنوان «بين الإسلام والمسيحية» ـ مكتبة وهبة بالقاهرة.

٢٧٣ ـ الملك سليمان والهيكل الذي بناه، لفخري عطية ـ مكتبة الأخوة ـ جزيرة بدران ـ مصر ـ بدون تاريخ.

٢٧٤ ـ ملكوت الله، للقس فهيم عزيز، عن دار الثقافة المسيحية، بالتعاون مع مجمع كنائس الشرق الأدنى، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٢٧٥ ـ ملكوت الله، للقس الدكتور فهيم عزيز، المطبعة الفنية الحديثة ـ نشر دار الثقافة المسيحية بمصر، ١٩٧٠م.

٢٧٦ ـ الملل والنحل، للشهرستاني (أبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، ت ٥٤٨ هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٢٧٧ ـ منارة الأقداس في شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس، للقس منقريوس عوض الله ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٧٣م.

٢٧٨ ـ المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والدكتور القسيس فندر، تحقيق الدكتور محمد عبد القادر خليل ـ الطبعة الأولى ـ دار ابن تيمية للنشر ـ الرياض ١٤٠٥ هـ.

(ن)

٢٧٩ ـ النبوة والأنبياء، للشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٨٠ ـ النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، لأحمد عبد الوهاب ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٠ هـ.

٢٨١ ـ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ليوسف رزق الله غنيمة ـ مطبعة التراث ببغداد ـ ١٩٢٤م.

٢٨٢ ـ النصرانية والإسلام، لمحمد عزت الطهطاوي ـ دار الأنصار ـ القاهرة.

٢٨٣ - النصرانية في القرآن، لمحمد بن سعود آل سعود - رسالة ماجستير لعام ٩٧ - ٩٨.

٢٨٤ - النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، للمهندس نصر بن يحيىٰ بن عيسى المتطيب - تحقيق محمود عبد الرحيم قدح - رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الإسلامية للعام الجامعي ١٤٠٧ هـ.

٢٨٥ - نقد إنجيل برنابا، ليسّ منصور، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٧٣م.

٢٨٦ - نقد التوراة أسفار موسى الخمسة، للدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٩٧٦م.

٢٨٧ - نواسخ القرآن، لابن الجوزي، تحقيق محمد أشرف المليباوي - إصدار المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية.

(هـ)

٢٨٨ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام ابن القيِّم (محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ) - تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - الطبعة الثانية - المكتبة القيمة - القاهرة ١٣٩٩ هـ.

٢٨٩ - همجية التعاليم النصرانية، لبولس حنا مسعد - المكتب الإسلامي، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م.

(و)

٢٩٠ - الواقفون على الباب، لـ: ت. هـ سيرجيون - تعريب للدكتور ماهر فهمي - الطبعة الثانية - لجنة خلاص النفوس للنشر - ١٩٧١م.

(ي)

٢٩١ ـ يا أهل الكتاب، للدكتور رؤوف شلبي ـ الطبعة الأولى.

٢٩٢ ـ يسوع المسيح إنسان أو إله؟، للقس الدكتور وديع ميخائيل ـ الإسكندرية بدون تاريخ.

٢٩٣ ـ يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته، للدكتور هاني رزق ـ مطبعة النصر بشبرا ـ ١٩٧١م.

٢٩٤ ـ اليهودية المسيحية، للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ الطبعة الأولى. مكتبة الدار بالمدينة المنورة ـ ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٩٥ ـ اليهودية العالمية من زمن إبراهيم إلى العصر الحاضر، دراسة وجمع رياض بارودي ـ دار الثقافة ـ بيروت.

٢٩٦ ـ اليهودية، للدكتور أحمد شلبي ـ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٣م.

٢٩٧ ـ اليهودية، للدكتور محمد بحر عبد المجيد، مكتبة سعيد رأفت ـ القاهرة ١٩٧٨م.

٢٩٨ ـ يوحنا المعمدان، للدكتور ف.ب ماير ـ تعريب القس مرقص داود، طبع ونشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة ١٩٧٠م.

٢ ـ المصادر الإفرنجية

- The Jerusalem Bbile-Alexander- Jones- 1968 with Abridged introductions Darton, Longman & Todd.
- NORMAN HENERY SNAIIH, London. The Brithish Foreign Bible Society.
- The Niv, Interlinear Hebrew English old Testament Volume 1 Genes's- Deuteronomy, Edited by: John R. Kohlenbarger III, Zondervan, Publieshing house Michigan.
- The Apoeryphal New Testament, Peing Tub Apoeryphal Gospels, Acts Epistles, and Apocalypces, Oxford, At the Clarendon press.

النشر والتأليف للكنيسة الأسقفية، سنة ١٩٧٤م.

- Jacques de Veraging la legende Doree Traduite du Latin Paris 1929.
- A Greak-English Lexicon, of the New Testament-and other Early Christian Literature A. translation and adaption of Walter Bauer's.

  Griechisch- Deutsches Worterbuch Zu den Schriften des Neuen Testamensts und der ubrigen urchristichen Literatur.

  Fourth Revised and Augmented Edition, 1952.

  By Willamf; Arndf and F. Wiblur Gingrich- The University of Chicago Press Chicageo, Illinois- Cambridge At The University Press- 1957.
- Theological Dictionary of the New Testament, Ediled by

Gerhard Friedrich. Translator and Edition. Geofirey W. Bromiley, D. Litt, DD. Wm. B, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan.

- F Owen cole, Six Religions in the Twenteith Century. Hulton, 1984.

والمؤلف معروف جيداً بكتاباته عن الأديان العالمية وهو يقوم بتدريس علم الأديان في العديد من المعاهد اللاهوتية وأقسام الأديان في جامعات بريطانيا.

- R.F Collins Introduction to the New Testament, SCM. Press, London 1983

يعمل المؤلف أستاذاً بالمعهد الجديد (الأناجيل والرسائل) في عدد من الجامعات البريطانية والأمريكية.

- A. Dechat is the Bible God's word?? Durban, South Africa, 1982.

قد حصل هذا المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية.

- James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963.
- Martin Hengle, Judaism and Hellenism, SCM Press, London, 1981.
- Jeswm Greeks, and Barbarians, SCM, 1983.

هذان المؤلفان من المصادر المهمة في رصد ما تسرب إلى الديانة اليهودية من الأفكار السائدة، سواء أكانت إغريقية، أم هلنستية، أم أسطورية خرافية.

- FF. Grant, The Gpspells, Their origins and their Growth, London, 1057.
- Curt Kuhi, The old Testament; Lts original Composition, London, 1961.
- W. G. Kummel: Introduction to the N.T. 1975.

وهو من أهم الكتب التي تعرف بالعهد الجديد بشكل متكامل،

وينتمي مؤلفه إلى المدرسة الألمانية، وقد ترجم الكتاب من اللغة الألمانية إلى الإنجليزية How ARD وقد شغل المؤلف والمترجم وظيفة أستاذ العهد الجديد في بعض الجامعات الغربية البريطانية والألمانية والسويسرية. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الكتاب قد نشر لأول مرة سنة ١٩٠٥م.

- J. Fenton, Saint Methoew, 1963.
- The Lost Books of the Bible and the forgotten Books of EDEN, Maridian USA, 1926-1947.

ولهذا الكتاب أهمية عميقة جداً حيث إنه يضم مجموعة خطيرة من نصوص الأناجيل والرسائل التي رفضها مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م، والمجامع التالية له.

- D.M. Mackinnion, H. A. Williams A.R. Vidler, J.S. BEZZANT:
- OBJECTIONS To Christian Belief, 1964.
- Cambridge 1963, Philadelphia and New York.

يضم هذا الكتاب أربعة بحوث خطيرة لأربعة أساتذة متخصصين في الدراسات المسيحية، ويتناول المبحث الأول الاعتراضات الأخلاقية، ويوجه البحث الثاني اعتراضات سيكولوجية، ويقدم الثالث اعتراضات تاريخية، ويوجه الأخير اعتراضات عقلية إلى العقيدة المسيحية المعاصرة، ومما يذكر هنا أن هؤلاء الأساتذة المتخصصين في الدراسات المسيحية قد كتبوا مؤلفاً خطيراً جداً بعنوان:

- Objection To Roman Catholicism.

وقد نشر الكتاب في لندن سنة ١٩٦٤.

- John Marsh, Saint John, Penguin Book, 1970.
- Wayne A Meeks, The Writings of st. Paul, London, 1982.
- Bruce M. Metzger, The Text of the NT. Its Transmission.

- Corruption, and Restoration, Oxford university Press, 1968.

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة جداً في دراسة العهد الجديد وتطوره ومدى قانونية كتبه.

وينتمي المؤلف إلى المدرسة الألمانية المعروفة بدراستها النقدية الحرة للكتاب المقدس؛ فهو امتداد لأمثال هورن وكريسباخ وغيرهما.

- I an Mohe: Thischendort and the Codex Sinaiticus, NT.
- Studies, 1971.
- The NaG Hammadi Library in English.

وقد ترجمت مجموعة النصوص النادرة هذه إلى اللغة الإنجليزية ونشرت بإشراف الأستاذ الدكتور James M. Robinson في دار النشر Harper and Row. 1978.

- Nenham, Saint Mark, Penguin Books, England, 1963.
- Potter, The Lost Years of Jesus Revealed, New York, 1063.
- The Babylonian Talmud, Translated into English with Notes, Glossary and Indices under The Editiorship of Rabbi Dr L. Epstein B.A, D, D. Lit, The Soncion Press London.
- قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية (بالإنجليزية).
- THE OXFORD DICTIONARY OF THE CHRISTIAN CHRUCH. F. C CROSS AND FL. LIVINGSTONE.

القاموس الجديد العالمي للكنيسة المسيحية (بالإنجليزية).

- THE NEW INTERNATIONAL DICTIONARY OF THE CHRISTIAN CHRUCH. J.D DOCGLAS.
- Schweitzer: Londships, p. 59; Kraemer, Christ, pp. 8-11.
- Baron, Salo Wittmyer: A Social and Religious of Jews. Second Edition. V. 6. The Jewish Publication Society of America. 1971.
- Berliner, Dr. A.: Targum Oncklos. Herausagegeben und

Erlaust von Dr. A. Berliner. Zweith theil. Berlen 1884.

- F. Owen cole, Six Religions in the Twenteith Century, Hulton, 1984.
- A. Deedat Is the Bible God's word??, Durban, South Africa, 1982.
- R. F. Collins, Introduction to the New Testament, SCM Press, London, 1983.

Ireneus Adversus, Haereases III. 1,1 quoled by J.D. Deugias, The New Bible Dio. Pk 488.

- Martin Hengel, Judaism and Hellenism, SCM Press, London, 1981.

E. W. Heaton, The Hebrew, 1968; C. Sauer Brei, op. cit., p. 214-217; A. C. Waleh, Kings and Prophets, Israel, 1953.

- R. F. Collins, Introduction to the New Testament, SCM Press, London, 1983.

W.F. Albright, The Biblical Period from Abraham to EZRA, N.Y., 1963, p. 15-16.

Sigmund Mowinekel, Le Decalogue, Paris, 19. A. Lods, op. cit., p. 427.

- BIBLE, Revised Version of the King James T.
- BIEBER, M., History of the Greek and Roma.
- BARNES, H. E., History of Western Civilization.
- BARON, S, Social and Religious History of It it
- Sir Alan H. Gardiner, Pap. Petersburg, 116A, JEA, I, 1914, p. 26; J.A. Wilson, The Instruction For King Meri-Ka Re in Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testment, Princeton, 1966, p. 417.
- A. Lods, Israel From Its Beginnings to the Middel of the Eights Century London, 1962. p. 362.
- A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London,

1927, p. 77.
- James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963.
- Martin Hengel, Judaism and Hellenism, SCM Press, London, 1981.
- F. Owen cole, Six Religions in the Twenteith Century, Hulton, 1984.
- The Jerusalem Bible - Alexander - Jones - 1968 with Abridged introductions Darton, Longman & Todd.
- The Niv, Interlinear Hebrew English old Testament Volume 1 Genesis - Deuteronomy, Edited by: John R. Kohlenbarger III, Zondervan, Publishing House Michigan.
- Fausset's Bibble Dic. art. Mat, Gospel of, Quotes Esseb. III. 39.
- J. D. Doublas, The New Bible Die, art, Gospls qeoles Adv. Haer. III. 1.
- Faussert's Bible Die. Art, Mat. Gospe of..
- J. D. Douglas The New Bible Die. P. 458.
- SAINT MARK, penguin Books, England, 1936 p. II.
- R.F. Collin, Introduction to the New Testament, SCM Press, London, 1983.
- Abrahams; Israel, Jewish life in the Middle Ages.
Temple Books. N.Y. 1969.
- A. Harnack. Precis de L'histoire Traduit par E. Choisy. Paris Librairie Fischbaeher Societe anonyme 33 rue de Seine 1893. p.p. 176-194.
- Eadie, Philippians, 99/112; Lightfoot; Romans 110-115 Behm; Kittle Vol. 3 pp. 743-760.
- Hassan Zasa; L'OEuvre grammaticale d'Ibn - Djanh, et ses rapports avec les différentes théories arabes.
- Buil. Def. Fid. Nic., II. 9. 11; cited by The Puipit

Commentary, vol. 21, p. 5.
ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960 (JOHN)
- The Gospells, Their origin and their Growth, London 1957, p. 22, 160, 162.
Potter: The lost years of Jesusreveale New York, 1963, pp. 24, 132.
- Francois Bonifas. Histoire des dogmes de l'eglise Chrétienne. Tome 2. pp. 36-50.
- A. Grillmeier. Le Christ dans la Tradition Chrétienne.... pp. 215-225.
- Bardy. Origines de l'arianisme. Fliche et Martin 3: 69-83.
- Bardy. Recherches sur Saint Lucien d'Antioche et son école. Paris 1936.
- A. Harnack. History of Dogma. Volume IV. p. 6-71.
- A. Harnack. Precis de L'histoire. 176-194.
- M. F. Haag. Histoire des dogmes Chretiens. 1re partie p. 148-182.
- F. Bonifas. Histoire des Dogmes de L'Eglise Chretienne. Tome 2. 36-65.
- Skoss, Solomon, L.: The Arabic Commentarŷ of Ali Ibn Suliman the Karaite on the Book of Genesis. J.Q.R.V. XVIII 1927-1928.
- Skoss, Solomon L: Kitab Jami Al Alfaz (Agron) of David Ben Abraham Al Fasi. Yale University Press, V. I. 1938.
- Shereshevsky, EZRA: The use of preposition and conjuction in Rashi's Commentary. J.Q.R. Vol. LVII.
- Shereshevsky, EZRA: Rashis and Christian Interpretations. J.Q.R. Vo. LXI. July 1970.
- Marc Lods; Précis d'histoire de la theologie chretienne du 11e au début du IVe Siecle. Editions Delachaux et Niestié.

Neuchatel. p. 41-42.
- Dimont, (M.), Jews, God and History, N.Y., 1956.
- Dozy (R.), Die Israeliten Zu Mekka, 1864.
- Driver, (G.R.), Aramaic Documents of the Fifth Century E.D., Oxford, 1954.
- Driver, (S.R.), An Introduction to the Literature of the Old Testament, Edinburg, 1950.
- Dupont - Sommer, (A.), Les Arameens, Paris, 1949.
- Edgerton, (W.F.), and Wilson (J.A.), Historical Records of Ramses III, The Texts in Medinet Habu, 2 vols., Chicago, 1935.
- Elgood, (S.R.), Later Dynasties of Egypt, Oxford, 1951.
- Eliade, (M.), Traite d'Histoire des Religions, Paris, 1964.
- Eissfeldt, (O.), The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part 2, Cambridge, 1975.
- Epstein, (Rabbi Isidore), Judaism, A Historical Presentation, (Penguin Books), 1970.
- Albright, (W.F.), The Biblical Period from Abraham to Ezra, N.Y., 1963.
- Albright, (W.F), Archaeology and the Reiligion of Israel, Baltimore, 1963.
- Albright, (W.F.), Historical Geography of Flaestine, AASOR, 1923.
- Albright, (W.F.), Recent Discoveries in Bible land, N.Y., 1955.
- Albright, (W.F.), New Light on Early Recensions of the Hebrew Bible in BASOR, 140, 1955.
- Altheim (F.) and Stiehl (R.), Die Araber in der Alten Welt, Berlin, 1964-1968.
- Barton, (G.A.), Semitic and Hamitic Origins, London, 1934.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر

الفصل الثامن عشر